جون غريشام

JOHN GRISHAM

حان وقت القتل

A TIME TO KILL

رواية

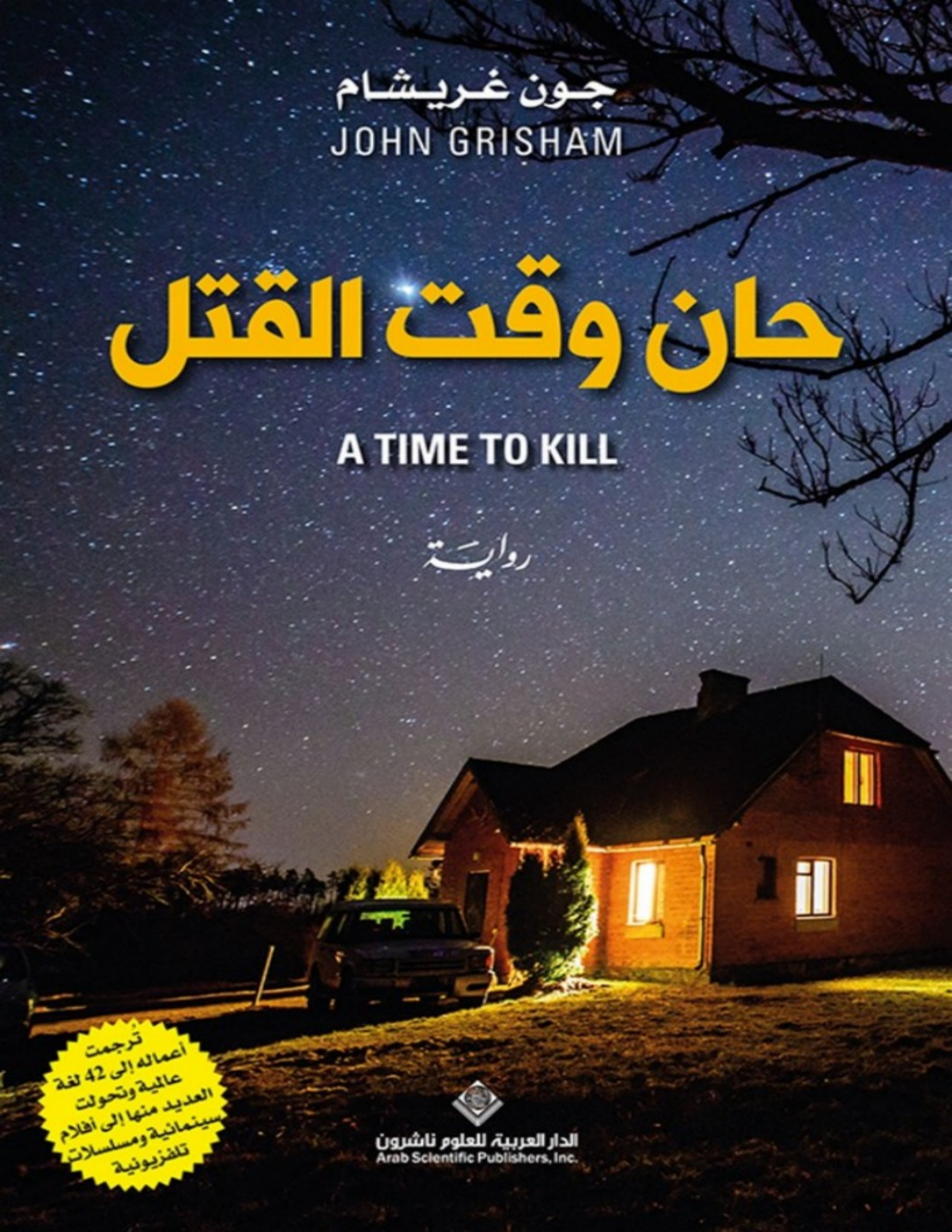

ترجمت أعماله إلى 42 لغة عالمية وتحولت العديد منها إلى أفلام سينمائية ومسلسلات تلفزيونية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

«المكتبة الرقمية العربية»
https://linktr.ee/books4ar

جون غريشام

JOHN GRISHAM

حان وقت القتل

A TIME TO KILL

راوية

تعريب

نور حامد

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

A TIME TO KILL

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من المؤلف عبر

The Gernert Company, Inc., New York, N.Y. 10022

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون

Copyright © 1989 by Belfry Holdings, Inc.

All rights reserved

Arabic Copyright © 2022 by Arab Scientific Publishers

الطبعة الأولى: حزيران/يونيو 2022 م - 1443 هـ

ردمك 978-614-01-3497-3

جميع الحقوق محفوظة للناشر

إصدار

الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح

مركز الاعمال ، مدينة الشارقة للنشر

المنطقة الحرة ، الشارقة

الإمارات العربية المتحدة

جوال : 585597200-971+ - داخلي : 0585597200

هاتف :786233-785108-785107(1-961+)

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

التوزيع في المملكة العربية السعودية

دار إقـــراء للـنـشـــر

البريد الالكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الانترنت : http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات ، واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر

إن الآراء الواردة في هذا لكتاب لا تعبر بالضرورة عن أي رأي الدار العربية للعلوم ناشرون

تصميم الغلاف: علي القهوجي

1

كان بيلي راي كوب الأصغر سنًا وحجمًا بين أولئك الأوغاد البيض المتخلّفين العنصريين، وعلى الرغم من أنّه لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره، إلّا أنّه أمضى ثلاث سنواتٍ في سجن ولاية ميسيسبي - سجن بارشمان - بتهمة حيازة المخدرات والإتجار بها، ولكنه كان شابًا فاسقًا، وعلى الرغم من نحافته إلّا إنّه كان قويًا واستطاع أن يخرج معافىً من السجن لأنه باع المخدرات ووزعها على السود المسجونين وحراس السجن الذين تكفّلوا بحمايته. في العام الذي أعقب إطلاق سراحه، تابع نشاطاتِه القذرة، وازدهرت أعماله ورفعت أعمال التجارة بالمخدرات من قدره ليصبح أحد أعلى الأوغاد شأنًا في مقاطعة فورد. كان رجل أعمال يوظّف الأشخاص ويبرم الصفقات؛ لقد كان تاجرًا بكل ما للكلمة من معنى باستثناء أنّه لم يكن له سجلٌّ ضريبي. عندما اشترى سيارة فورد من متجر في كلانتون، شاع خبر أنه الرجل الوحيد الذي يدفع ثمن سيارة نقدًا في العقد الحديث، حيث دفع ستة عشر ألفًا نقدًا مقابل سيارة رباعية الدفع، صفراء اللون من نوع بيك أب ماركة فورد، مزودة بإطارات من الكروم على الرغم من أنّها سيارة مخصّصة للطرقات الوعرة. كانتْ هذه السيارة الأغلى على قلب بيلي راي، لقد استولى على العلم المعلّق عليها من فتىً مخمور في إحدى مباريات كرة القدم التي لعب فيها فريق جامعة ميسيسبي. إنّه يجلس على مؤخرة السيارة يشرب الجعة ويدخن السيجارة، ويشاهد صديقه ويلارد وهو يعتلي بدوره الفتاة الصغيرة.

كان ويلارد يكبره بأربع سنوات، ويمكن القول إنّه غير مؤذٍ بشكل عام، ولم يسبق له أن تعرض لمشكلات خطيرة، كما لم يسبق له أن عمل موظفًا ثابتًا على الإطلاق؛ ربما أكثر ما فعله هو شجار عرضي جَعَلَهُ يمضي ليلة واحدة في السجن، ولكن لا شيء أخطر من ذلك. لقد أطلق على نفسه اسم قاطع الخشب، ولكن الوهن في ظهره أبعده عن الغابة، حيث أصاب ظهره عندما

عمل على حفّارة نفط في مكان ما في الخليج، حينها دفعتْ له شركة النفط تعويضًا جيدًا، ولكنه خسر المال عندما استولتْ زوجته السابقة على ممتلكاته، وهو يعمل الآن بدوام جزئي لدى بيلي راي كوب الذي لم يكنْ يدفع له كثيرًا، لكنه كان سخيًا معه في ما يتعلق بالمخدرات، فللمرة الأولى منذ سنوات كان لدى ويلارد مورد متاح دائمًا للمخدرات، وكان دائمًا بحاجة إلى المزيد منها، لقد عاش على هذا النحو منذ أن أصاب ظهره.

إنها في العاشرة من عمرها، واتسمتْ بصغر حجمها بالنسبة إلى عمرها؛ إنها مستلقية على ظهرها ومرفقاها مربوطان معًا بحبل أصفر اللون، أما ساقاها فمنفرجتان بطريقة بشعة، وقد رُبطت قدمها اليمنى إلى عمود مجاور من خشب البلوط، والقدم الأخرى إلى عمود مائل ومتعفن من سياج يبدو أنّه لم تتمّ صيانته منذ فترة طويلة. سال الدم على ساقيها، وغطت الكدمات وجهها الذي لطخته الدماء، وتورمت إحدى عينيها، وتعمدت ترك الأخرى نصف مفتوحة بحيث تستطيع رؤية الرجل الأبيض الآخر الجالس على السيارة، لم تنظر إلى الرجل الذي كان يعتليها ويتنفس بصعوبة، ويتصبب عرقًا، ويطلق الشتائم، فقد كان يؤلمها كثيرًا.

عندما انتهى صَفَعَها وضحك، وبادله الرجل الآخر الضحك، ثمّ قهقها وتدحرجا على العشب بجوار السيارة كاثنين من المجانين يصرخان ويضحكان. ابتعدتْ عنهما، وبكتْ بهدوء شديد، وحرصت على البقاء ساكنة لأنه سبق لهما أن صفعاها عندما بكت، وهدّداها بالقتل إذا لم تلتزم الصمت.

بعد فترة، سئما من الضحك، ومشيا متثاقلين باتجاه مؤخرة السيارة حيث مسح ويلارد عرقه بقميص الصغيرة الزنجية الذي كان ملطخًا بالدم والعرق. قدّم له بيلي راي البيرة الباردة من المبرد، وعلّق على رطوبة الجو، وراقبا الفتاة الصغيرة وهي تبكي وتنشج؛ لقد شرب بيلي راي نصف علبة البيرة.

عندما لم تعد باردة، قرر أن يلقي بها على الفتاة، فأصابها في بطنها، فتناثرتْ رغوتها البيضاء، ثمّ تدحرجتْ العلبة على التراب حتى وصلتْ إلى سائر العلب التي خرجت من المبرد نفسه؛ لقد ألقيا حتى الآن اثنتي عشرة علبة نصف فارغة، وقهقها مع كل رمية.

عانى ويلارد من مشكلة في التصويب الدقيق، بخلاف كوب الذي أصاب الهدف بدقة؛ لم يكونا من النوع الذي يرمي علبًا تحوي كمية كبيرة من البيرة، ولكن رمي العلب الثقيلة أشعرهما باللذة، عدا عن المتعة التي وجداها في مشاهدة الرغوة البيضاء المتناثرة في كل مكان. امتزجتِ

البيرة الدافئة مع الدم الداكن وسالا على وجه الفتاة ورقبتها ليستقرا في النهاية خلف رقبتها مشكّلَين بركة صغيرة؛ تابعا اللهو أما الفتاة فلم تحرك ساكنًا.

طرح ويلارد على كوب سؤالًا، لأنه ظن أن الفتاة قد ماتت، فأجابه كوب وهو يفتح علبة أخرى من البيرة بأنّها لم تمتْ لأن الزنوج لا يموتون من الضرب والقتل والاغتصاب فقط، فلأجل قتلهم يجب الاستعانة بشيء أكثر عدوانية كسكين أو مسدس أو مشنقة. على الرغم من أنّه لم يسبق له أن كان جزءًا من جريمة قتل مشابهة، لكنه أمضى وقتًا طويلًا نسبيًا مع عدد لا بأس به من الزنوج وتعرف إلى كل ما يخصهم، حيث كانوا يقتلون بعضهم دائمًا، ولأجل ذلك استخدموا دائمًا أحد أنواع الأسلحة، وأولئك الذين ضُرِبوا أو اغتُصِبوا فلم يسبق لهم أن ماتوا. لكن البيض الذين يُغتصَبون ويُضرَبون قد يموتوا، ولكن ما من زنجي مات جراء ذلك، لأن جماجمهم يابسة وعصية على التحطيم؛ عندها ظهرتْ علامة الرضى على وجه ويلارد.

سأله ويلارد ما الذي يخطط لفعله بها بعد أن نالا وطرهما منها، فرشف كوب رشفة من البيرة، ثمّ أخبره أنّه لم ينتهِ منها بعد، فوثب من الجزء الخلفي من السيارة، ومشى عبر الأرض مقطوعة الشجر إلى حيث الفتاة المقيدة، وشتمها وصرخ فيها لتستيقظ، ثمّ سكب البيرة الباردة على وجهها وهو يقهقه مثل المجنون.

راقبَتْه وهو يسير حولها من الجهة اليمنى، أما هو فكان ينظر إلى ما بين ساقيها، وعندما أنزل سرواله نظرت بعيدًا، وأغمضت عينيها بشدة من شدة الألم.

نظرتْ بعيدًا باتجاه الغابات، ورأتْ شيئًا ما، رأت رجلًا يركض بشكل محموم عبر الكروم والنباتات؛ أجل إنّه والدها يصرخ مُشيرًا إليها، ويركض يائسًا محاولًا إنقاذها، فصرختْ منادية إياه، ثمّ تلاشى حلم اليقظة هذا، فأغمضتْ عينيها ونامتْ.

عندما استيقظت كان أحد الرجلين يجلس على الأرض بجانب السيارة، والآخر يجلس في ظل شجرة وقد غطّا في النوم. شعرت بالخدر في ساقيها وذراعيها.

اختلط الدم والبيرة والبول مع الوحل أسفلها، وشكّل الخليط مادة متماسكة جعلتْ جسدها الصغير يلتصق بالأرض التي أصدرت صوتًا أسفلها كلما حاولتْ أن تغير موضعها قليلًا. فكرتْ في الهرب، ولكن على الرغم من الجهود الجبارة التي بذلتها لم تستطع أن تتحرك إلّا بضعة إنشات

جهة اليمين، حيث قُيِّدت قدماها بشدة لدرجة أن ردفيها بالكاد لامسا الأرض. خسرت ذراعاها وساقاها كل طاقتها، ورفضت التحرك تمامًا.

جالت بعينيها في الغابة بحثًا عن والدها، وهمستْ باسمه عدة مرات، ثمّ عاودت النوم مجددًا.

في المرة الثانية التي استيقظت فيها كانا مستيقظين، تقدم الرجل الطويل باتجاهها مترنحًا، وهو يحمل بيده سكينًا صغيرةً، أمسك كاحلها الأيسر، وقطع الحبل، فتحررتْ ساقها اليسرى، ثمّ حرر ساقها اليمنى، وعندها أدارتْ ظهرها بعيدًا عنه، وطوتْ ساقيها بوضعية الجنين مباشرةً.

مرّر كوب حبلًا ثخينًا وهو من الحبال التي تستخدم في التسلق فوق فرع شجرة، وعقد أنشوطة في نهايته، وأمسك بالفتاة ووضع المشنقة حول رقبتها، ثمّ سار ماسكًا الطرف الآخر من الحبل، وجلس على مؤخرة السيارة حيث كان ويلارد يستنشق المخدرات، ويبتسم لما سيوشك كوب أن يقدم عليه. شدّ كوب الحبل بإحكام، ثمّ شد بعنف وشر، فانتفض جسد الفتاة الصغيرة قافزًا على طوله أسفل فرع الشجرة مباشرةً، سعلتْ كثيرًا، فأرخى الحبل قليلًا، ثمّ ربط الحبل بالسيارة، وفتح علبة أخرى من البيرة.

جلسا وحدقا إليها وهما يشربان البيرة ويدخنان؛ لقد أمضيا معظم نهارهما في البحيرة، عند صديق كوب الذي يمتلك قاربًا وبعض الفتيات اللواتي كان من المفترض أن يكنَّ سهلاتِ المنال، إلّا أنّه اتّضح أنّهن غير قابلاتٍ للمس، وعلى الرغم من كرم كوب وسخائه في إعطاء المخدرات والبيرة إلّا أن الفتيات لم يبادلنه الكرم، ولذلك غادرا البحيرة على غير هدى وهما يشعران بالإحباط، وفي طريقهما صادفا الفتاة الصغيرة، كانتْ تمشي إلى جانب الطريق الترابي حاملةَ كيسًا من البقالة، جعلها ويلارد تقف مكانها عندما ألقى علبة بيرة على رأسها.

سأله ويلارد بعينيه اللامعتين: "هل ستُقدِم على ذلك؟".

تردد كوب وقال: "كلا، سأدعك تفعل ذلك؛ إنّها فكرتك".

أخذ ويلارد مجّة من سيجارته، ثمّ بصق وقال: "لم تكن فكرتي، فأنت الخبير بقتل الزنوج، افعل ذلك".

فك كوب الحبل من السيارة، وسحبه بقوة شديدة، متسببًا في قشر اللحاء التي تساقطت فوق الفتاة الصغيرة التي بدأتْ تسعل بشدة.

فجأة سُمِعَ صوت بوق سيارة صاخب، فاستدار الرجلان بسرعة، ونظرا إلى الطريق الترابي الذي يؤدي إلى الطريق السريع، شتما واندفعا راكضين حول السيارة، فتح أحدهما الباب الخلفي للسيارة، وركض الآخر باتجاهها، فتعثر وسقط بالقرب منها، شتما بعضهما، وأمسكا بها، ثمّ فكا الحبل عن رقبتها، وسحباها إلى السيارة، وألقيا بها على المقعد الخلفي. صفعها كوب، وهددها بالقتل إذا لم تستلقِ وتلتزم الصمت، وأخبرها أنّه سيعيدها إلى المنزل إذا نفّذت ما أمرها به، وإلا فسيقتلها. أغلقا بابيهما، وانطلقا بسرعة على الطريق الترابي؛ لقد اعتقدت أنها ستذهب إلى المنزل أخيرًا، ثمّ ما لبثت أن أغمي عليها.

لوّح ويلارد وكوب للسيارة التي كانت تطلق بوقها بصخب أثناء مرورها بجانبهما على الطريق الضيق الترابي. أدار ويلارد ظهره ليتأكد أن الزنجية الصغيرة لا تزال مستلقية، فانعطف كوب عندما بلغ الطريق السريع وزاد من سرعة السيارة.

سأله ويلارد بعصبية: "ماذا سنفعل الآن؟".

أجاب كوب بالنبرة نفسها: "لا أعلم، ولكن علينا أن نفعل شيئًا ما قبل أن يلوث دمها سيارتي، انظر إليها إنّها تنزف".

فكّر ويلارد لدقائق وهو يرتشف من علبة البيرة الأخيرة، ثمّ قال بفخر: "دعنا نرمِها من فوق الجسر".

"فكرة جيدة، فكرة جيدة جدًا"، داس كوب على الفرامل، وأمر ويلارد: "أعطني علبة بيرة"، فتمطط ويلارد إلى الجزء الخلفي من السيارة، وأحضر علبتي بيرة من الخلف.

أخبره قائلًا: "لقد لطختِ المُبرد أيضًا بدمائها"، عندها عاود كوب القيادة بسرعة.

شعرتْ غوين هيلي بالسوء، في العادة كانتْ ترسل أحد الصبيان الثلاثة إلى البقالة، ولكن والدهم عاقبهم، وأمرهم بجز الأعشاب الضارة في الحديقة. سبق لتونيا أن ذهبتْ إلى المتجر بمفردها - فهو على بعد ميل واحد فقط - وأثبتتْ أنّها جديرة بالثقة، لكن غوين قررتْ أن ترسل الصبيان بحثًا عن أختهم الصغيرة بعد مرور ساعتين على ذهابها. توقعوا أنّها التهت باللعب مع أطفال باوندرز في منزلهم، أو ربما تكون قد غامرتْ وذهبتْ إلى صديقتها المقربة بيسي بيرسون بدلًا من ذهابها إلى البقالة.

قال السيد بيتس صاحب البقالة إنّها جاءتْ وذهبتْ قبل ساعة، وقد وجد غارفيس - الابن الأوسط - كيس بقالة مرميًا على جانب الطريق.

اتصلتْ غوين بزوجها في العمل، ثمّ حملتْ ابنها كارل لي جونيور إلى السيارة، وقادت على الطرق المرصوفة بالحصى حول البقالة، وقصدت مجمعًا للمنازل القديمة في مزرعة غراهام للتحقّق من عمة كانت تسكن هناك. توقفت عند متجر برودواي على بعد ميل من بقالة بيتس حيث أخبرتها مجموعة من الرجال السود المسنين إنّهم لم يروها أبدًا. قادت غوين مبتعدة نحو ثلاثة أميال عن منزلها عبر الطرق المرصوفة وطرق الحقول الترابية.

لم يتمكن كوب من العثور على جسر خالٍ من الزنوج الذين أتوا مع صنانير الصيد الطويلة، حيث إنّهما لم يقتربا من جسر إلّا وكان عليه أربعة أو خمسة من الزنوج على الجانبين يعتمرون قبعات القش الكبيرة ويحملون الصنانير المصنوعة من قصب السكر، وتحت كل جسر رأيا مجموعة أخرى من الزنوج ممن يحملون الصنانير ويجلسون بجانب دلائهم وهم يعتمرون قبعات القش نفسها ولا يأتون بأي حركة إلّا إذا اضطروا إلى إبعاد ذبابة أو بعوضة مزعجة.

بحلول هذا الوقت، تملكتْهُ مشاعر الخوف، كان ويلارد قد أغمي عليه من كثرة ما شرب البيرة، وأصبح بمفرده من دون أي شخص يساعده للتخلص من الفتاة، وبذلك يطمس حقيقة ما حصل، قاد السيارة بسرعة كبيرة وبخوف وقلق في الوقت الذي كان فيه ويلارد يشخر إلى جانبه، عبَرَ الطرق الحصوية وطرق المقاطعة بحثًا عن جسر أو منحدر يفضي إلى أحد الأنهار حيث يستطيع أن يتوقف ويلقي بها من دون أن يراه أولئك الزنوج الذين يعتمرون تلك القبعات المصنوعة من القش.

نظر في مرآة السيارة الجانبية، ورأى أنّها تحاول الوقوف، فداس على مكبح السيارة بقوة شديدة ما جعلها تختلّ وتسقط بقوة مصطدمةً بمقدمة صندوق السيارة أسفل نافذته مباشرة، أما ويلارد فارتد في مكانه بينما استمر بالشخير، فشتم كوب كليهما بعصبية.

لم تكن بحيرة شاتولا الآن أكثر من مجرد حفرة طينية ضحلة وواسعة من صنع الإنسان مع وجود سد مغطى بالأعشاب يمتد إلى ميل واحد على طول أحد جهاتها، كانت تقع في الجهة الجنوبية الغربية البعيدة من مقاطعة فورد بالإضافة إلى بضعة فدادين في نطاق مقاطعة فان بورين. في فصل الربيع، تتحول هذه البحيرة إلى أكبر بحيرة مائية في ولاية الميسيسبي، ولكن

الآن ومع حلول آخر أيام الصيف ومع اختفاء الأمطار لفترة طويلة، وتبخير أشعة الشمس الحارقة كل شبر من البحيرة، جفّت تمامًا. سيعود شاطئها الذي كان عامرًا يومًا ما، وستقترب برك المياه مرة ثانية من بعضها مشكلةً حوضًا ضحلًا من المياه البنية المائلة إلى الحمرة، كان يرفدها عدد لا يحصى من الجداول والمنحدرات بالإضافة إلى تيارَي مياه كبيرين لدرجة أنّه بإمكانك أن تسميهما نهرين، وبسبب وجود كل هذه الروافد لا بد من إنشاء عدد لا بأس به من الجسور بالقرب من البحيرة.

فوق هذه الجسور، سارت السيارة باذلة أقصى جهدها لإيجاد مكان مناسب لتفريغ حمولتها غير المرغوب بها، كان اليأس قد سيطر على كوب، واتجه إلى آخر جسر يتذكره وهو عبارة عن جسر خشبي ضيق فوق جدول، بينما اقترب من الجسر استطاع أن يميز الزنوج مع صنانيرهم القصبية، لذلك سلك طريقًا جانبيًا وركن السيارة، ثم فتح الباب الخلفي، وسحب الفتاة، وألقى بها في وادٍ صغيرٍ يغطيه نبات الكودوز المتسلق.

لم يسرع كارل لي هيلي إلى المنزل، حيث كان يعلم أن غوين تقلق في كثير من الأحيان من دون سبب؛ لقد سبق لها أن اتصلتْ بالمصنع عدة مرات عندما اعتقدت أن الأطفال قد اختطفوا. طلب الإذن وغادر، وقاد بسرعته المعتادة حتى وصل إلى المنزل حيث سيطر عليه القلق عندما استدار وهو يركن سيارته، ورأى سيارة الدورية مركونة بجانب الشرفة الأمامية، ورأى سيارات أخرى تعود ملكيتها إلى أفراد من عائلة غوين على طول الطريق الطويل في فناء منزلهم، كان هناك سيارة واحدة لم يستطع أن يتعرف إلى صاحبها، وكانتْ مليئة بالصنانير المصنوعة من قصب السكر والتي أفسحوا لها مكانًا لإخراجها من نوافذ السيارة، وبداخلها سبعة أشخاص على الأقل يعتمرون قبعات قشية.

أين تونيا والأولاد؟

عندما فتح الباب الأمامي سمع غوين تبكي، فمشى حتى وصل إلى غرفة المعيشة الصغيرة حيث وجد إلى يمينه حشدًا متجمّعًا فوق جسد صغيرٍ ملقىً على الأريكة؛ كان الجسد مغطىً بمناشف مبللة ومحاطًا بالأقارب الباكين، وبينما كان متوجّهًا نحو الأريكة توقفتْ أصوات البكاء، وابتعد الحشد مفسحًا له الطريق، فقط غوين بقيَتْ بجانب الفتاة. مرر يده برفق على شعرها، ووضع يده على كتف الفتاة الصغيرة متحدّثًا إليها؛ حاولت بدورها أن تبتسم له؛ كان وجهها أشبه بعجينة ملطخة بالدماء ومليئة بالجروح والانتفاخات، وكانت عيناها متورمتين ونازفتين وبالكاد

تستطيع فتحهما، أدمعتْ عيناه وهو ينظر إلى جسدها الصغير النازف من الجبهة إلى الكاحلين والمغطى بأكمله بالمناشف.

سأل كارل لي غوين عما حدث، فبكت وارتجفت ولم تستطع الكلام، فقادها شقيقها إلى المطبخ. وقف كارل لي والتفت إلى الحشد وسألهم عما حدث.

عم الصمت.

سألهم للمرة الثالثة، فتقدم النائب ويلي هاستينغز - أحد أبناء عم غوين - باتجاهه، وأخبر كارل لي أن هناك مجموعة من الناس كانوا يصطادون بالقرب من الجدول رأوا تونيا مستلقية وسط الطريق، وعندما أخبرتهم باسم والدها أعادوها إلى المنزل.

صمت هاستينغز وحدق إلى الأرض.

حدق إليه كارل لي، وانتظر منه أن يكمل، فصمت الجميع، حتى يخال الناظر إليهم أنّهم توقفوا عن التنفس ونظروا جميعًا نحو الأسفل.

صرخ كارل لي وهو يحدق إلى النائب: "ماذا حدث يا ويلي؟".

تحدث هاستينغز بنبرة بطيئة الإيقاع مكررًا ما قالته تونيا لأمها وهو ينظر عبر النافذة إلى البعيد؛ تحدّثَ عن رجلين أبيضي البشرة وعن سيارتهما، والحبل والأشجار، وكيف اعتلياها، توقف هاستينغز عن الكلام عندما سمع صوت بوق سيارة الإسعاف وهي تقترب.

خرج الحشد عبر الباب الأمامي، وانتظروا على الشرفة، حيث شاهدوا طاقم الإسعاف يُنزِل النقالة ويتوجه نحو المنزل.

توقف المسعفون في الفناء، وعندما فُتِح الباب الأمامي للمنزل، خرج كارل لي وابنته بين ذراعيه حيث كان يهمس في أذنها بلطف بينما تنهمر الدموع من عينيه حتى أسفل ذقنه. مشى إلى مؤخرة سيارة الإسعاف، وصعد إلى متنها، فأغلق المسعفون الباب وحملوها بعناية من ذراعي والدها.

2

كان أوزي والز المأمور الأسود الوحيد الذي يعيش في ولاية ميسيسبي. بلغ عدة رجال سود مرتبته هذه خلال التاريخ المُعاصر، ولكن في الوقت الراهن، كان هو الأسود الوحيد الذي يشغل هذا المنصب. لقد جعلته هذه الحقيقة يشعر بالفخر، نظرًا لأن أربعة وسبعين بالمئة من سكان مقاطعة فورد هم من العرق الأبيض، وباقي الرجال السود الذين يتولون منصب المأمور، يعيشون في مقاطعات يُشكل السود معظم سكانها. لم يعِش أوزي في مقاطعة يغلب على سكانها البيض لأنه تمّ انتخابه مأمورًا عليها فقط، فهو نشأ فيها، وعاش فيها، وكان قريبًا من معظم السود، وعدد قليل من البيض. في أواخر الستينيات، وبعد أن ألغي الفصل العنصري، كان واحدًا من الذين درسوا في أول صف مُختلط العرق، في مدرسة كلانتون الثانوية. أراد أن يلعب كرة القدم في فريق أولي ميس، ولكن كان اثنان من السود يلعبان مُسبقًا ضمن الفريق، لذا، انضم إلى فريق ألكورن، وتألّق هناك، وكان مدافعًا في فريق رامس، قبل أن تصاب ركبته ويعود إلى كلانتون إثر هذه الإصابة.

اشتاق للعب كرة القدم، لكنه استمتع لكونه المأمور، خاصة خلال فترة الانتخابات، عندما صوّت البيض لانتخابه أكثر من تصويتهم لمنافسيه البيض. أحبه الأطفال البيض لأنه كان بمنزلة بطلهم، فهو نجم كرة القدم الذي يظهر على شاشة التلفاز وتُنشر صوره في المجلات. احترمه الآباء والأمهات، وصوّتوا له لأنّه شرطي محترف لم يميز بين المُجرمين البيض أو السود، كما قد دعمه السياسيون البيض، لأنه منذ أن أصبح مأمورًا، لم تتدخل وزارة العدل بأمور المقاطعة، وعشقه السود لأنه كان ببساطة أوزي، الرجل الذي ينتمي إليهم.

تغيب عن العشاء، وانتظر هاستينغز في مكتبه داخل السجن، حيث كان سيُدلي بتقرير عما حصل في منزل هيلي. اشتبه بشخص على وجه التحديد، إذ لم يكن بيلي راي كوب غريبًا على

مكتب المأمور، وقد علم أوزي أن كوب يتاجر بالمخدرات، ولكنه لم يستطع القبض عليه بالجرم المشهود.

اتصل رقيب الاتصالات بالنواب، وأبلغهم بتعليمات أوزي ليحددوا موقع بيلي راي كوب، ولكنه لم يكلفهم القبض عليه. كان هناك اثنا عشر نائبًا، تسعة من البيض وثلاثة من السود، وقد انتشروا في جميع أنحاء المقاطعة، وبحثوا عن سيارة فورد صفراء فاخرة عُلّق علم على نافذتها الخلفية.

عندما وصل هاستينغز إلى المكتب، توجّه مع المأمور إلى مستشفى مقاطعة فورد، حيث قاد هاستينغز السيارة، بينما أعطى أوزي الأوامر عبر اللاسلكي. عندما وصلا وجدا عائلة هيلي في غرفة الانتظار، في الطابق الثاني، كما وجدا العمات، والأعمام، والأجداد، بالإضافة إلى الأصدقاء، والغرباء؛ لقد احتشد الجميع داخل هذه الغرفة الصغيرة، وانتظر آخرون في الرواق الضيق.

عمّت أصوات الهمس والنشيج في الأرجاء في حين كانت تونيا تخضع لعملية جراحية. جلس كارل لي مع غوين على أريكة متهالكة في زاوية مُظلمة، وجلس الأولاد إلى جانب غوين. حدّق كارل إلى الأرض، ولم يلحظ ذاك الحشد المتجمع، وقد أسندت غوين رأسها على كتفه، وبكت بصمت، بينما تسمر الأولاد في مكانهم، ووضعوا أيديهم على رُكبهم، كانوا ينظرون نظرة خاطفة إلى والدهم كل آن وحين، وكأنهم ينتظرون منه أن يطمئنهم ببضع كلمات. شق أوزي طريقه وسط الحشد، وصافحهم بهدوء، ثم ربّتَ على ظهورهم وهمس لهم متوعدًا أنّه سيُلقي القبض على الفاعلين، ثم ركع أمام كارل لي وغوين وسألهما:

"كيف حالها؟".

لم ينظر كارل لي إليه، بينما ارتفع بكاء غوين، وشهق الأولاد باكين بحرقة، وربّت على ركبة غوين، ووقف ليرحل. رافق أحد إخوة غوين أوزي وهاستينغز إلى خارج الغرفة، ومشى معهما عبر الرواق مبتعدين عن العائلة والحشد. صافح يد أوزي وشكره على المجيء. فسأله أوزي:

"كيف حالها؟".

أجابه: "حالها ليس مُطمئنًا، تخضع الآن لعملية، وعلى الأغلب ستبقى في المستشفى لفترة؛ لقد تكسرت عظامها، وأُصيبت بارتجاج دماغيّ سيئ؛ لقد ضُربت بشكل وحشي، وقد طُوِّق عنقها بحبل قد جرحها بشدة؛ لقد حاولا شنقها.

سأله وهو مُتأكد سابقًا من الجواب: "هل اغتُصِبَت؟".

أجابه: "نعم، لقد أخبرت أمها أنّهما تناوبا عليها، وآذياها بشدة؛ لقد أثبت الأطباء حصول ذلك".

سأله عن والديها: "كيف حال كارل لي وغوين؟".

"يفطر الحزن قلبيهما، إنّ صدمتَهما كبيرة، فمنذ أن وصل كارل لي إلى المستشفى لم يتفوه بكلمة".

أكد له أوزي أنّه سيعثر على المجرمين، ولن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا، وعندما سيقبض عليهما، سيحبسهما في مكان آمن، وهنا اقترح الأخ عليه أن يزج بهما في سجن آخر من أجل سلامتهما.

على بعد ثلاثة أميال من كلانتون، أشار أوزي إلى الطريق المرصوف بالحصى وقال لهاستينغز: "توقف هنا"، فانحرف هاستينغز عن الطريق السريع، وقاد على الطريق الجانبي بالقرب من الساحة الأمامية لمقطورة منزل متداعية، وقد خيّم الظلام على المكان تقريبًا.

أخرج أوزي عصاه، وضرب بعنف على الباب الأمامي وهو يصرخ: "افتح الباب يا بومبوس".

اهتزت المقطورة، وسارع بومبوس إلى الحمام ليرمي سيجارة حشيش لفها حديثًا، فعاود أوزي الضرب على الباب صارخًا: "افتح الباب الآن يا بومبوس، أعلم أنك في الداخل، افتح الآن وإلا سأخلع الباب".

فتح بومبوس الباب فدخل أوزي إلى المقطورة، ثمّ خاطبه قائلًا: "أتعلم يا بومبوس؟ في كل مرة أزورك فيها، أشم رائحة غريبة تعبق في الجو. البس بعض الملابس، فلديّ عملٌ لك".

ذُهل بومبوس وسأله: "مـ... ماذا؟".

قاطعه أوزي قائلًا: "سأشرح لك في الخارج، لأستنشق بعض الهواء. هيا البس ملابسك وأسرع".

ردّ عليه بومبوس: "وماذا إذا لم أُرغب بذلك؟".

قال أوزي: "حسنًا، لا بأس، لا بأس... سأقابل ضابط إطلاق سراحك المشروط غدًا".

اقتنع بومبوس وقال: "سأجهز وأخرج خلال دقيقة".

ابتسم أوزي بانتصار ومشى إلى سيارته. كان بوبي بومبوس أحد المفضلين لديه، فمنذ سنتين وبعد أن حصل على إطلاق سراح مشروط، اتّبع أسلوب حياة نظيفًا ومنطقيًا، واستسلم في بعض الأحيان لإغراءات تجارة المُخدرات السهلة لكي يحصل على المال بسرعة. لقد راقبه أوزي كما يراقب الصقر فريسته، وكان يعلم بشأن هذه الصفقات، وبدوره كان يعرف بومبوس أن أوزي يعلم بشأنه، لذا حرص دائمًا على مساعدة صديقه المأمور والز. في نهاية المطاف، كانت الخطة أن يستخدم أوزي بومبوس ليطيح ببيلي راي أثناء صفقة ما، لأنه يبيع المخدرات، ولكن قد تم تأجيل ذلك إلى وقت لاحق.

بعد دقائق، خرج بومبوس وهو يحشر قميصه داخل بنطاله ويرفع السحاب سائلًا أوزي: "من الذي تبحث عنه؟".

أجابه أوزي: "بيلي راي كوب".

ردّ عليه: "هذه ليست بمشكلة. يمكنك أن تجده من دون مساعدتي".

أكمل أوزي كلامه: "اخرس، واستمع إليّ. نعتقد أن كوب متورط في عملية اغتصاب حصلت عصر هذا اليوم. لقد اغتصب رجلان أبيضان فتاة سوداء صغيرة، وأعتقد أن كوب كان هناك".

استغرب بومبوس وعقّب على كلام المأمور قائلًا: "أيها المأمور، كوب ليس مغتصِبًا، إنه يتاجر بالمخدرات فقط، ألا تذكر ذلك؟".

أعاد المأمور إسكات بومبوس وقال: "اخرس وأنصت إليّ؛ اعثر على كوب، وامضِ بعض الوقت معه، فمنذ خمس دقائق، كان يركن سيارته عند هيوي، وقد ابتاع له بيرة؛ العب معه البلياردو، العب معه ألعاب النرد، أيًا يكن، المهم... اعرف ما فعله اليوم، ومع من كان، وإلى أين سيذهب، فأنت تعرف كيف يحب كوب التبجح بما فعله، أليس كذلك؟".

ردّ بومبوس: "نعم".

تابع أوزي إعطاء الأوامر وقال: "اتصل برقيب الاتصالات حالما تجده، فهو بدوره سيتصل بي ويعلمني. سأكون في مكان قريب، هل تفهم؟".

أجاب بومبوس: "نعم أفهم يا حضرة المأمور، لا مشكلة".

سأله أوزي: "هل لديك أية أسئلة؟".

ردّ بومبوس: "نعم، أنا مُفلس. من سيدفع ثمن كل ذلك؟".

نقده أوزي عشرين دولارًا ورحل.

قاد هاستينغز باتجاه هيوي بموازاة البحيرة. سأله هاستينغز: "هل أنت متأكد أنك تستطيع الوثوق به؟".

ردّ أوزي: "أثق بمن؟".

أعاد هاستينغز صياغة السؤال وقال: "ذاك الشاب بومبوس".

أجابه أوزي بثقة: "بالطبع، يمكنني الوثوق به. فقد أثبت جدارته منذ أن نال إطلاق السراح المشروط. إنّه شاب طيب يحاول أن يسلك طريق الاستقامة في أغلب الأوقات، يدعم مأموره المحلي، وسيفعل أي شيء أطلبه منه".

سأله هاستينغز: "لماذا؟".

ردّ أوزي:

"لأنني قبل عام، أمسكت به وبحوزته عشر أونصات من الحشيشة، حصل هذا بعد أن خرج من السجن بعام تقريبًا، أمسكت بأخيه وبحوزته أونصة من الحشيشة، وقلت له أن يستعد لقضاء ثلاثين سنة في السجن، فبكى طوال الليل في زنزانته، وعندما حل الصباح، كان مُستعدًا

للاعتراف. أخبرني أن أخاه بوبي كان يزوده بالحشيشة، لذا جعلته يذهب لملاقاته. طرقتُ بابه واستطعت سماع تدفق ماء المرحاض بعد أن رمى الحشيشة داخله، لم يفتح لي الباب، لذا ركلته ودخلت، فرأيته وهو يقف بملابسه الداخلية داخل الحمام، ويرمي ما تبقى من الحشيشة داخله؛ لقد فاحت في الحمام رائحة الحشيشة. لا أعلم الكمية التي تخلص منها داخل المرحاض، ولكن مياه المرحاض طافت، وأعادت ما رماه؛ لقد أخفته بشدة حتى إنّه بلل سرواله الداخلي".

قال هاستينغز: "هل أنت تمزح؟".

ردّ أوزي: "لا، تبوّل الفتى على نفسه، كان يقف دون حراك، وقد تجمد نظره، وتبلل سرواله الداخلي، كان يمسك بإحدى يديه مكبس المرحاض، وبالأخرى الحشيشة، وغرق الحمام بمياه المرحاض الفائضة".

سأله هاستينغز: "وماذا فعلت؟".

أجاب: "هددته بالقتل".

سأله مجددًا: "وماذا فعل هو؟".

ردّ أوزي: "أجهش في البكاء، بكى كطفل صغير يريد أمه، ووعدني ألا يكرر فعل ذلك، ولن يعود إلى تجارة الحشيشة".

تابع هاستينغز أسئلته: "هل اعتقلته؟".

أجابه: "لا، لم أستطع فعلها، فقط وجهت له كلامًا شنيعًا وشديد القسوة، كما هددته بفعل بعض الأمور الشنيعة الأخرى. وضعته تحت المراقبة المشروطة، ومنذ ذلك الحين، وأنا أستمتع بالعمل معه".

قادا إلى حانة هيوي، ورأيا سيارة كوب الذي ركنها في موقف السيارات المرصوف بالحصى، كان هناك اثنتا عشرة شاحنة بيك أب أخرى، وسيارات رباعية الدفع. وقفا خلف كنيسة سوداء تقع فوق التلة على الطريق السريع في هيوي، حيث استطاعا أن يحصلا على رؤية جيدة للحانة الرخيصة؛ كما أطلق عليها روادها؛ واختبأت سيارة من سيارات الدورية خلف بعض الأشجار في النهاية الأخرى من الطريق السريع.

بعد لحظات، انطلق بومبوس بسيارته مُسرعًا من جانبها منعطفًا نحو موقف السيارات، ثمّ رفع مكابح السيارة، وقاد إلى الخلف ليركن بجانب سيارة كوب. نظر حوله، ودخل حانة هيوي.

بعد نصف ساعة، أبلغ رقيب الاتصالات أوزي أن المُخبر قد عثر على الشخص، وهو ذكرٌ أبيض، يجلس في حانة هيوي، وهي تقع على الطريق السريع 304 قُرب البحيرة. في غضون دقائق، وصلت سيارتان إضافيتان من دورية الشرطة، وتوارتا عن الأنظار في مكان قريب من السيارة السابقة منتظرة الدورية.

سأل هاستينغز: "ما الذي جعلك تُجزم بأن كوب هو من أقدم على ذلك؟".

ردّ أوزي: "أنا لا أجزم بذلك، أنا فقط أتبع حدسي. قالت الفتاة الصغيرة إنه كان هناك رجلان في السيارة، وكانت عجلات السيارة لامعة".

علّق هاستينغز وقال: "وهذا يخفض الاحتمالات إلى ألفي سيارة".

تابع أوزي كلامه: "قالت أيضًا إن السيارة كانت صفراء اللون، وقد بدت جديدة وعليها علم".

ردّ هاستينغز: "ومن شأن ذلك أن يخفض الاحتمالات إلى مئتين".

قال أوزي: "وربما أقل من ذلك، كم واحدٍ من سائقي تلك السيارات يشبه بيلي باللون والشكل والطول؟".

ألحّ هاستينغز على أوزي بالأسئلة، ثمّ سأله: "وماذا إن لم يكن هو الفاعل؟".

رد أوزي: "بلى، إنّه هو".

كرر هاستينغز سؤاله: "وإذا لم يكن كذلك؟".

أجابه أوزي: "سنعرف قريبًا".

كان كوب يكثر الكلام، خاصة عندما يشرب. انتظراه لمدة ساعتين مراقبَين شاحنات البيك أب وهي تجيء وترحل، كما ركن سائقو الشاحنات، وقاطعو الأخشاب، وعمال المزارع، شاحناتهم الصغيرة وسيارات الجيب، كلها اجتمعت في موقف السيارات المرصوف بالحصى، وخَطَوا بفخر داخل الحانة للشرب، ولعب البلياردو، والاستماع إلى أنغام الفرقة، ولكن سبب

مجيئهم الأساسي إلى الحانة، هو لقاء بنات الهوى. كان بعضهم يغادر المكان، ليدخل إلى حانة آن لونغ المجاورة لحانة هيوي، ويبقى فيها بضع دقائق، ثمّ يعود إلى حانة هيوي. كانت حانة آن لونغ مُظلمة من داخلها وخارجها أيضًا، كما كانت تنقصها لافتات البيرة الملونة، والموسيقى التي تُعزف مباشرة، وهذا ما جعل الناس يقبلون عليها بشكل أكبر.

اشتهرت حانة آن لونغ بصفقات المخدرات التي تحصل داخلها، بينما اشتهرت حانة هيوي بكل الأنشطة، والموسيقى، والنساء، وساعات المرح، وآلات لعب البوكر، وألعاب النرد، والرقص، والكثير من الشجارات. نشب شجارٌ داخل الحانة وامتد إلى خارجها؛ إلى موقف السيارات، حيث قامت مجموعة من أفراد عصابة برفس وجرح بعضهم عشوائيًا، حتى توقفوا عن القتال، وعادوا ليتحلقوا حول طاولة لعبة النرد.

راقب المأمور ما حصل وقال: "أتمنى ألّا يكون بومبوس قد التحم معهم".

كانت الحمامات داخل الحانة صغيرة وقذرة، وقد اتخذها معظم رواد الحانة ملجأً يلتجئون إليه عندما تندلع الشجارات بين العصابات؛ لم تسلم أية سيارة من قتالهم، فكل سيارة أُصيبت على الأقل بثلاث طلقات نارية. فمنذ قرابة أسبوع، تفاجأ سائق دراجة بريء بما شاهده في موقف السيارات، كان يفترض بأوزي حينها أن يلقي القبض على عدد منهم، لكنه لم يفعل، بل تركهم وشأنهم.

كلتا الحانتين تنتهكان العديد من القوانين، إذ احتوت كل حانة على لعب القمار، وصفقات المخدرات، والويسكي غير الشرعي، والقاصرين، ولم تكونا تغلقان في الوقت المحدد... وغير ذلك من الأمور غير الشرعية.

بعد فترة وجيزة من انتخاب أوزي مأمورًا للمقاطعة للمرة الأولى، ارتكب خطأ فظيعًا أثناء قيادته للحملة الانتخابية، ووعد بإغلاق كل تلك الحانات الرخيصة التي تواجدت في المقاطعة؛ كان خطأ رهيبًا، حيث ارتفع معدل الجرائم، واكتظت السجون، وازدحمت جداول المحاكم، واتّحد أفراد العصابات، وقادوا بعضهم كقوافل إلى مركز كلانتون محتجين أمام مبنى المحكمة في ساحة المقاطعة. كان المئات منهم يغزون الساحة كل ليلة، يشربون، ويتقاتلون، ويعزفون الموسيقى الصاخبة، ويشتمون بصوتِ عالٍ أهل المدينة المذعورين، وعند حلول الصباح، كانت الساحة تبدو أشبه بمكب للنفايات بسبب وجود عبوات البيرة، وزجاجات الخمر التي ألقوها في الساحة. كما

أُغلقت حانات السود الرخيصة أيضًا، وتضاعفت الاقتحامات وعمليات السرقة والسطو ثلاثة أضعاف في غضون شهر واحد، وحصلت جريمتا قتل في أسبوع واحد.

أخيرًا، وبسبب هذا الحصار على المقاطعة، عقدت مجموعة من الوزراء المحليين اجتماعًا سريًا مع أوزي متوسلين إياه أن يرفع القيود والمخالفات عن الحانات الرخيصة، فذكّرهم أوزي بكل أدب أنّهم أصروا عليه أثناء الحملة الانتخابية ليغلق هذه الحانات، فاعترفوا بخطئهم، واستغاثوا به. نعم، سيدعمونه في الحملة الانتخابية القادمة، ما جعل أوزي يرضخ لمطالبهم، وعادت الحياة في مقاطعة فورد إلى طبيعتها.

لم يكن ازدهار المُنشآت هو السبب الذي أراح أوزي، لكنه كان مُقتنعًا بأن ناخبيه سيصبحون أكثر أمانًا في حال سمح بإعادة فتح الحانات الرخيصة.

عند الساعة العاشرة والنصف، اتصل رقيب الاتصالات عبر اللاسلكي، وأخبر أوزي بأن المُخبر عبر الهاتف ويريد رؤيته، فأعطاه أوزي إحداثيات موقعه، وبعد دقيقة رأى بومبوس يخرج من الحانة وهو يترنح ماشيًا إلى سيارته، فتحركت عجلات السيارة، وقاد مُسرعًا باتجاه الكنيسة. قال هاستينغز:

"إنه ثمل".

قاد نحو موقف سيارات الكنيسة، وتوقف على بعد بضع أقدام من سيارة الدورية، ثمّ صرخ: "أيها المأمور... هاودي".

مشى أوزي إلى سيارة البيك أب وقال له: "ما الذي أخّرك كل هذا الوقت؟".

ردّ بومبوس: "أخبرتني أن أقضي كل الليلة".

قال أوزي: "لقد وجدته منذ ساعتين".

قال بومبوس: "نعم، هذا صحيح أيها المأمور، ولكن هل سبق لك أن جرّبت أن تصرف عشرين دولارًا على بيرة سعر كل علبة منها خمسون سنتًا فقط؟".

سأله أوزي وهو متأكد من الإجابة: "هل أنت ثمل؟".

ردّ عليه: "لاا، أنا أستمتع بوقتي فقط، هل بإمكاني الحصول على عشرين دولارًا أخرى؟".

تجاهل أوزي طلبه وسأله: "ماذا اكتشفت؟".

ردّ: "بشأن ماذا؟".

قال أوزي بغضب: "بشأن كوب".

ردّ بومبوس بشكل غير مبالٍ: "أوه، إنّه في الداخل يستمتع بوقته".

قال أوزي: "أنا أعلم أنّه في الداخل، ماذا اكتشفت أيضًا؟".

ابتسم بومبوس بهدوء، ونظر صوب الحانة، ثمّ قال: "إنه يقهقه حيال ما حصل... أيّها المأمور. إنّها لدعابة كبيرة؛ لقد قال إنّه غنم أخيرًا بفتاة سوداء عذراء، وعندما سأله أحدهم عن عمرها، أجاب كوب إنّها كانت في الثامنة أو التاسعة من عمرها، ثمّ ضحك الجميع".

أغمض هاستينغز عينيه وطأطأ رأسه، بينما صكّ أوزي أسنانه وهو حانق وغاضب، فنظر بعيدًا ثمّ سأل: "ماذا قال أيضًا؟".

أجاب بومبوس: "كان ثملًا بشدة، ولم يتذكر أيًا من ذلك في الصباح، لقد ذكر فقط أنّها كانت فتاة سوداء لطيفة".

أكمل أوزي أسئلته وقال: "من كان برفقته؟".

أجابه: "بيت ويلارد".

سأل أوزي: "هل هو في الداخل؟".

أجاب بومبوس: "نعم، كلاهما في الداخل يمرحان ويضحكان حيال ما فعلاه".

سأله أوزي: "أين يجلسان؟".

ردّ بومبوس: "على الطرف الأيسر، بجانب آلة الكرة والدبابيس".

ابتسم أوزي وقال: "حسنًا يا بومبوس، لقد أديت المهمة بشكل جيد، والآن انصرف".

نادى هاستينغز على المرسلين باسميهما، ونقل المرسل الرسالة إلى ديب أوتي لوني، الذي كان يقف في الشارع أمام منزل قاضي المقاطعة، بيرسي بولارد. رنّ لوني جرس الباب، وسلم القاضي إفادتين خطيتين ومذكّرتي اعتقال. خربش بولارد على المذكرتين وأعادهما إلى لوني الذي شكره وغادر. بعد عشرين دقيقة، وصل لوني إلى الكنيسة، وسلّم المذكرتين إلى أوزي.

عند الساعة الحادية عشرة مساءً بالضبط، توقفت الفرقة عن الغناء، وتوقفت ألعاب حجر النرد، وتجمد الراقصون في مكانهم، وتوقفت كرة البلياردو عن الدحرجة، وأنار أحدهم مصابيح الحانة. حدق الجميع إلى المأمور وتابعوا حركته بأعينهم وهو يمشي مع رجاله ببطء عبر ساحة الرقص إلى الطاولة بجانب آلات الكرة والدبابيس حيث جلس كوب وويلارد، واثنان آخران في مقصورة، وقد تبعثرت على الطاولة علب البيرة الفارغة. تقدم أوزي نحوهم وابتسم كوب بوجهه قائلًا: "أنا أعتذر يا سيدي، ولكننا لا نسمح بتواجد السود هنا".

بقي أوزي مُبتسمًا؛ لقد علق كوب تعليقًا ساخرًا دون أن يفكر، وانفجر الأربعة في الضحك. سأله أوزي: "هل تستمتع بوقتك يا بيلي راي؟".

عندما توقفوا عن الضحك، قال لهم أوزي: "يؤسفني أن أقطع عليكم مرحكم يا شباب، ولكن أنت والسيد ويلارد يجب أن ترافقاني".

سأله ويلارد: "إلى أين سنرافقك؟".

أجابه أوزي: "سنذهب في جولة بالسيارة".

غادر الاثنان الباقيان المقصورة بسرعة، وانضما إلى المتفرجين، أما كوب فقال: "لن أتحرك من هنا".

قال أوزي: "إذًا، أنتما الاثنان رهن الاعتقال".

سأله كوب: "هل بحوزتك مذكرة اعتقال؟".

قال لوني: "نعم، لدينا أوامر بذلك"، أظهر هاستينغز مذكرتي الاعتقال مكملًا كلامه: "والآن انهضا".

نظر ويلارد بيأس إلى كوب الذي رشف من بيرته ثمّ قال: "لن أذهب إلى السجن".

كان ويلارد مذعورًا؛ لقد أعطى لوني أطول هراوة موجودة في مقاطعة فورد لأوزي، الذي جهزها وضرب وسط الطاولة لتتطاير علب البيرة وتنشر رغوتها في كل الاتجاهات.

وقف ويلارد بشكل مستقيم، وصفع معصميه معًا ودفعهما إلى لوني الذي كان ينتظر وهو يحمل الأصفاد. لقد جُرّ إلى الخارج، وألقي به في سيارة دورية.

ربت أوزي على راحة يده اليسرى بالعصا وابتسم إلى كوب: "لديك الحق في التزام الصمت، فأي شيء تقوله سوف يستخدم ضدك في المحكمة، ولديك الحق في توكيل محامٍ، وإذا كنت لا تستطيع تحمل نفقات أحدهم، فستقوم الدولة بتأمينه. أي أسئلة؟".

"نعم، كم الساعة الآن؟".

"حان وقت الذهاب إلى السجن أيها الرجل الضخم".

"اذهب إلى الجحيم أيها الزنجي".

أمسكه أوزي من شعره وأخرجه من المقصورة، ثمّ دفع وجهه إلى الأرض ضاغطًا ركبته على عموده الفقري واضعًا الهراوة تحت حلقه، فصرخ كوب عندما بدأت الهراوة تسحق حنجرته.

تم وضع الأصفاد في مكانها، وسحبه أوزي من شعره عبر حلبة الرقص مرورًا بالباب، وعبر الساحة المرصوفة بالحصى وألقاه على المقعد الخلفي إلى جانب ويلارد.

انتشرت أنباء الاغتصاب بسرعة، وقد احتشد المزيد من الأصدقاء والأقارب في غرفة الانتظار والقاعات حولها. خرجت تونيا من الجراحة، ووُصِفت حالتها بالحرجة. تحدث أوزي مع شقيق غوين في القاعة، وأخبره بما جرى وأكد له أنّه عثر على الفاعلَين.

3

التفّ جايك بريغانس حول زوجته، ووثب من السرير ليذهب إلى الحمام الذي يبعد أمتارًا قليلة عن سريره حيث تلمس طريقه في الظلام باحثًا عن المنبّه الذي وجده حيث تركه، وأوقف رنينه بضربة سريعة عليه. كانت الساعة 5:30 فجرًا، يوم الأربعاء، الموافق للخامس عشر من أيار.

وقف في الظلمة لاهثًا حتى انقطعت أنفاسه، وانتابه الهلع، وقد خفق قلبه بسرعة وهو ينظر إلى الأرقام المتألقة في الساعة؛ كم كره ساعة المنبه تلك! يُسمع صوت رنين المنبه الحاد من أول الشارع. في كل صباح، عندما يرن المنبه في التوقيت نفسه، يستيقظ جايك وكأن نوبة قلبية قد أصابته، وفي بعض المناسبات، مرتان في السنة تقريبًا، يوقع كارلا أرضًا، وكانت بدورها توقف رنين المنبه قبل أن تعود إلى السرير؛ ففي أغلب الأوقات كانت تنزعج من هذا الموقف، وقد ظنت أن زوجها مجنون لأنه يستيقظ في مثل هذه الساعة من الصباح.

ضبط جايك المنبه، ووضعه على حافة نافذة الحمام لكي يضطر أن ينهض من سريره، ويمشي قليلًا قبل أن يوقفه عن الرنين، فحالما يستيقظ ويترجل من السرير، لا يسمح لنفسه بالعودة إليه؛ كانت تلك إحدى القواعد التي يتبعها. ذات مرة، كان المنبه موضوعًا على الطاولة بجانب السرير، وكان صوته منخفضًا، وقد استطاعت كارلا الوصول إليه وإيقاف رنينه قبل أن يسمعه جايك ويستيقظ، فبقي نائمًا حتى السابعة أو الثامنة، فاضطرب روتين يومه بالكامل. كان يحب الوصول إلى المكتب بحلول الساعة السابعة، والتي كانت إحدى قواعده الأخرى، ومنذ ذلك الحين أبقى المنبه بعيدًا عنه، وأدى وظيفته على أكمل وجه.

خطا جايك نحو المغسلة، ورشق وجهه وشعره بالمياه الباردة، وأنار المصباح، ونظر برعب إلى انعكاس صورته في المرآة وقد تبعثرت خصلات شعره البني الأملس في كل الجهات،

وانحسر خط شعره عن جبهته تقريبًا إنشين خلال الليل؛ إما أن ذلك ما حصل أو أن جبهته قد عرضت. كانت عيناه متوذمتين ومنتفختين، وقد امتلأت مقلتاه بمادة بيضاء، كما تركت الدرزات على الملاءة ندبة حمراء على طول الجهة اليسرى من وجهه، فلمسها، ثمّ فركها بيده وهو يتساءل إن كانت ستزول. دفع بيده اليمنى شعره إلى الخلف، ونظر إلى خط شعره. إنه في الثانية والثلاثين من عمره، ولم يغزُ الشيب شعره بعد؛ لم يشكّل الشيب مشكلة لديه، لكن نمط الصلع الذي أصابه كان مشكلة أساسية لديه، وقد ورث جايك الصلع من جهة والديه. كان يحب أن يكون شعره كثيفًا ولامعًا، بحيث يغطي جبهته على بعد إنش من حاجبيه، فلطالما أخبرته كارلا أن شعره كثيف، ولكنه لن يبقى على هذا النحو وفقًا للسرعة التي يتساقط وفقها، وأكدت له أنّه لا يزال وسيمًا كما كان، كما قالت له إن انحسار خط الشعر منحه مظهر المخضرمين الذي كان ضروريًا لمحامٍ شاب، وقد صدقها.

لكن، ماذا عن المحامين الكبار في السن؟ أو حتى المحامين متوسطي العمر ممّن أصابهم الصلع؟ فلم يعد الشعر للنمو من جديد بعد أن شاب الشعر عند الصدغين، وتحول إلى اللون الرمادي، وتجعدت الخصلات، ومنحتهم مظهرًا ناضجًا جدًا.

خطرت كل تلك الأفكار لجايك في الوقت الذي كان يستحم فيه؛ لقد استحم على عجل، وحلق ذقنه، وارتدى ملابسه على الفور. كان من المفترض أن يكون في المقهى في تمام الساعة السادسة صباحًا، كانت تلك قاعدة أخرى. أنار مصابيح المنزل، وأغلق أبواب الخزائن والدروج بصخب ليوقظ كارلا؛ كان ذلك طقسًا صباحيًا خلال فترة الصيف، حيث كانت المدرسة مغلقة، ولا يفترض بها الذهاب إلى العمل. شرح لها مرارًا وتكرارًا أنّها تملك طوال اليوم لتعوض ساعات النوم الفائتة، أما ساعات الصباح الباكرة، فيجب عليهما أن يقضياها معًا. صدر عن كارلا صوت أنين يُعبّر عن استيائها لأنه قطع عليها النوم، ثمّ تدثرت بالملاءات من جديد. عندما ارتدى جايك ملابسه، قفز فوق السرير وقبّلها من أذنها، ثمّ نزل ليقبل رقبتها، وكل وجهها، أخيرًا، نظرت إليه. بعدها أزال الملاءات عن السرير وسخر منها وهي تتكور وترتجف وتتوسل إليه ليعيد تغطيتها. أثنى جايك على فخذيها السمراوين النحيلتين القريبتين من الكمال، وأمسك بهما. لم يستر قميصها الليلي الفضفاض شيئًا تحت مستوى خصرها، فتبادرت إلى ذهنه مئات الأفكار البذيئة.

كل شهر تخرج تلك الطقوس الصباحية مرة عن السيطرة، وعندما يحصل ذلك، لا تحتجّ كارلا، بل يزيلا معًا الملاءات. في مثل هذه الصباحات، يخلع جايك ملابسه بأسرع مما يرتديها،

ويكسر ما لا يقل عن ثلاث من قواعده، ولكن لم يحصل ذلك في هذا الصباح، فأعاد تغطية زوجته، قبّلها بلطف، ثمّ أطفأ المصابيح. تنفست بعمق، وغطت في النوم.

نزل إلى الردهة وفتح باب غرفة هانا بهدوء، وانحنى إلى جانبها - كانت تبلغ من العمر أربع سنوات، وكانت ابنته الوحيدة، إذ لم يكن لديه أي أولاد سواها - حيث استلقت في سريرها وهي مُحاطة بالدمى المحشوة والعرائس، فطبع قبلة على خدها الجميل؛ لقد كانت جميلة مثل والدتها، وكانتا متماثلتين في المظهر والصفات. امتلكت كارلا وابنتها عيونًا كبيرة رمادية مائلة إلى الزرقة، تذرف الدموع بسهولة عندما يقتضي الأمر، وامتلكتا الشعر الداكن نفسه الذي تقصانه بالطريقة نفسها، وعند مزيّن الشعر نفسه، كما ارتدتا ثيابًا متشابهة.

عشق جايك هاتين الأنثيين عشقًا شديدًا. قبّل ابنته قبلة الوداع، وتوجه إلى المطبخ ليعد القهوة لكارلا، وفي طريقه إلى الخارج، أطلق سراح ماكس؛ كلبته المغفلة؛ لتنطلق إلى فناء البيت الخلفي نابحةً على قط السيد بيكل الذي يسكن في المنزل المجاور لمنزلهم.

قليلون هم الأشخاص الذين يتصرفون فجرًا بالطريقة نفسها التي يتصرف وفقها جايك بريغانس؛ مشى بخفة إلى نهاية الممر، وأحضر الصحف لكارلا.

كان الجو مُظلمًا وباردًا، وقد هبت نسائم عليلة تنبئ بحلول الصيف قريبًا. مسح جايك بعينيه طريق آدامز طلوعًا ونزولًا، ثمّ استدار ليلقي نظرة إعجاب على منزله من بعيد. هناك منزلان في مقاطعة فورد أدرجا في السجل الوطني وصُنِّفا ضمن الأماكن التاريخية، وقد امتلك جايك بريغانس أحدهما. كان يفخر بمنزله الذي كلفه كثيرًا؛ كان بناءً فيكتوريًا من القرن التاسع عشر، وقد بناه رجل بعد أن تقاعد من عمله في السكك الحديدية، والذي وافته المنية في أول أمسية عيد ميلاد قضاها في منزله الجديد. كانت واجهة المنزل ضخمة، وسقفه المنحدر يطل على شرفة أمامية واسعة، كما كانت هناك نافذة صغيرة تقع تحت السقف ذي الزوايا المثلثية، يحيط بها لوح خشبي يُشرف على الشرفة. كانت الأعمدة الخمسة الداعمة للمنزل مستديرة وقد طُلِيت باللونين الأبيض والأزرق، وقد نُحِتت على كل عمود الأزهار يدويًا، وكانت هذه الأزهار المنحوتة مُختلفة عن بعضها، منها زهرة النرجس، والقزحيات، وعباد الشمس، وقد زُخرِف السور الذي امتد بين الأعمدة. للطابق العلوي ثلاث نوافذ أطلت على شرفة صغيرة، وكان يوجد إلى يسار تلك الشرفة برجٌ مثمن الشكل، له نوافذ صُنعت من الزجاج الملون النافر، والتي ارتفعت فوق مُستوى السقف ذي الزوايا المُثلثية، كما احتوى على شرفة ذات إطلالة واسعة أسفل البرج، وإلى اليسار من الشرفة تدلت نباتات الزينة.

استعانت كارلا بمُستشار طلاء من نيو أورليانز، واختارت ستة ألوان أصلية، كان معظمها عبارة عن درجات مختلفة من اللونين الأبيض والأزرق، وقد استغرقت عملية الطلاء شهرين، وكلفت جايك خمسة آلاف دولار، هذا من دون أن يدخل في الحساب الساعات التي أمضاها جايك وزوجته وهما مُتدليين من السلالم يحفان زوايا الجدران. وعلى الرغم من أن جايك لم يكن مهووسًا بشأن الألوان، إلّا أنّه لم يجرؤ أبدًا أن يرفض اقتراح زوجته إعادة الطلاء.

كما هو الحال مع كل بناء فيكتوري، كان المنزل رائعًا وفريدًا من نوعه، فهندسته مُثيرة، تلفت النظر، وتبعث البهجة في النفس، وقد حملت طابعًا طفوليًا. رغبت كارلا أن تسكن فيه، قبل أن تتزوج بجايك، وبعد أن توفي مالكه لم يرغب بشرائه أحد، فاشترياه مقابل القليل من المال إذ كان مهجورًا طيلة عشرين عامًا. لقد اقترضا مبالغ كبيرة من اثنين من البنوك في كلانتون، وقضيا ثلاث سنوات بعدها وهما يعملان بكد وجهد ليسددا دينيهما. والآن، يقود الناس سياراتهم أمام منزلهما ويلتقطون صورًا له.

اقترض جايك من المصرف المحلي الثالث من أجل شراء سيارة الساب الحمراء الوحيدة من نوعها في مقاطعة فورد. مسح قطرات الندى التي تجمعت على زجاج السيارة الأمامي، وفتح قفل الباب. لا تزال ماكس تنبح، وقد أيقظت جيشًا من طيور أبو زريق التي تعشعش في شجرة القيقب الموجودة في فناء السيد بيكل، فغردت له مودعة إياه، وبادلها التغريد بالصفير.

قاد جايك عبر شارع آدامز، ثم انعطف إلى جنوب جيفرسون بعد أن قطع مسافة حيّين سكنيّين إلى الشرق، فوصل إلى النهاية المغلقة لشارع واشنطن، فتساءل: لماذا هناك في كل مدينة جنوبية صغيرة شارع يحمل اسم آدامز، جيفرسون، وواشنطن، ولكن لا يوجد اسم لينكولن أو غرانت؟ كان شارع واشنطن يتفرع إلى الغرب والشمال من ساحة كلانتون، لأن كلانتون كانت مركز المقاطعة، وفيها ساحة، وقد احتوت هذه الساحة بشكل طبيعي مثل أي ساحة أخرى على محكمة في وسطها؛ لقد صمم الجنرال كلانتون هذه المدينة، ووضع الكثير من الأفكار فيها. كانت الساحة طويلة وواسعة، أما حديقة المحكمة، فكانت مليئة بأشجار البلوط الهائلة التي كانت تفصل بين الواحدة والأخرى مسافة متساوية.

مضى على بناء محكمة مقاطعة فورد قرنان، لقد بُنيت بعد أن أحرق اليانكيز المحكمة الأولى. أطلت واجهة المحكمة الأمامية على الجنوب، وكأنها تقول لأولئك الذين من الشمال أن يقبّلوا مؤخرتها. كان بناء المحكمة قديمًا وفخمًا، احتوى على أعمدة بيضاء وقد غطت الستائر السوداء عشرات النوافذ التي تقع خلفها. كان لون قرميده الأصلي أحمر، وقد طُلي بالأبيض منذ

فترة طويلة، وكان فتيان الكشافة يضيفون طبقة جديدة إليه كل أربع سنوات من أجل أن يتمموا مشروع الصيف، وقد سمحت السندات التي أصدرتها الحكومة بتجديد المبنى وتحسينه، وكان المرج المحيط بالمبنى مُشذبًا ونظيفًا، وقد كُلِّفَ طاقم من السجن بتشذيبه مرتين في الأسبوع.

احتوت كلانتون على ثلاثة مقاهٍ؛ اثنين للبيض، وواحدٍ للسود؛ وكانت جميعها في الساحة. سُمح للبيض أن يأكلوا في مقهى كلود للسود الذي يقع عند الجهة الغربية من الساحة، وكان مسموحًا للسود أن يأكلوا في مقهى الـ تي شوب، والذي يقع على الجهة الجنوبية، أو المقهى الموجود في شارع واشنطن. تناول جايك الشواء كل جمعة في مطعم كلود، كما فعل أغلب البيض الليبراليين في كلانتون، ولكنه ارتاد بانتظام الكوفي شوب في باقي الصباحات الستة من الأسبوع.

ركن سيارته الساب أمام المقهى في شارع واشنطن، وتابع طريقه سيرًا على قدميه، حيث مشى لمسافة ثلاثة أبنية حتى وصل إلى المقهى. فتح المقهى أبوابه للرواد قبل ساعة، وأصبح الآن يعج بالناس والحركة، وقد هرعت النادلات لتقديم القهوة والفطور، كما دردشن مع المزارعين والميكانيكيين، والنواب، الذين يأتون بشكل روتيني إلى هذا المكان. لم يجتمع أصحاب الياقات البيضاء داخل ذات المقهى، ولكنهم اجتمعوا في وقت لاحق من الصباح في مقهى الـ تي شوب الذي يقع على الطرف المقابل للساحة، وناقشوا القضايا السياسية الوطنية، ورياضة التنس والغولف، وتحدثوا عن الأوراق المالية، أما في الكوفي شوب، فتحدث رواده عن السياسة المحلية، وكرة القدم، وصيد الأسماك.

كان جايك أحد ذوي الياقات البيضاء القلائل المسموح لهم بالتردد على الكوفي شوب؛ لقد كان محبوبًا ومقبولًا من قبل أصحاب الياقات الزرقاء، الذين وجد معظمهم في وقت أو آخر طريقهم إلى مكتبه لتدبر أمر وصية، أو صكٍّ، أو طلاق، أو دفاع أو أي مشكلة من آلاف المشاكل الأخرى. طلبوا منه شرح أحكام المحكمة العليا والثغرات القانونية الأخرى خلال الفطور، وقدّم كثيرًا من النصائح القانونية المجانية في المقهى، كان لدى جايك طريقة لتجنب الحشو والولوج إلى لبّ المشكلة في كل قضية، وهم قدرّوا ذلك، صحيح أنهم لم يتفقوا معه دائمًا، إلا أنهم حصلوا دائمًا على إجابات صادقة، وتجادلوا في بعض الأحيان، لكن دائمًا ما انتهت جدالاتهم بأفضل مما بدأت.

دخل المقهى عند الساعة السادسة، واستغرقه الأمر خمس دقائق لتحية الجميع، ومصافحتهم، والتربيت على ظهورهم، وقول أشياء ذكية للنادلات، وبحلول الوقت الذي جلس فيه إلى طاولته، كانت فتاته المفضلة، ديل، تتناول قهوتها ووجبة فطورها المعتادة من الخبز المحمص والعصيدة.

أكل مع تيم نونلي، الميكانيكي الذي يعمل في معرض شيفروليه، والشقيقين، بيل وبيرت ويست، اللذين كانا يعملان في مصنع الأحذية شمال المدينة. رش ثلاث مرات صلصة التاباسكو على عصيدته، وقلّبها بمهارة مع شريحة من الزبدة، وغطى الخبز المحمص بنصف بوصة من هلام الفراولة محلّي الصنع، وبمجرد إعداد طعامه بشكل صحيح، تذوق القهوة، وبدأ في تناول الطعام.

في مقصورة بجوار النافذة على بعد أمتار قليلة من طاولة جايك، تبادل ثلاثة نواب الحديث. التفت الرجل الكبير، مارشال براذر، إلى جايك وسأل بصوت عالٍ: "أخبرنا يا جايك، ألم يسبق لك أن دافعت عن بيلي راي كوب قبل سنوات؟".

ساد الصمت في المقهى على الفور حيث نظر الجميع إلى المحامي. لم يفاجأ جايك من السؤال، ابتلع عصيدته، وفكّر في الاسم.

كرر بصوت عالٍ: "بيلي راي كوب؟ في أي قضية؟".

قال براذر: "مخدرات، لقد قبض عليه يبيع المخدرات قبل أربع سنوات، وقد أمضى بعض الوقت في بارشمان وخرج العام الماضي".

تذكر جايك وقال: "لا، لم أمثله. أعتقد أنه كان لديه محامٍ في ممفيس".

بدا براذر راضيًا وعاد إلى الفطائر.

انتظر جايك لبعض الوقت قبل أن يسأل: "لماذا؟ ماذا فعل الآن؟".

"لقد اعتقلناه بالأمس بتهمة الاغتصاب".

"اغتصاب؟".

"نعم، هو وبيت ويلارد".

"من اغتصبا؟".

"هل تتذكر هيلي الأسود الذي أفلت من تهمة القتل قبل بضع سنوات؟".

"بالطبع، أذكر ليستر هيلي".

"هل تعرف شقيقه كارل لي؟".

"بالطبع، إنني على معرفة جيدة به، أنا أعرف الكثير من عائلة هيلي، في الحقيقة أعرف معظمهم".

"حسنًا، إنها ابنته الصغرى".

"هل تمزح؟".

"لا".

"كم تبلغ من العمر؟".

"عشر سنوات".

فقد جايك شهيته مع عودة الصخب إلى المقهى، حرّك قهوته، واستمع إلى تغيير المحادثة من الصيد إلى السيارات اليابانية والعودة إلى الصيد. عندما غادر الأخوان ويست، توجّه إلى المقصورة التي يجلس فيها النواب.

سألهم: "ما هو وضعها؟".

"من؟"

"الفتاة هيلي".

قال براذر: "في غاية السوء، إنها في المستشفى".

"ماذا بشأن التفاصيل؟".

"نحن لا نعرف، فهي لم تكن قادرة على التحدث كثيرًا. أرسلتها والدتها إلى البقالة؛ إنهم يعيشون خلف بقالة بيتس".

"أعرف أين يعيشون".

"بطريقة ما أخذها كوب بسيارته يرفقة ويلارد إلى الغابة واغتصباها في مكان ما".

"كلاهما؟".

"نعم، عدة مرات، وركلاها وضرباها بشدة. لم يعرفها بعض أقاربها، لقد ضربت بوحشية".

هزّ جايك رأسه قائلًا: "هذا مقرف".

"بالتأكيد. لم يسبق لي أن رأيت شيئًا بهذا السوء من قبل. لقد حاولا قتلها، ثم تركاها شبه ميتة".

"وجدها الصيادون حيث كانت ملقاة في وسط الطريق، وقد قُيِّدَت يداها خلف ظهرها، لم تكن تتحدث بشكل جيد، ولكنها استطاعت أن تخبرهم ابنة من هي، فنقلوها إلى منزلها".

"كيف عرفتْ أنه بيلي راي كوب؟".

"أخبرت والدتها أنها أُخِذت بسيارة صغيرة صفراء وقد رُفِع عليها علم، لذا، لم يحتج أوزي إلى أكثر من ذلك، لقد قبض عليه في الوقت الذي نُقِلت فيه إلى المستشفى".

حرص براذر على ألا يقول الكثير، كان يحب جايك، لكنه كان محاميًا وتولى الكثير من القضايا الجنائية.

"من هو بيت ويلارد؟".

"أحد أصدقاء كوب".

"أين عُثِر عليهما؟".

"في هيوي".

"ما الذي أغراهما فيها؟"، شرب جايك قهوته وفكّر في هانا.

"معتوهان، معتوهان، معتوهان"، تمتم لوني.

"كيف حال كارل لي؟".

مسح براذر الشراب عن شاربه وقال: "أنا شخصيًا لا أعرفه، لكنني لم أسمع شيئًا سيئًا عنه. لا يزال أفراد العائلة في المستشفى، وأعتقد أن أوزي كان معهم طوال الليل. إنه يعرفهم جيدًا، بالطبع، يعرف كل هؤلاء الأشخاص جيدًا. هاستينغز تربطه علاقة قرابة مع الفتاة بطريقة ما".

"متى جلسة الاستماع الأولية؟".

"حددها بولارد عند الساعة الواحدة من ظهر هذا اليوم. أليس كذلك يا لوني؟".

أومأ لوني برأسه.

"ما هي التهمة الموجهة إليه؟".

"لم تُحدّد بعد، سينتظر بولارد حتى جلسة الاستماع؛ إذا ماتت، فستُوَجَّه إليه تهمة القتل، أليس كذلك؟".

أومأ جايك برأسه.

سأله لوني: "لا إطلاق سراح بكفالة في جريمة كبيرة كهذه، أليس كذلك يا جايك؟".

"هذا ممكن، لكنّني لم يسبق لي أن سمعت بذلك. أعرف أن بولارد لن يسمح بإطلاق سراح بكفالة في جريمة كبيرة كهذه، وإن فعل فلن يتمكّنا من دفعها".

سأل نسبيت النائب الثالث: "إذا لم تمت، فما هي العقوبة التي قد ينالاها؟".

استمع الآخران بينما كان جايك يشرح: "يمكن أن يحصلا على أحكام بالسجن مدى الحياة بتهمة الاغتصاب. أعتقد أنهما سيُتّهَمان أيضًا بالاختطاف والاعتداء الجسيم".

"صحيح".

"ثم يمكن أن يحصلا على حكم بالسجن عشرين عامًا للاختطاف وعشرين عامًا للاعتداء الجسيم".

سأل لوني: "نعم، ولكن كم من الوقت سيسجنان؟".

فكّر جايك لثانية: "يمكن توقع الإفراج المشروط عنهما في غضون ثلاثة عشر عامًا. سبعة للاغتصاب، وثلاثة للاختطاف، وثلاثة للاعتداء الجسيم. هذا إذا افترضنا أنهما أدينا في جميع التهم وحكم عليهما بالعقوبة القصوى".

"ماذا عن كوب؟ فلديه سابقة".

"نعم، لا يؤخذ بها ما لم يُدَن مرتين".

كرر لوني: "ثلاثة عشر عامًا"، وهو يهز رأسه.

حدق جايك عبر النافذة؛ كانت الساحة تنبض بالحياة حيث ركنت شاحنات صغيرة مليئة بالفواكه والخضروات إلى جانب الرصيف حول حديقة قاعة المحكمة، ورتب المزارعون العجائز الذين يرتدون ملابس رسمية باهتة سلالًا صغيرة من الطماطم والخيار والقرع في الجزء الخلفي من عرباتهم وعلى سطوحها، ووُضِع شمامٌ من فلوريدا بجوار الإطارات الملساء المتربة، وغادر المزارعون ليجتمعوا في الصباح الباكر تحت نصب فييتنام التذكاري، حيث جلسوا على مقاعد، ومضغوا تبغ رد مان، وانحنوا بينما كانوا يعلقون على القيل والقال، وقد رجّح جايك أنهم يتحدثون عن الاغتصاب. سطع نور الشمس الآن، وحان وقت المكتب. عندما انهى النواب طعامهم، اعتذر جايك، ثم عانق ديل، ودفع فاتورته، وفكّر للمرة الثانية بالتوجه إلى المنزل للاطمئنان على هانا.

قبل الساعة السابعة بثلاث دقائق، فتح مكتبه وأضاء المصابيح.

واجه كارل لي صعوبة في النوم على الأريكة في غرفة الانتظار؛ كانت حالة تونيا سيئة لكنها مستقرة. لقد رأوها في منتصف الليل، بعد أن حذّرهم الطبيب من أنها تبدو بحالة سيئة؛ وفعلًا كانت كذلك. قبّلت غوين وجهها الصغير المضمد بينما وقف كارل لي أمام السرير ساكنًا، غير قادر على فعل أي شيء سوى التحديق بهدوء إلى الجسد الصغير الذي تحيط به الآلات والأنابيب والممرضات. في وقت لاحق، أُعطِيَت غوين منومًا، ونُقلت إلى منزل والدتها في كلانتون، وعاد الأولاد إلى المنزل مع شقيق غوين.

تفرق المحتشدون تاركين كارل لي وحده على الأريكة. وصل أوزي وقد أحضر القهوة والدونات لكليهما، وأخبر كارل لي بكل ما يعرفه عن كوب وويلارد.

كان مكتب جايك عبارة عن مبنى من طابقين يطل على قاعة المحكمة على الجانب الشمالي من الساحة فوق المقهى مباشرة. بنت عائلة ويلبانكس المبنى في تسعينيات القرن التاسع عشر، عندما كانوا يمتلكون مقاطعة فورد. لقد مارس ويلبانكس القانون في المبنى منذ اليوم الذي بُنِيَ فيه حتى عام 1979.

لقد مارس جايك القانون بمفرده منذ العام 1979، لقد أحب ذلك على وجه الخصوص، لأنه لم يكن هناك محامٍ آخر في كلانتون مؤهل بما يكفي للتدرب معه. كان هناك العديد من المحامين الجيدين في المدينة، لكن معظمهم كانوا مع شركة سوليفان في مبنى المصرف المكون من أربعة طوابق. يكره جايك شركة سوليفان، كل المحامين يكرهون شركة سوليفان باستثناء الذين يعملون فيها، وهم ثمانية محامين من الحمقى الأكثر غرورًا وتكبرًا الذين التقى بهم جايك على الإطلاق. تخرج اثنان منهم من جامعة هارفارد، وكانا يتوكلان عن المزارعين، والبنوك، وشركات التأمين، والسكك الحديدية، وكل من لديه أموال، أما الباقون فتولوا أمر سائر الموكلين في المقاطعة، وجميعهم من المعدومين تقريبًا. هؤلاء هم "محامو الشوارع"؛ أولئك الذين يساعدون الناس في حل المشاكل، وكان جايك فخورًا بكونه محاميًا في الشارع.

كانت مكاتبه ضخمة؛ لقد استخدم خمس غرف فقط من أصل عشر في المبنى. في الطابق السفلي هناك غرفة استقبال، وقاعة اجتماعات كبيرة، ومطبخ، ومخزن أصغر، وغرفة فارغة، وفي الطابق العلوي، كان مكتب جايك الواسع ومكتب صغير آخر أشار إليه باسم غرفة الحرب؛ لم يكن فيها نوافذ ولا هواتف ولا مشتتات أخرى. هناك ثلاثة مكاتب فارغة في الطابق العلوي واثنان في الطابق السفلي.

كان مكتب جايك في الطابق العلوي، وكان ذا مساحة هائلة - ثلاثين في ثلاثين - وذا سقف من الخشب الصلب يبلغ ارتفاعه عشر أقدام، وأرضيات خشبية، ومدفأة ضخمة، وثلاث طاولات؛ المكتب الذي يعمل عليه، ومكتب صغير للاجتماعات في إحدى الزوايا، ومكتب قابل للطي في زاوية أخرى تحت صورة ويليام فوكنر. كان الأثاث العتيق من خشب البلوط موجودًا منذ ما يقارب القرن من الزمن، وكذلك الكتب والرفوف التي تغطي أحد الجدران. كان منظر الساحة والمحكمة مثيرًا للإعجاب، ويمكن تعزيزه بفتح الأبواب الفرنسية والنظر عبر شرفة صغيرة فوق الرصيف إلى حركة المرور في شارع واشنطن؛ كان لدى جايك، دون أدنى شك، أفضل مكتب في كلانتون، حتى ألدّ خصومه في شركة سوليفان يشهدون له بذلك.

دفع جايك مقابل كل هذا البذخ مبلغ أربعمائة دولار شهريًا لمالك العقار ورئيسه السابق، لوسيان ويلبانكس، الذي تم استبعاده عام 1979.

لعقود من الزمان، حكم أفراد عائلة ويلبانكس مقاطعة فورد؛ كانوا أثرياء، وبارزين في الزراعة، والبنوك، والسياسة، وخاصة القانون. كان جميع رجال عائلة ويلبانكس محامين وتلقوا تعليمهم في جامعات رابطة اللبلاب، كما أسسوا البنوك والكنائس والمدارس، وخدم العديد منهم في

المناصب العامة. كانت شركة ويلبانكس أند ويلبانكس هي الأقوى والأكثر شهرة في شمال ولاية ميسيسبي طيلة سنوات.

ثم جاء لوسيان؛ الذكر الأخير في عائلة ويلبانكس، كانت له أخت، لكن لم تُعلَّق عليها وعلى بناتها آمال سوى أن يتزوجن زيجات جيدة. عندما كان لوسيان صغيرًا عُلقت عليه آمال عريضة، ولكن عند بلوغه الصف الثالث بدا جليًا أنه سيكون مختلفًا عن سائر ذكور عائلة ويلبانكس. ورث مكتب المحاماة عام 1965 عندما لقي والده وعمه مصرعهما في حادث تحطم طائرة، وعلى الرغم من أنه كان في الأربعين من عمره، إلا أنه كان قد أكمل مؤخرًا، قبل عدة أشهر من مصرعهما، دراسته للقانون من خلال دورات بالمراسلة. بعد اجتياز امتحان نقابة المحامين، تولى إدارة شركة المحاماة، وبدأ العملاء في الاختفاء. كبار العملاء، مثل شركات التأمين والبنوك والمزارعين، غادروا جميعًا وأصبحوا وكلاء لدى شركة سوليفان حديثة الإنشاء. كان سوليفان شريكًا صغيرًا في شركة ويلبانكس قبل أن يُفصل ويطرد، وبعد ذلك غادر مع شركائه الصغار الآخرين ومعظم العملاء، ثم تكفل لوسيان بطرد الباقين من زملاء، وسكرتيرات، ومساعدين قانونيّين؛ الجميع باستثناء إثيل تويتي، السكرتيرة الأثيرة لوالده الراحل.

كانت إثيل وجون ويلبانكس مقربين جدًا على مر السنوات؛ في الواقع، كان لديها ابن أصغر يشبه لوسيان إلى حد كبير. قضى الشاب معظم وقته وهو يدخل ويخرج من مستشفى الأمراض العقلية، وأشار إليه لوسيان مازحًا على أنه شقيقه المتخلف. بعد تحطم الطائرة، ظهر الأخ المتخلف في كلانتون، وبدأ يخبر الناس أنه الابن غير الشرعي لجون ويلبانكس، فشعرت إثيل بالمذلة، لكنها لم تستطع كبح جماحه. انتشرت الفضيحة، وتقدمت شركة سوليفان بدعوى بالنيابة عن الأخ المتخلف للحصول على جزء من التركة.

شعر لوسيان بالغضب، ودافع بقوة عن شرفه وكبريائه واسم عائلته، كما دافع بقوة عن ممتلكات والده التي تُركت جميعها للوسيان وأخته. لاحظت هيئة المحلفين في المحاكمة التشابه المذهل بين لوسيان وابن إثيل الذي كان أصغر منه بعدة سنوات.

كان الأخ المتخلف يجلس بطريقة مدروسة في أقرب مكان ممكن من لوسيان. أمره محامو سوليفان بالمشي والتحدث والجلوس والقيام بكل شيء مثل لوسيان تمامًا حتى إنهم ألبسوه زي لوسيان. لقد أنكرت إثيل وزوجها أي صلة لابنهما بعائلة ويلبانكس، لكن هيئة المحلفين شعرت بخلاف ذلك، وفي النهاية وجدت أنه وريث جون ويلبانكس، فحصل على ثلث التركة. شتم لوسيان هيئة المحلفين، وصفع الأخ المفترض، ونقل من المحكمة إلى السجن وهو يصرخ. تم عكس قرار

هيئة المحلفين ورفضه عند الاستئناف، لكن لوسيان كان يخشى المزيد من التقاضي إذا غيرت إثيل قصتها، وهكذا، بقيت إثيل تويتي مع شركة ويلبانكس.

كان لوسيان راضيًا عندما تفككت الشركة، فهو لم ينوِ أبدًا ممارسة القانون مثل أسلافه.

أراد أن يكون محاميًا جنائيًا، وقطع كل علاقة مع وكلاء الشركة السابقين؛ لقد أراد العمل في قضايا الاغتصاب، والقتل، وإساءة معاملة الأطفال، والقضايا القبيحة التي لا يريدها أحد. أراد أن يكون محاميًا في مجال الحقوق المدنية، وأن يدافع عن الحريات المدنية، لكن الأهم من ذلك كله، أراد لوسيان أن يكون راديكاليًا، لديه دعاوى لا تحظى بشعبية، والكثير من الاهتمام. أطلق لحيته، وطلق زوجته، وتخلى عن كنيسته، وباع حصته من النادي الريفي، وانضم إلى الرابطة الوطنية([1]) لتقدم الملونين واتحاد الحريات المدنية الأمريكية([2])، واستقال من مجلس إدارة المصرف، وأصبح بشكل عام كارثة كلانتون. رفع دعوى قضائية ضد المدارس بسبب الفصل العنصري، والمحافظ بسبب السجن، والمدينة لأنها رفضت تمهيد الشوارع في القسم الذي يضم السود، والمصرف لعدم وجود صرافين سود، والدولة بسبب عقوبة الإعدام، وأصحاب المصانع لأنهم يستحقون ذلك. حارب وفاز بالعديد من الدعاوى الجنائية، ليس فقط في مقاطعة فورد، بل ذاع صيته، وأصبح له مؤيدون بين السود والبيض الفقراء والنقابات القليلة في شمال ميسيسبي.

كانت الشركة، بينه وبين إثيل، أكثر ربحية من أي وقت مضى. لم يكن لوسيان بحاجة إلى المال؛ لقد ولد وفي فمه ملعقة من ذهب ولم يفكر في المال أبدًا.

أصبح القانون حياته؛ ومع عدم وجود عائلة، أصبح مدمن عمل. عمل لخمس عشرة ساعة في اليوم، سبعة أيام في الأسبوع، مارس لوسيان القانون بشغف، ولم تكن له اهتمامات أخرى سوى معاقرة الكحول. في أواخر الستينيات، بدأ مع ويسكي جاك دانيال، وبحلول أوائل السبعينيات أصبح ثملًا على الدوام، وعندما استخدم جايك في العام 1978 كان قد أصبح مدمنًا على الكحول، لكنه لم يترك الخمر يؤثر في عمله؛ تعلم الشرب والعمل في الوقت نفسه. كان لوسيان دائمًا نصف ثمل، وكان محاميًا خطيرًا في هذه الحالة. كان جريئًا بطبيعته، وكان مخيفًا تمامًا عندما كان يشرب. في المحاكمة كان يحرج محامي الخصوم، ويهين القاضي، ويسيء إلى الشهود، ثم يعتذر لهيئة المحلفين. لم يخشَ أحدًا وما كان الخوف يعرف طريقه إلى قلبه، وقد تقرب الناس من لوسيان وعرفوه وأحبوه.

بين عامي 1966 و1978 وظّف لوسيان أحد عشر مساعدًا وتخلص منهم؛ لقد وظف السود واليهود ولم يواكب أحد الوتيرة التي طلبها؛ لقد كان طاغية في المكتب، يلعن ويوبخ المحامين الشباب باستمرار. استقال بعضهم ولم يتمكنوا من إنهاء شهرهم الأول؛ فقط واحدة استمرت عامين؛ كان من الصعب تحمل جنون لوسيان، كان لديه المال ليكون غريب الأطوار، ولم يكن زملاؤه كذلك.

وظف جايك عام 1978 بعد تخرجه من كلية الحقوق؛ كان جايك من كراواي، وهي بلدة صغيرة يبلغ تعداد سكانها 25 ألفًا، وتقع على بعد ثمانية عشر ميلًا إلى الغرب من كلانتون. كان طاهرًا، محافظًا، مشيخيًا ومخلصًا، له زوجة جميلة تريد أطفالًا، وقد وظفه لوسيان ليرى ما إذا كان بإمكانه إفساده. تولى جايك الوظيفة مع تحفظات قوية لأنه لم يكن لديه عروض أخرى قريبة من المنزل.

بعد عام تم استبعاد لوسيان من المهنة، لقد كانت مأساة لأولئك القلائل الذين أحبوه، وقد دعت النقابة الصغيرة في مصنع الأحذية شمال المدينة إلى إضراب؛ وهي نقابة كان قد نظمها ومثلها لوسيان. بدأ المصنع في توظيف عمال جدد ليحلوا محل المضربين، وتبع ذلك أعمال عنف. ظهر لوسيان على خط الاعتصام لحشد التأييد، وكان مخمورًا أكثر من المعتاد؛ حاولت مجموعة من رافضي الإضراب خرق الصفوف فاندلع شجار. قاد لوسيان العصيان، واعتُقِل وسُجِن، وأُدين في محكمة المدينة بالاعتداء والضرب وسوء السلوك، فاستأنف وخسر واستأنف وخسر.

لقد سئمت نقابة المحامين في الولاية من لوسيان على مر السنين، فلم يتلقَّ أي محام آخر في الولاية عددًا من الشكاوى كالتي تلقاها لوسيان ويلبانكس.

لقد أدينت تصرفاته بشكل خاص وعام قبل أن تُعلّق النقابة عمله، وكل ذلك لم يجدِ نفعًا. تحركت محكمة الشكاوى ولجنة التأديب بسرعة، وطُرِد بسبب السلوك المشين الذي لا يليق بعضو في نقابة المحامين، فاستأنف وخسر واستأنف وخسر.

كان جايك في مكتب لوسيان، المكتب الكبير في الطابق العلوي، عندما وردته أنباء عبر الهاتف من مدينة جاكسون بأن المحكمة العليا أيّدت قرار منعه من مزاولة المهنة، فأنهى لوسيان المكالمة، وسار إلى الأبواب المطلة على الساحة. راقبه جايك عن كثب بانتظار ما سيقوله، لكنه لم يقل شيئًا. سار ببطء على الدرج، توقف وحدق إلى إثيل، التي كانت تبكي، ثم نظر إلى جايك بينما كان يفتح الباب قائلًا: "اعتنِ بهذا المكان، أراك في وقت لاحق".

ركضا إلى النافذة الأمامية، وشاهداه يغادر الساحة وهو يقود سيارة البورش القديمة بسرعة.

طيلة أشهر لم يُسمع عنه أي خبر، وعمل جايك بجد على الدعاوى التي سبق للوسيان أن أوكِل بها، بينما حافظت إثيل على المكتب وحالت دون الفوضى، فسُوّيَت بعض القضايا، وتُرِك بعضها لمحامين آخرين، وذهب بعضها إلى المحاكمة.

بعد ستة أشهر، وبعد يوم طويل في المحكمة، عاد جايك إلى مكتبه فوجد لوسيان نائمًا على السجادة الفارسية في المكتب الكبير؛ سأله: "لوسيان، هل أنت بخير؟".

قفز لوسيان وجلس على الكرسي الجلدي الكبير خلف المكتب؛ كان رصينًا، وبدت عليه علائم الراحة.

سأله بحرارة: "جايك، ابني، كيف حالك؟".

"بخير. حسنًا، أين كنت؟".

"في جزر كايمان".

"ماذا كنت تفعل هناك؟".

"أشرب، وأطارد الفتيات الصغيرات".

"يبدو الأمر ممتعًا. لماذا عدت؟".

"شعرت بالملل".

جلس جايك وقال: "من الجيد رؤيتك يا لوسيان".

"من الجيد رؤيتك يا جايك. كيف تسير الأمور هنا؟".

"بشكل محموم، ولكنها تسير على نحو حسن على ما أعتقد".

"هل حصلت تسوية مع ميدلي؟".

"نعم، لقد دُفِع المبلغُ؛ ثمانون ألفًا".

"هذا جيد جدًا. هل كان سعيدًا؟".

"نعم، هذا ما بدا عليه".

"هل ذهب كروغر إلى المحاكمة؟"

نظر جايك إلى الأرض قائلًا: "لا، لقد استخدمه فريدريكس. أعتقد أنه من المقرر أن يخضع للتجربة الشهر المقبل".

"كان يجدر بي أن أتحدث إليه قبل أن أغادر".

"إنه مذنب، أليس كذلك؟".

"نعم، مذنب جدًا. لا يهم من تمثل، فمعظم المتهمين مذنبون. تذكر ذلك".

مشى لوسيان صوب الأبواب الفرنسية، وحدق إلى المحكمة.

"ما هي خططك يا جايك؟".

"أود البقاء هنا. ما هي خططك أنت؟".

"أنت رجل طيب يا جايك، وأريدك أن تبقى. شخصيًا، لا أعرف ماذا سأفعل، لقد فكّرت في الانتقال إلى منطقة البحر الكاريبي، لكنني لن أفعل، إنه مكان جميل للزيارة، لكنه قديم. في الحقيقة ليس لديّ خطط، قد أسافر، وأنفق بعض المال. كما تعلم لديّ كثير من المال".

وافقه جايك، فاستدار لوسيان ولوّح بذراعيه قائلًا: "أريدك أن تحصل على كل هذا يا جايك. أريدك أن تبقى هنا وتحافظ على استمرارية بعض مظاهر الشركة. انتقل إلى هذا المكتب، واستخدم هذا المكتب الذي أحضره جدي من فيرجينيا بعد الحرب الأهلية، واحتفظ بالملفات والحالات والعملاء والكتب وكل شيء".

"هذا في غاية السخاء يا لوسيان".

"سيختفي معظم العملاء. ستكون محاميًا عظيمًا يومًا ما، لكن معظم عملائي رافقوني لسنوات".

لم يكن جايك يريد معظم عملائه.

"ماذا عن الإيجار؟".

"ادفع لي ما يمكنك تحمله، سيكون المال شحيحًا في البداية، لكنك ستنجح. لستُ بحاجة إلى المال، لكنك بحاجة إليه".

"أنت لطيف جدًا".

"أنا حقًا رجل لطيف"، وقهقها

توقف جايك عن الضحك وسأله: "ماذا عن إثيل؟".

"الأمر متروك لك؛ إنها سكرتيرة جيدة. أعلم أنك لا تحبها، لكن سيكون من الصعب استبدالها، وإذا رغبت يمكنك طردها، فأمرها لا يعنيني".

توجّه لوسيان نحو الباب قائلًا: "اتصل بي إذا احتجتني، سأكون في الجوار. أريدك أن تنتقل إلى هذا المكتب الذي جلس فيه والدي وجدي، ضع سقط المتاع في بعض الصناديق، وسأستلمها لاحقًا".

استيقظ كوب وويلارد وهما يشعران بالدوار، وكانت أعينهما حمراء؛ كان أوزي يصرخ عليهما. كانا في زنزانة صغيرة بمفردهما، وقد فصلت القضبان من جهة اليمين زنزانتهما عن سجناء ينتظرون أن ينقلوا إلى سجن بارشمان، لقد حدق عشرات السجناء السود عبر القضبان بالشابين الأبيضين، وإلى جهة اليسار كانت هناك زنزانة أصغر، مليئة بالسود أيضًا. "استيقظ"، صرخ أوزي، "وابقَ صامتًا".

كان جايك يستمتع بالهدوء خلال الفترة التي تفصل بين وصوله عند السابعة ووصول إثيل عند الثامنة والنصف، كان يشعر بالغيرة من هذا الوقت. أغلق الباب الأمامي، وتجاهل الهاتف، ورفض تحديد المواعيد؛ لقد خطط ليومه بدقة؛ فعند الثامنة والنصف، سيكون لديه ما يكفي من العمل لإبقاء إثيل مشغولة وهادئة حتى الظهر، وعند التاسعة سيكون في المحكمة أو يقابل الموكلين؛ لن يتلقى المكالمات حتى الساعة الحادية عشرة.

عند الثامنة والنصف، أثارت إثيل الصخب في الطابق السفلي؛ لقد حضّرت قهوة طازجة، وفتحت البريد كما كانت تفعل كل يوم على مدار الأعوام الواحد والأربعين الماضية.

كانت تبلغ من العمر أربعة وستين عامًا، لكنها تبدو في الخمسين؛ كانت ممتلئة الجسم، لكنها ليست سمينة، وبالوقت عينه لا تبدو جذابة. كانت تقضم بصوت عالٍ النقانق وقطع البسكويت التي أحضرتها معها من المنزل وتقرأ بريد جايك.

سمع جايك أصواتًا؛ كانت إثيل تتحدث إلى امرأة أخرى، لذا دقق في دفتر مواعيده ولم يجد أي مواعيد قبل العاشرة. "صباح الخير سيد بريغانس"، أعلنت إثيل من خلال الاتصال الداخلي.

"صباح الخير، إثيل"؛ كانت تفضل أن تُدعى السيدة تويتي، وكان لوسيان والجميع يدعونها كذلك، إلا أن جايك كان يدعوها إثيل.

"هناك سيدة هنا تريد رؤيتك".

"لا أظن أن لديها موعدًا".

"نعم يا سيدي، أنا أعلم".

"حددي لها موعدًا في صباح الغد بعد الساعة العاشرة والنصف، فأنا مشغول الآن".

"نعم يا سيدي، لكنها تقول إن الأمر مستعجل".

"ما اسمها؟".

أجابت إثيل: "السيدة ويلارد".

"الاسم الأول؟".

"إيرنستين ويلارد. أنت لا تعرفها، لكن ابنها في السجن".

كان جايك يقابل الموكلين وفق مواعيد محددة، لكن الذين يحضرون إلى المكتب كانت إثيل تحدد لهم مواعيد لاحقة قريبة، وتبرر لهم ذلك بقولها إنّ السيد بريغانس مشغول للغاية، لكن يمكنه مقابلتك في الغد، وهذا أعجب الناس.

"أخبريها أنني لست مهتمًا".

"لكنها تقول إن عليها أن تجد محاميًا. سيمثُل ابنها أمام المحكمة عند الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم".

"قولي لها أن ترى درو جاك تيندل، محامي الدفاع العام. إنه جيد وهو حر".

نقلت إثيل رسالة المرأة قائلة: "لكن السيدة تريد توكيلك، فقد قال لها أحدهم أنك أفضل محامٍ جنائي في المقاطعة"، بدا المرح جليًا في صوت إثيل.

"أخبريها أن هذا صحيح، لكنني لست متاحًا".

قيّد أوزي يدي ويلارد وقاده إلى أسفل القاعة إلى مكتبه في القسم الأمامي من سجن مقاطعة فورد. أزال الأصفاد، وأجلسه على كرسي خشبي في وسط الغرفة الضيقة.

جلس أوزي على الكرسي الكبير خلف مكتبه، ونظر إلى المدعى عليه.

"أيها السيد ويلارد، هذا هو الملازم غريفين مع دورية الطريق السريع في ميسيسبي، والمحقق رادي، وهنا النائب لوني والنائب براذر، اللذان قابلتهما الليلة الماضية، ولكنّني أشك في أنك تتذكر ذلك، وأنا المأمور وولز".

هزّ ويلارد رأسه خائفًا لينظر إلى كل واحد منهم؛ كانوا يحيطون به، وكانت الغرفة مغلقة، وكان هناك جهازا تسجيل بالقرب من طرف مكتب المأمور.

"نود أن نطرح عليك بعض الأسئلة، حسنًا؟".

"حسنًا".

"قبل أن أبدأ، أريد التأكد من فهمك لحقوقك. بادئ ذي بدء، لديك الحق في أن تظل صامتًا. هل تفهم؟".

"نعم".

"لست مضطرًا للتحدث إذا كنت لا تريد ذلك، ولكن إذا فعلت، فإن أي شيء تقوله يمكن أن يُستخدم ضدك في المحكمة. هل تفهم؟".

"نعم".

"هل يمكنك القراءة والكتابة؟".

"نعم".

"جيد، إذًا، اقرأ هذا ووقع عليه؛ فهو يشير إلى أنك على اطلاع على حقوقك".

وقّع ويلارد، ثم ضغط أوزي على الزر الأحمر على أحد جهازي التسجل.

"هل تفهم أن جهاز التسجيل هذا قيد التشغيل؟".

"نعم".

"اليوم هو الأربعاء الخامس عشر من أيار، والساعة تشير إلى الثامنة والأربعين دقيقة صباحًا".

"ما اسمك الكامل؟".

"جيمس لويس ويلارد".

"اسم الشهرة؟"

"بيت، بيت ويلارد".

"العنوان؟".

"الميسيسبي، لايك فيلدج، الطريق رقم 6".

"أي شارع؟".

"شارع بيت إيل".

"مع من تعيش؟".

"أمي، إيرنستين ويلارد، فأنا مطلق".

"هل تعرف بيلي راي كوب؟".

تردد ويلارد ونظر إلى قدميه؛ لقد ترك حذاءه في الزنزانة، وكان جارباه الأبيضان متسخين ولا يستران أصابع قدميه الكبيرة؛ اعتقد أنه سؤال آمن.

"نعم، أنا أعرفه".

"هل كنت معه البارحة؟".

"نعم".

"أين كنتما؟".

"نسبح في البحيرة".

"في أي وقت غادرتما؟".

"قرابة الساعة الثالثة".

"ماذا كنت تقود؟".

"لم أكن أقود".

"ما الذي كنتما تستقلانه؟".

تردد قائلًا: "لا أعتقد أنني... لا أريد أن أتحدث أكثر".

ضغط أوزي على زر آخر وأوقف جهاز التسجيل عن العمل، فتنفس ويلارد بعمق. سأله أوزي: "هل سبق لك أن زرت بارشمان؟".

هزّ ويلارد رأسه.

"هل تعرف كم عدد الزنوج في بارشمان؟".

هزّ ويلارد رأسه.

"قرابة الأربعة آلاف. هل تعرف كم عدد الشبان البيض هناك؟".

"لا".

"قرابة الألف".

أسند ويلارد ذقنه على صدره، وتركه أوزي يفكّر لدقيقة، ثم غمز الملازم غريفين وقال: "هل لديك أي فكرة عما سيفعله هؤلاء الزنوج بشاب أبيض اغتصب فتاة سوداء صغيرة؟".

لم يرد.

"أيها الملازم غريفين، أخبر السيد ويلارد كيف يُعامَل الشبان البيض في بارشمان".

مشى غريفين إلى مكتب أوزي، وجلس على الطرف، ثم نظر إلى ويلارد قائلًا: "منذ خمس سنوات، اغتصب شاب أبيض في مقاطعة هيلينا، في منطقة الدلتا، فتاة سوداء. كانت في الثانية عشرة من عمرها، فانتظروا وصوله إلى بارشمان؛ في الليلة الأولى قيده حوالى ثلاثين من السود فوق برميل سعة خمسة وخمسين غالونًا واعتلوه، راقبه الحراس وضحكوا؛ لا يوجد تعاطف مع المغتصبين؛ اعتلوه كل ليلة لمدة ثلاثة أشهر، ثم قتلوه، وفي النهاية، وجدوه مخصيًا".

انكمش ويلارد، ثم أرجع رأسه وتنفس بضيق.

قال أوزي: "انظر يا بيت، نحن لسنا ضدك، نحن فقط نريد كوب؛ لقد كنت أطارد ذلك الفتى منذ أن ترك بارشمان. ساعدنا في إثبات التهمة على كوب، وسأساعدك بقدر ما أستطيع. أنا لا أعدك بشيء، ولكنّني ومحامي المقاطعة نعمل معًا. أنت تساعدني في الحصول على كوب، وأنا سأساعدك أمام محامي المقاطعة. فقط أخبرنا بما حدث".

قال ويلارد: "أريد محاميًا".

أخفض أوزي رأسه وتأوه قائلًا: "ماذا سيفعل المحامي يا بيت؟ هل تريد أن ينال الزنوج منك؟ أنا أحاول مساعدتك وأنت في طريقك إلى المحكمة".

قال غريفين: "يجب أن تصغي إلى المأمور يا بني، فهو يحاول إنقاذ حياتك".

قال رادي: "هناك فرصة جيدة لتخفيض العقوبة لعدة سنوات".

قال براذر: "إنها أكثر أمانًا من بارشمان".

قال أوزي: "الخيار لك يا بيت، يمكنك أن تموت في بارشمان أو البقاء هنا. يمكنني أن أعتبرك شاهدًا ملكًا".

أخفض ويلارد رأسه، وفرك صدغيه.

"حسنًا، حسنًا".

ضغط أوزي الزر الأحمر.

"أين وجدتما الفتاة؟".

"بجانب الطريق المرصوفة بالحصى".

"أي طريق؟".

"أنا لا أعرف، فأنا كنت ثملًا".

"إلى أين أخذتماها؟".

"لا أعرف".

"هل كنتما بمفردكما أنت وكوب؟".

"نعم".

"من اغتصبها؟".

"كلانا، بدأ راي أولًا".

"كم مرة؟".

"لا أتذكر، لقد كنت أشرب البيرة وأتعاطى المخدرات".

"تناوبتما عليها؟".

"نعم".

"أين ألقيتما بها؟".

"لا أتذكر. أقسم إنني لا أتذكر".

ضغط أوز على زر آخر: "سنكتب هذا ونتابع التسجيل".

هزّ ويلارد رأسه قائلًا: "فقط لا تخبر بيلي راي".

وعده المأمور بقوله: "لن أفعل".

4

جلس بيرسي بولارد بتوتر على الكرسي الجلدي وراء المكتب الخشبي الضخم في مكتب المحكمة الذي يقع خلف القاعة حيث اجتمع حشد كبير فيها للبحث في قضية الاغتصاب، واجتمع المحامون في الغرفة الصغيرة المجاورة حول آلة القهوة، وثرثروا أيضًا بشأن قضية الاغتصاب.

تكوم طرف ثوب بولارد الأسود في زاوية بجانب نافذة تطل على شارع واشنطن؛ كان ينتعل حذاء قياسه ستة، ولم تبلغ قدماه الأرض؛ كان من النوع الذي يتوتر ويقلق بشأن المرافعة الأولية وكل المرافعات الروتينية الأخرى، وبعد خبرة ثلاث عشرة سنة من العمل في هيئة المحكمة، لم يتعلم أن يهدّئ من روعه، ولحسن حظه، لم يُطلَب منه أن ينظر في القضايا الكبيرة التي كانت من اختصاص محكمة الدائرة. كان بيرسي قاضي محكمة مقاطعة وهذا أقصى ما يطمح إليه.

طرق حاجب المحكمة المخضرم السيد بيت الباب.

قال بولارد: "ادخل".

"مساء الخير يا حضرة القاضي".

سأل بولارد بدون مقدمات: "كم عدد السود الحاضرين؟".

"إن نصف الحشد من السود".

"هذا يعني أن هناك مئة أسود تقريبًا؛ إنّهم لا يحضرون بهذه الكثرة ما لم تكن القضية تتعلق بالقتل. ماذا يريدون؟".

أشاح السيد بيت برأسه.

"هل يعتقدون أننا سنحاكم الشابين اليوم".

قال السيد بيت: "أعتقد أنّهم قلقون وحسب".

"قلقون بشأن ماذا؟ لن أطلق سراحهما. إنّها فقط جلسة أولية"، صمت بيرسي ونظر عبر النافذة.

"هل أفراد عائلتها موجودون؟".

"أعتقد ذلك. لقد تعرفت إلى البعض منهم، ولكنّني لا أعرف والديها".

"ماذا عن الأمن؟".

"جعل المأمور كل نائب وكل نائب احتياطي على أهبة تامة بجانب قاعة المحكمة. لقد فتشنا الجميع عند الباب".

"هل وجدتم شيئًا؟".

"لا يا سيدي".

"أين الشابان؟".

"إنهما مع المأمور. سيحضرهما في غضون دقائق".

بدا القاضي راضيًا عن الترتيبات؛ فوضع السيد بيت ملاحظة مكتوبة على المكتب.

"ما هذه؟".

تنفس السيد بيت بعمق وأجاب: "إنه طلب من محطة تلفاز في ممفيس لتصوير المرافعة".

تحرك بولارد واحمر وجهه ثمّ صرخ قائلًا: "ماذا؟! كاميرات في محكمتي".

مزق الملاحظة ورماها في القمامة وقال: "أين هم؟".

"في البهو".

"امرهم أن يغادروا المحكمة".

غادر السيد بيت بسرعة.

جلس كارل لي هيلي في الصف الخلفي، وقد أحاط به العديد من الأقرباء والأصدقاء الذين جلسوا على المقاعد المبطنة في الجهة اليمنى من قاعة المحكمة، وكانت الجهة اليسرى خالية. جاب النواب المسلحون المكان، وراقبوا السود بتوتر وخصوصًا كارل لي الذي جلس حانيًا ظهره ومسندًا مرفقيه على ركبتيه محملقًا إلى الأرض.

نظر جايك عبر نافذته إلى المحكمة؛ كانت الساعة الواحدة ولم يتناول غداءه كعادته. لم يكن لديه عمل طارئ، ولكنه احتاج بعض الهواء النقي. لم يغادر جايك المبنى طوال اليوم، ومع أنّه لا يريد أن يسمع تفاصيل حادثة الاغتصاب، إلا أنه لم يرد أن يُفوّت المرافعة الأولية. من المؤكد وجود حشد كبير من الناس في قاعة المحكمة لأنه لم يبقَ مكان شاغر لركن سيارة في الساحة. انتظر العديد من المراسلين والمصورين بلهفة بجانب باب المحكمة الذي سيدخل منه كوب وويلارد.

يقع السجن على بعد جادتين جنوبي الساحة في نهاية الطريق السريع. قاد أوزي السيارة ومعه كوب وويلارد في المقعد الخلفي، وقد رافقته سيارتا دورية في الأمام والخلف، وعندما وصل ركن سيارته في الأسفل تحت شرفة المحكمة. رافق ستة نواب المدعى عليهما، وتجاوزوا الصحفيين في طريقهم إلى المحكمة، ثم صعدوا الدرج الخلفي متوجّهين نحو غرفة صغيرة بجانب قاعة المحكمة.

أخذ جايك معطفه، وتجاهل إثيل، وركض إلى الشارع. صعد الدرج الخلفي عبر باب صغير من غرفة المحلفين، ودخل قاعة المحكمة من باب جانبي حين كان الحاجب يرافق القاضي إلى مقعده.

صرخ السيد بيت: "محكمة، انهضوا جميعًا"، نهض الجميع وأخذ القاضي مكانه.

صرخ القاضي: "اجلسوا جميعًا. أين المدعى عليهما؟ أحضروهما إلى هنا".

اقتيد كوب وويلارد المكبلان من غرفة الحجز الصغيرة إلى قاعة المحكمة. كانا مستغربين وغير حليقين، وكانت ثيابهما مجعدة ومتسخة.

نظر ويلارد إلى السود بينما أدار كوب ظهره. أزال لوني أصفادهما، وأجلسهما إلى طاولة الدفاع الكبيرة بجانب المحامي العام درو جاك تيندیل، وجلس مدعي عام المقاطعة روكي شيلدرز

إلى طاولة كبيرة بجانبهما وكان يدوّن ملاحظات وبدا مغرورًا.

نظر ويلارد إلى الخلف مجددًا وعاين السود. جلست أمه، وأم كوب في الصف الأمامي، ورافقهما نائبان لحمايتهما. شعر ويلارد بالأمان لوجود هذا الكم من النواب، ورفض كوب أن ينظر إلى الخلف.

كان كارل لي يجلس في الصف الخلفي على بعد ثماني أقدام، فرفع رأسه ونظر إلى الشابين اللذين اغتصبا طفلته. كانا غريبين ورثّين ومتسخين، فغطى كارل لي وجهه وانحنى مجددًا؛ لقد وقف النواب خلفه وراقبوا كل تحركاته.

قال بولارد بصوت مرتفع: "اسمعوا الآن. إن هذه مجرد جلسة أولية وليست محاكمة، حيث سيتم فيها تحديد ما إن كان هنالك إثباتات كافية لتحويل المدعى عليهما إلى هيئة المحلفين العليا، حتى يمكن للمدعى عليهما تخطي هذه المرافعة".

وقف تيندیل وقال: "لا يا حضرة القاضي، نحن نود أن نكمل هذه المرافعة".

"حسنًا، لدي هنا إفادات وقّع عليها المأمور وولز تنص على أن المدعى عليهما اغتصبا فتاة تحت سن الثانية عشر واختطفاها واعتديا عليها. يمكنك أن تستدعي شاهدك الأول يا سيد شيلدرز".

"حضرة القاضي، تريد الولاية أن تستدعي المأمور أوزي وولز".

جلس جايك في مقصورة المحلفين مع محامين آخرين تظاهروا أنهم يقرأون ملاحظات مهمة.

أدى أوزي القسم، وجلس على كرسي الشهود إلى يسار بولارد على بعد عدة أقدام من مقصورة المحلفين.

"أيمكنك أن تدلي باسمك؟".

"المأمور أوزي وولز".

"هل أنت مأمور مقاطعة فورد؟".

"نعم".

تفحص بولارد ملفًا وتمتم: "أنا أعلم من هو".

"أيها المأمور، هل تلقى قسمك اتصالًا مساء الأمس بشأن طفلة مفقودة؟".

"أجل. قرابة الساعة الرابعة والنصف".

"ماذا فعل قسمك؟".

"أُرسل النائب ويلي هاستينغز إلى منزل غوين وكارل لي هيلي وهما والدا الطفلة المفقودة".

"أين يقع؟".

"في نهاية طريق كرافت خلف بقالة بيتس".

"من وجد هناك؟".

"وجد أم الطفلة التي اتصلت بالقسم، ثمّ جاب الأرجاء بحثًا عن الطفلة".

"هل عثر عليها؟".

"لا، عندما عاد إلى المنزل كانت الطفلة قد عادت إلى هناك. لقد عثر عليها صيادون واصطحبوها إلى منزلها".

"ما كان وضع الطفلة؟".

"كانت مغتصَبة ومضروبة".

"هل كانت واعية؟".

"أجل، كان باستطاعتها أن تتمتم قليلًا".

"ماذا قالت؟".

وقف تيندل وقال: "من فضلك يا حضرة القاضي، أنا أعلم أن الشائعات تكثر في مثل هذه المرافعات".

"اعتراضك مرفوض. اصمت واجلس. تابع أيها السيد شيلدرز".

"ماذا قالت؟".

"قالت لأمها إن الفاعلين كانا شابين أبيضين في سيارة صفراء رُفع عليها علم. هذا كان كل شيء، حيث إنّها لم تستطع قول المزيد. كان كلا فكيها مكسورين، فقد رُكِلت على وجهها".

"ماذا حصل بعد هذا؟".

"اتصل النائب بالإسعاف ونُقِلَت الفتاة إلى المستشفى".

"كيف حالتها الآن؟".

"يقولون إنها حرجة".

"وماذا حدث بعدها؟".

"اعتمادًا على المعلومات التي تلقيتها، كان لديّ فكرة عن المشتبه بهما".

"وماذا فعلت؟".

"لقد أرسلت مخبرًا موثوقًا إلى حانة قرب البحيرة".

لم يكن شيلدرز من النوع الذي يسهب في التفاصيل، وخصوصًا أمام بولارد؛ كان جايك وتيندل على دراية بهذا. أرسل بولارد كل القضايا إلى هيئة المحلفين العليا، لذا، كانت المرافعات الأولية شكلية. كان بولارد يحوّل المدعى عليه إلى الهيئة العليا بغض النظر عن القضية والإثباتات وعن كل شيء، حتى لو لم يكن هنالك إثبات قوي، وكان بولارد يلقي عبء إطلاق سراح المدعى عليه على هيئة المحلفين العليا؛ كان يجب أن يُستبدل، ولكن الهيئة العليا لم تفعل هذا. كان المصوتون يغضبون عندما يتم إطلاق سراح الجناة، وكان يرفض معظم محامي الدفاع في المقاطعة المرافعة الأولية أمام بولارد، ولكن جايك لم يفعل ذلك، إذ كان يعتبر هذه المرافعة أحسن وأسرع طريقة لمعاينة قضية الادعاء العام؛ ونادرًا ما كان تيندل يتنازل عن جلسة أولية.

"أي حانة؟".

"هيوي".

"ماذا وجد هناك؟".

"سمع كوب وويلارد وهما يتفاخران حول اغتصابهما لفتاة زنجية صغيرة".

تبادل كوب وويلارد النظرات؛ من كان ذلك المخبر؟ لم يتذكرا أحداثًا كثيرة من وقتهما في هيوي.

"ماذا فعلت في هيوي؟".

"لقد اعتقلنا كوب وويلارد، ثمّ فتشنا سيارة بيلي راي كوب".

"ماذا وجدتم فيها؟".

"لقد سحبناها وعايناها هذا الصباح؛ لقد وجدنا الكثير من بقع الدم".

"وماذا أيضًا؟".

"وجدنا قميصًا صغيرًا مغطى بالدم".

"إلى من يعود هذا القميص؟".

"لتونيا هيلي وهي الفتاة الصغيرة التي اغتصبت؛ لقد تعرف إليه أبوها كارل لي هيلي هذا الصباح".

سمع كارل اسمه فنهض فورًا، فنظر أوزي إليه، كما أدار جايك رأسه ورأى كارل لي للمرة الأولى.

"هل لك أن تصف لنا السيارة".

"سيارة فورد صفراء جديدة تزن نصف طن، وإطاراتها من الكروم، كما يوجد بجانب المرآة الجانبية علم".

"إلى من تعود ملكيتها؟".

أشار أوزي إلى المدعى عليهما وقال: "بيلي راي كوب".

"هل توافق هذه السيارة المواصفات التي أعطتها الفتاة؟".

"أجل".

توقف شيلدرز قليلًا وراجع ملاحظاته ثم سأل: "ماذا لديك من إثباتات أخرى تدين هذين الشابين؟".

"تحدثنا مع بيت ويلارد هذا الصباح في السجن. لقد وقع اعترافًا".

قال كوب بغضب: "ماذا فعلت؟"، انكمش ويلارد على نفسه، وبحث عن المساعدة.

طرق بولارد بمطرقته صارخًا: "حافظوا على النظام. حافظوا على النظام"، ثمّ فصل تيندل موكليه.

"هل أعلمتَ السيد ويلارد بحقوقه؟".

"أجل".

"هل فهمها تمامًا؟".

"أجل".

"هل وقع على الاعتراف بناء على ذلك؟".

"أجل".

"من كان موجودًا عندما اعترف السيد ويلارد؟".

"كنت أنا ونائبان والمحقق رادي والملازم غريفين من دورية الطريق السريع".

"هل لديك الاعتراف؟".

"أجل".

"اقرأه من فضلك".

عم الصمت قاعة المحكمة أثناء قراءة أوزي للاعتراف القصير، وأمعن كارل لي النظر إلى المدعى عليهما، ثمّ حملق إلى ويلارد الذي مسح الغبار عن حذائه.

قال شيلدرز عندما انتهى أوزي: "شكرًا لك أيها المأمور. هل وقع السيد ويلارد على الاعتراف؟".

"أجل، أمام ثلاثة شهود".

"لم يعد للولاية أية أسئلة أخرى يا حضرة القاضي".

صرخ بولارد: "يمكنك أن تستجوبه يا سيد تيندل".

"ليس لدي أية أسئلة هذه المرة يا حضرة القاضي".

"حسنًا، اجلس. هل لديك أي شهود يا سيد تيندل؟".

"لا يا حضرة القاضي".

"حسنًا، تجد المحكمة أن المدعى عليهما قد ارتكبا عدة جرائم وستحيلهما إلى هيئة المحلفين العليا لمقاطعة فورد. سيتم أخذ الحكم بخصوصهما حين يجتمع أعضاء الهيئة يوم الاثنين الواقع في السابع والعشرين من أيار. هل هناك أية استفسارات؟".

وقف تيندل بهدوء وقال: "أجل يا سيدي. نريد أن نطلب من المحكمة أن تعطي سند كفالة منطقيًا لـ...".

قال بولارد بغضب: "انسَ الأمر. لقد فهمت أن الطفلة في حالة حرجة، وإن توفيت، فستُوَجَّه تهم أخرى إلى المدعى عليهما".

"في هذه الحالة يا حضرة القاضي، أود أن أطلب جلسة كفالة بعد عدة أيام في حال تحسنت حالة الطفلة".

عاين بولارد كلام تيندل ووجد أن فكرته سديدة فقال: "حسنًا سنعطيك هذا. ستعقد جلسة كفالة يوم الاثنين في العشرين من شهر أيار، وحتى ذلك الحين سيظل المدعى عليهما في عهدة مأمور مقاطعة فورد. رُفِعَت الجلسة".

طرق بولارد بمطرقته وغادر، ثمّ أحاط النواب بالمدعى عليهما، وكبلوهما وغادروا بدورهم قاعة المحكمة؛ ذهبوا من غرفة الحجز إلى الدرج الخلفي عبر الصحفيين واستقلوا سيارات الدورية.

استمرت المرافعة الأولية أقل من عشرين دقيقة كعادة بولارد؛ كان تحقيق العدالة سريعًا جدًا في هذه القاعة.

تحدث جايك إلى المحامين الآخرين وراقب كيف غادر الحشد بصمت من الأبواب الجانبية الكبيرة لقاعة المحكمة. لم يكن كارل لي على عجلة من أمره، وأشار إلى جايك أن يلحق به، وتقابلا في البهو. أراد كارل لي أن يتحدث إليه، واعتذر من الحشد، ووعدهم أن يقابلهم في المستشفى. ذهب هو وجايك عبر السلم الحلزوني إلى الطابق الأول.

قال جايك: "أنا آسف حقًا يا كارل لي".

"وأنا أيضًا".

"كيف حالها؟".

"سوف تعيش".

"كيف حال غوين؟".

"أعتقد أنّها على ما يرام".

"وماذا عنك؟".

مشيا ببطء حين ردّ كارل لي: "أنا لا أستوعب ماذا حصل حتى الآن. لم يكن هناك خطب منذ أربع وعشرين ساعة. انظر إلينا الآن؛ طفلتي في المستشفى وتحيط الأنابيب كل إنش من جسمها، كما أن زوجتي جنت وأولادي خائفون، وكل ما أفكر فيه هو أن أنال من الشابين".

"أتمنى أن أساعدك يا كارل لي".

"كل ما يمكنك فعله هو أن تصلّي لها وتصلّي لنا".

"أنا أعرف أن هذا وضع صعب وجارح".

"أنت لديك طفلة أليس كذلك يا جايك؟".

"أجل".

لم يقل كارل شيئًا ومشيا بصمت. غيّر جايك الموضوع وقال: "أين ليستر؟".

"في شيكاغو".

"ماذا يفعل هناك؟".

"يعمل في شركة للفولاذ؛ إنّها وظيفة جيدة؛ كما أنّه تزوج".

"أنت تمازحني أليس كذلك؟ هل تزوج ليستر؟".

"أجل لقد تزوج بامرأة بيضاء".

"امرأة بيضاء؟ لماذا تزوج امرأة بيضاء؟".

"آه، أنت تعلم ليستر؛ فهو رجل أسود متعجرف؛ إنّه في طريقه إلى هنا الآن. سيصل في وقت متأخر اليوم".

"لماذا سيأتي إلى هنا؟".

توقفا عند باب المحكمة وسأل جايك مجددًا: "لماذا سيأتي ليستر إلى هنا؟".

"أمور عائلية".

"هل تخططان لشيء ما؟".

"كلا، إنّه يريد أن يزور ابنة أخيه وحسب".

"لا تتحمسا كثيرًا".

"يسهل عليك قول ذلك يا جايك".

"أعلم هذا".

"ماذا كنت ستخطط لفعله يا جايك؟".

"ماذا تقصد؟".

"لديك طفلة صغيرة؛ لنفترض أنّها تقبع في المستشفى وهي مغتصبة ومعتدى عليها بالضرب. ماذا كنت ستفعل؟".

نظر جايك عبر نافذة الباب ولم يجبه. انتظره كارل لي ليجيب.

"لا تفعل شيئًا أحمق يا كارل لي".

"أجب عن سؤالي، ماذا كنت ستفعل؟".

"لا أعلم. لا أعلم ماذا كنت سأفعل".

"دعني أطرح عليك سؤالًا: إن كانت هذه طفلتك الصغيرة وقد اغتصبها شابان أسودان، ولنفترض أنك استطعت أن تصل إليهما، فماذا كنت ستفعل؟".

"كنت سأقتلهما".

ابتسم كارل لي ثمّ ضحك وقال: "بالطبع ستفعل هذا يا جايك، بالطبع. ثمّ ستعيّن محاميًا مشهورًا كي يقول إنك مختل كما فعلت في محاكمة ليستر".

"لم نقل إن ليستر مختلّ. لقد قلنا إن بوي استحق القتل".

"ولكنك أطلقت سراحه أليس كذلك؟".

"بالطبع".

مشى كارل لي نحو السلم، ونظر إلى الأعلى ثمّ سأل من دون أن ينظر إلى جايك: "هل هذا هو الطريق الذي يدخلان عبره إلى المحكمة؟".

"من؟"

"ذانك المجرمان".

"أجل. إنّهم يأخذون المدعى عليهم دائمًا من هذا الطريق، فهو مختصر وآمن. إنّهم يستطيعون أن يركنوا السيارة هنا ويقتادوا المدعى عليهم عبر هذا السلم".

مشى كارل لي إلى الباب الجانبي، ونظر من النافذة إلى الشرفة وقال: "كم محاكمة في جريمة قتل توليت يا جايك؟".

"ثلاثًا، ومحاكمة ليستر من ضمنها".

"كم محاكمة كانت لشخص أسود؟".

"كانت جميعها للسود".

"بكم محاكمة فزت؟".

"جميعها".

"أنت محترف في الأمور التي تتعلق بالسود الذين يطلقون النار أليس كذلك؟".

"أعتقد هذا".

"هل أنت مستعد لتفوز بمحاكمة أخرى؟".

"لا تفعلها يا كارل لي؛ إن الأمر لا يستحق المخاطرة. ماذا لو تمت إدانتك وأرسلت إلى غرفة الغاز؟ ماذا عن أولادك؟ من سيربيهم؟ هذان الشابان لا يستحقان كل هذا العناء".

"لقد قلت لتوك إنك ستقتلهما إن كنت مكاني".

مشى جايك إلى الباب ووقف قرب كارل لي ثمّ قال: "الأمر مختلف في حالتي، فأنا سأنجو بفعلتي غالبًا".

"كيف؟".

"أنا رجل أبيض في مقاطعة بيضاء، وإن حالفني الحظ سيكون محلفيّ جميعهم من البيض الذي سيتعاطفون معي. نحن لسنا في نيويورك ولا في كاليفورنيا. إن الرجل هنا يجب أن يحمي عائلته ويدافع عنها، وسوف يأكل المحلفون الطعم".

"وماذا عني؟".

"كما قلت لك؛ نحن لسنا في نيويورك أو كاليفورنيا. ممكن لبعض البيض أن يحترموك، ولكن معظمهم يريدون أن يروك مشنوقًا؛ فمن الصعب الفوز بحكم براءة في حالتك".

"ولكنك تستطيع تبرئتي أليس كذلك؟".

"لا تفعلها يا كارل لي".

"ليس لديّ خيار آخر. لن أستطيع النوم إلّا إذا مات الشابان. أنا أدين بهذا لطفلتي ولنفسي ولقومي. سوف تنتهي هذه الحالة".

فتحا الباب ومشيا تحت الشرفة عابرين مرأب السيارات إلى شارع واشنطن، ثم وقفا مقابل مكتب جايك وتصافحا، وقد وعد جايك كارل لي بأنه سيتوجه إلى المستشفى ليرى غوين والعائلة.

"شيء آخر يا جايك: هل يمكنك أن تقابلني في السجن بعد أن يعتقلوني؟"، ثمّ مشى على الرصيف واتجه إلى سيارته، أومأ جايك برأسه قبل أن يفكر وابتسم كارل لي.

5

تزوج ليستر هيلي بفتاة سويدية من ويسكونسن؛ لقد عبّرت له كل يوم عن حبها، ولكن ليستر شعر أن جاذبية لون بشرته الغريب قد بدأت بالخفوت. كانت تخاف الذهاب إلى ميسيسيبي، ورفضت أن تأتي معه إلى الجنوب مع أنّه أكد لها أنّها ستكون آمنة؛ لم يسبق لها أن قابلت أفراد عائلته، وهذا لا يعني أنهم كانوا متلهفين لمقابلتها؛ في الحقيقة لم يتلهفوا لمقابلتها أبدًا. لم يكن أمرًا نادرًا أن يسافر شخص أسود من الجنوب إلى الشمال، ويتزوج بفتاة بيضاء، ولكن لم يسبق لأحد من عائلة هيلي أن تزوج بشخص أبيض. كان هناك العديد من عائلة هيلي في شيكاغو، ومعظمهم من الأقرباء، ولكنهم جميعًا متزوجون من سود، لم تكن عائلة ليستر معجبة بزوجته الشقراء، ولذلك سافر بمفرده إلى كلانتون في سيارته الكاديلاك الجديدة.

وصل في وقت متأخر من ليل الأربعاء إلى المستشفى، فوجد بعض أقربائه يقرأون مجلات في غرفة الانتظار في الطابق الثاني. عانق كارل لي، فهما لم يتقابلا منذ عطلة عيد الميلاد التي كان يسافر فيها كل السود من شيكاغو إلى ميسيسيبي وألاباما.

مشيا إلى البهو بعيدًا عن أقربائهما، فسأله ليستر: "كيف حالها؟".

"أفضل من قبل بكثير، ويمكن أن تعود إلى المنزل في نهاية الأسبوع".

شعر ليستر بالراحة، فعندما غادر شيكاغو منذ إحدى عشرة ساعة كانت على وشك أن تموت، حسب كلام قريبه الذي اتصل به وأيقظه من نومه. أشعل سيجارة تحت لافتة ممنوع التدخين، ونظر إلى أخيه الأكبر ثمّ سأله: "هل أنت بخير؟".

أومأ كارل لي برأسه، وعاين البهو.

"كيف حال غوين؟".

"إنها تفقد صوابها، هذه طفلتها. هل أتيت بمفردك؟".

أجابه: "أجل".

"ممتاز".

"لا تتحاذق عليّ الآن، فأنا لم أقطع كل هذه المسافة كي أسمع هذا الهراء عن زوجتي".

"حسنًا، حسنًا. هل لا زلت تعاني من الغازات؟".

ابتسم ليستر ثم ضحك؛ لقد عانى من غازات البطن منذ اليوم الذي تزوج فيه السويدية.

كانت تحضر أطباقًا لا يستطيع التلفظ بأسمائها ولم يتقبلها جسمه؛ لقد اشتاق إلى الملفوف، والفاصولياء، والبامية، والدجاج المقلي، ولحم الخنزير المشوي، والدهون.

لقد عثرا على غرفة انتظار صغيرة فيها كراسٍ قابلة للطي وطاولة، حيث اشترى ليستر كوبين من القهوة المُرّة من الآلة، وحرّك القشدة بإصبعه بينما كان يُصغي إلى كارل لي وهو يصف تفاصيل الاغتصاب، والاعتقال، والمرافعة. أخذ ليستر بعض المناديل، ورسم مخططًا للمحكمة والسجن. لقد مرت أربع سنوات على محاكمته، فوجد صعوبة في رسم المخططات. لم يمضِ سوى أسبوع في السجن قبل أن تُدفع كفالته المؤقتة ولم يزرِ المكان منذ تبرئته. في الواقع، كان قد غادر إلى شيكاغو بعد مضي وقت قليل على محاكمته، فقد كان لضحيته أقرباء يتربصون به.

لقد أمضيا ليلتهما يرسمان مخططات ويلغيانها.

ظهيرة يوم الخميس، أُخرجت تونيا من العناية المشددة، ونُقِلت إلى غرفة خاصة. أخيرًا، استقرت حالتها، فتنفس الأطباء الصعداء، وجلبت عائلتها السكاكر والألعاب والزهور. لم تستطع سوى أن تنظر إلى السكاكر، فقد كان فكاها مربوطين. أكل إخوتها معظم السكاكر، وجلسوا إلى جانبها وأمسكوا بيدها كي يطمئنوها ويحموها. ظلت غرفتها مليئة بالأصدقاء والغرباء الذين ربتوا لها، وقالوا لها كلامًا لطيفًا. كما عاملها الجميع على أنّها شخص مميز مرّ بوقت عصيب. تحرك الحشد بتناوب من البهو إلى الغرفة، ثم إلى البهو مجددًا، وراقبتهم الممرضات بحذر.

لقد آلمتها جروحها، وهذا ما جعلها تبكي في بعض الأحيان، ما دفع الممرضات للمرور بها كل ساعة بين الزوار كي يعطينها جرعة من مسكنات الألم.

صمت الزوار في غرفتها ليلة ذلك اليوم عندما عرضت محطة ممفيس تفاصيل الاغتصاب؛ لقد عرضت المحطة صورًا للشابين، ولكنها لم تستطع أن تراها جيدًا.

كانت محكمة مقاطعة فورد تفتح أبوابها كل يوم عند الساعة الثامنة، وتغلق في تمام الساعة الخامسة. ما عدا يوم الجمعة فكانت تغلق أبوابها عند الساعة الرابعة والنصف. وعند الساعة الرابعة والنصف من يوم الجمعة، كان كارل لي يختبئ في دورة مياه في الطابق الأول عندما أقفلوا أبواب المحكمة. جلس على مرحاض، وأنصت بصمت لمدة ساعة؛ لم يكن هناك عمال نظافة؛ لم يكن هناك أحد حتى خيّم صمت رهيب. مشى عبر الردهة الواسعة وشبه المظلمة إلى الباب الجانبي ونظر عبر النافذة؛ لم يكن هناك أحد في الخارج، لقد أنصت بعناية ولفترة وجيزة، فبدت المحكمة مهجورة. أدار رأسه، ونظر إلى الأبواب الأمامية في نهاية الردهة التي تقع على بعد مئتي قدم.

عاين المبنى؛ كانت أبواب المحكمة الجانبية تفتح إلى الداخل، وتفضي إلى بهو مستطيل الشكل، وكان هناك أدراج إلى جانبي هذا البهو؛ فقد ربط ممر صغير بين هذا البهو والردهة، وقد تظاهر كارل لي بأنه في محاكمة.

وضع يديه خلفه، وأدار ظهره إلى الباب الجانبي، ثم مشى إلى جهة اليمين نحو الدرج وصعد عشر درجات، ثمّ كان هناك عتبة، بعد ذلك، التف تسعين درجة إلى اليسار، كما قال ليستر، وصعد عشر درجات أخرى إلى غرفة الحجز.

كانت عبارة عن غرفة صغيرة أبعادها خمس عشرة بخمس عشرة قدمًا، ولم يكن فيها سوى نافذة وبابين. فتح بابًا ودخل إلى قاعة المحكمة الضخمة، ثمّ وقف أمام الصفوف ذات المقاعد المبطنة، ومشى إلى الممر، وجلس في الصف الأول معاينًا القاعة، فوجد أمامه سياجًا أو حاجزًا كما يسميه ليستر؛ كان الحاجز يفصل بين الجمهور والمنطقة التي يعمل فيها القاضي، والمحلفون، والشهود، والمحامون، والمدعى عليهم، والمتدربون.

مشى في الممر إلى الباب الجانبي، وعاين قاعة المحكمة بدقة؛ لقد بدت مختلفة عن يوم الأربعاء؛ ثمّ عاد إلى غرفة الحجز، واختبر الباب الثاني الذي أفضى إلى المنطقة خلف الحاجز التي تجري فيها المحاكمة. جلس إلى الطاولة الكبيرة التي سبق لليستر وكوب وويلارد أن جلسوا إليها. إلى يمينها هناك طاولة كبيرة أيضًا يجلس إليها فريق المدعي العام. كان هناك كراسٍ خشبية

خلف هذه الطاولات، وخلفها سياجٌ ذو أبواب. كان مقعد القاضي يقبع وراء مكتب مرتفع، حيث يجلس القاضي موليًا ظهره للحائط أسفل لوحة باهتة لجيفرسون ديفيس وهو مقطب حاجبيه. وهناك مقصورة المحلفين أمام الجدار، إلى يمين كارل لي أي إلى يسار القاضي، وتعلو المقصورة لوحات صفراء لأبطال كونفدراليين منسيين.

أما منصة الشهود فتقع إلى جانب مقعد القاضي، ولكنها أكثر انخفاضًا منه بالطبع، وهي أمام مقصورة المحلفين. هناك مكتب إلى يسار كارل لي يقابل مقصورة المحلفين مغلق ومرتفع تعلوه رفوف عليها معروضات حمراء، في العادة، يجوبه المتدربون والمحامون قبل المحاكمة، أما غرفة الحجز فتقع خلف هذا المكتب. وقف كارل لي وكأنه مكبل، ومشى ببطء عبر بوابة السياج، ودخل عبر الباب الأول إلى غرفة الحجز، ثمّ نزل عشر درجات في بيت الدرج الضيق والمعتم ثمّ توقف.

من هناك استطاع أن يرى الأبواب الجانبية للمحكمة، ومعظم المداخل بين الأبواب والردهة؛ فقد رأى إلى يمينه في نهاية الدرج بابًا ففتحه، ووجد خزانة عامل النظافة، أغلق الباب خلفه وأخذ يتفحص الغرفة الصغيرة. كانت أسفل الدرج؛ مظلمة ومتسخة، وضيقة، وفيها دلاء ومكانس، يبدو أنها نادرًا ما تُستخدم. فتح الباب قليلًا، ونظر إلى الدرج، وأمضى الساعة التالية وهو يجوب أرجاء المحكمة. أفضى الدرج الجانبي الآخر إلى غرفة انتظار أخرى وراء مقصورة المحلفين، أحد أبوابها يؤدي إلى قاعة المحكمة والآخر إلى غرفة المحلفين. عندما تابع صعود الدرج إلى الطابق الثالث وصل إلى مكتبة المقاطعة القانونية، وغرفتين للشهود كما قال ليستر.

تحرك جيئة وذهابًا، وصعودًا وهبوطًا، وعاين المناطق التي قد يجوبها الشابان اللذان اغتصبا طفلته.

جلس على مقعد القاضي وراقب مجاله، ثمّ جلس على إحدى كراسي المحلفين المريحة، ثمّ جلس على منصة الشهود، ونفخ في مكبر الصوت. في تمام الساعة السابعة، حل الظلام، فخرج كارل لي من نافذة في دورة المياه الواقعة قرب خزانة العمال، مختبئًا بين الشجيرات، ثمّ اختفى في الظلام.

أغلقت كارلا علبة البيتزا، وسكبت بعض عصير الليمون وسألت جايك: "من ستبلّغ بهذا الأمر؟".

هزّ جايك قليلًا الأرجوحة على شرفته الأمامية، وراقب هانا وهي تلعب بالحبل على الرصيف بجانب الشارع.

سألته كارلا: "هل سمعتني؟".

"كلا".

"من ستبلّغ بهذا الأمر؟".

أجابها: "لن أبلّغ عنه".

"أعتقد أنه يجب أن تبلّغ".

"لا أعتقد ذلك".

"لماذا؟".

حرّك الأرجوحة بشدة أكثر، وشرب عصيره.

قال بهدوء: "في البداية، أنا لست متأكدًا تمامًا إن كان يخطط لجريمة، لقد قال كلامًا، وفكّر في أمور سيفكر بها أي أب آخر، ولا أعتقد أنّه يخطط لجريمة فعلًا، وثانيًا، لقد ائتمنني على كلامه، وكأنه موكلي، وفي الواقع أظن أنّه يعتبرني محاميه".

"إن كنت فعلًا محاميه، وعلمت أنّه يخطط لجريمة، ألا يجدر بك أن تبلّغ عنه؟".

"بلى، في حال كنت واثقًا من تخطيطه للجريمة، وأنا لست واثقًا".

لم تقتنع كارلا وقالت: "أعتقد أنّ عليك أن تُبلّغ".

لم يجبها جايك، إذ لم يكن الأمر مهمًا، فتجاهلها وأكل آخر لقمة من قطعة البيتزا.

"أنت تريد أن يفعلها كارل لي، أليس كذلك؟".

"يفعل ماذا؟".

"تريده أن يقتل الشابين".

لم يكن كلامه مقنعًا عندما قال: "لا، لا أريده أن يقتلهما، ولكن إذا قتلهما فلن ألومه، سوف أفعل الأمر ذاته إن كنت مكانه".

"لا تبدأ في الحديث بهذا الموضوع مجددًا".

"أنا جاد في الأمر وأنت تعلمين هذا، كنت سأقتلهما".

"أنت لا تستطيع قتل إنسان يا جايك".

"حسنًا كما تريدين، فأنا لا أريد أن نتشاجر. لقد سبق لنا أن تحدثنا في الأمر".

صرخت كارلا لهانا أن تبتعد عن الشارع، ثمّ جلست قرب جايك على الأرجوحة وقالت: "هل ستمثله في حال حدوث هذا؟".

"أتمنى ذلك".

"هل ستدينه هيئة المحلفين؟".

"هل ستدينينه أنتِ؟".

"لا أعلم".

"فكّري في هانا؛ فكري في تلك الطفلة البريئة التي تقفز على الحبل، أنت أمها، والآن فكّري في ابنة هيلي الصغيرة وهي ممددة على الأرض، وتنزف، وتنادي أهلها بعد أن اعتُدي عليها...".

"اصمت يا جايك".

ابتسم جايك وقال: "أجيبي عن السؤال الآن، إن كنتِ عضوًا في هيئة المحلفين، فهل ستدينين الأب؟".

وضعت نظارتها على عتبة النافذة، وتفحصت أظافرها؛ وهنا شعر جايك بالنصر القريب.

"هيا يا كارلا، أنت عضو في الهيئة، فهل ستصوتين لإدانة الأب أم لتبرئته؟".

"أنا دائمًا من هيئة المحلفين هنا. أكون ضمن الهيئة أو أكون تحت استجواب شخصي".

"إدانة أم تبرئة؟".

حملقت فيه وقالت: "تصعب عليّ إدانته".

ابتسم ورفع إصبعه.

"ولكنّني لا أفهم كيف سيقتلهما وهما في السجن".

"يمكنه قتلهما بسهولة، فهما لن يكونا في السجن دائمًا، إنّهما يُنقلان من السجن إلى المحكمة والعكس. تذكري أوزوالد وجاك روبي، بالإضافة إلى أنّه سيطلق سراحهما إذا حصلا على الكفالة المالية".

"متى يمكنهما المطالبة بالكفالة؟".

"ستعقد جلسة الكفالة المؤقتة يوم الاثنين، إذا حصلا على الكفالة فسيطلق سراحهما".

"وإن لم يحصلا عليها؟".

"سيبقيان في السجن حتى يوم المحاكمة".

"ومتى ستكون المحاكمة؟".

"في نهاية الصيف على ما أظن".

"أعتقد أنّ عليك الإبلاغ عنه".

نهض جايك عن الأرجوحة وذهب ليلعب مع هانا.

6

كان كيه تي بروستر، أو كات بروستر، كما يُطلق عليه، المليونير الأسود ذو العين الواحدة في ممفيس. لقد امتلك سلسلة نوادٍ للتعري في المدينة، ومجموعة من العقارات المُؤجرة، وكنيستين في جنوب ممفيس، وكلها تعمل وتُدار بشكلٍ قانوني، وكان راعيًا للعديد من قضايا السود، وصديقًا للسياسيين، وبطلًا لشعبه.

لقد سعى كات ليكون ذا شعبية في المجتمع، لأنه سيُدان ويُحاكم مرة أخرى، وعلى الأرجح سيبرّأ مجددًا من قبل هيئة المحلفين التي سيكون نصف أعضائها من السود. وجدت السلطات أنّه يستحيل إدانة كات بقتل الناس، والمتاجرة بالنساء، والكوكايين، والسلع المسروقة، وبطاقات الائتمان، وطوابع الطعام المجاني، والخمور غير الخاضعة للضريبة، والأسلحة، والمدفعيات الخفيفة.

كان يملك عينًا واحدة، حيث فقد الأخرى، في العام 1971، في مكانٍ ما في حقل أرز في فييتنام، في الوقت نفسه الذي أصيب فيه صديقه كارل لي هيلي في ساقه؛ لقد حمله كارل لي لساعتين قبل أن يجدا من يساعدهما. بعد الحرب عاد إلى ممفيس، وأحضر معه رطلين من الحشيشة، واشترى حانة صغيرة في ساوث ماين، وكاد أن يتضور جوعًا قبل أن يفوز ببائعة هوى في لعبة بوكر مع قواد، حيث وعدها بأنها تستطيع الإقلاع عن بيع الهوى إذا خلعت ملابسها ورقصت على طاولاته.

بين عشية وضحاها ازدهر عمله، فاشترى حانة أخرى، وجلب المزيد من الراقصات، ووجد مكانًا له في السوق، وفي غضون عامين أصبح رجلًا فاحش الثراء.

كان مكتبه فوق أحد أنديته جنوب ماين مباشرة بين فانس وبيل، عند طرف ممفيس، وكانت اللافتة الموجودة فوق الرصيف تروّج للبيرة والأثداء، لكن خلف النوافذ السوداء يُعرض أكثر من

ذلك بكثير للبيع.

ظُهر يوم السبت، وجد كارل لي وليستر النادي؛ براون شوغر، وجلسا في الحانة، وطلبا البيرة، وراقبا الأثداء.

سأل كارل لي النادل عندما سار خلفهما: "هل كات موجودٌ هنا؟". ارتبك النادل، وعاد إلى المغسلة، حيث واصل غسل كوب البيرة، فنظر إليه كارل لي بين الرشفات والرقص الروتيني.

قال ليستر بصوت عالٍ دون أن يبعد عينيه عن الراقصات: "أريد كوبًا آخر".

سأله كارل لي بحزم عندما أحضر له النادل البيرة: "هل كات بروستر هنا؟".

فسأل النادل: "من يسأل؟".

أجاب كارل لي: "أنا".

قال النادل: "من أنت؟".

قال كارل لي: "أنا وكات صديقان مقربان. قاتلنا معًا في فييتنام".

قال النادل: "ما اسمك؟".

قال كارل لي: "هيلي، كارل لي هيلي، من ميسيسيبي".

اختفى النادل، وظهر بعد دقيقة من بين مرآتين خلف مخزن الخمور.

أشار إلى الأخوين هيلي، فتبعاه عبر باب صغير مرورًا بدورات المياه، ثمّ عبرا بابًا مغلقًا أعلى الدرج. كان المكتب مظلمًا ومبهرجًا، بسجادة ذهبية على الأرض، وجدران حمراء، وسقف أخضر. غطت القضبان الفولاذية الرفيعة النافذتين المعتمتين، وتدلت مجموعة من الستائر الثقيلة، والمغبرة، ذات اللون الخمري، من السقف إلى الأرض لمنع مرور أي شعاع من أشعة الشمس يكون قويًا بما يتيح له اختراق الزجاج المطلي، وكانت هناك ثريا صغيرة من الكروم، معطلة، ذات ألواح عاكسة تدور ببطء في وسط الغرفة متدليةً فوق رؤوسهم.

طرد حارسان شخصيان عملاقان يرتديان بذلتين سوداوين متطابقتين مكويّتين من ثلاث قطع النادلَ، فجلس ليستر وكارل لي، ووقف الحارسان خلفهما.

أعجب الأخوان بالمفروشات، وقال ليستر: "جميل، أليس كذلك؟". كانت موسيقى بي بي كينغ تنبعث من جهاز استريو مخفيّ.

فجأة، دخل كات من باب مخفيّ خلف المكتب الرخامي، واندفع نحو كارل لي، وقال له: "صاحبي وصديقي، كارل لي هيلي"، صرخ وأمسك بكارل لي، ثم أكمل: "تسرني رؤيتك، يا كارل لي. تسعدني رؤيتك".

تعانقا، وأكمل كات: "كيف حالك يا صاحبي؟".

قال كارل لي: "جيد يا كات، أنا بخير. وأنت؟".

أجاب كات مُلتفتًا إلى ليستر: "عظيم، عظيم، من هذا؟". وتصافحا بقوة.

قال كارل لي: "هذا أخي ليستر، إنّه من شيكاغو".

قال كات: "يسعدني التعرف إليك يا ليستر. أنا والزعيم مقربان للغاية، فنحن العظيمان القويان".

قال ليستر: "لقد أخبرني بكل شيءٍ عنكَ".

التفت كات إلى كارل لي بإعجاب وقال: "صديقي، وأخي كارل لي، تبدو بحالة جيدة. كيف حال ساقك؟".

قال كارل لي: "لا بأس، تؤلمني في بعض الأحيان عندما تمطر، لكن لا بأس".

قال كات: "نحن العظيمان القويان، أليس كذلك؟".

أومأ كارل لي برأسه مبتسمًا.

سألهما كات: "أتريدان مشروبًا؟".

قال كارل لي: "لا، شكرًا".

قال ليستر: "سأشرب بيرة"، أشار بأصابعه، فغادر أحد الحارسين. استراح كارل لي على كرسيه، بينما جلس كات على طرف مكتبه، فتدلت قدماه وتأرجحتا كأنه طفل على الرصيف. ابتسم ابتسامة عريضة لكارل لي، الذي ارتبك من شدة إعجاب كات به.

قال كات: "لماذا لا تنتقل إلى ممفيس وتعمل معي؟". لقد علم كارل لي أن هذا سيحدث؛ فلم يكفَّ كات طيلة عشر سنوات عن عرض العمل عليه.

قال كارل لي: "لا، شكرًا يا كات. أنا سعيدٌ هكذا".

قال كات: "وأنا سعيد من أجلك. بماذا تفكر؟". فتح كارل لي فمه، وتردد، ثمّ عبس وأومأ برأسه قائلًا: "أريد منك خدمة صغيرة يا كات".

فتح كات ذراعيه وقال: "أي شيء تريده أيّها الزعيم".

قال كارل لي: "هل تتذكر بنادق أم-16 التي استخدمناها في فييتنام؟ فأنا احتاج واحدة بأسرع ما يمكن".

نظر كات إلى صديقه وقال: "إنها بندقية سيئة. ما نوع السناجب التي تصطادها؟".

قال كارل لي: "إنها ليست للسناجب".

حاول كات تحليل ما يدور في ذهني كارل لي وأخيه، كان أذكى من أن يسأل عن السبب، فمن الواضح أن الأمر خطير، وإلا ما كان كارل لي ليأتي.

قال كات: "هل تقصد النصف آلية؟".

قال كارل لي: "كلا، الآلية".

قال كات: "إنها غالية".

سأله كارل لي: "كم ثمنها؟".

قال كات: "إن المتاجرة بها غير قانونية، كما تعلم".

قال كارل لي: "لو أمكنني شراؤها في سيرز، لما كنت هنا".

ابتسم كات مرة أخرى وقال: "متى تريدها؟".

أجابه كارل لي: "اليوم".

وصلت البيرة، وقُدمت إلى ليستر.

تحرك كات خلف مكتبه، نحو كرسيه البرتقالي، وقال: "ألف دولار".

قال كارل لي: "لك ذلك".

كان كات متفاجئًا إلى حد ما، لكنه لم يظهر ذلك.

أين وجد هذا الأسود البسيط من ميسيسيبي ألف دولار؟ لا بد أنّه اقترضها من أخيه.

قال كات: "هذا ثمنها للآخرين، ولكن ليس لك أيّها الزعيم".

قال كارل لي: "كم إذًا؟".

قال كات: "لا شيء يا كارل لي، لا شيء. أنا مدينٌ لك بشيء أكثر بكثير من المال".

قال كارل لي: "سأكون سعيدًا لو دفعت ثمنها".

قال كات: "لا، لا أريد سماع ذلك. البندقية لك".

قال كارل لي: "هذا لطفٌ منك يا كات".

قال كات: "وكنت لأعطيك خمسين منها إن أردت".

قال كارل لي: "لست بحاجة سوى لواحدة فقط، متى يمكنني الحصول عليها؟".

قال كات: "دعني أتحقق من ذلك". اتصل بشخص ما، وتمتم ببضع جمل عبر جهاز الاستقبال؛ لقد تم إعطاء الأوامر. أنهى المكالمة، وأوضح لهما أن الأمر سيستغرق قرابة الساعة.

قال كارل لي: "يمكننا الانتظار".

أزال كات الرقعة عن عينه اليسرى، ومسح التجويف الفارغ بمنديل، ثم قال: "لدي فكرة أفضل". أشار كات للحارسين، وقال لهما: "اجلبا سيارتي، سنذهب لاستلامها".

تبعا كات من خلال باب سري في نهاية الردهة، قال كات: "أنا أعيش هنا، كما تعلم. هذا باب شقتي، عادةً ما يكون فيها بعض النساء العاريات".

تطوع ليستر: "أود رؤيتها".

قال كارل لي: "لا بأس".

في أسفل القاعة، أشار كات إلى باب حديدي صقيل أسود لامع في نهاية ممر قصير. توقف وكأنه يتباهى به وقال: "هذا هو المكان الذي احتفظ فيه بأموالي، إنّه محروس على مدار الساعة".

سأل ليستر وهو يرتشف البيرة: "كم المبلغ؟".

حدّق كات إلى وجهه، وتابع سيره.

عبس كارل لي في وجه أخيه وهز رأسه.

عند نهاية القاعة، صعدوا درجًا ضيقًا إلى الطابق الرابع.

كان المكان معتمًا، وجد كات زرًا على الحائط في مكانٍ ما في الظلام، فانتظروا بصمت لثوانٍ حتى انفتح الجدار، وكشف عن مصعد، فُرِشَت أرضيته بسجادة حمراء وعُلقت على أحد جدرانه علامة ممنوع التدخين. ضغط كات على زر آخر.

قال بمرح: "عليك أن تصعد الدرج لتستقل المصعد في طريقه إلى الأسفل. هذا لأسبابٍ أمنية".

أومآ بالموافقة والإعجاب.

انفتح المصعد في القبو حيث انتظر أحد الحراس الشخصيين عند الباب المفتوح لسيارة ليموزين بيضاء نظيفة، ودعا كات ضيفيه إلى جولة في السيارة. تحركوا ببطء عبر صف من سيارات فليتوودز، والليموزين، والرولز رويس، ومجموعة متنوعة من السيارات الأوروبية الفاخرة.

قال كات بفخر: "كلها لي".

ضغط السائق على البوق، ففُتح باب ثقيل، ليكشف عن شارع جانبي أحادي الاتجاه. صرخ كات للسائق قائلًا: "قِدْ ببطء، أريد أن يرى رفيقاي المكان".

قبل بضع سنوات، قام كارل لي بهذه الجولة خلال زيارته الأخيرة لكات. كانت هناك صفوف من الأكواخ المُدمرة وغير المطلية التي أشار إليها كات على أنّها عقارات للإيجار، ومستودعات قديمة من الطوب الأحمر نوافذها سوداء أو مغطاة بألواح خشبية وليس لديه فكرة

عما تمّ تخزينه بداخلها، بالإضافة إلى كنيسة فخمة، وعلى بعد مبانٍ قليلة، كانت هناك كنيسة أخرى، وقال كات إن رجال الدين فيهما يتبعون له.

كانت هناك العشرات من الحانات ذات الأبواب المفتوحة، ومجموعات من الشباب السود يجلسون على مقاعد في الخارج، ويشربون زجاجات بيرة ستاغ. أشار بفخر إلى مبنى محترق بالقرب من بيل، وروى بحماسة شديدة قصة منافسٍ حاول الحصول على موطئ قدم في الأعمال التجارية التي تخص الحانات والتعري، وقال: "لا منافسين لي". ثمّ كانت هناك نوادٍ تحمل أسماء مثل (إنجيلز، وكاتس هاوس، وبلاك برادايز)، وهي أماكن يمكن للرجل أن يذهب إليها للحصول على مشروب جيد، وطعام جيد، وموسيقى جيدة، بالإضافة إلى النساء العاريات، وربما أكثر من ذلك، على حدّ قوله؛ لقد جعلته النوادي رجلًا ثريًا جدًا، إنه يمتلك ثمانية نوادٍ.

أراهما النوادي الثمانية جميعها، بالإضافة إلى ما بدا وكأنه معظم عقارات جنوب ممفيس.

انعطف السائق بحدة بين مستودعين من الطوب الأحمر عند النهاية المسدودة للشارع المجهول بالقرب من النهر، واتجه عبر زقاق ضيق حتى فُتحت بوابة على جهة اليمين. بعد البوابة، فُتح باب بجوار رصيف التحميل، واختفت سيارة الليموزين في المبنى؛ توقفت، وترجل الحارس الشخصي منها.

قال كات: "ابقيا في مقعديكما".

فُتح صندوق السيارة، ثمّ أُغلق. وفي أقل من دقيقة، كانت الليموزين تجوب شوارع ممفيس مرة أخرى.

سأل كات: "ماذا عن الغداء؟". وقبل أن يجيبا، صرخ في السائق قائلًا: "اتصل ببلاك برادايز، وأخبرهم أنني قادم لتناول الغداء".

قال كات لرفيقيه: "نقدم أفضل لحم بقري في ممفيس، هنا في أحد أنديتي، بالطبع لن تقرآ عنه في جريدة الأحد، فلقد نبذني النقاد، أيمكنكما تخيُّل هذا؟".

قال ليستر: "يبدو هذا وكأنه تمييز".

أجاب كات: "نعم، أنا متأكد من ذلك، لكنّني لا أستخدم ذلك حتى يتم توجيه الاتهام إليّ".

قال كارل لي: "لم نقرأ عنك مؤخرًا يا كات".

قال كات: "لقد مرت ثلاث سنوات منذ آخر محاكمة لي، والتي كانت تخص التهرب الضريبي. قضى الفدراليون ثلاثة أسابيع وهم يحاولون إثبات التهمة عليّ، وبقيت هيئة المحلفين خارجًا لمدة سبع وعشرين دقيقة، وعادت بأغلى كلمتين في اللغة الإفريقية-الإنكليزية: (لستَ مذنبًا)".

قال ليستر: "لقد سمعتهما بنفسي".

انتظر البواب تحت المظلة في النادي، ورافق كات وضيفيه مجموعة من الحراس الشخصيين إلى مقصورة خاصة، بعيدًا عن حلبة الرقص. قدم لهم رهط من النُدّل المشروبات والطعام.

بدأ ليستر بشرب السكوتش، وكان مخمورًا عندما وصل اللحم، شرب كارل لي الشاي المثلج، وتبادل قصص الحرب مع كات.

عندما انتهوا من الطعام، اقترب أحد الحراس الشخصيين من كات وهمس له بشيءٍ ما، فابتسم كات ونظر إلى كارل لي، قائلًا: "هل كنتما تستقلان سيارة إلدورادو حمراء تحمل لوحة تسجيل في إلينوي؟".

قال كارل لي: "نعم، لكننا تركناها في مكان آخر".

قال كات: "إنها الآن في الخارج...".

قال ليستر: "ماذا؟ كيف؟".

صرخ كات، وصفعه على ظهره قائلًا: "لا تسأل يا رجل، لا تسأل. رجالي يعتنون بكل شيء. يمكن لكات أن يفعل أي شيء".

كعادته، عمل جايك صباح السبت بعد الفطور في المقهى، واستمتع بالهدوء الذي يملأ مكتبه يوم السبت؛ لا هواتف، ولا إثيل. أقفل المكتب وتجاهل الهاتف، وتجنب الموكلين.

نظّم الملفات، واطّلع على القرارات الأخيرة من المحكمة العليا، والخطط الاستراتيجية للمحاكمة التي كانت على وشك الحدوث؛ لقد فاضت أفضل أفكاره خلال صباح يوم السبت الهادئ.

عند الساعة الحادية عشرة اتصل هاتفيًا بالسجن وسأل: "هل المأمور هنا؟".

جاء الرد: "دعني أتفقده".

مرت لحظات قبل أن يجيب قائلًا: "المأمور وولز يتحدث".

قال جيك: "أوزي، جايك بريغانس معك. كيف حالكَ؟".

قال المأمور: "بخير يا جايك، وأنت؟".

أجابه جايك: "بخير، هل ستبقى في مكتبك لفترة من الوقت؟".

أجاب المأمور: "لبضع ساعات، ما الأمر؟".

رد جايك: "ما من شيء مهم، أردت التحدث إليك لدقيقة فقط. سأصل إليك خلال ثلاثين دقيقة".

قال المأمور: "سأكون في انتظارك".

لطالما تبادل جايك والمأمور الإعجاب والاحترام. كان جايك قد قسا عليه عدة مرات أثناء الاستجوابات، لكن أوزي اعتبر الأمر عملًا وليس شيئًا شخصيًا. قام جايك بحملة لصالح أوزي، وموّل لوسيان الحملات، لذلك لم يمانع أوزي طرح بعض الأسئلة الساخرة والحادة أثناء المحاكمة؛ كان يحب مشاهدة جايك في المحاكمة، ويحب أن يمزح معه.

في العام 1969، عندما كان جايك في السنة الثانية لاعب وسط في كراواي، كان أوزي أحد أفضل اللاعبين في كلانتون. التقى المتنافسان الرافضان للهزيمة، في المباراة النهائية في كلانتون على بطولة الدوري. لمدة أربعة أرباع طويلة، أرهب أوزي هجوم كراواي، الذي كان أصغر بكثير، بقيادة لاعب الوسط الشجاع الذي تعرض للإصابة. في أواخر الربع الرابع، متقدمًا بنتيجة 44-0، كسر أوزي ساق جايك في هجومٍ خاطف.

طيلة سنوات كان يهدد بأنه سيكسر الأخرى، لطالما اتهم أوزي جايك بالعرج، وسأله عن ساقه.

سأله أوزي وهما يجلسان في مكتبه الصغير: "ما الذي تفكر فيه يا صديقي؟".

قال جايك: "كارل لي. أنا قلق قليلًا بشأنه".

سأل أوزي: "ماذا تقصد؟".

قال جايك: "انظر يا أوزي، كل ما نقوله هنا سرّيّ، فأنا لا أريد أن يعرف أي شخص عن هذه المحادثة".

قال أوزي: "يبدو أنك جاد يا جايك".

قال جايك: "نعم، أنا جاد. لقد تحدثت إلى كارل لي يوم الأربعاء بعد الجلسة؛ لقد فقد صوابه، وأنا أتفهّم ذلك، لو كنت مكانه لفقدت عقلي أيضًا. كان يتحدث عن القتل وبدا جادًا. أظن أنك يجب أن تطّلع على الأمر".

قال أوزي: "إنهما بأمان يا جايك. لن يستطيع الوصول إليهما وإن أراد ذلك. لقد تلقينا بعض المكالمات الهاتفية، مجهولة الهوية بالطبع، مع جميع أنواع التهديدات. السود مستاؤون للغاية، لكن الشابين بأمان، إنّهما في زنزانة بمفردهما، ونحن حذرون للغاية".

قال جايك: "حسنًا، لم يوكلني كارل لي، لكن سبق لي أن وُكّلت عن عائلة هيلي، وأنا متأكد أن كارل لي يعتبرني محاميه، ولسببٍ من الأسباب، فأنا أشعر بأنه يتوجب عليّ إعلامك بذلك".

قال أوزي: "أنا لست قلقًا يا جايك".

قال جايك: "حسنًا، اسمح لي أن أطرح عليك سؤالًا. أنا لدي ابنة وأنتَ لديك ابنة، أليس كذلك؟".

قال أوزي: "نعم لديّ ابنتان".

قال جايك: "بماذا يفكر كارل لي؟ أعني، كأب أسود؟".

قال أوزي: "بالشيء نفسه الذي تفكّر فيه".

قال جايك: "وما هو؟".

عاد أوزي إلى كرسيه وعقد ذراعيه، وفكّر للحظة ثمّ قال: "إنه يتساءل إذا كانت بخير، جسديًا. أعني، هل ستعيش؟ وإذا عاشت، فكم تضررت؟ هل ستكون قادرة على الإنجاب في يومٍ ما؟ ثمّ يتساءل عما إذا كانت بخير ذهنيًا وعاطفيًا، وكيف سيؤثر ذلك عليها طيلة حياتها. ثالثًا، يريد قتل الوغدين".

قال جايك: "هل ستتمكن من ذلك؟".

قال أوزي: "من السهل أن أقول إنني سأفعل، لكن الرجل لا يعرف ماذا سيفعل. أعتقد أن ابنتيّ تحتاجان إليّ في المنزل أكثر بكثير مما يحتاجني سجن بارشمان. بماذا تفكر يا جايك؟".

أجاب جايك: "أظن أنني أفكّر في الشيء نفسه. لا أعرف ماذا سأفعل، ربما سأجن. لكن قد أخطط جديًا لقتل مَن فعل ذلك، لن أقدر أن أستلقي في الليل، وأنا أعلم أنّه لا يزال على قيد الحياة".

قال أوزي: "ماذا ستفعل هيئة المحلفين؟".

قال جايك: "يعتمد الأمر بشكل صارم على هيئة المحلفين. إذا اختار المدعي العام هيئة المحلفين الصحيحة، فسيكون كل شيء على ما يرام، وفي هذه المقاطعة يمكنك اختيار الأشخاص المناسبين. لقد سئم الناس من الاغتصاب والسرقة والقتل، وأنا متأكد من أن البيض قد سئموا من ذلك أيضًا".

قال أوزي: "نعم، سئم الجميع من ذلك".

قال جايك: "أعني أنّه سيكون هناك الكثير من التعاطف مع الأب الذي يأخذ حقه بيده، الناس لا يثقون بنظامنا القضائي، أعتقد أنّه يمكنني على الأقل إقناع واحد أو اثنين من هيئة المحلفين أن هذين الوغدين يستحقان القتل".

قال أوزي: "أتقصد مونرو بوي".

قال جايك: "بالضبط، تمامًا مثل مونرو بوي. لقد كان أسود تعيسًا يستحق القتل. بالمناسبة يا أوزي، لماذا تعتقد أن ليستر قاد سيارته من شيكاغو؟".

قال أوزي: "إنه مقرّب جدًا من شقيقه، ونحن نراقبه أيضًا".

غيّر جايك المحادثة. وأخيرًا، سأله أوزي عن ساقه، ثمّ تصافحا وغادر جايك. قاد سيارته مباشرة إلى المنزل، حيث كانت كارلا تنتظر مع قائمتها. لم تمانع وجوده في المكتب أيام السبت، لطالما عاد بحلول الظهيرة، وتبع الأوامر إلى حد كبير.

بعد ظهر الأحد، تجمع حشد في المستشفى وتبعوا الكرسي المتحرك لتونيا الصغيرة، حيث دفعها والدها إلى أسفل القاعة، وعبر الأبواب إلى ساحة انتظار السيارات، ثمّ رفعها برفق وأجلسها

في المقعد الأمامي.

قاد السيارة بعيدًا، بينما كانت تجلس بين والديها، وأشقاؤها الثلاثة في المقعد الخلفي، وتبع السيارة موكب من الأصدقاء والأقارب والغرباء. تحركت القافلة ببطء إلى خارج المدينة ودخلت البلدة.

جلست في المقعد الأمامي مثل شابّة كبيرة. كان والدها صامتًا، وأمها تبكي، وإخوتها صامتين متصلبين.

انتظر حشد آخر من الناس في المنزل، واندفعوا إلى الشرفة بينما كانت السيارات تتقدم في الممر وتتوقف على العشب في الفناء الأمامي الطويل. سكت الحشد عندما صعد الدرج حاملًا إياها وعَبَر ووضعها على الأريكة.

كانت سعيدة بعودتها إلى المنزل، لكنها سئمت المتفرجين. أمسكت والدتها بقدميها بينما اقترب أبناء عمها، وأعمامها، وخالاتها، وجيرانها منها. لمسوها وابتسموا، وقد اكتفى البعض منهم بالبكاء ولم يتفوهوا بكلمة. ذهب والدها إلى الخارج وتحدث إلى العم ليستر والرجال الآخرين، في حين كان إخوتها يلتهمون الطعام في المطبخ مع الحشد.

7

كان روكي شيلدرز المدعي العام لمقاطعة فورد لسنواتٍ عديدةٍ، وكان يتقاضى أجر وظيفته خمسة عشر ألفًا في السنة، وكانت تستغرق معظم وقته، كما أنّها حالت دون جميع نشاطاته التي كان يأمل ممارستها. في سن الثانية والأربعين، انتهى عمله كمحامٍ، وعلِق في وظيفة بدوام كامل لبقية حياته، حيث يتم انتخابه بشكل دائم كل أربع سنوات.

لحسن الحظ، كانت لدى زوجته وظيفة جيدة تتيح لها امتلاك سيارات بويك الجديدة، ودفع اشتراك في نادٍ ريفي، وبشكل عام مواكبة نمط حياة البيض المتعلمين في مقاطعة فورد.

في بداية حياته، كانت لديه طموحات سياسية، لكن طروحاته لم ترُقْ للناخبين، إنه يشعر بالسخط لأن مسيرته المهنية مقتصرة على محاكمة السكارى، وسارقي المتاجر، والأحداث الجانحين، أضف إلى ذلك أن القاضي بولارد كان يحتقره ويسيء معاملته. تصاعدت الإثارة من حين إلى آخر عندما أخطأ أشخاص مثل كوب وويلارد، وقام روكي، بموجب سلطة قانونية، بمعالجة الجلسات التمهيدية وغيرها من الجلسات، قبل إرسال القضايا إلى هيئة المحلفين الكبرى، ثمّ إلى محكمة الدائرة، وبعدها إلى كبير المدعين العامين، السيد روفوس باكلي، من مقاطعة بولك؛ كان باكلي هو الذي حطم مسيرة روكي السياسية.

في العادة، لم تكن جلسة الاستماع مهمة كثيرًا لشيلدرز، لكن هذه المرة كان الأمر مختلفًا بعض الشيء؛ فمنذ الأربعاء، تلقى عشرات المكالمات الهاتفية من السود، وجميعهم ناخبون مسجلون، أو يزعمون ذلك، كانوا قلقين للغاية بشأن إطلاق سراح كوب وويلارد من السجن؛ لقد أرادوا حبسهما، تمامًا كالسود الذين واجهوا مشاكل ولم يتمكنوا من إطلاق سراحهم بكفالة قبل المحاكمة. وعد شيلدرز أن يبذل قصارى جهده، لكنه أوضح أن الكفالة سيحددها قاضي المقاطعة بيرسي بولارد، الذي كان رقمه موجودًا أيضًا في دليل الهاتف.

في شارع بينينغتون، وعدوا بالمثول أمام المحكمة يوم الاثنين لمشاهدته هو وبولارد.

عند الساعة الثانية عشرة والنصف من يوم الاثنين، استُدعي شيلدرز إلى غرفة القاضي، حيث كان المأمور وبولارد ينتظران؛ كان القاضي متوترًا لدرجة أنّه لم يستطع الجلوس.

سأل القاضي: "ما هي الكفالة التي قد تطالب بها؟".

أجاب شيلدرز: "لا أعرف أيّها القاضي، فأنا لم أفكر كثيرًا في ذلك".

قال القاضي: "ألا تعتقد أن الوقت قد حان لتفكر في الأمر؟"، كان يسير بخطى سريعة ذهابًا وإيابًا خلف مكتبه، ثمّ نحو النافذة، بعدها عاد إلى مكتبه، بينما كان أوزي مُستمتعًا وصامتًا.

أجاب شيلدرز بهدوء: "أنت صاحب القرار، أنت القاضي".

قال القاضي: "شكرًا، شكرًا، شكرًا. كم ستطلب؟".

أجاب شيلدرز ببرود: "أنا دائمًا أطلب أكثر ممّا تتوقع"، مستمتعًا بالتلاعب بأعصاب القاضي.

قال القاضي: "ما هو مبلغ الكفالة الذي ستطلبه؟".

قال شيلدرز: "لا أدري، لم أفكر كثيرًا في ذلك".

تحولت رقبة بولارد إلى اللون الأحمر الداكن ونظر إلى أوزي وقال: "ما رأيك أيّها المأمور؟".

قال أوزي: "حسنًا، أود أن أقترح كفالة كبيرة جدًا. يجب أن يكون هذان الشابان في السجن للحفاظ على سلامتهما. السود قلقون للغاية، لذلك قد يتأذيان إذا خرجا بكفالة، فمن الأفضل أن تطلب مبلغًا كبيرًا".

قال القاضي: "كم يملكان من المال؟".

قال أوزي: "ويلارد مفلس، لكنّني لا أعرف وضع كوب؛ من الصعب تتبع أموال المخدرات. قد يجد عشرين، أو ثلاثين ألفًا. سمعت أنّه وكّل محاميًا بارزًا في ممفيس، ومن المفترض أن يكون هنا اليوم. لا بد أنّه يملك بعض المال".

قال القاضي: "اللعنة، لماذا لا أعرف هذه الأشياء؟ من وكّل؟".

أجاب شيلدرز: "برنارد، بيتر. ك. برنارد. لقد اتصل بي هذا الصباح".

ردّ بولارد بنبرة متكبرة: "لم أسمع به من قبل"، على الرغم من أنّه يتذكر بيانات الاغتصاب القضائية عند جميع المحامين.

حدق بولارد إلى الأشجار خارج النافذة بينما كان المأمور والمدعي يتغامزان؛ سوف تكون الكفالة كبيرة، كما هو الحال دائمًا. أحب رجال سندات الكفالة بولارد بسبب قيمة كفالاته الفاضحة. لقد راقبوا بسرور العائلات اليائسة وهي تكافح وترهن ممتلكاتها لتحصيل أقساط العشرة بالمئة التابعة لرجال كتابة السندات، بينما يكون بولارد منتشيًا، وغير مهتم على الإطلاق. كان من الآمن سياسيًا رفع الكفالة إلى أعلى المستويات، وإبقاء المجرمين في السجن. سيقدّر السود ذلك، وهذا مهم حتى وإن كان البيض يشكلون ما نسبته أربعة وسبعين بالمئة من إجمالي سكان المقاطعة؛ كان مدينًا للسود ببعض الخدمات.

قال القاضي: "دعونا نطلب مئة ألف من ويلارد ومئتي ألف من كوب؛ فهذا سيرضيهم".

سأل أوزي: "يُرضي من؟".

قال القاضي: "الناس، الناس هناك. هل هذا المبلغ يرتقي إلى ما تفكر فيه؟".

قال شيلدرز مُبتسمًا: "نعم، أنا أوافق. ولكن ماذا عن جلسة الاستماع؟".

قال القاضي: "سنمنحهما جلسة استماع عادلة، ثمّ سأطلب هذين المبلغين ككفالة".

سأل شيلدرز: "وأعتقد أنك تريدني أن أطلب ثلاثمئة لكل منهما، كي تبدو عادلًا؟".

صاح القاضي: "لا يهمني ما تطلبه".

سأل أوزي وهو يتجه نحو الباب: "يبدو الأمر عادلًا بالنسبة إليّ. هل ستتصل بي لأشهد؟".

قال شيلدرز: "كلا، لسنا بحاجة إليك. لا أظن أن الولاية ستتصل بأي شخص لأننا نعقد جلسة استماع عادلة".

ذهبا وتركا بولارد وحده في الغرفة، أغلقا الباب خلفهما، فسحب نصف ليتر من الفودكا من حقيبته، وتجرّعها بنهم. انتظر السيد بات خارج الباب، وبعد خمس دقائق دخل بولارد قاعة

المحكمة المزدحمة.

صاح السيد بات: "محكمة، ليقف الجميع".

صرخ القاضي قبل أن يقف أي شخص: "اجلسوا. أين المتهمان؟".

أُخرِج كوب وويلارد من غرفة الاحتجاز، وجلسا إلى طاولة الدفاع. ابتسم محامي كوب الجديد لموكله حين تمت إزالة الأصفاد.

بينما تجاهله محامي ويلارد العام تيندل.

لقد كان الحشد مؤلفًا بمعظمه من السود أنفسهم الذين كانوا موجودين يوم الأربعاء، وأحضروا معهم بعض الأصدقاء، وتابعوا عن كثب تحركات الشابَّين الأبيضين. رآهما ليستر للمرة الأولى، أما كارل لي فلم يكن في قاعة المحكمة.

عدّ بولارد النواب الجالسين على مقاعد المحكمة، وكانوا تسعة؛ لا بد أنّه رقم قياسي؛ ثمّ أحصى السود، كان هناك المئات منهم، وكلهم يصرخون في وجه المغتصبَين اللذين جلسا إلى نفس الطاولة بين محامييهما.

أعطته الفودكا شعورًا جيدًا، وارتشف ممّا بدا أنّه ماء مثلج من كوب فلّينيّ، فشعر بحرقة خفيفة واحمرت وجنتاه. كل ما كان عليه فعله هو أمر النواب بالخروج من قاعة المحكمة، وترك السود يتولون أمر كوب وويلارد. سيكون من الممتع رؤية ما يحدث، وستتحقق العدالة. استطاع تخيل النساء السوداوات البدينات، وهن يدسْنَهما بأقدامهن، بينما يعمل الرجال بمناجلهم وشفراتها في الشابَّين.

وعندما يؤدون المهمة، سيجمعون أنفسهم ويخرجون جميعًا بهدوء من قاعة المحكمة.

أشار القاضي إلى السيد بات، الذي اقترب منه وهمس: "هناك نصف ليتر من الماء المثلج في درج مكتبي، اسكب لي بعضًا منه في كوب فلّينيّ".

أومأ السيد بات برأسه واختفى.

وصرخ القاضي بصوتٍ عالٍ: "هذه جلسة استماع بشأن تحديد الكفالة، ولا أنوي أن تدوم طويلًا. هل المتهمان جاهزان؟".

قال تيندِيل: "نعم يا سيدي".

قال السيد برنارد: "نعم، سيادتك".

قال القاضي: "هل شهود الولاية مستعدون؟".

أجاب شيلدرز من دون أن يقف: "نعم يا سيدي".

قال القاضي: "جيد. نادِ شاهدك الأول".

خاطب شيلدرز القاضي قائلًا: "حضرة القاضي، لن تستدعي الولاية شهودًا. سيادته على علم جيد بالتهم الموجهة لهذين المتهمين، منذ أن عقد سيادته جلسة الاستماع التمهيدية يوم الأربعاء الماضي. بحسب معلوماتي الضحية الآن في المنزل، لذلك لا نتوقع المزيد من التهم، وسيُطلب من هيئة المحلفين الكبرى يوم الاثنين المقبل توجيه تهم الاغتصاب، والاختطاف، والاعتداء الجسيم، إلى المتهمَين، وبسبب الطبيعة العنيفة لهذه الجرائم، وبسبب عمر الضحية، ولأن السيد كوب سبق له أن أدين، ستطلب الدولة الحد الأقصى من الكفالة، دون التنازل عن بنسٍ واحدٍ".

كاد بولارد أن يختنق بسبب الماء المثلج. ما الحد الأقصى؟ لا يوجد حد أقصى للكفالة.

قال القاضي: "ماذا تقترح، سيد شيلدرز؟".

قال شيلدرز بفخر قبل أن يجلس: "نصف مليون عن كل مُتهم".

قال بولارد في نفسه: نصف مليون؟ هذا غير وارد، فارتشف بغضب، ونظر إلى المدعي العام.

نصف مليون، هذا كثير في محكمة مفتوحة.

قدّم السيد بات للقاضي مزيدًا من الماء المثلج.

قال القاضي: "يجوز للدفاع المضي قدمًا".

وقف محامي كوب الجديد عمدًا، وأزال نظارة القراءة السميكة ثم قال: "بعد إذن المحكمة. حضرة القاضي، اسمي بيتر.ك. برنارد. أنا من ممفيس، وقد وكّلني السيد كوب لتمثيله".

قاطعه بولارد: "هل لديك ترخيص لممارسة المهنة في ولاية ميسيسيبي؟".

حاصر بولارد برنارد على حين غرة: "حسنًا، آه، ليس تمامًا، حضرتك".

قال القاضي: "فهمت، عندما تقول (ليس تمامًا)، هل تقصد شيئًا آخر غير لا؟".

ضحك العديد من المحامين من هيئة المحلفين؛ لقد اشتهر بولارد بهذا، كان يكره محامي ممفيس، ويطلب منهم انتداب محامٍ محلي قبل المثول أمامه. قبل سنوات عندما كان يمارس المحاماة، طرده قاضي ممفيس خارج المحكمة لأنه غير مرخص له في ولاية تينيسي. لقد كان يستمتع بهذا الانتقام منذ يوم انتخابه.

قال برنارد: "سيادتك، أنا لست مرخصًا في ولاية ميسيسيبي، لكنّني مرخص في ولاية تينيسي".

جاء الرد من المنصة: "أتمنى ذلك"، بعدها سُمعت ضحكات مكبوتة من هيئة المحلفين.

سأله القاضي: "هل أنتَ على دراية بقواعدنا المحلية هنا في مقاطعة فورد؟".

أجاب برنارد: "نعم يا سيدي".

قال القاضي: "هل لديكَ نسخة من هذه القواعد؟".

أجاب برنارد: "نعم يا سيدي".

سأل القاضي: "وهل قرأتها بعناية قبل أن تغامر بدخول قاعة محكمتي؟".

أجاب برنارد: "نعم يا سيدي، قرأت معظمها".

قال القاضي: "هل فهمت القاعدة 14 عند قراءتها؟"، نظر كوب بعين الريبة إلى محاميه الجديد، وعندها اعترف برنارد: "آه، لا أتذكر ذلك".

قال القاضي: "لا أعتقد ذلك. تتطلب القاعدة 14 من المحامين غير المرخصين خارج الولاية أن يُحضروا مستشارًا محليًا عند الحضور إلى قاعة المحكمة".

قال برنارد: "نعم يا سيدي".

كان واضحًا من مظهر وسلوكيات برنارد أنّه محامٍ بارع، على الأقل كان معروفًا بهذه الصفة في ممفيس. ومع ذلك، شعر بالارتباك والخزي أمام قاضي بلدة صغيرة سليط اللسان.

قاطعه بولارد: "نعم يا سيدي، ماذا؟".

قال برنارد: "نعم يا سيدي، أعتقد أنني سمعت بهذه القاعدة".

سأل القاضي: "إذًا، أين المستشار المحلي؟".

قال برنارد: "ليس موجودًا، لكنّني خططت...".

قاطعه القاضي: "قدت سيارتك إلى هنا من ممفيس، وقرأت القواعد بعناية، وتجاهلتها عمدًا. صحيح؟".

أخفض برنارد رأسه، وحدق إلى المستند القانوني الفارغ على المنضدة.

ثم قال تينديل ببطء: "سيادتك، بالمناسبة، أنا سأكون محاميًا مشاركًا للسيد برنارد، لأغراض جلسة الاستماع هذه وليس لأي غرضٍ آخر".

ابتسم بولارد؛ حركة رائعة يا تينديل، حركة رائعة.

استرخى القاضي بفضل الماء المثلّج وقال: "ممتاز، يمكنك تقديم شاهدك الأول".

وقف برنارد منتصبًا مرة أخرى، ورفع رأسه قائلًا: "حضرة القاضي، نيابة عن السيد كوب، أود استدعاء شقيقه، السيد فريد كوب، إلى المنصة".

تمتم بولارد: "اجعلها مختصرة".

أدى شقيق كوب القسم، وجلس على كرسي الشاهد، وبعدها توجّه برنارد إلى المنصة، وبدأ باستجواب طويل مباشر ومفصل. كان على أتمّ الاستعداد، وأظهر دليلًا على أن بيلي راي كوب كان يعمل بأجر، ويمتلك عقارات في مقاطعة فورد، وأنه نشأ هناك، ومعظم أفراد عائلته وأصدقائه يعيشون هناك، ولم يكن لديه أي سبب للمغادرة. مواطن راسخ له جذور عميقة، سيخسر الكثير إذا هرب. رجل يمكن الوثوق به ليحضر للمحكمة، رجل يستحق كفالة منخفضة.

ارتشف بولارد رشفة من كوبه، وتفحص وجوه الحاضرين من السود. لم يكن لدى شيلدرز أي أسئلة، فاستدعى برنارد والدة كوب، كورا، التي كررت ما قاله ابنها فريد عن ابنها بيلي راي، وتمكنت من ذرف بعض الدموع في لحظة محرجة، وهز بولارد رأسه.

كان تينديل هو التالي؛ لقد مر بالإجراءات نفسها.

كفالة بقيمة نصف مليون دولار، وأي شيء أقل من ذلك لن يرضي السود. كان للقاضي سبب جديد ليكره شيلدرز، لكنه أحب السود لأنهم انتخبوه آخر مرة، حيث حصل على واحد وخمسين بالمئة من الأصوات على مستوى المقاطعة، لكنه حصل على كل أصوات السود.

عندما انتهى تينديل سأل القاضي: "هل من شيء آخر؟".

تبادل المحامون الثلاثة النظرات، ثمّ نظروا إلى القاضي. وقف برنارد وقال: "حضرة القاضي، أود أن ألخص موقف موكلي في ما يتعلق بكفالة مناسبة...".

قاطعه القاضي: "انسَ ذلك يا صديقي، لقد سمعت ما يكفي منك ومن موكلك. اجلس".

تردد بولارد، ثمّ قال بسرعة: "بموجب هذا، كفالة بقيمة مئة ألف لبيت ويلارد، ومئتي ألف لبيلي راي كوب. سيبقى المتهمان في عهدة المأمور حتى يتمكنا من تقديم الكفالة. أُجِّلت المحكمة". ثمّ طرق بالمطرقة واختفى في غرفته، حيث أنهى زجاجة النصف ليتر وفتح أخرى.

كان ليستر مسرورًا بالكفالة، إذ بلغت قيمة كفالته خمسين ألفًا عندما قتل مونرو بوي. بالطبع، بوي كان أسود، وكانت الكفالات عمومًا أقل في تلك الحالات.

تحرك الحشد ببطء نحو الباب الخلفي، لكن ليستر لم يتحرك؛ بقي يراقب عن كثب الشابين الأبيضين وهما مقيدان، حتى نُقلا عبر الباب إلى غرفة الاحتجاز، وعندما غابا عن الأنظار، وضع رأسه بين يديه وردّد صلاة قصيرة.

ثم استمع.

سار جايك عبر الأبواب الفرنسية إلى الشرفة لتفقُّد وسط مدينة كلانتون، أكثر من عشر مرات في اليوم. أحيانًا كان يدخن سيجارًا رخيصًا، وينفخ الدخان فوق شارع واشنطن، حتى في الصيف كان يترك النوافذ مفتوحة في المكتب الكبير؛ فقد أعطته أصوات البلدة الصغيرة المزدحمة شعورًا جيدًا، بينما كان يعمل بهدوء.

في بعض الأحيان، كان مندهشًا من مقدار الضوضاء في الشوارع المحيطة بقاعة المحكمة، وفي أوقات أخرى كان يسير إلى الشرفة ليرى سبب الهدوء.

يوم الاثنين، 20 أيار، وقبل حلول الساعة الثانية من بعد الظهر بقليل، سار إلى الشرفة وأشعل سيجارًا؛ لقد ساد صمت شديد وسط مدينة كلانتون بولاية ميسيسيبي.

في البدء، نزل كوب بحذر عشر درجات وكانت يداه مكبلتين خلف ظهره، ثمّ ويلارد، ثمّ النائب لوني. انعطفوا يمينًا، ثم نزلوا بعدها عشر درجات حتى وصلوا إلى الطابق الأول، وانتظر ثلاثة نواب آخرون خارجًا بالقرب من سيارات الشرطة، كانوا يدخنون السجائر ويراقبون المراسلين.

عندما وصل كوب إلى الدرجة الثانية، كان ويلارد متأخرًا عنه بثلاث درجات، وكان لوني على بعد خطوة واحدة عن الوصول، فُتح الباب الصغير المتسخ والمهمل الذي يؤدي إلى الخزانة أدوات التنظيف، واندفع السيد كارل لي هيلي من الظلام ومعه بندقية أم-16، وأطلق النار من مسافة قريبة.

هزّ صوت إطلاق الرصاص العالي والسريع قاعة المحكمة وفجّر الصمت. تجمد المغتصبان، ثمّ صرخا عندما أُصيبا؛ كوب أولًا، في البطن والصدر، ثمّ ويلارد في الوجه والرقبة والحلق.

تلوّيا عاجزين على الدرج، مكبّلَي الأيدي، بينما تناثر جلدهما ودمهما معًا.

أُصيب لوني في ساقه، لكنه تمكن من صعود الدرج إلى غرفة الحجز، حيث جثم واستمع لصرخات كوب وويلارد، ولضحك الأسود المجنون. ارتدّ الرصاص بين جدران الدرج الضيق، واستطاع لوني أن يرى الدم واللحم يتناثران على الجدران ويتساقطان على الأرض.

باختصار، تلقى كل واحد منهما نحو سبع أو ثماني رصاصات، وتردّد صدى الصوت الهائل لبندقية أم-16 عبر قاعة المحكمة لوقت طويل؛ كان يمكن سماع ضحكة كارل لي الصاخبة بين أصوات الرصاص التي ترتدّ على جدران الدرج.

عندما توقف، ألقى البندقية على الجثتين وركض. في دورة المياه، سد الباب بكرسيّ، وزحف من النافذة إلى الشجيرات، ثمّ صعد إلى الرصيف ومشى غير مبالٍ نحو سيارته الصغيرة وتوجه إلى منزله.

تجمد ليستر عندما بدأ إطلاق النار، حيثُ سُمع دوي الرصاص في قاعة المحكمة. صرخت والدتا ويلارد وكوب، وتسابق النواب في غرفة الانتظار، لكنهم لم يتجرؤوا على نزول الدرج.

استمع ليستر باهتمام لأصوات الرصاص، وغادر قاعة المحكمة عندما لم يعد يسمع شيئًا.

مع الطلقة الأولى، أمسك بولارد نصف الليتر وزحف تحت مكتبه بينما أغلق السيد بات الباب.

استقر كوب أو ما تبقى من جثته فوق ويلارد، وامتزجت دماؤهما وفاضت على الدرجة، ثمّ تقطرت إلى الدرجة التالية، حيث تراكمت قبل أن تفيض وتقطر إلى الدرجة التالية، وسرعان ما غُمرت قاعدة الدرج بمزيج الدماء.

انطلق جايك إلى الشارع من الباب الخلفي للمحكمة، وجثم النائب براذر أمام الباب، وشهر سلاحه، وشتم المراسلين المحتشدين في الأمام، كما جثا النواب الآخرون خائفين عند عتبات الأبواب المجاورة لسيارات الشرطة.

ركض جايك إلى مقدمة المحكمة، حيث كان المزيد من النواب يحرسون الباب ويُجْلون موظفي المقاطعة والمتفرجين من قاعة المحكمة، وقد تكدست الجثتان فوق بعضهما على الدرجات الأمامية. اندفع جايك من بين الحشود الهاربة إلى القاعة المستديرة ووجد أوزي يوجه الناس ويصرخ في كل الاتجاهات، ثم أشار إلى جايك، وسارا في القاعة نحو الأبواب الخلفية حيث وقف ستة نواب والبنادق في أيديهم وهم يحدقون بصمت إلى الدرج؛ لقد شعر جايك بالغثيان.

كاد ويلارد أن يصل إلى الأرض؛ كان الجزء الأمامي من رأسه مفقودًا، وكان دماغه ينزلق مثل الهلام الذي يغطي وجهه، وقد تمكن كوب من الالتفاف وامتصاص الرصاص بظهره، ودفن وجهه في معدة ويلارد، وبلغت قدماه الدرجة الرابعة. استمر الدم يسيل من الجثتين، وغطى الدرجات الست السفلية بالكامل. تحركت البركة القرمزية على الأرض بسرعة نحو النواب الذين تراجعوا ببطء. كانت البندقية بين ساقي كوب على الدرجة الخامسة، وكانت أيضًا مغطاة بالدماء.

وقفا صامتين مذهولين من جثتي الرجلين اللذين رغم موتهما استمرت جثتاهما بالنزف.

فاحت رائحة البارود الكثيفة فوق الدرج، وانجرفت نحو القاعة المستديرة، حيث واصل النواب دفع الناس نحو الباب الأمامي.

قال أوزي من دون أن يشيح نظره عن الجثتين: "جايك، من الأفضل أن تغادر".

قال جايك: "لماذا؟".

قال أوزي: "ارحل فقط".

ردّ جايك: "لماذا؟".

أجاب أوزي: "لأننا يجب أن نلتقط الصور ونجمع الأدلة، ولا يتوجب عليك البقاء هنا".

ردّ جايك: "حسنًا، لكنك لن تستجوبه من دون وجودي. أتفهم؟".

أومأ أوزي برأسه.

التُقِطت الصور، ونُظِّفت الفوضى، وجُمِعت الأدلة، وأُزيلت الجثتان، وبعد ساعتين غادر أوزي المدينة، ولحقت به خمس سيارات شرطة.

قاد هاستينغز الموكب باتجاه البحيرة، بعد بقالة بيتس، إلى طريق كرافت.

كان الممر فارغًا باستثناء سيارة غوين، وسيارة كارل لي الصغيرة، وكاديلاك حمراء تحمل لوحة تسجيل في إلينوي.

لم يتوقع أوزي حدوث أي مشكلة عندما رُكنت سيارات الشرطة على التوالي في الفناء الأمامي، جلس النواب خلف الأبواب المفتوحة يشاهدون المأمور وهو يسير بمفرده إلى المنزل. توقف، وفُتح الباب الأمامي ببطء، وخرجت عائلة هيلي.

سار كارل لي إلى حافة الشرفة حاملًا تونيا بين ذراعيه ناظرًا إلى صديقه المأمور وموكب السيارات والنواب خلفه. كانت غوين إلى يمينه، أولاده الثلاثة إلى يساره، أصغرهم كان يبكي بهدوء والآخرَان كانا شجاعين وفخورين، وخلفهم يقف ليستر.

راقبت المجموعتان بعضهما، كلٌّ منهما ينتظر الآخر ليقول أو ليفعل شيئًا، كل منهما يريد تجنب ما كان على وشك الحدوث، وكانت الأصوات الوحيدة المسموعة هي شهقات الفتاة الصغيرة ووالدتها والصبي الأصغر.

شرح كارل لي لأولاده ما فعله للتو، وسبب فعله؛ لقد تفهموا ذلك، لكنهم لم يفهموا سبب اعتقاله وسجنه.

ركل أوزي كتلة من التراب، وكان يلقي نظرة خاطفة على الأسرة من حين إلى آخر، ثمّ على رجاله.

وقال أخيرًا: "من الأفضل أن تأتي معي".

أومأ كارل لي برأسه قليلًا، لكنه لم يتحرك. بكت غوين والصبي بصوت أعلى بينما أخذ ليستر الفتاة من والدها. ركع كارل لي أمام الأولاد الثلاثة، وهمس لهم مرة أخرى أنّه يجب أن يغادر لكنه لن يغيب طويلًا. عانقهم، وبكوا جميعًا وأمسكوا به، ثم استدار وقبل زوجته قبل أن ينزل الدرج متوجهًا نحو المأمور.

قال كارل لي: "هل تريد تقييد يديّ يا أوزي؟".

أجاب أوزي: "كلا يا كارل لي، اصعد في السيارة فقط".

8

تحدث رئيس النواب موس جونيور تاتوم وجايك بهدوء في مكتب أوزي بينما اجتمع النواب والأوصياء وغيرهم من العاملين في السجن في غرفة العمل الكبيرة المزدحمة بجوار المكتب، وانتظروا بقلق وصول السجين الجديد.

نظر اثنان من النواب من خلال الستائر إلى المراسلين والمصورين المنتظرين في ساحة ركن السيارات الواقعة بين السجن والطريق السريع. كانت عربات قنوات التلفاز من ممفيس وجاكسون وتوبيلو تركن في أماكن وجهات مختلفة من المرأب المزدحم.

هذا لم يعجب موس، فسار ببطء على الرصيف وأمر المراسلين بتحريك عرباتهم والتجمع في منطقة معينة.

صرخ مراسل: "هل ستدلي ببيان؟".

أجابه موس: "نعم، انقلوا عرباتكم".

سأله المراسل: "هل يمكنك قول أي شيء عن جريمة القتل؟".

أجابه موس: "نعم، قُتل شخصان".

سأله المراسل: "ماذا عن التفاصيل؟".

قال موس: "لم أكن هناك".

سأله المراسل: "هل هناك مشتبه به؟".

أجابه موس: "نعم".

سأله المراسل: "من هو؟".

قال موس: "سأخبرك عندما تنقل العربات".

نُقلت العربات على الفور، وتجمع حاملو الكاميرات والميكروفونات بالقرب من الرصيف، ثمّ صعد موس إلى الحشد. كان يمضغ عود أسنان بهدوء ويضع إبهاميه في حلقتي الحزام الأماميتين لبنطاله، أسفل بطنه المتدلي.

سأل المراسلون: "من الفاعل؟".

"هل هو رهن الاعتقال؟".

"هل عائلة الفتاة متورطة؟".

"هل مات الشابان؟".

ابتسم موس وهز رأسه ثم قال: "سأجيب على كل سؤال على حدة؛ نعم لدينا مشتبه به، إنّه رهن الاعتقال وسيكون هنا بعد دقيقة. أبقوا عرباتكم بعيدة عن الطريق. هذا كل ما لديّ".

عاد موس إلى السجن واستمروا في الصراخ، لكنه تجاهلهم ودخل غرفة العمل المزدحمة.

سأل موس: "كيف حال لوني؟".

جاء الرد: "براذر معه في المستشفى. إنّه بخير، لقد جُرِح جرحًا طفيفًا في ساقه".

قال موس مبتسمًا: "نعم، إضافة إلى نوبة قلبية طفيفة"، فضحك الآخرون.

صرخ الوصي: "ها هم قد جاؤوا"، واتجه الجميع نحو النوافذ بينما كانت أضواء السيارات تنعكس ببطء على ساحة ركن السيارات. قاد أوزي السيارة الأولى وكان كارل لي جالسًا في المقدمة غير مكبل اليدين.

كان هاستينغز مسترخيًا في الخلف يلوّح للكاميرات، بينما كانت السيارة تمر عبر الحشد متجاوزةً العربات، ركن أوزي سيارته في القسم الخلفي من السجن، وسار الثلاثة إلى الداخل بشكلٍ طبيعي. سُلِّم كارل لي إلى السجان، ودخل أوزي إلى مكتبه حيث كان جايك ينتظره وقال: "يمكنك رؤيته بعد دقيقة يا جايك".

قال جايك: "شكرًا. هل أنت متأكد من أنّه الفاعل؟".

قال أوزي: "نعم، أنا متأكد".

قال جايك: "لم يعترف، أليس كذلك؟".

قال أوزي: "لا، لم يقل شيئًا، أعتقد أن ليستر درّبه".

دخل موس وقال: "أوزي، المراسلون يريدون التحدث إليك. قلت لهم إنّك ستخرج خلال دقيقة".

تنهد أوزي وقال: "شكرًا يا موس".

سأل جايك: "هل رآه أحد؟".

مسح أوزي جبهته بمنديل أحمر وقال: "نعم، يمكن للوني تحديد هويته. هل تعرف مورفي، الرجل الصغير الأعرج الذي يمسح الأرضيات في قاعة المحكمة؟".

ردّ جايك: "بالتأكيد، الذي يتلعثم كثيرًا".

قال أوزي: "لقد رأى كل شيء؛ كان يجلس على الدرج الشرقي، مقابل مكان حدوث الجريمة مباشرة، كان يتناول غداءه. كان في صدمة لدرجة أنّه لم يستطع التحدث لمدة ساعة".

توقف أوزي ونظر إلى جايك ثم أكمل: "لماذا أقول لك كل هذا؟".

ردّ جايك: "ما الفرق الذي سيُحدِثه هذا؟ سأكتشف ذلك عاجلًا أم آجلًا. أين رجلي؟".

قال أوزي: "في السجن. يجب أن يأخذوا صورته وما شابه ذلك. سيستغرق ذلك ثلاثين دقيقة".

غادر أوزي، واتصل جايك بكارلا، وذكّرها بمشاهدة الأخبار وتسجيلها.

قال أوزي للمراسلين: "لن أجيب على أي سؤال. لدينا مشتبه به في الحجز، اسمه كارل لي هيلي من مقاطعة فورد، قُبض عليه بتهمتي قتل".

سأل أحد المراسلين: "هل هو والد الفتاة؟".

أجاب أوزي: "نعم".

سأل مراسل آخر: "كيف تعرف أنّه الفاعل؟".

قال أوزي: "نحن أذكياء جدًا".

سأل مراسل: "هل يوجد شهود عيان؟".

أجاب أوزي: "ليس على حد علمنا".

سأل مراسل: "هل اعترف؟".

أجاب: "كلا".

سأل أحد المراسلين: "أين وجدته؟".

أجاب أوزي: "في منزله".

سأل مراسل: "هل أصيب أحد النواب في إطلاق النار؟".

أجاب أوزي: "نعم".

سأل مراسل: "كيف حاله؟".

أجاب أوزي: "على ما يرام. إنّه في المستشفى، لكنه بخير".

سأل مراسل: "ما اسمه؟".

أجاب أوزي: "ديواين لوني".

سأل مراسل: "متى موعد جلسة الاستماع الأولية؟".

أجاب أوزي: "أنا لست القاضي".

سأل مراسل: "ألديك فكرة عن ذلك؟".

أجاب أوزي: "ربما غدًا، وربما الأربعاء. لا مزيد من الأسئلة من فضلكم، فليس لدي أي معلومات أخرى في الوقت الحالي".

أخذ السجّان محفظة كارل لي، والمال، والساعة، والمفاتيح، والخاتم، وسكين الجيب وذكر كل ذلك في استمارة الجرد، وقّع كارل لي على الاستمارة، وكتب التاريخ. في غرفة صغيرة بجوار مكتب السجّان، تم تصويره وأخذ بصمات أصابعه، تمامًا كما قال له ليستر. انتظر أوزي خارج الباب واصطحبه إلى غرفة صغيرة حيث كان السكارى ينفخون في آلة كشف الكحول من النفَس، حيث جلس جايك إلى طاولة صغيرة بجانب الآلة، وغادر أوزي.

جلس المحامي والموكل إلى الطاولة، وحلّلا بعضهما بعضًا بعناية؛ ابتسما بإعجاب لكنهما لم يتكلما.

لقد تحدث للمرة الأخيرة قبل خمسة أيام، يوم الأربعاء بعد جلسة الاستماع الأولية، في اليوم التالي للاغتصاب.

لم يكن كارل لي منزعجًا الآن، بل بدا وجهه مرتاحًا وعيناه صافيتين. أخيرًا قال: "لم تعتقد أنني سأفعلها، أليس كذلك يا جايك".

ردّ جايك: "صحيح، هل فعلتها حقًا؟".

قال كارل لي: "أنت تعلم أنني فعلتها".

ابتسم جايك وعقد ذراعيه ثم قال: "كيف تشعر؟".

استرخى كارل لي على الكرسي القابل للطي وقال: "حسنًا، أشعر بتحسن. لا أشعر بالرضا عن الأمر برمته، إذ كنت أتمنى ألّا يحدث ذلك، لكنني أتمنى أن تكون ابنتي بخير أيضًا. أنت تعرف، لم يكن لديّ أي شيء ضد الشابين إلى أن اعتديا على ابنتي، والآن نالا ما يستحقانه. أنا أشعر بالأسف على والديهما ووالدتيهما، مع أنني أشك أن لديهما آباء".

سأل جايك: "ألست خائفًا؟".

أجاب كارل لي: "ممّاذا؟".

قال جايك: "ماذا عن غرفة الإعدام بالغاز؟".

ردّ كارل لي: "كلا يا جايك، ولهذا السبب وكلتك، فأنا لا أخطط للذهاب إلى أي غرفة غاز. رأيتك تنقذ ليستر، والآن ستنقذني، يمكنك فعل ذلك يا جايك".

قال جايك: "الأمر ليس بهذه السهولة يا كارل لي".

ردّ كارل لي: "ماذا تقول؟".

قال جايك: "لا يمكنك إطلاق النار على شخص أو بالأحرى شخصين بدم بارد، ثمّ تخبر هيئة المحلفين أنّهما استحقا القتل، وتتوقع الخروج من قاعة المحكمة".

قال كارل لي: "لكنك أنقذت ليستر".

ردّ جايك: "كانت حالة ليستر مختلفة؛ والفرق الكبير هو أنك قتلت شابين أبيضين، أما ليستر فقد قتل شخصًا أسود. الفرق كبير".

سأل كارل لي: "هل أنت خائف يا جايك؟".

أجاب جايك: "لماذا عليّ أن أخاف؟ أنا لن أواجه غرفة الغاز".

قال كارل لي: "تبدو غير واثق".

قال جايك في نفسه: أنت أحمق وغبي كبير. كيف يمكن أن يكون واثقًا في مثل هذا الوقت؟ لا تزال الجثتان دافئتين. بالتأكيد، كان واثقًا من نفسه قبل القتل، لكن الآن أصبح الأمر مختلفًا. موكله سيواجه الغاز بسبب جريمة اعترف بارتكابها.

سأل جايك: "من أين لكَ بالبندقية؟".

أجاب كارل لي: "من صديق في ممفيس".

سأل جايك: "حسنًا، هل ساعدك ليستر؟".

أجاب كارل لي: "كلا، كان يعرف ما سأفعله، وأراد المساعدة، لكنّني لم أسمح له بذلك".

سأل جايك: "كيف حال غوين؟".

أجاب كارل لي: "لقد فقدت عقلها، لكن ليستر معها. لم تكن تعرف شيئًا".

قال جايك: "وماذا عن الأولاد؟".

ردّ كارل لي: "أنت تعرف كيف يفكر الأولاد، فهم لا يريدون والدهم في السجن؛ إنّهم مستاؤون، لكنهم سيكونون بخير. سوف يعتني بهم ليستر".

قال جايك: "هل سيعود إلى شيكاغو؟".

قال كارل لي: "ليس الآن. متى نذهب إلى المحكمة يا جايك؟".

قال جايك: "يجب أن تكون جلسة الاستماع الأولية غدًا أو الأربعاء، هذا يعتمد على بولارد".

سأل كارل لي: "هل هو القاضي؟".

قال جايك: "سيكون القاضي في جلسة الاستماع التمهيدية، لكنه لن يستمع إلى المحاكمة في محكمة الدائرة".

سأل كارل لي: "من سيكون القاضي هناك؟".

قال جايك: "عمر نووز من مقاطعة فان بورين؛ القاضي نفسه الذي حاكم ليستر".

قال كارل لي: "حسنًا. إنّه جيد، أليس كذلك؟".

قال جايك: "نعم، إنّه قاضٍ جيد".

سأل كارل لي: "متى ستكون المحاكمة؟".

أجاب جايك: "أواخر الصيف، أو أوائل الخريف. سيدفع باكلي من أجل إجراء محاكمة سريعة".

سأل كارل لي: "من هو باكلي؟".

أجاب جايك: "محامي المقاطعة، روفوس باكلي؛ الرجل نفسه الذي حاكم ليستر. أتتذكره؟ الرجل الكبير الصاخب...".

قال كارل لي: "نعم، أتذكره. روفوس باكلي السيئ الكبير. كنت قد نسيته، إنّه لئيم جدًا، أليس كذلك؟".

أجاب جايك: "إنه جيد، جيد جدًا. فاسد وطموح، وسوف يستغل هذه القضية من أجل شهرته".

قال كارل لي: "لقد هزمته، أليس كذلك؟".

أجاب جايك: "نعم، وهزمني أيضًا".

فتح جايك حقيبته وأخذ ملفًا، كان بداخله عقد خدمات قانونية، درسه على الرغم من حفظه له. استندت أتعابه إلى القدرة على الدفع، وكان السود عمومًا يدفعون القليل ما لم يكن هناك قريب كريم وسخي في سانت لويس أو شيكاغو يعمل بأجرٍ جيد، وكانت تلك الحالات نادرة. عند محاكمة ليستر، كان لديه شقيق في كاليفورنيا يعمل في مكتب البريد لكنه لم يكن قادرًا على المساعدة أو لم يرغب بذلك، وكان لديه بعض الأخوات المنتشرات في جميع الأنحاء، ولكن كانت لديهن مشاكلهن الخاصة، ولم يقدمن سوى الدعم المعنوي لليستر. كانت عائلة غوين كبيرة، وظل أفرادها بعيدين عن المشاكل، لكنهم لم يكونوا أثرياء. امتلك كارل لي بضعة فدادين حول منزله، ورهنها لمساعدة ليستر كي يدفع لجايك من قبل.

تقاضى جايك من ليستر خمسة آلاف على تهمة القتل العمد؛ دفع النصف قبل المحاكمة، والباقي على أقساط لمدة ثلاث سنوات.

يكره جايك مناقشة الرسوم، إذ كان ذلك أصعب جزء في ممارسة القانون بالنسبة إليه. أراد الموكلون أن يعرفوا مقدمًا، وعلى الفور، كم سيكلف ذلك، وكان ردّ فعل كل واحد منهم مختلفًا، فقد أُصيب البعض بالصدمة، والبعض تقبل المبلغ بصعوبة، والبعض الآخر خرج من مكتبه. تفاوض مع البعض، لكن معظمهم دفعوا أو وعدوا بالدفع.

درس الملف والعقد وفكّر في أجرٍ عادل؛ كان هناك محامون آخرون سيتولون مثل هذه القضية مقابل لا شيء تقريبًا، إذ ستكون دعاية لهم. فكّر في أرض كارل لي، وعمله في مصنع الورق، وعائلته، وقال أخيرًا: "أتعابي عشرة آلاف".

لم يتحرك كارل لي وقال: "لقد دفع ليستر خمسة آلاف".

توقع جايك هذا وأجاب: "لديك ثلاث تهم؛ ليستر كان لديه تهمة واحدة".

سأل كارل لي: "كم مرة يمكنني الذهاب إلى غرفة الغاز؟".

أجاب جايك: "نقطة جيدة، كم يمكنك أن تدفع؟".

قال بفخر: "يمكنني دفع ألف الآن، سأقترض بضمان الأرض، وأعطيك كل ما أحصل عليه".

فكّر جايك لدقيقة وقال: "لديّ فكرة أفضل، دعنا نتفق على الرسوم، ستدفع ألفًا الآن وتوقع سندًا بالباقي. اقترض على أرضك وادفع مقابل السند".

سأل كارل لي: "كم تريد؟".

أجاب جايك: "عشرة آلاف".

قال كارل لي: "سأدفع خمسة".

قال جايك: "يمكنك أن تدفع أكثر من ذلك".

قال كارل لي: "ويمكنك القيام بذلك بأقل من عشرة".

قال جايك: "حسنًا، يمكنني القيام بذلك مقابل تسعة".

قال كارل لي: "يمكنني دفع ستة".

قال جايك: "ثمانية".

قال كارل لي: "سبعة".

قال جايك: "ما رأيك بسبعة آلاف ونصف؟".

قال كارل لي: "نعم، أعتقد أنني أستطيع أن أدفع هذا القدر؛ يعتمد ذلك على المبلغ الذي سيقرضونني إياه بضمان أرضي. هل تريدني أن أدفع الآن ألفًا وأن أوقع سندًا بمبلغ ستة آلاف ونصف؟".

قال جايك: "هذا صحيح. حسنًا، لقد حصلت على صفقة".

ملأ جايك الفراغات في العقد والسند، ووقع كارل لي كليهما، وقال: "جايك، كم كنت ستتقاضى من رجل ثري؟".

قال جايك: "كنت سأتقاضى خمسين ألفًا".

قال كارل لي: "خمسين ألفًا؟ هل أنت جاد؟".

قال جايك: "نعم".

قال كارل لي: "يا رجل، هذا مبلغ كبير. هل حصلت على هذا القدر من قبل؟".

قال جايك: "لا، لكنّني لم أرَ الكثير من الأثرياء الذين يحاكمون بتهمة القتل".

أراد كارل لي أن يعرف عن تعهده، وهيئة المحلفين الكبرى، والمحاكمة، والشهود الذين سيكونون في هيئة المحلفين، ومتى يمكنه الخروج من السجن، وإن كان يستطيع جايك تسريع المحاكمة، ومتى يمكنه سرد روايته، وألف سؤال آخر. قال جايك إنّه سيكون هناك متسع من الوقت للتحدث، ووعده بالاتصال بغوين وبرئيسه في مصنع الورق.

غادر جايك، ووُضع كارل لي في زنزانته المجاورة لزنزانة سجناء الولاية.

كان هناك عربة لإحدى محطات التلفاز تعترض طريق خروج سيارة جايك الساب، فاستفسر جايك عمن يملكها. كان معظم المراسلين قد غادروا، لكن القليل منهم تباطأوا متوقعين شيئًا ما؛ فقد أوشك الظلام أن يحل.

سأل مراسل: "هل أنت من قسم المأمور؟".

أجاب جايك بلا مبالاة: "لا، أنا محامٍ".

سأل المراسل: "هل أنت محامي السيد هيلي؟".

استدار جايك وحدق إلى المراسل بينما استمع الآخرون وقال: "في الحقيقة، نعم أنا محاميه".

قال المراسل: "هل يمكنك الإجابة عن بعض الأسئلة؟".

أجاب جايك: "يمكنك أن تسأل. لن أعدك بأية إجابات".

سأل مراسل: "هل يمكنك القدوم إلى هنا؟".

سار جايك إلى حيث نصبت الكاميرات والميكروفونات وحاول التمثيل أنّه منزعج، وقد شاهده أوزي والنواب من الداخل. قال أوزي: "جايك يحب الظهور على شاشات التلفزة".

وأضاف موس: "كل المحامين يحبون ذلك".

سأل المراسل: "سيدي، ما اسمك؟".

أجاب جايك: "جايك بريغانس".

سأل المراسل: "هل أنت محامي السيد هيلي؟".

أجاب جايك ببرود: "صحيح".

سأل المراسل: "السيد هيلي هو والد الفتاة التي اغتصبها الشابان اللذان قُتلا اليوم؟".

أجاب جايك: "صحيح".

سأل المراسل: "من قتل الشابَّين؟".

أجاب جايك: "لا أدري، لا أعرف".

سأل المراسل: "هل كان السيد هيلي؟".

أجاب جايك: "قلت لا أعرف".

سأل المراسل: "ما هي تهمة موكلك؟".

أجاب جايك: "لقد قُبض عليه بسبب مقتل بيلي راي كوب، وبيت ويلارد. حتى الآن لم يتهم بأي شيء".

قال المراسل: "هل تتوقع أن يتم اتهام السيد هيلي بارتكاب جريمتي القتل؟".

قال جايك: "لا تعليق".

سأل مراسل: "لماذا؟".

سأل مراسل آخر: "هل تحدثت إلى السيد هيلي؟".

أجاب جايك: "نعم، قبل قليل".

قال المراسل: "كيف حاله؟".

قال جايك: "ماذا تقصد؟".

قال المراسل: "حسنًا، آه، كيف حاله؟".

سأل جايك مع ابتسامة خفيفة: "أتقصد، كم أعجبَه السجن؟".

قال المراسل: "آه، نعم".

قال جايك: "لا تعليق".

قال المراسل: "متى سيكون في المحكمة؟".

قال جايك: "غدًا أو الأربعاء، على الأرجح".

قال المراسل: "هل سيعترف بالجريمة؟".

ابتسم جايك وأجاب: "بالطبع لا".

بعد عشاءٍ باردٍ، جلسا على الأرجوحة في الشرفة الأمامية، وراقبا مرشة العشب وتحدثا عن القضية؛ لقد ضجت الأخبار في جميع أنحاء البلاد بجريمتي القتل، وسجلت كارلا أكبر عدد ممكن من تقارير التلفاز. غطت شبكتان القضية مباشرةً من خلال الشركات التابعة لها في ممفيس، وأعادت محطات ممفيس وجاكسون وتوبيلو عرض لقطات لكوب وويلارد أثناء اقتيادهما إلى قاعة المحكمة محاطَين بالنواب، وبعد ثوانٍ، وبعدها عند نقلهما من قاعة المحكمة تحت الملاءات البيضاء.

بثت إحدى المحطات الصوت الفعلي لإطلاق النار وأظهرت النواب وهم

يتدافعون من أجل التغطية.

كانت مقابلة جايك متأخرة جدًا بالنسبة إلى أخبار المساء، لذلك انتظر هو وكارلا مع المسجل حتى الساعة العاشرة. وقف هناك وحقيبته في يده، بدا أنيقًا، وسيمًا، ومتعجرفًا، ومشمئزًا

جدًا من المراسلين. اعتقد جايك أنّه يبدو رائعًا على شاشة التلفاز، وكان متحمسًا لوجوده هناك.

كان هناك ظهور آخر قصير، بعد تبرئة ليستر، وكان زبائن المقهى المعتادون قد سخروا منه لأشهر.

شعر بالرضا، واستمتع بالدعاية وتوقع المزيد، كما لم يستطع التفكير في قضية أخرى، أو مجموعة أخرى من الحقائق، أو مشهد آخر يمكن أن يولد قدرًا من الدعاية تضاهي محاكمة كارل لي هيلي، وتبرئته من جريمة قتل الشابين الأبيضين اللذين اغتصبا ابنته، أمام هيئة محلفين في ريف ميسيسيبي، والمكونة من البيض فقط... قاطعت كارلا أفكاره قائلةً: "ما الذي يجعلك تبتسم؟".

ردّ جايك: "لا شيء".

قالت كارلا: "بالتأكيد أنت تفكر في المحاكمة والكاميرات والمراسلين والبراءة والخروج من قاعة المحكمة وذراعك تحيط بكارل لي، وفي الصحفيين الذين سيطاردونك بالكاميرات، والناس الذين سيربّتون على ظهرك، والتهنئة في كل مكان... أنا أعرف بالضبط ما تفكر فيه".

قال جايك: "حسنًا، لماذا تسألين؟".

قالت كارلا: "لمعرفة ما إذا كنت ستعترف بذلك".

قال جايك: "حسنًا، أعترف بذلك. هذه القضية يمكن أن تجعلني مشهورًا، وتجعلنا نجني مليون دولار على المدى الطويل".

قالت كارلا: "إذا فزت".

قال جايك: "نعم، إذا فزت".

سألته كارلا: "وإذا خسرت؟".

أجابها جايك: "سأفوز".

سألته كارلا: "ولكن إذا خسرت؟".

أجاب جايك: "فكري بإيجابية".

رنّ الهاتف، وأمضى جايك عشر دقائق مع المحرر، والمالك، والمراسل الوحيد لصحيفة ذا كلانتون كرونيكل. رنّ هاتفه مرة أخرى، وتحدث جايك مع أحد المراسلين في صحيفة ممفيس مورنينغ، وبعد أن أنهى المكالمة اتصل بليستر وغوين، وبعدها برئيس مصنع الورق.

عند الساعة الحادية عشرة والربع، رن هاتفه مرة أخرى، وتلقى جايك أول تهديد بالقتل؛ من مجهول طبعًا؛ خاطبه واصفًا إياه بالعاهر عاشق السود، والذي لن يعيش إذا غادر السود.

9

صباح يوم الثلاثاء، باع ديل بيركنز القهوة أكثر من المعتاد، حيث اجتمع الزبائن المعتادون وآخرون غيرهم في وقت مبكر لقراءة الصحف، والتحدث عن جريمة القتل التي وقعت على بعد أقل من ثلاثمئة قدم من الباب الأمامي للمقهى.

كان مقهيا كلودز، وتي شوب مزدحمَين أيضًا في وقت أبكر من المعتاد؛ لقد احتلت صورة جايك الصفحة الأولى من صحيفة توبيلو، أما الصفحة الأولى لكلٍّ من صحيفتي ممفيس وجاكسون فقد ظهرت عليهما صور كوب وويلارد، قبل إطلاق النار وأثناء نقل جثتيهما إلى سيارة الإسعاف، ولم تكن هناك أي صور لكارل لي؛ لقد نشرت الصحف الثلاث روايات مفصلة عن الأيام الستة الماضية في كلانتون.

اعتقد غالبية سكان المدينة أن كارل لي هو من ارتكب جريمة القتل، ولكن ظهرت شائعات عن وجود مسلحين إضافيين وانتشرت، حيث كانت إحدى الطاولات في مقهى تي شوب تضم مجموعة من السود المناصرين لتلك الشائعات. ومع ذلك، فإن النواب في المقهى - وعلى الرغم من أنّهم لم يكونوا ثرثارين - خنقوا الشائعات وأبقوها تحت السيطرة إلى حد كبير. كان النائب لوني زبونًا معتادًا، وكان هناك قلق على جروحه التي بدت أكثر خطورة مما قيل.

مكث في المستشفى، وعُرف المسلح على أنّه شقيق ليستر هيلي.

عند الساعة السادسة، دخل جايك وجلس في الأمام مع بعض المزارعين، وأومأ برأسه باتجاه براذر والنائب الآخر، لكنهما تظاهرا بعدم رؤيته؛ لقد اعتقد أنّهما سيتعاملان معه بشكل جيد بمجرد خروج لوني من المستشفى. كانت هناك بعض الملاحظات حول الصورة التي تظهر على الصفحة الأولى، لكن لم يسأل أحد جايك عن موكله الجديد أو عن جريمتي القتل.

لاحظ بعض البرود بين بعض الزبائن، ولذلك أكل بسرعة وغادر.

عند الساعة التاسعة، اتصلت إثيل بجايك مبلغةً إياه أن بولارد على الخط.

قال جايك: "مرحبًا أيها القاضي. كيف حالك؟".

سأله القاضي: "سيئ. أنت تمثل كارل لي هيلي، أليس كذلك؟".

أجاب جايك: "نعم يا سيدي".

سأله القاضي: "متى تريد عقد الجلسة الأولية؟".

أجابه جايك: "لماذا تسألني أيها القاضي؟".

قال القاضي: "سؤال جيد؛ ستكون الجنازتان غدًا صباحًا في وقتٍ ما، وأعتقد أنّه سيكون من الأفضل الانتظار حتى يُدفَنَ الوغدان، أليس كذلك؟".

أجابه جايك: "نعم أيها القاضي، فكرة سديدة".

قال القاضي: "ما رأيك ببعد ظهر الغد عند الساعة الثانية؟".

قال جايك: "حسنًا".

سأل بولارد بتردد: "جايك، هل تفكر في التنازل عن الجلسة الأولية، والسماح لي بإرسال القضية مباشرة إلى هيئة المحلفين الكبرى؟".

أجاب جايك: "أيها القاضي، أنا لا أتنازل مطلقًا عن الجلسات الأولية، وأنت تعرف ذلك".

قال بولارد: "نعم أعرف هذا، فكرت أن أطلب منك معروفًا فقط. لن أسمع هذه المحاكمة، ولا أرغب في الاقتراب منها. أراك غدًا".

بعد ساعة أخبرته إثيل عبر جهاز الاتصال الداخلي مرة أخرى: "سيد بريغانس، جاء بعض المراسلين إلى هنا لرؤيتك".

كان جايك منتشيًا فسألها: "من أين؟".

قالت إثيل: "من ممفيس وجاكسون، على ما أعتقد".

قال جايك: "أجلسيهم في غرفة الاجتماعات، وسأكون هناك خلال دقيقة".

حسّن من عقد ربطة عنقه ومشّط شعره، وتفحص الشارع أدناه بحثًا عن عربات التلفاز؛ لقد قرر أن يجعلهم ينتظرون، وبعد بضع مكالمات هاتفية لا معنى لها، نزل الدرج، وتجاهل إثيل، ودخل غرفة الاجتماعات.

طلبوا منه الجلوس على أحد طرفي الطاولة الطويلة من أجل الإضاءة لكنه رفض ذلك، وقال لنفسه إنّه سيتحكم في الأمور، وجلس على جانب واحد بحيث تظهر خلفه صفوف كتب القانون السميكة وغالية الثمن.

وُضِعَت الميكروفونات أمامه وعُدِّلت أضواء الكاميرا، وأخيرًا، قامت سيدة جذابة من ممفيس مفتتحة المقابلة وقالت: "سيد بريغانس، أنت تمثل كارل لي هيلي، أليس كذلك؟".

أجابها جايك: "نعم".

سألته السيدة: "وهو متهم بقتل بيلي راي كوب وبيت ويلارد، أليس كذلك؟".

أجابها جايك: "هذا صحيح".

سألته مجددًا: "هل تم اتهام كوب وويلارد باغتصاب ابنة السيد هيلي؟".

أجابها جايك: "نعم، هذا صحيح".

سألته: "هل ينكر السيد هيلي أنّه قتل كوب وويلارد؟ وهل يدعي أنه بريء من التهم الموجهة إليه؟ وهل سيتهم بإطلاق النار على النائب السيد لوني؟".

أجابها جايك: "نعم، نتوقع توجيه تهمة ثالثة بالاعتداء على النائب".

سألته: "هل نتوقع أن يستند الدفاع إلى جنون المتهم؟".

أجابها جايك: "في الوقت الراهن لست مستعدًا لمناقشة أسس الدفاع، لأنه لم يتم توجيه الاتهام إليه بعد".

سألت السيدة: "هل تقول إن هناك احتمالًا ألّا يُوجَّه إليه أيّ اتهام؟".

هذا ما كان جايك يتمناه.

ستقرر هيئة المحلفين الكبرى إما توجيه الاتهام إليه أو لا، ولن يتم اختيار هيئة المحلفين الكبرى حتى تنعقد محكمة الدائرة يوم الاثنين في 27 أيار.

لذا، كان أعضاء هيئة المحلفين الكبرى سيسيرون في شوارع كلانتون، ويهتمون بمتاجرهم، ويعملون في المصانع، وينظفون منازلهم، ويقرأون الصحف، ويشاهدون التلفاز، ويناقشون ما إذا كان ينبغي توجيه الاتهام إليه أم لا.

أجابها جايك: "نعم، أعتقد أن هناك احتمالًا بألا يوجّه إليه اتهام، الأمر متروك لهيئة المحلفين الكبرى، أو سيكون بعد الجلسة الأولية".

سألته: "متى موعد جلسة الاستماع الأولية؟".

أجابها جايك: "غدًا، عند الساعة الثانية بعد الظهر".

سألته: "هل تفترض أن القاضي بولارد سيتهمه ويحيله إلى هيئة المحلفين الكبرى؟".

أجابها جايك: "هذا افتراضٌ سليمٌ للغاية"، كان يعلم أن بولارد سيكون سعيدًا بهذه الإجابة.

سألته: "متى ستجتمع هيئة المحلفين الكبرى؟".

أجابها جايك: "ستؤدي هيئة محلفين كبرى جديدة اليمين صباح الاثنين، يمكن أن يُنظر في القضية بحلول عصر يوم الاثنين".

سألته: "متى تتوقع أن تكون المحاكمة؟".

أجابها جايك: "إذا افترضنا أنّه تمّ توجيه اتهام إليه، يمكن النظر في القضية في أواخر الصيف أو أوائل الخريف".

سألته: "في أي محكمة؟".

أجابها جايك: "محكمة دائرة مقاطعة فورد".

سألته: "من سيكون القاضي؟".

أجاب جايك: "القاضي عمر نووز".

سألته: "من أين هو؟".

أجابها جايك: "تشيستر، ميسيسيبي. مقاطعة فان بورين".

سألته: "هل تقصد أن القضية سينظر بها هنا في كلانتون؟".

أجابها جايك: "نعم، ما لم يتم تغيير المكان".

سألته: "هل ستطلب تغيير المكان؟".

أجابها جايك: "سؤال جيد جدًا، ولست مستعدًا للإجابة عنه في هذا الوقت، إذ من السابق لأوانه التحدث عن الاستراتيجية الدفاعية".

سألته: "لماذا تريد تغيير المكان؟".

كان جايك يريد العثور على مقاطعة فيها عدد أكبر من السود، ولذلك أجاب بتمعن: "الأسباب المعتادة؛ التغطية الإعلامية التي سبقت المحاكمة، وما إلى ذلك".

سألته: "من يتخذ قرار تغيير المكان؟".

أجابها جايك: "القاضي نووز، فالقرار يعود له وحده".

سألته: "هل حددت الكفالة؟".

أجابها جايك: "لا، وربما لن يتم ذلك إلّا بعد صدور الاتهام. يحق له الحصول على كفالة معقولة الآن، ولكن من باب الممارسة في هذه المقاطعة لا يتم تعيين قيمة الكفالة في قضايا القتل العمد إلّا بعد توجيه الاتهام والإحالة إلى محكمة الدائرة؛ عندها، يُحدد القاضي نووز الكفالة".

سألته: "ماذا يمكنك أن تخبرنا عن السيد هيلي؟".

استرخى جايك لدقيقة في الوقت الذي كانت الكاميرات تصوره؛ إنّها فرصة ذهبية أخرى لنشر بعض الأفكار، قال جايك: "يبلغ من العمر سبعة وثلاثين عامًا، وهو متزوج من المرأة نفسها منذ عشرين عامًا. لديه أربعة أطفال - ثلاثة أولاد وبنت - دمث نظيف السجل، لم يسبق له أن تورط في المشاكل من قبل، وهو يعمل خمسين ساعة في الأسبوع في مصنع الورق في كولمان. يدفع فواتيره ويمتلك أرضًا صغيرة، ويذهب إلى الكنيسة كل أحد مع عائلته، وهو يهتم بعمله ويتوقع أن يُترك وشأنه".

سألته: "هل تسمح لنا بالتحدث إليه؟".

أجابها جايك: "بالطبع لا".

سألته: "ألم يُحاكم شقيقه بتهمة القتل منذ عدة سنوات؟".

أجابها جايك: "صحيح، وتمت تبرئته".

سألته: "هل كنتَ محاميه؟".

أجابها جايك: "نعم، كنت محاميه".

سألته: "لقد وكّلت في العديد من قضايا القتل في مقاطعة فورد، أليس كذلك؟".

أجابها جايك: "ثلاث قضايا".

سألته: "كم مرة حصلت على البراءة للمتهم؟".

أجابها ببطء: "في القضايا الثلاث".

سألته: "ألا تملك هيئة المحلفين عدة خيارات في ولاية ميسيسيبي؟".

أجابها جايك: "هذا صحيح، من خلال لائحة اتهام الإعدام، يمكن لهيئة المحلفين في المحاكمة أن تثبت أن المُدعى عليه مذنب بارتكاب جريمة القتل العمد، التي تصل عقوبتها إلى عشرين عامًا، أو القتل العمد الذي يُعاقَب عليه بالسجن المؤبد أو بالإعدام على النحو الذي تحدده هيئة المحلفين، كما يمكن للهيئة أن تجد المُدعى عليه غير مذنب". ابتسم جايك للكاميرات وأكمل: "مرة أخرى، أنتِ تفترضين أنّه سيتم توجيه الاتهام إليه".

سألته: "كيف حال الفتاة؟".

أجاب جايك: "عادت إلى المنزل يوم الأحد؛ من المتوقع أن تكون بخير".

تبادل المراسلون النظرات، وفكروا في أسئلة أخرى؛ لقد عرف جايك أن هذا هو الجزء الخطير، عندما تنفد منهم الأسئلة التي يجب عليهم طرحها ويبدأون بطرح أسئلة مُفاجئة.

وقف وزرّر معطفه ثم قال: "انظروا، أنا أقدّر زيارتكم. عادةً ما أكون متاحًا، فقط أعلموني قبل قدومكم، وسيسعدني التحدث إليكم في أي وقت".

شكروه وغادروا.

دُفن الشابان عند الساعة العاشرة من صباح يوم الأربعاء في قداس مزدوج قليل التكلفة في دار الجنازة، وقد كافح القس المُعيّن حديثًا، والتابع للحركة الدينية الخمسينية، بشدة من أجل طمأنة وإراحة الحشد الصغير والقتيلين في نعشيهما؛ كانت الخدمة مختصرة ولم يذرف إلا القليل من الدموع.

تحرّكت شاحنات البيك آب والشيفرولية القذرة ببطء خلف عربة الموتى بينما غادر الموكب المدينة ببطء نحو القرية.

ركنت العربات خلف كنيسة صغيرة ذات طوب أحمر، ودُفنت الجثتان الواحدة تلو الأخرى على طرفين متقابلين من المقبرة الصغيرة، وتفرّق الحشد بعد بضع كلمات إضافية مُلهمة.

انفصل والدا كوب عندما كان صغيرًا، وقد أتى والده من برمنغهام لحضور الجنازة، واختفى بعد الدفن.

عاشت والدة كوب في منزل صغير نظيف بإطار أبيض بالقرب من مستوطنة ليك فيليدج، على بعد عشرة أميال جنوب كلانتون. اجتمع ابناها الآخران، وأبناء عمومتهما وأصدقاؤهما تحت شجرة بلوط في الفناء الخلفي، بينما تحدثت النساء مع السيدة كوب. تحدث الرجال عن السود بشكل عام، ومضغوا تبغ ريد مان، وشربوا الويسكي، وتذكروا تلك الأيام عندما عرف السود مكانهم. الآن أصبحوا مدلّلين ومحميين من قبل الحكومة والمحاكم، ولا يمكنهم أن يفعلوا شيئًا آخر. كان ابن عم كوب يعرف صديقًا نشطًا في كلان، وقال إنّه قد يتصل به، وأوضح أن جدّ كوب كان عضوًا في كلان قبل وفاته بوقت طويل، وعندما كان هو وبيلي راي طفلين، كان الرجل العجوز يروي لهما قصصًا عن شنق السود في مقاطعتي فورد وتايلر، فقررا أنّه يجب عليهما أن يفعلا الشيء نفسه الذي كان يفعله السود، لكن لم يكن هناك متطوعون. ربما تكون كلان مهتمة بذلك، فهناك تجمع لكلان في أقصى الجنوب بالقرب من جاكسون، بالقرب من مقاطعة نيتلز، وكان ابن العم مفوضًا بالاتصال بهم.

أعدت النساء الغداء، فأكل الرجال بهدوء، ثمّ عادوا إلى الويسكي تحت ظل الشجرة؛ ستعقد جلسة استماع للأسوَد عند الساعة الثانية بعد الظهر، فركبوا السيارة متوجّهين نحو كلانتون.

لقد اختلفت كلانتون عما كانت عليه قبل عملية القتل، وسيستغرق الأمر شهورًا قبل أن تعود إلى سابق عهدها. حوّل حدث دموي مأساوي، لم يستغرق أكثر من خمس عشرة ثانية، المدينة الجنوبية الهادئة والتي يبلغ عدد سكانها ثمانية آلاف إلى محجة، حيث قصدها الصحفيون والمراسلون والمصورون من المدن المجاورة ومن وكالات الأنباء الوطنية، وقد اصطدم المصورون والمراسلون ببعضهم البعض على الأرصفة حول الساحة، عندما كانوا يسألون الرجال في الشارع، للمرة المئة، عن شعورهم تجاه حدث هيلي، وماذا سيكون رأيهم إن كانوا في هيئة المحلفين؛ لم يكن رأي الرجال واحدًا.

جابت عربات محطات التلفاز الصغيرة جميع أنحاء المدينة وأسفل الشوارع، للحصول على الآراء، والقصص، والمقابلات. كان أوزي المفضل في البداية، فقد أجرى عشرات المقابلات في اليوم التالي لإطلاق النار، ثمّ وجد شخصًا آخر ليوكل إليه تلك المهمة، موس جونيور، الذي استمتع بالمزاح مع الصحافة؛ تمكن موس من الإجابة عن عشرين سؤالًا وعدم الكشف عن تفصيلٍ واحدٍ جديدٍ، كما كذب كثيرًا، ولم يستطع الغرباء الجهلة التفريق بين أكاذيبه والحقيقة.

سأله أحد المراسلين: "سيدي، هل هناك دليل على وجود مسلحين إضافيين؟".

أجابه موس: "نعم".

سأله المراسل: "حقًا؟ ما هو؟".

أجاب موس جونيور بثقة: "لدينا دليل على أن مطلقي النار كُلِّفوا ومُوِّلوا من قِبَل حزب الفهود السود".

كان نصف المراسلين إما يتلعثمون أو يحدقون بهدوء بينما النصف الآخر منهم كانوا يكرّرون ما قاله ويكتبون بشراسة.

رفض بولارد مغادرة مكتبه أو الرد على المكالمات، واتصل بجايك مرة أخرى، وتوسل إليه أن يتنازل عن الجلسة الأولية، لكن جايك رفض ذلك. انتظر الصحفيون في بهو مكتب بولارد في الطابق الأول من قاعة المحكمة، لكنه شعر بأمان مع الفودكا خلف الباب المغلق.

كان هناك طلب لتصوير الجنازة، فوافقت عائلة كوب مقابل رسوم معينة، لكن السيدة ويلارد رفضت الاقتراح. انتظر الصحفيون خارج دار الجنازة وصوروا ما استطاعوا، ثمّ لاحقوا

الموكب إلى المقبرة، وصوروا المدافن، وتبعوا المعزين إلى منزل السيدة كوب، حيث شتمهم فريدي الأكبر سنًا، وأجبرهم على المغادرة.

يوم الأربعاء، ساد الصمت في المقهى؛ نظر الزبائن الدائمون، بمن فيهم جايك، إلى الغرباء الذين غزوا ملاذهم؛ كان معظمهم من ذوي اللّحى، ويتحدثون بلهجات غير عادية، ولم يطلبوا العصيدة.

سأل أحدهم: "ألست محامي السيد هيلي؟".

تابع جايك التهام الخبز المحمص الخاص به ولم يقل شيئًا.

كرر الرجل سؤاله: "أليس كذلك يا سيدي المحترم؟".

ردّ جايك: "لنفترض أنني المحامي، فماذا تريد؟".

سأله الرجل: "هل سيعترف بالجريمة؟".

قال جايك: "أنا أتناول فطوري".

كرر الرجل سؤاله: "هل سيعترف؟".

أجابه جايك: "لا تعليق".

سأله الرجل: "لماذا لا تجيب؟".

كرر جايك: "لا تعليق".

سأله الرجل: "لكن لماذا؟".

أجابه جايك: "أنا لا أتكلم أثناء تناول الفطور، لذا، لا تعليق".

سأله الرجل: "هل يمكنني التحدث إليك في وقت لاحق؟".

أجاب جايك: "أجل، حدّد موعدًا، أتقاضى ستين دولارًا في الساعة".

صاح الزبائن الدائمون، لكن الغرباء حافظوا على هدوئهم.

يوم الأربعاء، وافق جايك على إجراء مقابلة من دون مقابل مع صحيفة ممفيس ثمّ أغلق على نفسه باب الغرفة واستعد لجلسة الاستماع الأولية. عند الظهيرة زار موكله الشهير في السجن؛ كان كارل لي مرتاحًا للغاية، وكان يراقب من زنزانته قدوم المراسلين ومغادرتهم في ساحة ركن السيارات.

سأله جايك: "كيف هو السجن؟".

أجاب كارل لي: "ليس سيئًا. الطعام جيد، أتناول الطعام مع أوزي في مكتبه".

سأله جايك: "ماذا تفعل؟".

أجاب كارل لي: "صحيح ما سمعته، نتناول الطعام، ونلعب الورق أيضًا".

قال جايك: "أنت تمزح يا كارل لي".

أجابه كارل لي: "لا، كما أنني أشاهد التلفاز، شاهدت مقابلتك بالأمس على شاشة التلفاز؛ كنت تبدو جيدًا حقًا. سأجعلك مشهورًا يا جايك، أليس كذلك؟".

لم يقل جايك شيئًا.

أكمل كارل لي: "متى سأظهر على التلفاز؟ أعني، أنا المتهم بالقتل، ولكنك وأوزي تحصدان الشهرة"، كان الموكل يبتسم بخلاف الوكيل.

قال جايك: "اليوم، في غضون ساعة تقريبًا".

سأله كارل لي: "نعم، سمعت أننا سنذهب إلى المحكمة، ولكن، لأجل ماذا؟".

أجابه جايك: "لأجل جلسة الاستماع الأولية، ليست مهمة كثيرًا، على الأقل ليس من المفترض أن تكون كذلك، لكن الوضع مختلف بسبب وجود وسائل الإعلام".

سأل كارل لي: "ماذا سأقول؟".

أجاب جايك: "لا شيء، لا تنبس ببنت شفة؛ ليس للقاضي، ولا للمدعي العام، ولا للمراسلين، ولا لأي شخص. نحن فقط سنستمع، سنستمع للمدعي العام ونرى ما لديه. من المفترض أن يكون لديهم شاهد عيان وقد يشهد. سيدلي أوزي بشهادته ويخبر القاضي عن البندقية، وبصمات الأصابع، ولوني...".

سأل كارل لي: "كيف حال لوني؟".

أجاب جايك: "لا أعرف، أسوأ ممّا اعتقدوا".

قال كارل لي: "يا رجل، أشعر بالذنب بسبب إطلاق النار على لوني، فأنا لم أره حتى".

قال جايك: "حسنًا، ستُتّهم بالاعتداء الجسيم لإطلاق النار على لوني. أيًا يكن الأمر، هذه الجلسة مجرد إجراء شكلي، والغرض منها هو السماح للقاضي بتحديد ما إذا كانت هناك أدلة كافية لإحالتك إلى هيئة المحلفين الكبرى. بولارد يفعل ذلك دائمًا، لذا، فهي مجرد إجراء شكلي".

سأله كارل لي: "إذًا، لماذا نقوم بذلك؟".

أجابه جايك: "يمكننا التنازل عنها"، ثمّ فكر في جميع الكاميرات التي سيفوتها وأكمل: "لكنّني لا أحب ذلك؛ إنّها فرصة جيدة لمعرفة نوع القضية لدى الولاية".

سأله كارل لي: "حسنًا يا جايك، ستكون قضية صعبة، أليس كذلك؟".

قال جايك: "أعتقد ذلك، لكن دعنا نستمع فقط؛ هذه هي الاستراتيجية في جلسة استماع أولية. حسنًا؟".

سأل كارل لي: "يبدو هذا جيدًا بالنسبة إليّ. هل تحدثت إلى غوين أو ليستر اليوم؟".

أجاب جايك: "لا، اتصلت بهما ليلة الاثنين".

قال كارل لي: "لقد كانا هنا أمس في مكتب أوزي، وقالا إنّهما سيحضران اليوم إلى المحكمة".

قال جايك: "أعتقد أن الجميع سيكونون في المحكمة اليوم".

غادر جايك.

في ساحة ركن السيارات، صدمه بعض الصحفيين الذين كانوا ينتظرون مغادرة كارل لي من السجن؛ لم يكن لديه أي تعليقات لهم، ولا تعليقات للصحفيين المنتظرين خارج مكتبه، لقد كان مشغولًا جدًا في الوقت الحالي، لكنه كان على دراية تامة بالكاميرات. عند الساعة الواحدة والنصف توجّه إلى المحكمة واختبأ في مكتبة المحاماة في الطابق الثالث.

راقب أوزي وموس جونيور والنواب ساحة ركن السيارات، وشتموا بهدوء حشد المراسلين والمصورين. كانت الساعة الواحدة وخمس وأربعين دقيقة؛ موعد نقل السجين إلى المحكمة.

قال موس جونيور وهو يحدق عبر الستائر: "يذكرني هؤلاء الصحفيون بمجموعة نسور تنتظر كلبًا ميتًا بجانب الطريق".

أضاف براذر: "إنهم من أقبح أنواع الناس الذين رأيتهم على الإطلاق".

قال موس: "لن يحصلوا على أي إجابات، إنّهم يتوقعون من المدينة بأكملها أن تلبي احتياجاتهم".

قال براذر: "وهذا نصفهم فقط، أما النصف الآخر ينتظر في قاعة المحكمة".

لم يقل أوزي الكثير، وكانت إحدى الصحف قد انتقدته بسبب إطلاق النار، مشيرةً إلى أن تدابير الأمن في المحكمة وأرجائها خففت عمدًا. لقد سئم الصحافة، وأمر المراسلين بالخروج من السجن مرتين يوم الأربعاء.

قال أوزي: "خطرت لي فكرة".

سأل موس جونيور: "ما هي؟".

سأل أوزي: "هل كيرتس تود لا يزال في السجن؟".

أجاب موس: "نعم، سيطلق سراحه الأسبوع المقبل".

سأل أوزي: "إنه نوعًا ما ككارل لي، أليس كذلك؟".

ردّ موس: "ماذا تقصد؟".

قال أوزي: "حسنًا، أعني أنّه أسود مثل كارل لي، بنفس الطول والوزن تقريبًا، أليس كذلك؟".

سأل براذر: "نعم، حسنًا، وماذا يعني ذلك؟".

ابتسم موس جونيور ونظر إلى أوزي الذي لم يبعد عينيه عن النافذة وقال: "أوزي، لن تفعل".

سأل براذر: "ماذا؟".

أمر أوزي: "دعنا نذهب، أحضر كارل لي، وكيرتس تود، وقُد سيارتي إلى الخلف، ثم أحضر تود إلى هنا، لنوجه له بعض التعليمات".

بعد عشر دقائق، فُتح الباب الأمامي للسجن، وقامت مجموعة من النواب بمرافقة السجين على الرصيف؛ سار اثنان من النواب في المقدمة، واثنان في الخلف، وواحد على كل جانب من السجين ذي النظارة الشمسية والأصفاد السميكة غير المثبتة. عندما اقتربوا من المراسلين، بدأت الكاميرات بالتسجيل، وتدفقت الأسئلة:

"سيدي، هل ستقر بالذنب؟".

"سيدي، هل ستقول إنك غير مذنب؟".

"سيدي، كيف ستقوم بالمرافعة؟".

"سيد هيلي، هل ستدّعي الجنون؟".

ابتسم السجين وواصل السير ببطء إلى سيارات الشرطة المُنتظرة، وابتسم النواب متجاهلين الحشد، بينما سارع المصورون لمحاولة الحصول على اللقطة المثالية لأشهر سجين في البلاد.

فجأةً، وبينما كانت الأمة تشاهد ما يحصل، والنواب حوله، وعشرات المراسلين يسجلون كل تحركاته، كسر السجين الأصفاد وهرب؛ قفز وتلوى وركض بسرعة عبر ساحة ركن السيارات، فوق الخندق، ثمّ عبَر الطريق السريع، إلى بعض الأشجار بعيدًا عن الأنظار. صرخ المراسلون، وطارده بعضهم لثوانٍ.

بغرابة، هرع النواب عائدين إلى السجن وأغلقوا الباب، تاركين النسور حائرين من الفوضى. في الغابة، فك السجين الأصفاد، وعاد إلى المنزل؛ لقد أُطلق سراح كيرتس تود قبل أسبوع من موعد إطلاق سراحه.

سرعان ما غادر أوزي، وموس جونيور، وكارل لي، عبر الجزء الخلفي من السجن وتوجهوا في شارع خلفي إلى قاعة المحكمة، حيث انتظر المزيد من النواب لمرافقته إلى قاعة المحكمة.

صرخ بولارد في السيد بات: "كم عدد السود هناك؟".

أجاب بات: "الكثير".

سأل بولارد: "رائع، الكثير من السود. أعتقد أن هناك الكثير من البيض القرويين أيضًا؟".

أجاب بات: "عددهم قليل".

سأل بولارد: "هل قاعة المحكمة ممتلئة؟".

أجاب بات: "مُكتظة".

صرخ بولارد: "يا إلهي، إنّها مجرد جلسة تمهيدية"، أنهى نصف ليتر من الفودكا بينما سلمه السيد بات قنينة أخرى، قائلًا: "هدئ من روعك سيدي القاضي".

قال بولارد: "بريغانس؛ هذا كله خطأه. كان يستطيع التنازل عن الجلسة، طلبت منه ذلك مرتين، وهو يعلم أنني سأرسله إلى هيئة المحلفين الكبرى، كل المحامين يعرفون ذلك. لكن الآن سأجعل كل السود غاضبين لأنني لن أطلق سراحه، وسأغضب كل البيض القرويين لأنني لن أعدمه اليوم في قاعة المحكمة. سأحاسب بريغانس على هذا؛ إنه يسعى خلف الشهرة. يجب أن يتم إعادة انتخابي، لكن بريغانس ليس عليه القلق بشأن شيءٍ كهذا، أليس كذلك؟".

قال بات: "كلا، سيدي القاضي".

سأل بولارد: "كم عدد رجال الشرطة هناك؟".

أجاب بات: "كثيرون. قام المأمور بأخذ جميع الاحتياطات، فأنت بأمان".

سأل بولارد: "ماذا عن الصحافة؟".

أجاب بات: "إنهم في الصفوف الأمامية".

سأله بولارد: "من دون كاميرات؟".

أجابه بات: "من دون كاميرات".

سأله بولارد: "هل هيلي هنا؟".

أجاب بات: "نعم سيدي. إنّه في قاعة المحكمة مع بريغانس. الكل ينتظرونك".

ملأ كوبًا من الفلّين بالفودكا وقال: "حسنًا، دعنا نذهب".

تمامًا كما في الأيام الخوالي التي سبقت الستينيات، كانت قاعة المحكمة منقسمة بدقة بين السود والبيض، ووقف رجال الشرطة بحزم في الممر وحول جدران قاعة المحكمة.

كان من دواعي القلق بشكل خاص وجود مجموعة من البيض المخمورين قليلًا يجلسون معًا في صفين بالقرب من المقدمة؛ لقد تم التعرف إلى اثنين منهم من بين إخوة أو أبناء عمومة القتيل بيلي راي كوب، وقد تمت مراقبة الجميع عن كثب.

جلس الصحفيون في الصفين الأماميين من قاعة المحكمة؛ إنهم أكثر من عشرين صحفيًا من مختلف الأنواع؛ فبعضهم يدونون الملاحظات بينما يرسم بعضهم الآخر المتهم ومحاميه والقاضي.

تمتم أحد القرويين البيض بصوت عالٍ ليسمع الصحفيين: "سوف يجعلون من هذا الزنجي بطلًا".

عندما جلس بولارد على مقعده، أغلق النواب الباب الخلفي.

أمر روكي شيلدرز قائلًا: "نادِ شاهدك الأول".

"الولاية تنادي المأمور أوزي وولز".

أدى المأمور القسم، وصعد المنصة؛ استرخى، وبدأ في سرد طويلٍ يصف مشهد إطلاق النار، والجثتين، والجروح، والمسدس، والبصمات على البندقية، وبصمات المتهم.

قدّم شيلدرز إفادة مُوقعة من الضابط لوني، وشهدها المأمور، وموس جونيور. أشار فيها إلى أن المسلح كان كارل لي، وقد تحقق أوزي من توقيع لوني، وقرأ الإفادة في السجل.

سأل شيلدرز بلا حماسة: "أيها المأمور، هل تعرف أي شاهد عيان آخر؟".

أجاب المأمور أوزي: "نعم مورفي، عامل النظافة".

سأل شيلدرز: "ما اسمه الأول؟".

أجاب أوزي: "لا أحد يعرف؛ اسمه مورفي فقط".

سأل شيلدرز: "حسنًا، هل تحدثت إليه؟".

أجاب أوزي: "كلا، لكن المحقق الخاص بي فعل ذلك".

سأل شيلدرز: "من هو محققك؟".

أجاب أوزي: "المحقق رادي".

أدى رادي القسم، وجلس على كرسي الشاهد، وأحضر السيد بات للقاضي كوبًا آخر من الماء المثلج من الغرفة، وكان جايك يكتب صفحات من الملاحظات. لم يستدعِ أي شاهد، وفضّل عدم استجواب المأمور. من حينٍ إلى آخر، كان شهود الولاية يخلطون بين أكاذيبهم في الجلسة الأولية، وعادةً ما كان جايك يطرح عليهم بعض الأسئلة لاستجوابهم وتسجيل التناقضات. وبعدها، عندما يبدأ الشهود بالكذب مرة أخرى، كان جايك يقدم الشهادة من الجلسة الأولية لإرباك الكاذبين، لكنه لم يقم بذلك اليوم.

سأل شيلدرز: "سيدي، هل سنحت لك الفرصة للتحدث إلى مورفي؟".

أجاب رادي: "من هو مورفي؟".

قال شيلدرز: "لا أعرف، فقط مورفي، عامل النظافة".

أجاب رادي: "أوه، نعم سيدي".

سأل شيلدرز: "جيد، ماذا قال؟".

أجاب رادي: "عمّاذا؟".

جمّد شيلدرز رأسه؛ لقد كان رادي جديدًا، ولم يقدم الكثير من الشهادات، وقد اعتقد أوزي أن هذا سيكون جيدًا له.

قال شيلدرز: "حول إطلاق النار؛ أخبرنا ما قاله لك عن إطلاق النار".

وقف جايك وقال: "سيدي القاضي، أعترض. أعلم أن الأقاويل مقبولة في الجلسة الأولية، لكن مورفي هنا، ويعمل هنا في قاعة المحكمة. لماذا لا تدَعه يشهد؟".

أجاب بولارد: "لأنه يتلعثم".

قال جايك: "ماذا؟".

قال بولارد: "يتلعثم كثيرًا، ولا أريد أن أسمعه يتلعثم لثلاثين دقيقة؛ اعتراضك مرفوض. واصِل كلامك يا سيد شيلدرز".

جلس جايك بتذمر، وابتسم بولارد للسيد بات، كي يغادر ليجلب المزيد من الماء المثلج.

سأل شيلدرز: "الآن يا سيد رادي، ماذا أخبرك مورفي عن إطلاق النار؟".

أجاب رادي: "حسنًا، من الصعب فهمه لأنه كان متحمسًا للغاية، وعندما يكون متحمسًا يتلعثم بشكل أكبر؛ أعني أنّه يتلعثم على أي حال، لكن...".

صاح بولارد: "فقط أخبرنا بما قاله".

قال رادي: "حسنًا، قال إنّه رأى رجلًا أسود يطلق النار على الشابين الأبيضين، وعلى النائب".

سأل شيلدرز: "شكرًا لك. الآن، أين كان عندما حدث هذا؟".

سأل رادي: "من؟".

قال شيلدرز: "مورفي".

قال رادي: "كان يجلس مقابل الدرج مباشرةً، حيث أصيبوا".

سأل شيلدرز: "وهل رأى كل شيء؟".

أجاب رادي: "قال إنّه فعل".

سأل شيلدرز: "هل تعرّف إلى المسلح؟".

أجاب رادي: "نعم، عرضنا عليه صورًا لعشرة رجال من السود، وقد تعرف إلى المُدعى عليه، الذي يجلس هناك".

قال شيلدرز: "جيد، شكرًا لك. سيادتك، ليس لدينا أي شيء آخر".

سأل القاضي: "هل لديك أسئلة يا سيد بريغانس؟".

وقف جايك، وقال: "لا يا سيدي".

سأل بولارد: "هل من شهود آخرين؟".

قال شيلدرز: "لا يا سيدي".

سأل بولارد: "أي طلبات، أو اقتراحات، أو أي شيء؟".

أجاب شيلدرز: "لا يا سيدي".

كان جايك أذكى من أن يطلب كفالة؛ أولًا، لأن طلبه لن يلقى قبولًا، فبولارد لن يوافق على كفالة بخصوص القتل العمد، وثانيًا، سيجعل ذلك مظهر القاضي سيئًا.

قال بولارد: "شكرًا لك يا سيد بريغانس. وجدت المحكمة أدلة كافية لاتخاذ إجراء من قبل هيئة المحلفين الكبرى في مقاطعة فورد. يجب أن يظل السيد هيلي في عهدة المأمور، من دون كفالة. رُفعت الجلسة".

سرعان ما قُيدت يدا كارل لي، واصطُحب إلى خارج قاعة المحكمة. أُغلِقَت المنطقة المحيطة بالباب الخلفي في الطابق السفلي وحُرِست، بينما التقطت الكاميرات في الخارج لقطة للمُدعى عليه بين الباب وسيارة الشرطة المنتظرة؛ كان في السجن قبل أن يُفرغ المتفرجون قاعة المحكمة.

طلب النواب من البيض المغادرة أولًا، وتلاهم السود.

طلب الصحفيون أن يمنحهم جايك بعضًا من وقته، وتم توجيههم لمقابلته في القاعة المستديرة في غضون دقائق. كالعادة، جعلهم ينتظرون؛ أولًا، توجه إلى غرفة القاضي وحياه، ثمّ عندما كانت قاعة المحكمة فارغة وكان الصحفيون قد انتظروا وقتًا طويلًا، سار عبر الباب الخلفي نحو القاعة، وواجه الكاميرات.

دُفِع ميكروفون عليه أحرف حمراء في وجهه وسأله المراسل: "لماذا لم تطلب كفالة؟".

أجابه جايك: "هذا يأتي لاحقًا".

سأله المراسل: "هل سيدافع السيد هيلي عن نفسه مدّعيًا الجنون؟".

أجاب جايك: "كما ذكرت، من السابق لأوانه الإجابة عن هذا السؤال. يجب علينا الآن انتظار هيئة المحلفين الكبرى، ربما لا يوجه إليه أي اتهام، وإذا حصل ذلك، فسنبدأ في التخطيط للدفاع عنه".

قال المراسل: "يتوقع محامي المقاطعة، السيد باكلي، إدانة سهلة. ما تعليقك؟".

قال جايك: "أخشى أن السيد باكلي يتحدث في كثير من الأحيان في الوقت الخطأ؛ إنّه لمن الحماقة أن يدلي بأي تعليق على هذه القضية قبل أن تنظر فيها هيئة المحلفين الكبرى".

قال المراسل: "كما قال إنّه سيعارض بشدة أي طلب لتغيير المكان".

قال جايك: "لم يتم تقديم هذا الطلب بعد؛ إنّه لا يهتم حقًا بمكان انعقاد المحاكمة، سيقيمها في الصحراء طالما تواجدت الصحافة هناك".

سأل المراسل: "هل يمكننا أن نفترض أن هناك ضغينة بينك وبين محامي المقاطعة؟".

قال جايك: "إذا أردت ذلك. إنّه مدّعٍ عام جيد ومنافس جدير بالاحترام؛ إنّه فقط يتحدث عندما لا يتوجب عليه ذلك".

أجاب عن بعض الأسئلة المتنوعة الأخرى، واعتذر مغادرًا.

في وقتٍ متأخرٍ من ليلة الأربعاء، بتر الأطباء الثلث السفلي من ساق لوني تحت ركبته، واتصلوا بأوزي في السجن، الذي بدوره أخبر كارل لي.

10

اطلع روفوس باكلي على صحف يوم الخميس، وقرأ باهتمام كبير المقالات عن جلسة الاستماع الأولية في مقاطعة فورد. كان مسرورًا لرؤية اسمه يُذكر في الحوار الذي دار بين الصحفيين والسيد بريغانس؛ بغض النظر عن كونها مسيئة. لم يعجبه بريغانس، لكنه كان سعيدًا أن جايك ذكر اسمه أمام الكاميرات والمراسلين.

ظل الضوء مسلطًا لمدة يومين على بريغانس والمتهم؛ لقد حان الوقت لأن يتم ذكر محامي المقاطعة، ويجب ألّا ينتقد بريغانس أي شخص بسبب سعيه وراء الشهرة. كان لوسيان ويلبانكس خبيرًا بالتلاعب بالصحافة قبل المحاكمة وأثنائها، وتعلم منه جايك كثيرًا، لكن باكلي لم يحمل أي ضغينة، كان مسرورًا، لقد استمتع بفكرة محكمة طويلة سيئة مع فرصته الأولى في عرض حقيقي وهادف، وكان يتطلع إلى يوم الاثنين؛ اليوم الأول من شهر أيار في المحكمة في مقاطعة فورد.

كان يبلغ من العمر واحدًا وأربعين عامًا، وعندما انتخب للمرة الأولى قبل تسع سنوات، كان أصغر محامي مقاطعة في ميسيسبي؛ لقد مضى عام واحد على ولايته الثالثة، ولم يكن هناك حدود لطموحاته. حان الوقت للانتقال إلى منصب عام آخر، على سبيل المثال، المدعي العام، أو ربما الحاكم، ثمّ إلى الكونغرس؛ لقد خطط لكل ذلك، لكنه لم يكن معروفًا بما فيه الكفاية خارج الدائرة القضائية الثانية والعشرين (مقاطعات فورد، وتايلر، وبولك، وفان بورين، وملبورن). كان بحاجة إلى أن يُرى ويُسمع، كان بحاجة إلى الدعاية، وأكثر ما احتاجه كان إدانة كبيرة، سيئة، مثيرة للجدل، معلنة بشكل جيد في محاكمة لجريمة قتل.

كانت مقاطعة فورد شمال سميثفيلد مباشرة، مقر مقاطعة بولك، حيث عاش روفوس. نشأ في مقاطعة تايلر، بالقرب من خط تينيسي، شمال مقاطعة فورد، حيث كان لديه قاعدة سياسية جيدة، فخلال الانتخابات تباهى بمعدل إدانة يبلغ تسعين بالمئة، وبأنه أرسل عددًا كبيرًا من الرجال

إلى طابور الإعدام، أكثر من أي مدعٍ عام في الولاية؛ لقد كان صاخبًا، وقحًا، ومنافقًا. كانت هذه القضية تخص شعب ولاية ميسيسبي، وقد أخذها على محمل الجد، فالناس يكرهون الجريمة، وهو أيضًا، ويمكنهم معًا القضاء عليها.

لقد كان بارعًا في التحدث إلى هيئة المحلفين، وكان قادرًا على إلقاء المواعظ والصلوات، والتوسل. كان قادرًا على تأجيج هيئة المحلفين لدرجة أنّه لم يسعهم الانتظار حتى يعودوا إلى الغرفة، ويعقدوا اجتماعًا للصلاة، ثمّ يتم التصويت، وأخذ قرار إعدام المُدعى عليه.

يمكنه التحدث مثل السود ويمكنه التحدث مثل البيض القرويين، وكان ذلك كافيًا لإرضاء معظم المحلفين في الدائرة القضائية الثانية والعشرين، وكانت هيئات المحلفين مفيدة له في مقاطعة فورد؛ كان يحب كلانتون.

عندما وصل إلى مكتبه في محكمة مقاطعة بولك، كان روفوس سعيدًا لرؤية طاقم التصوير بانتظاره في غرفة الاستقبال الخاصة به، لقد أوضح أنّه كان مشغولًا للغاية وهو ينظر إلى ساعته، ولكن قد يكون لديه دقيقة لبضعة أسئلة.

أجلسهم في مكتبه وجلس على كرسيه الجلدي الدوار خلف المكتب.

قال المراسل من جاكسون: "سيد باكلي، هل لديك أي تعاطف مع السيد هيلي؟"، ابتسم بجدية، ومن الواضح أنّه كان يفكر بعمق.

قال باكلي: "أجل، أتعاطف مع أي والد تعرض طفله، أو طفلته للاغتصاب؛ أنا بالتأكيد متعاطف معه. لكن ما لا أستطيع أن أتغاضى عنه، وما لا يستطيع نظامنا تحمله، هو هذا النوع من القصاص الأهلي".

سأله المراسل: "هل أنت أب؟".

أجاب باكلي: "نعم، لدي ابن صغير وابنتان، واحدة في سن الفتاة هيلي، وسأكون غاضبًا إذا تعرضت إحداهما للاغتصاب. لكنّني آمل أن يتعامل نظامنا القضائي بشكل فعّال مع المغتصب؛ فأنا لدي ثقة كبيرة في النظام".

سأله المراسل: "حسنًا، هل تتوقع إدانة؟".

أجابه باكلي: "بالتأكيد. عادةً أحصل على إدانة عندما أسعى إليها، وأنا أعتزم الحصول على إدانة في هذه القضية".

سأله المراسل: "هل ستطالب بالإعدام؟".

أجاب باكلي: "نعم، يبدو أنّها حالة واضحة للقتل العمد مع سبق الإصرار، وأعتقد أن غرفة الغاز ستكون مناسبة".

سأله المراسل: "هل تتوقع حكمًا بالإعدام؟".

أجابه باكلي: "بالطبع، بكل تأكيد. لطالما كان محلفو مقاطعة فورد على استعداد لتطبيق عقوبة الإعدام عندما أطلبها، وتكون القضية مناسبة؛ لدينا هيئات محلفين جيدة جدًا هناك".

سأله المراسل: "صرح السيد بريغانس، محامي المُدعى عليه، بأن هيئة المحلفين الكبرى قد لا تدين موكله".

ضحك باكلي وأجاب: "حسنًا، ينبغي ألّا يكون السيد بريغانس بهذه السذاجة. سيتم عرض القضية على هيئة المحلفين الكبرى يوم الاثنين، وستكون لدينا لوائح الاتهام بعد ظهر يوم الاثنين، أعدك بهذا. حقًا، ظننت أن السيد بريغانس أذكى من ذلك".

سأله المراسل: "هل تعتقد أن المحاكمة ستتم في مقاطعة فورد؟".

أجابه باكلي: "لا يهمني المكان، فأنا سأحصل على الإدانة".

سأله المراسل: "هل تتوقع أن يتذرع الدفاع بالجنون؟".

أجاب باكلي: "أتوقع كل شيء، فالسيد بريغانس هو محامي الدفاع الجنائي الأكثر كفاءة، ولا أعرف ما هي الحيلة التي سيستخدمها، لكن ولاية ميسيسبي ستكون جاهزة".

سأله المراسل: "ماذا عن صفقة الإقرار بالذنب؟".

أجاب باكلي: "أنا لا أؤيد كثيرًا النداء للتفاوض، ولا السيد بريغانس؛ لا أتوقع ذلك".

سأله المراسل: "قال إنّه لم يخسر أي قضية قتل في مواجهتك".

اختفت ابتسامة باكلي على الفور، وانحنى إلى الأمام على المكتب، ونظر بجدية إلى المراسل قائلًا: "صحيح، لكنّني أراهن على أنه لم يذكر عدد السرقات المسلحة والسرقات الكبرى، أليس كذلك؟ لقد فزت بحصتي، وكي أكون دقيقًا تسعين بالمئة".

أوقِفت الكاميرا عن العمل، وشكره المراسل على وقته. قال باكلي: "لا مشكلة، في أي وقت".

صعدت إثيل الدرج، ووقفت أمام المكتب الكبير وقالت: "سيد بريغانس، تلقيت أنا وزوجي مكالمة هاتفية بذيئة الليلة الماضية، وتلقيت الثانية للتو هنا في المكتب. أنا لا أحب هذا".

أشار إلى الكرسي وقال: "اجلسي يا إثيل. ماذا قال هؤلاء الناس؟".

أجابت إثيل: "لم يكونوا بذيئين للغاية، كانوا يهددون، لقد هددوني لأنني أعمل معك، قالوا إنني سأندم لأنني أعمل مع عاشق للسود مثلك؛ الأشخاص هنا يهددون بإيذائك أنت وعائلتك. أنا فقط خائفة".

بدوره شعر جايك بالقلق، لكنه تجاهل خوفه أمام إثيل، وكان قد اتصل بأوزي يوم الأربعاء وأبلغه بمثل هذه المكالمات.

قال جايك: "غيّري رقمك يا إثيل. سأدفع ثمن ذلك".

قالت إثيل: "لا أريد تغيير رقمي؛ فأنا أملكه منذ سبعة عشر عامًا".

قال جايك: "حسنًا، لا تغيريه. لقد غيرت رقم منزلي، إنّه ليس بالأمر المهم".

قالت إثيل: "حسنًا، لن أفعل ذلك".

قال جايك: "حسنًا، ماذا تريدين أيضًا؟".

قالت إثيل: "أعتقد أنّه لم يكن عليك أن تتولى هذه القضية، فأنا...".

قال جايك: "لا يهمني رأيك، فأنا لا أدفع لكِ كي تفكري في ما يجب عليّ قبوله من قضايا، وإذا أردت أن أعرف رأيك، فسأسألك، وإلى أن يحين ذلك الوقت، التزمي الصمت".

تأففت وغادرت، ثم اتصل جايك بأوزي مجددًا.

بعد ساعة، قالت إثيل عبر الاتصال الداخلي: "اتصل لوسيان هذا الصباح، وطلب مني نسخ بعض القضايا الأخيرة، ويريد منك أن تُسلمه إياها بعد ظهر اليوم. قال إنّه قد مرت خمسة أسابيع على زيارتك الأخيرة له".

ردّ جايك: "بل أربعة أسابيع. انسخي القضايا، وسأسلمه إياها بعد ظهر اليوم".

كان لوسيان يزوره في المكتب، أو يتصل به مرة في الشهر، يقرأ القضايا ويواكب التطورات الجارية في القانون. لم يكن لديه الكثير ليفعله باستثناء شرب ويسكي جاك دانيال، والمشاركة في البورصة، وكان يقوم بذلك بلا مبالاة. كان ثملًا، وقضى معظم وقته على الشرفة الأمامية لمنزله الأبيض ال كبير على التل المطل على كلانتون، والذي يبعد ثمانية مبانٍ من الساحة. كان يرتشف الويسكي، ويقرأ القضايا.

تدهور حاله منذ أن فقد وظيفته. كان لديه خادمة تعمل بدوام كامل بمنزلة ممرضة، وتقدم له المشروبات على الشرفة منذ الظهيرة حتى منتصف الليل، ونادرًا ما كان يأكل أو ينام.

كان يتوقع أن يزوره جايك مرة واحدة على الأقل في الشهر.

كانت الزيارات انطلاقًا من بعض الإحساس بالواجب، فلوسيان عجوز مريض، اعتاد شتم المحامين والقضاة وخاصة نقابة المحامين في الولاية، وكان جايك صديقه الوحيد، وجمهوره الوحيد، الذي بقي أسيرًا له لفترة كافية لسماع خطاباته. إلى جانب الوعظ، قدّم لوسيان النصائح غير المرغوب فيها بشأن قضايا جايك، وهي عادة مزعجة للغاية. كان على علم بالقضايا، على الرغم من أن جايك لم يعرف أبدًا كيف عرف لوسيان كل هذا، إذ نادرًا ما شوهد في وسط المدينة أو في أي مكان في كلانتون باستثناء متجر الكحول في قسم السود.

ركن جايك سيارته خلف سيارة البورش القذرة؛ لم يكن هناك ترحيب أو تحيات، فقط سلم جايك النسخ إلى لوسيان الذي لم يقل شيئًا. جلسا على كرسيين هزازين على الشرفة الطويلة ونظرا إلى كلانتون.

كان الطابق العلوي للمحكمة أعلى من المباني والمنازل والأشجار المحيطة بالساحة.

أخيرًا قدم له الويسكي، ثمّ النبيذ، ثمّ البيرة.

رفض جايك وكارلا الشرب، وعلم لوسيان ذلك.

قال لوسيان: "تهانينا".

سأله جايك: "بشأن ماذا؟".

أجابه لوسيان: "بشأن قضية هيلي".

سأله جايك: "لماذا تهنئني؟".

أجابه لوسيان: "لم يسبق لي أن حصلت على قضية بمثل هذه الأهمية، رغم أنني استلمت قضايا كبيرة".

سأله جايك: "كبيرة من حيث ماذا؟".

أجابه لوسيان: "الشهرة الإعلامية هي أساس لعبة المحامين يا جايك. إذا كنت غير معروف، فستموت جوعًا. عندما يقع الناس في مشكلة، فإنهم يتصلون بمحامٍ، وغالبًا ما يتصلون بشخص سبق لهم أن سمعوا عنه. يجب أن تروّج لنفسك، إذا كنت محاميًا للشارع، وبالطبع الأمر مختلف إذا كنت تعمل في شركة، أو شركة تأمين كبيرة، حيث تجلس على مؤخرتك وتأخذ مئة دولار في الساعة، لمدة عشر ساعات في اليوم، وتسرق من الناس، و...".

قاطعه جايك بهدوء: "لوسيان، سبق لنا أن تحدثنا بشأن هذا عدة مرات. دعنا نتحدث عن قضية هيلي".

قال لوسيان: "حسنًا، حسنًا. سأراهن أن نووز سيرفض تغيير المكان".

سأله جايك: "من قال إنني سأطلب ذلك؟".

قال لوسيان: "ستكون غبيًا إن لم تفعل".

سأله جايك: "لماذا؟".

قال لوسيان: "إحصائيات بسيطة؛ فهذه المقاطعة تضم ستة وعشرين بالمئة من السود، بينما كل مقاطعة أخرى في الدائرة القضائية الثانية والعشرين، تضم على الأقل ثلاثين بالمئة من السود، فمثلًا مقاطعة فان بورين تضم أربعين بالمئة، وهذا يعني المزيد من المحلفين السود. إذا غيّرت مكان المحاكمة، فلديك فرصة أكبر للحصول على السود في هيئة المحلفين، أما إذا جرت

المحاكمة هنا، فأنت تخاطر بتشكيل هيئة محلفين من البيض فقط، وصدقني، لقد رأيت عددًا كافيًا من هيئات المحلفين البيض في هذه المقاطعة؛ كل ما تحتاج إليه هو أسود واحد لتعتمد عليه في تأجيل المحاكمة".

قال جايك: "ولكن بعد أن يتم التأجيل".

قال لوسيان: "علقها مرة أخرى؛ سيستسلمون بعد ثلاث جلسات، هيئة المحلفين المعلقة هي خسارة بالنسبة إلى باكلي؛ فهو سيستقيل بعد الجلسة الثالثة".

قال جايك: "لذلك أقول ببساطة لنووز إنني أريد أن تنتقل المحاكمة إلى مقاطعة تضم عددًا أكبر من السود، حتى أتمكن من الحصول على هيئة محلفين بعدد أكبر من السود".

قال لوسيان: "يمكنك إذا كنت ترغب في ذلك، لكنّني ما كنت لأفعل هذا. كنت سأخوض من الهراء المعتاد حول الدعاية قبل المحاكمة، والمجتمع المتحيز، وما إلى ذلك".

قال جايك: "وهل تعتقد أن نووز سيصدق هذا".

قال لوسيان: "كلا، هذه القضية كبيرة جدًا وستصبح أكبر. لقد تدخلت الصحافة وبدأت المحاكمة بالفعل؛ الجميع سمعوا عنها، ليس فقط في مقاطعة فورد. لا يمكنك العثور على شخص في هذه الحالة دون فكرة مسبقة عن الذنب أو البراءة، فلماذا تنقلها إلى مقاطعة أخرى؟".

قال جايك: "فلماذا أطلب ذلك إذًا؟".

قال لوسيان: "لأنه عندما تتم إدانة هذا الرجل الفقير، فستحتاج إلى شيء ما لتناقش فيه عند الاستئناف. يمكنك الادعاء أنّه حُرم من محاكمة عادلة لأن المكان لم يتغير".

قال جايك: "شكرًا على التشجيع. ما هي فرص نقلها إلى منطقة أخرى، لنقل في مكان ما في الدلتا؟".

قال لوسيان: "انسَ ذلك، يمكنك طلب تغيير المكان، لكن لا يمكنك طلب مكان معين".

لم يكن جايك يعرف ذلك، وعادةً ما يتعلم شيئًا ما أثناء زياراته للوسيان. أومأ برأسه بثقة وراقب الرجل العجوز ذا اللحية الرمادية الطويلة القذرة.

نادرًا ما يحتار لوسيان في ما يخص القانون الجنائي.

صرخ لوسيان: "سالي"، وألقى بمكعبات الثلج بين الشجيرات.

سأله جايك: "من هي سالي؟".

أجابه: "خادمتي"، بينما فتحت سيدة سوداء طويلة وجذابة الباب وابتسمت لجايك.

سألته سالي: "نعم لوسيان؟".

أجابها لوسيان: "كأسي فارغة".

سارت بأناقة عبر الشرفة، وأخذت كأسه؛ كانت جميلة، جميلة جدًا، وداكنة البشرة جدًا، ولم تبلغ الثلاثين من عمرها بعد. طلب جايك الشاي المثلج.

سأله جايك: "أين عثرت عليها؟".

نظر لوسيان إلى المحكمة.

سأله جايك مجددًا: "أين عثرت عليها؟".

أجابه لوسيان: "لا أدري".

سأله جايك: "كم عمرها؟".

ظل لوسيان صامتًا.

سأله جايك: "هل تعيش هنا؟".

لم يجب لوسيان.

سأله جايك: "كم تدفع لها؟".

قال لوسيان: "لماذا تسأل؟ هذا ليس من شأنك؛ أكثر مما تدفعه لإثيل. إنّها ممرضة أيضًا، كما تعلم".

بالتأكيد، قال جايك مع ابتسامة: "أراهن أنّها تفعل الكثير من الأمور".

قال لوسيان: "لا تقلق بشأن ذلك".

قال جايك: "أعتبر أنك لست متفائلًا بفرصتي في الحصول على حكم بالبراءة".

فكّر لوسيان لبرهة، ثمّ عادت الخادمة/الممرضة مع الويسكي والشاي.

قال لوسيان: "ليس تمامًا، سيكون ذلك صعبًا".

سأله جايك: "لماذا؟".

قال لوسيان: "يبدو أن الجريمة كانت مع سبق الإصرار، ومما عرفته يبدو أنّه خُطط لها جيدًا، أليس كذلك؟".

قال جايك: "نعم".

قال لوسيان: "أنا متأكد من أنك ستدافع متذرّعًا بالجنون".

قال جايك: "لا أدري، لا أعرف".

قال لوسيان بصرامة: "يجب أن تدافع متذرعًا بالجنون؛ لا يوجد دفاعٌ آخر محتمل. لا يمكنك الادعاء أنّه كان حادثًا، ولا يمكنك القول إنّه أطلق النار على هذين الشابين، المكبلي اليدين والأعزلين، مستخدمًا بندقية آلية دفاعًا عن النفس، أليس كذلك؟".

قال جايك: "لا".

سأله لوسيان: "ولن تخترع عذرًا وتخبر هيئة المحلفين أنّه كان في المنزل مع عائلته؟".

أجابه جايك: "بالطبع لا".

قال لوسيان: "لا يمكنك الدفاع عنه، ما لم تتذرع بالجنون".

قال جايك: "لكن يا لوسيان، إنه ليس مجنونًا، ولا توجد طريقة يمكنني أن أجد فيها طبيبًا نفسيًا ليقول إنّه كذلك. لقد خطط للجريمة بدقة، وبكل التفاصيل".

ابتسم لوسيان، وشرب، ثم قال: "لهذا السبب أنت في ورطة يا بني".

وضع جايك كأس الشاي على المنضدة، وهزه ببطء؛ لقد استمتع لوسيان باللحظة وكرر قائلًا: "لهذا السبب أنت في ورطة".

سأله جايك: "ماذا عن هيئة المحلفين؟ أنت تعلم أنّهم سيكونون متعاطفين".

قال لوسيان: "لهذا السبب بالضبط عليك أن تتذرّع بالجنون، إذ عليك أن تمنح هيئة المحلفين مخرجًا؛ يجب أن تريهم طريقة لتجعله غير مذنب، إذا كانوا يميلون إلى ذلك. وإذا كانوا متعاطفين، ويريدون التبرئة، فيجب أن توفر لهم دفاعًا مساعدًا ليقوموا بذلك. لا فرق إذا اعتقدوا بأن ذلك حماقة، هذا ليس مهمًا في غرفة المحلفين، المهم هو أن يكون لديهم أساس قانوني للتبرئة، على افتراض أنّهم يريدون التبرئة".

سأله جايك: "هل سيريدون التبرئة؟".

أجاب لوسيان: "بعضهم، لكن باكلي سيقدم قضية قوية للغاية تتعلق بالقتل العمد مع سبق الإصرار. إنّه جيد، وسيحظى بتعاطفهم، فبالنسبة إلى باكلي، سيكون هيلي مجرد رجل أسود آخر يُحاكم لقتله رجالًا أبيض".

هزّ لوسيان مكعبات الثلج ونظر إلى الويسكي قائلًا: "وماذا عن النائب؟ بسبب الاعتداء بقصد قتل ضابط، فلن يحظى بإطلاق سراح مشروط. هل فكّرت في ذلك؟".

أجابه جايك: "لم يكن لديه نية لذلك".

قال لوسيان: "رائع، سيكون هذا مقنعًا حقًا عندما يقف الرجل المسكين أمام منصة الشهود ويظهر طرفه المبتور لهيئة المحلفين".

سأله جايك: "المبتور؟".

قال لوسيان: "نعم، لقد بتروا ساقه الليلة الماضية".

قال جايك: "لوني؟".

قال لوسيان: "نعم، الذي أطلق السيد هيلي النار عليه".

قال جايك: "ظننت أنّه بخير".

قال لوسيان: "أوه إنّه بخير. تنقصه ساقٌ فقط".

قال جايك: "كيف عرفت؟".

قال لوسيان: "لديّ مصادري".

سار جايك إلى طرف الشرفة، وانحنى على السياج؛ لقد شعر بالضعف، ضاعت الثقة، لقد أخذها لوسيان مرة أخرى؛ فهو كان خبيرًا في إظهار نقاط ضعف جايك في كل قضية يستلمها، كانت هذه رياضة بالنسبة إليه، وكان عادةً على حق.

قال لوسيان: "انظر يا جايك، لا أقصد أن أقول إنّها قضية ميؤوس منها. يمكنك الفوز بالقضية؛ إنّها قضية طويلة، ولكن يمكنك الفوز بها. يمكنك أن تخرجه من هناك، وعليك أن تثق أنك تستطيع فعل ذلك، فقط لا تكن مغرورًا جدًا، لقد قلت ما يكفي للصحافة لفترة من الوقت. تراجع، واذهب إلى العمل".

سار لوسيان إلى طرف الشرفة وبصق على الشجيرات، ثم أكمل: "ضع في اعتبارك دائمًا أن السيد هيلي مذنب، ومذنبٌ للغاية، فمعظم المتهمين الجنائيين مذنبون، ولكن على وجه الخصوص السيد هيلي، أخذ القانون بيده وقتل شابين، لقد خطط لذلك بحذرٍ شديدٍ، ونظامنا القانوني لا يسمح بالقصاص الأهلي. الآن، يمكنك الفوز بالقضية، وإذا فعلت، فستسود العدالة، ولكن إذا خسرتها، فستسود العدالة أيضًا؛ حالة غريبة نوعًا ما، على ما أعتقد. أنا فقط أتمنى لو كان لدي قضية مماثلة".

سأل جايك: "هل أنت جاد؟".

قال لوسيان: "طبعًا أنا جاد، إنّها حلم كل محامي. اربحها وستصبح مشهورًا؛ يمكنها أن تجعلك ثريًا".

قال جايك: "سأحتاج إلى مساعدتك".

قال لوسيان: "لقد حصلت عليها، فأنا أحتاج شيئًا لأفعله".

بعد العشاء، وبعد أن كانت هانا نائمة، أخبر جايك كارلا عن المكالمات في المكتب؛ لقد تلقوا مكالمة غريبة من قبل خلال إحدى محاكمات القتل الأخرى، لكن لم يتم توجيه أي تهديدات، لكن هذه المكالمات مختلفة، فقد ذكروا اسم جايك وعائلته ووعدوا بالانتقام إذا تمت تبرئة كارل لي.

سألته كارلا: "هل أنت قلق؟".

أجاب جايك: "كلا، أظن أنّهم بعض الأولاد أو بعض أصدقاء كوب. هل يخيفك ذلك؟".

قالت كارلا: "كنت أفضل لو أنّهم لم يتصلوا".

قال جايك: "الجميع يتلقون مكالمات؛ تلقى أوزي المئات منها، وبولارد، وشيلدرز أيضًا، الجميع. أنا لست قلقًا بشأن ذلك".

سألته كارلا: "ماذا لو أصبح الأمر أكثر جدية؟".

أجابها جايك: "كارلا، لن أعرّض عائلتي للخطر أبدًا، فالأمر لا يستحق كل هذا العناء. سأنسحب من القضية إذا أحسست أن التهديدات أصبحت حقيقية. أعدك بذلك".

لم تتأثر.

أخرج ليستر تسع أوراق نقدية من فئة المئة دولار، ووضعها بشكل مهيب على مكتب جايك.

قال جايك: "هذه تسعمئة فقط، اتفاقنا كان ألفًا".

قال ليستر: "غوين بحاجة إلى البقالة".

قال جايك: "هل أنت متأكد من أنك لم تحتج إليها لشراء بعض الويسكي؟".

قال ليستر: "حسنًا يا جايك، أنت تعلم أنني لن أسرق أخي".

قال جايك: "حسنًا، حسنًا. متى ستذهب غوين إلى المصرف لتقترض الباقي؟".

قال ليستر: "أنا ذاهب الآن لرؤية المصرفي أتكافيدج؟".

قال جايك: "نعم، ستان أتكافيدج، بجوار مصرف الضمان. إنّه صديق عزيزٌ لي، سيقرضك قبل المحاكمة. هل سندات الملكية معك؟".

قال ليستر: "نعم، إنّها في جيبي. كم تعتقد أنّه سيقرضنا؟".

قال جايك: "ليس لديّ فكرة، اذهب واسأله".

غادر ليستر، وبعد عشر دقائق اتصل أتكافيدج بجايك وقال: "جايك، لا يمكنني إقراض المال لهؤلاء الناس. ماذا لو تخلفوا عن الدفع؟ لا تؤاخذني، أعلم أنك محامٍ جيد، وأنا أتذكر طلاقي، ولكن كيف سيدفع لي وهو جالس في طابور الإعدام؟".

قال جايك: "شكرًا. انظر يا ستان، إذا تخلف عن السداد، فأنت تمتلك رهن عشرة فدادين، أليس كذلك؟".

قال ستان: "صحيح، مع كوخ. عشرة فدادين من الأشجار ونبات الكودزو بالإضافة إلى كوخٍ قديم؛ هذا بالضبط ما تتمناه زوجتي الجديدة. بالله عليك يا جايك".

قال جايك: "إنه منزل جميل، وقد دُفع ثمنه تقريبًا".

قال ستان: "إنه كوخ، كوخ نظيف. لكن لا يساوي شيئًا يا جايك".

قال جايك: "يجب أن يساوي شيئًا ولو قليلًا".

قال ستان: "جايك، لا أريد ذلك، والمصرف لا يريد ذلك".

قال جايك: "لقد سبق لك أن أقرضتهم".

قال ستان: "ولم يكن في السجن من قبل؛ كان شقيقه، أتذكر. كان يعمل في مصنع الورق، وعمل جيد أيضًا، أما الآن، فهو يتجه إلى سجن بارشمان".

قال جايك: "شكرًا يا ستان، شكرًا على الثقة".

قال ستان: "بالله عليك يا جايك، أنا أثق بك، لكن لا يمكنني إقراضه المال. إذا كان بإمكان أي شخص إنقاذه، فهو أنت، وآمل أن تفعل. لكن لا يمكنني تقديم هذا القرض؛ لن يقبل المدققون بهذا أبدًا".

جرب ليستر مصرف الشعب، وفورد ناشيونال، وكلاهما رفضا إقراضه. كانوا يأملون في أن تتم تبرئة أخيه، ولكن ماذا لو لم يحدث ذلك.

فكّر جايك في نفسه، رائع، تسعمئة دولار مقابل قضية القتل العمد.

11

لم يرَ كلود حاجة إلى طباعة لوائح للمقهى الخاص به، فعندما افتتحه للمرة الأولى قبل سنوات لم يكن قادرًا على تحمل تكاليف طباعتها، والآن بعد أن استطاع، لم يكن بحاجة إليها لأن معظم الناس يعرفون ما يقدمه؛ على الفطور، كان يطبخ كل شيء ما عدا الأرز والخبز المحمص، وتتفاوت أسعارها، وفي غداء يوم الجمعة كان يشوي كتف وأضلاع الخنزير، والجميع يعرفون ذلك. كان لديه عدد قليل من الزبائن البيض خلال الأسبوع، ولكن ظهر كل يوم جمعة، كان البيض يملأون نصف المقهى الصغير. كان كلود يعرف أن البيض يستمتعون بالشواء مثلهم مثل السود؛ لكنهم لم يعرفوا كيفية تحضير الأطباق المشوية.

وجد جايك وأتكافيدج طاولة صغيرة بالقرب من المطبخ، وقدّم لهما كلود بنفسه طبقين من الأضلاع وسلطة كولسلو، وانحنى نحو جايك وقال بهدوء: "حظًا سعيدًا، آمل أن تفوز بالقضية".

قال جايك: "شكرًا كلود. أتمنى لو أنك عضو في هيئة المحلفين".

ضحك كلود وقال بصوت أعلى: "هل يمكنني التطوع؟".

التهم جايك الأضلاع، وكان المصرفي متمسكًا بقراره، لكنه عرض تقديم قرض بقيمة خمسة آلاف، إذا وافق جايك على التوقيع.

أوضح جايك أن ذلك سيكون غير أخلاقي.

كان كلود في كل مكان، يتلقى الطلبات، ويصدر الأوامر، ويطبخ، ويحصي الأموال، ويصرخ، ويُقسم، ويرحب بالزبائن، ويطرد آخرين. في يوم الجمعة، خصص للزبائن عشرين دقيقة بعد تقديم الطعام، ثمّ كان يطلب منهم أحيانًا الدفع والمغادرة، كي يتمكن من بيع المزيد من الأطباق لزبائن جدد.

كان يصرخ: "توقف عن الكلام، وتناول الطعام".

فيجيبه زبون: "لديّ عشر دقائق أخرى يا كلود".

فيقول كلود: "لديك سبع دقائق".

يوم الأربعاء كان يقلي سمك السلور، ويعطي الزبائن ثلاثين دقيقة بسبب الحسك في الأسماك.

تجنب البيض كلود يوم الأربعاء، وكان يَعرف السبب؛ كان الطبق غنيًا بالدهون، وقال إنّها وصفة سرية ورثها عن جدته، كانت ثقيلة ولزجة، وتسبب الأضرار في الأمعاء السفلية للبيض، إلّا أنّها لم تُزعج السود الذين كانوا يتزاحمون أمام المقهى في هذا اليوم من الأسبوع.

جلس غريبان بالقرب ماكينة الصرافة، وراقبا كلود بخوف وهو يوجّه الأوامر وقت الغداء. رجّح جايك أن يكونا صحفيين. في كل مرة كان كلود يلتفت وينظر إليهما، كان كلٌّ منهما يلتقط ضلعًا ويأكلانهما، فهما لم يتذوقا الأضلاع من قبل، وكان واضحًا للجميع إنّهما من الشمال، فقد طلبا سلطات الطهاة، لكن كلود شتمهما، وطلب منهما إما تناول الأطباق المشوية أو المغادرة.

ثم صاح للزبائن أن هذين الأحمقين يريدان سلطات الطهاة.

قال عندما قدم لهما الأطباق: "هذا طعامكما. أسرعا بتناوله".

عندها سأله أحدهم: "ألا يوجد سكاكين للحم؟".

أدار كلود عينيه وابتعد وهو يغمغم.

لاحظ أحدهم جايك، وبعد التحديق لبضع دقائق، مشى نحوه وقال: "ألست جايك بريغانس، محامي السيد هيلي؟".

أجاب جايك: "نعم أنا هو. من أنت؟".

أجابه الرجل: "أنا روجر ماكيتريك، من صحيفة نيويورك تايمز".

ابتسم جايك وقال بنبرة مختلفة: "تشرفت بلقائك".

قال ماكيتريك: "أنا أغطي قضية هيلي، وأود التحدث إليك في وقتٍ ما. في أقرب وقت ممكن، حقًا".

قال جايك: "بالتأكيد. أنا لست مشغولًا جدًا هذا المساء. إنّه يوم الجمعة".

قال ماكيتريك: "يمكنني أن أقابلك في وقت متأخر".

قال جايك: "ماذا عن الساعة الرابعة؟".

قال ماكيتريك: "حسنًا"، ثمّ لمح اقتراب كلود منهما، وقال: "سأراك عند الساعة الرابعة".

قال جايك: "حسنًا يا صديقي".

صرخ كلود في ماكيتريك قائلًا: "انتهى وقتك، ادفع وغادر".

انتهى جايك وأتكافيدج في غضون خمس عشرة دقيقة، وانتظرا الهجوم اللفظي من كلود. ولعقا أصابعهما ومسحا وجهيهما، وتحدثا عن مذاق الأضلاع الهشة.

سأله أتكافيدج: "هذه القضية ستجعلك مشهورًا، أليس كذلك؟".

أجابه جايك: "آمل ذلك، من الواضح أنني لن أجني أي أموال".

قال أتكافيدج: "حقًا يا جايك، ألن تساعد هذه القضية في مسيرتك المهنية؟".

قال جايك: "إذا فزت، سيكون لديّ أكبر عدد ممكن من الموكلين. بالتأكيد ستساعدني؛ سأتمكن من اختيار قضاياي، وانتقاء موكليّ".

قال أتكافيدج: "ماليًا، ماذا يعني ذلك؟".

قال جايك: "ليس لديّ فكرة. ما من طريقة للتوقع بما قد يأتيني؛ سيكون لدي المزيد من الحالات للاختيار من بينها، وهذا يعني المزيد من المال، وسأتوقف عن القلق بشأن النفقات العامة".

قال أتكافيدج: "بالتأكيد لن تقلق بشأن النفقات العامة".

قال جايك: "انظر يا ستان، لسنا جميعًا فاحشي الثراء. شهادة في القانون لا تساوي ما كانت عليه من قبل؛ للكثير منا. هناك أربعة عشر محامٍ في هذه المدينة الصغيرة. المنافسة صعبة،

حتى في كلانتون، إذ ليس هناك قضايا جيدة كافية والعديد من المحامين. الوضع أسوأ في المدن الكبيرة، فأعداد المتخرجين من كليات الحقوق يزداد أكثر فأكثر، والكثير منهم لا يستطيعون العثور على وظائف. في كل سنة يطرق بابي عشرة منهم بحثًا عن عمل. قامت شركة كبيرة في ممفيس بتسريح بعض المحامين قبل بضعة أشهر. هل تتخيل هذا؟ قامت بتسريحهم، تمامًا كأنهم عمال مصنع. أظن أنّهم ذهبوا إلى مكتب البطالة ووقفوا في الصف مع عمال الجرارات. محامو الآن، ليسوا موظفي سكرتارية أو سائقي شاحنات، بل هم محامون".

قال أتكافيدج: "آسف لأنني سألت".

قال جايك: "بالتأكيد أنا قلق بشأن النفقات العامة، تكلفني أربعة آلاف في الشهر، وأنا أعمل وحدي. هذا يعني خمسين ألفًا في السنة؛ فبعض الأشهر جيدة وبعضها الآخر لا؛ لا يمكن توقعها. لن أجرؤ على تقدير ما سأجنيه الشهر المقبل، ولهذا السبب هذه القضية مهمة للغاية، لن تكون هناك قضية أخرى مماثلة، إنّها الأكبر. سأمارس مهنتي لبقية حياتي ولن أدع مراسلًا آخر من نيويورك تايمز يوقفني في مقهى ويسألني عن مقابلة. إذا فزت، فسأكون أفضل محامٍ في هذا القسم من الولاية، وعندها يمكنني أن أنسى النفقات العامة".

سأل أتكافيدج: "وإذا خسرت؟".

سكت جايك قليلًا، ونظر إلى كلود، ثم قال: "الدعاية ستكون جيدة، بغض النظر عن النتيجة؛ الفوز أو الخسارة، فالقضية ستساعدني في مهنتي، لكن الخسارة ستؤذي حقًا. كل محامٍ في المقاطعة يأمل سرًا أن أخسر، يريدون إدانة كارل لي، فهم يشعرون بالغيرة خائفين من أن أصبح كبيرًا جدًا، وأسلبهم زبائنهم؛ المحامون غيورون للغاية".

قال أتكافيدج: "وهل أنت مثلهم؟".

قال جايك: "بالتأكيد. خذ شركة سوليفان على سبيل المثال. أنا أحتقر كل محام في تلك الشركة، لكنّني أشعر بالغيرة إلى حد ما. أتمنى لو كان لديّ بعض موكليهم، وبعض خدمهم، والبعض من أمنهم. هم يعلمون أنّهم سيحصلون على شيك لطيف نهاية كل شهر، وذلك مضمون تقريبًا، وسيحصلون كل عيد ميلاد على مكافأة كبيرة. إنّهم يمثلون المال الموروث، والمال الدائم؛ وسيكون ذلك ممتعًا كتغيير. أما أنا، فأمثل السكارى، والبلطجية، والمصابين، والرجال الذين يضربون زوجاتهم، والنساء اللواتي يضربن أزواجهن، ومعظمهم يملكون القليل من المال أو لا يملكونه أبدًا، ولا أعرف أبدًا كم منهم سيطرق باب مكتبي كل شهر".

قاطعه أتكافيدج: "انظر يا جايك، أود حقًا متابعة هذا النقاش، لكن كلود نظر إلى ساعته ثمّ نظر إلينا، أعتقد أن العشرين دقيقة قد انتهت".

كانت فاتورة جايك أكثر من فاتورة أتكافيدج بـ71 سنتًا، مع أن كليهما طلبا ذات الطبق، وعندما سأل كلود، أجابه من دون حرج أنه حصل على ضلع إضافي.

كان ماكيتريك أنيقًا، ودقيقًا، ومندفعًا. كان قد وصل إلى كلانتون يوم الأربعاء للتحقيق والكتابة بشأن ما وُصف بأنه أشهر جريمة قتل في البلاد، في الوقت الحالي. لقد تحدث إلى أوزي وموس جونيور، واقترحا عليه التحدث إلى جايك، وتحدث إلى بولارد، عبر الباب، واقترح عليه القاضي التحدث إلى جايك، كما أجرى مقابلة مع غوين وليستر، لكن لم يُسمح له بمقابلة الفتاة. جلس مع الزبائن المعتادين في مقهى كلود، وهيوي وآن، وتي شوب، وتحدث إلى طليقة ويلارد وأمه، أما السيدة كوب فرفضت التحدث إلى المراسلين، وطلب أحد أخوي كوب نقودًا مقابل حديثه، فرفض ماكيتريك.

قاد سيارته إلى مصنع الورق، وتحدث إلى زملاء كارل لي، وتوجه إلى سميثفيلد لإجراء مقابلة مع محامي المقاطعة؛ سيكون في المدينة لبضعة أيام أخرى، ثمّ سيعود عند المحاكمة.

إنه من تكساس، واحتفظ بلكنتها، مما أثار إعجاب السكان المحليين به، حتى إنّه كان يقول: "أنتم جميعًا" بلهجة السود من حين إلى آخر، وهذا ما ميزه عن معظم المراسلين الآخرين الذين تشبثوا بنطقهم الأمريكي الحديث الدقيق والنقي.

أشار ماكيتريك إلى وسط مكتب جايك سائلًا: "ما هذا؟".

أجاب جايك: "جهاز تسجيل".

جلس ماكيتريك، ووضع جهاز التسجيل الخاص به على المنضدة وقال: "هل لي بالسؤال لماذا؟".

قال جايك: "بالطبع يمكنك. إنّه مكتبي، ومقابلتي، وإذا أردت تسجيلها، فسأفعل".

سأل ماكيتريك: "هل تتوقع حدوث مشاكل؟".

أجاب جايك: "أحاول منع ذلك، فأنا أكره أن يحدث خطأ في الاقتباس".

سأل ماكيتريك: "أنا لست معروفًا بأخطائي في الاقتباس".

أجاب جايك: "جيد. إذًا، لن تمانع إذا كان كلانا نسجل كل شيء".

سأل ماكيتريك: "أنت لا تثق بي، أليس كذلك يا سيد بريغانس؟".

أجاب جايك: "قطعًا لا. واسمي جايك".

سأل ماكيتريك: "لماذا لا تثق بي؟".

أجاب جايك: "لأنك مراسل صحفي، أنت من صحيفة نيويورك، وتبحث عن قصة مثيرة، وإذا كنت كما أتوقع، فستكتب قصة بمعلومات جيدة وأخلاقية تصورنا جميعًا على أننا جهلاء وعنصريون".

قال ماكيتريك: "أنت مخطئ. أولًا، أنا من تكساس".

قال جايك: "لكنك تكتب في صحيفة نيويورك".

قال ماكيتريك: "لكنّني أعتبر نفسي جنوبيًا".

قال جايك: "منذ متى غادرت؟".

قال ماكيتريك: "منذ حوالى عشرين عامًا".

ابتسم جايك وهز رأسه، وكأنه يقول: هذا وقت طويل جدًا.

قال ماكيتريك: "وأنا لا أعمل في صحيفة متحيّزة".

قال جايك: "سنرى، المحاكمة بعد عدة أشهر، ولذلك سيكون لدينا الوقت لقراءة قصصك".

قال ماكيتريك: "هذا يبدو منصفًا".

ضغط جايك زر تشغيل جهاز التسجيل، وفعل ماكيتريك الشيء نفسه.

سأله ماكيتريك: "هل يمكن أن يحصل كارل لي هيلي على محاكمة عادلة في مقاطعة فورد؟".

قال جايك: "لمَ لا؟".

قال ماكيتريك: "حسنًا، إنّه أسود، وقتل رجلين أبيضين، وسيحاكم أمام هيئة محلفين من البيض".

قال جايك: "تقصد أنّه سيحاكم من قبل مجموعة من العنصريين البيض".

قال ماكيتريك: "لا، لم أقل ذلك، ولم أقصد ذلك. لماذا افترضت تلقائيًا أنني أظنكم جميعًا عنصريين؟".

قال جايك: "لأنك كذلك. نحن نمطيون، وأنت تعرف ذلك".

هز ماكيتريك كتفيه، وكتب شيئًا على دفتره، ثم قال: "هل ستجيب عن السؤال؟".

قال جايك: "نعم. سيحصل على محاكمة عادلة في مقاطعة فورد، إذا حوكم هنا".

قال ماكيتريك: "هل تريد أن يُحاكم هنا؟".

قال جايك: "أنا متأكد من أننا سنحاول تغيير المكان".

قال ماكيتريك: "إلى أين؟".

قال جايك: "لن نقترح مكانًا، الأمر متروك للقاضي".

قال ماكيتريك: "من أين حصل على بندقية أم-16؟".

ضحك جايك محدّقًا بالمسجل ثم قال: "لا أعلم".

قال ماكيتريك: "هل كان سيتم توجيه الاتهام إليه لو أنّه أبيض؟".

قال جايك: "إنه أسود، ولم يتم توجيه الاتهام إليه".

قال ماكيتريك: "ولكن لو كان أبيض، فهل ستكون هناك لائحة اتهام؟".

قال جايك: "برأيي نعم".

سأله ماكيتريك: "هل يُدان؟".

سأله جايك: "هل تحب السيجار؟"، فتح جايك درج المكتب ووجد سجائر روي تان. قام بفتحها، ثمّ أشعلها بولاعة غاز البوتان.

أجاب ماكيتريك: "لا شكرًا".

قال جايك: "برأيي لا، إن كان أبيض فلن يدان. ليس في مسيسيبي، ولا في تكساس، ولا في وايومنغ. لست متأكدًا بشأن نيويورك".

سأله ماكيتريك: "لِمَ لا؟".

سأله جايك: "هل لديك ابنة؟".

أجاب ماكيتريك: "كلا".

قال جايك: "حسنًا، فلن تفهم".

قال ماكيتريك: "أعتقد أنني أفهم. هل سيُدان السيد هيلي؟".

قال جايك: "ربما".

قال ماكيتريك: "حسنًا، ألا ينصف النظام السود؟".

سأله جايك: "هل تحدثت مع ريموند هيوز؟".

قال ماكيتريك: "كلا، من هذا؟".

قال جايك: "لقد ترشح لمنصب المأمور آخر مرة، وكان من سوء حظه أنّه ترشح مقابل أوزي وولز. إنّه أبيض، وأوزي، بالطبع، ليس كذلك. وإن لم أكن مخطئًا، فقد حصل على واحد وثلاثين بالمئة من الأصوات في مقاطعة تبلغ نسبة البيض فيها 74 بالمئة. لماذا لا تسأل السيد هيوز إذا كان النظام يعامل السود بإنصاف؟".

قال ماكيتريك: "أقصد النظام القضائي".

قال جايك: "إنه النظام نفسه. مَن برأيك يجلس في مقصورة هيئة المحلفين؟ الناخبون أنفسهم المسجلون الذين انتخبوا أوزي وولز".

قال ماكيتريك: "حسنًا، إذا لم تتم إدانة رجل أبيض، ومن المحتمل أن تتم إدانة السيد هيلي، اشرح لي كيف يعامل النظام كليهما بإنصاف".

قال جايك: "ليس كذلك".

قال ماكيتريك: "لست متأكدًا من أنني أفهمك".

قال جايك: "النظام صورة عن المجتمع؛ ليس عادلًا دائمًا، ولكنه عادل بقدر النظام المعمول به في نيويورك أو ماساتشوستس أو كاليفورنيا. إنّه عادل بقدر ما هو متحيز، يمكن للبشر العاطفيين أن ينجحوا في هذا".

قال ماكيتريك: "وهل تعتقد أن السيد هيلي سيُعامَل هنا بشكل عادل كما لو كان في نيويورك؟".

قال جايك: "أنا أقول إنّه يوجد قدر كبير من العنصرية في نيويورك كما في ميسيسبي. انظر إلى مدارسنا العامة، فهي غير عنصرية مثل أي مدارس أخرى".

قال ماكيتريك: "بأمر من المحكمة".

قال جايك: "بالتأكيد، ولكن ماذا عن المحاكم في نيويورك. لسنوات، ظللتم أنتم الأوغاد تشيرون إلينا بأصابعكم وتطالبوننا بإلغاء التمييز العنصري؛ لقد حدث، ولم تكن نهاية العالم، لكنكم تجاهلتم بشكل واضح مدارسكم وأحياءكم، ومخالفاتكم في التصويت، ولجان المحلفين ومجالس المدينة المكونة من البيض بالكامل. لقد أخطأنا ودفعنا ثمنًا باهظًا مقابل ذلك، لكننا تعلمنا، وعلى الرغم من أن التغيير كان بطيئًا ومؤلمًا، فإننا على الأقل نحاول؛ وأنتم ما زلتم تشيرون بأصابع الاتهام".

قال ماكيتريك: "لم أنوِ إعادة ذكرى غيتيسبيرغ".

قال جايك: "أنا آسف. ما الدفاع الذي سنستخدمه؟ أنا لا أعرف في هذه المرحلة. بصراحة، ما زال الوقت مبكرًا جدًا، إذ لم يتم حتى توجيه الاتهام إليه".

قال ماكيتريك: "بالطبع سيتم توجيه الاتهام إليه؟".

قال جايك: "بالطبع نحن لا نعرف حتى الآن، ربما سيحاكم. متى ستنشر هذه المقابلة؟".

قال ماكيتريك: "ربما يوم الأحد".

قال جايك: "لا فرق. لا أحد هنا يقرأ كلامك. نعم، سيتم توجيه الاتهام إليه".

نظر ماكيتريك إلى ساعته، وأوقف جايك مسجلته.

قال ماكيتريك: "انظر، أنا لست رجلًا سيئًا. دعنا نشرب البيرة في وقت ما وننهي هذا اللقاء".

قال جايك: "بدايةً، أنا لا أشرب، لكنني أقبل دعوتك".

كانت الكنيسة المشيخية الأولى تقابل الكنيسة الميثودية المتحدة الأولى في كلانتون، وكلتاهما على مرمى البصر من الكنيسة المعمدانية الأولى الأكبر. كان لدى المعمدانيين أعضاء ومال أكثر، لكن أعضاء الكنيسة المشيخية والميثودية يعقدون اجتماعاتهم مبكرًا يوم الأحد، ويسابقون المعمدانيين إلى المطاعم لتناول غداء يوم الأحد. كان المعمدانيون يصلون عند الساعة الثانية عشرة والنصف ويقفون في طابور، بينما كان المشيخيون والميثوديون يأكلون ببطء ويلوحون لهم.

كان جايك راضيًا عن عدم كونه معمدانيًّا؛ لقد كان المعمدانيون محدودين للغاية وصارمين، وكانوا يتحدثون دائمًا عن كنيسة يوم الأحد، وهي إحدى الطقوس التي عانى منها جايك دائمًا. نشأت كارلا معمدانية، وجايك ميثوديًّا، وخلال فترة الخطوبة تم التفاوض على حل وسط، وأصبحا مشيخيَّين.

كانا سعيدين بكنيستهما وأنشطتها ونادرًا ما يفوتانها.

يوم الأحد، جلسا على مقعدهما المعتاد، ونامت هانا بينهما، وتجاهلا العظة؛ حيث تخيل جايك أن الواعظ يواجه باكلي في المحكمة، أمام اثني عشر مواطنًا صالحًا، بينما كانت الأمة تراقب وتنتظر، وتظاهرت كارلا بأنها تنظر إلى الواعظ بينما كانت تعيد تصميم غرفة الطعام في مخيلتها. لقد لاحظ جايك بعض النظرات الفضولية أثناء القداس، واعتقد أن زملاءه أعضاء الكنيسة كانوا مرعوبين إلى حد ما من أن يكون بينهم أحد المشاهير. كانت هناك بعض الوجوه الغريبة بين

المصلين، وكانوا إما أعضاء تائبين أو مراسلين؛ لم يكن جايك متأكدًا من ذلك، حتى حدق به أحدهم بإصرار، ثمّ عرف أنّهم جميعًا مراسلون.

كذب جايك وهو يصافح القس على الدرج خارج الحرم وقال: "لقد استمتعت بعظتك أيها القس".

أجابه القس: "سررت برؤيتك يا جايك. لقد شاهدناك طوال الأسبوع على شاشة التلفاز. يتحمس أولادي في كل مرة يرونك فيها".

قال جايك: "شكرًا، فقط صلوا من أجلنا".

توجهوا إلى كراواي لتناول طعام يوم الأحد مع والدي جايك؛ عاش جين وإيفا بريغانس في منزل العائلة القديم، وهو منزل ريفي يقع على خمسة فدادين من الأراضي الحرجية في وسط مدينة كراواي، على بعد ثلاثة مبانٍ من الشارع الرئيسي وعلى بعد مبنيين من المدرسة التي درس فيها جايك وشقيقته اثني عشر عامًا. كان والدا جاك متقاعدين، لكنهما بعمر يسمح لهما بالسفر عبر القارة إلى منزل متنقل كل صيف؛ وسوف يغادران يوم الاثنين إلى كندا ويعودان بعد عيد العمال. كان جايك ابنهما الوحيد، وعاشت الابنة الكبرى في نيو أورلينز.

كان غداء يوم الأحد على طاولة إيفا، وليمة جنوبية نموذجية من اللحوم المقلية وخضروات الحديقة الطازجة المسلوقة والمقلية، والبسكويت واللفائف محلية الصنع، والحساء، والبطيخ، والشمام، والخوخ، وفطيرة الليمون، وكعكة الفراولة. سيتناولون القليل منها، وستقوم إيفا وكارلا بتعبئة بقايا الطعام بعناية وإرسالها إلى كلانتون، حيث ستكفيهم لمدة أسبوع.

سأل السيد بريغانس وهو يمرر طبق الطعام: "كيف حال والديكِ يا كارلا؟".

أجابته كارلا: "بخير، لقد تحدثت إلى والدتي بالأمس".

سأل السيد بريغانس: "هل هم في نوكسفيل؟".

أجابت كارلا: "لا يا سيدي، إنّهما في ويلمنغتون حيث أمضيا طوال هذا الصيف هناك".

سألت إيفا وهي تسكب الشاي من الإبريق الكبير: "هل ستذهبون لزيارتهما؟".

نظرت كارلا إلى جايك الذي كان يسكب الفاصولياء في طبق هانا؛ لم يكن يريد مناقشة قضية كارل لي هيلي؛ فقد كانت الحديث الدائم في كل وجبة منذ ليلة الاثنين، ولم يكن جايك في مزاج جيد للإجابة على الأسئلة نفسها.

أجابت كارلا: "نعم، سيدتي. نخطط لذلك، وهذا يعتمد على جدول جايك. قد يكون صيفًا مزدحمًا".

قالت إيفا بشكل قاطع وببطء كما لو أنّها تذكر ابنها أنّه لم يتصل بهما منذ أن حدثت جريمة القتل: "حسنًا، لقد سمعنا بالأمر".

سأل السيد بريغانس: "هل هناك مشكلة في هاتفك يا بني؟".

قال جايك: "نعم، لقد تغير الرقم".

أكل الكبار الأربعة ببطء، وبخوف، بينما نظرت هانا إلى الكعكة الصغيرة.

فال السيد بريغانس: "نعم أعرف، قال لنا عامل التشغيل أن الرقم غير مُسجل".

"آسف، لقد كنت مشغولًا جدًا. لقد كان وقتًا عصيبًا".

قال والده: "حسنًا، قرأنا عن ذلك".

توقفت إيفا عن الأكل وقالت: "جايك، هل تعتقد حقًا أنّه يمكنك تبرئته؟".

قال والده: "أنا قلقٌ على عائلتك؛ يمكن أن تكون قضية خطيرة للغاية".

قالت إيفا: "لقد أطلق عليهما الرصاص بدمٍ باردٍ".

قال جايك: "لقد اغتصبا ابنته يا أمي. ماذا ستفعلين لو اغتصب أحدهم هانا؟".

سألت هانا: "ما هو الاغتصاب؟".

قالت كارلا: "لا تهتمي يا عزيزي. هل يمكننا تغيير الموضوع من فضلكم؟"، ونظرت بحزم إلى الثلاثة، ثمّ عادوا إلى تناول الطعام مرة أخرى. وقد تحدثت الكنة بحكمة كالعادة.

ابتسم جايك لوالدته دون أن ينظر إلى والده وقال: "أنا فقط لا أريد أن أتحدث عن القضية يا أمي. لقد تعبت".

قال السيد بريغانس: "أعتقد أنّه سيتعين علينا أن نقرأ عنها".

ثم تحدثوا عن كندا.

في الوقت الذي أنهت فيه عائلة بريغانس طعام الغداء تقريبًا، اهتز مزار كنيسة جبل صهيون المسيحية الميثودية الأسقفية، بينما قام القس أولي آغي بجلد المصلين بجنون مجيد، ورقص الشمامسة.

هتف الكبار، وأغمي على النساء، وصرخ الرجال ورفعوا أذرعهم نحو السماء بينما نظر الأطفال الصغار إلى الأعلى في خوفٍ مقدس. ترنح أعضاء الجوقة واندفعوا، ثمّ انهاروا وصرخوا بمقاطع مختلفة من الأغنية نفسها. عزفت عازفة الأرغن أغنية، وعازف البيانو أغنية أخرى، وغنت الجوقة. تنقل القس حول المنبر بردائه الأبيض الطويل ذي الزخارف الأرجوانية، وصلى، وصرخ مستغيثًا بالله، وتصبب عرقًا.

بدأ الجنون يزداد مع كل إغماء جديد، وينخفض بسبب الجهد. من خلال سنوات الخبرة، عرف القس آغي بدقة متى يبلغ الغضب ذروته؛ عندما يفسح الهذيان الطريق للتعب، وعندما تحتاج المجموعة إلى استراحة؛ في تلك اللحظة بالذات، يندفع إلى المنبر ويصفعه بقوة الله القدير. على الفور توقفت الموسيقى، وتوقفت التشنجات، واستيقظ الضعفاء، وتوقف الأطفال عن البكاء، واستقر الجموع بخضوع على المقاعد؛ لقد حان وقت العظة.

عندما كان القس على وشك التبشير، فُتحت الأبواب الخلفية ودخل آل هيلي الحرم.

سارت تونيا الصغيرة بمفردها وهي تعرج ممسكة بيد أمها، وسار إخوتها خلفها، وتبعها العم ليستر؛ ساروا ببطء في الممر، ووجدوا مقعدًا بالقرب من المقدمة. أومأ القس برأسه لعازفة الأرغن، التي بدأت العزف بهدوء، ثمّ بدأت الجوقة في الهمهمة والتمايل، ووقف الشمامسة وتمايلوا مع الجوقة، حتى الكبار وقفوا وبدأوا يهتفون، ثمّ من بين كل شيء، أغمي على الأخت كريستال؛ كان إغماؤها معديًا، وبدأت الأخوات الأخريات يسقطن مثل الذباب.

هتف الكبار بصوت أعلى من صوت الجوقة، فتحمست الجوقة، وطغت أصواتهم على صوت عازفة الأرغن، فرفعت الصوت. انضم عازف البيانو بترنيمة معاكسة لترنيمة عازفة الأرغن، فتراجعت الأخيرة، ونزل القس آغي عن المنصة، ورقص في طريقه نحو آل هيلي.

تبعه الجميع: الجوقة، والشمامسة، والكبار، والنساء، والأطفال الباكون لتحية فتاة آل هيلي الصغيرة.

لم ينزعج كارل لي من السجن؛ كان المنزل أكثر متعة، لكن في ظل هذه الظروف، وجد حياة السجن مقبولة. كان سجنًا جديدًا، شيّد بأموال فدرالية، بموجب ولاية قضائية تتعلق بحقوق السجناء. تم طهي الطعام من قبل امرأتين سوداوين ضخمتين تعرفان كيفية الطهي وكتابة شيكات بدون رصيد؛ كانتا مؤهلتين للإفراج المبكر عنهما، لكن أوزي لم يكلف نفسه عناء إخبارهما.

تم تقديم الطعام لأربعين سجينًا، من قبل الأوصياء. كان هناك ثلاثة عشر سجينًا ينتمون إلى سجن بارشمان، لكنه كان ممتلئًا. لذلك انتظروا، ولم يعرفوا أبدًا ما إذا كان اليوم التالي سيكون يوم رحلتهم المخيفة إلى مزرعة سجون دلتا المغلقة مترامية الأطراف حيث لم يكن الطعام جيدًا، ولا الأسرّة ناعمة، ولا مكيف الهواء موجودًا، وكان البعوض كثيرًا وخبيثًا، وكانت المراحيض قليلة ومسدودة.

كانت زنزانة كارل لي بجوار الزنزانة الثانية، حيث كان سجناء الدولة ينتظرون، مع استثناءين؛ رجلين أسودين، وجميعهم دون استثناء، كانوا عنيفين، لكنهم جميعًا كانوا خائفين من كارل لي.

تشارك كارل لي الزنزانة الأولى مع اثنين من سارقي المتاجر الذين لم يكونا خائفَين فحسب، بل كانا مرعوبَين تمامًا من زميلهما الشهير في الزنزانة. في كل مساء يتم اصطحابه إلى مكتب أوزي، حيث يتناول العشاء مع المأمور ويشاهدان الأخبار. كان من المشاهير، وكان يحب ذلك بقدر ما أحب ذلك محاميه ومحامي المقاطعة. أراد أن يشرح الأمور للصحفيين، ويخبرهم عن ابنته ولماذا يجب ألّا يكون في السجن، لكن محاميه رفض.

بعد أن غادر ليستر وغوين في وقت متأخر من بعد ظهر يوم الأحد، تسلل أوزي، وموس جونيور، وكارل لي، من مؤخرة السجن، وذهبوا إلى المستشفى. كانت فكرة كارل لي، ولم ير أوزي أي ضرر. كان لوني وحده في غرفة خاصة عندما دخل الثلاثة. ألقى كارل لي نظرة واحدة على ساقه، ثمّ حدق إلى لوني، وتصافحا. قال كارل لي بعينين دامعتين وصوت مكسور إنه آسف، وإنه لم يكن ينوي إيذاء أي شخص سوى الرجلين الأبيضين، وإنه يتمنى ويصلي لو كان بإمكانه التراجع عما فعله بلوني.

ودون تردد، قبل لوني الاعتذار.

كان جايك ينتظر في مكتب أوزي عندما تسللوا عائدين إلى السجن، فاعتذر أوزي وموس جونيور، وغادرا تاركَين المتهم مع محاميه.

سأله جايك بريبة: "أين كنتم جميعًا؟".

أجاب كارل لي: "ذهبت إلى المستشفى لرؤية لوني".

قال جايك: "ماذا؟".

قال كارل لي: "لا خطب في هذا، أليس كذلك؟".

قال جايك: "أتمنى أن تخبرني قبل القيام بأي زيارات أخرى".

سأل كارل لي: "ما الخطأ في رؤية لوني؟".

أجاب جايك: "سيكون لوني شاهد الولاية الأكبر عندما يحاولون إرسالك إلى غرفة الغاز، هذا كل شيء. إنّه ليس في صفنا يا كارل لي، وأي حديث تجريه مع لوني يجب أن يكون بحضور محاميك. أتفهم؟".

قال كارل لي: "ليس صحيحًا".

تمتم جايك: "لا أستطيع أن أصدق أن أوزي فعل ذلك".

اعترف كارل لي: "لقد كانت فكرتي".

قال جايك: "حسنًا، إذا كان لديك المزيد من الأفكار، أرجوك أبلغني بها. حسنًا؟".

قال كارل لي: "حسنًا".

قال جايك: "هل تحدثت إلى ليستر مؤخرًا؟".

قال كارل لي: "نعم، جاء مع غوين اليوم. جلب لي الأخبار الجيدة، أخبرني عن المصارف".

خطط جايك للمساومة بحزم بشأن أتعابه؛ لا يمكنه تمثيل كارل لي مقابل تسعمئة دولار، إذ ستستهلك القضية ممارسته للأشهر الثلاثة القادمة على الأقل، وستكون التسعمئة دولار أقل من الحد الأدنى للأجور، ولن يكون عادلًا له أو لعائلته العمل بدون مقابل. كان على كارل لي ببساطة أن يجمع الأموال، لديه الكثير من الأقارب، ولدى غوين عائلة كبيرة، سيكون عليهم فقط التضحية، ربما بيع بعض السيارات، وربما بعض الأراضي، لكن جايك سيحصل على أجره. وإن لم يكن الأمر كذلك، فقد يتوجب على كارل لي إيجاد محامٍ آخر.

عرض كارل لي: "سأقدم لك سند ملكية منزلي".

قال جايك: "أنا لا أريد منزلك يا كارل لي. أريد مالًا".

قال كارل لي: "قل لي كيف، وسأفعل ما تقوله. أنت المحامي، وستجد طريقة. أنا معك".

قال جايك: "لا يمكنني القيام بذلك مقابل تسعمئة دولار يا كارل لي. لا يمكنني ترك هذه القضية تفلسني. أنا محامٍ، ومن المفترض أن أكسب المال".

قال كارل لي: "جايك، سأدفع لك المال. أعدك، قد يستغرق الأمر وقتًا طويلًا، لكنّني سأدفع لك، ثق بي".

قال جايك في نفسه: ليس وأنت في طابور الإعدام.

غيّر الموضوع وقال: "أنت تعلم أن هيئة المحلفين الكبرى ستجتمع غدًا، وستتولى قضيتك".

قال كارل لي: "حسنًا، سأذهب إلى المحكمة؟".

قال جايك: "كلا، هذا يعني أنّه سيتم توجيه الاتهام إليك غدًا. ستكون قاعة المحكمة مليئة بالناس والصحفيين، وسيكون القاضي نووز هنا ليفتتح فترة ولاية محكمة أيار. سيركض باكلي، ويطارد الكاميرات، ويثير المتاعب؛ إنّه يوم عظيم. وسيعقد نووز محاكمة سطو مسلح في فترة ما بعد الظهر؛ إذا تم توجيه الاتهام إليك غدًا، فسنكون أمام المحكمة الأربعاء أو الخميس من أجل توجيه الاتهام".

قال كارل لي: "ماذا؟".

قال جايك: "الاتهام، في قضية القتل العمد، يفرض القانون على القاضي قراءة لائحة الاتهام عليك في جلسة علنية أمام الله والجميع، فسوف يجعلون منها صفقة كبيرة. سندخل في قضية بالبراءة، وسيحدد نووز موعد المحاكمة. سنطلب كفالة معقولة، وسيرفض، وعندما أذكر الكفالة، سيصرخ باكلي، وسيعمل جاهدًا كي لا يحدث أي شيء لصالحنا. كلما فكرت فيه أكثر كلما كرهته، سيكون مصدر إزعاجٍ كبير".

سأل كارل لي: "لماذا لن أحصل على كفالة؟".

أجاب جايك: "بالنسبة إلى جريمة القتل العمد، القاضي غير ملزم أن يعطينا كفالة. يمكنه إذا أراد ذلك، لكن الغالبية لا تفعل ذلك. حتى لو وضع نووز كفالة، فلن تتمكن من دفعها، لذلك لا تقلق بشأنه، فأنت ستكون في السجن حتى المحاكمة".

قال كارل لي: "لقد فقدت وظيفتي، أتعلم؟".

سأل جايك: "متى؟".

أجاب كارل لي: "قادت غوين سيارتها يوم الجمعة لتأخذ راتبي. رائع، أليس كذلك؟ عملت هناك أحد عشر عامًا، وتغيبت عن العمل لخمسة أيام فقط، فطردوني. أعتقد أنّهم يظنون أنني لن أعود".

قال كارل لي: "أنا آسف لسماع ذلك يا كارل لي. حقًا أنا آسف".

12

لم يكن عُمر نووز قاضي محكمة الدائرة قاضيًا نزيهًا على الدوام في الماضي، فقبل أن يصبح قاضيًا في محكمة الدائرة الثانية والعشرين كان محاميًا بموهبة تكاد تكون معدومة، وكان لديه عدد قليل من الموكلين، ولكنه كان رجلًا سياسيًا بمهارات عظيمة. خمس دورات فقط في الهيئة التشريعية في مسيسيبي أفسدته، وعلمته فن الخداع والتلاعب السياسي، ونجح عضو مجلس الشيوخ نووز ببراعة بأن يكون رئيسًا للّجنة المالية لمجلس الشيوخ، وقد شكك أناسٌ قلة في مقاطعة فان بورين في كيفية عيش عائلته عيشة الأثرياء براتبه في الهيئة التشريعية الذي لا يتعدى السبعة آلاف دولار في السنة.

لقد أعاد ترشيح نفسه أكثر من اللازم مثله مثل معظم أعضاء الهيئة التشريعية في مسيسيبي، وتم إذلاله في صيف عام 1971 من قبل منافس مجهول الهوية. وبعد سنة توفي القاضي لوبيس الذي كان سلفه في منصب قاضي المحكمة، وأقنع نووز أصدقاءه في الهيئة التشريعية أن يُقنعوا الحاكم بتعيينه ليملأ الشاغر في المدة المتبقية، وهكذا أصبح نووز عضو مجلس الشيوخ السابق في الولاية قاضيًا لمحكمة الدائرة؛ انتخب عام 1975، وأُعيد انتخابه عام 1979 و1983.

أقدم القاضي نووز على دراسة القانون بعد تهذيبه وتأديبه من انحداره السريع من السلطة، وبعد بداية مهزوزة تعلق بالعمل؛ إنه يتقاضى ستين ألفًا في السنة ليكون نزيهًا، والآن، وبعمر الثالثة والستين أصبح قاضيًا مسنًا حكيمًا، حاصدًا احترامًا كبيرًا مكنونًا في قلب معظم المحامين ومحكمة الولاية العليا التي نادرًا ما كانت تنقض قراراته وأحكامه. لقد كان هادئًا، وساحرًا، صبورًا وحازمًا، وكان ذا أنف طويل جدًا ومدبب جدًا وقد صلح لأن يكون عرشًا لنظارة القراءة مثمنة الأضلاع سوداء الحواف الخاصة به والتي وضعها بشكل دائم، ولكنه لم يستعملها أبدًا. جسده الغريب وشعره الفضي الكثيف والمتروك من دون أي تسريح، وصوته الرفيع، كل هذه

الصفات ساهمت في أن تشهر لقبه السري الذي تم همسه من قبل المحامين "إيكابود"؛ إيكابود نووز؛ القاضي إيكابود نووز.

جلس على المقعد المخصص له، ووقف كل من في قاعة المحكمة المحتشدة بينما تمتم أوزي بشكل غير مفهوم نصًا يفرضه القانون ليفتتح رسميًا دورة شهر أيار لمحكمة الدائرة في مقاطعة فورد؛ على أمل أن تكون طويلة ومزدهرة. أقدم كاهن محلي على تلاوة صلاة، وبعدها جلس الحاضرون، وملأ أعضاء هيئة المحلفين المستقبليين جانب قاعة المحكمة، بينما امتلأ الجانب الآخر بالمجرمين، والمُتقاضين وعائلاتهم وأصدقائهم والصحافة والفضوليين. ألزم نووز كل محامٍ في المقاطعة بحضور الافتتاح، وجلس المحامون في مقصورة هيئة المحلفين، وجميعهم قد تزينوا بملابس فاخرة، بحيث توحي ملامحهم بالأهمية. جلس باكلي ومساعده الدكتور موسغروف إلى طاولة الادعاء، ممثلين ببراعة الولاية، بينما جلس جايك بمفرده على كرسي خشبي أمام السياج. وقف الكتّاب القضائيون والصحفيون في المحكمة خلف مجلدات القضايا القضائية الحمراء الكبيرة الموجودة على منضدة العمل، بينما راقب البقية إيكابود بتمعن وانتباه وهو يتموضع على كرسي القضاة على المنصة قائمًا بتسوية ردائه وتعديل نظارة القراءة الشنيعة، محدقًا من خلالها إلى الحشد.

قال بصوتٍ حاد مرتفعٍ: "صباح الخير"، وقرّب مكبر الصوت وتنحنح، ثمّ قال: "من اللطيف دومًا أن يكون المرء في مقاطعة فورد لدورة شهر أيار، فأنا أرى أن معظم المحامين قد وجدوا الوقت لحضور افتتاح المحكمة، وكالعادة سأطلب من السيدة كليرك أن تسجل أسماء المتغيّبين كي أتواصل معهم بنفسي. أرى أن عددًا كبيرًا من المحلفين المحتملين قد أتوا؛ أشكر كل الحاضرين هنا. أُدرك أنّه لم يكن لديكم أي خيارٍ آخر، ولكن حضوركم مهم جدًا للعملية القضائية، وسوف نسجل الأشخاص المتوقع اختيارهم كمحلفين في هذه اللحظة، ثمّ سنختار عدة مجموعات من الهيئات المحلفة ليمتثلوا هذا الأسبوع والذي يليه. أتوقع أن يكون لدى كل محامٍ نسخة من جدول القضايا المقدمة، وستلاحظون أنّها مكتظة نوعًا ما. تقويمي يبين لي وجود قضيتين على الأقل يوميًا هذا الأسبوع والذي يليه، ولكنّني أرى أن معظم القضايا الجنائية المحالة إلى المحكمة سوف تنطلق بصفقات طلب التماس جرى التفاوض عليها. أيًا يكن الأمر، لدينا العديد من القضايا، وأطلب التعاون من جميع المحامين. سأنظم جدولًا بالاتهامات والمثولات الأولى عندما تبدأ هيئة المحلفين الكبرى الجديدة عملها بعد اختيار أعضائها، وعندما تبدأ الاتهامات. لنقرأ بسرعة جدول

القضايا المقدمة، الجنائية أولًا ثمّ المدنية، ثمّ يمكن للمحامين الانصراف ريثما نختار هيئة محلفين كبرى".

ثم أكمل قائلًا: "الولاية ضد وارين موك. سطوٍ مسلح، ستُجرى المحاكمة اليوم بعد الظهر".

نهض باكلي ببطءٍ متعمد معلنًا بشكل مجيد للحضور: "ولاية ميسيسيبي جاهزة للمحاكمة، سيدي".

قال تيندل المحامي المعين من المحكمة: "والدفاع كذلك".

سأل القاضي: "كم تتوقع أن تطول المحاكمة؟".

أجاب باكلي: "يومًا ونصف"، فأومأ تيندل برأسه موافقًا.

قال القاضي: "جيد، سنختار هيئة المحلفين هذا الصباح، وسنبدأ المحاكمة عند الساعة الواحد من ظهر اليوم. الولاية ضد ويليام دال، تزوير، ستّ تهم، عُيِّن موعدٌ لها غدًا".

أجاب الدكتور موسغروف: "حضرة القاضي، سيكون هنالك استئناف في هذه القضية".

رد القاضي: "جيد، الولاية ضد روجار هورنتن، سرقة كبرى، تهمتان، حُدِّد موعدٌ لها غدًا".

أكمل نووز قراءة القضايا المقدمة؛ كان لكل القضايا الرد نفسه؛ حيث يقف باكلي ويدعي أن الولاية جاهزة للمحاكمة، وموسغروف يقول بهدوء إنّه يوجد استئناف للقضية. وقف محامو الدفاع وأومأوا برؤوسهم. لم يكن لدى جاك أية قضية في دورة شهر أيار، ورغم أنّه حاول جاهدًا أن يبدو ضجرًا، إلا أنه قد استمتع بالاستماع إلى القضايا المقدمة لأنها سمحت له أن يعرف من يقوم باستلام كل قضية وكيف كان شكل المنافسة، وكانت أيضًا فرصة رائعة ليبدو جيدًا أمام الناس المحليين. كان نصف أعضاء شركة سوليفان موجودين، وقد بدا عليهم الضجر أيضًا وهم جالسون بالقرب من بعضهم بكل تعجرف في الصف الأول من مقصورة المحلفين، أما الشركاء القدامى في شركة سوليفان فلم يتنازلوا ويأتوا إلى هذه الجلسة، وكانوا يكذبون ويخبرون نووز أنّهم كانوا في محاكمة في المحكمة الفيدرالية في أوكسفورد أو ربما أمام المحكمة العليا في جاكسون؛ لقد منعتهم كرامتهم من الاختلاط بالمحامين العاديين، لذا أُرسل محامو الشركة الأصغر سنًا لإرضاء نووز،

وليطلبوا أن يتم إكمال، أو تأجيل أو تأخير أو اتخاذ إجراء بشأن القضايا المدنية للشركة، كان وكلاؤهم من أصحاب شركات تأمين فضلوا عمومًا عدم الذهاب إلى المحاكمة وأن يدفعوا الأجر بالساعة على مناورات قانونية مصممة خصيصًا لإبقاء القضايا بعيدة عن هيئة المحلفين. إن دفع مبلغٍ يتوصلون للاتفاق عليه وتجنب كلًا من الدعوى وشركات الدفاع الطفيلية أمثال سوليفان وأوهير سيكون أقل تكلفة وأكثر بساطة، لكن أصحاب شركات التأمين ومُقدِّرو خسائرهم كانوا أغبياءَ جدًا وبخلاءَ، لذلك كسب المحامون غير الحاصلين على شهادة حقوق مثل جايك بريغانس رزقهم بمقاضاتهم أصحاب شركات التأمين وإرغامهم على دفع أكثر مما كانوا سيدفعون إن تعاملوا بعدل منذ البداية، كره جايك شركات التأمين، وكره أيضًا المحامين الذين يدافعون عن شركات التأمين، وكره بشكل خاص الأعضاء الأصغر سنًا في شركة سوليفان، وجميعهم كانوا في مثل سنه، وسيشعر بالسرور إن نحرهم، ونحر زملاءهم، وشركاءهم، وأي شخص من أجل الحصول على شريك وكسب مئتي ألف دولار في السنة وتخطي مواعيد المحكمة.

كره جايك لوترهاوس بالتحديد، أو أل. وينستن لوترهاوس، الجبان الصغير ذا الأربعة عيون الحاصل على شهادةٍ من هارفارد المتعجرف المغرور، وهذا بشكلٍ خاص ما جعله يرغب بنحره خلال السنة الماضية. لقد جلس بتعجرفٍ بين اثنين من شركاء سوليفان حاملًا سبعة ملفات، حاصلًا من كل منها على مئة دولار خلال الساعة عندما يرد على جلسات اللوائح القضائية.

بدأ نووز بتحديد القضايا المدنية: "كولنز ضد شركة الموحد الملكي العام للتأمين المشترك".

وقف لوترهاوس ببطء؛ فالثواني تعني دقائق، والدقائق تعني ساعات، والساعات تعني أجورًا وعلاوةً وشراكاتٍ،

ثم قال: "حضرة القاضي، سيدي، إن هذه القضية حُدِّدَت جلستُها الأولية يوم الأربعاء".

قال نووز: "أدرك ذلك".

قال لوترهاوس: "أجل سيدي. حسنًا سيدي، للأسف يتوجب عليّ أن أطالب بالتأجيل، لقد حصل تضارب في مواعيد جلساتي لهذا الأربعاء، ويتوجب عليّ المثول أمام المحكمة الفيدرالية في ممفيس قبل الجلسة، ولقد رفض القاضي التأجيل؛ أعتذر على ذلك؛ لقد وقعت صباح اليوم طلب تأجيل".

استشاط غاردنر- محامي دفاع المدعي - غضبًا، ثم قال: "حضرة القاضي، لقد حُدِّد موعدُ الجلسة الأولية قبل شهرين، لقد أُجلت الجلسة في شهر شباط الماضي بسبب وفاة أحد أقارب زوجة السيد لوترهاوس، وأُجلت الجلسة في تشرين الثاني الماضي، عندما توفي عمه، وكذلك أجلت في شهر آب، بسبب حالة وفاة أخرى. أعتقد أنني سأكون محظوظًا إن لم يتوفَ أحد هذه المرة".

عمت الهمسات والضحكات قاعة المحكمة، فاحمر وجه لوترهاوس خجلًا.

ثم أضاف غاردنر: "هذا يكفي، سيدي القاضي، يرغب السيد لوترهاوس بإيقاف هذه المحاكمة إلى الأبد. هذه القضية جاهزة، وموكلي يستحق الحصول على حكم، لذا، نحن نعترض بشدة على أي تأجيل".

ابتسم لوترهاوس للقاضي وأزال نظارته وقال: "سيدي القاضي، لو سمحت لي بالإجابة...".

قاطعه نووز: "كلا، لن أسمح لك، سيد لوترهاوس؛ لن أسمح بالتأجيل. موعد هذه القضية هو الأربعاء القادم، ولن يكون هناك أي تأجيل".

قال جايك في سره: "حمدًا لله"؛ كان نووز متسامحًا نوعًا ما مع شركة سوليفان، فابتسم جايك للوترهاوس.

اثنتان من قضايا جايك المدنية على موعد استئناف في آب. عندما أنهى نووز تبادل اللوائح المدنية، صرف محامي الدفاع، وأولى المحلفين المحتملين اهتمامه؛ لقد شرح دور هيئة المحلفين الكبرى، وأهميتها، وإجراءاتها، وشرح الفرق بين هيئات المحلفين بالمحاكم؛ صحيح أنها بالأهمية نفسها، لكن الاختلاف يكمن بالوقت المستهلك. بدأ يطرح الأسئلة على المحلفين المحتملين؛ الكثير من الأسئلة، معظمها مطلوب بحكم القانون، وكلها تتعلق بمقدرتهم على الخدمة كمحلفين: اللياقة البدنية والأخلاقية، الاستثناءات، والعمر. معظمها كانت عديمة الجدوى، ولكنها كانت مفروضة بحكم المعايير العريقة وأكمل أسئلته قائلًا: "هل يوجد بينكم مقامرون معروفون أو مدمنو كحول؟".

سمعت ضحكات متفرقة، لكن أحدًا لم يشر إلى نفسه بأنه مدمن. هؤلاء الذين تخطوا السادسة والخمسين أُعذروا بشكل تلقائي، حسب اختيارهم، ومنح نووز الإعفاءات الاعتيادية للمرض، وحالات الطوارئ، والمحن، لكنه أذن لقلة فقط ممن طلبوا العذر لأسباب اقتصادية.

لقد كانت مشاهدة المحلفين وهم يقفون أمرًا ممتعًا، كل على حدة، يشرحون للقاضي كيف أن بضعة أيام في خدمتهم في هيئة المحلفين كفيلة بإحداث ضرر غير قابل للإصلاح في المزرعة، أو متجر المعدات، أو في تقطيع الأخشاب.

كانت لهجة نووز قاسية، وألقى محاضرات عن حس المواطنة لدى من قدموا أعذارًا سخيفة.

سيتم اختيار ثمانية عشر محلفًا من المرشحين لهيئة المحلفين الكبرى من بين التسعين مرشحًا، وسيظل البقية متاحين لاختيارهم في هيئة محلفي المحاكمة.

عندما انتهى نووز، سحب كاتب المحكمة ثمانية عشر اسمًا من صندوق، ووضعها على طاولة القاضي الذي بدأ بمناداة أسماء المحلفين، كل على حدة، قاموا ومشوا ببطء إلى مقصورة المحلفين، من خلال الباب الموجود في السياج، ثمّ إلى المقاعد الدائرية المزودة بوسائد. كان هنالك أربعة عشر مقعدًا منها اثنا عشر للمحلفين واثنان للاحتياطيين. عندما امتلأت الهيئة، دعا نووز أربعة آخرين حيث انضموا إلى زملائهم على الكراسي الخشبية الموضوعة أمام مقصورة المحلفين.

أمر نووز قائلًا: "قفوا وأدلوا بالقسم"، بينما وقفت الكاتبة القضائية خلفهم وهي تحمل كتابًا أسود صغيرًا يحتوي على كل الأقسام وكانت تقرأ منه وهي ترشدهم قائلةً: "ارفعوا أيديكم اليمنى، هل تقسمون بصدقٍ وتجزمون على أنكم ستنجزون مهامكم بإخلاص كأعضاء في هيئة المحلفين الكبرى، وأنكم ستسمعون وتقررون بعدل إزاء كل القضايا والأمور المقدمة إليكم بمشيئة الله؟".

فيرد المحلفون: "أجل، نقسم بذلك" خرجت تلك العبارة من أفواههم بشكلٍ متناسق، بعد ذلك جلس أعضاء هيئة المحلفين الكبرى على المقاعد المخصصة لهم؛ فمن أصل خمسة أشخاص من السود كان هناك امرأتان، ومن أصل ثلاثة عشر شخصًا أبيض كان هناك ثماني نساء، وكان معظم الأشخاص من الريف، وقد استطاع جايك التعرف إلى سبعة أشخاص من الثمانية عشر الموجودين.

بدأ نووز بخطابه المعتاد: "سيداتي وسادتي، لقد اخترتم وأقسمتم كما ينبغي لتشكلوا هيئة المحلفين الكبرى في مقاطعة فورد، وستخدمون المقاطعة وفقًا لذلك حتى يتم إعادة تعيين هيئة المحلفين التالية في شهر آب، أرغب بالتأكيد على أن واجباتكم لن تأخذ من وقتكم الكثير، ستجتمعون كل يوم من هذا الأسبوع، ولعدة ساعات حتى شهر أيلول، فمراجعة القضايا الجنائية

تقع على عاتقكم، وأيضًا الاستماع إلى المسؤولين الرسميين عن تطبيق القانون وإلى الضحايا، وتحديد إذا كان هنالك أسباب منطقية قد طُرحت للاقتناع المطلق بأن المتهم قد ارتكب الجريمة، وإذا تحقق ذلك، فسترفعون قرارًا بتأييد التهمة، أي التهمة الرسمية الموجهة ضد المتهم. هنالك ثمانية عشر شخصًا منكم، وعندما يعتقد اثنا عشر شخصًا بأن الشخص يستحق تأييد التهمة فسيصدر قرار بتأييدها، أو تُثبت التهمة كما نقول؛ لديكم سلطة معقولة. وفقًا للقانون يمكنكم التحقيق في أي تصرف إجرامي، ومع أي مواطنٍ مُشتبهٍ بأنه قام بأعمال مسيئة للقانون ومع أي جهة رسمية عامة، يمكنكم التحقيق مع أي شخص وفي أي عملٍ مريبٍ، كما يمكنكم عقد اجتماعات في الوقت الذي تختارونه، ولكن عادةً ستلتقون عندما يرغب بذلك السيد باكلي محامي عام المقاطعة. لديكم السلطة باستدعاء شهود العيان ليمتثلوا أمامكم للإدلاء بشهاداتهم، ويمكنكم أيضًا طلب سجلاتهم الإجرامية السابقة. مفاوضاتكم ومشوراتكم في غاية الخصوصية، حيث لا يوجد أي شخصٍ حاضرٍ سواكم أنتم ومحامي عام المقاطعة ومساعديه والشهود، ولا يُسمَح للمتهم بالمثول أمامكم، ويمنع عليكم مناقشة أي شيء يقال أو يُتضح في قاعة هيئة المحلفين الكبرى".

ثمّ أكمل: "السيد باكلي، هل يمكنك الوقوف من فضلك؟ شكرًا لك".

ثم قال: "هذا هو السيد روفوس باكلي، محامي عام المقاطعة؛ إنّه من سميثفيلد في مقاطعة بولك، وسيكون المشرف الخاص وأنتم تتشاورون في ما بينكم. شكرًا لك سيد باكلي. السيد موسغروف هل يمكنك الوقوف من فضلك؟ هذا هو الدكتور موسغروف، مساعد محامي عام المقاطعة، وهو أيضًا من سميثفيلد، فهو سيساعد السيد باكلي عندما تكونون مجتمعين. شكرًا لك سيد موسغروف. الآن، هؤلاء السادة يمثلون ولاية ميسيسيبي، وسيعرضون القضايا على هيئة المحلفين الكبرى".

أكمل بقوله: "وهنالك أمر أخير، هيئة المحلفين الكبرى السابقة في مقاطعة فورد عُينت في شباط، وكان رئيس هيئة المحلفين ذكرًا أبيض. لذلك، ولمتابعة التقاليد وامتثالًا لمطالب وزارة العدل سأعين أنثى سوداء رئيسةً لهيئة المحلفين الكبرى. دعونا نرَ؛ لافيرن غوسيت. أين أنتِ يا سيدة غوسيت؟ ها أنتِ هنا، جيد. أعتقد أنك معلمة أليس كذلك؟ جيد. متأكد من أنك ستتمكنين من التعامل مع واجباتك الجديدة. الآن، حان وقت العمل بالنسبة إليكم، وأعتقد أن هناك أكثر من خمسين قضية تنتظركم. سأطلب منكم اللحاق بالسيد باكلي والسيد موسغروف إلى الرواق في الأسفل إلى قاعة المحكمة الصغيرة التي نستخدمها غرفة لهيئة المحلفين الكبرى. شكرًا لكم، وليكنِ الحظُّ حليفَكم".

قاد باكلي بفخر هيئة المحلفين الجديدة خارج قاعة المحكمة إلى الرواق في الأسفل؛ لوّح إلى الصحفيين ولم يكن لديه أي تعليق في الوقت الحالي. جلست الهيئة في قاعة المحكمة حول طاولتين طويلتين، وقامت الكاتبة بتمرير صناديق من الملفات، وأخذ مساعد المحامي العام المسن المتقاعد منذ فترة طويلة - والذي كان نصف أعرج ولديه نقص نصفي في حدة السمع - موضعه بجانب الباب مرتديًا لباسًا رسميًا باهت اللون. كانت الغرفة محكمة الإغلاق؛ لقد انتاب باكلي بعض التردد، فاستباح لنفسه عذرًا وقابل الصحفيين في القاعة وأجاب بنعم، عندما سُئِل إن كانت قضية هيلي ستعرض بعد ظهر ذلك اليوم. في الواقع لقد طلب عقد مؤتمرٍ صحفي عند الساعة الرابعة عصرًا؛ على الدرجات الأولى من مبنى المحكمة، حيث سيكون لديه قرار الإدانة في ذلك الوقت.

بعد الغداء، جلس مأمور قسم شرطة كاراواي على إحدى نهايتي الطاولة الطويلة وبعثر ملفاته بيديه بعصبية متجنّبًا النظر إلى هيئة المحلفين الكبرى الذين كانوا ينتظرون بقلق قضيتهم الأولى.

تحدث محامي عام المقاطعة بصوتٍ مرتفعٍ: "عرّف عن اسمك"

أجابه: "المأمور نولان إيرنهارت من شرطة مدينة كاراواي".

سأله المحامي العام: "كم عدد القضايا التي لديكم؟".

أجابه: "لدينا خمس قضايا من كاراواي".

رد المحامي العام: "لنسمع القضية الأولى".

تمتم المأمور وتلعثم وهو يقلب عبر ملفات أعماله الورقية: "حسنًا، دعونا نرَ. جيّد..."، ثمّ أكمل: "القضية الأولى باسم فيديسون بولو، ذكر أسود، عمره خمسةٌ وعشرون عامًا، ضبط بالجرم المشهود خلف مخزن غريفين للمواد الغذائية في كاراواي عند الساعة الثانية بعد منتصف ليل الثاني عشر من نيسان. أعلنَ إنذار صامت([3]) عن دخول المجرم وقبضنا عليه في المتجر. لقد خلع آلة تسجيل النقود وفُقد بعض السماد العضوي. وجدنا النقود والبضائع في سيارة مسجلة باسمه مركونة خلف المتجر؛ لقد اعترف في السجن ودوّن اعترافه في ثلاث صفحات ولدي بعض النسخ هنا".

مشى باكلي بشكلٍ اعتيادي حول الغرفة موزعًا الابتسامات للجميع. ثم سأل مساعد الهيئة: "وترغب من هيئة المحلفين الكبرى بإدانة فيديسون بولو بتهمة الاقتحام والدخول عنوةً إلى المتجر، بالإضافة إلى تهمة سرقة كبرى؟".

أجاب المأمور: "نعم سيدي، هذا صحيح".

"الآن يا أعضاء هيئة المحلفين الكبرى، لديكم الحق بتوجيه أية أسئلة، فهذه جلسة استماع. أية أسئلة؟"

سأل ماك لويد كرويل، وهو سائق سيارة عاطل عن العمل: "نعم، لديّ سؤال، هل لديه سجل إجرامي سابق؟".

أجاب المأمور: "كلا، هذه جريمته الأولى".

قال باكلي وكأنه يلقي محاضرة: "سؤال جيد، اسألوا هذا السؤال دائمًا لأنه إن كان لديهم سجل سابق فقد نضطر إلى تأييد التهمة لأنهم اعتادوا الإجرام. هل من أسئلة أخرى؟ كلا؟ جيد. الآن في هذه المرحلة، يجب على أحد ما تقديم دعوى تقضي هيئة المحلفين الكبرى بتأييد التهمة الموجهة ضد فيديسون بولو وإدانته".

عم الصمت، وحدق الثمانية عشر إلى الطاولة منتظرين أن يقوم أحد آخر بتأييد التهمة غيرهم.

استمر الصمت؛ قال باكلي في سره متهكمًا: "هذا عظيم، هيئة محلفين كبرى عطوفة. بضعة أرواح جبانة خائفة من التحدث. ليبراليون". لماذا لم يحصل على هيئة محلفين متعطشة للدماء تتلهف لرفع دعاوى لاتهام الجميع بكل شيء وأي شيء؟

سأل باكلي: "السيدة غوسيت، أتودين تقديم أول دعوى بما أنك رئيسة المحلفين؟".

قالت: "سأقوم بذلك".

ردّ باكلي: "شكرًا، والآن لنصوت. مَن منكم سيصوت بتأييد تهمة فيديسون بولو بتهمة الاقتحام والدخول عنوةً إلى مبنى تجاري وبتهمة سرقة كبرى؟ ارفعوا أيديكم".

ارتفعت ثمانية عشر يد، وشعر باكلي بالراحة.

عرض المأمور القضايا الأربع الأخرى من كاراواي؛ كانت كل منها تستحق تأييد التهمة مثل بولو، وبالفعل أدين الأربعة بإجماع هيئة المحلفين. علّم باكلي بهدوء هيئة المحلفين الكبرى كيفية عملهم.

جعلهم يشعرون بالأهمية، بالقوة، وبعبء العدالة الثقيل، حتى أصبحوا فضوليين وانهالت أسئلتهم:

"هل لديه سجل سابق؟".

"ما العقوبة التي قد يحكم بها؟".

"متى سيخرج؟".

"ما هو عدد التهم التي نستطيع تأييدها؟".

"متى سيحاكم؟".

"هل هو الآن خارج السجن؟".

مع رفض اتهام خمسة أشخاص، وخمس قرارات إدانة بالإجماع، ومع تحمس هيئة المحلفين الكبرى للقضية التالية مهما كانت، قرر باكلي أن أجواء المحكمة جاهزة، ففتح الباب ودعا أوزي الذي كان واقفًا في الردهة يتحدث بصوت خافت مع نائبه المعاون ويراقب المراسلين.

عندما تلاقى الاثنان عند الباب، همس باكلي: "قدّم هيلي أولًا".

ثم قال باكلي: "سيداتي وسادتي، هذا هو المأمور وولز. أنا واثق من أن معظمكم تعرفونه، فهو سيعرض عليكم عدة قضايا. ما الأولى يا حضرة المأمور؟".

قلّب أوزي بسرعة بين ملفاته؛ لقد أضاع ما كان يبحث عنه أصلًا، ثمّ نطق أخيرًا: "كارل لي هيلي".

عاد الصمت ليخيم على هيئة المحلفين؛ لم يتحدث أحد بينما كان أوزي يراجع الملف، ثمّ استأذن لإحضار حقيبة أخرى؛ لم يكن قد خطط لتقديم قضية هيلي أولًا.

تفاخر باكلي بنفسه لقدرته على قراءة هيئة المحلفين، من مشاهدة وجوههم ومعرفة أفكارهم بدقة.

لقد راقب هيئة المحلفين خلال المحاكمة باستمرار، لطالما توقع ما كان يجول بخاطر كل عضو منهم؛ كان يستجوب الشاهد ويبقي عينيه على هيئة المحلفين.

في بعض الأحيان، كان يستجوب الشاهد مقابل هيئة المحلفين ويراقب كيف تتفاعل الوجوه مع أجوبته.

بعد مئات المحاكمات أصبح جيدًا في قراءة المحلفين، وعرف فورًا أنّه واقع في مأزق بخصوص قضية هيلي، فقد ازداد توتر السود الخمسة كما لو أنّهم رحبوا بالقضية والجدال المحتوم. بدت رئيسة المحلفين السيدة غوسيت ورعة على وجه التحديد بينما تمتم أوزي لنفسه وقلب الأوراق. وبدت ملامح معظم البيض صعبة التفسير، أما مارك لويد كرويل، الريفي قاسي الملامح والذي بدا في أواسط العمر، فبدا متعجرفًا مثل السود.

دفع كرويل كرسيه ومشى إلى النافذة التي تطل على شمال فناء المحكمة.

لم يستطع باكلي أن يقرأه بدقة، ولكنه عرف أن كرويل سيسبب المشاكل.

سأل باكلي بنوع من التوتر: "حضرة المأمور، كم شاهد لديك لقضية هيلي؟".

توقف أوزي عن تقليب أوراقه وقال بنوعٍ من التوتر: "حسنًا، آه، أنا فقط. يمكننا أن نحضر شاهدًا آخر إذا تطلب الأمر".

أجاب باكلي: "حسنًا، حسنًا، أطلعنا فقط على القضية".

أرجع أوزي جسده إلى الخلف واضعًا ساقًا على ساق وقال: "إطلاق نار، الجميع يعلمون بهذه القضية. لم تكف محطات التلفاز عن تناول القضية منذ أسبوع".

ردّ باكلي: "فقط أعطِنا الدليل".

أجاب المأمور: "الدليل؟ حسنًا، منذ أسبوع، أطلق كارل لي هيلي النار، وهو ذكر أسود، في السابعة والثلاثين من العمر، وقتل بيلي راي كوب وبيت ويلارد، وأصاب أحد النواب اسمه دي واين لوني، الذي لا يزال في المستشفى بعد أن بُتِرَت ساقه، مستخدمًا بندقية أم-16 غير مرخصة،

والتي استرجعناها وطابقنا البصمات مع بصمات السيد هيلي، لديّ إفادة خطية موقعة من قبل النائب لوني، وقد ذكر تحت القسم أن الرجل الذي أطلق النار هو كارل لي هيلي. لقد كان هنالك شاهد عيانٍ يدعى مورفي، الرجل القصير الأعرج الذي يُنظّف المحكمة ويتحدث بتلعثم واضح. أستطيع إحضاره إلى هنا إن أردت حضرتك".

قاطعه باكلي بالقول: "هل من أسئلة؟".

راقب محامي المقاطعة هيئة المحلفين بتوتر، والذين راقبوا بدورهم المأمور بتوتر. وقف كرويل وقد أولى ظهره للآخرين، ونظر عبر النافذة.

كرر باكلي السؤال: "هل من أسئلة؟".

أجاب كرويل بعد أن التفت وحدق إلى المحامي العام للمقاطعة، ثمّ إلى أوزي: "أجل، الشابان اللذان قتلهما اغتصبا ابنته الصغيرة، أليس كذلك يا حضرة المأمور؟".

أجاب أوزي: "أجل، نحن متأكدون من قيامهما بذلك".

أكمل كرويل: "حسنًا، وقد اعترف أحدهما بذلك أليس كذلك؟".

أجاب أوزي: "أجل".

مشى كرويل ببطءٍ وجرأة عبر الغرفة، ثم وقف في النهاية الأخرى من الطاولتين ناظرًا إلى أوزي سائلًا إياه: "هل لديك أولاد يا حضرة المأمور؟".

أجابه: "نعم، لديّ".

أكمل كرويل: "هل لديك ابنة صغيرة؟".

أجابه: "نعم، لديّ".

ثم تابع كرويل: "افترض أنّها قد تعرضت للاغتصاب، وتمكنت من التعرف إلى مغتصبها، فماذا كنت ستفعل؟".

تصلب أوزي في مكانه، ونظر بقلق إلى باكلي الذي كان عنقه قد تلون بلونٍ أحمرَ داكنٍ.

بعدها أجاب أوزي: "لست مضطرًا للإجابة".

ردّ كرويل: "ماذا؟ لقد أتيت إلى هيئة المحلفين الكبرى لتدلي بشهادتك، أليس كذلك؟ أنت شاهد عيان، ألست كذلك؟ إن كنت شاهدًا فمن فضلك أجب".

أجاب أوزي: "لا أدري ماذا كنت سأفعل".

ردّ كرويل: "هيا يا حضرة المأمور، أعطنا إجابة صريحة ومباشرة؛ أخبرنا الحقيقة؛ ماذا كنت ستفعل؟".

شعر أوزي بالخجل والارتباك والغضب تجاه ذلك الشخص الغريب؛ كان يرغب بقول الحقيقة، ويشرح بالتفصيل كيف سيقوم بكل سرورٍ بإخصاء، وتشويه، وقتل أي منحرف يجرؤ على لمس ابنته الصغيرة، ولكنه لم يستطع البوح بذلك، لأن هيئة المحلفين الكبرى قد تتفق مع كرويل، وترفض تأييد تهمة كارل لي حينئذٍ، فهو لا يريد تأييد التهمة، ولكنه يعلم أن إثبات التهمة عليه هو أمرٌ ضروري. نظر بخوفٍ إلى باكلي، الذي كان يتصبب عرقًا.

حول كرويل كل انتباهه إلى المأمور بحماسة محامٍ ضبط للتو شاهدًا يقع في حبال كذبةٍ واضحةٍ.

قال مستهزئًا ومتهكمًا: "هيا يا حضرة المأمور، كلنا آذانٌ صاغية، قل الحقيقة. ماذا كنت ستفعل بالمغتصب؟ أخبرنا".

أوشك باكلي أن يصاب بنوبة هلعٍ، إنه على وشك أن يخسر أكبر قضية في مسيرته المهنية، ليس في المحاكمة، بل لدى هيئة المحلفين الكبرى، وفي الجولة الأولى، وعلى يد سائق سيارة عاطلٍ عن العمل. وقف وعانى في إيجاد الكلمات، وأخيرًا قال: "الشاهد غير مضطر للإجابة".

التفت كرويل وصرخ في وجه باكلي: "اجلس واصمت، نحن لا نتلقى الأوامر منك، يمكننا إحالتك إلى القضاء إن أردنا ذلك".

جلس باكلي، ونظر بشرود إلى أوزي، لقد كان كرويل ضليعًا بالقانون، كان أذكى من أن يكون في هيئة المحلفين الكبرى. لا بد أن أحدهم قد دفع له رشوةً؛ لقد كان يعرف أكثر من اللازم. نعم، يمكن لهيئة المحلفين الكبرى أن تحيل أي أحد إلى القضاء أيًا كان منصبه.

تراجع كرويل، وعاد إلى حيث كان بالقرب من النافذة.

استمروا بمراقبته حتى تبين أنه أنهى ما يريد قوله.

سأل ليموين فرايدي، وهو أحد أقارب غوين هيلي البعيدين: "هل أنتم متأكدون تمامًا أنّه الفاعل يا أوزي؟".

أجاب أوزي ببطء، وعيناه مثبتتان على كرويل: "نعم، نحن متأكدون".

سأل السيد فرايدي بلهجة بدا منها إعجابه وتقديره للمأمور: "أترغب بتأييد التهمة؟".

أجاب أوزي: "تهمتان تحت مسمى جريمة قتل كبرى، وتهمة اعتداء على نائب".

سأل بارني فلاغس، وهو أسود أيضًا: "في هذه الحالة، كم ستبلغ مدة سجنه؟".

"إن جريمة قتل كبرى تستدعي الإعدام في غرفة الغاز، والاعتداء على نائب تستدعي عقاب السجن المؤبد غير المشروط".

سأله فلاغس: "وهل هذا ما تريده يا أوزي؟".

أجاب: "أجل يا بارني، أعتقد أنّه يجب على هيئة المحلفين الكبرى تأييد تهمة السيد هيلي؛ فهذا ما أريده".

قاطع باكلي الحديث: "هل هناك من أسئلة إضافية؟".

ردّ كرويل مشيحًا نظره عن النافذة: "ليس بهذه السرعة، أعتقد أنك تحاول أن تحشر هذه القضية داخل حناجرنا، وذلك يصيبني بالامتعاض يا سيد باكلي، وأنا أريد التحدث عن القضية أكثر. اجلس أنت، وسنستعين بك عندما نجد حاجة إلى ذلك".

حملق باكلي بغضب ووجه إصبعه تجاه كرويل صارخًا: "لست مجبرًا على الجلوس، ولست مجبرًا على البقاء هادئًا".

أجابه كرويل ببرود وابتسامةٍ ساخرةٍ: "بلى، أنت مجبر، لأنه إن لم تفعل ذلك يمكننا حملك على المغادرة، أليس كذلك يا سيد باكلي؟ يحق لنا أن نطلب منك مغادرة الغرفة، وإن رفضت ذلك، فسنذهب إلى القاضي، ونطلب منه ذلك، وسيرغمك على المغادرة، أليس ذلك صحيحًا يا سيد باكلي؟".

وقف روفوس وهو متصلبٌ في مكانه مصعوقًا، وبدا أنه عاجز عن قول أي شيء، وقد تقلصت معدته وتشنجت، ولم تعد ساقاه قادرتين على حمله.

أكمل كرويل: "لذا، إذا أردت سماع بقية مناقشاتنا، فاجلس واصمت".

جلس باكلي إلى جانب حاجب كاتب المحكمة الذي استفاق للتو من نومه.

قال كرويل: "شكرًا لك، أريد أن أطرح عليكم سؤالًا يا جماعة: كم شخصًا منكم سيفعل أو يود أن يفعل ما فعله السيد هيلي إذا اغتصب أحدهم ابنة له أو زوجة، أو أمًا؟ كم شخصًا منكم؟ ارفعوا أيديكم".

ارتفعت سبعٌ أو ثماني أيدٍ، وأخفض باكلي رأسه، ابتسم كرويل وأكمل قائلًا: أنا معجبٌ بما فعله السيد هيلي، لقد

تطلب الأمر جرأة كبيرة؛ أتمنى أن يكون لديّ نفس شجاعته لأقوم بما قام به في حال حدوث أمر مشابه لي، لأن الرب وحده يعلم كم كنت سأريد فعل ذلك. أحيانًا، يجب على المرء القيام بما يجب القيام به، وهذا الرجل يستحق جائزة، لا أن تؤيَّد التهمة الموجهة إليه".

مشى كرويل ببطءٍ حول الطاولتين مستمتعًا بالاهتمام الموجه إليه.

ثم قال: "قبل أن تصوتوا، أريد منكم أن تفعلوا شيئًا واحدًا، أريدكم أن تفكروا في تلك الفتاة الصغيرة المسكينة؛ أعتقد إنّها في العاشرة من عمرها؛ تخيلوها هناك مستلقية ويداها مربوطتان إلى الخلف، تبكي وتتوسل لملاقاة والدها. وفكروا بهذين الخارجين عن القانون، السكيرين، يتبادلان الدور في اغتصابها وضربها وركلها. تبًا، لقد حاولا قتلها أيضًا. ليفكر كل منكم بابنته، ويضعها مكان ابنة هيلي الصغيرة.

والآن، ألن تقولوا إنهما نالا ما يستحقانه؟ وإننا يجب أن نكون ممتنين لأنهما قُتلا؟ أشعر بمزيدٍ من الأمان لمجرد معرفتي بأن هذين الوغدين لم يعودا موجودين بعد الآن لاغتصاب وقتل المزيد من الأطفال. لقد قدّم لنا السيد هيلي خدمةً عظيمةً. دعونا لا نؤيد التهمة، دعونا نرسله إلى منزله وعائلته، إلى المكان الذي ينتمي إليه؛ إنّه رجل جيد وقد أقدم على فعل أمر صائبٍ".

أنهى كرويل كلامه وعاد إلى النافذة.

راقبه باكلي بخوفٍ، وعندما تأكد من أنّه أنهى حديثه وقف قائلًا: "سيدي، هل أنهيت كلامك؟".

لم يكن هنالك أية إجابة.

ثم أكمل باكلي: "جيد، سيداتي سادتي أعضاء هيئة المحلفين الكبرى، أود أن أشرح بعض الأمور. لا يفترض بهيئة المحلفين الكبرى محاكمة الشخص وحل القضية، فهذه مهمة هيئة المحاكمة. سيحصل السيد هيلي على محكمة عادلة من قبل اثني عشر محلفًا نزيهًا وعادلًا، وإن كان بريئًا، فسيبرأ، أما النظر في كونه مذنبًا أو بريئًا، فإن هذا ليس من شأن هيئة المحلفين الكبرى. من المفترض أن تقرروا بعد الاستماع إلى الدليل الخاص بالولاية إذا كان هنالك احتمالٌ قويٌّ يفيد بأن جريمةً قد وقعت. الآن، أؤكد لكم بأن هناك جريمة قد ارتكبها كارل لي هيلي، أو بالأحرى ثلاث جرائم؛ قتل رجلين وجرح ثالثًا، ولدينا شهود عيانٍ".

كان باكلي يقوم بالإحماء وهو يطوف حول الطاولتين؛ لقد استعاد ثقته بنفسه.

أكمل باكلي حديثه: "إن مهمة هيئة المحلفين الكبرى هذه هي تأييد التهمة، وإن كان لديه ذريعة دفاعٍ مقبولة فسيكون لديه فرصة لتقديمها في المحاكمة، إن المحاكمات وجدت لهذا السبب.

تتهمه الولاية بجريمةٍ، وعلى الولاية أن تثبت في المحاكمة أنّه قد ارتكب الجريمة، وإن كان لديه سند لدفاعه واستطاع إقناع هيئة المحلفين فسيبرّأ، أؤكد لكم ذلك؛ وهنيئًا له حينها؛ ولكنه ليس من واجب هيئة المحلفين الكبرى هذه أن تقرر أنّه يجب إطلاق سراح السيد هيلي. هل ما أقوله صحيح يا حضرة المأمور؟".

أومأ أوزي برأسه وقال: "هذا صحيح، إن عمل هيئة المحلفين الكبرى هو تأييد التهمة عند وجود دليل. هيئة محلفي المحاكمة لن تدينه إن لم تستطع الولاية إثبات القضية، أو إن قدم دفاعًا جيدًا. لكن هيئة المحلفين الكبرى لا يفترض بها القلق بخصوص أمور كهذه".

سأل باكلي بقلق: "أي شيء آخر تود هيئة المحلفين الكبرى استوضاحه؟" ثم أكمل: "حسنًا، نحتاج لتقديم استدعاء".

صرخ كرويل: "أقدم استدعاءً مفاده أننا لن نؤيد التهمة بأي شيءٍ".

تمتم بارني فلاغس: "أوافق".

ارتجفت ركبتا باكلي؛ حاول الكلام، ولكنه لم يستطع النطق ببنت شفةٍ.

كبح أوزي سعادته التي كان يشعر بها.

أعلنت السيدة غوسيت: "لدينا استدعاء بعدم تاييد التهمة، وهناك شخص متفق معه، ليرفع يده كل من يؤيد هذا".

ارتفعت خمس أيادٍ سوداء، بالإضافة إلى يد كرويل؛ ستة أصوات؛ لقد فشل الاستدعاء.

سألت السيدة غوسيت: "ماذا سنفعل الآن؟".

تحدث باكلي بسرعةٍ قائلًا: "ليرفع شخصٌ ما دعوى لتأييد اتهام السيد هيلي بتهمتين، واحدة منها جريمة قتل كبرى، والثانية الاعتداء على نائب المأمور".

قال أحد البيض: "أوافق على تأييد التهمة".

وقال شخصٌ أبيضُ آخرُ: "وأنا أيضًا أوافق".

قالت السيدة غوسيت: "ليرفع يده كلٌّ من يؤيد هذا. إنّني أحصي اثنتي عشرة يدًا موافقة على تأييد التهمة. أما بالنسبة إلى المعترضين، فإنّني أحصي خمس أيدٍ بالإضافة إلى يدي، مما يجعل المجموع ستَّ أيدٍ. اثنا عشر صوتًا مقابل ستة. ماذا يعني ذلك؟".

أجاب باكلي بفخرٍ: "هذا يعني تأييد ما اتُّهِم به".

تنفس الصعداء، وعاد اللون إلى وجهه.

همس للكاتب، ثمّ أعلم هيئة المحلفين الكبرى قائلًا: "لنأخذ استراحة لعشر دقائق. علينا أن نعمل على ما يقارب الأربعين قضية، لذلك لا تتأخروا رجاءً، وأود تذكيركم بشيءٍ قاله القاضي نووز هذا الصباح، هذه المناقشات فائقة السرية، لا يُسمح لكم بمناقشة أي من عملكم هنا خارج هذه الغرفة...".

قاطعه كرويل قائلًا: "ما يحاول قوله هو أننا لا نستطيع إخبار أحد أن تأييد التهمة على هيلي حصل بفارق صوت واحد فقط. أليس هذا صحيحًا يا باكلي؟".

غادر محامي المقاطعة العام الغرفة بسرعة وصفق الباب خلفه.

محاطًا بالكثير من الكاميرات والمراسلين الصحفيين، وقف باكلي على الدرجات الأولى للمحكمة ولوّح بيده نسخًا من قرارات التهم. تحدث عن بعض الأمور الأخلاقية، وأشاد بهيئة المحلفين الكبرى وأثنى على أعضائها، وألقى خطبةً يُدين بها الجريمة والمجرمين، وأدان كارل لي هيلي، ودعا للمباشرة بالمحاكمة، ثم استدعى المحلفين للعودة إلى غرفتهم.

قام بضمان إدانة وعقوبة إعدام؛ كان بغيضًا للغاية ومسيئًا ومتعجرفًا ومتذرعًا بالفضائل.

كان يتصرف على سجيته، غادر القليل من المراسلين، ولكنه استمر بالحديث. مدح نفسه ومهاراته التحكيمية ونسبة معدل تأييد التهم الخاص به الذي يبلغ التسعين، لا بل الخمسة والتسعين بالمئة؛ غادر المزيد من المراسلين، وأوقِفَت المزيد من الكاميرات عن عملها. مدح القاضي نووز وأثنى على حكمته وعدالته، وهلل لذكاء وحس الحكم الجيد لمحلفين مقاطعة فورد؛ لقد أطال البقاء وسئم الصحفيون منه وغادروا جميعًا.

13

لقد كان ستامب سيسون زعيم منظمة كو كلاكس كلان لولاية ميسيسيبي، وهو من دعا إلى عقد الاجتماع في حُجرة صغيرة في أعماق غابات الصنوبر في مقاطعة نيتليس، على بُعد مئتين وثلاثين ميلًا جنوب مقاطعة فورد. لم يكن هنالك أية أرديةٍ أو طقوسٍ أو خطاباتٍ، فقط ناقشت المجموعة الصغيرة من رجال المنظمة المجريات التي تحدث في مقاطعة فورد مع السيد فريدي كوب، وهو شقيق بيلي راي كوب المقتول؛ لقد اتصل فريدي بصديقٍ والذي بدوره اتصل بستامب لتدبير الاجتماع.

دار الاجتماع كالتالي: "هل اثبتوا التهمة على الزنجي؟ لم يكن كوب متأكدًا، ولكنه سمع بأن المحاكمة ستكون في أواخر الصيف أو في بداية الخريف. ما كان يشغل الحيز الأكبر من تفكيره ويقلقه هو كل ذلك الحديث عن أن الزنجي سيدّعي الجنون وسيُطلق سراحه، وهذا ليس صحيحًا، لقد قتل الزنجي شقيقه ببرودة أعصاب، لقد خطط لعملية إطلاق النار، وخبأ نفسه داخل خزانةٍ وانتظر شقيقه، لقد كان قتلًا عمدًا، والآن انتشرت بعض الشائعات مفادها أن الزنجي يمشي حرًا دون عواقبَ. ماذا يمكن للمنظمة أن تفعل بشأن ذلك؟ يملك الزنوج الكثير من الحماية في الوقت الحاضر؛ الرابطة الوطنية لتقدم الملونين، واتحاد الحريات المدنية الأمريكية وآلاف مجموعات الدفاع عن الحقوق المدنية الأخرى، بالإضافة للمحاكم والحكومة. تبًا، ليس لدى البيض أي سند، باستثناء منظمة كلان؛ فمَن غيرها يمكنه أن يتقدم ويدافع عن البيض؟ كل القوانين في صالح السود، ويستمر رجال السياسة الليبراليون محبّو الزنوج بسَنّ المزيد من القوانين لصالحهم؛ يجب على أحدٍ ما أن يدافع عنهم. هذا هو سبب اتصاله بمنظمة كلان.

هل الزنجي في السجن؟ أجل، ويُعامل معاملة الملوك؛ فلديه مأمور زنجي هناك، يُدعى وولز، وهو يحب ذلك الزنجي ويمنحه امتيازات خاصة وحماية إضافية. إن موضوع المأمور

قصة أخرى بحدّ ذاتها. قال أحدهم إنه ربما سيخرج هيلي من السجن هذا الأسبوع بكفالة؛ الأمر مجرد شائعة؛ لقد أمِلوا أنّه سيخرج.

ماذا عن شقيقك؟ هل اغتصبها؟ لسنا متأكدين، على الأغلب لا. لقد اعترف الشخص الآخر الذي يدعى ويلارد بأنه اغتصبها، ولكن لم يعترف بيلي راي أبدًا بذلك؛ لقد كان لديه الكثير من النساء، فلماذا يغتصب فتاة زنجية صغيرة؟ وإن كان قد اغتصبها، فما الضير في ذلك؟

من هو المحامي الموكّل للزنجي؟ يدعى بريغانس، من كلانتون؛ إنّه شابٌ ولكنه بارع جدًا، يُوكَّل في كثير من القضايا الجنائية ولديه سمعة جيدة، كما قد فاز بالكثير من المحاكمات الجنائية. أخبر بعض الصحفيين أن الزنجي سيدّعي الجنون، وسيبرأ.

من القاضي؟ لا أعلم بعد. بولارد هو قاضي المقاطعة، ولكن أحدهم قال إنّه لن يسمع القضية. هنالك بعض الحديث حول تحويل القضية لمقاطعة أخرى، لذا، من يعلم من سيكون القاضي.

استمع سيسون وأعضاء منظمة كلان باهتمام لذلك الجاهل، أعجبهم الجزء المتعلق بالرابطة الوطنية لتقدم الملونين والحكومة ورجال السياسة، ولكنهم قرأوا الصحف وشاهدوا التلفاز، وعرفوا أن شقيقه نال ما يستحقه، ولكن على يد زنجي، لذلك لم يكن هناك مجال للتفكير في الأمر.

يمكن للمنظمة أن تفوز بالقضية، وبما أن المحاكمة ستجري بعد أشهرٍ عديدةٍ، فهناك وقت للتخطيط لثورة، يمكنهم المسير خلال النهار حول المحكمة بأرديتهم البيضاء وأقنعتهم ذات الرأس المقبب والمدبب، كما يمكنهم أن يتلوا خطاباتٍ لجمهور مأسور ويسيروا بمواكب استعراضٍ أمام الكاميرات. ستحب الصحافة ذلك؛ ستكرههم بالطبع، ولكن ستحب المشاحنات وحركات زعزعة الأمن. في المساء يمكن أن يرهبوهم بصلبانٍ محترقةٍ واتصالات هاتفية تحمل طابع التهديد؛ ستكون الأهداف سهلة الوصول، ولن يدروا ما أصابهم، ولن يكون هنالك أي مجال لتجنب العنف. لقد عرفوا كيف يحرضون الموضوع؛ إن التفكير بما سيفعل مشهد تقدم حشد الذين يرتدون الأردية البيضاء نحو الزنوج الغاضبين نال تقديرهم الكامل.

يمكن لمقاطعة فورد أن تكون بمثابة ملعب للأطفال بالنسبة إليهم يلعبون فيه "الغميضة" و"عملية البحث والتدمير" و"الكر والفر"، كان لديهم الوقت للتنظيم والاتصال برفاقٍ من ولاياتٍ أخرى؛ فأيّ عضو في منظمة كلان قد يرغب بتفويت هذه اللحظة الذهبية؟

والمجندون الجدد أيضًا؟ بإمكان هذه القضية أن تصب الوقود على نيران العنصرية، وأن تخرج كارهي الزنوج أخيرًا من سراديبهم إلى الشوارع. لقد كان عدد حاملي العضوية في كلان في تناقصٍ، وسيكون هيلي صرخة الحرب الجديدة الخاصة بهم؛ سيكون نقطة تجمع جميع كارهي الزنوج.

سأل سيسون: "سيد كوب، هل يمكنك أن تحضر لنا أسماء وعناوين كلّ من الزنجي، وعائلته، ومحاميه، والقاضي، وأعضاء هيئة المحلفين؟".

فكّر كوب في ما طلب منه ثمّ قال: "لدي معلومات عن الجميع ما عدا هيئة المحلفين. لم تُختَر بعد".

سأله سيسون: "متى ستعرفهم؟".

أجاب كوب: "ليتني أعرف. أعتقد أنّني سأعرف عند المحاكمة. ما الذي تفكرون به؟".

أجابه سيسون: "لسنا متأكدين، ولكن أرجح تدخل منظمة كلان؛ نريد استعراض عضلاتنا بعض الشيء، وقد تكون هذه فرصة جيدة لتحقيق ذلك".

سأله كوب بتلهف: "هل أستطيع المساعدة؟".

أجاب سيسون: "بالتأكيد، ولكن يجب عليك أن تكون عضوًا".

ردّ كوب: "ليس لدينا منظمة كلان هناك، لقد انهارت منذ زمنٍ بعيدٍ؛ لقد كان جدي عضوًا فيها".

سأل سيسون: "أتعني أن جدّ الضحية كان من أعضاء المنظمة؟".

أجاب كوب بفخرٍ: "أجل".

ردّ سيسون: "حسنًا، هذا يعني أن تدخلنا واجب". تصافح أعضاء المنظمة وهم غير مصدقين ما سمعوه وتعهدوا بالانتقام.

لقد شرحوا لكوب أنه إذا استطاع جلب خمسة أو ستة أصدقاء بنفس الفكر والحافز وجعلهم يتفقون على الانضمام إلى المنظمة، فسيقيمون حفل انضمام كبيرٍ سريّ في أعماق غابات مقاطعة فورد، وسيكون هنالك صليبٌ كبيرٌ محترقٌ وكل أنواع الطقوسِ الخاصةِ بالمنظمة. سيتم تتويجهم

كأعضاء، أعضاء بكامل الحقوق لمنظمة كو كلاكس كلان، وسيكونون بمثابة مجموعة محلية تابعة لمنظمة كلان موجودة في مقاطعة فورد، وسينضمون جميعًا ويصطنعون مشهدًا في محاكمة كارل لي هيلي؛ سيشعلون جحيمًا هائلًا في مقاطعة فورد هذا الصيف بحيث لا يتجرأ أحد يمتلك فطرة سليمة في هيئة المحلفين بأن يفكر أن يصوت لتبرئة الزنجي. كان عليه تجنيد نصف دزينة أخرى من الناس فقط، وسيجعلونه بعدها رئيس التجمع المحلي للمنظمة في مقاطعة فورد.

قال كوب بأن لديه عددًا كافيًا من الأقرباء لينشئ تجمعًا محليًا للمنظمة.

غادر الاجتماع منتشيًا بفكرة كونه عضوًا من المنظمة مثل جده تمامًا.

كان توقيت باكلي خاطئًا قليلًا؛ لقد تم تجاهل سبقه الصحفي المقام عند الساعة الرابعة عصرًا من قبل نشرات الأخبار المسائية. بدّل جايك بين القنوات عبر تلفازٍ صغيرٍ يعرض باللونين الأبيض والأسود موجودٍ في مكتبه، وضحك بصوتٍ مرتفعٍ عندما اختتمت شبكات البث ثم محطات مدينة ممفيس ومدينة جاكسون ومدينة توبيلو دون أية أخبار عن تأييد التهمة. يمكنه تخيل عائلة باكلي جالسين في وكرهم ملتصقين بشدة بالتلفاز، مديرين مفتاح التلفاز يبحثون بيأسٍ عن بطلهم بينما كان يصرخ عليهم جميعًا ليصمتوا. عند الساعة السابعة، بعد نشرة أحوال الطقس في توبيلو، في نهاية النشرة، تراجع إلى الخلف مستلقيًا على كرسيه، وعلى الأرجح أنّه قال حينها: "ربما سيعرض السبق الصحفيّ الخاص بي عند الساعة العاشرة".

عند الساعة العاشرة، استلقى كل من جايك وكارلا على الأريكة مصالبين سيقانهما في الظلام، ينتظران الأخبار.

أخيرًا، ها هو ذا، على الدرجات الأمامية، يُلوّح بالأوراق، ويصرخ كالواعظ الذي يعظ في الشارع بينما كان مذيع أخبار في القناة الرابعة يقدمه على أنه المحامي العام للمقاطعة روفوس باكلي الذي سيلاحق كارل لي هيلي قضائيًا بعد إثبات التهمة عليه.

بعد عرض لمحة مريعةٍ من باكلي ثبتت عدسات التقرير على الساحة أمام المبنى لرؤية الإطلالة البديعة لقلب مدينة كلانتون، ثمّ عادت العدسات أخيرًا إلى المراسلين للختام بجملتين حول محاكمة في نهاية الصيف.

قالت كارلا: "يا له من شخصٍ كريهٍ! لِمَ يودّ عقد مؤتمرٍ صحفي لإعلان تأييد التهم؟".

أجاب جايك: "إنه المحامي العام، نحن محامو الدفاع نكره الصحافة".

ردّت كارلا: "لقد لاحظت ذلك، إن دفتر قصاصاتي يمتلئ بسرعة".

رد جايك: "تأكدي من أن تصنعي بعض النسخ لأمك".

سألته: "هل ستوقعه من أجلها؟".

أجابها جايك: "إذا دفعت مقابل ذلك، أما دفترك فسأوقعه مجانًا".

ردت: "حسنًا، وإن خسرت فسأرسل لك فاتورة القص واللصق".

ردّ جايك: "دعيني أذكرك يا عزيزتي أنّه لم يسبق لي أن خسرت قضية قتل. في الواقع فزت بثلاث قضايا على التوالي".

ضغطت كارلا على جهاز التحكم عن بعد بقوة وبقي مذيع النشرة الجوية يظهر على الشاشة ولكنّ صوته اختفى، وقالت: "أتعرف ما أكثر شيء أكرهه بخصوص محاكماتك الجنائية؟".

ودفعت الوسادة عن ساقيها النحيلتين البرونزيتين اللتين كانتا شبه مثاليتين.

أجابها جايك: "الدماء، والمذبحة، والشناعة؟".

قالت بعد أن فردت شعرها الذي يصل إلى كتفيها، وجعلته يتدلى حولها على ذراع الأريكة: "كلا".

ردّ جايك: "خسارة حياةٍ، بغض النظر عن تفاهتها؟".

ردّت: "كلا"، كانت ترتدي واحدًا من قمصان أوكسفورد القديمة الخاصة بجايك، كان مغسولًا ومنشئ وكانت الياقة تحوي على أزرارٍ صغيرة، أخذت تبرم الأزرار.

ردّ: "أن يواجه الرجل الوديع الدمث الإعدام في غرفة الغاز؟".

أجابت: "كلا"، وكانت تفك أزرار القميص. ومضت أشعة التلفاز الرمادية المزرقة كبريقٍ في الغرفة المظلمة بينما ابتسم المذيع وتلفظ بعبارة عمتم مساءً.

ردّ جايك: "خوف عائلة شابة حين يدخل والدها إلى المحكمة ويواجه هيئة محلفين مكونة من زملائه؟".

أجابت: "كلا"، أنهت فك أزرار القميص وتحته كان هنالك شريطٌ مطاطي ذو بريقٍ مصنوعٍ من الحرير الأبيض لمع على بشرتها البنية.

ردّ جايك: "الظلم الخفي لنظامنا القضائي؟".

أجابت: "كلا"، وقامت برفع ساقٍ برونزيةٍ شبه مثالية إلى الأعلى أكثر فأكثر حتى وصلت بها إلى ظهر الأريكة حيث استراحت هناك بلطفٍ.

ردّ جايك: "الأساليب غير الأخلاقية وغياب الضمير التي ينتهجها رجال الشرطة والمدعون للنيل من متهمين بريئين؟".

أجابت: "كلا"، وفكت الشريط الحريري الموجود بين نهدين شبه مثاليين.

ردّ جايك: "الحماسة، والسخط، والحدة والمشاعر غير المنضبطة ومعاناة الروح الإنسانية والشغف الجامح؟".

أجابت: "لقد أوشكت أن تعثر على الإجابة الصحيحة"، ارتدت السراويل والقمصان عن المصابيح وطاولات القهوة بينما امتزج الجسدان ببعضهما عميقًا تحت الوسائد. اهتزت الأريكة القديمة التي كانت هدية من والديها على أرضية الخشب القاسي القديم، وأطلقت صريرًا؛ كانت الأريكة متينة ومعتادة على الاهتزاز والصرير؛ ركضت الكلبة ماكس الهجينة عبر الرواق إلى الأسفل لتقف حارسة أمام باب غرفة هانا.

14

لقد كان هاري ريكس فونر محاميًا شنيعًا جدًا، وكان اختصاصه قضايا الطلاق القذرة، وكان يُبقي على الدوام بعض الحمقى في السجن لأنهم لم يوافقوا على دفع نفقات معيشة أولادهم. لقد كان وضيعًا وشرسًا، وكان هنالك طلبٌ كبيرٌ على خدماته من قبل الأطراف الراغبة بالطلاق في مقاطعة فورد. يمكنه أن يضمن الفوز بالأطفال والمنزل والمزرعة ومشغل شرائط الكاسيت والمايكرويف وكل شيء، وقد وكّله أحد المزارعين الأغنياء لا لشيء، إلا للحيلولة دون تمكن زوجته الحالية من توكيله عندما يتطلقا. كان يرسل هاري ريكس قضاياه الجنائية إلى جايك، وبدوره يرسل جايك دعاوى الطلاق القذرة التي ترد إليه إلى هاري ريكس؛ كانت تجمعهما صداقة جيدة ولقد كرها باقي المحامين، خصيصًا الذين يعملون في شركة سوليفان.

صباح الثلاثاء، اقتحم هاري المكتب، وبدا متذمرًا وهو يتحدث إلى إثيل: "هل جايك هنا؟"، تحرك بخطواتٍ متثاقلة تجاه الدرج وهو يحدق إليها وكأنه يتحداها أن تجرؤ وتتفوه بكلمة، فأومأت برأسها، وهي أدرى من أن تسأله في ما إذا كان جايك يتوقع قدومه؛ لقد سبق له أن شتمها، كما سبق له أن شتم الجميع.

اهتز الدرج وهو يصعد إلى الأعلى بسرعةٍ وصخبٍ؛ لقد كان يلتقط أنفاسه وهو يدخل المكتب الكبير.

قال جايك: "صباح الخير يا هاري ريكس، هل ستستطيع النجاة؟".

سأله هاري محاولًا الكلام بين كل نفسٍ وآخر: "لماذا لا تستعمل المكتب في الطابق السفلي؟".

أجاب: "أنت بحاجةٍ للتمرين، فلولا هذه الأدراج لكان وزنك تخطى الثلاثمئة".

ردّ هاري: "شكرًا، لقد عدت للتو من المحكمة. يريدك نووز في قاعة الاجتماع عند الساعة العاشرة والنصف إن كان ذلك ممكنًا، فهو يرغب بالتحدث عن قضية هيلي معك أنت وباكلي، كما يريد ترتيب طلب استدعاء إلى المحكمة وتحديد تاريخ للمحاكمة وكل ذلك الهراء؛ لقد طلب مني أن أخبرك".

قال جايك: "جيد، سأكون هناك".

سأله هاري: "أعتقد أنك سمعت بشأن هيئة المحلفين الكبرى؟".

أجابه جايك: "بالتأكيد، لديّ نسخة من ورقة إثبات التهمة هنا".

ابتسم هاري ريكس وقال: "لا، لا، أقصد نتائج التصويت على إثبات التهمة".

تجمد جايك ونظر إليه بفضولٍ؛ لقد جال هاري ريكس المحكمة بصمت، إذ كانت مصدرًا لا ينضب للشائعات والقيل والقال، وكان يشعر بالفخر لأنه يعرف الحقيقة معظم الأحيان؛ لقد كان دومًا أول من يعلم بكل شيءٍ تقريبًا. ابتدأت أسطورة هاري ريكس قبل عشرين سنة مع أول محاكمة له عبر هيئة المحلفين، حين رفضت سكة القطار الحديدية التي قاضاها هاري بالملايين أن تدفع عشرة سنتاتٍ، وبعد ثلاثة أيامٍ من المحاكمة انسحبت الهيئة من المحكمة لتتناقش وتوصلت لقرار على انفراد. قلق محامو السكة الحديديَّة عندما فشلت الهيئة بأن تعود بحكمٍ سريعٍ يصب في صالحهم، فعرضوا على هاري ريكس خمسةً وعشرين ألفًا للتسوية عندما استمرت مشاورات الهيئة حتى اليوم الثاني.

بأعصابٍ من حديد، أخبرهم أن يذهبوا إلى الجحيم؛ لقد أراد موكله أن يأخذ النقود، ولكنه أخبره هو الآخر أن يذهب إلى الجحيم. عادت الهيئة المنهكة والمرهقة بعد ساعاتٍ بحكمٍ مفاده أن تدفع السكة مبلغًا وقدره مئة وخمسون ألفًا. لقد رفع هاري ريكس إصبعه الوسطى في وجه محامي السكة الحديدية، فزجر موكله وذهب إلى الحانة في بيست ويسترن حيث اشترى مشروباتٍ للجميع، وكان يشرح طيلة الأمسية الطويلة بالتفصيل كيف أنه وضع أجهزة تنصت في غرفة هيئة المحلفين وكان يعرف بالضبط ما كانت تخطط له الهيئة. انتشر الخبر ووجد مورفي سلسلة من أجهزة التنصت المارة داخل أنابيب التدفئة إلى غرفة المحلفين، وعنما تفحصت نقابة المحامين في الولاية المكان جيدًا لإيجاد أجهزة تنصت، لم تجد شيئًا. وطيلة عشرين سنة طلب القضاة من كتّاب وحُجاب المحكمة أن يتفحصوا غرفة هيئة المحلفين ولم يتمكنوا ولا بأي شكلٍ ربط هاري ريكس بأية قضية متعلقة بالأمر.

سأل جايك وبدا مرتابًا: "كيف عرفت بنتيجة التصويت؟".

أجاب هاري: "لديّ مصادري".

ردّ جايك: "حسنًا، ماذا كانت نتيجة التصويت؟".

أجاب هاري: "اثنا عشر صوتًا مقابل ستة. إن لم يصوت أحدهم في غير صالح موكلك ما كان بإمكان باكلي حمل ورقة إثبات التهمة هذه حينها".

كرر جايك ما قاله هاري: "اثنا عشر صوتًا مقابل ستة".

قال هاري: "كاد أن يتوقف قلب باكلي. تولى رجلٌ أبيض البشرة يدعى كرويل القضية، وكاد أن يقنع عددًا كافيًا منهم بألا يؤيدوا التهمة على رَجلك".

سأل جايك: "هل تعرف كرويل؟".

أجاب هاري: "لقد تدبّرت معاملة طلاقه منذ سنتين. لقد عاش في جاكسون إلى أن قام شخص أسود باغتصاب زوجته الأولى، وعندما جُنّت تطلقا؛ لقد أخذت سكينَ قطعِ اللحم المقدد ومزقت رسغيها؛ ثمّ انتقل إلى كلانتون وتزوج فتاةً رخيصةً من المقاطعة؛ دام زواجهما سنةً تقريبًا. لقد أكل كرويل غداء باكلي وأخبره أن يجلس ويصمت. ليتني رأيت الموقف".

قال جايك: "يبدو لي أنك رأيته بالفعل".

ردّ هاري: "لا، كل ما في الأمر أن لديّ مصدرًا موثوقًا".

سأل جايك: "من؟".

قال هاري: "ما بك يا جايك؟".

سأله جايك: "هل عدت إلى أجهزة التنصت؟".

أجابه هاري: "كلا، أنا استمع فحسب. إنّها إشارة جيدة، أليس كذلك؟".

رد جايك: "ماذا؟".

أجاب هاري: "نتائج التصويت المتقاربة؛ صوّت ستة أشخاص من أصل ثمانية عشر شخصًا لعدم تأييد التهمة؛ خمسة سود بالإضافة لكرويل، إنّها إشارة جيدة. أحضر فقط بضعة سود

الى هيئة المحلفين وستصبح هيئة المحلفين معلقة أليس كذلك؟".

ردّ جايك: "إن الأمر ليس بهذه السهولة؛ إذا حوكِم في هذه المقاطعة، فهناك احتمال كبير بأننا سنحصل على هيئة محلفين مؤلفة كلها من ذوي البشرة البيضاء. إنّهم كثرٌ هنا، وكما تعلم ما زالوا ليبراليين للغاية، وعلاوة على ذلك يبدو أن لا مثيل لكرويل هذا".

قال هاري: "هذا ما خطر على بال باكلي؛ يجب أن ترى ذلك الأحمق، إنّه يتبختر في المحكمة مستعدًا لتوزيع تواقيعه بعد ظهوره التلفازي الضخم ليلة أمس. لا أحد يريد التحدث عن ظهوره، لذلك تمكن من إدخال الموضوع إلى كل محادثة، إنّه كالطفل يتوسل الحصول على الاهتمام".

ردّ جايك: "كن لطيفًا، فقد يصبح الحاكم القادم".

قال هاري: "هذا إن لم يخسر قضية هيلي، وهذا ما سيحصل يا جايك. سنختار لأنفسنا محلفين جيدين، سنختار اثني عشر مواطنًا جيدًا وأمينًا، ثمّ سنرشوهم".

قال جايك: "سأعتبر أنّني لم أسمع شيئًا".

ردّ هاري: "هذه الخطة مضمونة النجاح دائمًا".

عند الساعة الحادية عشرة إلا ثلثًا، دخل جايك غرفة القاضي خلف قاعة المحكمة، وصافح ببرود كلًا من باكلي وموسغروف وإيكابود؛ لقد كانوا بانتظاره. أشار له نووز بمكان مقعده وجلس خلف مكتبه.

نظر نووز من أسفل أنفه وقال: "سيستغرق هذا بضع دقائق فقط يا جايك. أريد استدعاء كارل لي هيلي للمحاكمة عند التاسعة صباحًا. هل من مشكلة في هذا؟".

أجاب جايك: "كلا، سيكون هذا مناسبًا".

أكمل نووز: "سنقوم بالمزيد من الاستدعاءات في الصباح، ثمّ سنبدأ بقضية سرقة عند العاشرة. أهذا صحيحٌ يا روفوس؟".

"أجل يا سيدي".

قال نووز: "حسنًا، دعونا نناقش الآن تاريخ محاكمة السيد هيلي، فكما تعلمون، إن مرحلة المحاكمة هنا ستكون في أواخر آب في الاثنين الثالث منه، وأنا واثقٌ من أن جدول قضايا المحكمة سيكون مزدحمًا بالقدر نفسه، وبسبب طبيعة هذه القضية، وبصراحة بسبب الضجة الإعلامية التي ترافقها، أعتقد أنه من الأفضل أن نجري محاكمة بأسرع وقت ممكنٍ عمليًا".

أضاف باكلي: "كلما كانت أقرب، كلما كان ذلك أفضل".

قال نووز: "جايك، كم يلزمك من الوقت للتحضير للمحاكمة؟".

أجاب: "أحتاج إلى ستين يومًا".

أعاد باكلي تكرار ما قاله جايك غير مصدقٍ ما سمعه: "إلى ستين يومًا؟ لِمَ كل هذه المدة؟".

تجاهله جايك وراقب إيكابود وهو يُعدّل نظارة القراءة الخاصة به ويتمعن جدول القضايا التي تنتظر المحاكمة، ثمّ سأل نووز: "هل سيكون آمنًا أن نتوقع طلبًا لتغيير مكان المحاكمة؟".

أجاب جايك: "أجل".

قال باكلي: "لن يُحدِث ذلك أي فارقٍ، سنحصل على الإدانة في أي مكان".

قال جايك بهدوء: "وفر ذلك الحديث للكاميرات يا روفوس".

ردّ عليه باكلي: "ينبغي عليك عدم التحدث عن الكاميرات، يبدو لي أنك من يستمتع بالأمر".

قال نووز: "رجاءً يا سادة، ما هي المطالب الأخرى التي يمكن أن نتوقعها من قبل محامي الدفاع قبل المحاكمة؟".

فكّر جايك للحظةٍ ثمّ قال: "سيكون هنالك مطالب أخرى".

سأل نووز وبدا متوترًا نوعًا ما: "هل يمكن أن تعلمني بشأنها؟".

قال جايك: "أنا لا أهتم حقًا يا حضرة القاضي بمناقشة دفاعي في الوقت الحالي، لقد استلمنا لائحة التهم للتو، ولم تتح لي الفرصة لمناقشتها مع موكلي، ومن الواضح أنه لدينا بعض العمل للقيام به".

سأله نووز: "ما هو مقدار الوقت الذي تحتاج إليه؟".

أجابه: "أحتاج إلى ستين يومًا".

صرخ باكلي: "هل تمزح؟ الولاية جاهزة للمحاكمة بدءًا من الغد يا حضرة القاضي. يا للمهزلة! أتحتاج إلى ستين يومًا؟".

بدأ جايك يستشيط غضبًا، ولكنه كظم غضبه. مشى باكلي نحو النافذة، وتمتم لنفسه غير مصدقٍ ما قيل.

تمعن نووز جدول القضايا التي تنتظر المحاكمة ثمّ قال: "ولماذا تحتاج إلى ستين يومًا؟".

أجابه جايك: "يمكن لهذه القضية أن تكون معقدة".

ضحك باكلي ولم يكفَّ عن هزّ رأسه.

سأله القاضي: "حسنًا، هل يمكن أن نتوقع دفاعًا يستند إلى الادعاء بالجنون؟".

أجابه جايك: نعم يا سيدي. وسيتطلب الأمر وقتًا كي يُعرض السيد هيلي على طبيب نفسي، وبالطبع، بعدها سترغب الولاية بأن تعرضه على أطبائها".

ردّ نووز: "لقد فهمت".

أضاف جايك: "وربما سيكون هنالك أمورٌ أخرى؛ إنّها قضية كبيرة، وأريد أن أتأكد بأنه لدينا الوقت للتحضير على نحوٍ كافٍ".

سأل القاضي: "ما رأيك يا سيد باكلي؟".

أجابه: "لا يهم، لا مشكلة لدينا، سنكون جاهزين؛ يمكننا البدء بالمحاكمة غدًا".

خربش نووز على جدول القضايا التي تنتظر المحاكمة، وعدّل نظارة القراءة والتي كانت تستند على أعلى قمة ذلك الأنف وقد ثبتها في مكان ثؤلول صغير متموضع بشكل مثالي على جذع أنفه الشبيه بالمنقار، وبسبب حجم ذلك الأنف وشكل رأسه الغريب تطلب الأمر أن تُصنع نظارة خاصة لحضرة القاضي بحيث تكون ذراعاها طويلتين بشكل إضافي، ولم يستخدمها أبدًا للقراءة ولا لتحقيق أي غرضٍ آخر سوى بذل جهدٍ لا طائل منه لصرف الانتباه عن حجم الأنف وشكله.

لقد شك جايك دومًا بهذا، ولكنه لم يمتلك الشجاعة ليخبر القاضي أن النظارة السخيفة برتقالية اللون وذات العدستين المسدستين حوّلت الانتباه من أي شيءٍ آخر مباشرةً إلى أنفه.

سأل نووز: "كم تتوقع أن تستغرق المحاكمة يا جايك؟".

أجاب جايك: "ثلاثة أو أربعة أيام، ولكن قد تستغرق عملية اختيار الهيئة ثلاثة أيام".

سأل نووز: "ما رأيك يا سيد باكلي؟".

أجاب: "يبدو ذلك صحيحًا، ولكنّني لا أفهم لماذا يتطلب الأمر ستين يومًا للتحضير لمحاكمة ستستغرق ثلاثة أيام. أعتقد أنّه يجب إقامة المحاكمة أبكر من ذلك".

قال جايك بهدوء: "روّح عن نفسك يا روفوس، ستكون الكاميرات هنا بعد ستين يومًا وحتى بعد تسعين يومًا؛ لن تُنسى. يمكنك إجراء المقابلات وعقد مؤتمرات صحفية وإلقاء مواعظ خطابية وكل شيء؛ كل الأمور المعتادة، ولكن لا تقلق كثيرًا، فستحظى بفرصتك".

ضاقت عينا باكلي واحمر وجهه؛ خطا ثلاث خطواتٍ باتجاه جايك وقال: "إن لم أكن مخطئًا يا سيد بريغانس فقد أجريتَ مقابلاتٍ ورأيت كاميراتٍ أكثر مما قمتُ به خلال الأسبوع الماضي".

ردّ جايك: "أعلم ذلك، وهذا ما يشعرك بالغيرة أليس كذلك؟".

قال باكلي: "كلا، لا أهتم بشأن الكاميرات...".

قاطعه جايك: "منذ متى؟".

انفجر نووز كبركانٍ هائجٍ وقال: أرجوكما يا سيّديّ، إن الأمر يدل على أن هذه القضية ستكون مفعمة بالعواطف وطويلة، وأتوقع منكما أن تتصرفا باحتراف. الآن، جدول القضايا التي تنتظر المحاكمة مكتظ، والفراغ الوحيد الذي عندي هو في الأسبوع الأول من شهر تموز في اليوم الثاني والعشرين منه. هل هنالك مشكلة في هذا التاريخ؟".

قال موسغروف: "يمكننا إجراء المحاكمة في ذلك الأسبوع".

ابتسم جايك إلى باكلي وقلّب جدول أعماله ذا حجم الجيب وقال: "يبدو ذلك جيدًا بالنسبة إليّ".

قال نووز: "حسنًا، يجب ملء جميع الطلبات القضائية والتخلص من الأمور السابقة للمحاكمة بحلول يوم الاثنين في الثامن من تموز. لقد تم تحديد موعد الاستدعاء إلى المحكمة يوم الغد عند الساعة التاسعة. هل هنالك من أسئلة؟".

وقف جايك وصافح نووز وموسغروف وغادر.

بعد الغداء، زار موكله الشهير في مكتب أوزي في السجن؛ لقد تم تقديم نسخة من لائحة التهم إلى كارل لي في زنزانته، لذا، كان لديه بعض الأسئلة لمحاميه.

سأله كارل لي: "ما هي تهمة جريمة القتل الكبرى؟".

أجاب جايك: "إنها أسوأ أنواع التُهم".

سأله كارل لي: "كم نوعًا يوجد؟".

أجاب جايك: "هناك ثلاثة أنواع بشكل أساسي: القتل غير المتعمد، القتل العادي، وجريمة القتل الكبرى".

سأل كارل لي: "ما عقوبة القتل غير المتعمد؟".

أجاب جايك: "السجن لعشرين سنة".

سأل كارل لي: "ما هي عقوبة القتل العادي؟".

أجاب جايك: "السجن المؤبد لعشرين سنة".

سأل كارل لي: "ما هي عقوبة جريمة القتل الكبرى؟".

أجاب جايك: "الإعدام بغرفة الغاز".

سأل كارل لي: "ما عقوبة الاعتداء على نائب المأمور؟".

أجاب جايك: "حكم مؤبد من دون إخلاء سبيلٍ مشروطٍ".

أمعن كارل لي النظر في لائحة التهم وقال: "أتقصد أنّه لدي عقوبتا إعدام بغرفة الغاز وعقوبة حكم مؤبد في السجن؟".

أجاب جايك: "ليس بعد، لديك الحق بالمحاكمة أولًا، والتي حددت في الثاني والعشرين من تموز".

قال كارل لي: "أي بعد شهرين من الآن، لماذا كل هذه المدة؟".

أجاب جايك: "نحن بحاجة إلى الوقت؛ سأستغل كل تلك المدة لإيجاد طبيب نفسي يقول إنك كنت مصابًا بالجنون. ثمّ سيرسلك باكلي إلى ويتفيلد ليتم فحصك من قبل أطباء الولاية، وسيقولون إنك لم تكن مجنونًا حينها. سنقدم طلباتٍ قضائية، وسيقدم باكلي طلباتٍ قضائية، وسيكون لدينا بضع جلسات استماعٍ... فكل هذه الأمور تستغرق وقتًا".

سأل كارل لي: "ألا يمكن أن تجرى المحاكمة في وقتٍ أبكر؟".

أجاب جايك: "نحن لا نريدها في وقتٍ أبكر".

انفجر كارل لي قائلًا: "وإن كنت أريد ذلك؟".

تفحصه جايك بتمعنٍ وسأله: "ما المشكلة أيها الرجل الضخم؟".

أجاب كارل لي: "يجب أن أخرج من هنا وبسرعة".

قال جايك: "ظننتك قلت إن السجن ليس سيئًا للغاية".

أجاب كارل لي: "وهو ليس كذلك بالفعل، لكن عليّ العودة إلى المنزل. لم تعد غوين تملك المال، ولا تستطيع إيجاد عمل، وليستر يواجه مشكلة مع زوجته، إنّها تطلبه كل الوقت، ولذلك لن يستطيع الصمود لوقتٍ أطول. أكره أن أطلب المساعدة من أهلي".

قال جايك: "ولكنهم سيساعدونك أليس كذلك؟".

أجاب كارل لي: "البعض منهم سيساعدونني، وكما تعلم، لكل شخص مشاكله، عليك أن تخرجني من هنا يا جايك".

قال جايك: "انظر، ستستدعى في الصباح عند الساعة التاسعة. ستجرى المحاكمة في الثاني والعشرين من شهر تموز، ولن يتغير الموعد، لذا، انسَ هذا. هل شرحت لك إجراء الاستدعاء إلى المحكمة للإجابة عن التهم؟".

هزّ كارل لي رأسه.

قال جايك: "لن يستغرق الأمر أكثر من عشرين دقيقة؛ سنظهر أمام القاضي نووز في قاعة المحكمة الكبيرة، وسيسألك بضعة أسئلة، ثمّ يسألني بضعة أسئلة. سيتلو عليك لائحة التهم علنية في المحكمة، ويسألك إن كنت قد تلقيت نسخةً منها، ثمّ سيسألك إن كنت تعترف بجرمك أم تدلي ببراءتك، وعندما تقول إنك غير مذنبٍ، سيحدد القاضي تاريخ المحاكمة، وستجلس بعدها. سنخوض أنا وباكلي نقاشًا بشأن الكفالة، وسيرفض نووز تحديد كفالة، ثمّ سيُعيدونك إلى السجن، حيث ستبقى هناك حتى وقت المحاكمة".

سأل كارل لي: "ماذا بشأن ما بعد المحاكمة؟".

ابتسم جايك قائلًا: "كلا، لن تبقى في السجن بعد المحاكمة".

سأل كارل لي: "أتعد بذلك؟".

أجابه جايك: "كلا، ما من وعودٍ. هل لديك أسئلة بشأن الغد؟".

أجاب كارل لي: "كلا. آه، كم دفعتُ لك من النقود يا جايك؟".

تردد جايك وشم رائحة مشكلة وقال: "ولِمَ تسأل؟".

أجاب كارل لي: "مجرد سؤال".

أجاب جايك: "تسعمئة دولارٍ، بالإضافة إلى سندٍ".

كان بحوزة غوين أقل من مئة دولارٍ؛ كانت متأخرة على موعد تسديد الفواتير وكان الطعام قليلًا. يوم الأحد، زارت كارل لي وبكت لمدة ساعة؛ كان الذعر جزءًا من حياتها وتكوينها، لكنه عرف أنهما كانا مفلسَين وأنها كانت خائفة. كانت يد عون العائلة قصيرة، ربما قدمت عائلتها بعض الخضار من البستان، وبعض النقود للحليب والبيض؛ عندما يتعلق الأمر بالجنازات ودخول المستشفيات ليلًا كان يُعتمد عليهم جدًا، فقد كانوا بغاية الكرم وأعطوا كامل وقتهم للانتحاب والنواح، ولكن عندما كانا بحاجة لنقودٍ حقيقية تفرقوا كالدجاج. لم تكن عائلتها ذات فائدة كبيرة بالنسبة إليه، ولم تكن عائلته أفضل حالًا منها.

أراد طلب مئة دولار من جايك، لكنه قرر الانتظار ريثما تفلس غوين تمامًا، عندها سيكون الطلب أسهل.

قلب جايك في مفكرته القانونية، وانتظر ليطلب منه كارل لي النقود؛ لطالما طالب الموكلون المجرمون، خصوصًا السود منهم، باسترجاع بعضٍ من المبلغ بعد أن يُدفع. لقد شك بأنه لن يرى أكثر من تسعمئة دولار على الإطلاق، ولم ينوِ أن يعيد أي جزءٍ من المبلغ. بالإضافة إلى ذلك، لطالما استطاع السود تدبر أمورهم؛ سيكون هناك عائلاتٍ وستتدخل الكنائس، ولن يتضور أحد جوعًا.

انتظر ووضع مفكرته القانونية والملف في حقيبته ثمّ سأله: "هل من أسئلة يا كارل لي؟".

أجاب كارل لي: "أجل، ماذا يمكنني أن أقول غدًا؟"، ردّ جايك: "ما الذي ترغب بقوله؟".

قال كارل لي: "أريد أن أخبر القاضي أنني أطلقت النار على الشابين؛ لقد اغتصبا ابنتي، وكانا يستحقان أن أطلق النار عليهما".

قال جايك: "وترغب بشرح ذلك لحضرة القاضي غدًا؟".

أجاب كارل لي: "أجل".

ردّ جايك: "وهل تعتقد أنّه سيطلق سراحك بعدما تشرح له كل شيء؟".

لم يقل كارل لي شيئًا.

ثم أكمل جايك: "انظر يا كارل لي، لقد عينتني محاميًا لك، وعينتني لأنك تثق بي أليس كذلك؟ وإن أردتك أن تقول شيئًا غدًا فسأعلمك بذلك، وإن لم أرد فستبقى صامتًا. عندما تذهب إلى المحاكمة في تموز سيكون لديك الفرصة لتدلي بوجهة نظرك، ولكن في الوقت الراهن، دعني أتكلم".

رد كارل لي: "حسنًا، لك ذلك".

كدس ليستر وغوين الأولاد وتونيا في سيارة كاديلاك حمراء اللون، وقادا السيارة إلى عيادة الطبيب بجانب المستشفى؛ لقد مضى أسبوعان على الاغتصاب، وكانت تونيا تعرج، أرادت أن تركض وتصعد بعض الدرجات مع أشقائها، ولكن أمها أمسكت بيدها. تلاشى الألم في ساقيها

ومؤخرتها تقريبًا، لقد نزع الأطباء الضمادات عن معصميها وكاحليها الأسبوع الماضي، وكانت الجروح تُشفى بشكل جيد، ولكن أبقي على الشاش والقطن بين ساقيها.

نزعت ملابسها في غرفة صغيرة، وجلست إلى جانب أمها على طاولة الفحص المنجدة، وعانقتها الأخيرة كي تبقيها دافئة. مدّ الطبيب إصبعه في فمها ودلّك فكيها، ثم أمسك بمعصميها وكاحليها وتفحصها، وجعلها تستلقي على الطاولة، ولمس بين ساقيها فبكت وتمسكت بوالدتها التي أمالت نفسها ناحيتها.

لقد كانت تتألم مجددًا.

15

عند الساعة الخامسة من صباح يوم الأربعاء، احتسى جايك القهوة في مكتبه، وحدق عبر الأبواب الفرنسية إلى ساحة فناء المحكمة المظلمة؛ لقد نام بشكلٍ متقطعٍ وغير منتظمٍ، وقد استسلم منذ عدة ساعاتٍ وغادر سريره الدافئ في محاولة يائسةٍ منه لإيجاد قضية غير مشهورة حدثت في ولاية جورجيا، والتي كما خال نفسه أنّه يتذكرها من كلية الحقوق ألزمت القاضي أن يسمح بالخروج من السجن بكفالة في جريمة قتلٍ كبرى في حال لم يكن لدى المدعى عليه سجل إجرامي سابقٍ، وكان لديه ملكية في المقاطعة، ووظيفة مستقرة، والعديد من الأقرباء في الجوار، إلا أنه لم يجد هذه القضية، بل وجد مجموعة مماثلة من قضايا حديثة واضحة غير مبهمة ومحكمة بشكلٍ جيدٍ في ولاية ميسيسيبي التي أعطت القاضي حرية التصرف الكاملة بأن يرفض إخلاء السبيل بكفالة لمثل أولئك المتهمين؛ ذلك هو القانون ويعرفه جايك جيدًا، ولكنه أراد شيئًا ليتجادل به مع إيكابود، لقد انتابه الذعر من فكرة أن يطلب كفالةً لكارل لي؛ سيصرخ باكلي حينها ويلقي بعض المواعظ ويتلو عليه تلك القضايا الرائعة، وسيبتسم نووز وينصت ثمّ يرفض الكفالة.

قالت ديل لزبونها المفضل وهي تصب له قهوته: "لقد أتيت باكرًا هذا الصباح يا عزيزي".

أجابها: "المهم أنني أتيت"؛ لقد تغيب بضعة صباحات خلال الأيام الأخيرة منذ بُتِرَت ساق لوني، فقد كان الأخير يتمتع بشعبية، وكان هنالك بعض الامتعاض في المقهى وفي المدينة تجاه محامي هيلي، وقد كان على درايةٍ بذلك وحاول تجاهل الأمر.

لقد كان معظم الناس يمتعضون من أي محامٍ يدافع عن أسود قتل أبيضين.

سألها جايك: "هل يمكنني أخذ دقيقة من وقتك؟".

أجابت ديل وهي تتلفت حولها: "بالطبع"، إنها الساعة الخامسة والربع، ولم يكن المقهى قد ازدحم بعد، فجلست مقابل جايك على مائدة صغيرة بين جدارين وصبت القهوة.

سألها جايك: "ما الذي يتحدث عنه رواد المقهى؟".

أجابت ديل: "الأمور المعتادة: السياسة، وصيد السمك، والزراعة، لم تتغير الأحاديث أبدًا. إنّني أعمل هنا منذ إحدى وعشرين سنةً، أقدم الطعام نفسه للأشخاص أنفسهم الذين لا يزالون يتحدثون عن الأمور نفسها".

سألها جايك: "يعني لا شيء جديد؟".

أجابت: "إنهم يتحدثون عن هيلي، تدور أحاديث كثيرة عنه، ولكن عندما يأتي غرباء يتوقف الحديث، وتعود إلى سابق عهدها".

سألها جايك: "لماذا؟".

أجابت ديل: "لأنه إذا بدوتَ أنك تعلم شيئًا عن القضية، فسيلحق بك بعض الصحفيين إلى الخارج ويطرحون عليك العديد من الأسئلة".

قال جايك: "هذا سيئ أليس كذلك؟".

أجابت: "كلا، إنّه عظيم. لم يسبق للعمل أن كان أفضل مما هو عليه الآن".

ابتسم جايك، وأغرق عصيدته بالزبدة، ثمّ أضاف صلصة التاباسكو.

ثم سألها: "ما رأيك بالقضية؟".

حكّت ديل أنفها بأظافرها الحمراء الطويلة المستعارة، ونفخت في قهوتها؛ لقد كانت مشهورة بصراحتها وكان يأمل أن يحصل على إجابةٍ مباشرةٍ.

قالت ديل: "إنه مذنبٌ، لقد قتلهما، لقد خطط لذلك، لكنّني أكن له بعض التعاطف".

قال جايك: "دعينا نقل إن كنتِ في هيئة المحلفين، فهل ستؤيدين التهمة؟".

راقبت الباب الأمامي، ولوحت بيدها إلى زبونٍ.

ثم قالت: "حسنًا، وفقًا للفطرة يجب أن أقول إنّه غير مذنب أي شخصٍ يقتل مغتصبًا، خاصةً عندما يكون أبًا، ولكن من جهة أخرى لا يمكننا السماح للناس بحمل المسدسات وتحقيق العدالة بأنفسهم. هل يمكنك إثبات أنّه كان مجنونًا عندما قتلهما؟".

قال جايك: "لنفترض أنني استطعت إثبات ذلك".

قالت ديل: "عندها سأصوت بأنه غير مذنب، بالرغم من أنّني لا أعتقد أنه كان مجنونًا".

دهن المربى على التوست، وأومأ برأسه موافقًا.

سألته ديل: "ولكن، ماذا عن لوني؟ إنّه صديقي".

أجابها جايك: "لقد أصيب عن طريق الخطأ".

سألت ديل: "أهذا التفسير جيد بما فيه الكفاية؟".

قال جايك: "كلا، كلا، إنّه ليس كذلك. لم تطلق البندقية النار من تلقاء نفسها، أُصيب لوني عن طريق الخطأ، لكنّني أشك بأن حجة كهذه تعتبر دفاعًا صالحًا للاستخدام، هل كنتِ ستدينينه لإطلاقه النار على لوني؟".

أجابت ديل ببطءٍ: "على الأرجح، لقد خسر ساقًا".

فكّر جايك كيف بإمكانه أن يكون مجنونًا عندما أطلق النار على كوب وويلارد ولم يكن كذلك عندما أطلق النار على لوني، ولكنه لم يسألها ذلك واكتفى بتغيير الموضوع.

سألها جايك: "ماذا يُشاع عني؟"

أجابت ديل: "الشيء ذاته تقريبًا. سأل أحدُهم عنك، وقال إنك لا تملك الوقت لنا بعد الآن بما أنك أصبحت مشهورًا. لقد سمعت بعض التمتمة عنك وعن ذلك الأسود، ولكن كانت بصوتٍ خافتٍ للغاية؛ فهم لا ينتقدونك بصوتٍ مرتفعٍ، وأنا لن أسمح لهم بهذا".

قال جايك: "أنتِ لطيفة".

قالت ديل: "أنا عاهرة لئيمة وأنت تعلم ذلك".

قال جايك: "كلا، أنتِ فقط تحاولين التظاهر بذلك".

قالت ديل: "نعم، شاهد هذا. نهضت بدأت بإهانة مزارعين كانوا يجلسون إلى إحدى الطاولات ويطلبون مزيدًا من القهوة، فأنهى جايك قهوته بمفرده، وغادر إلى مكتبه.

عندما وصلت إثيل عند الساعة الثامنة والنصف كان هناك مراسلان يتسكعان على الرصيف خارج الباب المقفول؛

لحقا بها، وطلبا رؤية السيد بريغانس، فرفضت وطلبت منهما الرحيل، لكنهما رفضا وكررا طلبهما. وعندما سمع جايك الضجة في الأسفل، أقفل بابه تاركًا إياها تتعارك معهما.

راقب من مكتبه فريق كاميرا يتموضع عند باب المحكمة الخلفي، فابتسم وشعر بدفقة من الأدرينالين تسري في داخله؛ لقد تخيل نفسه يظهر على الأخبار المسائية وهو يعبر الشارع بحيوية وصرامة مثل رجال الأعمال متبوعًا بالمراسلين الذين يتوسلون للحصول على تصريح منه، لكنه لا يحقق لهم رغبتهم. كل هذا وما زالوا في مرحلة الاستدعاء إلى المحكمة للإجابة عن التهم فقط، تخيلوا الضجة التي ستحدثها المحاكمة، ستكون الكاميرات في كل مكان، يصرخ المراسلون بالأسئلة، وتحتل المقالات عن القضية الصفحات الأولى للصحف وربما توضع صوره على أغلفة المجلات. وصفت إحدى صحف أتلانتا الجريمة بأنها الأكثر إثارة من بين الجرائم التي حصلت في الجنوب خلال السنوات العشرين الأخيرة، كان سيقبل باستلام القضية مجانًا، تقريبًا.

بعد لحظاتٍ، قاطع الجدال في الطابق السفلي، ورحّب بالمراسلين بحرارةٍ، فاختفت إثيل وتوجهت إلى قاعة الاجتماعات.

سأله أحدهما: "هل بإمكانك الإجابة عن بعض الأسئلة؟".

أجاب جايك بأدبٍ: "كلا، يجب أن ألتقي بالقاضي نووز".

سأله أحدهما: "نريد أن تجيب عن بضعة أسئلة فقط؟".

قال جايك: "كلا، سيكون هناك مؤتمر صحفي عند الثالثة بعد الظهر"، ثمّ فتح الباب فتبعه المراسلان إلى الرصيف.

سأله الآخر: "أين سيُعقد المؤتمر الصحفي؟".

أجابه جايك: "في مكتبي".

سأله أحدهما: "ما الغاية منه؟".

أجابه جايك: "مناقشة القضية".

عبر جايك الشارع ببطءٍ وصعد إلى طريق قصير تابعٍ للمحكمة مجيبًا عن الأسئلة على طول الطريق.

مجددًا سأله مراسل: "هل سيكون السيد هيلي موجودًا في المؤتمر الصحفي؟".

أجاب جايك: "أجل، هو وعائلته".

طُرح سؤال آخر: "وابنته؟ هل ستكون هناك أيضًا؟".

أجاب جايك: "أجل، ستكون هناك".

سأل مراسل: "هل سيجيب السيد هيلي عن الأسئلة؟".

أجاب جايك: "ربما، لم أقرر ذلك بعد".

ودّعهما جايك، ودخل المحكمة تاركًا إياهما يثرثران عن المؤتمر الصحفي.

دخل باكلي إلى المحكمة عبر الباب الأمامي الخشبي الضخم من دون بلبلةٍ؛ كان يأمل وجود كاميرا واحدة أو اثنتين، لكنه استاء لمعرفة أنّهم كانوا مجتمعين عند الباب الخلفي ليلقوا نظرةٍ على المدعى عليه، لذا، سيستخدم الباب الخلفي للدخول في المرة القادمة.

ركن القاضي نووز سيارته عند صنبور الحريق أمام مكتب البريد، ومشى متبخترًا على الرصيف الشرقي لساحة المحكمة وتوجه إليها؛ بدوره لم يلفت الانتباه، ولم يلقَ سوى بضع نظراتٍ فضوليةٍ.

أمعن أوزي النظر من خلال نوافذ السجن الأمامية، وشاهد حشدًا غوغائيًا ينتظر كارل لي في مرأب السيارات، وقد خطرت بباله حيلة للفرار والتملص مرة أخرى من الموقف، ولكنه نبذ تلك الفكرة. لقد تلقى المكتب دزينتين من رسائل التهديد بقتل كارل لي، وأخذ أوزي قليلًا من تلك الرسائل على محمل الجد.

لقد كانت الرسائل التي أخذها بجدية مخصصة ومرفقة بأزمنة وأمكنة، ولكن معظم الرسائل كانت تتحدث بصيغة عامة، أي رسائل التهديد الاعتيادية؛ لقد كان ذلك مجرد استدعاءٍ للمحكمة للإجابة عن التهم. لقد فكّر بأمر المحاكمة، وفكّر بما ستكون عليه الأمور، وتمتم شيئًا لموس جونيور. أحاطوا بكارل لي بأجسادهم التي ترتدي الملابس الموحدة، ومشوا به إلى الرصيف في الأسفل مجتازين الصحفيين، وتكدس ستة معاونين للنائب العام والسائق في تلك السيارة. تحركت السيارة بسرعة ورافقتها ثلاث سيارات دورية خاصة بأوزي من أجدد ما يكون إلى مبنى المحكمة.

لقد جدول نووز العديد من جلسات الاستدعاء عند الساعة التاسعة صباحًا، وعندما استقر بالجلوس على الكرسي الموجود في منصة القاضي قلّب الملفات حتى عثر على ملف هيلي.

نظر إلى الصف الأمامي للمحكمة ورأى مجموعة كئيبة من الرجال المثيرين للريبة؛ كلهم قُدمت لوائح تهمهم من جديد، وفي نهاية الصف الأمامي جلس معاونان للنائب بجانب مدعى عليه مكبل بالأصفاد وكان بريغانس يهمس إليه؛ لا بد أنّه هيلي.

أمسك نووز ملفًا قضائيًا أحمر اللون بيده، وعدّل نظارة القراءة الخاصة به كي لا تعيق قراءته، ثم قال: "الولاية ضد كارل لي هيلي، القضية رقم 3889. هل يمكن للسيد هيلي أنّ يتفضل ويتقدم؟".

أزيلت الأصفاد عن يديه، فلحق كارل لي بمحاميه إلى المنصة حيث وقفا ينظران إلى الأعلى حيث يجلس حضرة القاضي الذي تفحّص بصمتٍ وتوترٍ لائحة التهم في الملف. عم الصمت في قاعة المحكمة، ونهض باكلي يتبختر ببطءٍ على بعد بضع أقدام من المدعى عليه، وكان الفنانون القريبون من الحاجز منشغلين برسم المشهد بشكلٍ تخطيطي.

حدّق جايك إلى باكلي الذي لم يكن يملك أي سببٍ ليقف أمام المنصة خلال جلسة الاستدعاء؛ كان المحامي العام للمقاطعة يرتدي أفضل حلة لديه، سوداء بوليسترية مؤلفة من ثلاث قطعٍ، وقد مشط كل شعرةٍ من رأسه الضخم بدقة وثبتها في مكانها؛ كان لديه منظر مبشر بروتستانتي يظهر على شاشة التلفاز.

مشى جايك نحو باكلي وهمس: "يا لها من حلة جميلة يا روفوس!".

أجابه وقد أتته المجاملة على حين غرة: "شكرًا".

سأله جايك: "هل تتوهج في الظلام؟"، ثمّ عاد إلى جانب موكله.

سأل القاضي: "هل أنت كارل لي هيلي؟".

أجابه: "نعم".

قال القاضي: "وهل السيد بريغانس محاميك؟".

أجابه: "نعم".

قال القاضي: "أحمل هنا نسخةً من لائحة تأييد التهم ضدك من قبل هيئة المحلفين الكبرى. هل تم تقديم نسخة منها إليك؟".

أجابه: "نعم".

سأله القاضي: "هل قرأتها؟".

أجابه: "نعم".

سأله القاضي: "هل ناقشت محتواها مع محاميك؟".

أجابه: "نعم".

سأله القاضي: "هل فهمت محتواها؟".

أجابه: "نعم".

قال القاضي: "جيد. أنا ملزم قانونيًا بقراءتها عليك بشكلٍ علني في المحكمة"، تنحنح نووز وأكمل: "هيئة المحلفين الكبرى لولاية ميسيسيبي والمنتقاة من قِبل مواطني مقاطعة فورد الشرفاء والذين انتخبوا ودخلوا برنامج الهيئة وأقسموا كما ينبغي، وكلفوا بالتحقيق في القضية ومن أجل المقاطعة والولاية آنفتي الذكر، باسم ولاية ميسيسيبي وتحت سلطتها ووفقًا للأقسام التي تلوها يفيدون أن كارل لي هيلي من المقاطعة والولاية آنفتي الذكر، وتحت السلطة القضائية الموكلة لهذه المحكمة، قد قام بشكلٍ غير قانوني وجرمي وبكامل إرادته وعن قصدٍ وسوء نيةٍ بقتل بيلي راي كوب، مدنيّ، وبيت ويلارد، مدنيّ، وأطلق النار وحاول قتل دي واين لوني، نائب المأمور، منتهكًا بذلك وبشكلٍ مباشرٍ مجموعة قوانين وأنظمة ولاية ميسيسيبي، وبذلك عرّض سلام ولاية

ميسيسيبي واستقرارها للخطر، وبذلك قررت الهيئة بإحالة المتهم للمحكمة، بتوقيع لافيرن غوسيت، رئيسة هيئة المحلفين الكبرى".

التقط نووز أنفاسه وسأل كارل لي: "هل تفهم التهم الموجهة إليك؟".

أجابه: "نعم".

سأله القاضي: "هل تفهم أنه يمكن أن تواجه عقوبة الإعدام في غرفة الغاز في سجن الولاية في بارشمان في حال أُدنت؟".

أجابه: "نعم".

سأله القاضي: "هل ترغب بأن تعترف بذنبك أم ستنكر اقترافك للجريمة؟".

أجابه: "سأنكر اقترافي للجريمة".

راجع نووز جدوله بينما راقب الحاضرون بتركيزٍ، ودوّن الصحفيون الملاحظات، وركّز الرسامون على العناصر الرئيسية، بما في ذلك باكلي الذي استطاع أن يدخل نفسه إلى الصورة، ويقف بشكلٍ جانبي سامحًا بذلك برسم صورة شخصية جانبية. كان يتوق لأن يقول شيئًا؛ لقد قطّب حاجبيه بازدراء خلف رأس كارل لي هيلي، وكأنه لا يطيق الانتظار للقضاء على هذا المجرم.

مشى متبخترًا إلى الطاولة التي كان موسغروف يجلس إليها، وتهامسا بشكلٍ يوحي بأهمية حديثهما، وبعد ذلك، سار في أرجاء قاعة المحكمة، وتحدث بشكلٍ خافتٍ مع أحد الكتّاب القضائيين، ثمّ عاد إلى المنصة حيث وقف المدعى عليه بلا حراكٍ إلى جانب محاميه الذي كان على درايةٍ بالعرض المسرحي الذي يقدمه باكلي ويحاول جاهدًا تجاهله.

قال نووز بصوت مرتفع: "سيد هيلي، تم تحديد محاكمتك يوم الاثنين المصادف في الثاني والعشرين من شهر تموز وجميع طلبات ما قبل المحاكمة يجب أن يتم رفعها إلى المحكمة قبل الرابع والعشرين من حزيران وتسويتها قبل الثامن من تموز".

أومأ كارل لي وجايك برأسيهما.

سأل نووز: "هل من شيء آخر؟".

أجاب باكلي بصوتٍ صدحٍ عاليًا بشكلٍ كافٍ ليسمعه المراسلون في القاعة المستديرة: "إن الولاية تعارض أي طلب كفالة يُقدم من المدعى عليه".

أحكم جايك قبضتيه، وأراد أن يصرخ، ثمّ قال: "سيدي القاضي، إن المدعى عليه لم يطلب كفالة بعد. إن السيد باكلي كالعادة مشوشٌ بشأن العملية. لا يستطيع أن يعارض أي طلب قبل أن نقدمه، يبدو أن هذا الأمر فاته الاطلاع عليه في كلية القانون".

بدا على باكلي الانزعاج، ولكنه أكمل قائلًا: "سيدي القاضي، دائماً ما يطلب السيد بريغانس إطلاق السراح بكفالةٍ، وأنا واثقٌ من أنّه سيطلب ذلك اليوم وستعارض الولاية أي طلبٍ من هذا القبيل".

سأل نووز المحامي العام بشيء من السخط: "حسنًا، لِمَ لا تنتظر إلى حين قيامه بطلب الأمر؟".

احمر وجه باكلي، وحدق إلى جايك وأجاب: "حسنًا".

سأله نووز: "هل تخطط لطلب إطلاق سراح بكفالةٍ؟".

قال جايك: "لقد قررت فعل هذا عندما يحين الوقت المناسب، لكن قبل أن تسنح لي الفرصة، تدخل السيد باكلي باستعراضاته المسرحية...".

قاطعه نووز قائلًا: "لا تهتم بشأن السيد باكلي".

قال جايك: "أعلم هذا سيدي القاضي، إنّه مشوشٌ بعض الشيء".

سأله نووز: "أتريد إطلاق سراح بكفالة سيد بريغانس؟".

قال جايك: "أجل، لقد خططت لطلب ذلك".

قال نووز: "توقعت ذلك، وأخذته بعين الاعتبار مسبقًا وفكّرت أنه لا يجدر بنا إطلاق السراح لقاء كفالة في جريمة قتل كبرى، ولا أعتقد أنّه سيتم إجراء أي استثناء في هذه القضية".

سأله جايك: "أتعني أنك قررت رفض إطلاق سراح لقاء كفالة؟".

أجابه نووز: "صحيح".

هزّ جايك كتفيه بيأس ووضع ملفًا على الطاولة وقال: "حسنًا".

سأله نووز: "هل من شيء آخر؟".

قال جايك: "كلا يا حضرة القاضي".

هزّ باكلي رأسه بصمتٍ.

قال نووز: "جيد. سيد هيلي، يترتب عليك بموجب ذلك البقاء في السجن تحت رقابة مأمور مقاطعة فورد إلى حين موعد المحاكمة. يمكنك الانصراف".

عاد كارل لي إلى الصف الأول حيث انتظره أحد معاوني المأمور حاملًا معه الأصفاد. فتح جايك حقيبته، وكان يملأها بالملفات والأوراق عندما أمسك باكلي بذراعه.

قال باكلي مطبقًا على أسنانه غضبًا: "لقد كانت محاولة رخيصة يا بريغانس".

أجاب جايك: "لقد جنيتَ على نفسك، أبعد يدك عن ذراعي".

ترك باكلي ذراعه وقال: "لا أقدر تلك المحاولة".

أجاب جايك: "ذلك مؤسف أيها الرجل الكبير. يجب عليك عدم التحدث كثيرًا، فالأفواه الثرثارة تُحرق".

كان باكلي أطول من جايك بثلاثة إنشات ويزن أكثر منه بخمسين رطلًا وكان توتره يتفاقم، وقد لفت التصادم بينهما الانتباه فوقف نائبٌ بينهما. غمز جايك لباكلي وغادر قاعة المحكمة.

عند الساعة الثانية دخلت عائلة هيلي يتقدمها العم ليستر مكتب جايك من الباب الخلفي، فقابلهم جايك في مكتبٍ صغيرٍ بجانب غرفة الاجتماعات في الطابق السفلي.

تحدثوا عن المؤتمر الصحفي، في حين تجول أوزي وكارل لي بعد عشرين دقيقة بفتورٍ ولامبالاةٍ عبر الباب الخلفي، وقادهما جايك إلى المكتب، حيث تم لم شمله مع عائلته، ثم غادر أوزي وجايك الغرفة.

دبّر جايك المؤتمر الصحفي بحذرٍ، واندهش من قدرته على التلاعب بالصحافة وعزمِها على أن يتم التلاعب بها. جلس إلى جانب طاولة غرفة الاجتماعات الطويلة حيث وقف ثلاثةٌ من أبناء هيلي خلفه، وجلست غوين إلى يساره وجلس كارل لي حاملًا تونيا على يمينه.

حظرت الآداب القانونية الكشف عن هوية الطفل الذي يقع ضحية اغتصابٍ، لكن تونيا كانت مختلفة حيث كان اسمها ووجهها وعمرها معروفة جيدًا بسبب والدها.

لقد كانت معروضة للعالم بأسره بالفعل، وأراد جايك أن تصور بأبهى فستانٍ أبيضَ لها وهي جالسةٌ على ركبة أبيها، حيث سيشاهد المحلفون ذلك، مهما كانت هويتهم وأينما كانوا.

توافد المراسلون إلى القاعة التي ضاقت بهم لدرجة أنّهم امتدوا إلى القاعة عند منطقة الاستقبال حيث أمرتهم إثيل بفظاظةٍ أن يدعوها وشأنها. حرس أحد النواب الباب الأمامي وجلس اثنان آخران على الدرجات الخلفية. وقف المأمور وولز وليستر بغرابةٍ خلف عائلة هيلي ومحاميهم، وقد تكدست الميكروفونات على الطاولة أمام جايك، وضُغطَت وومضت الكاميرات تحت أضواء كاميرات التلفاز الدافئة.

بدأ جايك بقوله: "لدي بعض الملاحظات التمهيدية"، ثم أكمل: "أولًا، سأجيب بنفسي عن كل الأسئلة. لا توجهوا أية أسئلةٍ إلى السيد هيلي أو إلى أي فردٍ من عائلته. إن تم طرح أي سؤالٍ عليه، فسأطلب منه الامتناع عن الإجابة. ثانيًا، أود أن أقدم لكم عائلته: من تتواجد إلى يساري هي زوجته غوين هيلي، ومن يقفون خلفنا هم أولاده؛ كارل لي جونيور وغارفيس وروبرت، ومن يتواجد خلف الأولاد هو شقيق السيد هيلي ليستر هيلي".

توقف جايك وابتسم في وجه تونيا وأكمل: "ومن تجلس في حضن والدها هي تونيا هيلي. والآن سأجيب عن الأسئلة".

سأله صحفي: "ماذا حدث في المحكمة هذا الصباح؟".

أجابه جايك: "لقد تم استدعاء السيد هيلي إلى المحكمة ليجيب عن التهم الموجهة ضده، لقد أدلى ببراءته وحُدِّدَ موعد محاكمته في الثاني والعشرين من شهر تموز".

سأله صحفي: "هل كان هنالك مشاحنات بينك وبين محامي عام المقاطعة؟".

أجابه جايك: "أجل، بعد الاستدعاء تقدم السيد باكلي ناحيتي وأمسك بذراعي، وبدا وكأنه يخطط للاعتداء عليّ، عندها تدخل أحد نواب المأمور".

سأله صحفي: "ما كان سبب ذلك؟".

أجاب جايك: "إن السيد باكلي يميل لفقدان أعصابه تحت الضغط".

سأله صحفي: "هل أنت والسيد باكلي صديقان؟".

أجابه: "كلا".

سأل صحفي: "هل ستقام المحاكمة في كلانتون؟".

أجابه: "سيتقدم الدفاع إلى المحكمة بطلب تغيير المكان، والذي سيحدده القاضي نووز. ليس هنالك أية توقعات عن المكان".

سأله صحفي: "هل بإمكانك وصف الضرر الذي أحدثته القضية تجاه عائلة هيلي؟".

فكّر جايك لدقيقةٍ بينما كانت الكاميرات تصوّر، ثم حدق إلى كارل لي وتونيا وقال: "أنتم تنظرون إلى عائلةٍ ودودةٍ للغاية؛ كانت الحياة بسيطة وسهلة منذ أسبوعين، حيث كان كارل لي يعمل في مصنع الأوراق، وكان هنالك بعض النقود في المصرف، كان هنالك أمنٌ واستقرارٌ، وكانوا يذهبون إلى الكنيسةِ كل أحدٍ معًا، لقد كانت عائلة محبة، ثمّ ولأسبابٍ لا يعلمها إلّا الله وحده قام معتوهان مخموران منتشيان باقتراف أمرٍ شنيعٍ وعنيفٍ ضد هذه الفتاة الصغيرة ذات العشرة أعوامٍ. لقد صعقانا وجعلانا نشعر جميعًا بالاشمئزاز؛ لقد دمرا حياتها وحياة والديها وعائلتها. لقد كان الحمل كثيرًا جدًا على والدها ففقد عقله، وهو الآن في السجنِ يواجه محاكمةً واحتمال الإعدام في غرفة الغاز. لقد تسببت الحادثة بفقدان الوظيفة والنقود والبراءة، وهناك احتمال أن يكبر الأولاد من دون أبٍ. يجب على والدتهم إيجاد وظيفةٍ الآن لدعمهم، وسيتوجب عليها الترجي واقتراض النقود من الأصدقاء والأقارب كي تتمكن من النجاة. لذا، جوابي عن سؤالك يا سيدي؛ هذه القضية حطمت هذه العائلة ودمّرتها".

بدأت غوين بالبكاء بصمتٍ فقدّم لها جايك منديلًا.

سأله صحفي: "هل تلمّح إلى أنك ستدعي في دفاعك بالجنون؟".

أجابه جايك: "نعم".

سأله صحفي: "هل سيكون هنالك بالفعل ردّ التهمة بادّعاء الجنون؟".

أجابه: "نعم".

سأله صحفي: "هل يمكنك إثبات ذلك؟".

أجابه جايك: "ستقرر هيئة المحلفين ذلك، سنزودهم بتقرير خبراء بالطب النفسي".

سأله صحفي: "هل استشرت أولئك الخبراء؟".

كذّب جايك وأجاب: "نعم".

سأله صحفي: "هل يمكنك أن تزودنا بأسمائهم؟".

أجابه: "كلا، هذا غير مناسب في الوقت الحالي".

سأله صحفي: "لقد سمعنا شائعات عن رسائل تهديد بالقتل موجهة ضد السيد هيلي، هل يمكنك تأكيد ذلك؟".

أجاب: "ما زال هنالك تهديداتٍ ضد السيد هيلي وعائلته وعائلتي والمأمور والقاضي وكل شخصٍ معنيّ بالقضية، وأنا لا أعلم مدى جدية تلك التهديدات".

ربت كارل لي على ساق تونيا ونظر بشرودٍ إلى الطاولة؛ لقد بدا خائفًا ومثيرًا للشفقة ويحتاج إلى التعاطف. بدورهم، بدا أولاده خائفين أيضًا، ولكن وفقًا لأوامر صارمة وقفوا منتصبين خائفين من التحرك؛ لقد وقف كارل لي جونيور الذي كان الأكبر سنًا بعمر الخامسة عشرة خلف جايك.

أما غارفيس الابن الأوسط بعمر الثالثة عشرة فقد وقف خلف والده، بينما وقف روبرت الذي يبلغ أحد عشر عامًا خلف والدته؛ لقد ارتدوا بذلات كحلية بحرية متطابقة بقمصانٍ بيضاء وأربطة عنقٍ صغيرةٍ حمراء. ارتدى روبرت بذلة سبق أن كانت لكارل لي جونيور، ثمّ لغارفيس والآن أصبحت له، وبدا من مظهرها أن آخرين غير شقيقيه قد ارتدوها، ولكنها كانت نظيفة ومكوية بشكلٍ جيدٍ ومثنية من الأطراف بشكلٍ مثالي؛ لق بدا الأولاد لامعين. كيف يمكن لأي عضوٍ في الهيئة أن يصوت ليجبر هؤلاء الأطفال أن يعيشوا دون والدهم؟ لقد كان المؤتمر

الصحفي ناجحًا، وتم تداول مقاطعٍ منه عبر شبكات الأخبار ومحطات التلفاز المحلية في نشرات الأخبار المسائية والمتأخرة، ونشرت صحف الخميس صورًا لعائلة هيلي ومحاميهم في الصفحة الأولى.

16

لقد اتصلت الزوجة السويدية عدة مراتٍ بزوجها خلال الأسبوعين اللذين أمضاهما في ميسيسيبي؛ لم تثق به عندما تواجد هناك، إذ كان لديه حبيباتٌ سابقات سبق له أن اعترف لهن بحبه. في كل مرة اتصلت لم يكن ليستر متواجدًا، وكانت غوين تكذب وتقول لها إنه كان يصطاد السمك أو يقطع الحطب ليتمكنوا من شراء البقالة. سئمت غوين من الكذب، وسئم ليستر من العربدة والإسراف بالشرب، وسئما من بعضهما. عندما رن الهاتف قبل الفجر صباح يوم الجمعة أجاب ليستر على المكالمة، لقد كانت السويدية على الخط.

بعد ساعتين كانت الكاديلاك الحمراء مركونةً أمام السجن، وقد رافق موس جونيور ليستر إلى زنزانة كارل لي، فتهامس الشقيقان في الوقت الذي كان فيه سائر السجناء نيامًا.

تمتم ليستر بصوتٍ فيه شيء من الخجل وشيء من الخوف: "عليّ العودة إلى المنزل".

سأله كارل لي، وكان يتوقع حدوث ذلك: "لماذا؟".

أجاب ليستر: "اتصلت زوجتي هذا الصباح، يجب أن أذهب إلى العمل غدًا وإلا سيطردونني".

أومأ كارل لي برأسه موافقًا.

قال ليستر: "أنا آسف يا أخي، أنا مستاء لأنني سأغادر، لكن لا خيار أمامي".

قال كارل لي: "أتفهم هذا، متى ستعود؟".

سأله ليستر: "متى تريدني أن أعود؟".

أجاب كارل لي: "وقت المحاكمة، ستكون صعبة على غوين والأولاد، هل تستطيع العودة حينها؟".

قال ليستر: "من المؤكد أنني سأكون هنا حينها. لديّ فترة إجازة، سأكون هنا".

جلسا على طرف سرير كارل لي، وراقبا بعضهما بصمتٍ. كانت الزنزانة مظلمة وهادئة، وكان السريران مقابل كارل لي فارغين.

قال ليستر: "يا رجل، لقد نسيت كم هو سيئ هذا المكان".

قال كارل لي: "أتمنى فقط ألّا أظل هنا لمدةٍ أطول".

وقف الأخوان وتعانقا، ونادى ليستر موس جونيور ليفتح الزنزانة، وقال لأخيه الكبير: "أنا فخورٌ بك يا أخي العزيز"، ثمّ غادر إلى شيكاغو.

كان جايك ثاني زائرٍ صباحي لكارل لي الذي قابله في مكتب أوزي؛ لقد بدا جايك ثائرًا.

خاطب جايك كارل لي قائلًا: "تحدثت البارحة إلى طبيبين نفسيين من ممفيس يا كارل لي، أتعرف ما الأجر الأدنى لتقييمك لأغراض المحاكمة؟".

سأله كارل لي: "هل يفترض بي أن أعرف؟".

صرخ جايك: "ألف دولارٍ، ألف دولارٍ. أين تستطيع إيجاد ألف دولارٍ؟".

قال كارل لي: "لقد أعطيتك كل ما لديّ من مالٍ، حتى إنني عرضت عليك...".

قاطعه جايك قائلًا: "لا أريد امتلاك أرضك، والسبب أن أحدًا لا يريد شراءها، وإن كنت لا تستطيع بيعها فإنها غير مفيدة، يجب أن نحصل على المال يا كارل لي، ليس لي بل للأطباء النفسيين".

سأله كارل لي: "لماذا؟".

كرر جايك غير مصدق ما قاله كارل لي: "ما الذي تسأل عنه لماذا؟ لأنني أرغب بإبقائك بعيدًا عن غرفة الإعدام بالغاز، وهي على بعد مئة ميلٍ من هنا فقط؛ إنّها ليست ببعيدة؛ ولفعل ذلك،

علينا أن نقنع المحلفين بأنك كنت مصابًا بالجنون عندما أطلقت النار على الشابين، أنا لا أستطيع إخبارهم أنك كنت مصابًا بالجنون ولا أنت تستطيع فعل ذلك، إذ يتطلب الأمر طبيبًا نفسيًا، يتطلب خبيرًا، طبيبًا، وهم لا يعملون بالمجان، هل تفهم؟".

اتكأ كارل لي على ركبتيه، وأخذ يراقب عنكبوتًا يمشي على السجادة المغبرة. بعد أن أمضى اثنا عشر يومًا في السجن، وبعد ظهورين له في المحكمة، كان قد ضاق ذرعًا بنظام العدالة الجنائي. فكّر بالساعات والدقائق التي سبقت الجريمة؛ ما الذي كان يجول في خاطره؟ توجب عليهما الموت بالطبع، إنّه غير نادم، لكن هل فكّر بالسجن أو الفقر أو المحامين أو الأطباء النفسيين؟ ربما، ولكن فقط بصورةٍ عابرةٍ. إن هذه الأمور غير السارة كانت نتائج ثانوية لفعلته سيترتب عليه مواجهتها وتحملها مؤقتًا قبل إطلاق سراحه. بعد أن يقوم بفعلته سيحاكم ويبرأ ثمّ سيرسل إلى عائلته؛ سيكون ذلك سهلًا، مثلما كانت حادثة ليستر خاليةً من الألم عمليًا.

لكن لم يكن النظام يعمل الآن؛ لقد كان يتآمر عليه لإبقائه في السجن وتحطيمه وجعل أطفاله يتامى. لقد بدا النظام مصممًا على معاقبته لفعل ما لم يكن هناك مهرب منه. والآن، حليفه الوحيد يطلب ما لا يستطيع تلبيته، طلب محاميه المستحيل؛ كان صديقه جايك غاضبًا ويصرخ.

صرخ جايك وهو يتوجه إلى الباب: "احصل على المال، احصل عليه من إخوتك، من عائلة غوين، احصل عليه من أصدقائك، من كنيستك. كل ما يهمني أن تحصل عليه وبأقرب وقتٍ ممكنٍ".

أغلق جايك الباب بقوةٍ، وغادر السجن.

وصل ثالث زائرٍ صباحي لكارل لي قبل الظهيرة في ليموزين سوداءَ طويلةٍ يقودها سائقٌ تحمل لوحة ولاية تينيسي.

ناورت الليموزين في مرأب السيارات الصغير حتى استقرت وشغلت ثلاثة مواقعٍ، ثم خرج حارسٌ شخصي أسود اللون ضخم البنية من خلف مقود الليموزين، وفتح الباب ليُخرج صاحب عمله؛ تبخترا في مشيتهما على الرصيف وإلى السجن.

توقفت السكرتيرة عن الطباعة، وابتسمت بشكلٍ مريبٍ.

ثم قالت: "صباح الخير".

أجابها الرجل الأصغر حجمًا والذي يضع رقعة على عينٍ: "صباح الخير، أُدعى كارل بوستر، وأود مقابلة المأمور وولز".

سألت السكرتيرة: "هل يمكنني معرفة سبب رغبتك بلقائه؟".

أجاب: "أجل يا سيدتي. إن الأمر متعلق بالسيد هيلي، إنّه شخصٌ مقيمٌ في منشأتكم الحسنة".

سمع المأمور اسمه يُذكر، فخرج من مكتبه ليحيي الزائر المشهور.

قال أوزي: "أهلًا يا سيد بوستر، أنا أوزي وولز"، وتصافحا.

لم يتحرك الحارس الشخصي.

قال بوستر: "تشرفت بلقائك يا حضرة المأمور، أنا كات بوستر من ممفيس".

ردّ أوزي: "أجل، أنا أعرفك، رأيتك في الأخبار، ما الذي جلبك إلى مقاطعة فورد؟".

أجاب: "حسنًا، لدي صديقٌ في ورطة. يدعى كارل لي هيلي وأنا هنا لمساعدته".

سأل أوزي وهو ينظر إلى الأعلى صوب الحارس الشخصي: "حسنًا من هذا؟". كان طول أوزي ست أقدامٍ وأربعة إنشات، وكان على الأقل أقصر بخمسة إنشاتٍ من الحارس الشخصي، كان الحارس يزن على الأقل ثلاثمئة باوندٍ، معظم الوزن كان متمركزًا في ذراعيه.

شرح كات: "إنه يدعى تايني توم، نناديه بتايني اختصارًا".

ردّ أوزي: "لقد فهمت".

قال كات: "إنه حارس شخصي".

سأله أوزي: "إنه لا يحمل مسدسًا أليس كذلك؟".

أجاب كات: "لا يا حضرة المأمور، فهو ليس بحاجةٍ إلى مسدسٍ".

قال أوزي: "يمكنني رؤية ذلك، لِمَ لا تتفضل أنت وتايني إلى مكتبي؟".

أغلق تايني الباب في المكتب، ووقف أمامه بينما جلس رئيسه مقابل المأمور.

شرح أوزي لكات قائلًا: "يمكنه الجلوس إذا أراد".

قال كات: "لا يا حضرة المأمور، إنّه يقف دومًا أمام الباب، هكذا دُرِّب".

قال أوزي: "حسنًا، إنّه مثل الكلب البوليسي؟".

أجاب كات: "ذلك صحيح".

قال أوزي: "حسنًا، ما الذي ترغب بالحديث بشأنه؟".

وضع كات ساقًا فوق أخرى، ثم وضع يده التي تحتشد بخواتم الألماس على ركبته وقال: "حسنًا يا حضرة المأمور، أنا وكارل لي نعرف بعضنا منذ زمنٍ بعيدٍ جدًا، لقد قاتلنا معًا في فييتنام؛ لقد تمت محاصرتنا قرب مدينة دا نانغ في صيف عام 1971، حيث أصبت برأسي وأصيب بعد ثانيتين بساقه. اختفت فرقتنا وكان الآسيويون يستعملوننا كتمرين رماية. عرج كارل لي إلى المكان الذي كنت ممددًا فيه، وحملني على كتفيه وركض تحت القصف إلى خندقٍ بجانب عربةٍ مقطورةٍ. تشبثت بكتفه بينما زحف مسافة ميلين؛ لقد أنقذ حياتي، ونال ميدالية على ذلك، أتعرف هذا؟".

أجابه أوزي: "لا".

قال كات: "إن الأمر صحيح. استلقينا بجوار بعضنا في مستشفى في سايغون مدة شهرين، ثمّ غادرت مؤخرتانا السوداوان فييتنام، وأنا لا أنوي الرجوع إلى هنالك أبدًا".

كان أوزي ينصت بتركيزٍ.

ثم أكمل كات: "والآن، وبما أن صديقي في ورطةٍ، فأنا أرغب بالمساعدة".

سأل أوزي: "هل حصل على البندقية منك؟".

خار تايني كالحيوان وابتسم كات قائلًا: "بالطبع لا".

سأله أوزي: "أتود رؤيته؟".

أجابه كات: "أجل بالطبع، هل الأمر بهذه السهولة؟".

ردّ أوزي: "أجل، سأحضره إن أمكنك إبعاد تايني من أمام الباب".

تنحى تايني جانبًا، وبعد دقيقتين عاد أوزي ومعه السجين. صرخ كات، وأسرع إليه وعانقه وربتا على جسدي بعضهما كالملاكمين. نظر كارل لي بغرابةٍ إلى أوزي الذي فهم التلميح وغادر المكتب، فأغلق تايني الباب مجددًا ووقف للحراسةِ. أزاح كارل لي كرسيين سويةً كي يستطيعا مواجهة بعضهما بشكلٍ أقرب والتحدث.

تحدث كات أولًا: "أنا فخورٌ بك أيها الرجل الكبير لما أقدمت عليه؛ فخورٌ حقًا. لِمَ لم تخبرني أنك أردت الحصول على السلاح لهذا السبب؟".

قال كارل لي: "لم أرد قول ذلك".

سأله كات: "كيف كان الأمر؟".

أجابه: "مثل فييتنام، باستثناء أنهما لم يستطيعا معاودة إطلاق النار عليّ".

قال كات: "هذه أفضل طريقة للقيام بذلك".

ردّ كارل لي: "أجل أعتقد ذلك. أتمنى لو لم يكن من الضروري حدوث هذا".

قال له كات: "هل أنت آسفٌ على فعلتك؟".

رجع كارل لي بكرسيه إلى الخلف، ونظر إلى السقف وتفرسه.

ثم قال: "لو سنحت لي الفرصة لقتلتهما مجددًا، لذا، لست نادمًا على ذلك، فأنا أتمنى فقط لو أنّهما لم يعبثا مع طفلتي؛ أتمنى لو ظلت كما هي؛ أتمنى لو لم يحدث أي من هذا".

قال كات: "صحيح، صحيح. لا بد من أن الأمر قاسٍ عليك هنا".

رد كارل لي: "لست قلقًا بشأني، فما يقلقني هو عائلتي".

قال كات: صحيح، صحيح. كيف حال زوجتك؟".

أجاب: "إنها بخير، ستتدبر أمرها".

قال كات: "قرأت في الصحيفة أن موعد المحاكمة قد حُدِّد في تموز، مؤخرًا، ذكر اسمك في الصحف أكثر مني".

أجاب كارل لي: "أجل يا كات، لكنك تخرج دائمًا، أما أنا فلستُ واثقًا من ذلك".

قال كات: "لديك محامٍ جيد، أليس كذلك؟".

أجاب كارل لي: "أجل، إنّه جيد".

وقف كات، ومشى في أرجاء المكتب معجبًا بجوائز وشهادات أوزي وقال: "هذا هو السبب الرئيسي لحضوري يا صاحبي".

سأل كارل لي: "ما هو ذلك السبب؟"، لم يكن واثقًا مما كان يجول في خاطر صديقه، ولكنه كان متأكدًا من أن زيارته كانت ذات غاية.

قال كات: "أتعلم كم مرة تعرضت للمحاكمة يا كارل لي؟".

أجاب كارل لي: "يبدو لي أنك تحاكم طوال الوقت".

قال كات: "خمس مرات، لقد حوكمت خمس مرات؛ بسبب الفتيان الفيدراليين، وفتيان الولاية، وأولاد المدينة، وبسبب المخدرات والقمار والرشوة والسلاح وابتزاز الأموال بالعنف والعاهرات؛ سمِّ أي شيءٍ يخطر ببالك ومن المؤكد أنني حوكمت بشأنه. أتعلم ماذا يا كارل لي؟ لقد كنت مذنبًا دائمًا، ففي كل مرة ذهبت فيها إلى المحاكمة كنت مذنبًا. هل تعلم كم مرة أدنت؟".

أجابه كارل لي: "لا".

قال كات: "ولا مرة؛ لم يقدروا على إثبات أي شيءٍ عليّ. خمس محاكماتٍ وخمسة قرارات محكمة تشير إلى براءتي".

ابتسم كارل لي بشيءٍ من الإعجاب.

سأل كات: "أتعلم لماذا لم يستطيعوا إدانتي؟".

كان لدى كارل لي بعض المعرفة، ولكنه هّز رأسه بالنفي على كل حال.

قال كات: "لأنني استعنت بالمحامي الأذكى والأكثر لؤمًا والذي يلجأ إلى أكثر الطرق الملتوية في هذا المجال يا كارل لي. إنّه يغش ويلعب بقذارةٍ ويكره رجال الشرطة. لكنّني أجلس هنا بدلًا من الجلوس في السجن؛ سيفعل كل ما بوسعه ليكسب قضية".

سأل كارل لي بتلهفٍ: "من هو؟".

أجاب كات: "لقد رأيتَه على التلفاز يدخل ويخرج من المحكمة، يظهر على صفحات الصحيفة طوال الوقت؛ في كل مرة يقع فيها محتالٌ مشهورٌ ما في ورطة تراه موجودًا هناك، فهو يعمل لصالح تجار المخدرات والسياسيين ولي، أي لجميع الأوغاد المخضرمين".

سأل كارل لي: "ما اسمه؟".

قال كات: "إنه لا يعمل سوى على قضايا المجرمين والمخدرات بشكلٍ أساسي والرشوة والابتزاز وأشياءَ كهذه. لكن أتعلم ما نوع القضايا المفضل لديه؟".

سأل كارل لي: "ما هو؟".

أجاب كات: "القتل؛ يحب قضايا القتل؛ لم يسبق له أن خسر قضية قتل، وهو يحصل على القضايا الكبيرة في ممفيس. أتذكر عندما قبضوا بالجرم المشهود على الأسودين اللذين كانا يلقيان بشاب من الجسر إلى نهر الميسيسيبي منذ خمس سنوات تقريبًا؟".

أجابه كارل لي: "أجل، أذكر".

قال كات: "خضعا للمحاكمة منذ أسبوعين، وأسقطت التهم عنهما؛ لقد كان رجل الساعة؛ لقد أخرجهما غير مذنبين".

قال كارل لي: "أعتقد أنني رأيته على التلفاز".

قال كات: "بالتأكيد شاهدته. إنّه رجل سيئ يا كارل لي، وأنا أُؤكد لك أنّه لا يخسر".

سأل كارل لي: "ماذا يدعى؟".

جلس كات على كرسيه، وأمعن النظر إلى وجه كارل لي بنظرةٍ مهيبةٍ وقال: "بو مارشافسكي".

نظر كارل لي إلى الأعلى، وكأنه يحاول تذكر الاسم ثمّ قال: "ماذا إذًا؟".

وضع كات أصابعه المزينة بخواتمَ من الألماس عيار 8 قيراطٍ على ركبة كارل لي وقال: "يريد مساعدتك يا صاحبي".

قال كارل لي: "سبق ووكلت محاميًا لا أقدر على تسديد أتعابه، فكيف سأدفع للآخرٍ؟".

قال كات: "لن تدفع يا كارل لي، هنا يأتي دوري؛ إنّه تحت خدمتي طوال الوقت، فأنا أملكه؛ لقد دفعت له مئة ألف دولار السنة الماضية فقط ليبقيني بعيدًا عن المشاكل، لن تدفع شيئًا".

نما لدى كارل لي فجأةً اهتمامٌ عميقٌ ببو مارشافسكي.

سأل كارل لي: "كيف علم بأمري؟".

أجاب كات: "من خلال الصحف والتلفاز؛ تعلم كيف يكون المحامون. لقد كنت في مكتبه البارحة، وكان يمعن النظر بصورتك على الصفحة الأولى للصحيفة، فأخبرته عما بيننا وأصابه الجنون. قال إنّه لا بد أن يعمل على قضيتك، لذا قلت إنني أستطيع تقديم المساعدة".

قال كارل لي: "ولهذا أنت هنا؟".

أجاب كات: "أجل، قال إنّه يعرف الأشخاص الذين هم، دون سواهم، يستطيعون إسقاط التهم عنك".

سأل كارل لي: "مثل من؟".

قال كات: "يعرف أطباء، أطباء نفسيين، إنه يعرفهم جميعًا".

قال كارل لي: "إنهم يتقاضون كثيرًا من المال".

قال كات: "سأدفع لهم يا كارل لي. اسمعني، سأدفع كل شيءٍ. سيكون لديك أفضل المحامين والأطباء الذين تستطيع النقود شراءهم، وسيدفع صاحبك القديم كات الحساب، لا تقلق بشأن المال".

قال كارل لي: "لكن لديّ محاميًا جيدًا".

سأل كات: "كم عمره؟".

أجاب كارل لي: "أعتقد أنه يبلغ الثلاثين من عمره".

قلّب كات عينيه بدهشةٍ وامتعاضٍ وقال: "ما زال طفلًا يا كارل لي. لم يتخرج من جامعته منذ مدة طويلةٍ بما فيه الكفاية. إن مارشافسكي في الخمسين من عمره، وقد تعامل مع قضايا قتل أكثر من التي سيراها هذا الولد في حياته. إنّها حياتك يا كارل لي، لا تثق مطلقًا بمبتدئ".

بدا جايك شابًا للغاية فجأةً، لكن بعدها تذكر قضية ليستر عندما كان جايك حينها أصغر.

أضاف كات: "انظر يا كارل لي، لقد تعرضت لمحاكماتٍ كثيرةٍ، وهذا الهراء معقدٌ وتقني. اقترف غلطة واحدة، وستكون كفيلةً بإنهاء حياتك. إن فوّت هذا الولد خدعة واحدة فستكون الفرق بين الحياة والموت. لا تستطيع أن تتحمل ثمن وجود طفلٍ صغيرٍ هناك يتمنى ألا يخفق"، طقطق كات أصابعه ليخلق تأثيرًا خاصًا ثم أكمل: "وستنتهي بغرفة الإعدام بالغاز. أما مارشافسكي فلا يخطئ".

كان كارل لي على وشك الاستسلام، فسأل محاولًا الحصول على اتفاقية: "هل يقبل بالعمل مع المحامي الخاص بي؟".

أجاب كات: "كلا، هذا مستحيل، إنه لا يعمل مع أحد ولا يحتاج إلى المساعدة، سيكون ذلك الولد عقبةً في الطريق.

وضع كارل لي مرفقيه على ركبتيه، وحدق إلى قدمي كات. أن يعطي كارل ليٍ ألف دولار لطبيبٍ سيكون أمرًا مستحيلًا؛ لم يفهم حاجة حصوله على طبيب لأنه لم يشعر بأنه كان مختلًا حينها، ولكن من الواضح أنّ الأمر ضروري، إذ يبدو أن الجميع يظنون ذلك؛ أن يعطي ألف دولار من أجل طبيبٍ رخيص الأجر، بينما كان كات يعرض عليه أفضل ما يستطيع شراءه بالنقود.

تمتم كارل لي بهدوءٍ وقال: "أكره أن أفعل هذا بمحاميّ".

وبخه كات وقال: "لا تكن غبيًا يا رجل، من الأفضل لك أن تهتم بمصلحة كارل لي وتبًا لهذا الولد، هذا ليس وقت القلق على جرح المشاعر. انسَ أمره، إنّه محامٍ، وسيتخطى الموضوع".

قال كارل لي: "ولكن قد سبق لي أن دفعت له...".

طقطق كات أصابعه في وجه تايني وسأله: "كم دفعت؟".

"تسعمئة دولار".

أخرج تايني المال، وعد كات تسعمئة دولار ووضعها في جيب قميص كارل لي، ثمّ أخرج ألف دولار وقال: "وهذه للأولاد". ازدادت ضربات قلب كارل لي عندما فكّر في المال الذي وضع في قميصه؛ لقد شعر به يتحرك ويلامس صدره؛ لقد أراد أن يعاين هذا المال ويمسك به؛ الطعام، فكّر في إحضار الطعام للأولاد.

ابتسم كات وسأل: "هل اتفقنا؟".

سأل كارل لي بحذر: "أنت تريدني أن أطرد محاميّ وأوكل محاميك؟".

"أجل، هذا صحيح".

"وأنت ستتولى الدفع؟".

"أجل، بالضبط".

"وماذا عن هذا المال؟".

"لقد أصبح لك، أعلمني إن كنت تريد المزيد".

"يا للطفك يا كات!".

"أنا رجل لطيف حقًا، كما أنني أساعد صديقيّ؛ فأحدهما أنقذ حياتي منذ عدة سنوات والآخر ينقذني من ورطة كل سنتين".

"لماذا يصر على استلام قضيتي؟".

"من أجل الدعاية؛ أنت تعلم طبيعة المحامين. انظر كم جذبت هذه القضية الصحفيين، فهذا حلم أي محام. هل اتفقنا؟".

"أجل، اتفقنا".

ربت كات على كتفه بعطف، واتجه إلى هاتف أوزي، ونقر على الأرقام.

"تبادل مع 901-566-9800 من كات بوستر بشكل شخصي إلى بو مارشافسكي".

أنهى بو مارشافسكي المكالمة عبر الهاتف في مكتبه الذي يقع في الطابق العشرين في مركز المدينة، ثمّ سأل سكرتيرته عما إذا كان البلاغ الصحفي جاهزًا للنشر، فوضعته أمامه وقرأه بحذر.

قال: "إنه يبدو جيدًا؛ أرسليه إلى الصحيفتين على الفور. اطلبي من الصحيفتين أن تستخدما صورة الملف الجديدة، وقابلي فرانك فيلدز في البوست، وأخبريه أنني أريد هذا البلاغ على الصفحة الأولى في صباح الغد، إنّه يدين لي بخدمة".

سألته السكرتيرة: "حسنًا يا سيدي. ماذا عن محطات التلفاز؟".

"أوصلي إليها نسخة، فأنا لا أستطيع التكلم الآن، ولكنني سأعقد مؤتمرًا صحفيًا في كلانتون في الأسبوع القادم".

عند الساعة السادسة والنصف من صباح يوم السبت، اتصل لوسيان؛ كانت كارلا مستلقية على السرير ولم تجب على الهاتف.

استدار جايك، وأنار ضوء المصباح، ثمّ أمسك سماعة الهاتف.

قال بصوت واهن: "مرحبًا".

سأله لوسيان: "ماذا تفعل؟".

"كنت نائمًا إلى أن رن الهاتف".

"هل رأيت الصحيفة؟".

"كم الساعة الآن؟".

"اذهب واقرأ الصحيفة ثمّ اتصل بي".

أنهى لوسيان المكالمة، وحملق في سماعة الهاتف، ثمّ وضعها على الطاولة. جلس على طرف السرير، ومسح عينيه، وحاول أن يتذكر المرة الأخيرة التي اتصل بها لوسيان به على هاتف منزله؛ لا بد أن الأمر مهم.

أعد قهوته، وأخرج الكلبة ثمّ ركض إلى آخر ممر بيته حيث تراكمت الصحف الصباحية الثلاث.

أزال المطاط عن الصحف ونشرها على طاولة المطبخ. لم يكن هناك شيء في صحيفة جاكسون ولا في صحيفة توبيلو؛ كان هناك عنوان عن الموت في الشرق الأوسط يتصدر صحيفة ذا ممفيس بوست ثمّ رأى البلاغ.

في منتصف الصفحة الأولى، رأى جايك صورته وكان قد كتب تحتها: "إقصاء: جايك بريغانس". كانت هناك صورة لكارل لي إلى جانبه ثمّ صورة رائعة لوجه سبق له أن رآه، وقد كُتب أسفل تلك الصورة: "تعيين بو مارشافسكي". نص البلاغ على أن محامي دفاع قضايا القتل المشهور في ممفيس عُيّن لتمثيل "القاتل المتمرد".

كان مذهولًا وضعيفًا ومحتارًا؛ بالتأكيد كان هناك خطًا؛ لقد قابل كارل لي البارحة. قرأ البلاغ ببطء، لم يكن هناك تفاصيل، لقد ذُكِر فقط تاريخ نجاحات مارشافسكي، ووعد الجميع أن يعقد مؤتمرًا صحفيًا في كلانتون، وقال إن القضية ستقدم الكثير من التحديات الجديدة وغير ذلك... كما قال إن لديه ثقة كبيرة في محلفي مقاطعة فورد.

ارتدى جايك بنطالًا وقميصًا.

لا تزال زوجته نائمة؛ سيخبرها لاحقًا. أخذ الصحيفة وتوجه إلى المكتب. لم يكن الكوفي شوب آمنًا، لذا، قرأ الصحيفة مجددًا على مكتب إثيل وحملق في صورته على الصفحة الأمامية.

واساه لوسيان قليلًا؛ كان يعرف مارشافسكي الملقب بالقرش؛ لقد كان محتالًا رخيصًا، ولكنه كان بارعًا ومعسول الكلام، وكان لوسيان معجبًا به.

قاد موس جونيور كارل لي إلى مكتب أوزي حيث كان ينتظره جايك وبيده الصحيفة، فغادر النائب بسرعة، وأغلق الباب، في حين جلس كارل لي على الأريكة السوداء الصغيرة.

رمى جايك الصحيفة بجانب كارل لي وقال: "هل رأيت هذا البلاغ؟".

حملق كارل لي فيه وتجاهل الصحيفة.

"لماذا يا كارل لي؟".

"لا يفترض بي أن أشرح لك يا جايك".

"بل على العكس، يفترض بك أن تشرح لي. لم تتجرأ أن تتصل بي؛ لقد جعلتني أقرأ الخبر في الصحيفة، وأنا أطلب منك تفسيرًا".

"أنت تطلب مالًا كثيرًا يا جايك وتُلِحّ عليه كثيرًا. والآن أنا أجلس في السجن، وأنت تتذمر من شيء لا أستطيع مساعدتك فيه".

"مسألة المال. أنت لا تمتلك المال الكافي لأن تدفع لي، فكيف ستدفع لمارشافسكي؟".

"لن أدفع له شيئًا".

"ماذا؟".

"لقد سمعتني؛ لن أدفع له شيئًا".

"هل يعمل بالمجان؟".

"كلا، سيدفع عني شخص آخر".

صرخ جايك: "من؟".

"لن أقول لك. ليس لك أية علاقة بالأمر يا جايك".

"لقد عينت أشهر محامي دفاع عن جرائم القتل في ممفيس وسيعطيه أحد آخر أجره؟".

"أجل".

فكّر جايك في الرابطة الوطنية لتقدم الملونين، لكنهم لم يكونوا ليعينوا مارشافسكي، فلديهم محاموهم الخاصون. بالإضافة إلى إنّه مكلف جدًا لهم. من أيضًا؟

أخذ كارل لي الصحيفة وطواها بأناقة؛ لقد شعر بالعار، ولكن القرار كان قد اتخذ. لقد طلب من أوزي أن يتصل بجايك ويعلمه بالخبر، ولكن المأمور لم يرد أن يتدخل في هذا الأمر، فكان على كارل لي أن يتصل بجايك، ولكنه لن يعتذر عن تقصيره.

عاين صورته على الصفحة الأمامية، ولقد أعجب بالقسم الذي ذكر إنّه قاتل متمرد يخضع لقوانينه الخاصة.

قال جايك: "لن تخبرني من سيدفع عنك أليس كذلك؟".

"كلا يا جايك، لن أخبرك".

"هل ناقشت الأمر مع ليستر؟".

حملق كارل لي في جايك مجددًا: "كلا، ليس هو الذي سيحاكم، ولا علاقة له بالأمر".

"أين هو؟".

"إنه في شيكاغو؛ لقد ذهب ليلة أمس، وأنا أحذرك أن تتصل به يا جايك. لقد اتخذت قراري".

قال جايك في نفسه: سنرى، سيعرف ليستر بالأمر خلال فترة قصيرة.

فتح جايك الباب ثمّ قال: "حسنًا، لقد عزلتني، وبهذه البساطة".

نظر كارل لي إلى صورته ولم يقل شيئًا.

كانت كارلا تتناول طعام الفطور وتنتظره؛ لقد اتصل به صحفي من صحيفة جاكسون وسأله عن مارشافسكي؛ لم يكن هناك كلام بل تصرفات وحسب. ملأ كوبه بالقهوة وتوجه إلى الشرفة الخلفية، حيث شرب من كوبه الساخن، وعاين الشجيرات غير المرتبة التي تحيط بحديقته الخلفية.

بخرت الشمس الساطعة قطرات الندى المتراكمة على عشب بيرمودا يانع الخضار، وكوّنت ضبابًا خفيفًا علق على قميصه، وكان العشب وسياج الشجيرات ينتظران الجزّ الأسبوعي، فخلع حذاءه - لم يكن يلبس جوربًا - ومشى على المرج النديّ ليعاين مغطس الطيور المكسور بجانب شجرة؛ كانت تلك الشجرة هي الشجرة الوحيدة المعتبرة في حديقته.

تبعت كارلا خطواته ووقفت إلى جانبه، فأمسك بيدها وابتسم لها، ثمّ سألته: "هل أنت بخير؟".

"أجل أنا بخير".

"هل تحدثت إليه؟".

"أجل".

"ماذا قال؟".

أشاح برأسه ولم يقل شيئًا.

"أنا آسفة يا جايك".

أومأ برأسه ونظر إلى مغطس الطيور.

قالت بغير ثقة: "سيكون هناك قضايا أخرى".

"أعلم هذا"، لقد فكر في باكلي؛ يمكنه أن يشعر بضحكته الخبيثة، كما فكّر في رفاقه في الكوفي شوب وأقسم ألّا يعود إلى هناك، ثمّ فكر في الكاميرات والصحفيين فآلمته معدته، وبعد ذلك فكّر في ليستر الذي كان أمله الوحيد في استعادة القضية.

سألته كارلا: "هل تود أن تتناول الفطور؟".

"لا، لست جائعًا".

قالت: "انظر إلى الجانب المشرق يا جايك؛ لن نخاف بعد ذلك من أن نجيب على الهاتف".

قال: "أظن أنني سأجزّ العشب".

17

كان مجلس القساوسة مؤلفًا من الكهنة السود المسؤولين عن تنسيق العلاقات السياسية في مجتمع السود ضمن مقاطعة فورد، ويجتمع هذا المجلس على فترات متباعدة خارج موسم الانتخاب، ولكن كان يجتمع كل يوم أحد في السنوات التي يحصل فيها انتخابات، ليناقشوا مسائلَ مختلفة، وبشكل أساسي ليحددوا قيمة تبرعات كل مسؤول. كانت تنعقد الصفقات، وتتطور الاستراتيجيات، وتُجبى الأموال؛ كان المجلس قد أثبت أن بوسعه أن يوصل صوت السود إذ كان يرتفع عدد الهدايا والتبرعات لكنائس السود خلال الانتخابات.

دعا القس أولي آغي إلى اجتماع استثنائي للمجلس من بعد ظهر يوم الأحد ضمن كنيسته؛ أنهى عظته بسرعة، وبحلول الساعة الرابعة كانت جماعته قد رحلت، وبدأت سيارات الكاديلاك واللنكولن بملء مرأب السيارات. لقد كانت هذه الاجتماعات سرية، ولم يُدعَ سوى القساوسة المنضمين إلى المجلس.

كان هناك ثلاث وعشرون كنيسة للزنوج في مقاطعة فورد، لبى اثنان وعشرون عضوًا دعوة القس آغي للاجتماع. يجب أن يكون الاجتماع مختصرًا، لأن على بعض القساوسة، وخصوصًا قس كنيسة المسيح، أن يبدأوا بقداديسهم المسائية قريبًا.

شرح آغي أن غاية الاجتماع هي تنظيم دعم أخلاقي وسياسي ومادي لكارل لي هيلي الذي كان ملتزمًا بكنيسته، لذا، يجب تنظيم صندوق دفاع قانوني لضمان تمثيله بشكل جيد، كما يجب توفير دعم مالي لعائلته.

سيترأس الموقر آغي حملة جمع التبرعات، وسيكون كل قس مسؤولًا عن أبرشيته كالعادة، وستُقدَّم هبات استثنائية خلال القداسين الصباحي والمسائي ابتداء من يوم الأحد القادم، وسيستغل آغي منصبه، ويوزع المال على العائلة، كما ستذهب نصف العائدات إلى صندوق الدفاع القانوني.

إن الوقت من ذهب، حيث ستقام المحاكمة خلال الشهر القادم، لذا، يجب العمل على رفع التبرعات ما دامت القضية رائجة، وما دام الناس لديهم الرغبة في العطاء.

اتفق المجلس بالإجماع على اقتراح القس آغي، ثمّ تابع كلامه.

يجب على الرابطة الوطنية لتقدم الملونين أن تكون طرفًا فعالًا في قضية هيلي، فإن كان رجلًا أبيض ما كان ليحاكم في مقاطعة فورد، إنّه سيحاكم لأنه أسود وحسب. يجب أن يسلّط الضوء على هذه القضية من قبل الرابطة الوطنية لتقدم الملونين، وقد تم التواصل مع المدير الوطني، وقد وعدهم كادر صحيفتي جاكسون وممفيس بالمساعدة، وستعقد مؤتمرات صحفية. إن القيام بالاحتجاجات والمسيرات أمر مهم أيضًا، كما أن مقاطعة الأعمال التي يملكها البيض وسيلة ناجعة في هذه اللحظة، وقد أثبتت نجاحها.

يجب التحرك بسرعة ما دام الناس لديهم رغبة في المساعدة والعطاء؛ لقد وافق القساوسة بالإجماع وذهبوا ليؤدوا قداس المساء.

تغيب جايك عن الكنيسة بسبب التعب والإحراج، وأعدت كارلا الشطائر، واستمتعا بفطور طويل مع هانا على الشرفة الخلفية. تجاهل جايك صحف يوم السبت عندما وجد مقالًا طويلًا عن مارشافسكي وموكله الجديد على الصفحة الأولى من القسم الثاني لجريدة ذا ممفيس بوست، وقد أرفق بالمقال عدد كبير من صور المحامي العظيم وتعليقاته؛ لقد قال إن قضية هيلي تمثل أكبر تحدٍّ واجهه، فهي تناقش مسائل قانونية وسياسية حساسة، ووعد باستخدام حجج دفاع قوية وملامِسة للمجتمع، كما تفاخر بأنّه لم يخسر قضية جريمة قتل منذ اثنتي عشرة سنة؛ لن تكون القضية بالأمر السهل، ولكنه يثق في حكمة وعدالة محلفي ميسيسيبي.

قرأ جايك الصحيفة من دون تعليق، ثمّ ألقى بها في القمامة.

اقترحت كارلا أن يذهبوا في رحلة، ومع أنّ لديه عملًا ليقوم به، لكنه لم يتجرأ على أن يخبرها بذلك. لقد ملأوا سيارة الساب بالطعام والألعاب واتجهوا إلى البحيرة. لقد بلغت مياه بحيرة تشاتولا البنية الموحلة ذروتها لهذه السنة وستبدأ بالتراجع في غضون أيام، كما جذبت المياه المرتفعة قوارب التزلج، وزوارق الصيد، والزوارق الصغيرة.

فرشت كارلا بساطين تحت شجرة بلوط بجانب هضبة في الوقت الذي كان فيه جايك يخرج الطعام وبيت الألعاب، ثم بدأت هانا بتنظيم ألعابها على بساط، وبدأت تعطي الأوامر وتركب البيت، فاستمع إليها والداها وابتسما. كانت ولادتها صعبة فهي ولدت قبل شهرين من موعدها ونتج عن ذلك مضاعفات وأعراض خطيرة. جلس جايك لمدة أحد عشر يومًا بجانب الحاضنة في العناية المشددة وراقب الرضيعة الصغيرة التي تزن ثلاثة أرطال وهي تكافح لتبقى على قيد الحياة؛ لقد أحاط بها جيش من الأطباء والممرضين الذين تفحصوا أجهزة المراقبة، وعاينوا أنابيب التنفس، وغرسوا الإبر ثمّ أشاحوا برؤوسهم، وكان جايك يقف بجانب الحاضنة ويمسح دموعه عندما يكون وحده. لقد صلى لطفلته وهو الذي لم يسبق له أن صلى. كان ينام على كرسي متحرك بجانب طفلته، ويحلم بطفلة زرقاء العينين، داكنة الشعر تلعب بدميتها وتنام على كتفه؛ لا يزال صوتها في أسماعه كما تخيله؛ وبعد مرور شهر، ابتسم الممرضون واسترخى الأطباء، فأُزيلت الأنابيب واحدًا تلو الآخر وفي غضون أسبوع واحد ازداد وزنها وأصبح أربعة أرطال ونصف، ثمّ أخذها والداها الفخوران بها إلى المنزل، وقد نصحهما الأطباء بالتبني في حال أرادا المزيد من الأطفال وألا يحاولا إنجاب طفل آخر.

كانت طفلته في أفضل حال، لقد أكل هو وكارلا وضحكا في الوقت الذي كانت فيه هانا تعلم دُماها أهمية النظافة.

قالت كارلا وهما يجلسان على البساط: "إنها المرة الأولى التي استرخي فيها منذ أسبوعين"، تجاوزت المراكب الملونة زوارق التزلج التي يقودها متزلجون ثملون تقريبًا.

أجابها جايك: "لقد ذهبنا إلى الكنيسة الأحد الماضي".

"صحيح، ولكنك كنت تفكر في المحاكمة طوال الوقت".

"لا أزال أفكر فيها".

"ولكن الأمر انتهى أليس كذلك؟".

"لا أعرف".

"هل سيغير رأيه؟".

"ربما إذا اقنعه ليستر، ولكنّني لست واثقًا، لا يمكنك توقع الطريقة التي يتصرف وفقها السود، خاصة عندما يكونون في أزمة، لدى كارل لي صفقة رابحة حقًا، فمحاميه هو أفضل محامي قضايا قتل في ممفيس؛ إنّه حر".

"من سيدفع أتعاب المحامي؟".

"صديق قديم لكارل لي من ممفيس اسمه كات بوستر".

"من هو هذا الرجل؟".

"قوّاد ثري، وتاجر مخدرات، ومجرم، ولص؛ مارشافسكي هو محاميه، وهما محتالان".

"هل أخبرك كارل لي بهذا؟".

"لا، لم يرد أن يخبرني فسألت أوزي".

"هل يعلم ليستر بهذا؟".

"لا أظنه يعلم".

"ماذا تقصد بهذا؟ أنت لن تتصل به أليس كذلك؟".

"في الحقيقة، أنا أريد الاتصال به".

"أنت تتمادى في الأمر أليس كذلك؟".

"لا أظن ذلك. إن لليستر الحق في أن يعلم و...".

"فليخبره كارل لي".

"يجب عليه أن يخبره، ولكنه لا يريد. إنّه يرتكب خطأ جسيمًا ولكنه لا يلاحظ ذلك".

"ولكن هذه مشكلته ولا علاقة لك به بعد الآن".

"كارل لي محرج من ليستر؛ إنّه على ثقة من أن ليستر سيؤنّبه، وسيقول له إنّه ارتكب خطأ آخر".

"وأنت ستتدخل في أمورهما العائلية".

"كلا، ولكنني أعتقد أنّه عليّ إخبار ليستر".

"أنا واثقة من أنّه سيقرأ الخبر في الصحف".

قال جايك من دون أن يقنع كارلا: "وربما لن يقرأه. أعتقد أن هانا تريد المزيد من عصير البرتقال".

"أعتقد أنك تريد تغيير الموضوع".

"الموضوع لا يهمني، فأنا أريد استرداد القضية، وليستر هو الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يعيدها لي".

قطبت كارلا حاجبيها، وشعر جايك بغضبها، وراح يراقب زورق صيدٍ وهو يقترب من شاطئ البحيرة.

قالت كارلا: "إن هذا غير أخلاقي يا جايك وأنت تعلم ذلك"، كان صوتها هادئًا وحازمًا كما قالت كلماتها ببطء وبتوبيخ.

"هذا غير صحيح يا كارلا؛ أنا محام أخلاقي".

"كنت تعظ الجميع بالتحلي بالأخلاق، ولكنك تناقض نفسك الآن، فإن ما تفكر به خاطئ يا جايك".

"أريد استعادة القضية لا التماس الآخرين لاستردادها".

"وما الفرق بين الأمرين؟".

"إن الالتماس غير أخلاقي، ولكن استعادة القضية لا ضير فيه".

"هذا خاطئ يا جايك. لقد عيّن كارل لي محاميًا آخر، وآن الأوان لتنسى الأمر".

"وأظنك تعتبرين مارشافسكي يقيم اعتبارًا للأخلاقيات، ولكنك لم تفكري في كيفية حصوله على القضية؛ لقد وكّله شخص لم يسبق له أن سمع به، فهو قد لاحق القضية وحصل عليها في نهاية المطاف".

"وهل هذا يعطيك الحق في أن تلاحقها الآن؟".

"أريد استعادتها لا ملاحقتها".

طلبت هانا الكعك وبحثت كارلا عنه في سلة الطعام، فتمدد جايك وتجاهلهما مفكّرًا في لوسيان؛ ماذا كان سيفعل في مثل هذا الموقف؟ كان سيسافر إلى شيكاغو على الأرجح، ويستأجر شقة، ويعثر على ليستر، ثمّ يعطيه بعض المال، ويعيده إلى هنا، ويقنعه أن يغير رأي كارل لي. كان سيخبر ليستر أن مارشافسكي لا يستطيع أن يمتهن المحاماة في ميسيسيبي، كما أن المحلفين المتخلفين لن يصدقوه بكل الأحوال لأنه أجنبي. كان سيتصل بمارشافسكي ويؤنبه على ملاحقته للقضايا، كما كان سيهدده بتقديم شكوى أخلاقية لحظة قدومه إلى ميسيسيبي، وكان سيطلب من أعوانه السود أن يتصلوا بغوين وأوزي ليقوموا بإقناعهما أن المحامي الوحيد الذي يمكن له الفوز بهذه القضية هو لوسيان ويلبانكس، وفي نهاية المطاف، كان كارل لي سيستسلم ويعين لوسيان.

كان هذا ما سيفعله لوسيان بالضبط؛ لن يقيم وزنًا للأخلاق.

قاطعت كارلا تفكيره وسألته: "لماذا تبتسم؟".

"إنني أفكر في روعة هذا اليوم الذي أمضيه معك ومع هانا. إننا لا نقوم بهذا الأمر كثيرًا".

"إنك تشعر بالخيبة أليس كذلك؟".

"بالطبع، فلن يكون هنالك قضية مثل هذه. إذا ربحت فيها فسأصبح أفضل محام في المنطقة، ولن نقلق بشأن المال مجددًا".

"وإن خسرتها؟".

"ستظل ورقة رابحة. ولكن لا يمكن أن أخسر شيئًا لا أملكه".

"هل تشعر بالحرج؟".

"قليلًا، إذ يصعب عليّ تقبل الواقع. إن كل محامي المقاطعة يضحكون عليّ باستثناء هاري ريكس، ولكنّني سأتخطى الأمر".

"ماذا سأفعل بملف القصاصات؟".

"احتفظي به، فسيكون له استخدام في المستقبل".

كان الصليب صغيرًا حيث كان طوله تسع أقدام، وعرضه أربع أقدام؛ كان قد صمم بهذا الحجم ليتسع له صندوق السيارة. كانت الصلبان الكبيرة تستخدم لتأدية الطقوس أما الصغيرة منها فكانت تستخدم للترهيب المسائي في المناطق السكنية؛ لم يكن شائعًا استخدامها بشكل كافٍ حسب قول صنّاعها. في الواقع، كان قد مضى وقت طويل على استخدام واحد منها في مقاطعة فورد، فآخر واحد استخدم في حديقة زنجي اتُّهم باغتصاب امرأة بيضاء.

قبل حلول فجر يوم الاثنين بساعات، رُفع الصليب بهدوء وسرعة من صندوق السيارة، وغُرِز في حفرة عرضها عشرة إنشات ضمن الحديقة الأمامية للبيت الفيكتوري الغريب الكائن في شارع آدامز. ألقيت شعلة أسفل الصليب وبدأ بالاشتعال على الفور، ثم اختفت السيارة في الظلام، وتوقفت أمام هاتف عمومي في طرف المدينة حيث أجري اتصال برقيب الاتصالات.

بعد لحظات، انعطف النائب مارشال براذر عند شارع آدامز، ورأى الصليب المشتعل في حديقة منزل جايك الأمامية، فذهب إلى المرأب وركن سيارته خلف سيارة الساب. رن الجرس، ووقف على الشرفة، وتأمل لهيب النار.

كانت الساعة الثالثة والنصف تقريبًا، رن النائب الجرس مجددًا. كان شارع آدامز مظلمًا، وهادئًا باستثناء وهج الصليب وصوت احتراق الخشب على بعد خمسين قدمًا منه، وأخيرًا، فتح جايك الباب ووقف مذهولًا بجانب النائب.

وقف الرجلان إلى جانب بعضهما على الشرفة، وعلت وجهيهما الدهشة، ليس فقط بسبب الصليب المحترق بل بسبب الفكرة الكامنة وراء ذلك.

قال براذر وهو ينظر إلى النار: "صباح الخير يا جايك".

قال جايك بصوت مبحوح: "من الفاعل؟".

"لا أدري، لقد أعلمونا بالخبر وحسب ولم يتركوا اسمًا".

"متى اتصلوا؟".

"منذ خمس عشرة دقيقة".

مرر جايك أصابعه عبر شعره كي لا يتطاير في الهواء.

سأل جايك النائب: "إلى متى سيظل يحترق؟".

كن جايك على دراية تامة بأن النائب ليس لديه أية معلومات كافية عن احتراق الصلبان.

فقال: "لا أستطيع أن أجزم. لا بد إنّه مغطى بالكيروسين حيث تتصاعد الرائحة منه، وعلى الأغلب سيحترق لمدة ساعات. أتريدني أن أتصل بسيارة الإطفاء؟".

نظر جايك في الأرجاء ووجد أن كل المنازل كانت مظلمة وهادئة.

"كلا، ليس هناك داع. دعه يحترق فحسب. لن يسبب أي أذى أليس كذلك؟".

"إنها حديقتك يا جايك".

لم يتحرك براذر بل وقف بصمت واضعًا يديه في جيبيه وبطنه تتدلى فوق حزامه ثمّ قال: "لم نختبر شيئًا مثل هذا منذ وقت طويل، فآخر حادثة أتذكرها كانت في كاراوي في سنة ألف وتسعمئة...".

"ألف وتسعمئة وستة وسبعين".

"أتتذكرها؟".

"أجل، لقد كنت في الثانوية؛ لقد ذهبنا ورأيناه يحترق".

"ما كان اسم ذاك الأسود؟".

"روبنسن. لا أدري ما كان اسمه الأول. قيل إنّه اغتصب فيلما ثاير".

سأله براذر: "هل اغتصبها حقًا؟".

"لقد أدانه المحلفون، وهو الآن في بارشمان يقطف القطن لبقية حياته".

بدا براذر مرتاحًا.

تمتم جايك: "دعني أنادي كارلا"، دخل وعاد برفقة زوجته.

"يا إلهي يا جايك! من فعل هذا؟".

"من يدري".

قالت كارلا: "إنها منظمة ك.ك.ك".

أجاب النائب: "لا بد أنهم الفاعلون. أتعلم أحدًا آخر يحرق صلبانًا يا جايك؟".

أشاح جايك برأسه.

قال براذر: "لقد اعتقدت أنّهم غادروا مقاطعة فورد منذ سنوات".

قال جايك: "يبدو أنهم عادوا".

وقفت كارلا مذهولة، ووضعت يدها على فمها مرعوبة.

احمرّ وجهها بسبب وهج النار وقالت: "افعل شيئًا يا جايك؛ أطفئ هذه النار".

راقب جايك النار وعاين الشارع مجددًا؛ لقد ارتفع صوت احتراق الخشب وازداد وهج النيران في الظلام. لقد تمنى للحظة أن تخمد النيران بسرعة من دون أن يعلم أحد في كلانتون بما جرى، ثم ابتسم لشدة حماقته.

تململ براذر وبدا أنّه ضجر من الوقوف على الشرفة ثمّ قال: "أنا لا أريد أن أفتح الموضوع يا جايك ولكن استنادًا لما ورد في الصحف يبدو أنهم استهدفوا المحامي الخطأ أليس كذلك؟".

تمتم جايك: "أعتقد أنّهم لا يجيدون القراءة".

"أوافقك الرأي".

"قل لي يا براذر، أتعلم بأي أعضاء نشطين تابعين لكلان في هذه المقاطعة؟".

"لا أعرف أحدًا هنا. هناك القليل منهم في النواحي الجنوبية من الولاية، ولكن ليس هنا على حد علمي. لقد أخبرنا مكتب الأب بي آي أن منظمة كو كلوكس كلان أصبحت شيئًا من الماضي".

"هذا لا يطمئنني".

"لماذا؟".

"الفاعلون من الكلان ولكنهم ليسوا من هنا؛ بمعنى آخر، إنّهم زائرون قدِموا من أماكن غير معروفة. ألّا يعني هذا أنّهم جادون في فعلتهم يا براذر؟".

"لا أدري. كنت سأقلق أكثر إن كانوا أناسًا محليين يعملون مع تلك المنظمة، وهذا يعني أن الكلان ستعود مجددًا".

سألت كارلا النائب: "ما دلالة الصليب؟".

"إنه تحذير. أي توقفْ عما تفعله وإلا سنفعل أكثر من مجرد حرق الخشب. كانوا يستخدمون هذا الأسلوب طيلة سنوات كي يرهبوا الناس الذين يتعاطفون مع السود أو الذين يؤمنون بالحقوق المدنية. إن لم يتوقف البيض عن حبهم للسود، فهنا كان يبدأ العنف. جاء العنف على شكل قنابل، وديناميت، وضرب، وحتى قتل، ولكن حدث هذا منذ زمن بعيد. أعتقد أنّه يعني في حالة جايك أن يبتعد عن قضية هيلي، ولكنّني لا أفهم معناه بالضبط لأن جايك لم يعد محامي هيلي".

قال جايك لكارلا: "اطمئني على هانا"، ثمّ دخلت إلى المنزل.

قال براذر: "يسرني أن أخمد النيران إن كان لديك خرطوم مياه".

قال جايك: "هذه فكرة سديدة، فأنا لا أريد أن يراها جيراني".

وقف جايك وكارلا في ثياب النوم على الشرفة، وراقبا النائب وهو يطفئ نيران الصليب المحترق، فتصاعد الرماد عندما غطت النيران الصليب المحترق. رشه براذر بالماء طيلة خمس عشرة دقيقة ثمّ لف الخرطوم بعناية ووضعه خلف شجيرة عند حوض الزهور بجانب الدرج الأمامي.

"شكرًا يا مارشال. أود أن نبقي هذه الحادثة بيننا".

مسح براذر يديه على سرواله، وسوّى قبعته وقال: "بالطبع. اقفلا الباب بإحكام وإن سمعتما شيئًا اتصلا برقيب الاتصال، سوف نراقب المنزل بعناية في الأيام القادمة".

استقل براذر سيارته، وقاد ببطء عبر شارع آدامز باتجاه الساحة، بينما جلس جايك وكارلا على الأرجوحة وتأملا رماد الصليب.

قال جايك: "أشعر أنني أنظر إلى عدد قديم من مجلة لايف".

"أو إلى فصل من كتاب مدرسي عن تاريخ ميسيسيبي، لعله يجدر بنا أن نخبرهم أنك لم تعد محامي كارل لي".

"شكرًا لك".

"على ماذا؟".

"لكونك صريحة جدًا".

"أنا آسفة. أتود أن أقول إنّك أعفيت أو فُسِخ العقد...".

"قولي فقط إنّه عثر على محام جديد. أنت خائفة جدًا أليس كذلك".

"أنت تعلم أنني لست خائفة بل مرعوبة؛ إن كان بوسعهم أن يحرقوا صليبًا في حديقتنا، فما الذي سيمنعهم من أن يحرقوا البيت بأكمله. الأمر لا يستحق كل هذا يا جايك، فأنا أريدك أن تكون سعيدًا وناجحًا وكل تلك الأمور الرائعة ولكن ليس على حساب أماننا، إذ لا تستحق أية قضية هذا العناء".

"هل يسعدك أنني طردت؟".

"أنا سعيدة أنه قد حظي بمحام جديد. لعلهم سيتركوننا وشأننا الآن".

طوق جايك خصرها بذراعه وأجلسها على حضنه، فاهتزت الأرجوحة برفق. كانت كارلا جميلة عند الساعة الثالثة والنصف صباحًا وهي ترتدي ثوب النوم.

سألته كارلا: "لن يعودوا مجددًا أليس كذلك؟".

"كلا، لقد أنهوا مهمتهم معنا، وسيكتشفون أنني قد استبعدت عن القضية ثمّ سيتصلون بنا ويعتذرون منا".

"الأمر ليس مضحكًا يا جايك".

"أعلم هذا".

"هل تعتقد أن الناس سيدرون بالأمر؟".

"ليس قبل ساعة أي عندما يفتح مقهى الكوفي شوف في تمام الساعة الخامسة؛ سوف تعلم ديل بيركينز دقائق الأمور قبل أن تصب أول كوب قهوة".

أشارت كارلا إلى الصليب الذي كان قد اختفى تحت ضوء القمر ثمّ قالت: "ماذا ستفعل به؟".

"لديّ فكرة؛ هيا نأخذه إلى ممفيس ونحرقه في حديقة مارشافسكي".

"سأخلد إلى النوم".

بحلول الساعة التاسعة صباحًا، كان جايك قد أنهى إعداد طلب انسحابه كمحام موكل في المحكمة، وكانت إثيل تكتب طلبه بحماسة عندما قاطعته قائلة: "إن السيد مارشافسكي ينتظرك عبر الهاتف يا سيد بريغانس. قلت له إنه في اجتماع وقال إنّه سينتظرك".

أمسك جايك السماعة وقال لها: "سأتحدث إليه".

"مرحبًا".

"معك بو مارشافسكي من ممفيس يا سيد بريغانس. كيف الحال؟".

"بأفضل حال".

"ممتاز. لا بد أنك اطلعت على صحف يومي السبت والأحد. تصلكم الصحف في كلانتون أليس كذلك؟".

"أجل، ولدينا بريد وهواتف".

"إذًا، رأيت المقالات عن السيد هيلي أليس كذلك؟".

"أجل، إن مقالك مسبوك حقًا".

"سأتجاهل هذا، فأنا أريد أن أتناقش معك حول قضية هيلي إن كان لديك وقت".

"أود ذلك حقًا".

"أنا على علم بالإجراءات القانونية في ميسيسيبي، كما أعلم أنه على المحامي القادم من خارج الولاية أن يتعاون مع محام محلي لغايات المحكمة".

سأله جايك باستغراب: "أليست لديك رخصة لممارسة المحاماة في ميسيسيبي؟".

"كلا".

"لم تذكر هذا في مقالك".

"سأتجاهل تعليقك أيضًا. هل يطلب القضاة المحامي المحلي في كل المحاكمات؟".

"يطلب بعض القضاة وجدوه ولكن البعض الآخر لا يطلبه".

"أحقًا هذا؟ ماذا عن نووز؟".

"يطلب وجوده في بعض الأحيان".

"شكرًا. في الواقع، أنا أتعاون مع محام محلي عندما أمثل قضايا في الولاية، ويرتاح الشعب لوجود ممثل قانوني معي على الطاولة نفسها".

"هذا لطف منك".

"لا أعتقد أنك مهتم بـ...".

صرخ جايك: "هل تمازحني؟ لقد طردت للتو وأنت تطلب مني الآن أن أحمل حقيبتك؟ أنت مجنون حقًا. لن ألوث اسمي بالتعاون معك".

"انتظر دقيقة، في هذه المقاطعة البسيطة...".

"لا، يجب أن تسمعني أنت أيها المحامي؛ أنت ستتفاجأ بهذه المعلومة على الأرجح، ولكن لدينا أخلاقًا وقوانين في هذه المقاطعة تمانع التماس القضايا واستدراج الموكلين".

"هل سمعت بعقد الصفقات لتمثيل القضايا؟ إن هذه جنحة في ميسيسيبي وفي معظم الولايات، ولدينا شرائع في ميسيسيبي تدين المحامين الذين يشترون المناصب ويبيعونها والذين يلاحقون سيارات الإسعاف، والذين يلتمسون القضايا. هل سمعت بالأخلاق يا سيد قرش؟".

"أنا لا ألاحق القضايا يا بنيّ، بل إنّها تأتي إليّ".

"مثل قضية كارل لي هيلي، ويجدر بي أن أصدق أنّه اختار اسمك من دليل الهاتف. أنا متأكد أن لديك إعلانًا ضخمًا بجانب إعلانات أخصائيي الإجهاض".

"لقد تم اقتراحه عليّ".

"أجل، من قبل قوادك. أنا أعلم كيف حصلت على هذه القضية؛ هذا التماس صريح. من الممكن أن أقدم شكوى قضائية بحقك، وربما من الأفضل أن أطلع هيئة المحلفين العليا على أساليبك".

"أجل، أعلم أنك قريب من المحامي العام. طاب يومك حضرة المحامي".

كانت الكلمة الأخيرة لمارشافسكي.

كان جايك يستشيط غضبًا ودام غضبه ساعة قبل أن يستطيع أن يركّز على عمله؛ إن لوسيان سيفتخر به جدًا.

تلقى جايك قبل الغداء اتصالًا من والتر سوليفان الذي يعمل في شركة سوليفان.

"كيف حالك يا عزيزي جايك؟".

"رائع حقًا".

"ممتاز، اسمعني يا جايك، إن بو مارشافسكي صديق قديم لي، لقد مثلنا معًا مجموعة موظفين في المصرف اتهموا بقضية نصب، كما أننا أطلقنا سراحهم. إنّه محام جيد حقًا، ولقد طلب مني أن أعاونه بصفتي محاميًا محليًا في قضية كارل لي هيلي. وددت فقط أن أعرف...".

أنهى جايك المكالمة وغادر المكتب.

أمضى المساء على شرفة لوسيان.

18

لم يكن رقم ليستر بحوزة غوين أو أوزي أو أي شخص آخر، وقد أخبره عامل الهاتف أنّ هناك صفحتين لعائلة هيلي في السجل، وكان هناك العديد من الأرقام باسم ليستر هيلي وبعض منهم باسم ل. س. س. فطلب جايك أرقام أول خمسة أشخاص يدعون ليستر هيلي، واتصل بهم واحدًا تلو الآخر.

اتصل بتانك صاحب أكثر حانات السود أمانًا وأجملها؛ وكان ليستر يقصدها دائمًا. كان تانك زبون جايك وكان يزوده بمعلومات سرية، وقيمة عن العديد من السود، وصفقاتهم، وتحركاتهم.

عرج تانك على المكتب في صباح يوم الثلاثاء عندما كان في طريقه إلى المصرف.

سأله جايك: "هل رأيت ليستر هيلي في الأسبوعين الماضيين؟".

"بالطبع، لقد أمضى عدة أيام يلعب البلياردو، ويشرب الجعة؛ لقد سمعت أنه عاد إلى شيكاغو في العطلة الماضية، ولكنني لم أره طوال العطلة".

"مع من كان؟".

"إنه يأتي بمفرده في أغلب الأوقات".

"وماذا عن آيريس؟".

"لقد أحضرها عدة مرات عندما يكون هنري خارج المدينة. إنني أتوتر عندما يحضرها، فهنري رجل سيئ، وسوف يقتلهما إذا عرف أنّهما يتواعدان".

"كانا يتواعدان منذ عشر سنوات".

"أجل، إن لديها ولدين من ليستر؛ هذا ما يعرفه الجميع عدا هنري. يا لهنري المسكين! سوف يكتشف الأمر يومًا ما وسيكون لديك قضية قتل أخرى".

"هل تستطيع أن تتحدث إلى آيريس؟".

"إنها لا تأتي كثيرًا".

"لم أقصد هذا يا تانك، فأنا أريد رقم هاتف ليستر في شيكاغو. أتوقع أنّه مع آيريس".

"أنا متأكد أنّها تعرفه؛ أعتقد أنّه يرسل لها المال".

"هل يمكنك أن تحضره لي؟ أحتاج لأن أتكلم مع ليستر".

"بالطبع يا جايك، سأحضره إن كان بحوزتها".

بحلول يوم الأربعاء، عاد مكتب جايك إلى وضعه الطبيعي.

عاود العملاء الظهور؛ كانت إثيل لطيفة جدًا مع عجوز متذمر، وقد راجع جايك عرائض القانون، ولكنه لا زال متأثرًا بالحادثة، وقد تفادى المرور من أمام مقهى الكوفي شوب كل صباح، كما تفادى المحكمة أيضًا إذ طلب من إثيل تسجيل الدعاوى، والتحقق، وأي عمل يتطلب وجوده على الشارع؛ لقد كان محرجًا، ومهانًا، ومشوشًا، وكان من الصعب عليه أن يركز في قضايا أخرى. أراد أن يأخذ إجازة طويلة، ولكنه لا يستطيع، فقد كان المال شحيحًا، ولكنه لم يكن متحفزًا على العمل، فأمضى معظم وقته في المكتب يراقب المحكمة، وساحة المدينة.

لقد فكّر كثيرًا في كارل لي الذي يجلس في زنزانته على بعد شارعين، كما سأل جايك نفسه ألف مرة عن سبب تعرضه للخيانة؛ لقد ضغط على كارل لي كثيرًا في موضوع المال، ونسي أن هناك العديد من المحامين الذين يودون استلام القضية بالمجان؛ لقد كره مارشافسكي.

استعاد المرات العدة التي رأى فيها مارشافسكي.

لقد رآه يتجول من وإلى المحاكم في ممفيس، ويعلن براءة موكليه المظلومين والمثيرين للشفقة. كان موكلوه تجار مخدرات، وقوادين، وسياسيين محتالين، وموظفين متملقين، وكانوا جميعًا مذنبين، ويستحقون أن يقبعوا في السجن سنين طويلة، وكان بعضهم يستحقون الإعدام. كان

مارشافسكي من اليانكي، ولديه لكنة أهل وسط غرب الولايات المتحدة البغيضة، وكانت تلك اللكنة تزعج أي ساكن في غرب ممفيس. كان ممثلًا بارعًا حيث كان ينظر إلى الكاميرا مباشرة ويقول بأسى: "لقد تعرض موكلي للإساءة من قبل شرطة ممفيس"؛ لقد رأى جايك هذا المشهد كثيرًا.

"إن موكلي بريء حقًا، وليس من العدل محاكمته. إن موكلي مواطن مثالي، ويدفع ضرائبه". وماذا عن إداناته السابقة بتهمة النصب؟ "لقد تم الإيقاع به من قبل الأف بي آي. لقد قامت الحكومة بنصب ذاك الفخ، وعلى كل حال فهو دفع ديونه؛ إنّه بريء هذه المرة". يكرهه جايك للغاية، ووفقًا لاعتباراته الخاصة، فمارشافسكي خسر بقدر ما فاز.

بحلول مساء يوم الأربعاء، لم يشاهد مارشافسكي في كلانتون؛ لقد وعد أوزي جايك أن يعلمه إذا أتى إلى السجن.

سوف تظل جلسة المحاكمة منعقدة لغاية يوم الجمعة، وسيكون موقفًا لائقًا إذا ما اجتمع بالقاضي نووز، وشرح له ظروف انسحابه من القضية. كان حضرة القاضي يترأس قضية مدنية، ومن المرجح أن باكلي سيكون متغيبًا؛ يجب ألا يراه أو يسمعه أحد.

في العادة، كان نووز يستريح عند الساعة الثالثة والنصف، وبحلول هذا الوقت، دخل جايك إلى مكتب المحكمة من الباب الجانبي حيث لم يره أحد.

جلس بصبر بجانب النافذة، وانتظر إيكابود لينزل عن مقعده، ويدخل إلى المكتب.

بعد خمس دقائق، فُتِح الباب ودخل القاضي.

سأل القاضي: "كيف حالك يا جايك؟".

أغلق جايك الباب وسأل القاضي: "أنا بخير يا حضرة القاضي. أيمكن أن أقتطع من وقتك دقيقة؟".

"بالطبع، اجلس. ماذا تريد؟".

خلع نووز ثوبه، وألقاه على كرسي، ثم جلس على المكتب، وأطاح بالكتب والملفات، وعندما توقف جسده الأخرق عن الحراك، وضع نووز يديه على بطنه، ثمّ أغمض عينيه وتنفس بعمق قائلًا: "إن ظهري يؤلمني يا جايك. لقد نصحني الطبيب أن أجلس على سطح صلب قدر الإمكان".

"بالطبع يا حضرة القاضي. هل تريدني أن أغادر؟".

"لا، لا، ما الذي تفكر فيه؟".

"قضية هيلي".

"توقعت هذا. لقد رأيت طلبك؛ لقد وجد محاميًا آخر أليس كذلك؟".

"أجل يا سيدي، لم تكن لديّ فكرة عن الموضوع، وتوقعت أن أمثل القضية في تموز".

"أنت لا تدين لي باعتذار يا جايك. سوف أقبل طلب الانسحاب، فأنت لم تخطئ، وهذا أمر شائع الحدوث. من هذا المحامي الجديد؟ مارشافسكي؟".

"أجل يا سيدي، إنّه من ممفيس".

"سوف يكون مشهورًا في مقاطعة فورد بسبب اسمه".

"أجل يا سيدي"، فكّر جايك أنّه سيكون مثل نووز.

شرح جايك للقاضي: "ليس لديه رخصة لممارسة المحاماة في ميسيسيبي".

"إن هذا أمر مهم. هل هو على علم بإجراءاتنا؟".

"لست واثقًا إن سبق له أن تولى قضية في ميسيسيبي، لقد قال لي إنّه يتعاون مع محام محلي عندما يترافع في الولاية".

"في الولاية؟".

"هذا ما قاله لي".

"يجدر به أن يتعاون مع محام محلي في محكمتي. لديّ تجارب فاشلة مع المحامين الذين يحضرون من خارج الولاية، ومن ممفيس على وجه الخصوص".

"أجل يا سيدي".

كان نووز يتنفس بصعوبة فقرر جايك أن يغادر وقال: "يفترض بي أن أُغادر يا حضرة القاضي. إن لم أرك في تموز، فسأراك في وقت المحاكمة في آب. اعتنِ بظهرك".

"شكرًا يا جايك، وأنت اعتنِ بنفسك".

كان جايك يوشك على الوصول إلى الباب الجانبي للمكتب عندما دخل وينستون لوترهاوس، ورجل المهمات الصعبة في شركة سوليفان.

قال لوترهاوس: "مرحبًا يا جايك. أنت تعرف مساعدنا الجديد بيتر أوتر".

أجاب جايك: "سررت بمقابلك يا بيتر".

"هل أتينا في وقت غير مناسب؟".

"كلا، كنت سأغادر للتو. إن القاضي نووز يريح ظهره قليلًا، وأنا كنت في طريقي للذهاب".

قال نووز: "اجلسوا أيها السادة".

وجد لوترهاوس فرصة وكان سيقتنصها ثمّ قال: "قل لي يا جايك؛ أنا متأكد أن والتر سوليفان قد أخبرك أن شركتنا ستشارك في قضية كارل لي هيلي كممثل محلي".

"أجل لقد سمعت بهذا".

"أنا آسف لمصابك".

"إن حزنك غامر".

"ستنعكس هذه القضية خيرًا على شركتنا، فإننا لا نستلم العديد من قضايا القتل كما تعلم".

بحث جايك عن حفرة ليختبئ فيها وقال: "أجل، أعلم ذلك. علي الذهاب الآن. لقد سررت بالتحدث إليك يا وينستون ومقابلتك يا بيتر. أبلغا ج. والتر وف. روبرت والشباب سلامي".

ذهب جايك من الباب الجانبي ولام نفسه إذ إنّه قد رمى بنفسه إلى التهلكة؛ لقد ركض إلى مكتبه.

صعد الدرج بسرعة وسأل إثيل: "هل اتصل تانك؟".

"كلا ولكن السيد باكلي ينتظرك".

ذهل جايك وفتح فمه ثمّ قال: "ينتظرني هنا؟".

"إنه في مكتبك".

مشى ببطء إلى مكتبها، وتوقف على بعد إنشات قليلة من وجهها؛ لقد كانت على دراية تامة بأنها قد ارتكبت خطأ جسيمًا.

حملق فيها بغضب ولم يحرك فكيه عندما قال: "لم أكن أعرف أن لديه موعدًا".

نظرت إلى مكتبها وأجابت: "ليس لديه موعد".

"لم أكن أعرف أنّه يمتلك هذا المبنى".

لم تتحرك ولم تجبه.

"لم أكن أعرف أن لديه مفتاحًا لمكتبي".

لم تتحرك ولم تجبه أيضًا.

اقترب منها أكثر وقال: "يجب عليّ أن أطردك لهذا".

ارتعشت وجلست عاجزة.

"لقد سئمت منك يا إثيل. لقد سئمت من تصرفاتك وصوتك وعدم تعاونك. سئمت من طريقة معاملتك للناس ومن كل شيء يخصك".

ترقرقت عيناها بالدمع وقالت: "أنا آسفة".

"لا، أنت لست آسفة. أنت تعلمين منذ سنين أّنه لا يحق لأحد الدخول إلى مكتبي، حتى وإن كانت زوجتي".

"لقد أصرّ عليّ".

"إنّه وغد. إنّه يتلقى أجرًا على إصراره هذا، ولكن ليس في مكتبي".

"أخفض صوتك. إنّه يستطيع سماعك".

"لا أكترث لهذا. إنّه يعلم أنّه وغد".

اقترب منها أكثر وقال: "هل تودين أن تحافظي على عملك يا إثيل؟".

أومأت برأسها حيث لم تستطع أن تتكلم.

"إذًا، افعلي ما أمليه عليك؛ اذهبي وأحضري السيد باكلي إلى غرفة الاجتماعات حيث سأجتمع به، ولا تتجرأي على تكرار هذا الأمر مرة أخرى".

مسحت إثيل وجهها وصعدت على الدرج، وبعد مرور ثوانٍ، كان المحامي العام يجلس في غرفة الاجتماعات، وكان الباب مغلقًا.

لقد انتظر جايك.

كان جايك يجلس في المطبخ بجانب غرفة الاجتماعات، ويشرب عصير البرتقال؛ لقد شرب ببطء، وبدأ بتفحّص باكلي.

بعد مرور خمس عشرة دقيقة، دخل جايك الغرفة، حيث كان باكلي يجلس عند أحد نهايتي طاولة الاجتماعات الطويلة.

جلس جايك في النهاية الأخرى بعيدًا عن باكلي.

"مرحبًا يا روفوس. ماذا تريد؟".

"يا له من مكان رائع! إنّها مكاتب لوسيان القديمة أليس كذلك؟".

هذا صحيح. ما الذي أتى بك إلى هنا؟".

"أردت أن أزورك وحسب".

"أنا مشغول جدًا".

"وأردت أن أتناقش معك بشأن قضية هيلي".

"اتصل بمارشافسكي".

"كنت متحمسًا على المعركة وخصوصًا عندما كنت أنت خصمي؛ فأنت خصم لا يستهان به يا جايك".

"تشرفني شهادتك".

"لا تسئ فهمي؛ فأنا لا أفضلك منذ زمن طويل".

"منذ قضية ليستر هيلي".

"أجل، أعتقد أنك على حق؛ لقد فزت في المعركة ولكنك غششت".

"لقد فزت، وهذا هو المهم، كما أنني لم أغش؛ أنت فقط لم تدرك مجريات ما يدور حولك".

"لقد غششت وسمح لك نووز بذلك".

"أيًا يكن الأمر، فأنا لا أفضلك أيضًا".

"ممتاز، فهذا يطمئنني. ماذا تعلم عن مارشافسكي؟".

"هل هذا سبب مجيئك إلى هنا؟".

"لعله يكون السبب".

"لم يسبق لي أن قابلت الرجل، ولكن حتى لو سألتني عن أبي فلن أجيبك. ماذا تريد؟".

"أنت تحدثت إليه بالطبع".

"لقد تبادلنا بعض الكلمات عبر الهاتف. لا تقل لي إنّك قلق بشأنه".

"لا، يمتلكني الفضول وحسب. لقد علمت أنه يتمتع بسمعة جيدة".

"أجل، ولكنك لم تأتِ إلى هنا كي نتحدث عن سمعته".

"أنت محق؛ أردت أن نتحدث عن القضية".

"عمّاذا بالتحديد؟".

"عن فرص حكم البراءة، والحجج الدفاعية، وعما إذا كان مجنونًا حقًا؛ أمور من هذا القبيل".

"اعتقدت أنك تضمن إدانته؛ لقد صرحت بهذا للصحافة بعد تأييد الاتهام مباشرة، ألا تتذكر هذا؟ في أحد مؤتمراتك الصحفية؟".

"هل تفتقد الأضواء يا جايك؟".

"استرخ يا روفوس فأنا خارج اللعبة. إن الأضواء ملكك وملك مارشافسكي وملك والتر سوليفان. نل منهما أيها الوحش. إن كنت قد سرقت بعضًا من أضوائك فأنا أعتذر عن هذا. أنا أعلم كم يؤلمك هذا".

"قبلت اعتذارك. هل وصل مارشافسكي إلى المدينة؟".

"لا أعلم".

"لقد وعد بإقامة مؤتمر صحفي هذا الأسبوع".

"وأنت أتيت إلى هنا كي نتناقش حول هذا المؤتمر، أليس كذلك؟".

"كلا، لقد أردت التحدث عن هيلي، ولكنك تبدو مشغولًا جدًا".

"هذا صحيح، ولكن لديّ موضوعًا أريد أن أتناقش فيه معك أيها الحاكم".

"أنا اكره هذا اللقب".

"لماذا؟ أنت تعلم أنّه صحيح، فأنت ستدين أمك مقابل بعض المقالات".

وقف باكلي وراح جيئة وذهابًا أمام كرسيه ثمّ قال بصوت مرتفع: "أتمنى لو ما زلت خصمي في القضية يا جايك".

"وأنا أيضًا".

"كنت سأعلمك ماذا يعني الادّعاء على القتلة. أردت أن أهزمك حقًا".

"لم تنجح كثيرًا في الماضي".

احمرّ وجهه مجددًا كسابق عهده وقال: "أردتك أن تكون في هذه القضية لهذا السبب؛ أردت ذلك حقًا".

"سوف تكون هناك محاكمات أخرى أيها الحاكم".

صرخ باكلي: "لا تنادِني بهذا الاسم".

"لكنه صحيح أليس كذلك؟ أنت تلاحق الأضواء لهذا السبب، والجميع يعلم هذا. ها هو روفوس المخضرم يلاحق الأضواء كي يترشح لمنصب الحاكم؛ أنا متأكد من صحة كلامي".

"أنا أؤدي واجبي، فأنا أحاكم الجناة".

"إن كارل لي هيلي ليس بجانٍ".

"راقبني جيدًا؛ سأقضي عليه".

"لن يكون الأمر سهلًا".

"راقبني".

"يتطلب الأمر اثني عشر صوتًا".

"ليس هناك مشكلة".

"مثل هيئة المحلفين الكبرى الخاصة بك؟".

تجمد باكلي في مكانه محملقًا إلى جايك بغضب وقد اكفهرّ وجهه، ثمّ قال: "ماذا تعلم عن هيئة المحلفين الكبرى؟".

"بقدر ما تعرفه أنت. لو خسرت صوتًا واحدًا لأصبحت عديم الفائدة".

"هذا ليس صحيحاً".

"أرجوك أيها الحاكم، فأنت لا تتكلم مع صحفي. لقد علمت ما حدث تمامًا وفي غضون ساعات قليلة".

"سوف أخبر نووز بهذا".

"وأنا سأخبر الصحف، وسيكون هذا مقالًا شيقًا قبل المحاكمة".

"لن تتجرأ على فعل هذا".

"ليس بعد الآن. لقد طُردت، ألا تتذكر؟ إن هذا سبب مجيئك إلى هنا يا روفوس أليس كذلك؟ جئت كي تذكرني بأنني خارج القضية بينما أنت لا زلت طرفًا فيها؛ كي تضع الملح على الجرح. وهنيئًا لك، لقد حصلت على مرادك، لذا، أتمنى أن تغادر حالًا؛ اذهب وتحقق من هيئة المحلفين الكبرى، أو من الممكن أن يكون هناك صحفي خارج المحكمة. غادر وحسب".

"على الرحب والسعة. أنا آسف على إزعاجك".

"أنا أيضًا".

فتح باكلي الباب الذي يؤدي إلى البهو ثمّ توقف قائلًا: "لقد كذبت عليك يا جايك، فأنا مسرور حقًا لأنك استبعدت عن القضية".

"أنا أعلم أنك كذبت، ولكن لا تستبعدني تمامًا".

"ماذا تقصد بهذا؟".

"طاب يومك يا روفوس".

كانت هيئة المحلفين الكبرى في فورد مشغولة جدًا، وبحلول يوم الخميس من الأسبوع الثاني للجلسة، وُكّل جايك في قضيتين؛ كانت القضية الأولى لأسود طعن أسود آخر في حانة ماسيز في شهر نيسان الماضي. كان جايك يستمتع بقضايا الطعن لأنه من السهل الحصول على حكمٍ بالبراءة فيها، وكان الحل هو أن تُؤمّن محلفين بيض متخلفين لا يكترثون إذا طعن السود بعضهم. كانا يستمتعان بوقتهما في الحانة، وخرجت الأمور عن السيطرة، وطعن أحدهما الآخر ولكنه لم يمت؛ لم يحصل أذى، ولن تتم الإدانة؛ كانت هذه الاستراتيجية تشبه ما تعلمه جايك من ليستر هيلي، وكان قد وعده الزبون بألف وخمسمئة دولار، ولكن كان عليه أولًا أن يدفع كفالة.

أما القضية الثانية فكانت لشاب أبيض ضُبِط وهو يقود سيارة مسروقة، وكانت هذه المرة الثالثة التي يُضبَط فيها وهو يقود سيارة مسروقة، ولم يكن هناك أي طريقة لمنعه من المكوث في سجن بارشمان لمدة سبع سنوات.

كان الموكلان في السجن وهذا ما أتاح لجايك فرصة لزيارتهما والتحدث إلى أوزي. مساء يوم الخميس، زار المأمور في مكتبه.

كان هناك العديد من الأوراق المتناثرة على مكتبه فسأله جايك: "هل أنت مشغول؟".

"كلا، لدي بعض الأعمال المكتبية. هل وجدت المزيد من الصلبان المحترقة؟".

"كلا، شكرًا لله؛ إن واحدًا يكفي".

"لم أرَ صديقك من ممفيس".

قال جايك: "هذا غريب، لقد ظننت أنّه سيكون هنا في هذا الوقت. هل تحدثت إلى كارل لي؟".

"كل يوم؛ إنّه متوتر حقًا، ولم يتصل به المحامي حتى".

"ممتاز، دعه يخف، فأنا لا أشعر بالأسف عليه".

"أتعتقد أنّه ارتكب خطأ؟".

"أنا متأكد من هذا. أنا أعلم هؤلاء المتخلفين يا أوزي، كما أنني أعلم كيف سيتصرفون عندما تجعلهم أعضاء في هيئة المحلفين. لن يكونوا معجبين بغريب ذي كلام معسول أليس كذلك؟".

"لا أعلم هذا؛ أنت المحامي بيننا؛ ولكنني لا أشك في كلامك يا جايك، لقد رأيتك تعمل".

"إنه لا يمتلك رخصة لممارسة المحاماة في ميسيسيبي، ونووز يتوعده، فهو يكره المحامين القادمين من خارج الولاية".

"هل تمزح؟".

"كلا، لقد تحدثت إليه البارحة".

بدا أوزي مضطربًا وعاين جايك بحذر.

"هل تود أن تراه؟".

"أن أرى من؟".

"كارل لي".

"كلا، ليس لديّ سبب لأراه"، ثمّ نظر جايك إلى حقيبته وقال: "أريد أن أرى ليوري غلاس المتهم بالاعتداء الجسيم".

"أصبح ليوري موكلك؟".

"أجل، لقد أتى أهله هذا الصباح".

"اتبعني".

انتظر جايك في غرفة اختبار الكحول بينما ذهب سجين مؤتمن كي يحضر موكله الجديد. كان ليوري يرتدي بذلة سجن مقاطعة فورد البرتقالية المعهودة.

كانت فروة رأسه مليئة بلفافات الشعر الزهرية كما تدلت ضفائره على رقبته، وكانت قدماه محميتين من الأرض المفروشة بطبقة شمعية بصندل مصنوع من قماش أخضر اللون، ولم يكن يرتدي جوربًا. كان على وجهه ندبة قديمة تصل بين طرف أنفه وأذنه وتعلو وجنته.

أثبتت هذه الندبة أن ليوري كان مخضرمًا في مجال الطعن والمشاجرات؛ كانت تلك الندبة تمثل ميدالية لليوري. دخن ليوري سيجارة كولز.

عرّف المحامي بنفسه: "أنا جايك بريغانس يا ليوري"، ثمّ أشار إلى كرسي قابل للطي بجانب آلة البيبسي ثمّ أكمل: "لقد وكّلني أخوك وأمك هذا الصباح".

"سررت بالتعرف إليك يا سيد جايك".

انتظر السجين المؤتمن في البهو بينما كان جايك يطرح أسئلته. ملأ جايك ثلاث صفحات من الملاحظات حول ليوري غلاس، وكان همه الوحيد في تلك اللحظة هو المال. كم كان لديه منه؟ وكيف كان سيجني المزيد؟ كانا سيتحدثان عن الطعن في وقت آخر. سأله جايك إن كان بوسع أقربائه، أو إخوته، أو أصدقائه أن يستدينوا، ودوّن جايك أرقامهم.

سأله جايك: "من اقترح اسمي عليك؟".

"لقد رأيتك على شاشة التلفاز؛ أنت وكارل لي هيلي".

كان جايك فخورًا، ولكنه لم يبتسم. كان التلفاز جزءًا من عمله، فسأله: "أتعرف كارل لي؟".

"أجل، وأعرف ليستر أيضًا. كنت محامي ليستر أليس كذلك؟".

"أجل".

"لقد نقلوني إلى زنزانة كارل لي ليلة البارحة".

"يا لهذه الصدفة!".

"أجل، إنّه لا يتحدث كثيرًا. قال لي إنّك محامٍ بارع، ولكنه عيّن محاميًا آخر من ممفيس".

"هذا صحيح. ما رأيه بالمحامي الجديد؟".

"لا أعلم يا سيد جايك، لقد كان متوترًا هذا الصباح لأن محاميه لم يأتِ لرؤيته بعد. قال لي إنّك كنت تأتي دائمًا للتكلم عن القضية، ولكن هذا المحامي الجديد ذا الاسم الغريب لم يقابله".

حاول جايك إخفاء سروره بوجه عبوس ولكنه فشل: "سأقول لك شيئًا إذا وعدتني أنك لن تخبر كارل لي".

"حسنًا".

"لا يستطيع محاميه أن يقابله".

"ولماذا؟".

"لأنه لا يمتلك رخصة لممارسة المحاماة في ميسيسيبي، فهو محامٍ في تينيسي وسوف يتم إخراجه من المحكمة إذا أتى إلى هنا من دون رخصة. أعتقد أن كارل لي قد ارتكب خطأ فادحًا".

"ولم لا تقول له هذا؟".

"لأنه طردني بالفعل، وليس بوسعي أن أنصحه بعد الآن".

"يجدر بأحد أن يخبره".

"لقد وعدتني لتوك أنك لن تخبره بهذا".

"حسنًا، لن أخبره".

"أتعدني مجددًا؟".

"أقسم لك إنني لن أخبره".

"ممتاز، عليّ الذهاب الآن. سأتحدث مع المسؤول عن الكفالة في صباح يوم غد؛ لعلنا نستطيع إطلاق سراحك في غضون يوم أو يومين. لا تقل كلمة لكارل لي، حسنًا؟".

"حسنًا".

كان تانك سكيلز يستند على سيارة الساب في المرأب عندما غادر جايك السجن، وعند رؤيته داس على عقب سيجارة، وأخرج ورقة من جيب قميصه قائلًا:

"حصلت على رقمين: أحدهما رقم منزله والآخر رقمه في العمل، ولكن لا تتصل به في العمل إلّا إذا كنت مضطرًا".

"أحسنت صنعًا يا تانك. هل حصلت عليهما من آيريس".

"أجل، لم ترد أن تعطيني إياهما، لذا دعوتها إلى تانك وجعلتها تثمل".

"أنا أدين لك بخدمة".

"سأحصل عليها عاجلًا أم آجلًا".

أوشكت الساعة أن تبلغ الثامنة؛ كان العشاء باردًا كعادته، ولهذا السبب اشترى جايك لها ميكروويف. لقد اعتادت كارلا على تأخره وعلى إعادة تسخين العشاء، كما أنّها لم تتذمر من ذلك؛ كانا سيأكلان عندما يعود إلى المنزل سواء أكانت الساعة السادسة أو العاشرة.

توجه جايك من السجن إلى المكتب؛ لن يجرؤ على الاتصال بليستر من منزله وخصوصًا في مكان يمكن لكارلا أن تسمعه فيه.

جلس خلف مكتبه، ونظر إلى الرقمين اللذين أحضرهما له تانك؛ لقد سبق وأخبره كارل لي ألّا يجري هذا الاتصال، فلماذا سيتصل به؟ هل يعتبر هذا التماسًا؟

هل سيكون عملًا غير أخلاقي؟ هل سيعتبر إعلام ليستر أن كارل لي طرده وعيّن محاميًا آخر عملًا غير أخلاقي؟ لا. هل ستعتبر الإجابة عن أسئلة ليستر حول المحامي الجديد عملًا غير

أخلاقي أيضًا؟ لا. وهل التعبير عن قلقه غير أخلاقي أيضًا؟ لا. وهل سيعتبر انتقاد المحامي الجديد عملًا غير أخلاقي أيضًا؟ على الأرجح لا.

هل سيكون تشجيع ليستر على الاتصال بأخيه عملًا غير أخلاقي؟ لا. وهل إقناعه بأن يطرد مارشافسكي عمل غير أخلاقي أيضًا؟ على الأرجح نعم. وأن يعيد تعيين جايك؟ بالطبع نعم؛ فهذا سيكون عملًا غير أخلاقي للغاية. ماذا لو اتصل بليستر وتحدث عن كارل لي وسمح للحديث أن يأخذ مجراه؟

"مرحبًا".

"هل هذا رقم ليستر هيلي؟".

أجابت السويدية: "أجل، من المتصل؟".

"جايك بريغانس من ميسيسيبي".

"انتظر لحظة".

نظر جايك إلى ساعته؛ كانت الساعة الثامنة والنصف؛ إنه الوقت نفسه في شيكاغو، أليس كذلك؟

"جايك".

"ليستر، كيف حالك؟".

"إنني على ما يرام يا جايك، ولكنني متعب قليلًا. وماذا عنك؟".

"بأفضل حال. قل لي يا ليستر، هل تحدثت إلى كارل لي هذا الأسبوع؟".

"لا، لقد غادرت ميسيسيبي يوم الجمعة وأنا أعمل الآن في مناوبتين منذ يوم السبت، ولذلك لم يكن لديّ وقت لفعل شيء".

"هل اطلعت على الصحف؟".

"لا، ما الذي حصل؟".

"لن تصدق هذا يا ليستر".

"ما الأمر يا جايك؟".

"لقد طردني كارل لي وعيّن محاميًا مشهورًا من ممفيس".

"ماذا؟ لا بد أنك تمزح. متى حصل ذلك؟".

"يوم الجمعة الماضي، أعتقد في وقت ما بعد مغادرتك. لم يتكبد عناء أن يقول لي الخبر بل جعلني أقرأه في صحف يوم السبت الصباحية".

"إنه مجنون. لماذا أقدم على ذلك يا جايك؟ من عيّن؟".

"هل تعرف شخصًا يدعى كات بوستر من ممفيس؟".

"بالطبع".

"إنه محامي كات، كما أن كات تكفل بدفع أتعابه، لقد جاء من ممفيس يوم الجمعة وتحدث إلى كارل لي في السجن. وفي صباح اليوم التالي، رأيت صورتي في الصحف وخبر طردي".

"من المحامي؟".

"بو مارشافسكي".

"أهو جيد؟".

"إنه محتال؛ فهو يدافع عن جميع القوادين وتجار المخدرات في ممفيس".

"يبدو وكأنه بولندي".

"إنه كذلك. أعتقد أنّه من شيكاغو".

"أجل، يوجد العديد منهم في شيكاغو. هل يتحدث مثلهم؟".

"يتحدث وكأن فمه مليء بالدسم. سوف ينال شهرة في مقاطعة فورد".

"غبي، غبي، غبي، لم يكن كارل لي يومًا ذكيًا جدًا، فقد اضطررت أن أفكّر عنه في أغلب الأوقات. غبي، غبي".

"أجل، لقد ارتكب خطأ فادحًا يا ليستر. أنت تعلم كيف تتم محاكمة القتل، فأنت اختبرتها من قبل. أنت تعلم ما أهمية هيئة المحلفين عندما يغادرون قاعة المحكمة ويذهبون إلى غرفة المحلفين؛ إن حياتك في أيديهم. هناك اثنا عشر محلفًا يتناقشون ويتشاجرون حول قضيتك وحياتك؛ إن هيئة المحلفين هي المفتاح الأهم، ولذلك يجدر بك أن تقنع تلك الهيئة".

"هذا صحيح يا جايك، وأنت تستطيع إقناعهم".

"أنا متأكد أن مارشافسكي يستطيع إقناعهم في ممفيس، ولكن ليس في مقاطعة فورد. أي ليس في ميسيسيبي الريفية، فلن يثق به الناس".

"أنت محق يا جايك، فأنا لا أصدق إنّه فعل هذا. لقد أخفق مجددًا".

"أجل يا ليستر، وأنا قلق عليه".

"هل تحدثت إليه؟".

"لقد ذهبت يوم السبت الماضي إلى السجن مباشرة، وسألته عن السبب ولم يستطع أن يجيبني. لقد شعر بالذنب حيال الموضوع، ولكنّني لم أتكلم معه منذ ذلك اليوم. كما أن مارشافسكي لم يتصل به أيضًا؛ لا بد أنّه منزعج حقًا. وعلى حد علمي، لم يتم العمل على القضية خلال هذا الأسبوع".

"هل تحدث إليه أوزي؟".

"أجل، ولكنك تعرف أوزي، فهو لا يتحدث كثيرًا. إنّه يعلم أن بوستر ومارشافسكي محتالان ولكنه لن يقول هذا إلى كارل لي".

"يا إلهي، أنا لا أصدق هذا. سيكون غبيًا إذا صدق أن هؤلاء الريفيين سيصدقون محتالًا ما من ممفيس، حتى إنّهم لا يصدقون محاميًا من مقاطعة تايلر المجاورة. يا إلهي".

ابتسم جايك لأنه لم يفعل شيئًا خارج الحدود بعد.

"ماذا عليّ أن أفعل يا جايك؟".

"لا أعلم يا ليستر، إنّه يحتاج إلى مساعدة، وهو لا يسمع لأحد غيرك. أنت تعرف كم هو متعنت".

"أعتقد أنّه يفترض بي الاتصال به".

لا، قال جايك لنفسه إنّه من السهل أن يرفض كارل لي المساعدة عبر الهاتف؛ يجب على الأخوين أن يتواجها، فستؤثر رحلة من شيكاغو في كارل لي كثيرًا.

"لا أعتقد أنك ستؤثر فيه كثيرًا عبر الهاتف، إنّه قد اتخذ قراره ولن يسمع لأحد غيرك، ولكنك لن تستطيع إقناعه بأي شيء عبر الهاتف".

صمت ليستر لثوانٍ بينما انتظر جايك بتوتر.

"ما تاريخ اليوم؟".

"الخميس السادس من حزيران".

تمتم ليستر: "دعنا نرَ؛ أنا على بعد عشر ساعات منه، وسأعمل غدًا وبعد غد في مناوبة من الساعة الرابعة ظهرًا لغاية منتصف الليل. أستطيع أن أغادر شيكاغو في منتصف ليل يوم غد لأصل إلى كلانتون في تمام الساعة العاشرة من صباح يوم السبت، وبعدها سأغادر فجر يوم الأحد وأصل إلى هنا في تمام الساعة الرابعة؛ إنّها رحلة متعبة، ولكنّني سأتدبر الأمر".

"هذا الأمر في غاية الأهمية يا ليستر ويستحق التعب".

"أين ستكون يوم السبت يا جايك؟".

"في مكتبي".

"حسنًا، سأذهب إلى السجن وسأتصل بك في المكتب في حال احتجت إليك".

"حسنًا، ولكن أريد أن أخبرك شيئًا آخر، لقد طلب مني كارل لي ألّا أتصل بك، لذلك لا تذكر اتصالي".

"ماذا سأقول له؟".

"قل له إنك اتصلت بآيريس وإنها أخبرتك بالقصة".

"من هي آيريس؟".

"هيا يا ليستر، إن الأمر شائع منذ سنوات، والجميع يعرفون به عدا زوجها، وسوف يكتشف الأمر في نهاية المطاف".

"آمل ألّا يكتشف الأمر، إذ سيكون هناك جريمة قتل أخرى، وسيكون لديك زبون جديد".

"أرجوك لا، فأنا مكتف بهذا القدر. اتصل بي يوم السبت".

تناول الطعام من الميكروويف عند الساعة العاشرة والنصف؛ كانت هانا نائمة، فتحدثا عن ليوري غلاس والشاب الأبيض في السيارة المسروقة، كما تحدثا عن كارل لي، ولكنهما لم يتحدثا عن ليستر. لقد شعرت بتحسن وبأمان بعد أن تجاوزا قضية كارل لي هيلي؛ لن يكون هناك المزيد من الاتصالات ولا الصلبان المحترقة، كما لن يكون هناك مزيد من الوجوه العبوسة في الكنيسة؛ لقد وعدته بأنه سيكون هناك قضايا أخرى، فابتسم لها ولم يتحدث كثيرًا.

19

اتصل جايك بالمحكمة قبل أن تغلق يوم الجمعة كي يسأل إن كانت هناك محاكمة جارية.

قالت له الموظفة إنّه لا يوجد. لقد غادر نووز وباكلي وموسغروف والجميع؛ كانت المحكمة خالية، وبعد أن تأكد من هذه المعلومة، عبر جايك الشارع ودخل المحكمة عبر الباب الجانبي وذهب إلى مكتب المتدربات؛ لقد غازل المتدربات والموظفات وهو يبحث عن ملف كارل لي؛ كان متوترًا عندما تصفح الملف. ممتاز، لم يُضَف شيءٌ إلى الملف منذ أسبوع كما كان يأمل، باستثناء انسحابه من القضية بالطبع. لم يلمس مارشافسكي ومحاميه المحلي الملف. غازل الموظفات مجددًا ثمّ عاد إلى مكتبه بسلاسة.

لا يزال ليوري غلاس في السجن، وقد حددت كفالة إطلاق سراحه بعشرة آلاف دولار، ولم تستطع عائلته تأمين هذا المبلغ، ولذلك ظلّ ليوري يتشارك الزنزانة مع كارل لي. كان لدى جايك صديق يعمل كضامن وكان دائمًا يعتني بموكليه؛ فإذا احتاج موكل أن يخرج من السجن وكان هناك احتمال ضئيل أن يختفي عندما يخرج فعليه أن يكتب تعهدًا؛ لقد كانت الشروط سهلة على موكلي جايك، وكانوا يحظون بتخفيض بنسبة خمسة بالمئة كما كانت هناك إمكانية التقسيط. فلو أراد جايك أن يخرج ليوري غلاس من السجن لكتب التعهد في أي وقت، ولكن جايك أراد أن يبقيه في السجن.

شرح جايك لموكله في غرفة اختبار الكحول: "أنا آسف يا ليوري، فأنا أسوي الأمر مع الضامن".

"ولكنك قلت لي إنني سوف أكون حرًا بحلول هذا الوقت".

"ليس لدى أهلك المال الكافي يا ليوري، ولا أستطيع دفع المبلغ بمفردي؛ سوف نطلق سراحك، ولكن الأمر يتطلب بعض الوقت. أريدك أن تخرج كي تعمل وترد لي المبلغ".

اقتنع ليوري وقال: "حسنًا يا سيد جايك، افعل ما تراه مناسبًا".

ابتسم جايك وسأله: "الطعام لذيذ هنا أليس كذلك؟".

"ليس سيئًا، ولكن طعام المنزل ألذ".

وعده جايك: "سوف نطلق سراحك قريبًا".

"كيف حال الأسود الذي طعنته؟".

"لست متأكدًا، لقد أخبرني أوزي أنّه لا يزال في المستشفى، ولكن موس تاتوم قال إنّه أُخرج من المستشفى. من يعلم كيف حاله؛ لا أتوقع أنّه تأذى كثيرًا"، لم يتذكر جايك التفاصيل فسأل يوري: "من كانت تلك المرأة؟".

"امرأة ويلي".

"من هو ويلي؟".

"ويلي هويت".

حاول جايك أن يتذكر تفاصيل الحادثة.

"إنه ليس الرجل الذي طعنته".

"لا، لقد طعنت كورتيس سبرولنغ".

"أنت تقصد أنكما تشاجرتما على امرأة رجل آخر؟".

"هذا صحيح".

"أين كان ويلي؟".

"كان يتشاجر أيضًا".

"مع من كان يتشاجر؟".

"مع رجل آخر".

"أنت تقصد أنكم تشاجرتم جميعًا بسبب امرأة ويلي؟".

"هذا صحيح، لقد فهمت الأمر".

"ما كان سبب الشجار المباشر؟".

"كان زوجها خارج المدينة".

"إنها متزوجة؟".

"هذا صحيح".

"وما اسم زوجها؟".

"جوني ساندز. لطالما حدثت شجارات عندما يغادر المدينة".

"لماذا؟"

"لأنها عاقر كما أنّها تحب أن تحظى بصحبة. هل تفهمني؟ يعلم الجميع متى يغادر زوجها المدينة، وإذا حضرت إلى حانة فترقب مشاجرة".

قال جايك لنفسه يا لها من قضية! ثم سأل: "ولكنك قلت إنّها جاءت مع ويلي هويت؟".

"هذا صحيح. ولكن هذا لا يعني شيئًا. الجميع يحاولون معها عندما تأتي إلى الحانة ويبتاعون لها المشروبات كي يرقصوا معها. أنت لا تستطيع مقاومة الأمر".

"إنّها جذابة، أليس كذلك؟".

"إنها جميلة جدًا يا سيد جايك. عليك أن تراها".

"سأراها على منصة الشهود".

نظر ليوري إلى الجدار وحلم بزوجة جوني ساندز؛ لم يكترث أنّه طعن رجلًا ومن المحتمل أن يسجن لمدة عشرين سنة. لقد أثبت أنّه يستحقها.

"قل لي يا ليوري، أنت لم تتحدث إلى كارل لي أليس كذلك؟".

"بالطبع، تحدثت إليه. أنا في زنزانته ونحن نتحدث طوال الوقت. ليس لدينا شيء آخر نقوم به".

"ولكنك لم تقل له عن نقاشنا ليلة البارحة أليس كذلك؟".

"بالطبع لا، لقد وعدتك ألا أفعل ذلك".

"ممتاز".

"ولكنّني سأقول لك يا سيد جايك أن كارل لي متوتر جدًا، فهو لم يسمع أي خبر من محاميه الجديد؛ إنّه منزعج حقًا. لقد بذلت قصارى جهدي، كي لا أخبره عنه، كما أنني لم أخبره أنك محاميّ".

"أحسنت صنعًا".

"قال لي إنّك كنت تأتي دائمًا إلى السجن وتتحدثان عن القضية، كما قال إنّه عيّن محاميًا جيدًا".

"ولكنّني لست جيدًا بما يكفي بالنسبة إليه".

"أنا أعتقد أن كارل لي مشوش؛ إنّه غير متأكد مِمّن هو موضع ثقة. إنّه رجل طيب".

"حسنًا، ولكنك لن تنقل له نقاشنا أليس كذلك؟ هذه معلومات سرية".

"حسنًا، ولكن لا بد من أن يخبره أحد".

"لم يطلب نصيحتي أو نصيحة غيري قبل أن يطردني ويعيّن محاميًا جديدًا، إنّه رجل بالغ ويتخذ قراراته بنفسه، وطفلته هي التي اغتصبت"، توقف جايك عن الكلام لبرهة، واقترب من ليوري، ثمّ أكمل بصوت منخفض: "وسأخبرك بشيء سرّيّ أيضًا، لقد تحققت من ملفه في المحكمة قبل ثلاثين دقيقة؛ لم يلمس محاميه الجديد ملفه طوال الأسبوع، ولم يُضف أي شيء جديد إلى الملف".

قطّب ليوري حاجبيه وأشاح برأسه قائلًا "يا إلهي".

تابع محاميه: "إن هذه هي طريقة عمل المحامين المشهورين؛ يتكلمون كثيرًا ويضللون الناس ويعتمدون على غرائزهم أكثر من اعتمادهم على المنطق، كما أنّهم يتولون قضايا أكثر من

قدرتهم ويخسرون معظمها في نهاية المطاف. أنا أعرفهم حق المعرفة، فأنا أراقبهم دائمًا؛ معظمهم يبالغون في تقدير أنفسهم".

"ألهذا السبب لم يأتِ لرؤية كارل لي؟".

"بالطبع، إنّه مشغول للغاية، فلديه العديد من القضايا المهمة، وهو لا يكترث لكارل لي".

"هذا أمر محزن؛ يستحق كارل لي أفضل منه".

"كان هذا قراره، وعليه أن يتحمل عواقبه".

"هل تعتقد أنّه سيُدان يا سيد جايك؟".

"لا شك في ذلك؛ إنّه في طريقه إلى غرفة الغاز. لقد عيّن محاميًا مشهورًا ومحتالًا ليس لديه وقت للعمل على قضيته، حتى إنّه ليس لديه وقت كي يأتي إلى السجن ويتحدث إليه".

"هل تقول إنّك تستطيع تبرئته؟".

استرخى جايك ووضع ساقًا على ساق وقال: "لا، أنا لا أستطيع أن أعده بشيء، كما أنني لا أستطيع أن أعدك أيضًا. يكون المحامي غبيًا إذا وعد موكله بحكم براءة؛ إن احتمال حدوث خطأ في المحكمة كبير جدًا".

"قال كارل لي إنّ محاميه وعده بحكم براءة في الصحف".

"إنه مغفل".

سأل كارل لي زميله في الزنزانة بينما كان السجان يقفل الباب: "أين كنت طوال هذا الوقت؟".

"كنت أتحدث مع محاميّ".

"جايك؟".

"أجل".

جلس ليوري على سريره مقابل كارل لي الذي كان يقرأ صحيفة، فطوى كارل لي الصحيفة وألقى بها تحت سريره.

قال كارل لي: "تبدو قلقًا، هل هناك تطورات جديدة في قضيتك؟".

"لا، كل ما في الأمر أنني لم أتدبر أمر الكفالة، قال لي جايك إنني سأكون حرًا في غضون أيام قليلة".

"هل تحدث جايك عني؟".

"لا، ليس كثيرًا".

"ليس كثيرًا؟ ماذا قال لك؟".

"لقد سألني عنك وحسب".

"أهذا كل شيء؟".

"أجل".

"أليس غاضبًا مني؟".

"لا، إنّه قلق عليك فحسب، ولكنني لا أعتقد أنّه غاضب منك".

"ولماذا هو قلق عليّ؟".

تمدد ليوري على السرير ووضع يديه تحت رأسه وقال: "لا أدري".

"هيا يا ليوري، أنت تخفي شيئًا عني. ماذا قال جايك عني؟".

"لقد طلب مني ألّا أُطلعك على فحوى نقاشنا؛ قال لي إنّه سري. أنت لا تريد أن يردد محاميك كل شيء تقوله أليس كذلك؟".

"لم أقابل محاميّ".

"كان لديك محامٍ جيد، ولكنك طردته".

"لديّ محام جيد الآن أيضًا".

"وكيف تعرف ذلك؟ فأنت لم تقابله يومًا؛ إنّه مشغول جدًا لدرجة أنّه لم يقابلك ولم يعمل على قضيتك".

"كيف تعرف هذا عنه؟".

"لقد سألت جايك".

"وماذا قال؟".

صمت ليوري.

جلس كارل لي على طرف سرير ليوري وقال: "أنا أريد أن أعرف ماذا قال"، حملق كارل لي إلى زميله الأضعف والأصغر حجمًا، فأصبح ليوري مرتعبًا منه، وأصبح لديه عذر ليخبر كارل لي بالنقاش؛ فإما أن يخبره أو سيتعرض للضرب.

قال ليوري: "إنّه نصاب، إنّه محتال، وسينصب لك فخًا، إنّه لا يهتم بك أو بقضيتك، ويريد الدعاية وحسب، كما أنّه لم يلمس قضيتك طوال هذا الأسبوع. جايك يعرف ذلك، فقد تحقق من ملف قضيتك هذا المساء؛ لم يكن هناك أثر للمحامي المشهور. إنّه مشغول جدًا ولا وقت لديه لمغادرة ممفيس والمجيء إلى هنا للتحدث إليك. ينتظره الكثير من الموكلين المحتالين في ممفيس بما فيهم صديقك السيد بوستر".

"أنت مختل يا ليوري".

"حسنًا، أنا مختل. دعنا ننتظر ونرَ من منا سيقدم اعترافًا للمحكمة إنّه مجنون، ودعنا نرَ ماذا سيقدم لقضيتك".

"ما الذي يجعلك تقول هذا؟".

"أنت سألتني، وها أنا أخبرك".

مشى كارل لي وأحكم قبضته الضخمة على قضبان السجن؛ لقد شعر بضيق الزنزانة هذا الأسبوع، وكلما شعر بالضيق أكثر، كلما قلت قدرته على التفكير، والتخطيط، والتصرف؛ لم يستطع أن يفكر في السجن؛ كان يعرف ما يقال له فقط، ولم يكن لديه أحد يثق به.

كانت غوين غير منطقية، ولم يكن لأوزي رأي صريح، كما أن ليستر كان في شيكاغو. لم يتبقَّ له أحد جدير بالثقة سوى جايك، ولسبب ما عيّن محاميًا غيره؛ كان المال هو السبب الوحيد؛ لقد دفع له تسعمئة دولار نقدًا من قبل أكبر قواد وتاجر مخدرات في ممفيس. كان محامي ذلك الرجل مختصًا بالدفاع عن القوادين، وتجار المخدرات، وأنواع المجرمين كافة. هل مثّل مارشافسكي أناسًا لائقين؟ ما الذي سيفكر فيه المحلفون عندما يرون كارل لي إلى جانب مارشافسكي؟ لقد كان آثمًا بالطبع. لِمَ سيعين محاميًا مشهورًا مثل مارشافسكي إذًا؟

سأله ليوري: "هل تعلم ما الذي سيفكر فيه المحلفون الريفيون عندما يرون مارشافسكي؟".

"ما الذي سيفكرون فيه؟".

"سيقولون عن هذا الأسود مذنب، ولقد باع نفسه لمارشافسكي ليثبت عكس ذلك".

تمتم كارل لي شيئًا بجانب القضبان.

"سوف يطيحون بك يا كارل لي".

كان موس جونيور تاتوم يعمل الساعة السادسة والنصف من يوم السبت عندما رن الهاتف في مكتب أوزي؛ كان المأمور هو المتصل.

سأله موس: "لِمَ أنت مستيقظ؟".

أجابه المأمور: "أنا لست كذلك تمامًا".

"اسمعني يا موس، هل تتذكر الواعظ الأسود ستريت؛ الموقر إيزايا ستريت؟".

"لست متأكدًا".

"بلى، فأنت تعرفه، كان يعظ لمدة خمسين سنة في كنيسة سبرينغديل التي تقع شمال المدينة، كما كان أول عضو من مقاطعة فورد في الرابطة الوطنية لتقدم الملونين. لقد علّم جميع السود هنا أن يقوموا باحتجاجات ومقاطعات اقتصادية في الستينيات".

"تذكرته الآن، ألم تمسك به منظمة الكلان مرة؟".

"بلى، لقد ضربوه وحرقوا منزله، ولكن لم يلحقوا به ضررًا جسيمًا؛ كان هذا في صيف عام ألف وتسعمئة وخمسة وستين".

"ظننته ميت منذ سنوات".

"لا، إنّه شبه ميت منذ عشر سنوات، ولكنه لا يزال يتحرك قليلًا. لقد اتصل بي عند الساعة الخامسة والنصف وتحدث إليّ لساعة؛ لقد ذكرني بكل البطولات السياسية التي أدين له بها".

"ماذا يريد؟".

"سيأتي إلى السجن كي يزور كارل لي، لكنّني لا أعرف السبب، فقط عامله بلطف؛ أجلسهما في مكتبي ودعهما يتكلمان. سأصل في وقت لاحق".

"حسنًا يا سيدي المأمور".

كان الموقر إيزايا ستريت في قمة تألقه في الستينيات، فهو الوقود الذي يحرك الحقوق المدنية في مقاطعة فورد، لقد مشى مع مارتن لوثر كينغ في ممفيس ومونتغومري، كما قد نظّم احتجاجات ومسيرات في كلانتون وهاراواي وبلدات أخرى في شمال ميسيسيبي، واستقبل طلابًا من الشمال في صيف عام ألف وتسعمئة وأربعة وتسعين، كما نظم جهودهم كي تقبل أصوات السود. لقد عاش بعضهم في منزله في ذلك الصيف المشهود وما زالوا يزورنه حتى اليوم؛ لم يكن راديكاليًا أبدًا.

كان هادئًا، وشغوفًا، وذكيًا، ومحطَّ احترام جميع السود ومعظم البيض؛ كان صوتًا هادئًا ضمن بحر من الكراهية والجدل.

ترأس في العام ألف وتسعمئة وتسعة وستين حملة إزالة التفرقة العنصرية ضمن المدرسة العامة العظيمة بشكل غير رسمي، ولم تعانِ مقاطعة فورد كثيرًا.

شلّت جلطة الجزء الأيمن من جسده في عام ألف وتسعمئة وخمسة وسبعين ولكن دماغه لم يتأثر بها. أصبح عمره الآن ثمانية وسبعين عامًا وهو يستطيع المشي بمفرده مستعينًا بعكاز، كما لا يزال فخورًا وواثقًا من نفسه. أُرشد إلى مكتب المأمور وجلس فيه، ورفض احتساء القهوة، وذهب موس جونيور ليحضر المدعى عليه.

لم يرد أن يوقظ باقي السجناء الذين سيطالبون بالفطور وبالمحامين وبالضمناء، والحبيبات، فهمس لكارل لي: "هل أنت مستيقظ يا كارل لي؟".

نهض كارل لي على الفور: "أجل، لم أستطع النوم".

"لديك زائر، هيا بنا"، فتح موس الزنزانة بهدوء.

سبق لكارل لي أن قابل الموقر عندما حضر آخر صفٍّ من سنة التخرج في مدرسة السود إيست هاي، حيث تلا ذلك حملة إزالة التفرقة العنصرية وأصبحت إيست هاي مدرسة إعدادية، ولم ير كارل لي الموقر بعد إصابته بالجلطة.

سأل موس بشكل لائق: "هل تعرف الموقر إيزايا ستريت يا كارل لي؟".

"أجل، سبق لنا أن تقابلنا منذ سنوات".

"ممتاز، سأغلق الباب وأدعكما تتكلمان".

جلسا إلى جانب بعضهما على الأريكة وسأله كارل لي: "كيف حالك يا سيدي؟".

"أنا بخير يا بنيّ، وماذا عنك؟".

"لا بأس".

"سبق لي أنّ سجنت، إنّه مكان فظيع ولكنه ضروري. كيف يعاملونك هنا؟".

"بشكل جيد جدًا. يسمح لي أوزي أن أفعل ما أريده".

"أجل، إننا فخورون بأوزي جدًا، أليس كذلك؟".

"أجل يا سيدي، إنّه رجل طيب"، عاين كارل لي هذا الرجل ذا الجسم الهزيل والعقل المتقد والصوت القوي.

"إننا فخورون بك أيضًا يا كارل لي؛ أنا لا أحبذ العنف، ولكنه ضروري في بعض الأحيان، لقد فعلت الصواب يا بنيّ".

أجاب كارل لي: "أجل يا سيدي"، فهو لم يتأكد من الإجابة المناسبة.

"أظن أنك تتساءل عن سبب قدومي إلى هنا".

أومأ كارل لي برأسه، وضرب الموقر عصاه على الأرض.

"أنا قلق بشأن براءتك؛ مجتمع السود برمته قلق. لو أنك رجل أبيض فكنت ستخضع للمحاكمة وتتم تبرئتك على الأرجح. إن اغتصاب طفل جريمة فظيعة؛ من سيلوم الأب الذي يسترجع حقه؟ إن الأب الأبيض لن يلام بالطبع، كما أن الأب الأسود لن يلام من قبل مجتمع أسود ولكن هيئة المحلفين ستكون من البيض وهنا تكمن المشكلة؛ فلن ينال الأب الأبيض والأب الأسود فرصًا متساوية. أتفهم ما أقوله؟".

"أعتقد ذلك".

"إن هيئة المحلفين في غاية الأهمية؛ الإدانة أو البراءة، الحرية أو السجن، الحياة أو الموت، وكل هذا في يد هيئة المحلفين؛ إنّه نظام هش؛ كيف لاثني عشر شخصًا عاديين أن يؤتمنوا على حياة الأشخاص وهم لا يفهمون القانون تمامًا بل يقيمون الإجراءات؟".

"أجل يا سيدي".

"إن تبرئتك من قبل محلفين بيض على قتلك رجلين أبيضين سوف تكون حدثًا جللًا في ميسيسيبي؛ إنّها ستساعد مجتمع السود بشكل يكافئ التغيير الذي حدث بعد إزالة التفرقة العنصرية في المدارس؛ ليس فقط في ميسيسيبي بل في جميع أنحاء العالم. إن قضيتك مشهورة جدًا وينتظرها كثيرون بحذر".

"لقد فعلت ما يجب فعله وحسب".

"تمامًا، لقد فعلت ما رأيته صوابًا؛ كان عملك صائبًا على الرغم من عنفه ووحشيته، ويعتقد معظم الناس ذلك سواء أكانوا سودًا أم بيضًا. ولكن هل ستتم محاكمتك كما يحاكم الرجل الأبيض؟ هذا هو السؤال الجوهري".

"ماذا سيحصل إن أُدنت؟".

"إن إدانتك ستؤثر سلبًا على مجتمعنا؛ ستكون مثالًا عن التفرقة العنصرية المتجذرة وعن التحيز والكراهية السابقين. سوف تحدث كارثة، لذا، يجب ألّا تُدان".

"أنا أفعل ما بوسعي".

"هل تفعل ذلك حقًا؟ دعنا نتحدث عن محاميك إذا سمحت لي".

أومأ كارل لي برأسه.

"هل قابلته؟".

أخفض كارل لي رأسه ومسح عينيه ثمّ قال: "لا، هل قابلته أنت؟".

"أجل".

"حقًّا؟ متى؟".

"في ممفيس عام ألف وتسعمئة وتسعة وستين؛ كنت أعمل مع الدكتور كينغ. كان مارشافسكي يمثل أولئك الحثالة الذين كانوا يخططون لضرب المدينة، فطلب من الدكتور كينغ أن يغادر ممفيس، وادّعى أنّه يغضب البيض ويُحرّض السود، كما قال إنّه يعمل على عرقلة المفاوضات. كان مغرورًا ومؤذيًا، أضف إلى ذلك أنه شتم الدكتور كينغ عندما كانا على انفراد؛ لقد اعتقدنا أنّه كان يوقع بالعمال ويجني المال بالخفاء، وأظن أننا كنا محقين في ذلك".

تنفس كارل لي بعمق ودلك جبينه.

أكمل الموقر: "لقد راقبت مسيرته؛ لقد صنع اسمًا لنفسه بالدفاع عن اللصوص والمجرمين والقوادين، إنّه يطلق سراح البعض، ولكنه يدينهم جميعًا. عندما ترى أحد موكليه فستعتبره مذنبًا على الفور، وهذا ما يقلقني بشأنك. أنا خائف من أنك ستعتبر مذنبًا بالإجماع".

أسند كارل لي مرفقيه على ركبتيه، وقال بصوت واهن: "من طلب منك أن تحضر إلى هنا؟".

"تحدثت إلى صديق قديم لي".

"من هو؟".

"صديق قديم لي وحسب؛ إنّه قلق بشأنك؛ جميعنا قلقون بشأنك".

"إنه أفضل محام في ممفيس".

"ولكننا لسنا في ممفيس، أليس كذلك؟".

"ولكنه مخضرم في مجال القانون الجنائي".

"وذلك لأنه مجرم على الأرجح".

وقف كارل لي بسرعة، وراح يمشي جيئة وذهابًا في الغرفة وأدار ظهره إلى الموقر.

"إنه لا يكلفني سنتًا".

"إن تكاليفه لن تعني شيئًا عندما يحكم عليك بالإعدام يا بنيّ".

توقفا عن الكلام لثوانٍ، وأخيرًا، أسند الموقر عكازه على الأرض، ونهض ثمّ قال: "لقد قلت ما يكفي يا بنيّ، سأغادر الآن. حظًا موفقًا يا كارل لي".

صافحه كارل لي وقال: "أنا أُقدّر قلقك عليّ وأشكر قدومك".

"ما أقصده باختصار أّنه من الصعب الفوز بقضيتك، فلا تقلص فرصة الفوز أكثر بتوكيلك محاميًا محتالًا مثل مارشافسكي".

غادر ليستر شيكاغو قبل منتصف الليل بقليل، وكالعادة اتجه بمفرده جنوبًا، وقد ذهبت زوجته شمالًا إلى غرين باي كي تمضي العطلة مع عائلتها. السويديون أناس لطفاء، وكانوا سيعاملونه كفرد من عائلتهم لو سمح لهم، ولكنهم كانوا مختلفين ولم يكن السبب الوحيد هو كونهم بيضًا، وليستر ترعرع بين البيض في الجنوب، وعرفهم حق المعرفة؛ لم يفضلهم جميعًا، ولم يفضل تعاملهم معه، ولكنه خبرهم على الأقل. لكن بيض الشمال، وبمن فيهم السويديون، كانوا مختلفين؛ إن عاداتهم، ولهجتهم، وطعامهم، وكل شيء يخصهم غريبة بالنسبة إليه، فهو لم يشعر بالراحة معهم.

كان سيطلق زوجته في غضون سنة على الأرجح.

كان هو أسود، كما تزوجت قريبة زوجته الكبرى من أسود أيضًا وحظيت بالكثير من الاهتمام.

كان ليستر ظاهرة، وقد سئمت زوجته منه.

لحسن الحظ، لم يكن لديهما أطفال، يشك ليستر في أنّها تقابل شخصًا آخر، وهو بدوره كان يقابل أخرى، وعدته آيريس أنّها ستتزوجه وتنتقل إلى شيكاغو عندما تترك هنري.

كان جانبا الطريق السريع بين الولايات رقم 57 متشابهين في منتصف الليل؛ أضواء متناثرة قادمة من المزارع الصغيرة المرتبة؛ كانت تلك المزارع متناثرة في الريف وفي بلدات كبيرة مثل تشامبين وإيفينغهام؛ لقد كان يعيش في الشمال ويعمل فيه، ولكنه لم يكن موطنه، كان موطنه حيث تسكن أمه في ميسيسيبي، ولكنه لن يعيش هناك مجددًا، حيث انتشر هناك الكثير من الجهل والفقر. لم يهتم كثيرًا بالتفرقة العنصرية، فهي لم تعد كما كانت، كما أنّه تأقلم مع الوضع؛ لن تختفي العنصرية، ولكنها ستصبح أقل وضوحًا بالتدريج.

لا يزال البيض يمتلكون كل شيء ويتحكمون به، وهذا شيء محتمل، كما أنّه لن يتغير في هذا الوقت، ولكنه وجد جهل وفقر السود المدقع غير محتملين: تلك البيوت المتهاوية، ومعدل وفيات الأطفال المرتفع، والعاطلون عن العمل، والنسوة غير المتزوجات مع أطفالهن الجوعى؛ كانت تلك المناظر كئيبة لدرجة لا تحتمل، لذلك هرب منها ليستر وغادر ميسيسيبي شأنه شأن العديد من السود الذين ذهبوا إلى الشمال ليبحثوا عن عمل يعطيهم أجرًا لائقًا ويجنبهم مآسي الفقر.

كان ليستر يسعد بالعودة إلى ميسيسيبي ولكنه يحزن في الوقت ذاته؛ كان يسعد برؤية عائلته ويحزن عندما يرى فقرها. كانت هناك بعض الجوانب المشرقة؛ فقد كان كارل لي يعمل في وظيفة لائقة، ويمتلك منزلًا نظيفًا، ولديه أطفالٌ مرتبون، ولكن هذا كله أصبح مهددًا بالخطر بسبب شابين ثملين من حثالة البيض. يعذر السود لكونهم عديمي الفائدة، ولكن البيض لم يكن لديهم أي عذر في عالم يحكمه البيض. مات الشابان والحمد لله، وكان فخورًا بأخيه الأكبر.

بزغت الشمس، بعد مضي ست ساعات على مغادرته لشيكاغو وقطع النهر في كايرو، ثم قطع ليستر النهر مجددًا بعد ساعتين في ممفيس؛ لقد مشى بالاتجاه الجنوبي الغربي نحو ميسيسيبي وانعطف عند المحكمة في كلانتون بعد ساعة من ذلك.

لقد مضت عليه عشرون ساعة لم ينم خلالها دقيقة واحدة.

قال أوزي عند قضبان الباب: "لديك زائر يا كارل لي".

"لست متفاجئًا، من هو؟".

"اتبعني وحسب. أعتقد أن عليك مقابلته في مكتبي، إذ سيستغرق هذا اللقاء وقتًا طويلًا".

جلس جايك في مكتبه، وانتظر الهاتف أن يرن.

كان ليستر سيصل إلى المدينة في تمام الساعة العاشرة إذا عزم على القدوم.

عاين جايك بعض الملفات المتناثرة في مكتبه، وأعطى الملاحظات لإثيل، كما اتصل بكارلا ظهرًا وكذب حول مقابلته لموكل جديد في تمام الساعة الواحدة، لذا عليها أن تنسى الغداء.

كان سيعمل في الحديقة في ما بعد؛ لقد وجد قضية قديمة لرجل من وايومينغ بُرِّئ بعد تعقبه للرجل الذي اغتصب امرأته في العام ألف وثمانمئة وثلاثة وتسعين؛ لقد حفظ القضية وألقاها في القمامة. أصبحت الساعة الثانية تمامًا؛ هل أتى ليستر إلى المدينة؟ كان بوسع جايك أن يزور ليوري ويتفحص السجن؛ لا؛ لم تكن فكرة سديدة، فأخذ قيلولة على الأريكة في مكتبه الكبير.

عند الساعة الثانية والربع، رنّ الهاتف، فنهض جايك سريعًا عن الأريكة، وكان قلبه ينبض بقوة عندما أمسك بالسماعة وقال: "مرحبًا"

"مرحبًا يا جايك، أنا أوزي".

"ماذا هناك يا أوزي؟".

"أنت مطلوب في السجن".

تظاهر جايك بالبراءة وقال: "ماذا؟".

"يجب أن تأتي إلى هنا".

"ومن يطلبني؟".

"يريد كارل لي التحدث إليك".

"هل ليستر موجود؟".

"أجل، إنّه يحتاج إليك أيضًا".

"سأصل في غضون دقيقة".

أشار أوزي إلى باب المكتب وقال: "إنهما معًا من أربع ساعات".

قال جايك: "وماذا فعلا؟".

"تكلما وشتما وصرخا؛ لقد صمتا منذ ثلاثين دقيقة وحسب، ثم خرج كارل لي وطلب مني أن أتصل بك".

"شكرًا، هيا ندخل إلى هناك".

"من المستحيل أن أدخل معك، فهما لم يطلباني، لذلك ستدخل بمفردك".

طرق جايك الباب.

"ادخل".

فتح الباب بهدوء ودخل إلى المكتب ثمّ أغلق الباب.

كان كارل لي يجلس خلف المكتب بينما تمدد ليستر على الأريكة، فوقف وصافح جايك: "تسعدني رؤيتك يا جايك".

"وأنا أيضًا يا ليستر، ما الذي أتى بك إلى هنا؟".

"أمور عائلية".

نظر جايك إلى كارل لي ومشى نحو المكتب وصافحه؛ كان المدعى عليه منزعجًا حقًّا.

"هل طلبتما رؤيتي؟".

قال ليستر: "أجل يا جايك. اجلس من فضلك لنتكلم؛ يريد كارل لي أن يقول لك شيئًا".

قال كارل لي: "قل له أنت".

تنهد ليستر ومسح عينيه؛ كان متعبًا وغاضبًا؛ ثم قال: "لن أتفوه بكلمة بعد، أصبح الأمر بيدك أنت وجايك".

أغمض ليستر عينيه، واسترخى على الأريكة، فجلس جايك على كرسي مبطنة وقابلة للطي مقابل الأريكة. لقد راقب ليستر بعناية، ولكنه لم ينظر إلى كارل لي الذي هزّ كرسي أوزي؛ لم يقل كارل لي شيئًا، ولم يقل ليستر شيئًا، وبعد مرور ثلاث دقائق، انزعج جايك من هذا الصمت.

قال بغضب: "من طلبني؟".

أجاب كارل لي: "أنا".

"وماذا تريد؟".

"أريد أن أعيد لك قضيتي".

"أنت تعتقد أنني أريد استرجاعها".

نهض ليستر ونظر إلى جايك وقال: "ماذا؟".

"إنها ليست مجرد هدية يمكنك أخذها وإعادتها، إنّها اتفاقية بينك وبين محاميك، فلا تتصرف وكأنك تسدي لي معروفًا". ارتفع صوت جايك وارتسمت ملامح الغضب عليه.

سأل كارل لي: "هل تريد هذه القضية؟".

"أتحاول أن توكلني مجددًا يا كارل لي؟".

"هذا صحيح".

"ولماذا تريد أن تعيد توكيلي؟".

"لأن ليستر طلب مني ذلك".

نهض جايك واقترب من الباب وقال: "إذًا، فأنا لا أريد قضيتك، فإن كان ليستر يفضلني وأنت تفضل مارشافسكي، فابقَ معه، وإن كنت لا تستطيع أن تفكر بنفسك، فأنت تحتاج إلى مارشافسكي".

قال ليستر عندما أوقف جايك عند الباب: "انتظر يا جايك، وهدئ من روعك يا رجل. هيا اجلس، اجلس. أنا لا ألومك على غضبك من كارل لي؛ لقد ارتكب خطأ عندما طردك. أليس كذلك يا كارل لي؟".

قضم كارل لي أظافره.

توسله ليستر عندما رافقه إلى الكرسي قائلًا: "اجلس يا جايك لنتكلم"، ثمّ أكمل: "حسنًا، فلنتناقش الآن، هل تريد أن تعين جايك محاميًا لك يا كارل لي؟".

أومأ كارل لي برأسه وقال: "أجل".

"ممتاز، والآن، أتريد يا جايك...؟".

سأل جايك كارل لي: "اشرح لي عن السبب".

"ماذا؟".

"اشرح لي لماذا تريدني محاميًا لك، ولماذا ستطرد مارشافسكي".

"لست مضطرًا لأن أشرح لك".

"بالطبع يجب عليك أن تشرح، فأنت تدين لي بهذا؛ لقد طردتني منذ أسبوع ولم تجرؤ على الاتصال بي. لقد قرأت الخبر في الصحيفة، وثم قرأت عن محاميك المشهور الذي لا يستطيع أن يأتي إلى كلانتون، وأنت تتصل بي الآن وتطلب مني أن أقبل بسهولة وهناك احتمال أن تغير رأيك. اشرح لي من فضلك".

قال ليستر: "اشرح له يا كارل لي، تكلم مع جايك".

انحنى كارل لي إلى الأمام وأسند مرفقيه على المكتب واضعًا رأسه بين كفيه متكلّمًا من خلالهما: "أنا محتار جدًا. إن هذا المكان يقودني إلى الجنون، وأعصابي مشدودة، فأنا قلق على طفلتي وعلى عائلتي؛ أنا قلق على نفسي حتى. ليس هناك إجماع على ما يجدر بي القيام به، فلم يسبق لي أن كنت في مثل هذا المأزق، ولا أعرف كيف يجدر بي أن أتصرف، كل ما بوسعي أن أفعله هو أن أثق بالناس، أنا أثق بليستر وأثق بك يا جايك. هذا كل ما يمكنني فعله".

قال جايك: "هل تثق بنصائحي؟".

"لطالما وثقت بها".

"أتؤمّنني على استلام قضيتك؟".

"أجل يا جايك، فأنا أريدك أن تستلمها".

"هذا يكفيني".

استرخى جايك وتمدد ليستر على الأريكة.

"عليك أن تعلم مارشافسكي، لن أعمل على قضيتك قبل أن تفعل هذا".

قال ليستر: "سنعلمه هذا المساء".

"ممتاز، اتصلا بي عندما تعلمانه. ينتظرنا عمل كثير والوقت يمضي".

سأل ليستر: "وماذا عن المال؟".

"أريد نفس الأجر والتدابير. أيناسبكما هذا؟".

قال كارل لي: "أنا موافق، وسأدفع لك بأي طريقة ممكنة".

"سنتناقش في هذا الأمر لاحقًا".

سأل كارل لي: "وماذا عن الأطباء؟".

"سوف نقوم ببعض التدابير؛ سوف نجد حلًا في نهاية المطاف".

ابتسم المدعى عليه، وشخر ليستر في نومه وضحك كارل لي على أخيه ثم قال: "توقعت أنك اتصلت به، ولكنه أقسم لي إنك لم تفعل ذلك".

ابتسم جايك بغرابة ولم يقل شيئًا. كان ليستر بارعًا في الكذب، وأثبت ذلك فعاليته خلال محاكمته.

"أنا آسف يا جايك. كنت على خطأ".

"دعنا لا نبدأ بالاعتذار، فلدينا الكثير من العمل".

وقف صحفي تحت شجرة ظليلة في المرأب، وانتظر حدوث شيء ما.

"من فضلك يا سيدي، ألست أنت السيد بريغانس؟".

"من يريد أن يعرفني؟".

"أنا ريتشارد فلي، أعمل مع صحيفة ذا جاكسون ديلي. هل أنت جايك بريغانس".

"أجل".

"المحامي السابق للسيد هيلي".

"لا، أنا محامي السيد هيلي".

"ظننته وكّل مارشافسكي. في الحقيقة، هذا سبب مجيئي، لقد وصلتني شائعة أن مارشافسكي سيصل إلى هنا هذا المساء".

"إذا رأيته، فقل له إنّه فات الأوان".

نام ليستر على الأريكة في مكتب أوزي، وأيقظه الموظف في تمام الساعة الرابعة فجرًا، وغادر إلى شيكاغو يوم الأحد بعد أن ملأ كوبًا كبيرًا بالقهوة، وليلة السبت، اتصل هو وكارل لي بمكتب كات الذي يقع فوق النادي وأخبراه بقرار كارل لي الجديد. بدا كات مشغولًا ولم يبالِ، وقال إنّه سيخبر مارشافسكي؛ لم يكن هناك ذكر للمال.

20

مشى جايك مترنحًا كي يستلم صحف الأحد بعد مضيّ وقت على مغادرة ليستر للمدينة. كانت كلانتون على بعد ساعة عن جنوب غرب ممفيس، وثلاث ساعات عن شمال جاكسون، وثلاثة أرباع الساعة عن توبيلو. كانت لدى تلك المدن الثلاث صحف صباحية يومية وكانت توزع في كلانتون، ولقد اشترك جايك في الصحف الثلاث. كان مسرورًا لأنه فعل ذلك كي تحصل كارلا على قصاصات أكثر لسجلها. فَرَدَ جايك الصحف، وبدأ في عملية الغوص في غمارها.

لم يُذكَر شيء في صحيفة جاكسون. تأمل أن يكتب ريتشارد فلي شيئًا. كان يجدر به أن يمضي وقتًا أكثر معه خارج السجن. لم يُذكر شيء في ممفيس وتوبيلو؛ لم يكن جايك متفاجئًا، ولكنه تأمل أن يتم اكتشاف القصة، ولكنها حدثت في وقت متأخر من ليلة البارحة، ولعلها ستنشر يوم الاثنين. كان جايك متعبًا من التخفي، ومتعبًا من الشعور بالخجل، وسيظل متخفيًا عن الأنظار إلى أن يذكر خبر استعادته للقضية في الصحف، ويقرأه الشبان في الكوفي شوب، والناس في الكنيسة، والمحامون بمن فيهم باكلي وسوليفان ولوترهاوس. كيف يجب أن يخبر سوليفان؟ كان كارل لي سيتصل بمارشافسكي أو بالقواد، وعلى الأرجح كان سيتصل بالقواد الذي سيُعلم بدوره مارشافسكي. ما نوع الإعلام الصحفي الذي سيستخدمه مارشافسكي في هذا الخبر؟ وكان سيُعلِم هذا المحامي المشهور والتر سوليفان بالخبر الرائع؛ كان سيحدث هذا في صباح يوم الاثنين أو أبكر بقليل، وكان سيصل الخبر بسرعة إلى شركة سوليفان، كما كان سيجتمع الموظفون والشركاء الرئيسيون والثانويون في غرفة الاجتماعات الفخمة، ويشتمون بريغانس وأخلاقه واستراتيجياته الدنيئة، وكان سيحاول الموظفون إبهار رؤسائهم بتسليط الضوء على القواعد التي انتهكها بريغانس؛ لقد كرهم جايك جميعًا؛ كان سيرسل خطابًا مختصرًا إلى سوليفان مع نسخة إلى لوترهاوس.

لن يتواصل مع باكلي، فلن يشرفه بخطاب شخصي.

خطرت فكرة في بال جايك، ولكنه تردد في تنفيذها، ثمّ اتصل بلوسيان؛ كانت الساعة توشك أن تصبح السابعة، أجابت الممرضة/الخادمة/النادلة على الهاتف.

"سالي؟".

"أجل".

"أنا جايك، هل لوسيان مستيقظ؟".

"انتظر قليلًا"، استدارت وأعطت السماعة للوسيان.

"مرحبًا".

"أنا جايك يا لوسيان".

"نعم، ماذا تريد؟".

"أخبار جيدة، لقد أعاد كارل لي تعييني البارحة، لقد عادت القضية لي".

"أي قضية؟".

"قضية هيلي".

"هل عادت قضية ذلك المتمرد لك؟".

"أجل منذ البارحة. لدينا الكثير من العمل".

"متى ستجري المحاكمة؟ في وقت ما من شهر تموز؟".

"في الثاني والعشرين من تموز".

"إنها قريبة جدًا. ما أولوياتك؟".

"طبيب نفسي؛ أريد طبيبًا رخيصَ التكاليف ويقدم على قول أي شيء".

قال لوسيان: "أعرف شخصًا يمتلك هذه المواصفات".

"ممتاز، إذا، اعمل على الأمر، وسأتواصل معك بعد عدة أيام".

استيقظت كارلا ووجدت زوجها في المطبخ وأمامه العديد من الصحف المتناثرة على طاولة الفطور، فأعدت القهوة، وجلست أمامه ولم تقل شيئًا، فابتسم لها وتابع القراءة.

سألته كارلا: "متى استيقظت؟".

"عند الساعة الخامسة والنصف".

"ولماذا استيقظت باكرًا؟ إن اليوم الأحد".

"لم أستطع النوم".

"هل أنت متحمس لشيء ما؟".

أخفض جايك الصحيفة وقال: "أنا متحمس فعلًا، وأنا خائب لأنك لن تشاركيني حماستي".

"أنا آسفة على ليلة البارحة".

"ليس عليك أن تعتذري، فأنا أتفهم شعورك؛ مشكلتك هي أنك تنظرين إلى الجانب السلبي لا الإيجابي. أنت لا تعلمين ماذا يمكن لهذه القضية أن تحقق لنا".

"إن هذه القضية تخيفني يا جايك: تلك الاتصالات، والتهديدات، والصلبان المحترقة. حتى ولو كانت قيمة تلك القضية ملايين الدولارات، فهل تستحق كل هذه المخاطرة؟".

"لن يحدث شيء خطير، فسوف نحصل على المزيد من التهديدات، وسيحملقون بنا في الكنيسة وفي والمدينة، ولكن لن يحدث شيء جديّ".

"ولكنك لا تستطيع أن تجزم بشيء".

"لقد تباحثنا في الأمر ليلة البارحة، ولا طاقة لي لأعيد الكَرَّة اليوم، ولكن لديّ فكرة".

"أنا متلهفة لسماعها".

"سوف تذهبين أنت وهانا إلى كارولاينا الشمالية وستمكثان مع والديك حتى تنتهي القضية؛ سوف يسران لزيارتكما ولن نقلق بشأن كلان أو أي أحد يحب حرق الصلبان".

"لكن المحاكمة بعد ستة أسابيع، وأنت تريدنا أن نبقى في ويلمينغتون لستة أسابيع؟".

"أجل".

"أنا أحب والديّ، ولكن ما تقوله لا يعقل".

"إنك لا تزورينهما كثيرًا، وهما لا يريان هانا بما يكفي".

"ونحن لا نراك بما يكفي أيضًا، فلن أغيب لمدة ستة أسابيع".

"هناك العديد من التحضيرات، وستكون القضية همي الوحيد إلى أن تنتهي المحاكمة. سأعمل لياليَ وأسابيعَ...".

"ما الجديد في ذلك؟".

"سأتجاهلكما وأركز تفكيري على القضية".

"لقد اعتدنا على ذلك".

ابتسم جايك لها قائلًا: "أنت تقولين إنّك تستطيعين تحمل هذا الوضع".

"أستطيع تحمل طباعك، ولكنّني أخاف من أولئك المجانين".

"عندما يبدأ أولئك المجانين يشكّلون خطرًا عليّ فسأتراجع؛ سوف أهرب من هذه القضية إذا هددت سلامة عائلتي".

"أتعدني بذلك؟".

"بالطبع، دعينا نرسل هانا".

"إن لم نكن في خطر محدق، فلِمَ علينا إرسال أي أحد؟".

"لنكون حذرين فقط؛ ستسعد لتمضية الصيف مع جدها وجدتها، كما أنّهما سيسعدان بها كثيرًا".

"لن تستطيع تمضية أسبوع من دوني".

"ولن تستطيعي تمضية أسبوع من دونها".

"هذا صحيح، وغير قابل للنقاش، فأنا لن أقلق عليها لطالما استطعت معانقتها".

جهّزت كارلا القهوة، وملأت كوبين.

"هل ذُكِر شيءٌ في الصحف؟".

"لا، لقد اعتقدت أن صحيفة جاكسون ستنشر شيئًا، ولكن الموضوع حصل في وقت متأخر".

"أعتقد أن توقيتك لم يكن مدروسًا بعد غياب أسبوع أليس كذلك؟".

"انتظري حتى الصباح".

"وما الذي يجعلك متأكدًا؟".

"أنا أعدك".

أشاحت برأسها، وبحثت عن قسم الأزياء والطبخ، ثم سألته: "هل ستذهب إلى الكنيسة؟".

"لا".

"ولِمَ لا؟ لقد استعدت قضيتك وعدت نجمًا".

"صحيح، ولكن لم يعرف أحد بذلك بعد".

"أتفهم ذلك. ماذا عن الأحد القادم؟".

"بالطبع".

مُرِّرَتِ الأوعيةُ بين الناس ووُضِعَت عند المذابح لجمع التبرعات لكارل لي هيلي وعائلته في كل من كنيسة مونت هيبرون، ومونت زيون، ومونت بليزنت، وبراونز، وغرينز، ونوريس رود، وفي سيكشن لاين رود، ومعبد الإله، ومعبد المسيح، ومعبد القديس، لقد تم استخدام أوعية دجاج كنتاكي المقلي في معظم الكنائس، فكلما زاد حجم الوعاء كلما تضاءل حجم الهبات بالنسبة إليه، وهذا أعطى الموقر سببًا كي يمرر الوعاء أو السلة أكثر من مرة بين الحاضرين. كانت هذه هبة مميزة ومختلفة عن باقي الهبات، قُدمت في كل الكنائس مع ذكر المصاب الأليم لفتاة هيلي

المسكينة وماذا سيحدث لعائلتها ما لم يتم ملء هذه السلال. لقد ذُكِرَت الرابطةُ الوطنيةُ لتقدم الملونين في بعض الحالات ما سبب زيادة الهبات.

لقد نجح الأمر، أُفرِغَتِ الأوعيةُ، وأُحصيَتِ الأموالُ، وتم إعادة الطقس خلال القداس المسائي.، وقد تم عدّ الهبات الصباحية والمسائية من قبل القسيسين ليل الأحد، وبدورهم أعطوا الموقر آغي النسبة الكبرى منها يوم الاثنين؛ كان يحفظ المال في مكان ما من كنيسته، وينفق النسبة الكبرى لمصلحة عائلة هيلي.

كان يتم إخراج المساجين في مقاطعة فورد إلى باحة مسورة خلف السجن من الساعة الثانية حتى الساعة الخامسة، كما كان يُسمح بدخول الزوار إلى الباحة عند الثالثة، ولكن لمدة لا تتجاوز الساعة.

كانت هناك عدة أشجار ظليلة وطاولات نزهة مكسورة وسلة جيدة للعبة كرة السلة.

راقب النواب والكلاب المساجين من السور.

لقد اعتاد الأولاد وغوين على التواجد في السجن في تمام الساعة الثالثة بعد انتهائهم من الدعاء في الكنيسة، وكان قد

سمح أوزي لكارل لي أن يدخل الباحة باكرًا كي يحظى بأفضل طاولة؛ كانت تلك الطاولة سليمة ومظللة، وكان يجلس هناك بمفرده ولا يتكلم مع أحد مراقبًا مباراة كرة السلة إلى أن تصل عائلته؛ لم تكن تلك مباراة كرة سلة فحسب حيث تناوش اللاعبون وتصارعوا؛ لم يترأس أحد اللعبة؛ ولم تُرَق دماء، ولم يرتكب خطأ، ولم تحدث نزاعات، فكان النزاع يؤدي إلى السجن الإفرادي والمنع من وقت الترفيه لمدة شهر.

قليلون هم الزوار؛ أتت بعض الحبيبات والزوجات وكن يجلسن على العشب بجانب رجالهن ويراقبن مباراة كرة السلة. طلب زوج من كارل لي أن يعيرهما طاولته لتناول الغداء، فأشاح برأسه وأكلا مفترشَين العشب.

وصلت غوين والأولاد قبل الساعة الثالثة، ففتح النائب هاستينغز وقريب زوجته الباب وركض الأولاد لمقابلة أبيهم، ووزعت غوين الطعام.

انتبه كارل لي إلى نظرات الحسد من المساجين الأقل حظًا، واستمتع بها، فلو كان أبيض أو أصغر جسمًا أو مدانًا بتهمة بسيطة، لكان سيُجبَر على مشاركته الطعام.

لكنه كارل لي هيلي، ولن يجرؤ أحد على أن يرمقه بنظراته مطولًا. استمرت المباراة الحاسمة والعنيفة وأكلت العائلة بسلام؛ كانت تونيا تجلس دائمًا إلى جانب أبيها.

قالت غوين بعد الغداء: "لقد بدأوا بحملة جمع تبرعات من أجلنا هذا الصباح".

"من بدأ هذا؟"

"الكنيسة؛ لقد قال الموقر آغي أن جميع كنائس السود سوف تقوم بجمع التبرعات كل يوم أحد من أجلنا ومن أجل تسديد تكاليف المحامي".

"كم سيجمعون؟".

"لا أعرف، قال إنّه سيمرر السلال كل أحد حتى يحين موعد المحاكمة".

"هذا لطيف حقًا. ماذا قال عني؟".

"لقد تكلم عن قضيتك وتداعياتها، وتحدث عن تكلفتها العالية، وكيف سنحتاج إلى مساهمات من جميع الكنائس، وتحدث عن عطاء المسيحيين وما شابه ذلك، كما قال إنّك تُعَدُّ بطلًا بنظر شعبك".

يا لها من مفاجأة سارة! لقد توقع جايك الدعم من كنيسته، ولكنه لم يتوقع دعمًا ماديًا.

"كم كنيسة تشارك في هذا؟".

"كل كنائس السود في الولاية".

"متى سنحصل على المال؟".

"لم يقل لي".

قال كارل لي في نفسه إنّهم سيحصلون على المال بعد أن ينال حصته، ثم وجّه حديثه لابنَيه قائلًا: "خذا أختكما يا ولديّ والعبا معها بجانب السور. أريد التحدث مع أمكما، كونا حذرَين".

أخذ كارل لي جونيور وروبرت أختهما بيدها وفعلا ما طُلِبَ منهما.

راقب كارل لي أولاده عندما ذهبوا ثمّ سأل زوجته: "ماذا قال الطبيب؟".

"إنها بخير، كما أن فكيها يتعافيان بسرعة، وربما سيزيل السلك في غضون شهر. لا تستطيع أن تركض وتلعب حاليًا، ولكنها ستتمكن من ذلك قريبًا؛ إنّها تشعر ببعض الألم".

"ماذا عن الـ... العضو الآخر؟".

أشاحت غوين برأسها وغطت عينيها، وشرعت بالبكاء، ثم مسحت عينيها وتحدثت بصوت واطئ: "لن تستطيع إنجاب الأطفال. لقد قال لي...".

صمتت ومسحت وجهها، وحاولت أن تكمل، لكنها أجهشت بالبكاء، ودفنت وجهها في المنديل.

شعر كارل لي بالغثيان، ووضع جبينه بين كفيه مطبقًا أسنانه في الوقت الذي أدمعت فيه عيناه.

"ماذا قال؟".

رفعت غوين رأسها مقاومةً دموعها، وتحدثت بتقطع: "قال لي يوم الثلاثاء أن هناك الكثير من الضرر..."، مسحت وجهها بأصابعها وأكملت: "كما قال إنّه علينا استشارة أخصائي في ممفيس".

"أليس متأكدًا؟".

أشاحت برأسها وقالت: "قال إنّه متأكد بنسبة تسعين بالمئة، ولكن يجب علينا أن نسأل طبيباً آخر في ممفيس؛ يجب علينا أن نأخذها في غضون أسبوع".

تناولت غوين منديلًا آخر، ومسحت وجهها، ثم أعطت زوجها منديلًا ومسح عينيه بسرعة.

استمعت تونيا إلى أخويها وهما يتناقشان من سيكون النائب ومن سيكون في السجن بجانب السور، وراقبت أبويها وهما يشيحان برأسيهما ويبكيان؛ لقد عرفت أنّه يوجد خطب بها، فشرعت تبكي.

قاطعت غوين صمتهما وقالت: "إن الكوابيس أصبحت أسوأ، وعليّ أن أنام إلى جانبها كل ليلة؛ إنّها تحلم برجال يقتربون منها أو يختبئون في الخزانة أو يلاحقونها في الغابة؛ إنّها تستيقظ

وتبدأ بالصراخ والبكاء. قال الطبيب إنّ عليها الذهاب إلى طبيب نفسي، كما قال إنّ حالتها تزداد سوءًا".

"كم سيكلفنا هذا؟".

"لا أدري، فلم أتصل به بعد".

"يجب عليك أن تتصلي. أين هذا الطبيب؟".

"في ممفيس".

"بالطبع هو هناك".

"كيف يعاملها الأولاد؟".

"إنهم رائعون معها ويعاملونها بتميّز، لكن الكوابيس تخيفهم، فهي توقظ الجميع عندما تصرخ في نومها، فيركض الأولاد لمساعدتها ولكن الكوابيس تخيفهم حقًا. لم تستطع الخلود إلى النوم ليلة البارحة، إلّا عندما نام إخوتها على الأرض بجانبها؛ لقد تمددنا بجانبها جميعًا ولم نطفئ النور".

"سوف يكون الأولاد على ما يرام".

"إنهم يشتاقون إلى والدهم".

ابتسم كارل لي قليلًا وقال: "لن أطيل الغياب".

"أتعتقد ذلك حقًا؟".

"لا أعرف بما سأفكر بعد الآن، ولكنّني لا أخطط لأن أبقى في السجن طوال الحياة؛ لقد وكّلت جايك مجددًا".

"متى؟".

"ليلة البارحة؛ لم يقابلني محامي ممفيس ولم يتصل بي حتى؛ لقد طردته وأعدت توكيل جايك".

"ولكنك قلت لي إن جايك يافع جدًا".

"كنت على خطأ؛ إنّه يافع بالفعل، ولكنه بارع. اسألي ليستر".

"إنها محاكمتك أنت".

مشى كارل لي ببطء في أرجاء الباحة، ولم يقترب من السور، وراح يفكر في الشابين اللذين دُفنا في مكان ما؛ ستكون جثتاهما قد تعفنتا وروحاهما تتعذبان في الدرك الأسفل من الجحيم؛ لقد قابلا طفلته الصغيرة قبل أن يموتا ودمرا جسدها وعقلها في غضون ساعتين.

يا له من اعتداء عنيف سيجعل منها عاقرًا! وجعل منها تحلم بهما يترصدانها أو يختبئان في خزانتها! هل يمكنها محو هذه الحادثة من عقلها كي تعود لحياتها الطبيعية؟ لعل الطبيب النفسي سيساعدها على ذلك، ولكن هل سيسمح لها الأطفال الآخرون بأن تكون طبيعية؟

سيقولون إنّها مجرد سوداء على الأرجح.

كما سيعتقدون أنّها طفلة سوداء غير شرعية بالطبع، لذا، لن تكون حادثة الاغتصاب شيئًا جديداَ.

لقد تذكر الشابين في المحكمة؛ كان أحدهما فخورًا والآخر خائفًا، لقد تذكر كيف نزل على الدرج لينفذ حكم الإعدام، كما تذكر نظرة الرعب التي اعتلت وجهيهما عندما ظهر أمامهما ومعه بندقية أم -16. تذكر صوت إطلاق النار، وصوت طلبهما للنجدة، وصوت صراخهما عندما وقعا معًا؛ كانا مكبلين فوقعا فوق بعضهما، وحاولا الإفلات ولكن دون جدوى.

تذكر أنّه ابتسم وقهقه عندما رأى قلة حيلتهما ثمّ هرب عندما صمتا.

ابتسم مجددًا لتلك الذكرى؛ كان فخورًا بفعلته؛ لقد أزعجه قتل أول آسيوي في فييتنام أكثر من ذلك.

دخلت الرسالة التي بعثت إلى والتر سوليفان في صلب الموضوع تمامًا:

عزيزي ج. والتر

من المؤكد الآن أن السيد مارشافسكي قد أعلمك أنّه قد طُرِدَ من عمله مع كارل لي هيلي.

لن تكون خدماتك كمحامٍ محلي مطلوبة بعد الآن. طاب يومك.

مع خالص التقدير،

جايك

أُرسِلَت نسخةٌ من تلك الرسالة إلى باكلي.

اتصل مارشافسكي يوم الاثنين عند الساعة التاسع والنصف؛ لقد راقب جايك الهاتف يرن لمدة دقيقتين قبل أن يمسك السماعة.

"مرحبًا".

"كيف فعلتها؟".

"من المتصل؟".

"ألم تقل لك سكرتيرتك؟ أنا بو مارشافسكي وأريد أن أعرف كيف فعلتها".

"فعلت ماذا؟".

"سرقت قضيتي".

قال جايك لنفسه إنّه عليه أن يهدئ من روعه لأن مارشافسكي يقصد استفزازه. أجاب جايك: "أنا من سُرِقَت منه القضية على حدّ علمي".

"لم أقابله يومًا قبل أن يعينني محاميًا له".

"لم يكن عليك هذا؛ لقد أرسلت قوادك ألّا تذكر ذلك؟".

"هل تتهمني بملاحقة القضايا؟".

"أجل".

سكت مارشافسكي قليلًا واستعد جايك لمواجهة الكلام البذيء.

"أتعلم شيئًا يا سيد بريغانس؟ إنك محق. أنا ألاحق القضايا كل يوم، كما أنني خبير في الاحتيال وسرقة تلك القضايا، ولذلك أجني الكثير من المال. أعزم على أخذ أي قضية جنائية

كبيرة، كما أنني سأستخدم أي طريقة تيسِّر لي حدوث هذا".

"لم تذكر هذا في مقالك. يا للسخرية!"

"وإذا أردت قضية هيلي، فسأحصل عليها".

قال جايك: "لننتظر ونرَ"، أنهى المكالمة وضحك لمدة عشر دقائق، ثم أشعل سيجارًا رخيصًا وبدأ العمل على طلبه لتغيير موقع المحاكمة.

بعد يومين، اتصل لوسيان وطلب من إثيل أن تطلب من جايك أن يأتي إليه؛ كان الأمر في غاية الأهمية حيث كان لديه زائر يتوجب على جايك أن يقابله.

كان الزائر هو الطبيب باس؛ لقد كان طبيبًا نفسيًا متقاعدًا من جاكسون، وكان يعرف لوسيان منذ سنوات حيث عملا على عدة قضايا حول الاختلال العقلي سوية. لقد تقاعد قبل سنة من شطب لوسيان من نقابة المحامين، واستسلم بعدها للشيء الذي ساهم في شطبه ألا وهو عشقه لويسكي جاك دانييل. كان يزور لوسيان في بعض الأحيان في كلانتون ولكن لوسيان كان يزوره دائمًا في جاكسون، كما كانا يستمتعان بالزيارة لأن حبّ شرب الكحول كان يجمعهما.

جلسا على الشرفة الواسعة وانتظرا جايك.

قال لوسيان: "قل فقط إنّه كان مجنونًا".

سأل الطبيب: "هل كان مجنونًا بالفعل؟".

"هذا ليس مهمًا".

"ما المهم إذًا؟".

"من المهم أن نقدم لهيئة المحلفين عذرًا كي يبرئوا الرجل، فلن يهتموا سواء أكان مجنونًا أم لا، ولكنهم يحتاجون إلى سبب لتبرئته".

"من الجيد أن أعاينه".

"يمكنك أن تتحدث إليه كما تريد، فهو في السجن وينتظر أن يتحدث إليه أحد".

"يجب أن أتحدث إليه أكثر من مرة".

"أعلم هذا".

"ماذا لو توصلت إلى نتيجة أنه لم يكن مختلًا أثناء إطلاق النار؟".

"لن تشهد عندها، كما أن صورك لن تنتشر في الصحف، ولن تجريَ مقابلات على التلفاز".

توقف لوسيان عن الكلام قليلًا ليشرب.

"افعل ما أمليه عليك وحسب؛ قابله وخذ بعض الملاحظات، واسأله بعض الأسئلة الغبية، وأفد بعدها أنه كان مختلًا".

"لست متأكدًا من هذا الأمر، إذ إنه لم يثبت فعاليته عبر السنين".

"انظر إليّ، ألستَ طبيبًا؟ تصرف بتعجرف إذًا؛ تصرف كما يجدر بالأطباء أن يتصرفوا؛ قل رأيك وتحدَّ أيَّ شخص يجرؤ على ادعاء العكس".

"لا أدري يا لوسيان. لم ينجح هذا الأمر كثيرًا في الماضي".

"افعل ما أقوله وحسب".

"لقد فعلت هذا من قبل، وأودي بمن ادعيت باختلالهما إلى سجن بارشمان".

"كان ميؤوس منهما، أما وضع هيلي فمختلف".

"هل لديه أمل؟".

"ضئيل".

"لقد قلت لتوك إنّه مختلف".

"إنه رجل طيب، وكان لديه سبب للقتل".

"ولِمَ أمله ضئيل؟".

"بحسب القانون، أسبابه ليست وجيهة".

"كما هو متوقع من القانون".

"بالإضافة إلى أنّه أسود في مقاطعة بيضاء؛ ليست لديّ ثقة بأولئك المتعصبين".

"ماذا لو كان رجلًا أبيض؟".

"لو كان رجلًا أبيض وقتل أسودين اغتصبا طفلته لطالبت هيئة المحلفين بوضع تمثال له".

أنهى باس كأسه وسكب كأسًا أخرى؛ كان هناك وعاء من الثلج بين الرجلين.

سأل باس: "وماذا عن المحامي؟".

"سوف يكون هنا في غضون دقائق".

"هل كان يعمل لديك؟".

"أجل، ولكنّني لا أظن أنه سبق لك أن قابلته. كان في الشركة قبل سنتين تقريبًا من رحيلي؛ إنّه يافع في الثلاثين من العمر وهو شريف وجريء ومجتهد".

"وكان يعمل لديك؟".

"هذا ما قلته لك للتو؛ إنه ضليع وخبير بالنسبة إلى سنه. هذه ليست قضية القتل الأولى التي يستلمها، ولكنها الأولى التي سيتذرع فيها بالجنون".

"هذا ممتاز. لا أريد أحدًا أن يطرح عليّ العديد من الأسئلة".

"أنا معجب بثقتك. انتظر لتقابل المدعي العام".

"لا يبدو لي الأمر جيدًا؛ لقد سبق لي أن جرّبت الأمر مرتين ولم ينجح".

أشاح لوسيان برأسه في ذهول قائلًا: "إنك أكثر طبيب متواضع قابلته في حياتي".

"وأفقر طبيب أيضًا".

"يجب عليك أن تثق بنفسك، فأنت الخبير هنا، فتصرف على هذا الأساس. من سيشكك في قدراتك في كلانتون، ميسيسيبي؟".

"سيكون لدى الولاية مختصون".

"سيجلبون طبيبًا نفسيًا من ويتفيلد، وسيتكلم مع المدعى عليه لساعات، وسيشهد في المحاكمة على أن المدعى عليه أكثر شخص متنزن علقيًا سبق له أن قابله؛ لم يقابل مجرمًا مختلًا يومًا؛ إن جميع العقول بالنسبة إليه سليمة، وكما أن الجميع مبارك بنعمة الصحة العقلية. إن ويتفيلد مليئة بالناس الواعين، ولكن هذا لا ينطبق على مجال مال الحكومة. سيتم طرده إذا شرّع الاختلال العقلي للمدعى عليهم. وبالمختصر، هذا ما ستواجهه".

"وهل ستصدقني هيئة المحلفين بهذه البساطة؟".

"تصرف وكأنها المرة الأولى التي تخوض فيها هذه التجربة".

"لقد سبق لي أن خضتها مرتين ألا تذكر؟ كان أحدهما مغتصبًا والآخر قاتلًا؛ لم يكونا مختلّين على الرغم من أنني قلت عكس ذلك، وهما الآن محتجزان في المكان الذي ينتميان إليه".

شرب لوسيان من كأسه وتأمل السائل البنيّ ومكعبات الثلج: "لقد قلت إنك ستساعدني، فأنت تدين لي بخدمة. أتذكر كم تعاملت مع قضية طلاق من أجلك؟".

"ثلاث قضايا، ولقد خسرت مالي في جميعها".

"لقد استحققت ذلك؛ لم يكن لديك سوى خيارين: إما أن تدفع المال أو تذهب إلى المحكمة كي تتم مناقشة أفعالك في جلسة علنية".

"أتذكر هذا".

"كم زبونًا أو مريضًا أرسلتهم لك خلال هذه السنوات؟".

"لم يكونوا بالعدد الكافي كي أسدد نفقات الطلاق".

"أتذكر قضية سوء ممارستك للطب؟ كانت مع السيدة التي اقتصر علاجها على جلسات أسبوعية على سريرك القابل للطي. لم يكف تأمينك ضد سوء الممارسة بأن يدافع عنك، ولذلك اتصلت بصديقك لوسيان الذي سوّى الأمر ببعض المال ولم يدخلك إلى المحكمة".

"لم يكن هناك شهود".

"كانت السيدة كافية، وبالإضافة إلى ملفات المحكمة التي تتضمن أن شكاوى الطلاق كانت بسبب ممارستك الزنا".

"لم يستطيعوا إثبات ذلك".

"لم تسنح لهم الفرصة، لم نرد أن نسمح لهم بالمحاولة أليس كذلك؟".

"حسنًا، حسنًا. كفانا من هذا الكلام، لقد وعدتك أن أساعدك. ماذا عن وثائق اعتمادي؟".

"ألست كثير القلق؟".

"لا، أنا أتوتر فقط عندما أفكر في المحاكم".

"إن وثائقك مناسبة، لقد سبق لك أن اعتمدت بصفتك شاهدًا مختصًا. لا تقلق إلى هذا الحد".

أشار إلى كأسه وقال للوسيان: "وماذا عن هذا؟".

قال لوسيان بتهكم: "لا يجدر بك أن تشرب بهذا القدر".

أخفض الطبيب رأسه وقهقه، ثم نهض عن كرسيه وذهب إلى طرف الشرفة واضعًا يده على بطنه غارقًا في موجة من الضحك.

ذهب لوسيان ليحضر زجاجة أخرى وقال: "أنت ثمل".

بعد ساعة، عندما وصل جايك كان لوسيان يجلس على كرسيه الهزاز، وكان الطبيب نائمًا على الأرجوحة في نهاية الشرفة؛ كان حافي القدمين وقد اختبأت أصابع قدميه بين شجيرات الشرفة. صعد جايك على الدرج وفاجأ لوسيان.

قال بتلعثم: "كيف حالك يا بنيّ؟".

نظر جايك إلى زجاجة الويسكي الفارغة والزجاجة شبه الفارغة وقال: "أنا بخير يا لوسيان. أرى أنك بأفضل حال".

حاول لوسيان أن ينهض وقال: "أردتك أن تقابل هذا الرجل".

"من هو؟".

"إنه الطبيب باس من جاكسون، طبيبنا النفسي. إنّه صديق عزيز عليّ وسيساعدنا في قضية هيلي".

"أهو بارع؟".

"إنه الأفضل. لقد عملنا معًا على عدة قضايا تتضمن الاختلال العقلي".

مشى جايك عدة خطوات باتجاه الأرجوحة وتوقف؛ كان الطبيب متمددًا دون أن يحكم أزرار قميصه، لقد فتح فمه وشخر بقوة، وقد حطت ذبابة كبيرة بحجم عصفور على أنفه ثمّ جابت أرجاء الشرفة، وتصاعدت رائحة نتنة مع شخيره، وشكلت ما يشبه الضباب الخفي في نهاية الشرفة.

جلس جايك بجانب لوسيان وقال: "أهو طبيب؟".

قال لوسيان بفخر: "متخصص في الطب النفسي".

أشار جايك إلى زجاجتي الويسكي وقال: "ألم يساعدك في إنهاء هاتين الزجاجتين؟".

"أنا ساعدته؛ إنّه يشرب مثل السمكة، ولكنه يكون صاحيًا تمامًا في وقت المحاكمة".

"هذا مطمئن".

"إنه مناسب لأنه رخيص ويدين لي بخدمة؛ لن يكلفك سنتًا".

"أحببته بالفعل".

كان وجه لوسيان أحمر كعينيه، سأل جايك: "أتريد شرابًا؟".

"لا، إنها الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر".

"أحقًا؟ في أي يوم نحن؟".

"الأربعاء الواقع في الثاني عشر من تموز، منذ متى وأنتما تشربان؟".

ضحك لوسيان وحرك مكعبات الثلج ثمّ أجاب: "منذ ثلاثين سنة".

"قصدت اليوم".

"لقد شربنا على الفطور. هل للأمر أهمية؟".

"أهو على رأس عمله؟".

"لا، إنّه متقاعد".

"هل كان تقاعده طوعيًا؟".

"أتقصد أنّه جُرد من شهادته مثلًا؟".

"أجل، على سبيل المثال".

"لا، لا يزال محتفظًا بشهادته، ووثائق اعتماده لا تشوبها شائبة".

"يبدو وكأنه معصوم عن الخطأ".

"لقد نال منه الكحول منذ عدة سنوات، كما نالت منه نفقات الطلاق. لقد وكّلني في ثلاث قضايا طلاق، حتى وصل ل إلى مرحلة كان مدخوله يُصرَف برمته على نفقات الطلاق وإعالة الأطفال، لذا، توقف عن العمل".

"كيف يتكيف مع الأوضاع؟".

"لقد أخفينا... أقصد لقد أخفى بعض المال؛ أخفاه عن طليقاته ومحاميه الطماعين؛ إنّه مرتاح جدًا".

"يبدو أنّه مرتاح".

"كما أنّه يتاجر بالمخدرات، وزبائنه من الأغنياء حصرًا. لا يتاجر بالمخدرات الممنوعة، بل فقط بالتي من الممكن أن يصفها قانونيًا. إنّه عمل غير أخلاقي بعض الشيء، ولكنه قانوني".

"ما الذي يفعله هنا؟".

"إنه يزورني أحيانًا. إنّه يعيش في جاكسون ولكنه يكرهها. لقد اتصلت به يوم الأحد بعد أن تحدثت إليك. إنّه يريد مقابلة هيلي في أقرب وقت ممكن، وحبذا لو يستطيع غدًا".

تنفس الطبيب بعمق، واستدار جانبًا، وتحركت الأرجوحة فجأة؛ اهتزت قليلًا وتحرك مجددًا، لكن الشخير لم يتوقف. مد ساقه اليمنى وقد علقت قدمه بإحدى أغصان الشجيرات.

اهتزت الأرجوحة بعنف، وألقت بالطبيب الجيد على الشرفة، فارتطم رأسه بالأرض الخشبية، ولكن ساقه اليمنى ظلت على الأرجوحة؛ تنهّد قليلًا، وسعل ثمّ تابع شخيره.

هم جايك لمساعدته، ولكنه توقف عندما تأكد أنّه لم يصب بأذى. قال لوسيان بين ضحكاته: "اتركه وشأنه".

رمى لوسيان قطعة ثلج على الأرض وتوقفت بجانب رأس الطبيب، وأصاب المكعب الثاني أنفه مباشرة. صرخ لوسيان: "يا لها من ضربة! استيقظ أيها السكير".

نزل جايك على الدرج، واتجه إلى سيارته. سمع رئيسه السابق يقهقه، ويشتم، ويرمي مكعبات الثلج على الطبيب باس؛ ذلك الطبيب النفسي الذي سيشهد لصالح الدفاع.

غادر النائب دي واين لوني المستشفى على عكازين، وتوجه بعدها مع زوجته وأولاده الثلاث إلى السجن حيث انتظره المأمور، والنواب الآخرون، والموظفون، وبعض الأصدقاء مع قالب حلوى وبعض الهدايا.

سيصبح رقيب اتصالات الآن، وسيستعيد شارته وبذلته وكامل راتبه.

21

تم تنظيف وتلميع قاعة الاجتماعات في كنيسة سبرينغديل، كما نُظفت الكراسي والطاولات القابلة للطي من الغبار ووزعت في صفوف حول القاعة. كانت هذه أكبر كنيسة للسود في المقاطعة، وكانت في كلانتون، لذلك أصر الموقر آغي على الاجتماع فيها؛ كان الهدف من المؤتمر الصحفي هو إيصال صوت السود، ودعم الرجل المحلي الذي فعل الصواب، بالإضافة إلى الإعلان عن إطلاق صندوق الدفاع القانوني الخاص بكارل لي هيلي. حضر المدير العام للرابطة الوطنية لتقدم الملونين، ومعه شيك بخمسة آلاف دولار، ووعد بالمزيد من المال، وحضر مدير ممفيس ووضع خمسة آلاف دولار على الطاولة، ثم جلسا بجانب آغي وراء الطاولتين القابلتين للطي في مقدمة القاعة، وقد جلس خلفهم جميع أعضاء المجلس ومئتا عضو من كنائس السود، أما غوين فجلست إلى جانب آغي الآخر، وتجمع بعض الصحفيين وكاميراتهم في منتصف القاعة، ولم يكفوا عن التصوير مع أن عددهم كان أقل من المتوقع.

بدأ آغي بالكلام - لقد ألهمته الكاميرات - تحدث عن عائلة هيلي، وعن طيبتهم، وبراءتهم، وعن تعميده لتونيا عندما كانت في الثامنة من عمرها، وتحدث عن انهيار العائلة بسبب التفرقة العنصرية والكراهية، فتصاعدت بعض الشهقات بين الجمهور، وبعد ذلك تحول إلى شخص لئيم وغاضب؛ قرّع النظام القضائي بسبب محاكمته رجلًا لائقًا وطيبًا لم يرتكب خطأ؛ رجلًا إن كان أبيض ما كان سيحاكم، ولكنه سيحاكم لأنه أسود، وهذا ما كان خاطئًا في ملاحقة ومحاكمة كارل لي هيلي. أمسك الموقر آغي بزمام الأمور وشاركه الجمهور، كما اتصف المؤتمر الصحفي بالاجتماعات الحامية التي اعتاد أن يعقدها المسيحيون في الخيم؛ تحدث لمدة خمس وأربعين دقيقة.

كان بارعًا جدًا ومن الصعب التفوق عليه، ولكن المدير الوطني لم يتردد، فألقى خطبة مدتها ثلاثون دقيقة أدان فيها التمييز العنصري، وقد انتهز هذه اللحظة وتحدث عن إحصائيات

وإجراءات الجرائم، والاعتقالات، والإدانات، وتعداد المساجين. اختصر كلامه هذا عندما أعلن أن النظام القضائي محكوم من قبل أناس بيض يدينون السود دون سبب مقنع، وبعد ذلك، ناقش بمنطقية مذهلة الإحصائيات الوطنية القانونية في مقاطعة فورد وأعلن أن النظام غير ملائم لمحاكمة كارل لي هيلي. ركّزت كاميرات التلفاز على العرق الذي تجمع على جبينه واستمتع بهذا الاهتمام، وقد برز غضبه أكثر من الموقر آغي وصرخ في مكبرات الصوت حتى اهتزت حاثًا سود مقاطعة فورد وميسيسيبي على العطاء، كما وعد بتنظيم الاحتجاجات والمسيرات؛ سوف تكون صيحة المعركة هذه للسود وللشعب المضطهد في كل مكان.

أجاب عن الأسئلة: ما هو المبلغ المطلوب جمعه؟ تأملوا أن يجمعوا خمسين ألفًا على الأقل، فإن تمثيل كارل لي هيلي في المحكمة سيكون مكلفًا جدًا، كما أن خمسين ألفًا لن تكون كافية على الأرجح ولكنهم سيجمعون المال مهما تطلب الأمر؛ ولكن الوقت يمضي. علامَ سيصرف المال؟ على الأتعاب القانونية والدعاوى القضائية؛ إن القضية تحتاج إلى العديد من المحامين والأطباء. هل سيتم الاستعانة بمحامي الرابطة الوطنية لتقدم الملونين؟ بالطبع؛ إن الفريق القانوني في واشنطن بدأ العمل بالفعل على القضية، وسوف تتكفل وحدة الدفاع في العاصمة بكل نواحي المحاكمة؛ لقد أصبح كارل لي هيلي أولوية وسيتم تسخير جميع الموارد للدفاع عنه.

عندما انتهى من كلامه، اعتلى الموقر آغي المنصة مجددًا، وأومأ برأسه لعازف البيانو، فبدأت الموسيقى، ووقف الجميع يدًا بيد وغنوا نسخة مؤثرة من أغنية "النصر لنا".

قرأ جايك عن صندوق الدفاع في صحيفة يوم الثلاثاء؛ لقد سبق له أن سمع شائعات عن الهبة الاستثنائية التي نظمها المجلس، ولكن قيل له إن المال كان لإعالة العائلة. خمسون ألفًا لصالح الأتعاب القانونية؛ كان غاضبًا ولكنه في الوقت نفسه كان مهتمًّا بالأمر، فهل سيطرد مجددًا؟ وعلى فرض أن كارل لي هيلي رفض محامي الرابطة الوطنية لتقدم الملونين، فماذا سيكون مصير المال؟ إن المحاكمة بعد خمسة أسابيع، وهذا وقت كافٍ ليأتي فريق العاصمة القانوني إلى كلانتون؛ كان قد قرأ عن هذا الفريق، فهو مؤلف من ستة محامين مختصين بجرائم القتل، كما أنّهم يذهبون إلى الجنوب كي يدافعوا عن السود المتهمين بجرائم شنيعة ووحشية؛ كان لقبهم "فريق الموت". إنّهم بارعون جدًا، ومثقفون جدًا، وكرسوا جهودهم لإنقاذ السود من غرف الغاز وكراسي الإعدام الكهربائية في الجنوب، فهم لم يتولوا سوى قضايا الإعدام وكانوا بارعين جدًا في عملهم، ولقد

نظمت الرابطة الوطنية للنهوض بالملونين جميع علاقاتهم، وتكفلت بجمع المال، وتنظيم السود المحليين، وإدارة الإعلان؛ كان اختصاصهم التمييز العنصري، ومع أن معدل خسارتهم يغلب معدل ربحهم، إلا أنّ سجلهم لم يكن سيئًا، إذ إن جميع القضايا التي استلموها في السابق كانت خاسرة لا محالة؛ كان عملهم عبارة عن إظهار المدعى عليه كضحية ليؤثروا في هيئة المحلفين.

إنهم في طريقهم إلى كلانتون الآن.

قبل أسبوع، قدّم باكلي طلبًا للمحكمة بأن يُعايَن كارل لي هيلي من قبل أطباء الولاية، وقد طلب جايك أن تتم عملية المعاينة في كلانتون، ويفضل في مكتب جايك، لكن نووز رفض طلبه، وطلب من المأمور أن ينقل كارل لي هيلي إلى مستشفى الأمراض العقلية لولاية ميسيسيبي في ويتفيلد، فطلب جايك أن يكون حاضرًا أثناء عملية المعاينة، لكنّ نووز رفض طلبه هذا أيضًا.

صباح الأربعاء، احتسى جايك وأوزي القهوة في مكتب المأمور، وانتظرا ريثما استحمّ كارل لي هيلي وبدّل ثيابه. كانت ويتفيلد على بعد ثلاث ساعات، وكان يفترض به أن يصل إلى هناك في تمام الساعة التاسعة، وأراد جايك أن يعطي موكله بعض التعليمات الأخيرة.

سأل جايك أوزي: "كم ستبقون هناك؟".

"أنت المحامي؛ كم تتطلب المعاينة وقتًا؟".

"ثلاثة أو أربعة أيام؛ لقد سبق لك أن ذهبت إلى هناك، أليس كذلك؟".

"بالطبع، لقد رافقنا العديد من الناس المختلين، ولكنني لم أختبر حالة مثل هذه. أين سيحتجزونه؟".

"لديهم العديد من الزنزانات".

دخل النائب هاستينغز المكتب بعفوية، وهو شبه نائم، ويأكل قرصًا محلى وسأل: "كم سيارة سنستقل؟".

أجاب أوزي: "سيارتين وحسب؛ سأقود سيارتي وقد أنت سيارتك. سآخذ معي بيرتل وكارل لي وخذ معك رايلي ونسبيت".

"ماذا عن الأسلحة؟".

"ثلاثة مسدسات في كل سيارة؛ خذ العديد من القنابل. على الجميع أن يرتدي درعًا بمن فيهم كارل لي. جهّز السيارتين. أريد أن ننطلق بحدود الساعة الخامسة والنصف".

تمتم هاستينغز شيئًا ما، ثمّ اختفى.

سأل جايك: "هل تتوقع حدوث مشاكل؟".

"تلقينا بعض الاتصالات؛ لقد ذُكِرَت خلال الاتصالين رحلتنا إلى ويتفيلد. هناك الكثير من الطرق السريعة بين هنا وهناك".

"ما الطريق الذي ستسلكونه؟".

"سنسلك الطريق السريع 22 بين الولايات؛ أليس ذلك صحيحًا؟ سوف يكون أكثر أمانًا لو اتخذنا طرقًا أضيق؛ لذا سنذهب من الطريق 14 جنوبًا إلى الطريق 89 على الأرجح".

"طريق غير متوقع".

"ممتاز. أنا مسرور لأنك توافقني الرأي".

"كما تعلم فهو موكلي".

"حتى الآن".

تناول كارل لي البيض والكعك بسرعة بينما كان جايك يخبره بما سيواجهه أثناء إقامته ضمن ويتفيلد.

قال كارل لي وهو يضحك: "لقد فهمت يا جايك؛ أنت تريدني أن أتصرف وكأنّني مختل، أليس كذلك؟"، فضحك أوزي أيضًا على هذا.

"هذا أمر جدي يا كارل لي؛ اسمعني".

"لماذا؟ لقد قلت لي لتوك إنّه من غير المهم ماذا سأقول أو سأفعل هناك، فلن يقولوا إنني كنت مختلًا عندما أطلقت النار عليهما. إن هؤلاء الأطباء يعملون لصالح الولاية، أليس كذلك؟

والولاية هي التي تحاكمني، أليس كذلك؟ ماذا ستفيد أقوالي وتصرفاتي؟ لقد حزموا أمرهم بالفعل، أليس كذلك يا أوزي؟".

"لن أتدخل في هذا النقاش، فأنا أعمل لصالح الولاية".

قال جايك: "أنت تعمل لصالح المقاطعة".

قال كارل لي وهو يفرغ كيسًا صغيرًا: "لن يسمعوا مني شيئًا سوى اسمي ورقمي التسلسلي".

قال جايك: "إنك مضحك حقًا".

قال أوزي: "إنه متوتر يا جايك".

سار كارل لي جيئة وذهابًا في المكتب، وأمعن النظر إلى السقف، وأمسك شيئًا كان فوق رأسه، ووضع ذلك الشيء في الكيس البلاستيكي، ثمّ انقض على شيء آخر ووضعه في الكيس أيضًا. في هذه الأثناء، عاد هاستينغز ووقف عند الباب، فابتسم له كارل لي وفتح عينيه ورفع يده إلى السقف.

سأل هاستينغز: "ماذا تفعل بحق الجحيم؟".

قال كارل لي: "ألتقط فراشات".

أمسك جايك بحقيبته، وذهب إلى الباب، ثمّ قال قبل أن يغادر: "أعتقد أنّه عليك تركه في ويتفيلد".

حدد نووز موعدًا لجلسة الاستماع يوم الاثنين الواقع في الرابع والعشرين من شهر تموز في كلانتون؛ ستكون الجلسة طويلة وعلنية. كان جايك قد طلب تغيير الموقع حيث من الصعب محاكمة كارل لي هيلي بشكل عادل ضمن مقاطعة فورد، كما قد احتاج إلى شهود؛ احتاج أناسًا ذوي مصداقية في المجتمع يوافقون على أن يشهدوا معه على تعذر إقامة محاكمة عادلة. قال أتكافيدج إنّه سيفعل ذلك كخدمة، ولكن المصرف لن يريد تدخله على الأرجح، فتطوع هاري ريكس بالشهادة، وقال الموقر آغي إنّه سيشهد بسرور، ولكن ذلك كان قبل أن تقدم الرابطة الوطنية

لتقدم الملونين خدمات محاميها. لم تكن للوسيان مصداقية في المجتمع، ولم يفكر جايك في سؤاله حتى؛ لكن على الجانب الآخر، كان باكلي يحضر العديد من الشهود ذوي المصداقية - موظفون منتخبون، ومحامون، ورجال أعمال، ومأمورون آخرون على الأرجح - سيشهد كل هؤلاء على أنّهم سمعوا بكارل لي هيلي، وسيحظى بمحاكمة عادلة في كلانتون.

فضّل جايك بشكل شخصي أن تقام المحاكمة أمام شعبه، وفي محكمته التي تقع مقابل مكتبه؛ كانت المحاكمات متعبة ومرهقة وتسبب ضغطًا نفسيًا، ومن المحبذ أن تقام المحاكمة في هذه المنطقة الودودة التي تبعد عنه ثلاث دقائق وحسب، كما كان في وسعه وضمن فترات الاستراحة في المحكمة أن يذهب إلى مكتبه، ويجري بعض الأبحاث، ويحضر الشهود، ويسترخي، كما يمكنه أن يتناول الطعام في الكوفي شوب أو أن يذهب إلى منزله لغداء سريع، وأيضًا يمكن لموكله أن يبقى في سجن مقاطعة فورد قرب عائلته، كما ستكون مقابلاته الصحافية أفضل بكثير هنا، حيث سيجتمع الصحفيون أمام مكتبه كل صباح ويرافقونه وهو يمشي إلى المحكمة؛ كانت هذه الفكرة مثيرة للحماسة. هل يشكل وقت محاكمة كارل لي فرقًا؟ كان لوسيان على حق: لقد وصلت الحملة الإعلامية إلى كل مواطن في مقاطعات ميسيسيبي، فما نفع تغيير موقع المحاكمة؟ لقد حكم كل محلف متوقع في الولاية على كارل لي بالفعل.

بالطبع، كان للموقع أهمية؛ كان بعض المحلفين المتوقعين بيضًا وبعضهم الآخر سودًا، كما كانت نسبة المحلفين البيض أعلى في مقاطعة فورد عن غيرها من المقاطعات المجاورة، وقد فضّل جايك المحلفين السود وخصوصًا في القضايا الجزائية وإذا كان المدعى عليه أسود؛ فضلوا ألّا يدينوا أحدًا؛ كانوا منفتحين وفضل وجودهم في القضايا المدنية أيضًا، إذ إنهم تعاطفوا مع المستضعفين ضد الشركات الكبيرة أو شركات التأمين وكانوا ليبراليين مع أموال الآخرين. وضع جايك قاعدة بأن يختار كل محلف أسود يصادفه، ولكنهم كانوا نادرين في مقاطعة فورد.

من الضروري أن تقام المحاكمة في مقاطعة أخرى، أي في مقاطعة يكون قاطنوها من السود، فمن الممكن لشخص أسود أن يعلق هيئة المحلفين، كما أن أغلبهم يستطيعون أن ينفذوا حكم البراءة. لم تكن فكرة تمضية أسبوعين في نزل ومحكمة غريبة فكرة مشجعة، ولكن هذه العقبات تذلل أمام الحاجة لمحلفين سود.

تم البحث في موضوع تغيير الموقع من قبل لوسيان؛ وصل جايك باكرًا في تمام الساعة الثامنة كما طلب منه ولكن على مضض، فقدمت سالي الفطور على الشرفة، وشرب جايك القهوة وعصير البرتقال، أما لوسيان فشرب البوربون والماء. قاما بمعاينة كل جانب من جوانب طلب

تغيير الموقع سوية لمدة ثلاث ساعات، وكان لدى لوسيان كل نسخة من نسخ المحاكم العليا على مر ثمانين سنة وخاطبه كأستاذ في الجامعة، فدوّن الطالب الملاحظات وناقشه مرة أو مرتين، ولكنه أصغى للأستاذ.

كانت ويتفيلد على بعد عدة أميال من جاكسون في منطقة ريفية من مقاطعة رانكين؛ انتظر حارسان أمام البوابة الأمامية وتشاجرا مع الصحفيين؛ لم يكن الحارسان يعلمان شيئًا سوى أن كارل لي سيصل في تمام الساعة التاسعة. ركنت سيارتا دورية عليهما شارة مقاطعة فورد بجانب البوابة عند الساعة الثامنة والنصف، وركض الصحفيون إلى سائق أول سيارة، فأنزل أوزي زجاج نافذة سيارته.

صرخ الصحفي بتلهف: "أين كارل لي هيلي؟".

قال أوزي: "إنه في السيارة الأخرى"، ثمّ غمز كارل لي الذي كان يجلس على المقعد الخلفي.

صرخ شخص: "إنه في السيارة الأخرى"، ثمّ توجهوا إلى سيارة هاستينغز.

سألوا: "أين هيلي؟".

أشار بيرتل إلى هاستينغز وقال: "هذا هو".

صرخ الصحفي في وجه هاستينغز السائق وقال: "هل أنت كارل لي هيلي؟".

"أجل".

"لماذا تقود السيارة؟".

"ماذا عن هذا الزي الرسمي؟".

أجاب هاستينغز بوجه جدي: "لقد عينت نائبًا".

فتحت البوابة، فدخلت السيارتان بسرعة.

اصطحب كارل لي وأوزي والنواب إلى مبنى آخر حيث أدخل إلى زنزانته أو غرفته كما كانوا يسمونها، وأقفل الباب خلفه، وعاد أوزي ورجاله إلى كلانتون.

دخل مساعد ذو سترة بيضاء بعد الغداء ومعه حافظة وبدأ بطرح الأسئلة؛ لقد بدأ من يوم مولد كارل لي وسأله عن حدث أو شخص ترك أثرًا لديه في حياته، وقد استغرق هذا الأمر ساعتين، وبعد ذلك، كبل حارسان كارل لي واصطحباه في عربة غولف إلى مبنى جديد من القرميد على بعد نصف ميل من غرفته، وأدخلاه إلى مكتب رئيس الطاقم الطبي الطبيب ويلبرت رودهيفر، ثم خرجا وانتظرا في الممر بجانب الباب.

22

مرت خمسة أسابيع منذ حادثة إطلاق النار على بيلي راي كوب وبيت ويلارد، وستُعقد المحاكمة بعد أربعة أسابيع. حُجزت النُزل الثلاثة في كلانتون كليًا لفترة أسبوع المحاكمة والأسبوع الذي يسبقها. كان نزل بيست ويسترن هو الأكبر والأجمل، وقد اجتذب صحفيي ممفيس وجاكسون، لكن نزل كلانتون كورت تميز باحتوائه على أفضل حانة ومطعم، وقد حجزه صحفيو أتلانتا وواشنطن ونيويورك. تضاعفت الأسعار في نزل إيست سايد الأقل فخامة من سابقَيه بشكل غريب لشهر تموز، ولكنه حُجز بالكامل أيضًا.

في البداية، عامل أهل المدينة هؤلاء الغرباء بلطف، لكن معظم هؤلاء الصحفيين كانوا وقحين وتحدثوا بلهجات مختلفة، ولكن كان هناك بعض الجوانب والأوصاف الأخرى الأكثر إطراءً لبلدة كلانتون وشعبها، مثل احترام معظم السكان المحليين للسرية؛ إذ سيعم الصمت في المقهى الصاخب عادة على الفور عند دخول شخص غريب وجلوسه. قدّم التجار حول الساحة بعض المساعدة لأي شخص لم يعرفوه، وتجاهل الموظفون في قاعة المحكمة الأسئلة التي طُرحت آلاف المرات من قبل الدخلاء الفضوليين، حتى إنّ مراسلي ممفيس وجاكسون عانوا لسحب أي معلومات جديدة من السكان المحليين؛ سئم الناس من وصفهم بالمتخلفين والرجعيين والعنصريين، فتجاهلوا الغرباء الذين لا يمكنهم الوثوق بهم وتابعوا أعمالهم اليومية. أصبحت الحانة في كلانتون كورت مكان تجمع الصحفيين، إذ كانت المكان الوحيد في المدينة الذي يمكنهم الذهاب إليه للعثور على وجه ودود وإجراء محادثة لطيفة معه. جلسوا في الحجيرات أسفل شاشة التلفاز الكبيرة وتحدثوا عن المقاطعة الصغيرة والمحاكمة القادمة، وقارنوا الملاحظات والقصص وأطراف الخيوط والشائعات، وشربوا حتى ثملوا لأنه لم يكن هناك شيء آخر يمكن القيام به في كلانتون بعد حلول الظلام.

ليلة الأحد في الثالث والعشرين من شهر حزيران، امتلأت النُزل، وكانت تلك الليلة التي سبقت جلسة الاستماع؛ تجمعوا في وقت مبكر من صباح الاثنين في مطعم بيست ويسترن لشرب القهوة والتكهن بالأحكام التي ستصدر. كانت جلسة الاستماع هي أولى المناوشات الكبرى، ومن المحتمل أن تكون الإجراء الوحيد في قاعة المحكمة حتى حلول موعد المحاكمة. انتشرت إشاعة مفادها أن نووز كان مريضًا ولا يريد النظر في القضية، وأنه سيطلب من المحكمة العليا تعيين قاضٍ آخر. قال أحد المراسلين من جاكسون إنّها مجرد شائعة بلا مصدر مؤكد. حزموا كاميراتهم وميكروفوناتهم عند الساعة الثامنة وغادروا إلى الساحة؛ فترقبت مجموعة خارج السجن، وأخرى في نهاية قاعة المحكمة، لكنّ معظمهم توجهوا إلى قاعة المحكمة، فامتلأت القاعة بالكامل بحلول الساعة الثامنة والنصف. شاهد جايك ما يجري حول قاعة المحكمة من شرفة مكتبه، فتسارعت دقات قلبه أكثر من المعتاد، وشعر بوخز في معدته، ولكنه ابتسم وتجهز لمواجهة باكلي والكاميرات. نظر نووز إلى الأسفل تحت نهاية أنفه، ومن فوق نظارة القراءة وحول قاعة المحكمة المزدحمة حيث جلس الجميع في أماكنهم.

بدأ الكلام: "يقف أمام المحكمة اليوم المدعى عليه ليطالب بتغيير مكان إقامة الدعوى، وقد تم تحديد موعد المحاكمة لهذه المسألة يوم الاثنين الواقع في الثاني والعشرين من شهر تموز، أي بعد أربعة أسابيع من اليوم، وفقًا للتقويم الخاص بي. لقد حددت موعدًا نهائيًا لتقديم الطلبات ورفضها، وأعتقد أن هذين هما الموعدان النهائيان الوحيدان من الآن وحتى موعد المحاكمة".

أجاب باكلي مسرعًا وهو ينهض من خلف طاولته: "هذا صحيح يا حضرة القاضي"، أدار جايك عينيه وهز رأسه.

قال نووز على نحو جاف: "شكرًا لك يا سيد باكلي. قدم المدعى عليه التماسًا بأنه ينوي التذرع بالخلل العقلي للدفاع، فهل تمّت معاينته في ويتفيلد؟".

أجاب جايك: "نعم يا حضرة القاضي، لقد حصل ذلك في الأسبوع الماضي".

سأله القاضي: "هل سيعيّن طبيبه النفسي الخاص؟".

أجاب جايك: "بالطبع يا حضرة القاضي".

سأله القاضي: "هل سبق له أن فُحص؟".

أجاب جايك: "نعم يا سيدي".

قال القاضي: "حسنًا، إذًا، لقد انتهينا من هذه المسألة. ما هي الالتماسات الأخرى التي تتوقع تسجيلها أيضًا؟".

أجاب جايك: "حضرة القاضي، نحن نتوقع تقديم التماس يطلب من الكاتب استدعاء عدد أكبر من المعتاد من المحلفين...".

صرخ باكلي وهو يقفز واقفًا على قدميه: "الولاية تعارض هذا الالتماس".

قال نووز بصرامة وهو يرفع نظارته ويحدق في المدعي العام: "اجلس يا سيد باكلي، ومن فضلك لا تصرخ في وجهي مرة أخرى. بالطبع سوف تعارض هذا الالتماس، وسوف تعارض أي التماس يقدمه الدفاع؛ فهذا هو عملك. لا تقاطع المحكمة مرة أخرى، فأنت ستحظى بفرصة مناسبة للتعبير عن رأيك لوسائل الإعلان بعد أن نرفع الجلسة".

عاود باكلي الجلوس، وأخفى وجهه أحمر اللون؛ فلم يسبق لنووز أن صرخ في وجهه.

"استمر بالكلام يا سيد بريغانس".

ذُهل جايك بمدى لؤم إيكابود؛ لقد بدا متعبًا ومريضًا، ولربما كان ذلك بسبب الضغط.

"قد يردنا بعض الاعتراضات المكتوبة على الأدلة المتوقعة".

"أتقصد التماسات بداية الدعوى؟".

"نعم يا حضرة القاضي".

"سنستمع إليها في المحاكمة. هل من شيء آخر؟".

"لا شيء في الوقت الحالي".

سأل نووز: "الآن يا سيد باكلي، هل ستقدم الحكومة أي التماسات؟".

أجاب باكلي بخنوع: "لا يسعني التفكير في أي شيء".

صرّح القاضي قائلًا: "حسنًا، أريد التأكد من عدم وجود أي مفاجآت بدءًا من الآن وحتى موعد المحاكمة. سأتواجد هنا قبل أسبوع من المحاكمة للاستماع وتقرير أي مسائل قبل بداية

المحاكمة، وأتوقع أن يتم تقديم أي التماس على الفور حتى نتمكن من حل الأمور العالقة قبل حلول الثاني والعشرين من الشهر بوقت طويل".

قلّب نووز في الملف أمامه، ودرس التماس جايك لتغيير مكان المحاكمة.

همس جايك لكارل لي الذي لم يكن حضوره ضروريًا لهذه الجلسة، ولكنه أصر على القدوم، وقد جلست غوين والأولاد الثلاثة في الصف الأول خلف والدهم؛ لم تأتِ تونيا إلى قاعة المحكمة.

سأل القاضي: "سيد بريغانس، يبدو أن التماسك عادل. كم عدد الشهود لديك؟".

أجاب بريغانس: "ثلاثة شهود يا سيادة القاضي".

سأل القاضي: "سيد باكلي، ما عدد الأشخاص الذين ستستدعيهم؟".

أجاب باكلي بفخر: "لدينا واحد وعشرون شخصًا يا سيدي".

صاح القاضي: "واحد وعشرون؟".

ارتعد باكلي ونظر إلى موسغروف ثمّ قال: "لكن ربما لن نحتاج إليهم جميعًا، في الواقع، أعلم أننا لن نستدعيهم جميعًا".

قال القاضي: "اختر أفضل خمسة يا سيد باكلي، فأنا لا أنوي البقاء هنا طوال اليوم".

أجاب باكلي: "حاضر يا حضرة القاضي".

استكمل القاضي كلامه: "سيد بريغانس، لقد قدمت التماسًا لتغيير مكان المحاكمة، وبإمكانك متابعة التماسك الآن".

وقف جايك وسار ببطء عبر قاعة المحكمة إلى المنصة الخشبية خلف باكلي وأمام مقصورة المحلفين ثمّ قال: "بعد إذن المحكمة وحضرتك، لقد طلب السيد هيلي نقل محاكمته من مقاطعة فورد، والسبب واضح؛ سوف تمنع التغطية الإعلامية في هذه الحالة إجراء محاكمة عادلة؛ لقد حكم أهل هذه المقاطعة مسبقًا على إدانة أو براءة كارل لي هيلي. إنّه متهم بقتل رجلين، وكلاهما وُلدا هنا وتركا وراءهما عائلتين. لم يكونا معروفين في حياتهما، لكنهما أصبحا لامعين بعد موتهما. كان السيد هيلي معروفًا من قِبَل قلة خارج مجتمعه، لكن الآن، أصبح الجميع في هذه

المقاطعة يعرفونه، ويعرفون عن أسرته وابنته وما حدث لها، بالإضافة إلى معرفتهم بمعظم تفاصيل الجرائم المنسوبة إليه. سوف يستحيل العثور على اثني عشر شخصًا في مقاطعة فورد لم يحكموا مسبقًا على هذه القضية، لذا، يجب إجراء هذه المحاكمة في جزء آخر من المقاطعة حيث لا يكون الناس على دراية بالوقائع".

قاطعه القاضي: "أين تقترح؟".

أجاب جايك: "لا أوصي بمقاطعة معينة، ولكن يجب أن تكون بعيدة قدر الإمكان عن هنا. ربما في ساحل الخليج على سبيل المثال".

سأل القاضي: "لماذا؟".

أجاب جايك: "الأسباب واضحة يا حضرة القاضي. إنّها تقع على بعد أربعمئة ميل، وأنا متأكد من أن الناس هناك لا يعرفون الكثير عن السكان هنا".

سأل القاضي: "وهل تعتقد أن الناس في جنوب الميسيسيبي لم يسمعوا عن القضية؟".

أجاب جايك: "أنا واثق أنّهم سمعوا بها، ولكنهم أبعد من هنا بكثير".

سأل القاضي مجددًا: "لكن لديهم أجهزة تلفاز وصحفًا، أليس كذلك يا سيد بريغانس؟".

أجاب جايك: "أنا متأكد من أن لديهم ما ذكرته".

سأل القاضي: "هل تعتقد أنّه يمكنك الذهاب إلى أي مقاطعة في هذه الولاية والعثور على اثني عشر شخصًا لم يسمعوا بتفاصيل هذه القضية؟".

نظر جايك إلى ملفه القانوني؛ أمكنه سماع الفنانين وهم يرسمون على لوحاتهم خلفه، ورأى بطرف عينه باكلي وهو يبتسم ابتسامة عريضة، ثم أجاب بهدوء: "سيكون الأمر صعبًا".

طلب القاضي: "استدعِ شاهدك الأول".

أدى هاري ريكس فونر اليمين، وجلس إلى منصة الشهود، فظهر الكرسي الدوار الخشبي وأصدر صريرًا تحت وزنه الثقيل؛ نفخ في الميكروفون وتردد صدى صوت عالٍ حول قاعة المحكمة، فابتسم لجايك وأومأ برأسه.

سأل جايك: "هل بإمكانك ذكر اسمك؟".

أجابه: "هاري ريكس فونر".

"وعنوانك؟".

"ميسيسيبي، كلانتون، أربعة وثمانون وثلاثة وتسعون سيدربراش".

"منذ متى وأنت تعيش في كلانتون؟".

"طيلة حياتي، منذ ستة وأربعين عامًا".

"ما مهنتك؟".

"أنا محامٍ، لقد حصلت على الترخيص منذ اثنين وعشرين عامًا".

"هل سبق لك أن قابلت كارل لي؟".

"مرة واحدة".

"ماذا تعرف عنه؟".

"من المفترض أنّه أطلق النار على شابين، بيلي راي كوب وبيت ويلارد، وأصاب النائب، دي واين لوني".

"هل تعرف أيًا من الشابين؟".

"ليس بشكل شخصي؛ لقد سمعت عن بيلي راي كوب في الأنحاء وحسب".

"كيف علمت بإطلاق النار؟".

"حسنًا، لقد حدث هذا يوم الاثنين على ما أعتقد؛ كنت في الطابق الأول من المحكمة، أتفقد حق الملكية على أرض ما في مكتب كاتب المقاطعة عندما سمعت إطلاق النار، فركضت إلى القاعة ورأيت الجميع يركضون، فسألت نائبًا عما جرى، وأخبرني أن هناك شابين قُتلا بالقرب من الباب الخلفي للمحكمة. بقيت هناك لبعض الوقت، وسرعان ما انتشرت شائعة أن القاتل كان والد الفتاة الصغيرة التي اغتُصِبت".

"ما كان ردّ فعلك الأولي؟".

"صدمت مثل معظم الناس، لكنّني صدمت عندما سمعت للمرة الأولى عن حادثة الاغتصاب أيضًا".

"متى علمت أن السيد هيلي قد اعتقل؟".

"لاحقًا في تلك الليلة، حين بُثَّ الخبر على جميع محطات التلفاز".

"ماذا شاهدت على التلفاز؟".

"حسنًا، لقد شاهدت أكبر قدر ممكن من الأخبار؛ كانت هناك تقارير إخبارية من المحطات المحلية في ممفيس وتوبيلو. كما تعلم لدي اشتراك بالشبكات، لذلك شاهدت الأخبار على محطات نيويورك وشيكاغو وأتلانتا؛ لقد عرضت كل قناة تقريبًا معلومات حول حادثة إطلاق النار والاعتقال، كما كان هناك لقطات من المحكمة والسجن؛ إنّه حدث كبير للغاية ويمكننا القول إنّه الحدث الأكبر على الإطلاق في تاريخ كلانتون، ميسيسيبي".

"ما كان ردّ فعلك عندما علمت أن والد الفتاة هو مُطلق النار المزعوم؟".

"لم أتفاجأ بصراحة، فقد ظننا جميعنا أنّه هو الفاعل، وأنا معجب بما فعله. لديّ أطفال وأتعاطف معه، وما زلت معجبًا به للغاية".

"ما مقدار المعلومات التي تعرفها عن حادثة الاغتصاب؟".

نهض باكلي وقال: "اعتراض؛ الاغتصاب غير ذي صلة".

رفع نووز نظارته مرة أخرى، وحدق بغضب إلى المحامي العام، مرت ثوانٍ وشاح باكلي بناظريه إلى الطاولة منقّلًا وزنه من قدم إلى أخرى ثمّ جلس. انحنى نووز إلى الأمام ونظر إلى الأسفل من مقعده ثمّ قال: "سيد باكلي، لا تصرخ في وجهي. سأعتقلك بتهمة ازدراء المحكمة إذا كررت الأمر. قد تكون على صواب وحادثة الاغتصاب ليست ذات صلة، لكن هذه ليست المحاكمة، أليس كذلك؟ هذه مجرد جلسة استماع، صحيح؟ ألا يمكنك رؤية أنّه ليس لدينا هيئة محلفين داخل القاعة؟ اعتراضك مرفوض، وأنت تخرج عن النظام في المحكمة. ابقَ الآن مرتاحًا على مقعدك. أعلم أنّه يصعب عليك ذلك بوجود هذا النوع من الحضور، لكنّني أوصيك بالبقاء ثابتًا على مقعدك ما لم يكن لديك شيء يستحق أن تقوله؛ حينها فقط يمكنك الوقوف بأدب وهدوء والإدلاء لي بما يدور في ذهنك".

قال جايك وهو يبتسم لباكلي: "شكرًا لك يا حضرة القاضي، سأتابع الآن كلامي يا سيد فونر، ما مدى معرفتك بحادثة الاغتصاب؟".

أجاب فونر: "من خلال ما سمعته".

سأل جايك: "وما الذي سمعته بالضبط؟".

وقف باكلي، وانحنى مثل مصارع السومو الياباني، ثم قال بهدوء ولطف: "أود أن أعترض في هذه المرحلة من بعد إذن حضرتك، إذا كان ذلك يرضي المحكمة؛ قد يشهد الشاهد على ما يعرفه فقط من المعرفة المباشرة، وليس مما يسمعه من الآخرين".

أجاب نووز بلطف: "شكرًا لك يا سيد باكلي، لقد أخذت اعتراضك بعين الاعتبار ورفضته. استمر من فضلك يا سيد بريغانس".

"شكرًا لك يا حضرة القاضي. ماذا سمعت عن حادثة الاغتصاب؟".

"أمسك كوب وويلارد بابنة السيد هيلي الصغيرة وأخذاها إلى مكان ما في الغابة. كانا ثملين، وقاما بتقييدها إلى شجرة، واغتصباها بشكل متكرر ثمّ حاولا شنقها؛ حتى إنّهما تبولا عليها".

سأل نووز: "ماذا فعلا؟".

"لقد تبولا عليها يا حضرة القاضي".

ضجت قاعة المحكمة بالأصوات بعد سماع هذه المعلومة.

لم يسمع بها جايك ولا باكلي من قبل، ومن الواضح أنّه لم يعرف بهذه المعلومة أحد سوى هاري ريكس؛ فهز نووز رأسه ونظف نظارته بلطف.

كتب جايك شيئًا ما على مذكرته القانونية وتعجب من معلومة شاهده الخفية.

سأل جايك: "من أين علمت عن حادثة الاغتصاب؟".

"يعرف جميع من في هذه الأنحاء بها؛ لقد قدّم رجال الشرطة التفاصيل في صباح اليوم التالي في المقهى، لذا يعرف الجميع تلك الحادثة".

"هل هذه الحادثة معروفة من قبل العامة في جميع أنحاء المقاطعة؟".

"نعم، فأنا لم أتحدث إلى أي شخص خلال الشهر الماضي لم يكن يعرف بتفاصيل حادثة الاغتصاب".

"أخبرنا بما تعرفه عن إطلاق النار".

"حسنًا، كما قلت، كان ذلك بعد ظهر يوم الاثنين، وأعتقد أن الشابين كانا هنا في قاعة المحكمة هذه لحضور جلسة تحديد كفالة، وتم تكبيلهما بالأصفاد عند مغادرة قاعة المحكمة وقادهما الحراس إلى أسفل الدرج الخلفي، فقفز السيد هيلي من الخزانة حاملًا بندقية أم-16. قُتلا وأصيب دي واين لوني بالرصاص وبتر قسم من ساقه".

"أين حدث هذا بالضبط؟".

"في الطابق السفلي هنا، عند المدخل الخلفي للمحكمة، حيث اختبأ السيد هيلي في خزانة مواد التنظيف، وبدأ بإطلاق النار حال خروجه منها".

"هل تعتقد أن هذا صحيح؟".

"أنا متأكد من أنّ ذلك صحيح".

"من أين علمت بكل هذا؟".

"لقد قرأت الصحف وسمعت الأقاويل في الصحف؛ يعلم الجميع بما حصل".

"أين سمعت الناس يتناقشون حول هذه الحادثة؟".

"في كل مكان: الحانات، والكنائس، والمصارف، ومحلات التنظيف، ومحلات الحلويات، والمقاهي، ومحلات بيع المشروبات الكحولية؛ في جميع أنحاء المدينة".

"هل تكلمت إلى أحد لم يعتقد أن السيد هيلي هو من قتل راي كوب وبيت ويلارد؟".

"لا، لن تجد شخصًا واحدًا في هذه المقاطعة يظن أنّه لم يفعلها".

"هل اتخذ معظم الناس هنا قرارهم بشأن جرمه أو براءته؟".

"نعم، كل فرد منهم، حيث لا يوجد من هم على الحياد في هذه المسألة. إنّه موضوع مهم، ولدى الجميع رأي حوله".

"هل يمكن للسيد هيلي الخضوع لمحاكمة عادلة في مقاطعة فورد برأيك؟".

"لا يا سيدي؛ لا يمكنك العثور على ثلاثة أشخاص في هذه المقاطعة التي يبلغ عدد سكانها ثلاثين ألفًا ممن لم يتخذوا قرارهم بعد بطريقة أو بأخرى؛ لقد تم الحكم على السيد هيلي بالفعل، ولا توجد طريقة للعثور على هيئة محلفين محايدة".

"شكرًا يا سيد فونر. ليس لدي المزيد من الأسئلة يا حضرة القاضي".

ربت باكلي على شعره، ومرر أصابعه على أذنيه للتأكد من أن كل شعرة في مكانها، ثم مشى إلى المنصة، ونادى بأسلوب أنيق: "سيد فونر، هل أصدرت أحكامك مسبقًا على كارل لي هيلي؟".

"اللعنة، بالطبع لقد فعلت".

قال نووز: "من فضلك، اختر كلماتك بعناية".

"وما هو حكمك؟".

"سيد باكلي، اسمح لي أن أشرح ذلك بهذه الطريقة، وسأفعل ذلك بحذر شديد وببطء حتى تفهمه؛ لم أكن لأعتقله لو أنني مأمور هذه المقاطعة، ولم أكن لأوجه التهم لو أنني أحد أعضاء هيئة المحلفين الكبرى، كما لم أكن لأحاكمه لو أنني القاضي، وما كنت لأقاضيه لو أنني المحامي العام، بل كنت سأصوت لمنحه مفتاح المدينة، وشهادة تكريم ليعلقها على جداره. لو كنت عضوًا في هيئة المحلفين لكنت سأرسله إلى منزله وعائلته. سيد باكلي، أتمنى أن يكون لديّ الشجاعة لفعل ما فعله إذا تعرضت ابنتي للاغتصاب".

"حسنًا، هل تعتقد أنّه يجب على الناس حمل السلاح وتسوية نزاعاتهم عبر تبادل إطلاق النار؟".

"أعتقد أن للأطفال الحق في عدم التعرض للاغتصاب، ولآبائهم الحق في حمايتهم. أعتقد أن الفتيات الصغيرات مميزات، وإذا قيّدت فتاتي بشجرة واغتصبها أحمقان، فأنا متأكد من أن ذلك سيجعلني أصاب بالجنون. أعتقد أنّه يجب أن يكون للآباء الطيبين والمحترمين حق دستوري في

إعدام أي منحرف يمس أطفالهم، وأعتقد أنك جبان كاذب عندما تدعي أنك لن ترغب في قتل الرجل الذي اغتصب ابنتك".

قال نووز: "من فضلك يا سيد فونر".

كافح باكلي ليتمكن من البقاء محافظًا على هدوئه ثمّ قال: "من الواضح أنك تتعاطف بقوة مع هذه القضية، أليس كذلك؟".

"أنت دقيق الملاحظة".

"وتريد رؤيته يبرأ، أليس كذلك؟".

"كنت لأدفع نقودًا لرؤية ذلك لو كان بحوزتي أي نقود".

"وتعتقد أنّه يتمتع بفرصة أفضل للتبرئة في مقاطعة أخرى، أليس كذلك؟".

"أعتقد أن من حقه الحصول على هيئة محلفين مكونة من أشخاص لا يعرفون كل شيء عن القضية قبل بدء المحاكمة".

"كنت لتقول إنه غير مذنب، أليس كذلك؟".

"صحيح".

"ولا شك أنك تحدثت إلى أشخاص آخرين يوافقونك الرأي؟".

"لقد تحدثت إلى كثيرين".

"هل هناك أشخاص في مقاطعة فورد سيصوتون لإدانته؟".

"بالطبع، هناك الكثير منهم، فهو أسود البشرة قبل كل شيء".

"في جميع النقاشات التي أجريتها في أنحاء المقاطعة، هل اكتشفت لأي حكم تميل الأغلبية؟".

"لا".

نظر باكلي إلى مفكرته القانونية، ودوّن ملاحظة.

"سيد فونر، هل جايك بريغانس صديق مقرب لك؟".

ابتسم هاري ريكس، ونظر صوب نووز ثمّ أجاب: "أنا محامٍ يا سيد باكلي، وعدد أصدقائي قليلون ويبعدون عني، لكن الجواب على سؤالك هو نعم، أنا صديق مقرب له".

"وطلب منك أن تأتي لتشهد؟".

"لا، لقد صادف أن مررت بقاعة المحكمة منذ لحظات قليلة وجلست هنا على هذا الكرسي. لم يكن لديّ فكرة أنكم ستعقدون جلسة استماع هذا الصباح".

ألقى باكلي مفكرته القانونية على الطاولة، وجلس؛ انتهت بذلك شهادة هاري ريكس.

أمر نووز قائلًا: "استدعِ شاهدك التالي".

قال جايك: "القس أولي آغي".

تم مرافقة القس من غرفة الشهود ليجلس على مقعد الشهود؛ لقد سبق لجايك أن التقى به في اليوم السابق في الكنيسة، وطرح عليه العديد من الأسئلة حيث أراد منه أن يشهد، ولم يتناقشا بموضوع محامي الرابطة الوطنية لتقدّم الملونين.

كان القس شاهدًا ممتازًا، فلم يحتج لأي ميكرفون لأن صدى صوته العميق والقوي تردد في شتى أرجاء قاعة المحكمة.

نعم، لقد عرف تفاصيل الاغتصاب وإطلاق النار، كان جميعهم أعضاء في كنيسته، وعرفهم منذ سنوات؛ لقد كانوا أشبه بأفراد العائلة الواحدة تقريبًا، وقد أمسك بأيديهم، وعانى معهم بعد حادثة الاغتصاب. نعم، لقد تحدث إلى عدد لا يحصى من الناس منذ الحادثة، وكان للجميع رأي في جرمه أو براءته، وكان هو واثنا وعشرون وزيرًا أسود آخرين أعضاء في المجلس، وتحدثوا جميعًا عن قضية هيلي. لا، لم يكن هناك أحد لم يصدر حكمه مسبقًا في مقاطعة فورد، كما لم يكن هناك إجراء محاكمة عادلة في مقاطعة فورد برأيه. سأل باكلي سؤالًا واحدًا: "أيها القس آغي، هل تحدثت إلى أي شخص أسود اللون من شأنه أن يصوت لإدانة كارل لي هيلي؟".

أجاب القس: "لا، لم أفعل".

تم إعفاء القس من الإدلاء بمزيد من الشهادة، وشغل مقعدًا في قاعة المحكمة بين اثنين من إخوته في المجلس.

قال نووز: "استدعِ شاهدك التالي".

ابتسم جايك وأعلن: "أريد استدعاء المأمور أوزي".

اقترب باكلي وموسغروف من بعضهما على الحال وتهامسا، وجلس أوزي إلى جانبهما؛ إلى جانب جهة القانون والنظام، وإلى جانب جهة الادعاء. لم تكن وظيفته مساعدة الدفاع، لذا فكّر باكلي في سره أن عليه أن يثبت أنّه لا يمكن الوثوق بالسود، فهم يتعاونون مع بعضهم عندما يعرفون أن أحدهم مذنب.

قاد جايك الحديث من خلال مناقشة الاغتصاب وخلفيّتَي كوب وويلارد. كان الأمر مملًا ومكررًا وأراد باكلي الاعتراض، لكنه أُحرج بما يكفي اليوم، وقد شعر جايك أن باكلي سيظل جالسًا على مقعده، لذلك ركّز على الاغتصاب والتفاصيل الدموية. أخيرًا، اكتفى نووز مما سمعه.

قال نووز: "من فضلك، امضِ قدمًا يا سيد بريغانس".

"نعم يا حضرة القاضي. المأمور وولز، هل أنت من اعتقل كارل لي هيلي؟".

"نعم".

"هل تعتقد أنّه قتل بيلي راي كوب وبيت ويلارد؟".

"نعم".

"هل التقيت بأي أحد في هذه المقاطعة لا يظن أنّه من أطلق النار؟".

"لا يا سيدي".

"هل يعتقد معظم من في المقاطعة أن السيد هيلي قتلهما".

"نعم، على الأقل جميع من تحدثت إليهم".

"أيها المأمور، هل تجول في أرجاء هذه المقاطعة؟".

"نعم يا سيدي؛ وظيفتي هي معرفة ما يجري".

"وأنت تتحدث إلى الكثير من الناس؟".

"أكثر مما أريد".

"هل صادفت شخصًا لم يسمع عن كارل لي هيلي؟".

توقف أوزي لبرهة وأجاب ببطء: "يجب أن يكون الشخص أصمَّ وابكمَ وأعمى حتى لا يعرف كارل لي هيلي".

"هل قابلت أي شخص لم يُبدِ رأيه في جرمه أو براءته؟".

"لا يوجد مثل هذا الشخص في هذه المقاطعة".

"هل يمكنه الحصول على محاكمة عادلة هنا؟".

"أنا لا أعرف ذلك، لكنني واثق من أنّه لا يمكنك العثور على اثني عشر شخصًا لا يعرفون كل شيء عن الاغتصاب وإطلاق النار".

قال جايك مخاطبًا نووز: "لا مزيد من الأسئلة".

سأل نووز: "هل هو شاهدك الأخير؟".

"نعم يا سيدي".

"هل تود استجوابه يا سيد باكلي؟".

هزّ باكلي رأسه ولم يبارح مكانه.

قال القاضي: "هذا جيد، دعونا نأخذ استراحة قصيرة. أود الاجتماع مع المحامين في غرفتي".

تعالت أصوات النقاشات في قاعة المحكمة في الوقت الذي نهض فيه نووز وتبعه المحامون والسيد بات عبر الباب بجانب المنصة.

أغلق نووز باب الغرفة، وخلع رداءه، ثم أحضر له السيد بات فنجانًا من القهوة السوداء.

صرح نووز قائلًا: "أيها السادة، أفكر في فرض أمر حظر النشر من الآن وحتى انتهاء المحاكمة. يزعجني الترويج الحالي، ولا أريد محاكمة هذه القضية من قبل الصحافة. هل هناك أي تعليقات؟".

بدا باكلي شاحبًا ومرتعدًا؛ فتح فمه لكنه لم يقل شيئًا.

قال جايك وبدا منزعجًا: "فكرة جيدة يا حضرة القاضي؛ كنت قد فكّرت في طلب مثل هذا الأمر".

"نعم، أنا متأكد من ذلك، لقد لاحظت تجنبك للإعلام بكل أشكاله، ماذا عنك يا سيد باكلي؟".

"على من سينطبق الأمر؟".

"أنت يا سيد باكلي، بالإضافة إلى السيد بريغانس، سيُطلب منكما عدم مناقشة أي جانب من جوانب القضية أو المحاكمة مع الصحافة، وسينطبق الأمر على الجميع، على الأقل كل شخص يعمل تحت أمر هذه المحكمة. المحامون، الكتبة، مسؤولو المحكمة والمأمور".

سأله باكلي: "ما غايتك من ذلك؟".

أجاب القاضي: "لم أحبَّ محاولتكما الترويج للقضية ولنفسيكما عبر وسائل الإعلام، فأنا لست أعمى؛ إنكما تتشاجران لتكون الأضواء مسلطة عليكما، ولا يمكنني إلّا أن أتخيل كيف ستكون المحاكمة؛ لا يمكنني القول سوى إنّها ستكون أشبه بالسيرك؛ ليست محاكمة، ولكن ستكون سيركًا من ثلاثة أطراف".

مشى نووز إلى النافذة، وغمغم بشيء إلى نفسه؛ توقف للحظة، ثمّ واصل الغمغمة. نظر المحامون إلى بعضهم، ثمّ نظروا إلى المشهد الغريب أمام النافذة.

قال القاضي: "أنا أفرض أمر حظر النشر على الفور، من الآن وحتى انتهاء المحاكمة، وسيؤدي انتهاك الأمر إلى ازدراء إجراءات المحكمة. لا يحق لأي منكما مناقشة أي جانب من جوانب هذه القضية مع أي صحفي، هل لديكما أي سؤال؟".

أجاب جايك بسرعة: "لا يا سيدي".

نظر باكلي إلى موسغروف وهزّ رأسه.

قال القاضي: "عودا الآن إلى جلسة الاستماع هذه. سيد باكلي، لقد قلت إن لديك أكثر من عشرين شاهدًا، فكم شاهدًا تحتاج بالفعل؟".

أجاب باكلي: "خمسة أو ستة".

"هذا أفضل بكثير. من هؤلاء؟".

"فلويد لويد".

"من هو؟".

"المشرف في الدائرة الأولى من مقاطعة فورد".

"ما هي شهادته؟".

"لقد عاش في هذه المقاطعة لمدة خمسين عامًا، وشغل هذا المنصب لمدة عشر سنوات أو نحو ذلك، وهو يرى أنه يمكن إجراء محاكمة عادلة في هذه المقاطعة".

قال نووز ساخرًا: "أفترض أنّه لم يسمع بهذه القضية من قبل؟".

"لست متأكدًا".

"من أيضًا؟".

"نايثان بيكر، وهو قاضي السلام في الدائرة الثالثة من مقاطعة فورد".

"هل سيدلي بالشهادة نفسها".

"حسنًا، نعم...".

"من أيضًا؟".

"إدغار لي بالدوين، المشرف السابق في مقاطعة فورد".

سأل جايك: "سبق له أن اتهم قبل سنوات، أليس كذلك؟".

احمرّ وجه باكلي بشكل لم يسبق لجايك أن رآه على هذا النحو، وفتح فمه الضخم ولمعت عيناه.

قال موسغروف: "لم يُدان".

"لم أقل إنّه أُدين؛ لقد قلت ببساطة إنّ الاتهام وجّه إليه من قبل الأف بي آي، أليس كذلك؟".

قال نووز: "هذا يكفي. بماذا سيخبرنا السيد بالدوين؟".

أجاب موسغروف: "لقد عاش هنا طوال حياته؛ إنّه يعرف سكان مقاطعة فورد، ويعتقد أن السيد هيلي يمكنه الحصول على محاكمة عادلة هنا".

ظل باكلي عاجزًا عن الكلام وهو يحدق إلى جايك.

سأل القاضي: "من أيضًا؟".

أجاب موسغروف: "المأمور هاري براينت من مقاطعة تايلر".

سأل القاضي: "المأمور براينت؟ ماذا سيقول؟".

أصبح موسغروف يتحدث نيابة عن الولاية الآن.

قال موسغروف: "حضرة القاضي، لدينا نظريتان نريد تقديمهما لمعارضة اقتراح تغيير المكان: أولًا، نؤكد أن المحاكمة العادلة ممكنة هنا في مقاطعة فورد، وثانيًا، إذا رأت المحكمة أن المحاكمة العادلة غير ممكنة هنا، تؤكد الولاية أن الدعاية الهائلة قد وصلت إلى كل محلف محتمل في هذه الولاية، فهناك نفس الأحكام المسبقة والآراء المؤيدة والمعارضة الموجودة في هذه المقاطعة في كل مقاطعة أخرى. لذلك، لن يتم كسب أي شيء من خلال نقل مكان المحاكمة؛ لدينا شهود يؤيدون نظريتنا الثانية".

"سيد موسغروف، هذا مفهوم جديد، ولا أظن أنّه سبق لي أن سمعت به".

أضاف جايك: "ولا أنا".

سأل القاضي مجددًا: "من لديك أيضًا؟".

"روبرت كيلي ويليامز، المحامي العام للمنطقة التاسعة".

"أين تقع؟".

"في الطرف الجنوبي الغربي للولاية".

"هل قطع كل هذه المسافة إلى هنا ليشهد أن كل شخص يعيش في منطقته من الغابات لديه حكم مسبق على القضية؟".

"نعم يا سيدي".

"من أيضاً؟".

"غرادي ليستون، المحامي العام في المنطقة الرابعة عشر".

"سيدلي بالشهادة نفسها؟".

"نعم يا سيدي".

"هل هذا كل شيء؟".

"حسنًا، لدينا المزيد يا حضرة القاضي، وستكون شهاداتهم مشابهة إلى حدّ كبير لشهادات الآخرين".

"جيد، إذًا يمكننا قصر إثباتك على هؤلاء الشهود الستة؟".

"نعم يا سيدي".

"سوف أسمع دليلك؛ سأسمح لكل واحد منكما بخمس دقائق لاختتام مرافعاته، وسأبت في هذا الاقتراح في غضون أسبوعين. هل من أسئلة؟".

23

إنّ تجنّبَ الصحفيين أمر مؤلم، فقد تبعوا جايك عبر شارع واشنطن، حيث اعتذر عن الإدلاء بأي معلومة، ولم يقدم أي تعليق، ثمّ دخل إلى مكتبه. شق مصور من جريدة نيوز ويك طريقه إلى الداخل بجرأة وسأل إن كان جايك سيوافق على التقاط صور له؛ أراد واحدة من تلك الصور حيث يقف الشخص بمظهر صارم وتظهر في الخلفية المجلدات السميكة، فقوّم جايك ربطة عنقه وتقدم المصور إلى غرفة الاجتماعات، حيث وقف بصمت ولم يدلِ بأي تصريح بأمر من المحكمة، فشكره المصور وغادر.

سألت إثيل بأدب بينما كان رئيسها يتجه نحو السلم: "هل لي ببضع دقائق من وقتك؟".

أجابها: "بالتأكيد".

"لِمَ لا تجلس حتى يتثنى لنا التحدث؟".

فكّر جايك إن قررت أخيرًا أن تستقيل، في الوقت الذي كان يجلس فيه بجوار النافذة الأمامية.

"ما الذي تفكرين به؟".

"النقود".

"أنت السكرتيرة القانونية الأعلى أجرًا في المدينة؛ لقد حصلت على علاوة قبل ثلاثة أشهر".

"من فضلك، أصغِ إليّ، فأنا لا أتكلم عن نقودي؛ ليس لديك ما يكفي في المصرف لدفع فواتير هذا الشهر. لقد انتهى شهر حزيران تقريبًا، ولم يتجاوز دخل المكتب السبعمئة دولار".

أغمض جايك عينيه، وفرك جبهته.

قالت وهي تلوح بكومة من الفواتير: "انظر إلى هذه الفواتير؛ إنّ مجموعها يبلغ أربعة آلاف دولار، فكيف يفترض بي أن أدفع كل هذه؟".

"كم لدينا في المصرف؟".

"مئة وعشرون دولارًا منذ الجمعة، ولم يدخل شيء إلى الحساب هذا الصباح".

"لا شيء؟".

"ولا حتى بنسًا واحدًا".

"وماذا عن التسوية في قضية ليفورد؟ تبلغ رسوم أتعابها ثلاثة آلاف دولار".

هزت إثيل رأسها وقالت: "سيد بريغانس، لم يغلق هذا الملف بعد؛ لم يوقع السيد ليفورد على الإفراج، لقد وجب عليك أن تخرجه إلى منزله قبل ثلاثة أسابيع. هل تذكر ذلك؟".

"لا، لا أذكر".

"ماذا عن وكيل باك بريت؟ هذه ألف دولار أخرى".

"لقد رُفض سنده المصرفي؛ أعاده المصرف إلينا ولا يزال قابعًا على مكتبك منذ أسبوعين".

توقفت إيثل عن الكلام، وتنفست بعمق ثمّ قالت: "لقد توقفت عن رؤية الموكلين، حتى إنّك لم تعد ترد على المكالمات الهاتفية...".

أجابها: "لا تلقي عليّ محاضرة يا إثيل".

"وأنت متأخر شهر عن دفع جميع الفواتير".

"كفى".

"هذا كل ما تفكر به منذ أن توليت قضية هيلي، سيدمرنا هوسك بها".

"سوف أدمركم. كم عدد الرواتب التي لم يتم دفعها بعد يا إيثل؟ كم عدد هذه الفواتير التي فات موعد استحقاقها؟".

"كثيرة".

"لكن ليس أكثر من المعتاد، أليس كذلك؟".

"نعم، ولكن ماذا عن الشهر المقبل؟ لا نزال على بعد أربعة أسابيع من المحاكمة".

"اسكتي يا إيثل، اسكتي وحسب. استقيلي إن لم تعودي قادرة على تحمل الضغط. أنت مطرودة إذا لم تتمكني من إغلاق فمك".

"سوف يفرحك طردي، أليس كذلك؟".

"لا يهمني الأمر".

كانت امرأة قاسية وصعبة؛ لقد قسّاها العمل لمدة أربعة عشر عامًا مع لوسيان وصلب ضميرها، لكنها تبقى امرأة رغم ذلك، وفي هذه اللحظة، بدأت شفتها ترتعش وعيناها تدمعان.

أسقطت رأسها وتمتمت: "أنا آسفة. أنا قلقة وحسب".

"ما الذي تقلقين بشأنه؟".

"أنا قلقة بشأني وشأن بود".

"ما مشكلة بود؟".

"إنه رجل مريض جدًا".

"أعلم ذلك".

"يستمر ضغط دمه في الارتفاع، خاصة بعد تلقيه لتلك المكالمات الهاتفية؛ لقد تعرض لثلاث سكتات دماغية خلال خمس سنوات، ومن المتوقع أن يتعرض لسكتة أخرى. إنه يشعر بالخوف؛ نحن خائفان".

"كم عدد المكالمات الهاتفية؟".

"كثيرة... يهددون بحرق منزلنا أو تفجيره، ويخبروننا دائمًا أنّهم يعرفون أين نعيش، وأنهم سوف يحرقونه أو يفجرونه بالديناميت أثناء نومنا إذا نال هيلي البراءة، كما هدد بعضهم بقتلنا؛ لا يستحق الأمر كل هذه التضحية".

"ربما يجب عليك الاستقالة".

"ونموت جوعًا؟ أنت تعلم أن بود لم يعمل منذ عشر سنوات، فأين يسعني العمل في مكان آخر؟".

"اسمعي يا إثيل، لقد تلقيت بدوري التهديدات، لكنّني لم آخذها على محمل الجد. لقد وعدت كارلا بأنني سأتخلى عن القضية قبل أن أعرض عائلتي للخطر، ويجب أن تشعري بالارتياح حيال ذلك. أريد منك ومن بود أن تشعرا بالراحة والأمان، فليست التهديدات خطيرة. هناك الكثير من المجانين في عالمنا".

"وهذا ما يقلقني؛ فالناس مجانين بما يكفي لفعل شيء من هذا القبيل".

"لا، أنت تقلقين كثيرًا وحسب. سأخبر أوزي أن يراقب منزلك عن كثب".

"هل ستطلب منه ذلك بالفعل؟".

"بالتأكيد، لقد راقب رجال الأمن منزلي في الآونة الأخيرة. خذي كلامي على محمل الجد يا إيثل، ليس هناك ما يدعو للقلق، فلعلهم مجرد شباب طائشون".

مسحت عينيها وقالت: "أنا آسفة على بكائي، وأنا آسفة لأنني أصبحت سريعة الانفعال مؤخرًا".

فكّر جايك في نفسه قائلًا: لقد كانت سريعة الانفعال طوال أربعين عامًا.

"لا عليك".

سألت مشيرة إلى الفواتير: "ماذا بشأن هذه؟".

"سأتدبر أمر المال، فلا تقلقي بشأنها".

أنهى ويلي هاستينغز مناوبة العمل الثانية عند الساعة العاشرة مساءً، وسجل وقت خروجه على الساعة بجانب مكتب أوزي، ثم توجه مباشرة إلى منزل هيلي؛ كان سينام تلك الليلة على الأريكة، إذ كان ينام شخص على أريكة غوين كل ليلة؛ أخ أو ابن عم أو صديق، وكان دوره ليلة الأربعاء.

استحال عليه النوم والمصابيح منارة، إذ رفضت تونيا الاقتراب من السرير ما لم يكن كل مصباح في المنزل مضاءً؛ فقد يأتي الرجلان الشريران في الظلام وينتظران قدومها؛ لقد رأتهما عدة مرات يزحفان على الأرض نحو سريرها، ويترصدان في الخزانات. سمعت صوتيهما خارج نافذتها، ورأت أعينهما المحتقنة بالدم تحدق إلى الداخل مراقبة إياها وهي تستعد للنوم، لقد سمعت ضوضاء في العلية مثل وقع خطوات أحذية رعاة البقر الضخمة. علمت أنّهما كانا هناك، ينتظران أن ينام الجميع حتى يتمكنا من النزول وإعادتها إلى الغابة. لقد صعدت والدتها وشقيقها الأكبر السلم القابل للطي مرة في الأسبوع وتفحصا العلية، وحملا معهما مصباحًا يدويًا ومسدسًا. لم تتمكن من النوم حتى لو بقيت غرفة واحدة مظلمة في المنزل. ذات ليلة، احترق المصباح في البهو عندما كانت والدتها تستلقي إلى جانبها، فصرخت بصوت عالٍ حتى توجه شقيق غوين بالسيارة إلى كلانتون إلى متجر تسوق سريع يظل يعمل طوال الليل للحصول على مزيد من المصابيح. نامت قرب والدتها التي احتضنتها بحزم لساعات حتى تلاشت الشياطين في الليل وذهبت بعيدًا. في البداية، واجهت غوين مشكلة مع المصابيح المنارة، ولكنها أصبحت تنام بعمق بعد مرور خمسة أسابيع. كان جسد صغيرتها يرتعش أثناء النوم.

تمنى ويلي للأولاد ليلة سعيدة وقبّل تونيا، لقد أظهر لها مسدسه ووعدها بالبقاء مستيقظًا على الأريكة، وسار في المنزل وتفقد الخزائن، ثم استلقت تونيا بجانب والدتها عندما شعرت بالرضا وحدقت إلى السقف.

بكت بكل بهدوء.

قرابة منتصف الليل، خلع ويلي حذاءه، واسترخى على الأريكة، ثم نزع الحافظة ووضع المسدس على الأرض. كاد أن ينام عندما سمع صوت صراخ؛ كانت صرخة مروعة شديدة لطفل يتعرض للتعذيب، فأمسك مسدسه وركض إلى غرفة النوم حيث جلست تونيا على السرير مواجهة الحائط وهي تصرخ وترتجف؛ لقد رأتهما ينتظرانها خارج النافذة؛ عانقتها غوين، وركض الأولاد الثلاثة إلى حافة السرير وهم يراقبون باستغراب. ذهب كارل لي الابن إلى النافذة ولم يرَ شيئًا؛ لقد

مروا بمثل هذه الحوادث عدة مرات في الأسابيع الخمسة الماضية، وعرفوا أنّهم لا يستطيعون القيام بشيء حيال الأمر. هدأتها غوين، ووضعت رأسها برفق على الوسادة.

قالت غوين: "لا بأس يا حبيبتي، أمك هنا والعم ويلي هنا. لن يتمكن أحد من أخذك منا. لا بأس يا صغيرتي".

أرادت أن يجلس العم ويلي تحت النافذة حاملًا مسدسه وأن ينام الأولاد على الأرض حول السرير، فاتخذ الجميع مواقعهم بحسب ما طلبت، وبقيت تئن للحظات، ثمّ هدأت ونامت.

جلس ويلي على الأرض بجانب النافذة حتى ناموا جميعًا، ثم حمل الأولاد واحدًا تلو الآخر إلى أسرتهم ووضعهم فيها، ثم جلس تحت نافذتها، وانتظر طلوع شمس الصباح.

التقى جايك وأتكافيدج لتناول طعام الغداء في مطعم كلود يوم الجمعة.

طلبا الأضلاع وسلطة الكرنب؛ كان المكان ممتلئًا كالعادة، وللمرة الأولى منذ أربعة أسابيع، لم تكن هناك وجوه غريبة، وتحدث الزبائن المعتادون وثرثروا مثل الأيام الخوالي. كان كلود في حالة جيدة، يصرخ ويوبخ ويشتم زبائنه المخلصين.

كان كلود أحد أولئك الأشخاص النادرين الذين يمكنهم شتم الرجل وجعله يضحك في الوقت ذاته.

شاهد أتكافيدج جلسة الاستماع، وجهّز نفسه للشهادة إن احتاج الأمر، لكن المصرف لم يشجع على الإدلاء بشهادته، ولم يرغب جايك في إثارة المشاكل. لدى المصرفيين خوف فطري من قاعات المحاكم، ولكن جايك أُعجب بصديقه لتجاوزه هذا الخوف وحضور الجلسة، وبذلك، أصبح أول مصرفي في تاريخ مقاطعة فورد يظهر طوعًا في قاعة المحكمة دون أمر استدعاء أثناء انعقاد الجلسة، وهذا ما أشعر جايك بالفخر.

مر كلود بسرعة، وقال لهما إنّه بقي لديهما عشر دقائق فقط، لذا عليهما الصمت وتناول الطعام، فأنهى جايك أحد الأضلاع، ومسح فمه ثمّ قال: "اسمع يا ستان، بالحديث عن القروض، أحتاج إلى اقتراض خمسة آلاف لمدة تسعين يومًا، من دون ضمان".

"من ذكر موضوع القروض؟".

"اعتقدت أننا كنا ندين باكلي، وكنت أستمتع بالحديث".

"لا يجدر بك الانتقاد يا ستان. يسهل اكتساب هذه العادة، ويستحيل التخلص منها. إنّها تسلب روحك الشخصية".

"أنا آسف للغاية. هل ستتمكن من مسامحتي يومًا ما؟".

"ماذا عن القرض؟".

"حسنًا، لماذا تحتاج إليه؟".

"ما يهمك؟".

"ماذا تقصد بقولك، ما يهمك؟".

"اسمع يا ستان، كل ما عليك القلق بشأنه هو ما إذا كان بإمكاني سداد المبلغ في تسعين يومًا أم لا".

"حسنًا، هل يمكنك سداد المبلغ في تسعين يومًا؟".

"هذا سؤال جيد؛ بالطبع أستطيع".

ابتسم المصرفي وقال: "أوقعتك قضية هيلي في مأزق مادي، أليس كذلك".

ابتسم المحامي واعترف قائلًا: "نعم، يصعب التركيز على أي شيء آخر على بعد ثلاثة أسابيع من يوم الاثنين، ولن أركز على أي شيء آخر ذلك الحين".

"كم ستجني من هذه القضية؟".

"تسعمئة ناقص مئة".

"تسعمئة دولار".

"نعم، ألا تذكر أنّك لم تقرضه مالًا بضمان أرضه".

"يا لها من حيلة رخيصة!".

"لكن بالطبع، إذا أقرضت كارل لي المال على أرضه، فلن أضطر إلى اقتراض شيء منك".

"أنا أفضل إقراضك أنت".

"هذا رائع، متى يمكنني الحصول على شيك؟".

"يبدو أنك يائس".

"أعرف المدة التي تستغرقونها يا رفاق، وكيفية سير الأمور مع لجان القروض ومراجعي الحسابات ونواب الرئيس هنا ونواب الرئيس هناك، إذا ذُكر في الدليل أن ذلك ممكن وكان المسؤول عن المكتب الرئيسي في الحالة المزاجية المناسبة، وربما يوافق نائب الرئيس أخيرًا على قرضي في غضون شهر أو نحو ذلك".

نظر أتكافيدج إلى ساعته وقال: "هل الساعة الثالثة مناسبة؟".

"أعتقد ذلك".

"غير مكفول بضمانات؟".

مسح جايك فمه، وانحنى عبر الطاولة، ثمّ تحدث بهدوء: "أتذكر أن بيتي هو معلم بارز برهون عقارية تاريخية، ولديك امتياز على سيارتي؟ سأمنحك أول قرض عقاري على ابنتي، لكنّني سوف أقتلك إذا حاولت حبس الرهن. الآن ما هو نوع الضمان الذي تفكر به؟".

"أعتذر لأنني سألت".

"متى يمكنني الحصول على الشيك؟".

"عند الساعة الثالثة بعد الظهر".

ظهر كلود، وأعاد ملء كوبي الشاي، ثم قال بصوت عالٍ: "لديكما خمس دقائق".

أجاب جايك: "ثمانية دقائق رجاء".

قال كلود بابتسامة: "اسمع أيها السيد، هذه ليست قاعة محكمة، ولا تساوي صورتك في الصحيفة سنتين هنا. قلت لديكما خمس دقائق فقط".

"حسنًا، كانت الأضلاع قاسية على أي حال".

"ألاحظ أنك لم تترك شيئًا".

"بالطبع سوف آكلها، فهي ليست رخيصة الثمن".

"سوف تكلفك أكثر من ذلك إن اشتكيت".

قال أتكافيدج وهو يقف وقد ألقى دولارًا على الطاولة: "نحن ذاهبان".

بعد ظهر الأحد، ذهب أفراد عائلة هيلي إلى السجن، وجلسوا تحت الشجرة بعيدًا عن العنف تحت مرمى كرة السلة. كانت قد جاءت موجة الحر الأولى لهذا الصيف، وعلقت الرطوبة الثقيلة اللزجة على الأرض وخيمت في الظل. أبعدت غوين الذباب بينما أكل الأولاد وأبوهم الدجاج المقلي وتعرقوا. أكل الأولاد على عجل، وركضوا إلى أرجوحة جديدة وضعها أوزي لأولاد زملائه.

سألت غوين: "ماذا فعلوا في ويتفيلد؟".

"لا شيء حقًا؛ لقد طرحوا مجموعة من الأسئلة، وأجبروني على إجراء بعض الاختبارات. بعض الهراء ليس أكثر".

"كيف عاملوك؟".

"قيدوني بأصفاد ووضعوني داخل غرفة ذات جدران مبطنة".

"وضعوك في غرفة ذات جدران مبطنة؟"، استمتعت غوين بالحديث وضحكت بخفة بضع مرات.

"نعم، كانوا يراقبونني وكأنني حيوان، وقالوا إنني مشهور. لقد قال لي حارساي إنّهما فخوران بي؛ كان أحدهما أبيض والآخر أسود؛ قالا إنني فعلت الشيء الصحيح وكانا يأملان ألّا أدان. لقد كانا في غاية اللطف".

"ماذا قال الأطباء؟".

"لن يقولوا شيئًا قبل موعد المحاكمة، وسيقولون حينها إنني بخير".

"كيف تعرف ماذا سيقولون؟".

"أخبرني جايك بذلك، ولم يخطئ بشيء حتى الآن".

"هل وجد لك طبيبا؟".

"نعم، وجد مخمورًا مجنونًا في مكان ما وأخبرني أنّه طبيب نفسي؛ لقد تحدثنا عدة مرات في مكتب أوزي".

"ماذا قال لك؟".

"لم يقل الكثير. قال جايك إنّه سيقول ما سنطلب منه قوله".

"لا بد أنّه طبيب جيد بالفعل".

"كان لينسجم تمامًا مع أولئك الناس في ويتفيلد".

"من أين هو؟".

"أعتقد أنه من جاكسون، لم يكن واثقًا من أي شيء؛ لقد تصرف كما لو كنت سأقتله أيضًا. أقسم إنّه كان مخمورًا في المرتين اللتين تحدثنا فيهما معًا، إذ طرح بعض الأسئلة التي لم يفهمها أحد منا، وأخذ بعض الملاحظات وكأنه طبيب مهم، وقال إنّه يعتقد أنّه يمكن أن يساعدني. سألت جايك عنه، فأجابني أنّه لا داعي للقلق، لأنه سيكون رصينًا في المحاكمة؛ لكنني أعتقد أن جايك قلق أيضًا".

"لماذا سنستعين بخدماته؟".

"يدين لأحدهم ببعض الخدمات، ولذلك سوف يعمل بالمجان. يكلف الطبيب النفسي أكثر من ألف دولار لمجرد تقييم حالتي العقلية، ثمّ هناك ألف دولار أخرى أو نحو ذلك للشهادة في المحاكمة. باختصار، إنّه أرخص مَن أمكننا العثور عليه. وغني عن القول؛ أنا لا يمكنني الدفع".

اختفت الابتسامة عن وجه غوين، ونظرت بعيدًا، ثم قالت دون أن تنظر إليه: "نحن بحاجة إلى بعض المال لأجل المنزل".

"ما هو المبلغ الذي تحتاجين إليه؟".

"عدة مئات من الدولارات من أجل البقالة وتسديد الفواتير".

"كم جمعتِ من النقود حتى الآن؟".

"أقل من خمسين دولارًا".

"سأرى كيف يمكنني أن أتدبر الأمر".

نظرت إليه وسألته: "ماذا يعني ذلك؟ ما الذي يجعلك تعتقد أنّه يمكنك الحصول على المال أثناء وجودك في السجن؟".

رفع كارل لي حاجبيه وأشار إلى زوجته؛ لم يكن ليسمح لها باستجوابه. صحيح أنّه مسجون، ولكنه لا يزال رب هذه العائلة والمعيل الأساسي لها.

همست: "أنا آسفة".

24

نظر القس آغي من خلال صدع في إحدى النوافذ الزجاجية الضخمة في كنيسته، وراقب بارتياح وصول سيارات من نوع كاديلاك ولنكولن نظيفة قبل الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الأحد. لقد دعا إلى اجتماع للمجلس لتقييم وضع هيلي ووضع استراتيجية التخطيط للأسابيع الثلاثة الأخيرة قبل المحاكمة، والتحضير لوصول محامي الرابطة الوطنية لتقدم الملونين. لقد سارت اجتماعات التبرع الأسبوعية بشكل جيد؛ لقد تم جمع أكثر من سبعة آلاف دولار في جميع أنحاء المقاطعة وإيداع ما يقارب الستة آلاف دولار من قبل القس في حساب خاص لصندوق الدفاع القانوني التابع لكارل لي هيلي، لكن لم يتم تسليم أي منهما للعائلة. انتظر آغي وصول محامي اللجنة الوطنية للدفاع عن الأشخاص الملونين لوضع التوجيهات المناسبة لإنفاق الأموال، والتي اعتقد أن معظمها يجب أن يذهب إلى صندوق الدفاع، إذ يمكن للراهبات في الكنيسة إطعام أفراد الأسرة إذا شعروا بالجوع؛ لقد احتاجوا لصرف هذه الأموال في مكان آخر.

تحدث المجلس عن طرق لجمع المزيد من الأموال؛ لم يكن من السهل جمع المال من الفقراء، لكن كانت القضية ساخنة والوقت مناسبًا، وإذا لم يجمعوا المال المطلوب الآن، فلن يتمكنوا من جمعه قط، فاتفقوا على الاجتماع في اليوم التالي في كنيسة سبرينغديل في كلانتون، وكان من المتوقع وصول أفراد للجنة الوطنية للدفاع عن الأشخاص الملونين إلى المدينة بحلول الصباح، ومُنع وجود أي صحفيين؛ كان من المقرر أن تكون جلسة عمل.

بلغ نورمان راينفيلد من العمر ثلاثين عامًا وكان عبقريًا في القانون الجنائي وحمل الرقم القياسي لإنهائه كلية الحقوق في جامعة هارفارد في سن الحادية والعشرين، ورفض بعد التخرج عرضًا سخيًا للانضمام إلى شركة المحاماة المرموقة التي تناوب على إدارتها جده ووالده في وول

ستريت، واختار بدلًا من ذلك تولي وظيفة في الرابطة الوطنية لتقدم الملونين وأمضى وقته يكافح بضراوة لإبقاء السود الجنوبيين خارج صفوف الإعدام. لقد برع في ما فعله، لكنه لم يكن ناجحًا للغاية رغم تفاديه لجميع أنواع الأخطاء. استحق معظم السود الجنوبيين بالإضافة إلى معظم البيض الجنوبيين غرفة الإعدام بالغاز، لكن راينفيلد وفريقه من المتخصصين في الدفاع عن جرائم القتل العمد ربحوا أكثر من نصيبهم، وقد تمكنوا عادة من إبقاء المدانين على قيد الحياة في القضايا التي خسروها من خلال المرور بعدد لا يحصى من التأجيلات والاستئنافات المرهقة، وقد أُعدم أربعة من موكليهم السابقين إما بالغاز أو على الكرسي الكهربائي أو بالحقن، وكان هذا عددًا كبيرًا جدًا بالنسبة إلى راينفيلد. لقد شاهدهم جميعًا وهم يموتون، وجدد مع كل إعدام تعهده بخرق أي قانون، أو انتهاك أي خُلق، أو ازدراء أي محكمة، أو عدم احترام أي قاض، أو تجاهل قانون أي ولاية، أو القيام بكل ما يلزم لمنع إنسان من قتل آخر بشكل قانوني. لم يقلق كثيرًا بشأن عمليات القتل غير القانونية للبشر، مثل عمليات القتل تلك التي نفذها الوكلاء بمهارة وعنف. لم يكن من شأنه التفكير في عمليات القتل تلك، ولذلك لم يفعل، وبدلًا من ذلك، عبّر عن غضبه النزيه وحماسته في جرائم القتل القانونية.

نادرًا ما تمكن من النوم لأكثر من ثلاث ساعات في الليلة؛ كان النوم صعبًا بوجود 31 موكلًا حُكم عليهم بالإعدام، بالإضافة إلى سبعة عشر موكلًا ينتظرون المحاكمة، هذا إضافة إلى وجود ثمانية محامين مغترين للإشراف. يبلغ من العمر ثلاثين عامًا، لكنه يبدو وكأنه في الخامسة والأربعين؛ كان عجوزًا، وقحًا، وحاد المزاج.

بقي مشغولًا للغاية في عمله المعتاد بحيث لم يتمكن من حضور اجتماع للقساوسة السود المحليين في كلانتون، ميسيسيبي، لكن هذه لم تكن حالة اعتيادية، بل كانت قضية هيلي.

الأب الذي دُفع للانتقام؛ أشهر قضية جنائية في الولاية في الوقت الحالي. كانت هذه ولاية ميسيسيبي، حيث أطلق البيض النار على السود لسنوات بسبب أو من دون سبب حتى ولم يهتم أحد؛ حيث إن اغتصاب البيض للسود اعتبر رياضة؛ وقد تم شنق السود لدفاعهم عن أنفسهم. والآن، قتل أب أسود شابين أبيضين كانا قد اغتصبا ابنته، وهو يستعد لمواجهة الحكم بالإعدام في غرفة الغاز لشيء كان سيختفي دون أن يلاحظه أحد قبل ثلاثين عامًا على الأقل لو كان أبيض. كان هذا هو الحال في قضيته، وقرر التعامل معها شخصيًا.

اصطُحِب يوم الاثنين إلى المجلس من قبل القس آغي، الذي افتتح الاجتماع بمراجعة مطولة ومفصلة للأنشطة في مقاطعة فورد، وألقى راينفيلد خطابًا موجزًا. كان اجتماع اليوم ضروريًا بسبب عدم تمكنه هو وفريقه من تمثيل السيد هيلي لأنّه لم يوكلهم. استقل الطائرة من ممفيس ظهرًا، لذا أرادوا الاجتماع اليوم أو في صباح الغد على أبعد تقدير. تم طلبه لحضور محاكمة جريمة قتل في مكان ما في جورجيا، فوعد القس آغي بترتيب لقاء مع المدعى عليه في أقرب وقت ممكن؛ لقد كانت تجمعه صداقة وثيقة مع المأمور.

سأل راينفيلد: "حسنًا، أنجز المطلوب وحسب، كم جمعت من المال؟".

أجاب آغي: "خمسة عشر ألف دولار من طرفكم".

"أعلم ذلك. أريد معرفة قدر التبرعات من السكان المحليين".

قال آغي بفخر: "ستة آلاف دولار".

سأل راينفيلد: "ستة آلاف دولار؟ هل هذا كل شيء؟ اعتقدتُ أنكم منظمون. أين ذهب كل هذا الدعم المحلي الذي كنت تتحدث عنه؟ ستة آلاف؟ كم يمكنك أن تجمع أكثر؟ لدينا ثلاثة أسابيع فقط"، التزم أعضاء المجلس الصمت؛ كان هذا اليهودي شديد الجرأة، وكان الرجل الأبيض الوحيد في المجموعة وهو من باشر في الهجوم.

سأله آغي: "ما هو المبلغ الذي نحتاج إليه؟".

أجاب راينفيلد: "أيها القس، هذا يعتمد على مدى جودة الدفاع الذي تريد توكيله للسيد هيلي. لديّ ثمانية محامين آخرين فقط من بين طاقمي؛ خمسة منهم مشغولون بحضور محاكمات قيد هذه اللحظة؛ لدينا 31 إدانة بجريمة قتل في مراحل مختلفة من الاستئناف، ولدينا سبع عشرة محاكمة مجدولة في عشر ولايات خلال الأشهر الخمسة المقبلة. نتلقى عشرة طلبات كل أسبوع لتمثيل المدعى عليهم، وقد رفضنا ثمانية منها لأننا ببساطة لا نملك المحامين أو المال الكافي. بالنسبة إلى السيد هيلي، لقد تم المساهمة بخمسة عشر ألفًا من فرعين محليين والمكتب الرئيسي، وأنت تخبرني الآن إنّه جُمِع مبلغ ستة آلاف دولار فقط من السكان المحليين، مما يجعل الناتج واحدًا وعشرين ألف دولار. ستحصل بهذا المبلغ على أفضل دفاع يمكننا توفيره لك؛ ستحصل على محاميَين، وطبيب نفسي واحد على الأقل، لكن لا أكثر. يمكننا الحصول بواحد وعشرين ألف دولار على دفاع جيد، لكن ليس بجودة ما كان يدور في ذهني".

"ما الذي يدور في ذهنك بالضبط؟".

"على سبيل المثال، أريد دفاعًا من الدرجة الأولى، ويشمل ذلك ثلاثة أو أربعة محامين، ومجموعة من الأطباء النفسيين، والكثير من المحققين، بالإضافة إلى عالم نفس ضمن هيئة المحلفين. أريد الفوز، فهذه ليست قضية قتل عادية. لقد جعلتني أعتقد أنكم تريدون الفوز".

سأله آغي: "ما هو المبلغ المطلوب؟".

أجاب راينفيلد: "خمسون ألف دولار كحد أدنى. سيكون من الرائع إن تمكنّا من الحصول على مئة ألف دولار".

"اسمع يا سيد راينفيلد، أنت في ميسيسيبي وشعبنا فقير؛ لقد قُدّمَت تبرعات سخية حتى الآن، وليس هناك أي طريقة يمكننا بها جمع ثلاثين ألف دولار أخرى هنا".

عدّل راينفيلد نظارته ذات الإطار السميك، وحك لحيته الرمادية، ثمّ سأل: "ما هو المبلغ الإضافي الذي يمكنك أن تجمعه؟".

"ربما خمسة آلاف أخرى".

"هذا ليس مالًا كثيرًا".

"ليس بالنسبة إليك، ولكنه كذلك بالنسبة إلى الشعب الأسود في مقاطعة فورد".

حدّق راينفيلد إلى الأرضية وواصل حك لحيته، ثم سأل: "بكم تبرع الفرع المحلي في ممفيس؟".

أجاب أحدهم من ممفيس: "خمسة آلاف".

"أتلانتا؟".

"خمسة آلاف".

"ماذا عن فرع الولاية؟".

"أي ولاية؟".

"ميسيسيبي".

"لا شيء".

"لا شيء؟".

"لا".

"لِمَ لا؟".

أجاب آغي مشيرًا إلى مدير الولاية، القس هنري هيلمان: "اسأله".

قال هيلمان بصوت واهن: "نحن نحاول جمع بعض المال الآن".

سأل آغي: "ولكن كم جمعت حتى الآن؟".

"حسنًا، لقد جمعنا...".

قال آغي بصوت عالٍ: "لا شيء، أليس كذلك؟ أنت لم تجمع شيئًا، أليس كذلك يا هيلمان؟ هيا أخبرنا كم جمعت".

تكلم القس روزفلت، نائب رئيس المجلس، وذُهل هيلمان وعجز عن الكلام، ثم جلس بهدوء على مقعد في الصف الأمامي يهتم بشؤونه الخاصة، نصف نائم أثناء تعرضه المفاجئ للهجوم".

"سيساهم فرع الولاية".

"بالطبع ستفعلون يا هيلمان. أنتم أيها الشعب في الولاية دائمًا ما تدعوننا نحن المواطنين المحليين للمساهمة هنا والتبرع هناك من أجل هذه القضية وتلك القضية، ولا نرى أبدًا أي أموال أو تبرعات من طرفكم. لا تكفون عن الادعاء بأنكم مفلسون، ونحن دائمًا نرسل الأموال إلى الولاية، ولكنكم لا تفعلون شيئًا عندما نحتاج إلى المساعدة سوى الحضور إلى هنا والتحدث".

"هذا ليس صحيحًا".

"لا تبدأ بالكذب يا هيلمان".

شعر راينفيلد بالحرج، وأدرك على الفور أن وترًا حساسًا قد ضُرب، لذا قال بطريقة دبلوماسية: "أيها السادة، دعونا ننتقل إلى موضوع آخر".

قال هيلمان: "هذه فكرة جيدة".

سأل راينفيلد: "متى يمكننا مقابلة السيد هيلي؟".

أجاب آغي: "سأرتب لقاء في الصباح".

أين يمكن أن نلتقي؟".

"أقترح أن نلتقي في مكتب المأمور وولز في السجن. كما تعلم إنّه المأمور الأسود الوحيد في ولاية ميسيسيبي".

"نعم، لقد سمعت بذلك".

"أعتقد أنّه سيسمح لنا بالاجتماع في مكتبه".

"جيد. من هو محامي السيد هيلي؟".

"أحد الشبان المحليين اسمه جايك بريغانس".

"تأكد من أن تتم دعوته، سنطلب منه مساعدتنا في هذه القضية؛ سيخفف ذلك علينا العبء".

كسر صوت إثيل البغيض وعالي النبرة الهدوء الذي ساد في وقت متأخر من بعد الظهر وأذهل رئيسها الذي قالت له عبر نظام الاتصال الداخلي: "سيد بريغانس، المأمور وولز على الخط الثاني".

"حسنًا".

"هل تحتاج شيئًا آخر يا سيدي؟".

"لا، سأراك في الصباح".

ضغط جايك على زر الخط الثاني: "مرحبًا يا أوزي، ما أخبارك؟".

"استمع إليّ يا جايك، لدينا مجموعة من الرجال المهمين التابعين للرابطة الوطنية لتقدم الملونين في الولاية".

"ما الجديد في ذلك؟".

"لا، هذا مختلف؛ فهم يريدون لقاء كارل لي في الصباح".

"لماذا؟".

"هناك شخص يدعى راينفيلد يرغب في رؤيته".

"لقد سمعت عنه؛ إنّه نورمان راينفيلد، رئيس فريق الدفاع في جرائم القتل لدعى الرابطة الوطنية".

"صحيح، إنّه هو".

"لقد كنت في انتظار حصول شيء من هذا القبيل".

"حسنًا، إنّه هنا ويريد التحدث إلى كارل لي".

"ما هي علاقتك أنت في الموضوع؟".

"اتصل بي القس آغي ويريد خدمة بالطبع، وطلب مني الاتصال بك".

"الجواب هو لا، بالتأكيد لا".

سكت أوزي بضع ثوانٍ ثمّ قال: "جايك، يريدونك أن تكون حاضرًا".

"هل تقصد أنني مدعو؟".

"نعم، قال آغي إن راينفيلد أصر على ذلك؛ فهو يريدك أن تكون موجودًا".

"أين؟".

"في مكتبي، في تمام الساعة التاسعة صباحًا".

تنفس جايك بعمق وأجاب ببطء: "حسنًا، سأكون هناك. أين كارل لي؟".

"في زنزانته".

"سأكون في مكتبك في غضون خمس دقائق، أحضره لو سمحت".

"لأجل ماذا؟".

"نحن بحاجة إلى عقد اجتماع للصلاة".

جلس راينفيلد، والقس آغي، وروزفلت، وهيلمان في صف مثالي من الكراسي القابلة للطي وواجهوا المأمور، والمدعى عليه، وجايك الذي نفث سيجارًا رخيصًا في محاولة حثيثة لتلويث المكتب الصغير.

نفث الدخان بقوة ونظر إلى الأرض بلا مبالاة، وقد بذل أقصى جهده ليظهر ازدراءه المطلق لراينفيلد والقساوسة. لا يتساهل راينفيلد عندما يتعلق الأمر بالغطرسة، ولم يكن ازدراؤه لهذا المحامي البسيط غير واضح لأنه لم يحاول إخفاءه حتى؛ كان متعجرفًا ووقحًا بطبيعته، واضطر جايك للتعامل معه.

سأل جايك بسرعة بعد صمت مريب استمر لفترة طويلة: "من دعا إلى هذا الاجتماع؟".

أجاب آغي أثناء انتظاره للتوجيه من راينفيلد: "حسنًا، أعتقد أننا نحن من طلبنا عقد هذا الاجتماع".

"حسنًا، تابع كلامك. ما الذي تريدونه بالضبط؟".

قال أوزي: "على رسلك يا جايك؛ لقد طلب مني القس آغي ترتيب الاجتماع حتى يتمكن كارل لي من مقابلة السيد راينفيلد هنا.

"حسنًا، وها قد التقيا، فماذا سيحدث الآن يا سيد راينفيلد؟".

أجاب راينفيلد: "أنا هنا لأعرض خدماتي، وخدمات فريق العمل التابع للرابطة الوطنية لتقدم الملونين بأكمله للسيد هيلي".

سأل جايك: "ما نوع الخدمات؟".

أجابه راينفيلد: "خدمات قانونية بالطبع".

سأل جايك: "كارل لي، هل طلبت من السيد راينفيلد أن يأتي إلى هنا؟".

"لا".

"يبدو هذا إغواءً يا سيد راينفيلد".

"دعنا نتجاوز هذه المقدمات يا سيد بريغانس، فأنت تعرف ما أفعله، كما تعرف سبب وجودي هنا".

"حسنًا أنت تطارد كل قضاياك؟".

"نحن لا نطارد أي شيء؛ لقد استدعينا من قبل أعضاء الرابطة الوطنية لتقدم الملونين المحليين ونشطاء الحقوق المدنية الآخرين. نحن نتعامل مع قضايا القتل الكبرى فقط، ونحن نجيد ما نفعله".

"أفترض أنك المحامي الوحيد المؤهل للتعامل مع قضية بهذا الحجم؟".

"لقد تعاملت مع عدد منها".

"وخسرت عددًا منها".

"نعم، يمكننا القول إنّ معظم قضاياي قد خسرت".

وضع راينفيلد يده على لحيته ونظر إلى جايك قائلًا: "لقد فهمت. هل هذا هو موقفك من هذه القضية؟ هل تتوقع الخسارة؟ لم آتِ إلى هنا لأتجادل معك يا سيد بريغانس".

"أعرف ذلك؛ لقد أتيت إلى هنا لتعرض مهاراتك القانونية الهائلة على المدعى عليه الذي لم يسمع بك من قبل وصادف أنه راضٍ عن محاميه. جئت إلى هنا لتأخذ مني موكلي؛ أنا أعرف بالضبط سبب وجودك هنا".

"أنا هنا لأن أعضاء الرابطة الوطنية لتقدم الملونين قد دعوني؛ لا أكثر ولا أقل".

"هل تحصل على جميع قضاياك عن طريق الرابطة الوطنية لتقدم الملونين؟".

"أنا أعمل مع الرابطة يا السيد بريغانس، فأنا مسؤول عن فريق الدفاع عن جرائم القتل، وأذهب حيث ترسلني الرابطة".

"كم عدد موكليك؟".

"العشرات منهم. أهذا مهم؟".

"هل كان لديهم جميعًا محامون قبل أن تدعو نفسك إلى قضاياهم؟".

"كان لدى البعض محامون، والبعض الآخر لا، فنحن نحاول دائمًا العمل مع المحامي المحلي".

ابتسم جايك وقال: "هذا رائع. أنت تقدم لي فرصة لحمل حقيبتك واصطحابك في جميع أنحاء كلانتون. قد أحضر لك شطيرة أثناء فترة الظهيرة. كم هذا مشوق!".

جلس كارل لي ساكنًا في مكانه، وعقد ذراعيه محدّقًا إلى بقعة معينة في البساط. راقبه القسان عن كثب، في انتظار أن يقول شيئًا لمحاميه؛ ليطلب منه أن يصمت، ويخبره أن محامي الرابطة ستعاملون مع القضية. راقبا وانتظرا، لكن كارل لي جلس بهدوء واستمع.

قال راينفيلد: "لدينا الكثير لنقدمه لك يا سيد هيلي".

كان من الأفضل التزام الهدوء حتى يقرر المتهم من سيمثله؛ قد يؤدي حصول نوبة غضب إلى إفساد الأمور.

سأل جايك: "مثل ماذا؟".

"كل شيء من طاقم عمل، وموارد، وخبرة، ومحامين ذوي خبرة لا يفعلون شيئًا سوى الدفاع عن الجرائم الكبرى. بالإضافة إلى أنه لدينا عدد من الأطباء ذوي الكفاءة العالية الذين نستعين بهم في هذه الحالات؛ سمِّ ما شئت وهو موجود لدينا".

"كم من المال يمكنك دفعه على هذه القضية؟".

"ليس من شأنك".

"هل هذا صحيح؟ هل هذا من شأن السيد هيلي؟ فهذه قضيته في نهاية الأمر. ربما يود السيد هيلي أن يعرف كم ستنفق من الأموال في سبيل الدفاع عنه. هل ترغب بذلك يا سيد هيلي؟".

"نعم".

"حسنًا، يا سيد راينفيلد، كم من الأموال ستنفق؟".

تلوى راينفيلد ونظر بجدية إلى القسين اللذين نظرا بجدية إلى كارل لي.

اعترف راينفيلد بخجل قائلًا: "عشرون ألف دولار تقريبًا حتى الآن".

ضحك جايك وهزّ رأسه مستنكرًا: "عشرون ألف دولار؟ أنتم جادون حقًا بشأن هذا، أليس كذلك؟ عشرون ألف دولار؟ اعتقدت أن القضايا الكبرى هي ملعبكم. جمعت مئة وخمسين ألف دولار لقاتل الشرطي في برمنغهام العام الماضي والذي أُدين بالمناسبة، كما قد أنفقت مئة ألف دولار للمومس في شريفيبورت التي قتلت أحد زبائنها؛ وأدينت هي الأخرى، وتعتقد أن هذه القضية تساوي عشرين ألف دولار فقط".

سأل راينفيلد: "كم ستنفق أنت على هذه القضية؟".

"سأناقش الموضوع معك بطيب خاطر إذا أمكنك أن تشرح لي كيف يكون ذلك من شأنك؟".

بدأ راينفيلد الكلام، ثمّ انحنى إلى الأمام مدلّكًا صدغيه: "أيها القس آغي، لماذا لا تتحدث إليه؟".

حدق القسان إلى كارل لي، وتمنيا لو كانا بمفردهما معه، من دون وجود أي شخص أبيض.

كانا سيتمكان من التحدث إليه براحة؛ سيتمكنان من أن يشرحا له سبب طرد هذا الشاب الأبيض لتعيين بعض المحامين الحقيقيين من الرابطة الوطنية؛ بعض المحامين ممّن يعرفون كيف يقاتلون من أجل السود؛ لكنهما لم يكونا معه بمفردهما، ولم يتمكنا من شتمه؛ كان عليهما إظهار الاحترام للناس البيض الحاضرين.

في البدء، تحدث آغي: "اسمعني يا كارل لي، نحن نحاول مساعدتك، لقد أحضرنا السيد راينفيلد إلى هنا، وسوف يضع كل محاميه وجميع موظفيه تحت تصرفك لمساعدتك. ليس لدينا أي شيء ضد جايك، فهو محامٍ شاب جيد، لكن يمكنه العمل مع راينفيلد، لا نريدك أن تطرد جايك؛ نريدك فقط أن توكّل السيد راينفيلد أيضًا، حيث يمكنهما العمل معًا".

قال جايك: "انسَ ذلك".

توقف آغي عن الكلام، ثمّ نظر إلى جايك عاقد الذراعين.

قال راينفيلد: "هيا يا جايك؛ ليس لدينا شيء ضدك. إنّها فرصة كبيرة بالنسبة إليك، ويمكنك العمل مع بعض المحامين الكبار الحقيقيين والحصول على بعض الخبرة الجيدة الحقيقية. نحن...".

"راينفيلد، دعني أوضح الأمر أكثر؛ إذا رغب كارل لي في توكيلك فلا مانع لديّ، لكنني لن أقدم المساعدة حينها. إما أبقى لمفردي في هذه القضية أو أبتعد عنها. إما أنت أو أنا، وليس هناك خيار ثالث بينهما. قاعة المحكمة ليست كبيرة ولن تتسع لي، ولراينفيلد، وروفوس باكلي".

نظر راينفيلد إلى السقف وهو يهزّ رأسه ببطء مبتسمًا ابتسامة متغطرسة صغيرة. سأل القس آغي: "هل تقول إن الأمر متروك لكارل لي؟".

"بالطبع الأمر متروك له، فهو من وكلني وهو من يستطيع أن يعزلني. لقد فعلها مرة من قبل، ولست أنا الشخص الذي يواجه غرفة الغاز".

سأل آغي: "ما رأيك يا كارل لي؟".

فرد كارل لي ذراعيه، ونظر إلى آغي ثمّ سأل: "ما الغرض من العشرين ألف دولار؟".

أجاب راينفيلد: "إنها أكثر من ثلاثين ألف دولار حقًا؛ لقد تعهد السكان المحليون بتقديم عشرة آلاف أخرى، وسيتم استخدام المال للدفاع عنك. لن يدفع شيء منها بدل أتعاب للمحامين، فنحن سنحتاج إلى اثنين أو ثلاثة محققين، واثنين أو ربما ثلاثة من الخبراء في الطب النفسي، إذ غالبًا ما نستعين بطبيب نفسي لهيئة المحلفين لمساعدتنا في اختيار هيئة المحلفين؛ دفاعنا مكلف".

سأل كارل لي: "ما مقدار الأموال التي جمعها السكان المحليون؟".

أجاب راينفيلد: "قرابة الستة آلاف دولار".

"من جمع هذه الأموال؟".

نظر راينفيلد إلى آغي.

أجاب القس: "الكنائس".

سأل كارل لي: "من جمع المال من الكنائس؟".

أجاب آغي: "نحن جمعناها".

قال كارل لي: "أتقصد أنك أنت من جمعها؟".

"حسنًا، هذا صحيح. أقصد أن الكنائس سلمتني ما جمعته، فأودعته بحساب مصرفي خاص".

"حسنًا، وأودعت كل سنتًا تلقيته؟".

"بالطبع فعلت".

"بالطبع، بكل تأكيد. اسمح لي أن أسألك هذا السؤال: كم من المال عرضت على زوجتي وأولادي؟".

شحب لون آغي، وسرعان ما نظر إلى وجهي القسين الآخرين اللذين كانا مشغولين في الوقت الحالي بالتحديق إلى ذبابة نتنة على السجادة، ولم يقدما أي مساعدة. علم الجميع أن آغي قد أخذ حصته من المبلغ، وعلم كل منهم أن الأسرة لم تتلقَ شيئًا؛ لقد استفاد آغي أكثر من الأسرة؛ لقد عرفوا ذلك، وعرفه كارل لي أيضًا.

كرر كارل لي: "كم أيها القس؟".

"حسنًا، اعتقدنا أن المال...".

"كم أيها القس؟".

"سيتم إنفاق الأموال على أتعاب المحامي وأشياء من هذا القبيل".

"هذا ليس ما قلته لكنيستك، أليس كذلك؟ قلت إنّه كان موجهًا لدعم الأسرة، وكدت تبكي أثناء وصفك كيف يمكن أن تموت عائلتي جوعًا إذا لم يتبرع الناس بكل ما في وسعهم. أليس كذلك أيها القس؟".

"المال لك يا كارل لي؛ لك أنت ولعائلتك. في الوقت الحالي، نعتقد أنّه من الأفضل إنفاقه على دفاعك".

"وماذا لو كنت لا أريد محاميك؟ ماذا يحدث للعشرين ألف دولار؟".

ضحك جايك قائلًا: "هذا سؤال جيد. سيد راينفيلد، ماذا سيحدث للمال إذا لم يوكلك السيد هيلي؟".

أجاب راينفيلد: "هذا ليس مالي".

سأل جايك: "ماذا سيحصل للمال أيها القس آغي؟".

كان القس قد اكتفى، وبدأ يشعر بالتحدي والعدوانية، فأشار إلى كارل لي وقال: "استمع إليّ يا كارل لي، لقد عملنا جاهدين لجمع هذه الأموال؛ ستة آلاف دولار من الفقراء في هذه المقاطعة، من الناس الذين لم يكن لديهم ما يقدمونه. لقد عملنا لجمع هذه الأموال، وقد قدّمها الفقراء والأشخاص الذين يبتاعون طعامهم بواسطة القسائم ويخضعون للرعاية الاجتماعية والطبية، وهم نوع الأشخاص الذين لا يستطيعون التبرع بعشرة سنتات. قدّموها لسبب واحد، وسبب واحد فقط: إنّهم يؤمنون بك وبما فعلته، ويريدونك أن تخرج من قاعة المحكمة هذه رجلًا حرًا. لا تقل إنك لا تريد المال".

أجاب كارل لي بهدوء: "لا تعظني. هل تخبرني أن الناس الفقراء في هذه المقاطعة قدموا ستة آلاف دولار؟".

"صحيح".

"ومن أين أتت سائر الأموال؟".

"من الرابطة الوطنية لتقدم الملونين؛ خمسة آلاف من أتلانتا، وخمسة من ممفيس وخمسة من أموال الولاية، وهي حصرية لدفع رسوم دفاعك".

"إذا عينت السيد راينفيلد هنا، أليس كذلك؟".

"صحيح".

"وإذا لم أعينه، فسوف تختفي الخمسة عشر ألف دولار".

"صحيح".

"وماذا عن الستة آلاف الأخرى؟".

"هذا سؤال جيد. لم نناقش ذلك بعد؛ كنا نظن أنك سوف تُقدّر جهودنا على جمع الأموال ومحاولة المساعدة، فنحن نقدم أفضل المحامين ومن الواضح أنك لا تهتم".

خيّم صمت على الغرفة لفترة طويلة بينما انتظر القساوسة والمحاميان والمأمور أي إشارة من المدعى عليه؛ عض كارل لي شفته السفلى ونظر إلى الأرض، وأشعل جايك سيجارًا آخر؛ لقد سبق له أن عُزل، ويمكنه التعامل مع الأمر مرة أخرى".

سأل كارل لي أخيرًا: "أيجب أن تعرف الآن؟".

أجاب آغي: "لا".

قال راينفيلد: "نعم، بقي على موعد المحاكمة أقل من ثلاثة أسابيع، ونحن متأخرون شهرين بالفعل؛ وقتي ثمين للغاية بحيث لا يمكنني انتظارك يا سيد هيلي، فإما أن توكلني الآن أو تنسى ذلك؛ لدي طائرة لألحق بها".

"حسنًا، سأخبرك بما عليك فعله يا سيد راينفيلد؛ عليك الذهاب واللحاق بطائرتك ولا تقلق أبدًا بشأن العودة إلى كلانتون لتمثيلي، فأنا سآخذ فرصي مع صديقي جايك".

25

اجتمع أعضاء من فورد كاونتي كلافيرن في منتصف ليل الخميس في الحادي عشر من تموز، في مرعى صغير بجوار طريق ترابي في غابة في مكان ما في الجزء الشمالي من المقاطعة، حيث وقف المجندون الستة بتوتر أمام الصليب الضخم المحترق، وكرروا كلمات غريبة نطق بها القائد. راقب عشرات من أعضاء الكلان من الذين ارتدوا الملابس البيضاء وهتفوا كلما سنحت الفرصة.

وقف حارس يحمل مسدسًا بهدوء على الطريق، وكان يشاهد الحفل من حين إلى آخر، ولكنه في المقام الأول كان يراقب الضيوف غير المدعوين، لكن لم يحصل أي اضطراب.

في منتصف الليل بالضبط، ركع الستة على ركبهم، وأغمضوا أعينهم بينما وُضعت القلنسوات البيضاء بشكل احتفالي على رؤوسهم؛ لقد أصبح هؤلاء الستة من رجال الكلان الآن. فريدي كوب، شقيق المقتول، جيري مابلز، كليفتون كوب، إد ويلبورن، موريس لانكستر، وتيريل غريست. حلّق التنين الضخم فوق رؤوسهم، ورددوا عهود كلان المقدسة. أحرقت النيران المنبعثة من الصليب وجوه الأعضاء الجدد بينما جثوا على ركبهم واختنقوا بهدوء تحت أردية وأغطية ثقيلة، فانساب العرق من وجوههم المحمرة بينما صلوا بحرارة من أجل أن ينتهي التنين من هذا الهراء وينهي الحفل.

نهض الأعضاء الجدد وتراجعوا بسرعة عن الصليب عندما توقف الهتاف، واحتضنهم إخوانهم الجدد الذين أمسكوا أكتافهم بقوة، وغرزوا التعويذات البدائية على عظام الترقوة المتعرقة. خُلعت القلنسوات الثقيلة، وسار أعضاء الكلان الجدد والقدامى بفخر من المرعى إلى المقصورة الريفية عبر الطريق الترابي. جلس الحارس نفسه على الدرجات الأمامية حيث سُكبت الويسكي في الأكواب حول الطاولة ووضع الخطط لمحاكمة كارل لي هيلي. أنهى بيرتل مناوبة المقبرة، وبقي

هناك من العاشرة إلى السادسة، وتوقف عن شرب القهوة وتناول الفطائر في مطعم غوردي على الطريق السريع شمال المدينة عندما بث اللاسلكي أنّه مطلوب في السجن.

كان ذلك بعد ثلاث دقائق من منتصف الليل، فترك بيرتل فطيرته واتجه لمسافة ميل جنوبًا إلى السجن.

سأل رقيب الاتصال: "ما أخبارك؟ تلقينا مكالمة من مجهول منذ بضع دقائق، من شخص يبحث عن المأمور، وشرحت له أنّه ليس في الخدمة حاليًا، فسأل عن الشخص الآخر الموجود في الخدمة حاليًا، وهذا يكون أنت، فقال إن الأمر مهم للغاية، وسيعاود الاتصال في غضون خمس عشرة دقيقة".

سكب بيرتل بعض القهوة، واسترخى على كرسي أوزي الكبير؛ رنّ الهاتف فصاح رقيب الاتصال: "هذا الاتصال لك".

أجاب بيرتل: "مرحبًا".

سأل المتّصل: "من المتّصل؟".

"النائب جو بيرتل. من معي؟".

"أين المأمور؟".

"أعتقد أنّه نائم".

"حسنًا، استمع إلي جيدًا، فالأمر مهم للغاية، ولن أتصل مرة أخرى. هل تعرف ذلك الزنجي هيلي؟".

"نعم".

"هل تعرف محاميه بريغانس؟".

"نعم".

"حسنًا، اسمعني؛ سيفجرون منزله في الفترة الممتدّة ما بين الآن وحتى الساعة الثالثة فجرًا".

"من الذي سيُفجَّر منزله؟".

"بريغانس".

"لا، أعني من الذي سيُفجِّر منزله؟".

"أيها النائب، استمع إليّ فقط ولا تقلق بشأن ذلك، فهذه ليست مزحة. إذا كنت تعتقد أنّها مزحة، فاجلس هناك وانتظر انفجار منزله؛ قد يحدث ذلك في أي دقيقة".

سكت المتّصل لكنه لم ينهِ المكالمة.

استمع إليه بيرتل ثمّ سأل: "هل ما زلت معي؟".

أجابه: "ليلة سعيدة أيها النائب"، ثمّ أنهى المكالمة.

قفز بيرتل على قدميه وركض نحو رقيب الاتصال وسأله: "هل سمعت؟".

"بالطبع".

اتصل بأوزي واطلب منه أن يأتي إلى هنا: "سأكون في منزل بريغانس".

أخفى بيرتل سيارة الدورية في ممر بشارع مونرو، وسار عبر المروج الأمامية إلى منزل جايك؛ لم يرَ شيئًا في طريقه إلى هناك.

إنها الساعة الثانية عشرة وخمس وخمسون دقيقة بعد منتصف الليل؛ تجول في محيط المنزل حاملًا مصباحه ولم يلحظ أي شيء غير عادي.

كان كل بيت في الشارع مظلمًا، وسكانه نائمين. فك المصباح الكهربائي على الشرفة الأمامية وجلس على كرسي من الخيزران وانتظر. توقفت السيارة الأجنبية ذات المظهر الغريب بجوار أولدزموبيل أسفل الشرفة الأرضية؛ لقد انتظر قدوم أوزي ليطلب منه إخطار جايك. ظهرت أضواء المصابيح الأمامية في نهاية الشارع، فانخفض بيرتل أسفل الكرسي، واثقًا من أنّه لا يمكن لأحد رؤيته، في حين تحركت سيارة صغيرة حمراء بشكل مريب باتجاه منزل عائلة بريغانس لكنها لم تتوقف. جلس وراقبها تختفي في الشارع، وبعد لحظات، لاحظ شخصين يركضان من اتجاه الساحة، لذا، فك زر القراب وأخرج مسدسه؛ بدا أن الشخص الأول أضخم بكثير من الثاني ومشى براحة وسلاسة أكثر منه أيضًا؛ كان ذلك أوزي، والآخر هو نسبيت.

التقى بيرتل بالاثنين في الممر وتراجعوا إلى ظلام الشرفة الأمامية متهامسين أثناء مراقبتهم للشارع.

سأل أوزي: "ماذا قال بالضبط؟".

"قال إن شخصًا ما سيفجر منزل جايك في الفترة الممتدة ما بين الآن وحتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل؛ لقد أخبرني أن الأمر ليس بمزحة".

"هل هذا كل شيء؟".

"نعم، لم يكن ودودًا حقًا".

"منذ متى وأنت هنا؟".

"منذ عشرين دقيقة".

التفت أوزي إلى نسبيت وقال: "أعطني جهاز اللاسلكي الخاص بك، واذهب للاختباء في الفناء الخلفي؛ ابقَ هادئًا وأبقِ عينيك مفتوحتين".

انطلق نسبيت إلى الفناء الخلفي، ووجد فتحة صغيرة بين الشجيرات على طول السياج الخلفي، فزحف على أطرافه الأربعة، واختفى بين الشجيرات، وقد تمكن من رؤية الجزء الخلفي من المنزل بأكمله حيث استقرّ.

سأل بيرتل: "هل ستخبر جايك؟".

"ليس الآن؛ قد نخبره بعد قليل. إذا قرعنا الباب، فسوف تُضاء الأنوار، ونحن لا نريد ذلك أن يحدث في الوقت الحالي".

"نعم، ولكن ماذا لو سمعَنا جايك وخرج من الباب وهو يطلق النار معتقدًا أننا مجرد اثنين من السود يحاولان اقتحام بيته".

راقب أوزي الشارع، ولم يقل شيئًا.

"اسمع يا أوزي، ضع نفسك مكانه؛ يحاصر رجال الشرطة منزلك عند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وهناك شخص ما سيلقي قنبلة؛ فهل كنت تود البقاء في السرير نائمًا أم سترغب في معرفة ما يجري؟".

تفحّص أوزي المنازل عن بعد.

"استمع إليّ أيها المأمور، من الأفضل أن نوقظهم. ماذا لو لم نتمكن من إيقاف الشخص وراء هذا المخطط، وأصيب شخص ما داخل المنزل؟ عندها سنلام، أليس كذلك؟".

وقف أوزي، ورنّ جرس الباب، ثمّ أمر مشيرًا إلى سقف الشرفة: "فك ذلك المصباح الكهربائي".

"لقد فككته بالفعل".

رنّ أوزي جرس الباب مجددًا؛ فتح الباب الخشبي، وسار جايك إلى الباب الخارجي، وحدق إلى المأمور؛ كان يرتدي لباس نوم مجعد تدلى لأسفل ركبتيه مباشرة، وحمل مسدسًا محشوًا في يده، وفتح الباب الخارجي ببطء.

سأل جايك: "ما الأمر يا أوزي؟".

"هل يمكنني الدخول؟".

"نعم، ماذا يحدث؟".

أمر أوزي بيرتل بالقول: "ابقَ هنا على الشرفة، وسأعود في الحال".

أغلق أوزي الباب الأمامي خلفهما، وأطفأ نور المصباح في الردهة، وجلسا في غرفة المعيشة المظلمة التي تطل على الشرفة والفناء الأمامي.

قال جايك: "ابدأ الكلام".

أجاب أوزي: "منذ نصف ساعة تقريبًا، تلقينا مكالمة من مجهول مفادها أن شخصًا ما يخطط لتفجير منزلك في الفترة الممتدة ما بين منتصف الليل والساعة الثالثة بعد منتصف الليل، ونحن نتعامل مع الأمر بجدية".

"شكرًا لك".

"أمرت بيرتل بالبقاء على الشرفة الأمامية، ونسبيت في الفناء الخلفي؛ لقد رأى بيرتل قبل عشر دقائق سيارة يقودها شخصان مريبان؛ هذا كل شيء".

"هل بحثت حول المنزل؟".

"نعم، لا يوجد شيء ولا أحد. لكن يخبرني حدسي أن التهديد جديّ".

"لماذا؟".

"مجرد حدس".

وضع جايك المسدس بجانبه على الأريكة، ودلّك صدغيه.

سأل جايك: "برأيك ما يفترض بي أن أفعل؟".

"اجلس هنا وانتظر، فهذا كل ما يمكننا فعله. هل لديك بندقية؟".

"لديّ أسلحة تكفي لغزو كوبا".

"حسنًا، لِمَ لا تذهب وتجلبها وترتدي ملابسك؟ اتخذ مكانًا وراء أحد تلك النوافذ الصغيرة في الطابق العلوي، ونحن سنختبئ في الخارج وننتظر".

"هل لديك ما يكفي من الرجال؟".

"نعم، أعتقد أنّه لن يأتِ أكثر من شخص أو اثنين".

"من هما؟".

"لا أعرف. يمكن أن يكونا أحد أعضاء الكلان، يمكن أن يكونا بعض العاملين بالتعاقد. لا أحد يمكنه معرفة ذلك".

جلس الرجلان يفكران بعمق وحدقا إلى الشارع المظلم، وقد تمكنا من رؤية الجزء العلوي من رأس بيرتل وهو ينحني خلف الكرسي خارج النافذة مباشرة.

"جايك، هل تتذكر العاملين الثلاثة في مجال الحقوق المدنية الذين قتلوا على يد جماعة كلان في العام 64؟ لقد وجدوا مدفونين في سد أسفل نواحي فيلادلفيا".

"بالتأكيد، كنت طفلًا، لكنّني أتذكر".

"ما كنا لنعثر عليهم لو لم يخبرنا أحد بمكانهم، كان هذا الشخص مخبرًا وأحد أعضاء كلان. يبدو أن هذا دائم الحصول داخل كلان، يقوم شخص ما من الداخل بإفصاح معلومات سرية".

"هل تعتقد أن أعضاء الكلان وراء هذا؟".

"بالتأكيد يبدو ذلك. إذا كان مجرد شخص أو اثنين من العاملين بالتعاقد، فمن سيعرف بذلك أيضًا؟ كلما كانت المجموعة أكبر، كلما كانت فرصة قيام أحدهم بتنبيهنا أفضل".

"هذا منطقي، لكن لسبب ما لا أشعر بالارتياح حيال الأمر".

"بالطبع، يمكن أن تكون مزحة".

"إنّها مزحة سمجة".

"هل ستخبر زوجتك؟".

"نعم، من الأفضل أن أفعل ذلك".

"كنت لأخبر زوجتي أيضًا إن كنت مكانك، لكن لا تضئِ المصابيح، فقد تخيف المعتدين".

"لكنّني أود إخافتهم".

"وأنا أودّ الإمساك بهم؛ إذا لم نمسك بهم الآن، فسيحاولون مرة أخرى، وفي المرة القادمة قد ينسى أحدهم الاتصال بنا في وقت مبكر".

في الظلام، ارتدت كارلا ملابسها بذعر على عجل، ووضع جايك هانا على الأريكة في غرفة المعيشة، حيث تمتمت بشيء وعادت إلى النوم. رفعت كارلا رأسها، وشاهدت جايك يحمل بندقية.

"سأكون في الطابق العلوي في غرفة الضيوف؛ لا تضيئي أي مصباح؛ يحاصر رجال الشرطة المكان، لذلك لا تقلقي".

"لا تقلقي؟ هل أنت مجنون؟".

"حاولي النوم مجددًا".

"النوم؟ جايك، يبدو أنك قد فقدت عقلك".

لم ينتظروا طويلًا، فقد رأى أوزي من موقع مراقبته بين الشجيرات أمام المنزل شخصًا يسير بمفرده بشكل عرضي في الشارع من الاتجاه المقابل للساحة. كان يحمل علبة صغيرة من نوع ما أو حقيبة بين يديه، وعندما وصل على بعد منزلين، غادر الشارع وقطع المروج الأمامية للجيران، فشهر أوزي مسدسه ورفع الهراوة وشاهد الرجل يسير باتجاهه مباشرة؛ راقبه جايك من نطاق بندقية الصيد الخاصة به، وزحف بيرتل مثل ثعبان عبر الشرفة وبين الشجيرات مستعدًا للضرب.

اندفع الشخص فجأة عبر العشب الأمامي المجاور وإلى جانب منزل جايك واضعًا حقيبة صغيرة بعناية تحت نافذة غرفة نوم جايك.

حطت هراوة سوداء ضخمة على جانب رأسه عندما استدار ليهرب، وقسمت أذنه اليمنى إلى قسمين، كل منها بالكاد معلق على رأسه، فصرخ وسقط أرضًا.

صرخ أوزي: "أمسكت به".

ركض بيرتل ونسبيت إلى جانب المنزل، وسار جايك بهدوء على الدرج مخاطبًا كارلا: "سأعود خلال دقيقة".

أمسك أوزي المشتبه به من رقبته، وأجلسه بجوار المنزل؛ كان واعيًا لكنه كان مصدومًا؛ لفقد وُضعت الحقيبة على بعد بوصات فقط.

سأله أوزي: "ما اسمك؟".

تأوه وأمسك رأسه، ولم يقل شيئًا.

قال أوزي وهو يحوم فوق المشتبه به: "لقد طرحت عليك سؤالًا".

وقف كلٌّ من بيرتل ونسبيت في مكان قريب شاهرَين مسدسيهما خائفين من التحدث أو القيام بأي حركة.

حدق جايك في الحقيبة ثمّ جاء الرد: "لن أقول شيئًا".

رفع أوزي هراوته عاليًا فوق رأسه وضربها بقوة على كاحل الرجل الأيمن، ودوى صوت عظمه وهو يُكسر في أرجاء المكان. صاح وأمسك ساقه، ثمّ ركله أوزي على وجهه.

سقط إلى الوراء، واصطدم رأسه بجدار المنزل، وتقلب على جانبيه متألّمًا.

انحنى جايك فوق الحقيبة ووضع أذنه إلى جانبها.

قفز وتراجع إلى الوراء، ثمّ قال بخوف: "إنها تدق".

انحنى أوزي على المشتبه به، ووضع الهراوة برفق على أنفه، ثمّ قال: "لديّ سؤال آخر قبل أن أكسر كل عظمة في جسدك. ماذا يوجد في الحقيبة؟".

لم تكن هناك أي إجابة.

رفع أوزي الهراوة وكسر الكاحل الآخر ثمّ صاح: "ماذا يوجد في الحقيبة؟".

ثم جاء الرد البائس: "ديناميت".

أسقط بيرتل مسدسه، وشعر نسبيت بضغط دمه يرتفع مما جعله يتكئ على جدار المنزل، كما شحب لون جايك وارتجفت ركبتاه.

عبر الباب الأمامي وهو يصرخ لكارلا: "اجلبي مفاتيح السيارة، اجلبي مفاتيح السيارة".

سألت بعصبية: "لماذا؟".

"افعلي ما أقوله وحسب؛ اجلبي مفاتيح السيارة واصعدي داخلها".

أمسك بهانا وحملها عبر المطبخ إلى المرأب ووضعها على المقعد الخلفي لسيارة كارلا، ثم أمسك كارلا من ذراعها وساعدها على استقلال السيارة.

"غادري المكان، ولا تعودي قبل مرور ثلاثين دقيقة".

سألت كارلا: "جايك، ما الذي يحدث؟".

"سأخبرك لاحقًا. ارحلي وحسب، ليس هناك وقت الآن. قودي السيارة لمدة ثلاثين دقيقة، وابتعدي عن هذا الشارع".

"لكن لماذا يا جايك؟ ماذا وجدت؟".

"ديناميت".

تراجعت بالسيارة من ممر المنزل، واختفت في الشارع.

كانت يد الرجل اليسرى مقيدة بمقبس الغاز المجاور للنافذة عندما عاد جايك إلى جانب المنزل؛ كان يئن، ويغمغم، ويشتم. رفع أوزي الحقيبة بعناية من المقبض، وجلس بعناية بين ساقي المشتبه به المكسورتين. ركل أوزي كلتا رجليه لابعادهما عن بعضهما، فتأوه الرجل بصوت أعلى. تراجع أوزي والشرطيان وجايك ببطء وراقبوه في حين بدأ في البكاء وقال وهو يضغط على أسنانه: "لا أعرف كيف أوقفها".

قال جايك بصوت أقوى منه: "من الأفضل أن تتعلم بسرعة".

أغمض المشتبه به عينيه، وأخفض رأسه، ثم عض شفته، وتنفس بسرعة وبصوت عالٍ، وقد قطر العرق من ذقنه وحاجبيه، وبقيت أذنه الممزقة معلقة مثل ورقة الشجر المتساقطة.

طلب الرجل: "أعطني مصباحًا كاشفًا".

"سلمه بيرتل مصباحًا يدويًا".

قال الرجل: "أنا بحاجة إلى كلتا يديّ".

أجابه أوزي: "جرّب العمل بواحدة وحسب".

وضع أصابعه برفق على المزلاج، وأغمض عينيه. قال أوزي: "دعونا نبتعد من هنا"، فركضوا بعيدًا قدر الإمكان حول زاوية المنزل إلى داخل المرأب.

سأل أوزي: "أين زوجتك وابنتك؟".

"لقد غادرتا. هل تعرفت إليه؟".

قال أوزي: "لا".

قال نسبيت: "لم يسبق لي أن رأيته".

هزّ بيرتل رأسه. اتصل أوزي برقيب الاتصال الذي اتصل بالنائب رايلي، خبير متفجرات المقاطعة صاحب التدريب الذاتي.

سأل جايك: "ماذا لو أغمي عليه وانفجرت القنبلة؟".

سأل نسبيت: "لديك تأمين أليس كذلك يا جايك؟".

"هذا ليس مضحكًا".

قال أوزي: "سنعطيه بضع دقائق، ثمّ يستطيع بيرتل أن يذهب للاطمئنان عليه".

"لماذا أنا؟".

"حسنًا، يمكن لنسبيت الذهاب".

قال نسبيت: "أعتقد أن جايك هو من يجب أن يذهب، فهذا منزله في نهاية الأمر".

قال جايك: "هذا مضحك للغاية".

انتظروا وتجاذبوا أطراف الحديث بتوتر، وأدلى نسبيت بملاحظة غبية أخرى حول التأمين.

قال جايك: "اهدأوا، لقد سمعت شيئاً ما".

صمت الجميع، وصاح المشتبه به بعد ثوانٍ مرة أخرى، رفكضوا إلى الخلف عبر الفناء الأمامي، ثمّ استداروا ببطء. تم رمي الحقيبة الفارغة على بعد أمتار قليلة؛ كانت هناك كومة مكونة من اثنتي عشرة قطعة من الديناميت بجانب الرجل. كانت هناك ساعة كبيرة مستديرة ذات أسلاك موصولة إلى شريط كهربائي فضي بين قدميه.

سأل أوزي بقلق: "هل أوقفتها؟".

أجاب بأنفاس متقطعة وسريعة: "نعم".

انحنى أوزي أمامه وأزال الساعة والأسلاك دون أن يلمس الديناميت.

سأل أوزي: "أين رفاقك؟".

لم يكن هناك أي رد، فأخرج هراوته واقترب أكثر من الرجل.

صاح أوزي: "سأبدأ في كسر أضلاعك واحدًا تلو الآخر. من الأفضل أن تبدأ في الحديث. هيا، الآن، أين رفاقك؟".

"اذهب إلى الجحيم".

نهض أوزي ونظر حوله بسرعة، ليس إلى جايك والشرطيين، بل إلى المنزل المجاور، لكنه لم يرَ شيئًا فرفع الهراوة مجدّدًا. تدلت ذراع المشتبه به اليسرى من مقبس الغاز، ووضع أوزي الهراوة أسفل الإبط الأيسر، فصرخ وارتعد إلى اليسار؛ كاد جايك أن يشعر بالأسف تجاهه.

سأله أوزي مجددًا: "أين هم؟".

لم يتلقَّ أي رد. أدار جايك رأسه عندما وجه المأمور ضربة أخرى إلى الأضلاع.

"أين هم؟".

لم ينبس ببنت شفة، فرفع أوزي الهراوة مجددًا.

توسل المشتبه به: "توقف... أرجوك توقف".

"أين هم؟".

"على بعد بضعة أبنية من هذا الطريق".

"كم العدد؟".

"واحد فقط".

"ما نوع السيارة؟".

"سيارة جي أم سي حمراء اللون".

أمر أوزي قائلًا: "أحضر سيارات الدورية".

انتظر جايك بفارغ الصبر أمام المرأب عودة زوجته، وعند الساعة الثانية والربع، قادت السيارة ببطء إلى الممر وتوقفت.

سأل جايك وهو يفتح الباب: "هل هانا نائمة؟".

"نعم".

"جيد، اتركيها داخل السيارة؛ سنغادر في غضون دقائق".

"إلى أين نحن ذاهبون؟".

"سنناقش ذلك في الداخل".

سكب جايك القهوة، وحاول أن يتصرف بهدوء. كانت كارلا خائفة وترتجف من الغضب مما صعب عليه أكثر التصرف بهدوء؛ وصف القنبلة والمشتبه به وأوضح أن أوزي كان يبحث عن الشريك.

قال جايك: "أريدك أن تذهبي أنت وهانا إلى ويلمنغتون والبقاء مع والديك إلى ما بعد المحاكمة".

"حدقت إلى القهوة ولم تقل شيئًا".

"لقد اتصلت منذ قليل بوالديك، وشرحت كل شيء. إنّهما خائفان أيضًا، ويصران على بقائكما برفقتهما حتى ينتهي هذا الأمر".

"وإذا لم أرد الذهاب؟".

"من فضلك يا كارلا. كيف يمكنك الجدال في وقت مثل هذا؟".

"ماذا عنك؟".

"سأكون بخير؛ سيعين أوزي لي حارسًا شخصيًا وسيراقبون المنزل على مدار الساعة. سوف أنام في المكتب في بعض الأحيان. أعدك أنني سأكون بخير".

لم يبدُ عليها أنّها اقتنعت.

"اسمعي يا كارلا، لدي آلاف الأشياء في ذهني الآن؛ لدي موكل يواجه الإعدام بغرفة الغاز ومحاكمته على بعد عشرة أيام ولا يمكنني الخسارة. سأعمل ليل نهار من الآن وحتى الثاني

والعشرين من الشهر الجاري. لن تريني بمجرد أن تبدأ المحاكمة على أي حال، وآخر ما أحتاجه هو القلق عليك أنت وهانا. اذهبي، أرجوك".

"كانوا سيقتلوننا يا جايك. لقد حاولوا قتلنا".

لم يستطع جايك إنكار ذلك.

"لقد وعدتني بالانسحاب إذا أصبح الخطر حقيقيًا".

"هذا أمر مستحيل؛ لن يسمح لي نووز أبدًا بالانسحاب قبل عشرة أيام من المحاكمة".

"أشعر أنك كنت تكذب عليّ".

"هذا ليس عادلًا. أعتقد أنني قللت من شأن هذا الشيء، وقد فات الأوان الآن".

سارت كارلا إلى غرفة النوم، وشرعت تحزم الأمتعة.

قال جايك: "سوف تقلع الطائرة متوجّهة إلى ممفيس عند الساعة السادسة والنصف، وسيقابلك والدك في مطار رالي عند الساعة التاسعة والنصف".

"حسنًا".

غادروا كلانتون بعد خمس عشرة دقيقة؛ قاد جايك السيارة وتجاهلته كارلا. عند الساعة الخامسة، تناولوا الفطور في مطار ممفيس، وبقيت هانا نائمة لكنها كانت متحمسة لرؤية جديها. لم تتحدث كارلا كثيرًا، مع أنه كان لديها الكثير لتقوله، لكنهما ما كانا ليتجادلا أمام هانا. أكلت بهدوء وارتشفت قهوتها وشاهدت زوجها يقرأ الصحيفة بشكل عرضي، وكأن شيئًا لم يحدث. قبّلهما جايك مودعًا إياهما ووعدهما بالاتصال بهما يوميًّا؛ أقلعت الطائرة في الوقت المحدد.

حضر جايك إلى مكتب أوزي في تمام الساعة السابعة والنصف.

سأل جايك المأمور: "من هو؟".

"ليس لدينا فكرة. لا يوجد محفظة، ولا هوية، ولا شيء، وهو يرفض التكلم".

"هل تعرّف إليه أحد؟".

فكّر أوزي للحظة ثمّ أجاب: "حسنًا يا جايك، يصعب التعرف إليه نوعًا ما الآن، فهناك الكثير من الضمادات على وجهه".

ابتسم جايك قائلًا: "أنت تحب اللعب بخشونة، أليس كذلك أيها الرجل الضخم؟".

"فقط عندما يتعين عليّ ذلك، ولم أسمعك تعترض".

"لا، أردت المساعدة. ماذا عن صديقه؟".

"لقد وجدناه نائمًا في سيارة جي أم سي حمراء على بعد نصف ميل من منزلك. اسمه تيريل غريست، وهو أحد المحليين، ويعيش خارج قرية لايك. أعتقد أنّه صديق لعائلة كوب".

كرر جايك الاسم عدة مرات ثمّ أعلن: "لم يسبق لي أن سمعت به. أين هو؟".

"إنه في المستشفى، في الغرفة نفسها مع صديقه الآخر".

"يا إلهي يا أوزي، هل كسرت قدميه أيضًا؟".

"يا صديقي جايك، لقد قاوم الاعتقال، وكان علينا إخضاعه، ثمّ استجوابه؛ لم يكن يريد التعاون".

"ماذا قال؟".

"لم يقل الكثير. أنا مقتنع بأنه لا يعرف الرجل صاحب الديناميت".

"هل تعني أنه تمّ إحضار خبير في الديناميت؟".

"ذلك ممكن".

نظر رايلي إلى الديناميت وجهاز التوقيت وقال: "إنه عمل جيد جدًا. لم نكن لنجدك أنت أو زوجتك أو ابنتك، وربما ما كنا لنعثر على بقايا منزلك أبدًا. تم ضبطه لينفجر في تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل. كنت أنت وعائلتك في عداد الموتى الآن يا جايك لو لم تردنا المعلومة من مجهول".

أصاب جايك الدوار وجلس على الأريكة؛ لقد شعر بألم يصيبه أشبه بركلة قوية بين الفخذين؛ لقد شعر بحالة من الإسهال والغثيان تصيبه".

"هل سافرت عائلتك؟".

أجاب بصوت واهن: "نعم".

"سوف أعين لك شرطيًا ليحرسك. هل لديك أي أحد في ذهنك لهذه المهمة؟".

"لا".

"ماذا عن نسبيت؟".

"لا أمانع ذلك. شكرًا لك".

"هناك شيء آخر؛ أعتقد أنك تريد أن يظل هذا الأمر سريًا أليس كذلك؟".

"نعم، إن أمكن ذلك. من يعلم بهذا الخصوص؟".

"فقط أنا والنائبان. أعتقد أنه بإمكاننا إبقاء الأمر طي الكتمان حتى انتهاء المحاكمة، لكن ليس بوسعي تقديم أي ضمانات".

"لقد فهمت. حاول ما في وسعك رجاء".

"بالطبع سأفعل يا جايك".

"أعلم ذلك يا أوزي، وأنا أُقدّر كل ما تفعله".

ذهب جايك إلى المكتب، أعد القهوة، واستلقى على الأريكة في مكتبه؛ أراد أخذ قيلولة سريعة، لكن كان النوم بمثابة أمنية مستحيلة، فلقد آلمته عيناه، ولم يستطع إغماضهما، وبقي يحدق إلى مروحة السقف.

استدعته إثيل عبر جهاز الاتصال الداخلي: "سيد بريغانس".

لم يكن هناك ردّ.

"سيد بريغانس".

سمع جايك اسمه في مكان ما في عقله الباطن وهو يتم استدعاؤه، فنهض باستقامة على الحال.

صاح: "نعم".

"القاضي نووز على الهاتف".

تمتم وهو يجلس على مكتبه: "حسنًا، حسنًا".

تفحص ساعته ليجد أنها التاسعة صباحًا ولم يتمكن من النوم لأكثر من ساعة.

قال ببهجة: "صباح الخير أيها القاضي"، وحاول أن يبدو متيقظًا قدر الإمكان.

"صباح الخير يا جايك. كيف حالك؟".

"أنا بخير أيها القاضي. مشغول قليلًا بالاستعداد للمحاكمة الكبيرة".

"كنت أعتقد ذلك يا جايك، ما هي التزاماتك اليوم؟".

فكر: "ما هو اليوم؟"، ثمّ أمسك دفتر مواعيده وأجاب: "لا شيء سوى بعض الأعمال المكتبية".

"جيد، أود تناول طعام الغداء معك في منزلي قرابة الساعة الحادية عشرة والنصف".

"سيسرني ذلك يا حضرة القاضي. ما المناسبة؟".

"أريد مناقشة قضية هيلي".

"حسنًا يا سيدي القاضي. سأراك عند الساعة الحادية عشرة والنصف".

عاشت عائلة نووز في منزل فخم يعود إلى ما قبل الحرب قبالة ساحة المدينة في تشيستر؛ لقد بقي المنزل متوارثًا بين أفراد عائلة الزوجة منذ أكثر من قرن، وعلى الرغم من أنه بحاجة إلى بعض الصيانة والترميم، إلّا أنّه في حالة لائقة. لم يدخل جايك المنزل من قبل، ولم يلتق بالسيدة نووز مطلقًا، على الرغم من أنّه سمع أنها كانت متغطرسة من ذوات الدم الأزرق الملكي؛ لقد امتلكت عائلتها في وقت من الأوقات المال ولكنها خسرته. لم تكن جذابة مثل إيكابود، وتساءل جايك كيف يبدو الأطفال. كانت مهذبة أثناء ترحيبها بجايك عند الباب، وأجرت محادثة قصيرة وهي تصطحبه إلى الفناء، حيث جلس حضرة القاضي يشرب الشاي المثلج ويراجع المراسلات، وقد انشغلت الخادمة بتحضير طاولة صغيرة في مكان قريب منهما.

قال إيكابود بحرارة: "من الجيد رؤيتك يا جايك. شكرًا لقدومك".

"هذا من دواعي سروري يا حضرة القاضي. منزلك جميل حقًا".

تناقشا بأمر محاكمة هيلي وهما يتناولان شطائر سلطة الدجاج والحساء؛ لقد شعر إيكابود بالقلق من هذه المحنة، رغم أنّه لم يعترف بذلك، فبدا متعبًا، كما لو كانت القضية بالفعل عبئًا.

فاجأ جايك باعترافه بأنه يكره باكلي، فأجابه جايك بأن ذلك شعور متبادل.

قال القاضي: "جايك، أنا محتار بشأن قرار مكان المحاكمة، لقد درست ملخصك وموجز باكلي، وبحثت في القانون بنفسي؛ إنّه خيار صعب. في نهاية الأسبوع الماضي، حضرت مؤتمرًا للقضاة على ساحل الخليج، وتناولت بعض المشروبات مع القاضي دينتون من المحكمة العليا؛ لقد درست وإياه في كلية الحقوق، وكنا زميلين في مجلس الشيوخ؛ كنا مقربين للغاية من بعضنا. إنّه من مقاطعة دوبري في جنوب الميسيسيبي، ويقول إن الجميع هناك يتحدثون عن القضية، حيث يسأله الناس في الشارع كيف سيحكم إذا انتهت القضية عند الاستئناف. لدى كل شخص رأي، هذه المقاطعة تبعد قرابة الأربعمئة ميل. الآن، إذا وافقت على تغيير المكان، فإلى أين سنذهب؟ لا يمكننا مغادرة الولاية، وأنا مقتنع بأن الجميع لم يسمعوا عن موكلك فحسب، بل حكموا عليه بالفعل. هل توافقني هذا الرأي؟".

قال جايك بحذر: "حسنًا، لقد انتشرت الكثير من الإشاعات".

"ناقشني يا جايك، فنحن لسنا في المحكمة، ولهذا دعوتك إلى هنا، فأنا أريد استشارتك. أعلم أن الشهرة الإعلامية طاغية على نحو كبير. إذا قمنا بنقل المحاكمة، فإلى أين سنذهب؟".

"ماذا عن الدلتا؟".

ابتسم نووز معلّقًا: "أنت ترغب في ذلك، أليس كذلك؟".

"بالطبع، بكل تأكيد. يمكننا اختيار هيئة محلفين جيدة هناك، حيث يمكن لأعضائها فهم القضية بحق".

"نعم، وسيكون أحد المحلفين نصف أسود".

"لم أفكر في ذلك".

"هل تعتقد حقًا أن هؤلاء الأشخاص لم يحكموا مسبقًا على هذا المتهم؟".

"أنا افترض ذلك".

"إلى أين سنذهب إذًا؟".

"ما هو رأي القاضي دينتون؟".

"ليس لديه رأي، ناقشنا الرفض التقليدي للمحكمة بإجازة تغيير مكان انعقادها ما لم تكن القضايا شديدة العنف؛ إنّها قضية صعبة وجريمة سيئة تثير نوعين متناقضين من التعاطف مع القاتل ومع المقتولين، وتشهد أخبار هذا النوع من الجرائم انتشارًا سريعًا هذه الأيام من خلال شيوع الصحف والتلفاز، ويعرف الجميع التفاصيل قبل المحاكمة بوقت طويل، وقد تفوّقت التغطية الإعلامية لهذه القضية على سائر تغطيات قضايا الجرائم الأخرى، حتى إنّ دينتون ذكر أنه لم يسبق له أن سمع بقضية شهدت مثل هذه التغطية، واعترف أنّه سيكون من المستحيل إيجاد هيئة محلفين عادلة ونزيهة في أي مكان في ولاية ميسيسيبي. لنفترض أنني سمحت للمحاكمة أن تقام في مقاطعة فورد وأدين موكلك، فستستأنف بدعوى أنّه كان يجب تغيير المكان. أشار دينتون إلى أنّه سيساند قراري بعدم تغيير المكان، وهو يعتقد أن غالبية أعضاء المحكمة ستؤيدون رفضي لتغيير المكان؛ هذا ليس ضمانًا بالطبع، لقد ناقشنا الأمر ونحن نحتسي المشروبات. هل تود احتساء مشروب معي؟".

"لا شكرًا".

"أنا لا أرى سببًا لنقل المحاكمة من كلانتون، سنخدع أنفسنا إذا فعلنا ذلك، وإذا اعتقدنا أنّه يمكننا العثور على اثني عشر شخصًا لم يحسموا رأيهم بشأن ذنب السيد هيلي".

"حضرة القاضي، يبدو أنك قد اتخذت قرارك بالفعل".

"صحيح، ستُعقد المحاكمة في كلانتون، ولن نُغيّر مكان انعقادها، لست مرتاحًا لذلك، لكنّني لا أرى سببًا موجبًا إلى جانب ذلك، أنا أحب كلانتون، فالمحكمة قريبة من منزلي والهواء مكيّف فيها".

وصل نووز إلى ملفٍ، ووجد مغلفًا بداخله.

قال نووز: "جايك، لقد ألغيت طلب تغيير مكان المحاكمة، وهذا القرار أصبح نافذًا منذ اليوم؛ لقد أرسلت نسخة إلى باكلي، ونسخة لك، وهذه النسخة الأصلية هنا، وسأكون ممتنًا لك إن أودعتها قلم المحكمة في كلانتون".

"هذا من دواعي سروري".

"أتمنى أنني أقوم بالأمر الصحيح، لقد كافحت حقًا حتى توصلت إلى هذا القرار".

قال جايك محاولًا التخفيف عنه: "إنها مهمة صعبة".

نادى نووز الخادمة وطلب منها إحضار شراب الجين والتونيك، ثم ألحّ على جايك ليرى حديقة الورود الخاصة به، وأمضيا ساعة على شرفة الحديقة الخلفية وهما يتأملان بإعجاب ورود القاضي. في غضون ذلك، كان جايك يُفكر في كارلا وهانا ومنزله والديناميت، لكنه حافظ على اهتمامه بحديقة إيكابود. غالبًا ما تُذكِّر فترة بعد الظهر جايك بكلية الحقوق، عندما كان الطلاب يتجمعون في حانتهم المفضلة في أوكسفورد ويشربون البيرة عند الغروب ويتناقشون في نظرياتهم الجديدة في القانون أو يشتمون أساتذة القانون الوقحين والمتغطرسين على حسب حالة الطقس؛ فإذا كان الطقس دافئًا ومشمسًا، وضعوا أكوامًا من علب الجعة في سيارة جايك الصغيرة، وتوجهوا إلى شاطئ بحيرة ساردیس، حيث تمددت الفتيات من نوادي سكن الأخوات ولمعت أجسادهن البرونزية الجميلة بالزيت وتعرقن تحت الشمس وتجاهلن ببرود طلاب القانون السكارى وشبان الأخويات؛ لقد اشتاق إلى تلك الأيام البريئة. كره كلية الحقوق - كره كل طالب قانون عاقل كلية الحقوق - لكنه افتقد أصدقاءه والأوقات السعيدة خاصة أيام الجمعة. لقد افتقد أسلوب الحياة الخالي من الضغوط، على الرغم من أن الضغط بدا في بعض الأحيان لا يطاق، خاصة خلال السنة الأولى عندما كان الأساتذة أكثر تعسفًا من المعتاد.

اشتاق إلى تلك الأيام التي بقي فيها مفلسًا، لأنه لم يكن مدينًا لأحد بشيء، عندها لم يكن يمتلك شيئًا في المقام الأول، وكان معظم زملائه في الفصل في القارب نفسه، لكنه أصبح الآن قلقًا بعد أن أصبح لديه دخل بشأن الرهون العقارية والنفقات العامة وبطاقات الائتمان وتحقيق الحلم الأمريكي في أن يصبح ثريًا. إنه ميسور، ولكنه ليس غنيًا، لقد افتقد سيارته الأولى من نوع فولكس فاغن، لأنها كانت أول سيارة جديدة يقودها، وهدية تخرجه من الثانوية، ومدفوعة الثمن بالكامل على عكس سيارته الحالية، كما افتقد كونه أعزب في بعض الأحيان، على الرغم من أنّه كان سعيدًا بزواجه، وقد اشتاق لشرب البيرة، إما من دورق أو علبة أو زجاجة، فذلك لا يهم.

اعتاد في الكلية أن يشرب في المناسبات الاجتماعية فقط برفقة الأصدقاء الذين كان يحب أن يمضي أطول وقت برفقتهم؛ لم يشرب كل يوم في كلية الحقوق، فقد كان نادرًا ما يشرب، ولكن كان هناك العديد من ذكريات الثمالة المؤلمة التي لا تنسى؛ ثمّ جاءت كارلا؛ التقى بها في بداية الفصل الدراسي الأخير، وتزوجا بعد ستة أشهر. لقد لفت جمالها انتباهه. في البدء، كانت متعالية وهادئة، مثل معظم فتيات الأخويات الثريات في أولي مس، لكنه نظر إليها بشكل مختلف، فقد بدت له دافئة وأنيقة وتفتقر إلى الثقة بالنفس؛ لم يفهم أبدًا كيف يمكن لفتاة جميلة مثل كارلا ألا تكون واثقة من نفسها؛ كانت إحدى الطالبات المتفوقات، وكل ما كانت تطمح إليه هو العمل كمدرّسة، لقد كانت سليلة عائلة ثرية، ولم يسبق لأمها أن عملت، وأكثر ما أثار أعجاب جايك هو ثراء العائلة وغياب الطموح الوظيفي، فهو كان يبحث عن زوجة تسر النظر وتبقى في البيت وتنجب الأطفال؛ لقد أحبها من النظرة الأولى.

لكنها رفضت شرب الكحول، رفضت أي نوع من الكحوليات تمامًا؛ لقد عاقر والدها الخمر عندما كانت طفلة، واحتفظت بذكريات مؤلمة من تلك الفترة، لذلك توقف جايك عن الشرب في الفصل الدراسي الأخير في كلية الحقوق وخسر خمسة عشر رطلًا. بدا رائعًا وشعر بالروعة وبدا غرامه لها أكثر روعة، لكنه اشتاق إلى شرب البيرة. كان هناك بقالة ريفية على بعد أميال قليلة من تشيستر مع إشارة كورس معلقة على النافذة؛ كانت بيرة كورس مشروبه المفضل في كلية الحقوق، على الرغم من أنّ كورس لم تكن تباع شرقي النهر في ذلك الوقت؛ لقد كان شرابًا نادرًا في أولي مس، وكان تهريب بيرة كورس مربحًا في جميع أنحاء الحرم الجامعي. عاد معظم الناس الآن إلى بود وايزر بما أن بيرة كورس أصبحت متاحة في جميع الأرجاء.

كان يوم الجمعة حارًا، وكانت كارلا تبعد عنه مسافة تسعمئة ميل ليرغب في الذهاب إلى المكتب، وأمكنه تأجيل جميع المهام الأخرى حتى الغد. لقد حاول أحد المعتوهين قتل عائلته وإزالة بيته التراثي من السجل الوطني للأماكن التاريخية، وهو على بعد عشرة أيام من أهم حدث في حياته المهنية، لم يكن جاهزًا وكان الضغط يتصاعد؛ لقد فقد للتو إحدى أوراقه الرابحة قبل المحاكمة. شعر جايك بالعطش، لذا توقف واشترى ست علب من بيرة كورس. استغرق الأمر ما يقارب الساعتين للسفر لمسافة ستين ميلًا من تشيستر إلى كلانتون؛ لقد استمتع بهذا التغيير، والمشاهد الطبيعية، والبيرة.

توقف مرتين لقضاء حاجته، ومرة أخرى للحصول على ست علب أخرى؛ لقد شعر بالارتياح ولم يكن هناك سوى مكان واحد يذهب إليه في حالته؛ لا المنزل ولا المكتب، وبالتأكيد

ليست المحكمة لتقديم أمر إيكابود الخسيس. ركن سيارته خلف سيارة بورش صغيرة متسخة، وانطلق إلى أعلى الرصيف حاملًا بيرة باردة في يده. كالعادة، كان لوسيان يتأرجح ببطء على الشرفة الأمامية، يشرب ويقرأ أطروحة تتمحور حول التذرع بالاختلال العقلي في الدفاع. أغلق الكتاب، ولاحظ البيرة وابتسم لتلميذه السابق، بفبادله جايك الابتسام.

"ما المناسبة لكل هذه البيرة؟".

"لا شيء، فقط شعرت بالعطش".

"فهمت. ماذا عن زوجتك؟".

احتسى جايك رشفة طويلة ثمّ قال: "لا تملي علي زوجتي ما عليّ القيام به، فأنا رجل وأعرف كيف أتصرف، إنّ أردت أن أشرب فسأشرب، ولن تنبس ببنت شفة".

"لا بد أنّها خارج المدينة".

"إنها في شمال كارولينا".

"متى غادرت؟".

"عند الساعة السادسة من صباح اليوم؛ سافرت من مطار ممفيس مع هانا، ستمكث لدى والديها في ويلمنغتون حتى انتهاء المحاكمة؛ لديهما منزل شاطئي صغير فاخر يقضيان فيه الصيف عادة".

"لقد غادرت هذا الصباح، وأصبحت أنت ثملًا بحلول منتصف بعد الظهر".

أجاب جايك: "أنا لست ثملًا. حسنًا، لم أصبح ثملًا بعد".

"منذ متى وأنت تشرب؟".

"منذ بضع ساعات؛ لقد اشتريت ست علب عندما غادرت منزل نووز قرابة الساعة الواحدة والنصف. منذ متى وأنت تشرب؟".

"عادة ما أشرب الكحول على الفطور. لماذا كنت في منزل نووز؟".

"ناقشنا أمر المحاكمة أثناء الغداء؛ لقد رفض نقل مكان المحاكمة".

"ما الذي رفضه؟".

"لقد سمعتني، ستُجرَى المحاكمة في كلانتون".

أخذ لوسيان مشروبًا وحرك مكعبات الثلج بأصابعه.

صاح لوسيان: "سالي".

"هل أخبرك إلى ماذا استند في قراره هذا؟".

"نعم، قال إنّه سيكون من المستحيل العثور على محلفين في أي مكان لم يسمعوا بهذه القضية".

"سبق لي أن أخبرتك بذلك، هذا سبب منطقي لعدم نقل المحاكمة، لكنه سبب قانوني سيئ؛ نووز مخطئ".

عادت سالي مع مشروب جديد، وأخذت بيرة جايك إلى الثلاجة. أخذ لوسيان رشفة وعض شفته، ثم مسح فمه بذراعه، وشرب مجددًا".

سأل لوسيان: "أنت تعرف ماذا يعني ذلك، أليس كذلك؟".

"بالتأكيد، هذا يعني هيئة محلفين مكونة من أشخاص بيض بالكامل".

"ويعني أيضًا أنه لا مجال للاستئناف إذا تمت إدانته".

"لا تراهن على ذلك؛ لقد تشاور نووز بالفعل مع المحكمة العليا، وهو يعتقد أن المحكمة ستقره في حالة الطعن؛ يعتقد أنّه يقف على أرض صلبة".

"إنه أحمق. يسعني أن أريه عشرين حالة تنص على ضرورة تغيير مكان المحاكمة، أعتقد أنّه خائف من تغيير مكانها".

"لِمَ سيخاف نووز؟".

"إنّه يتعرض لبعض الضغوطات".

"من قبل مَن؟".

أُعجب لوسيان بالسائل الذهبي داخل كأسه الكبيرة، وحرك ببطء مكعبات الثلج بإصبعه، ثم ابتسم ابتسامة عريضة؛ بدا أنّه يعرف شيئًا، لكنه لن يخبره به إلّا إذا توسله.

سأل جايك مجددًا وهو يحدق إلى صديقه بعينين حمراوين لامعتين: "من قبل مَن؟".

أجاب لوسيان بعجرفة: "من قبل باكلي".

كرر جايك: "من قِبَل باكلي؟ أنا لا أفهم".

"كنت أعلم أنك لن تستوعب الأمر".

"هل تمانع إن أوضحت لي؟".

"أعتقد أنّه يمكنني أن أوضح، لكنّني لن أكرر كلامي، فهذا سري للغاية وجاء من مصادر موثوقة".

"ممن؟".

"لا يمكنني أن أخبرك".

أصرّ جايك بسؤاله: "ما هي مصادرك؟".

"أخبرتك أنّه لا يمكنني الإفصاح، ولن أفعل. هل فهمت؟".

"كيف يمكن لباكلي أن يضغط على نووز؟".

"سوف أخبرك إن أصغيت".

"ليس لدى باكلي تأثير على نووز، بل إن نووز يحتقره؛ لقد أخبرني ذلك بنفسه اليوم ونحن نتناول الطعام".

"أنا أعرف ذلك".

"حسنًا، لماذا تقول إن باكلي يضغط على نووز؟".

"سوف أخبرك إن صمتّ".

أنهى جايك احتساء البيرة، ونادى سالي.

"أنت تعرف كم أن باكلي متوحش وسفاح سياسيًا".

أومأ جايك برأسه.

"أنت تعرف مدى رغبته في الفوز بهذه المحاكمة؛ إذا فاز فإنه يعتقد أن ذلك سيطلق حملته للترشح لمنصب النائب العام".

قال جايك: "يريد أن يصبح الحاكم".

"ذلك غير مهم. إنّه طموح، حسنًا؟".

"نعم".

"حسنًا، لقد طلب من أصدقائه السياسيين في جميع أنحاء المنطقة الاتصال بنووز واقتراح إجراء المحاكمة في مقاطعة فورد؛ كان بعضهم صريحًا للغاية مع نووز؛ فمثلًا، أخبره البعض أنّه إذا نقل مكان المحاكمة، فلن يساعدوه في الانتخابات القادمة. اترك الأمر في كلانتون، وسنساعد على إعادة انتخابك".

"أنا لا أصدق ذلك".

"لك الحق، ولكنها الحقيقة".

"كيف علمت بذلك؟".

"لديّ مصادري".

"من اتصل به؟".

"إليك أحد الأمثلة، أتذكر ذلك السفاح الذي اعتاد أن يكون عمدة في مقاطعة فان بورين؟ موتلي؟ قبض عليه مكتب التحقيقات الفدرالي، لكنه أصبح حرًا طليقًا الآن، ولا يزال يحظى بشعبية كبيرة في تلك المقاطعة".

"نعم، أذكر".

"أنا أعلم حقيقة أنّه ذهب إلى منزل نووز بصحبة مُرافقين، وشدد على أن يُبقي نووز المحاكمة هنا؛ لقد حرضهم باكلي على ذلك".

"ماذا قال نووز؟".

"تبادلا الشتائم لبعض الوقت، ثم أخبر موتلي نووز أنّه لن يحصل على خمسين صوتًا في الانتخابات القادمة في مقاطعة فان بورين. لقد توعده بحشو صناديق الاقتراع، ومضايقة السود، والتلاعب بأصوات الناخبين، والتقاليد الانتخابية المعتادة في مقاطعة فان بورين؛ لقد علم نووز أنّه سيفعل ذلك".

"لِمَ شعر بالقلق بخصوص ذلك؟".

"لا تكن غبيًا يا جايك؛ إنّه رجل عجوز لا يستطيع أن يعمل في أي مهنة سوى أن يكون قاضيًا. هل يمكنك أن تتخيله يحاول بدء ممارسة القانون؟ يكسب ستين ألفًا في السنة وسوف يتضور جوعًا إذا لم ينجح؛ معظم القضاة من هذا النوع؛ إنّهم يرغبون بالحفاظ على وظائفهم، ويعرف باكلي ذلك، لذا، فهو يتحدث إلى المتعصبين المحليين ويحرضهم ويخبرهم كيف أن تبرئة هذا الأسود غير الصالح ممكنة إذا تم نقل المحاكمة، وأنه ينبغي عليهم أن يضغطوا قليلًا على القاضي. هذا هو السبب وراء شعور نووز ببعض الضغط".

شربا بصمت لبضع دقائق، وتأرجح كلاهما بهدوء على الكرسيين الخشبيين الهزازين؛ لقد أشعرته البيرة بالسعادة.

قال لوسيان: "لم ينتهِ الأمر هنا".

"ماذا تعني؟".

"أعني بالنسبة إلى نووز".

"ماذا هناك أيضًا؟".

"تلقى بعض التهديدات؛ ليست تهديدات سياسية، بل تهديدات بالقتل. سمعت أنّه خائف حتى الموت، وطلب من الشرطة أن يحرسوا منزله، وهو يحمل مسدسًا الآن".

تمتم جايك: "أنا أعرف هذا الشعور".

"نعم، لقد سمعت".

"ماذا سمعت؟".

"بشأن الديناميت. من كان الفاعل؟".

اندهش جايك، وحدق إلى لوسيان غير قادر على الكلام.

"لا تسألني كيف عرفت؛ أخبرتك أن لديّ مصادري. من كان الفاعل؟".

"لا أعلم".

"يبدو وكأنه محترف. سوف يسرني إن بقيت في منزلي هنا؛ لديّ خمس غرف نوم".

"شكرًا لك".

عند الساعة الثامنة والربع، كانت الشمس قد غربت عندما ركن أوزي سيارته الدورية خلف سيارة الساب التي لا تزال مركونة خلف سيارة البورش، ثم مشى إلى أسفل الدرج المؤدي إلى الشرفة، فرآه لوسيان أولًا.

حاول أن ينطق بلسان ثقيل للغاية: "مرحبًا أيها المأمور".

"مساء الخير يا لوسيان. أين جايك؟".

أومأ لوسيان برأسه نحو نهاية الشرفة حيث تمدد جايك على الأرجوحة.

أوضح لوسيان: "إنه يأخذ قيلولة".

مشى أوزي فوق الألواح الخشبية التي أصدرت صريرًا، ووقف فوق ذلك الشخص المصاب بالغيبوبة ويشخر بسلام ولكمه بلطف على أضلاعه، ففتح جايك عينيه، واستجمع قواه ليجلس.

"اتصلت كارلا بمكتبي تبحث عنك، إنّها قلقة للغاية، لقد بقيت تتصل طوال فترة الظهيرة، ولم تتمكن من الوصول إليك، إنها تعتقد أنك ميت، لأن أحدًا لم يرك".

فرك جايك عينيه بينما تأرجحت الأرجوحة برفق.

"أخبرها أنني لست ميتًا، وأنك رأيتني وتحدثت إليّ، وأنك متأكد، ولا مجال للشك في أنني لست ميتًا. أخبرها أنني سأتصل بها غدًا. أخبرها يا أوزي، أرجوك أخبرها".

"هذا مستحيل يا صديقي، أنت رجل راشد، هيا اتصل بها أنت وأخبرها".

غادر أوزي الشرفة، ولم يكن مسرورًا بما رآه، وقد كافح جايك للوقوف على قدميه للدخول إلى المنزل. صاح في سالي: "أين الهاتف؟"، أمكنه سماع لوسيان وهو يضحك بصوت عالٍ على الشرفة أثناء ضغطه على الأرقام في الهاتف.

26

كان آخر صداع كحول قد أصابه منذ ست أو سبع سنوات في كلية الحقوق؛ لم يتذكر على وجه التحديد؛ لم يتمكن من تذكر التاريخ، ولكن أعاد صداع الرأس وجفاف الفم وقصر النفس وحرقة العينين ذكريات مؤلمة ونابضة بالحياة عن سهرات ثمالة طويلة لا تُنسى برفقة هذه المشروبات اللذيذة.

علم أنّه في مشكلة على الفور عندما فتح عينه اليسرى وقد التصق جفنا عينه اليمنى ببعضهما بقوة، وما كانا ليفتحا ما لم يفتحهما بيده، ولم يجرؤ على الحركة. استلقى هناك في الغرفة المظلمة على أريكة، مرتديًا ملابسه الكاملة منتعلًا حذاءه. استمع إلى النبض في رأسه وشاهد مروحة السقف وهي تدور ببطء، فشعر بالغثيان وكانت رقبته تؤلمه بسبب عدم وجود وسادة.

آلمته قدماه بسبب الحذاء، وتقلبت معدته متوعدة إياه بالانفجار؛ لقد تمنى الموت بدلًا من الآلام التي شعر بها.

عانى جايك للتخلص من آثار الثمالة لأنه لم يستطع النوم؛ لقد أصابه الدوار بمجرد أن فتح عينيه وتنشّط دماغه، مما جعل النوم مستحيلًا بوجود كل هذا الألم، ولم يفهم هذا قط. أمكن لأصدقائه في كلية الحقوق أن يناموا لأيام وهم يعانون من صداع الكحول، لكن ليس جايك.

لماذا؟ كان هذا هو السؤال الذي يُطرح دائمًا في صباح اليوم التالي.

لِمَ فعل هذا؟ كان مذاق البيرة الباردة منعشًا.

ربما علبتان أو ثلاث، لكن عشر علب، خمس عشرة، وحتى عشرين علبة؟ لم يستطع عد علب البيرة التي شربها، إذ فقدت البيرة طعمها بعد العلبة السادسة، وأصبح الشرب بعدها بهدف الثمالة. لقد كان لوسيان متعاونًا جدًا، فقبل حلول الظلام، أرسل سالي إلى المتجر لتجلب صندوقًا

كاملًا من بيرة كورس، والتي دفع ثمنها بكل سرور، ثمّ شجع جايك على الشرب؛ لم يتبقَّ سوى عدد قليل من العلب.

لقد كان ذلك خطأ لوسيان.

رفع رجليه ببطء، ووضعهما على الأرض، وتنفس بعمق، لكن قلبه نبض بسرعة، وضخ مزيدًا من الدم إلى دماغه، وغذى آلات ثقب الصخور الصغيرة التي تعمل داخل رأسه. أصيب لسانه بالجفاف والانتفاخ لدرجة إنّه كان من السهل أن يترك فمه مفتوحًا مثل الكلب في الطقس الحار، لذا احتاج إلى شرب الماء. فكر بينه وبين نفسه: لماذا فعلت هذا؟

وقف بحذر، وتسلل ببطء إلى المطبخ حيث كان الضوء فوق الموقد محجوبًا وخافتًا، لكنه اخترق الظلام إلى عينيه. فرك عينيه، وحاول تنظيفهما بأصابعه كريهة الرائحة، ثم شرب الماء الدافئ ببطء وتركه يسيل من فمه ويقطر على الأرض؛ سوف تنظف سالي، لذا، لم يهتم.

نظر إلى الساعة الموضوعة على المنضدة، وكانت تشير إلى الثانية والنصف، فاستجمع بعض القوة، وسار بهدوء عبر غرفة المعيشة متجاوزًا الأريكة التي لم يكن عليها أي وسادات وخرج من الباب. كانت الشرفة مليئة بالعلب والزجاجات الفارغة. لماذا؟

جلس في الحمام تحت المياه الساخنة في مكتبه لمدة ساعة غير قادر على الحركة؛ لقد خفف ذلك بعض الأوجاع، لكن لم يخفف الجلبة التي تدور داخل دماغه.

عندما كان في كلية الحقوق، كان يزحف من سريره إلى الثلاجة لتناول البيرة؛ شربها وساعده ذلك على تسكين الآلام. ثمّ شرب أخرى، وشعر بتحسن كبير.

تذكر هذا الآن وهو جالس في الحمام، وجعله التفكير في شرب المزيد من البيرة يتقيأ.

استلقى على طاولة الاجتماعات بملابسه الداخلية، وحاول بذل قصارى جهده ليموت؛ كان لديه مبلغ كبير من التأمين على الحياة.

سيتركون منزله بحاله، ويمكن لمحامي القضية الجديد الحصول على استئناف.

بقي تسعة أيام على المحاكمة؛ كان الوقت قليلًا، ثمينًا، وها قد أهدر يومًا كاملًا وهو يتعامل مع صداع الكحول. فكّر في كارلا، وخفق رأسه بقوة أكبر؛ لقد حاول أن يبدو رصينًا، وأخبرها أنّه أمضى ولوسيان فترة ما بعد الظهر في مراجعة قضايا الاختلال العقلي، وكان سيتصل بها في وقت

سابق، لكن لم يكن هاتفه يعمل، فاتصل من منزل لوسيان، لكن كان لسانه ثقيلًا وكلامه بطيئًا وعرفت أنّه ثمل، فغضبت.

نعم، كان منزلها لا يزال على حاله، وهذا كل فكرت به.

اتصل بها عند الساعة السادسة والنصف مرة أخرى؛ قد تتأثر إذا علمت أنّه بقي في المكتب حتى الفجر ويعمل بجد. لكن لم تنجح خطته ولم تتأثر كارلا. بدا مبتهجًا بألم وثبات شديدين، أو حتى مفرط البهجة، لكنها لم تتأثر أيضًا.

سألت بإصرار: "كيف تشعر؟".

أجابها مغمض العينين: "بأحسن حال".

"في أي وقت ذهبت إلى الفراش؟".

فكّر جايك بينه وبين نفسه، أي فراش؟ ثمّ أجاب: "بعد أن اتصلت بك مباشرة".

بقيت كارلا صامتة.

قال بفخر: "وصلت إلى المكتب عند الساعة الثالثة بعد منتصف الليل".

"الساعة الثالثة؟".

"نعم، لم أستطع النوم".

انبعثت لمسة من القلق من خلال كلماتها الباردة: "لكنك لم تنم على الإطلاق يوم الخميس"، وأشعره هذا بتحسن.

"سأكون بخير. قد أبقى مع لوسيان بضعة أيام هذا الأسبوع والأسبوع الذي يليه؛ قد يكون الوضع أكثر أمنًا هناك".

"ماذا عن حارسك الشخصي؟".

"نعم، الشرطي نسبيت. إنّه نائم في سيارته في الخارج الآن".

ترددت وشعر جايك أن الجليد قد بدأ يذوب عبر المكالمة، ثم قالت بحرارة: "أنا قلقة عليك".

"سأكون بخير يا عزيزتي، وسأتصل بك غدًا. لديّ الآن عمل لأقوم به".

أنهى المكالمة، وركض إلى الحمام ليتقيأ مرة أخرى.

تجاهل جايك الطرق على الباب الأمامي لمدة خمس عشرة دقيقة، ولكن أيًا من كان، فقد عرف أنّه هناك في الداخل وظل يطرق.

مشى إلى الشرفة، وصاح في الشارع: "من هناك؟".

سارت المرأة من الرصيف تحت الشرفة، واستندت إلى سيارة بي أم دبليو سوداء متوقفة بجانب سيارته من نوع ساب واضعة يديها داخل جيبي بنطالها الجينز الباهت؛ لقد أحرقتها شمس الظهيرة بشكل ساطع وأعمتها وهي تنظر إلى الأعلى باتجاهه، كما لمع شعرها الأحمر الفاتح المائل إلى الذهبي.

سألت وهي تحجب عينيها بساعدها: "هل أنت جايك بريغانس؟".

"نعم، ماذا تريدين؟".

"أريد التحدث إليك".

"أنا مشغول جدًا".

"أود التحدث إليك بموضوع مهم جدًا".

سألها: "أنت لست موكلة، أليس كذلك؟"، وركز نظره على قوامها النحيف بعد تأكد من أنها ليست موكلة بالفعل.

"لا، أنا فقط بحاجة إلى خمس دقائق من وقتك".

فتح جايك الباب، ودخلت بشكل مباشر كما لو أنّها امتلكت المكان، ثمّ صافحته بقوة.

"أنا إيلين رورك".

أشار إلى مقعد بجانب الباب وقال: "أنا سعيد بلقائك. تفضلي بالجلوس".

جلس جايك على طرف مكتب إثيل وسأل: "مقطع واحد أم مقطعان؟".

"عفوًا".

تمتعت بلهجة شمالية شرقية سريعة ومغترة، لكن تلك اللهجة خفتت بمرور الوقت الذي أمضته في الجنوب.

"هل يلفظ اسمك رورك أم رو آرك؟".

"يُلفظ رورك في بوسطن، ورو آرك في ميسيسيبي".

"هل تمانعين إذا ناديتك بإيلين؟".

"لا أمانع ذلك، لكن الفظه بمقطعين رجاء. هل يمكنني مناداتك بجايك؟".

"نعم، بالطبع".

"جيد، لم أخطط لمناداتك بلقب سيد بالأساس".

"أنت من بوسطن، أليس كذلك؟".

"نعم، لقد ولدت هناك، وارتدت كلية بوسطن. والدي هو شيلدون رورك، وهو محام جنائي مشهور في بوسطن".

"لا أظن أنّه سبق لي أن سمعت به، ما الذي أتى بك إلى ميسيسيبي؟".

"أنا في كلية الحقوق في جامعة أولي مس".

"أولي مس؟ وكيف انتهى بك المطاف هنا؟".

"أمي من ناتشيز؛ كانت شابة جميلة في نادي الفتيات في أولي، ثمّ انتقلت إلى نيويورك حيث التقت بوالدي".

"أنا نفسي تزوجت من شابة جميلة من نادي فتيات أولي مس".

"لديهم العديد من الفتيات الجميلات".

"هل تودين شرب القهوة؟".

"لا شكرًا".

"حسنًا، الآن بعد أن تعرفنا إلى بعضنا، ما الذي جاء بك إلى كلانتون؟".

"كارل لي هيلي".

"لست متفاجئًا".

"سأتخرج من كلية الحقوق في كانون الأول، وسأقضي الوقت في أوكسفورد هذا الصيف، وأنا أتدرب على الإجراءات الجنائية تحت إشراف غوثري، وأشعر بالملل".

"جورج غوثري المجنون؟".

"نعم، لا يزال مجنونًا".

"في السنة الأولى، رسبت في القانون الدستوري بسببه".

"أيًا يكن الأمر، أود مساعدتك في المحاكمة".

ابتسم جايك، وجلس على مقعد السكرتارية الدوار الخاص بإثيل، وأخذ يتفحصها بعناية؛ كان قميصها البولو القطني الأسود مجعدًا بشكل عصري ومقحمًا داخل البنطال بدقة، وقد كشفت الخطوط العريضة والظلال الدقيقة أنها لم ترتدِ حمالة صدر، وانسدل الشعر الكثيف المتموج على كتفيها تمامًا.

"ما الذي يجعلك تعتقدين أنني بحاجة إلى المساعدة؟".

"أعلم أنك تعمل لوحدك، وأعلم أنه ليس لديك مساعد قانوني".

"كيف عرفت كل هذا؟".

"من نيوزويك".

"نعم، كان منشورًا رائعًا بصورة جيدة، أليس كذلك؟".

"بدوت ممتلئ الجسم بعض الشيء، لكن عدا عن ذلك كان كل شيء جيدًا؛ أنت تبدو أفضل شخصيًا".

"ما هي الشهادات والمؤهلات التي تحملينها؟".

"يسري جين العبقرية في عائلتي؛ لقد أنهيت تعلم اللغة اللاتينية بامتياز مع مرتبة الشرف في جامعة بوسطن، وأنا الثانية على صفي في كلية الحقوق. في الصيف الماضي، أمضيت ثلاثة أشهر مع رابطة الدفاع عن السجناء الجنوبيين في برمنغهام، وأديت دورًا متميزًا في سبع محاكمات كبرى. شاهدت ألمر واين دوس يموت صعقًا على كرسي كهربائي في فلوريدا، وشاهدت ويلي راي آش وهو يُحقن بشكل مميت في تكساس.

في أوقات فراغي في أولي مس، أكتب مواجز إلى اتحاد الحريات المدنية الأمريكي، وأعمل على استئنافين لعقوبة الإعدام لصالح شركة محاماة في سبارتانبورغ بولاية ساوث كارولينا. كبرت وأنا أعمل إلى جانب أبي في مكتبه للمحاماة، وكنت بارعة في البحث القانوني قبل أن أحصل على رخصة القيادة. لقد شاهدته يدافع عن القتلة والمغتصبين والمختلسين والمبتزين والإرهابيين والقتلة والمسيئين للأطفال والمعتدين على الأطفال وقتلة الأطفال والأطفال الذين قتلوا والديهم. عملت لأربعين ساعة في الأسبوع في مكتبه عندما كنت في المدرسة الثانوية، ولخمسين ساعة عندما كنت في الكلية. لديه ثمانية عشر محاميًا في شركته، كلهم بارعون وموهوبون للغاية؛ إنّها ساحة تدريب رائعة للمحامين الجنائيين، وأنا هناك منذ أربعة عشر عامًا. أبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا، وأريد أن أصبح محامية جنائية مثل والدي عندما أكبر، وأقضي مهنتي وأنا أحاول القضاء على عقوبة الإعدام".

"هل هذا كل شيء؟".

"والدي ثري للغاية، وأنا طفلة وحيدة على الرغم من أننا كاثوليك من إيرلندا. لديّ أموال أكثر منك، لذا، سأعمل مجانًا من دون مقابل؛ سأعمل مساعدة قانونية مجانية لمدة ثلاثة أسابيع، وسأقوم بكل الأبحاث، والكتابة، والرد على المكالمات؛ سأحمل حتى حقيبتك وسأعدُّ لك القهوة".

"كنت أخشى أنك تريدين أن تكوني شريكة في القانون".

"لا، أنا امرأة في الجنوب، وأنا أعرف حدودي".

"لماذا أنت مهتمة جدًا بهذه القضية؟".

"أريد أن أكون في قاعة المحكمة، فأنا أحب المحاكمات الجنائية والمحاكمات الكبرى حيث توجد حياة على المحك وضغط شديد لدرجة أنّه يمكنك الشعور به في الأجواء، وحيث تكون قاعة المحكمة مكتظة والأمن مشددًا بداخلها. أحب هذا الشعور حيث يكره نصف الناس المتهم ويصلي

النصف الآخر ومحاميه لنجاته، وهذه المحاكمة هي الأهم حاليًا. أنا لست من سكان الجنوب، وأجد هذا المكان محيرًا في معظم الأوقات، لكنّني طورت له حبًا من نوع خاص. لن يكون ذلك منطقيًا أبدًا بالنسبة إلي، لكنه إحساس رائع. هناك الكثير من التداعيات العرقية؛ محاكمة أب أسود بتهمة قتل رجلين أبيضين اغتصبا ابنته؛ قال والدي إنّه سيتولى القضية مجانًا".

"أخبريه أن يبقى في بوسطن".

"هذا حلم جميع محامي المرافعات، أريد فقط التواجد هناك، وأعدك أنني سأبقى بعيدة عن الطريق. فقط دعني أعمل في الخلفية وأشاهد المحاكمة".

"يكره القاضي نووز المحاميات".

"كما هو الحال مع جميع المحامين الذكور في الجنوب. علاوة على ذلك، أنا لست محامية، أنا مجرد طالبة قانون".

"سأدعك تشرحين ذلك له".

"حسنًا، لقد حصلت على الوظيفة".

توقف جايك عن التحديق إليها وتنفس بعمق؛ لقد عبرت موجة خفيفة من الغثيان معدته ورئتيه وحبست أنفاسه، وكانت آلات ثقب الصخور قد عادت بغضب ووجب عليه التواجد بالقرب من دورة المياه.

"نعم، لقد حصلت على الوظيفة؛ يمكنني الاستفادة من بعض البحث المجاني. هذه القضايا معقدة، وأنا متأكد من أنك تعلمين ذلك".

أشرقت على وجهها ابتسامة لطيفة وواثقة وقالت: "متى يمكنني أن أبدأ؟".

"الآن".

اصطحبها جايك في جولة سريعة في أرجاء المكتب، وخصص لها غرفة الحرب في الطابق العلوي. وضعا ملف هيلي على طاولة الاجتماعات وأمضت ساعة في تدوين الملاحظات. عند الساعة الثانية والنصف، استيقظ جايك من قيلولته على أريكته، ومشى في الطابق السفلي إلى

غرفة الاجتماعات. كانت قد أزالت نصف الكتب عن الأرفف وبعثرتها على طول الطاولة وبرزت علامات الصفحات كل خمسين صفحة أو نحو ذلك؛ كانت مشغولة في تدوين الملاحظات.

قالت: "مكتبتك ليست بسيئة".

"لم تُستخدم بعض الكتب منذ عشرين عامًا".

"لقد لاحظت الغبار".

"هل أنت جائعة؟".

"نعم، أنا جائعة".

"هناك مقهى صغير في نهاية الشارع متخصص بالوجبات الدسمة؛ يحتاج جسمي إلى جرعة من الدسم".

"يبدو هذا لذيذًا".

تجولا في الساحة وصولًا إلى كلود، حيث لم يكن هناك ازدحام بالنسبة إلى بعد ظهر يوم السبت؛ لم يكن هناك بيض آخرون في المكان، ولم يكن كلود موجودًا فعم الهدوء في المكان. طلب جايك برغر بالجبن وحلقات البصل وثلاث حبوب للصداع.

سألته إيلين: "هل تعاني من صداع؟".

"نعم، صداع قوي".

"بسبب الإجهاد؟".

"بل صداع بسبب الثمالة".

"صداع بسبب الثمالة؟ اعتقدت أنك ممتنع عن المسكرات".

"وأين سمعت ذلك؟".

"ذُكِرَ في المقال في نيوزويك أنك رجل عائلة ملتزم، مدمن عمل، مشيخي متدين لا يشرب الكحول ويدخن السيجار الرخيص. أتذكر؟ كيف يمكن أن لك أن تنسى؟".

"هل تصدقين كل ما تقرأينه؟".

"لا".

"هذا جيد، لأنني ثملت ليلة البارحة، وأمضيت فترة الصباح وأنا أتقيأ".

ضحكت المساعدة القانونية وسألته: "ماذا شربت؟".

"أنا لا أتذكر، على الأقل لم أفعل ذلك حتى الليلة الماضية، فهذا هو أول صداع بسبب الثمالة يصبني منذ كلية الحقوق، وآمل أن يكون الأخير. لقد نسيت مدى فظاعة هذا الشعور".

"لماذا يشرب المحامون الكثير؟".

"يتعلمون الإسراف في الشرب في كلية الحقوق. هل يشرب والدك؟".

"هل تمازحني؟ نحن كاثوليك. إنّه حذر رغم ذلك".

"هل تشربين؟".

أجابت بفخر: "بالتأكيد، طوال الوقت".

"حسنًا، ستصبحين محامية عظيمة".

مزج جايك الحبوب الثلاث بعناية في كوب من الماء المثلج وشربها؛ تجهم وجهه ومسح فمه.

راقبته باهتمام بينما علت وجهها ابتسامة مشرقة.

"ماذا قالت زوجتك؟".

"عمّاذا؟".

"عن استيقاظك وأنت تعاني من صداع الثمالة، خصوصًا وأنك رجل عائلة ملتزم ومتدين".

"إنها لا تعرف ذلك، لقد تركتني في وقت مبكر من صباح أمس".

"أنا آسفة".

"ذهبت للمكوث لدى والديها حتى تنتهي المحاكمة؛ لقد تلقينا مكالمات هاتفية مجهولة وتهديدات بالقتل منذ شهرين، وزرعوا الديناميت بعد منتصف ليل أمس خارج نافذة غرفة نومنا؛ لقد عثر رجال الشرطة على المتفجرات في الوقت المناسب، وألقوا القبض على الجانيين، ربما ينتميان إلى كلان. كان مقدار الديناميت

كافيًا لهدم المنزل وقتلنا جميعًا، كان ذلك عذرًا جيدًا للإسراف في الشرب".

"يؤسفني سماع ذلك".

"قد تكون الوظيفة التي حصلت عليها للتو خطيرة للغاية. عليك معرفة هذا في هذه المرحلة".

"لقد تعرضت للتهديد في الصيف الماضي في دوثان، ألاباما، دافعنا عن اثنين من المراهقين السود اغتصبا وخنقا امرأة تبلغ من العمر ثمانين عامًا. لم يتولَ أي محام في الولاية القضية، لذلك قرروا الاستعانة برابطة الدفاع. تجولنا في المدينة على ظهري جوادين أسودين، وقد أدت مجرد رؤيتنا إلى تجمع حشود غاضبة على الفور في الشوارع؛ لم يسبق لي أن شعرت أنني مكروهة في حياتي. اختبأنا في فندق في بلدة أخرى بحثًا عن الأمان، حتى حاصرني رجلان ذات ليلة في صالة الفندق وحاولا اختطافي".

"ماذا حدث؟".

"أحمل مسدسًا من عيار 38 في حقيبتي، وأقنعتهما أنني أعرف كيفية استخدامه".

"أليك مسدس من عيار 38؟".

"أهداني إياه والدي في عيد ميلادي الخامس عشر، لديّ رخصة حمل سلاح".

"لا بد من أنّه رجل رائع".

"لقد أُطلِق عليه النار عدة مرات؛ إنّه يتولى قضايا في غاية الجدلية من النوع الذي تقرأ عنه في الصحف حيث يغضب الجمهور ويطالب بإعدام المتهم دون محاكمة أو محام؛ هذه هي الحالات التي يحبها أكثر، لديه حارس شخصي متفرغ لحمايته".

"وأنا كذلك، لقد كُلف شرطي بالأمس لحمايتي، إنّه يدعى نسبيت، وهو أخرق للغاية عندما يتعلق الأمر باستخدام مسدسه".

في تلك الأثناء وصل الطعام، فأزالت البصل والطماطم من برغر كلود، وقدمت له البطاطا المقلية؛ قطعتها إلى نصفين، وأكلت مثل الطيور. قطر الشحم الساخن على طبقها، ومسحت فمها بعناية مع كل قضمة صغيرة.

لم يكن هناك أثر للماكياج على وجهها؛ لم تكن بحاجة إليه أساسًا؛ لم تكن جميلة ولا لطيفة، ومن الواضح أن هذه كانت غايتها. تناثرت سبعة أو ثمانية من النمش حول أنفها الصغير المدبب، ومع كل ابتسامة، مالت شفتاها بشكل كامل وثنت خداها غمازتان عابرتان وعميقتان؛ كانت الابتسامات واثقة ومتحدية وغامضة.

أشعت عيناها الخضراوان اللامعتان بالغضب. ثبتت نظرها ولم ترمش وهي تتحدث.

تمتعت بملامح وجه ذكية وجذابة للغاية.

مضغ جايك البرغر، وحاول تجاهل نظراتها بلا مبالاة. استقر الطعام الدسم في معدته، وشعر لأول مرة منذ عشر ساعات أنّه سوف يعيش.

سألها: "لماذا اخترت أولي مس؟".

"إنها كلية حقوق جيدة".

"إنها كلّيّتي؛ لكننا لا نجتذب عادةً ألمع الطلاب من الشمال الشرقي، بل نرسل أولادنا الأذكياء إلى جامعات رابطة اللبلاب".

"أبي يكره كل محامٍ يحمل شهادة جامعية من جامعات رابطة اللبلاب؛ لقد نشأ فقيرًا وشق طريقه من خلال كلية الحقوق المسائية. لقد عانى من ازدراء المحامين الأغنياء والمتعلمين وغير الأكفاء طوال حياته، وهو ينظر بازدراء إليهم الآن. أخبرني أنه يمكنني الالتحاق بكلية الحقوق في أي مكان في البلاد، لكنه لن يدفع ثمن دراستي إذا اخترت جامعة من جامعات رابطة اللبلاب. ثمّ هناك والدتي، فقد نشأت على هذه القصص الساحرة عن الحياة في أعماق الجنوب، وكان عليّ أن أرى ذلك بنفسي. بالإضافة إلى ذلك، بدت الولايات الجنوبية مصممة على تطبيق عقوبة الإعدام، لذلك أعتقد أنّه سينتهي الحال بي هنا في جميع الأحوال".

"لماذا تعارضين عقوبة الإعدام بشدة؟".

"وأنت؟ ألا تعارضها؟".

"لا، أنا أؤيدها كثيرًا".

"من غير المعقول أن يصدر مثل هذا التصريح عن محامي دفاع جنائي".

"أود العودة إلى الأيام التي اعتادوا فيها تطبيق الإعدام شنقًا في حديقة المحكمة".

"أنت تمزح، أليس كذلك؟ أخبرني أنك تمزح وحسب".

"أنا جاد كل الجدية".

توقفت عن المضغ والابتسام، وتوهجت عيناها بشدة وراقبتاه بحثًا عن إشارة ضعف.

"هل أنت جاد؟".

"أنا جاد للغاية. مشكلة عقوبة الإعدام هي أننا لا نستخدمها بشكل كافٍ".

"هل شرحت ذلك للسيد هيلي؟".

"لا يستحق السيد هيلي عقوبة الإعدام، بل استحقها الرجلان اللذان اغتصبا ابنته بالتأكيد".

"فهمت. كيف تحدد من يستحق الحصول على عقوبة الإعدام؟".

"هذا بسيط للغاية؛ ننظر إلى الجريمة وإلى المجرم، إذا أطلق تاجر مخدرات النار على شرطي يعمل متخفيًا، فإنه يستحق الموت داخل غرفة الغاز، وإذا اغتصب متسكع فتاة تبلغ من العمر ثلاث سنوات، وأغرقها عبر ضغط رأسها الصغير داخل حفرة طينية، ثمّ رمى جسدها من فوق الجسر لتلقى حتفها، فسأشكر الله حينها إنّه قد قُتل، وإذا اقتحم محكوم هارب مزرعة في وقت متأخر من الليل وضرب وعذّب زوجين مسنين قبل أن يحرقهما داخل منزلهما، فهو يستحق حينها أن يتم تقييده على كرسي ووصل بعض الأسلاك، والصلاة من أجل روحه، ثمّ رفع القاطع، وإذا كان هناك مغفلان اغتصبا فتاة تبلغ من العمر عشر سنوات وركلاها بأحذية رعاة البقر ذات المقدمة المدببة حتى كسرا فكيها، فسأحبسهما حينها ببهجة وسرور داخل غرفة الغاز واستمع إلى صراخهما. الأمر بسيط للغاية".

"إنه عقاب بربري".

"ارتكبوا جرائم وحشية. حتى إن الموت هو عقاب لطيف بالنسبة إليهم، يستحقون أكثر من ذلك".

"وماذا لو أدين السيد هيلي وحكم عليه بالموت؟".

"إذا حدث ذلك، فأنا متأكد من أنني سأقضي السنوات العشر القادمة في تقديم المناشدات والقتال بضراوة لإنقاذ حياته. وإذا قاموا بتقييده على الكرسي، فأنا متأكد من أنني سأكون خارج السجن معك ومع اليسوعيين ومئات من الأشخاص الطيبين الذين سيسيرون وسيحملون الشموع وسيغنون الترانيم، وبعد ذلك سأقف بجانب قبره خلف كنيسته مع أرملته وأطفاله وأتمنى لو لم أقابله أبدًا".

"هل سبق لك أن شاهدت إعدامًا".

"لا أذكر أنني شاهدت".

"لقد شاهدت إعدامين؛ سوف تغير رأيك إن رأيت واحدًا".

"جيد. إذًا، لا أريد رؤية أي إعدام".

"من المروع مشاهدة إعدام".

"هل كانت عائلات الضحايا هناك؟".

"نعم، في المرتين".

"هل كانوا مذعورين؟ هل تغيرت عقولهم؟ بالطبع لا، انتهت كوابيسهم وحسب".

"أنت تدهشني برأيك".

"وأنا أشعر بالذهول من أشخاص مثلك. كيف يمكنك أن تتحمسي وتتفاني في محاولة إنقاذ الأشخاص الذين استحقوا عقوبة الإعدام والتي يجب أن يحصلوا عليها وفقًا للقانون؟".

"قانون ماذا؟ هذا ليس القانون في ماساتشوستس".

"أنت محقة؛ ماذا يمكنني توقع من الولاية الوحيدة التي حكمها ماك غفرن عام 1972؟ أنتم أيها الناس في تلك الولاية دائمًا على تواصل مع بقية البلاد".

تم تجاهل شطيرتي البرغر، وأخذت أصواتهما بالارتفاع، فنظر جايك حوله، ولاحظ أن البعض يحدقون إليهما. ابتسمت إيلين مرة أخرى، والتقطت إحدى حلقات البصل.

سألت وهي تتناول حلقة البصل: "ما رأيك في اتحاد الحريات المدنية الأمريكية؟".

"أفترض أن لديك بطاقة عضوية داخل محفظتك".

"نعم".

"إذًا، أنت مطرودة".

"انضممت عندما كنت في السادسة عشرة من عمري".

"لماذا تأخرت كثيرًا؟ لا بد من أنك كنت في المرتبة الأخيرة من فرقة فتيات الكشافة".

"هل لديك أي احترام لوثيقة الحقوق؟".

"أنا أعشق وثيقة الحقوق، لكنّني أحتقر القضاة الذين يفسرونها كما يشاؤون. كُلي الآن".

أنهيا شطيرتي البرغر بصمت وهما يراقبان بعضهما بعناية، ثم طلب جايك القهوة وحبّتي دواء للصداع.

سألت: "إذًا، كيف نخطط للفوز بهذه القضية؟".

"نحن؟".

"ما زلت أعمل لديك، أليس كذلك؟".

"نعم، تذكري فقط أنني أنا الرئيس وأنت المساعدة القانونية".

"بالتأكيد يا سيدي. ما هي استراتيجيتك للعمل؟".

"كيف كنت لتتعاملي مع هذه القضية؟".

"حسنًا، من خلال ما سمعته: خطط موكلنا بعناية لعملية القتل وأطلق النار عليهما بدم بارد بعد مرور ستة أيام من حادثة الاغتصاب؛ يبدو تمامًا كما لو كان يعرف ما يفعله".

"بالطبع كان يعرف".

"لذلك ليس لدينا وسيلة دفاع، وأعتقد أنّه يجب أن تقر بأنه مذنب لتكون عقوبته السجن مدى الحياة، وعلينا جعله يتجنب الإعدام في غرفة الغاز".

"أنت مقاتلة حقيقية".

"أنا فقط أمزح. ليس لدينا دفاع سوى الادعاء بالاختلال العقلي، ويبدو من المستحيل إثبات ذلك".

سأل جايك: "هل أنت على دراية بقاعدة المسؤولية الجنائية للمرضى العقليين؟".

"نعم، هل لدينا طبيب نفسي؟".

"نوعًا ما. سيقول كل ما نريده أن يقوله؛ هذا إن تصرف برصانة خلال المحاكمة. ستكون إحدى مهامك الأكثر صعوبة بصفتك مساعدة قانونية جديدة هي التأكد من كونه رصينًا خلال المحاكمة. صدقيني لن يكون الأمر سهلًا".

"أعشق التحديات الجديدة في قاعة المحكمة".

"حسنًا يا رو آرك. إليك قلمًا وهذا منديل؛ فرئيسك في العمل على وشك إعطائك بعض التعليمات".

بدأت في تدوين الملاحظات على منديل ورقي.

"أريد موجزًا عن قرارات المسؤولية الجنائية للمختلين عقليًا التي أصدرتها المحكمة العليا في ميسيسيبي في الخمسين عامًا الماضية؛ ربما هناك مئة قرار. هناك قضية كبيرة تعود إلى العام 1976، كانت المحاكمة بين الولاية وهيل، كانت أصوات المحلفين خمسة مقابل أربعة، مع اختيار المعارضين لتعريف أكثر ليبرالية للاختلال العقلي. أريد منك كتابة مختصر لا يتجاوز العشرين صفحة. هل يمكنك القيام بهذه المهمة؟".

"يمكنني كتابة تسعين كلمة في الدقيقة".

"كان عليّ معرفة ذلك. أريده على مكتبي يوم الأربعاء".

"سوف تستلمه مني يوم الأربعاء".

"هناك بعض النقاط الاستدلالية التي أحتاج إلى البحث عنها. لقد رأيت تلك الصور المروعة للجثتين؛ يسمح نووز عادة لهيئة المحلفين برؤية الدماء والعنف، لكنّني أود إبعاد تلك الصور عن هيئة المحلفين. ابحثي عما إذا كانت هناك طريقة للحيلولة دون ذلك".

"لن يكون الأمر سهلًا".

"تعتبر حادثة الاغتصاب هي الحجة الحاسمة للدفاع عنه، وأريد أن تعرف هيئة المحلفين التفاصيل، وهذا يحتاج إلى بحث شامل. هناك حالتان أو ثلاث حالات يمكنك البدء منها، وأعتقد أنّه يمكننا أن نثبت لنووز أن الاغتصاب وثيق الصلة بالموضوع".

"حسنًا، ماذا بعد؟".

"لا أعرف. سأفكر في المزيد عندما يستعيد عقلي حياته مجددًا، لكن هذا كل شيء في الوقت الحالي".

"هل أقدم تقريري صباح الاثنين؟".

"نعم، ولكن ليس قبل الساعة التاسعة. لا أحب أن يقاطع أحدهم وقت سكينتي".

"ما هي قواعد اللباس؟".

"ما ترتدينه جيد".

"أتعني بنطال جينز دون جوارب؟".

"لدي موظفة أخرى، سكرتيرة اسمها إثيل، إنّها في الرابعة والستين من العمر، ممتلئة الجسم، ولحسن الحظ ترتدي حمالة صدر؛ ولن يكون ارتداء حمالة صدر فكرة سيئة بالنسبة إليك أيضًا".

"سأفكر بشأن هذا".

"لست بحاجة إلى إلهاء".

27

يوم الاثنين الخامس عشر من تموز؛ بقي أسبوع حتى المحاكمة. خلال عطلة نهاية الأسبوع، انتشر الخبر بسرعة أن المحاكمة ستعقد في كلانتون، واستعدت المدينة الصغيرة للحدث. رنت الهواتف بثبات في الفنادق الثلاثة حيث أكد الصحفيون وطواقمهم الحجوزات، وعجت المقاهي بالحشود المترقبة، وتجول طاقم صيانة في المقاطعة حول قاعة المحكمة بعد الفطور وبدأوا بأعمال الطلاء والتلميع، كما أرسل أوزي عمال النظافة من السجن مع جزازاتهم وقاطعات الأعشاب، وقد تأرجح كبار السن من الرجال تحت النصب التذكاري لفييتنام بحذر وهم يراقبون كل هذه الأنشطة.

طلب الوصي الذي أشرف على أعمال الساحة منهم أن يبصقوا على العشب، وليس على الرصيف.

أخبروه أن يذهب إلى الجحيم. زُودت طبقة حشائش برمودا السميكة والقاتمة بطبقة إضافية من السماد، وأصدرت العشرات من مرشات العشب صوت صفير بحلول الساعة التاسعة صباحًا.

وصلت درجة الحرارة بحلول الساعة العاشرة إلى الاثنتين والتسعين.

فتح تجار المحلات الصغيرة حول الساحة أبوابهم لتستقبلهم الرطوبة وهرعوا لتشغيل مراوح السقف، واتصلوا بممفيس وجاكسون وشيكاغو لتجهيز قوائم جرد بالسلع التي يريدون بيعها بأسعار رخيصة الأسبوع المقبل.

اتصل نووز بجين غيليسبي وهي مساعدة قانونية في محكمة الدائرة، في وقت متأخر من يوم الجمعة وأبلغها أن المحاكمة ستُعقد في قاعة المحكمة التابعة لها.

أمرها باستدعاء مئة وخمسين محلفًا محتملًا، وطلبت جهة الدفاع وجود مجموعة كبيرة يمكن من خلالها اختيار الاثني عشر محلفًا، وقد وافق نووز على ذلك. أمضت جين يوم السبت في تمشيط دفاتر تسجيل الناخبين واختيار المحلفين المحتملين عشوائيًا، وقد استبعد أولئك الذين تزيد أعمارهم عن خمسة وستين عامًا وفقًا تعليمات نووز المحددة، فتم اختيار ألف اسم، وكُتب كل اسم مع العنوان على بطاقة فهرسة صغيرة وأُلقيت في صندوق من الورق المقوى.

ثم تناوب نائبا الكتبة على سحب البطاقات عشوائيًا من الصندوق. كان أحد المساعدين القانونيين أبيض البشرة والثاني أسود، فسحب كل منهما بطاقة بشكل عشوائي من الصندوق ورتبها بدقة على طاولة قابلة للطي مع باقي البطاقات. توقفا عن السحب وكُتبت قائمة رئيسية عندما وصل العدد إلى مئة وخمسين اسمًا. سيكون هؤلاء هم المحلفون في قضية الولاية ضد هيلي. تم إملاء كل خطوة من خطوات اختيارهما للمحلفين بعناية من قبل حضرة القاضي عمر نووز، الذي عرف بالضبط ما كان يفعله. إذا تكونت هيئة محلفين بالكامل من الأشخاص البيض وتمت إدانته وحكم عليه بالإعدام، فسيتم مهاجمة كل خطوة أولية من إجراءات اختيار هيئة المحلفين عند الاستئناف؛ لقد مر بهذا الأمر من قبل، وتم عكس الحكم.

ولكن ليس هذه المرة.

تمت كتابة اسم وعنوان كل محلف من القائمة الرئيسية ضمن استدعاء منفصل لهيئة المحلفين، وتم الاحتفاظ بمجموعة الاستدعاءات في مكتب جين حتى الساعة الثامنة من صباح يوم الاثنين عندما وصل المأمور أوزي وولز. شرب القهوة مع جين وتلقى التعليمات.

قالت: "يريد القاضي نووز أن يتم توزيع هذه بين الساعة الرابعة ومنتصف ليل اليوم".

"حسنًا".

"سيقدم المحلفون تقريرًا إلى المحكمة على وجه السرعة بحلول الساعة التاسعة يوم الاثنين المقبل".

"حسنًا".

"لا يشير الاستدعاء إلى اسم أو طبيعة المحاكمة، ولا يجب إخبار المحلفين بأي شيء".

"أعتقد أنّهم سيعرفون".

"ربما الأمر كذلك، لكن تعليمات نووز كانت محددة بدقة، يجب ألّا يذكر رجالك شيئًا عن القضية عند تسليم الاستدعاءات، فأسماء المحلفين سرية للغاية حتى يوم الأربعاء على الأقل. لا تسألني عن السبب؛ تلك أوامر نووز".

قلّب أوزي في أكوام الورق وسأل: "كم لدينا هنا؟".

"مئة وخمسون".

"مئة وخمسون؟ لماذا هذا العدد الكبير؟".

"إنها قضية كبيرة. تلك أوامر نووز".

"سأُرسل كل رجل لدي لتسليم هذه الأوراق".

"أنا آسفة".

"حسنًا، إذا كان هذا ما يريده حضرة القاضي".

غادر أوزي، ووقف جايك في غضون ثوانٍ عند المنضدة يغازل السكرتيرات ويبتسم في وجه جين غيليسبي، ثم تبعها إلى مكتبها وأغلق الباب؛ تراجعت خلف مكتبها، وأشارت إليه، لكنه ظل يبتسم.

قالت بصرامة: "أنا أعرف سبب وجودك هنا، ولا يمكنك الحصول عليها".

"أعطني القائمة يا جان".

"لن أعطيك إياها قبل الأربعاء. تلك هي أوامر نووز".

"الأربعاء؟ لماذا الأربعاء؟".

"لا أدري. لكن كان صارمًا للغاية بطلباته".

"أعطني القائمة يا جان".

"لا أستطيع يا جايك. هل تريد أن تورطني في مشكلة؟".

قال بعد أن توقف عن الابتسام: "لن تتورطي في مشكلة لأن أحدًا لن يعلم. أنت تعرفين جيدًا أنه يمكنني حفظ الأسرار. أعطني القائمة اللعينة".

"لا يمكنني فعل هذا يا جايك".

"أحتاج إلى القائمة، وأحتاج إليها الآن. لا أستطيع الانتظار حتى يوم الأربعاء. لدي عمل لأقوم به".

قالت بصوت ضعيف: "لن يكون هذا منصفًا لباكلي".

"ليذهب باكلي إلى الجحيم. هل تعتقدين أنّه يتصرف بمناقبية؟".

"إنه ثعبان، وأنا أكرهه بقدر ما تكرهه".

"ربما أكثر".

"أعطني القائمة يا جان".

"اسمع يا جايك، لطالما كنا مقربين، فأنت أكثر من مجرد محامٍ بالنسبة إليّ. عندما وقع ابني في مشكلة اتصلت بك، أليس كذلك؟ أنا أثق بك، وأريدك أن تفوز بهذه القضية. لكن لا يمكنني خرق أوامر القاضي".

"من ساعدك في الانتخابات آخر مرة، أنا أم باكلي؟".

"اسكت يا جايك".

"من أبقى ابنك خارج السجن، أنا أم باكلي؟".

"اسكت من فضلك".

"من الذي حاول أن يضع ابنك في السجن، أنا أم باكلي؟".

"هذا ليس منصفًا يا جايك".

"من دافع عن زوجك عندما أراد الجميع في الكنيسة رحيله عندما لم تتزن الحسابات؟".

"إنها ليست مسألة ولاء يا جايك. أنا أحبك أنت وكارلا وهانا، لكنّني لا أستطيع فعل ذلك".

أغلق جايك الباب وخرج من المكتب، وجلست جين على مكتبها، ومسحت الدموع عن خديها.

عند الساعة العاشرة صباحًا، اقتحم هاري ريكس مكتب جايك، وألقى بنسخة من قائمة المحلفين على مكتبه وقال: "لا تسأل شيئًا".

دوّن ملاحظات بجانب كل اسم، مثل "لا أعرف" أو "عميل سابق يكره السود" أو "قد يتعاطف العامل في مصنع الأحذية"... قرأ جايك الأسماء ببطء محاولًا تذكر وجوههم أو أي معلومات عنهم؛ لكن لم يكن هناك شيء سوى الأسماء.

لا عناوين ولا أعمار ولا مهن؛ لا شيء سوى الأسماء.

بدت معظم الأسماء وكأنها تعود لأشخاص من ذوي البشرة البيضاء. كان هناك ويلي ماي جونز، ليروي واشنطن، روزفلت تاكر، بيسي لو بين، وعدد قليل من الأسماء التي تدل على أشخاص ذوي بشرة سوداء.

بدا أن معظم من وردت أسماؤهم في القائمة هم من البيض؛ لقد تعرف على ثلاثين اسمًا على الأكثر.

سأل هاري ريكس: "ما رأيك؟".

"لا يمكنني القول. معظمهم من البيض، لكن هذا متوقع. من أين أتيت بهذه القائمة؟".

"لا تسألني. لقد دوّنت الملاحظات بجانب ستة وعشرين اسمًا. هذا أفضل ما يمكنني فعله، لكنني لا أعرف الباقين".

"أنت صديق حقيقي يا هاري ريكس".

"أنا لا أقدر بثمن. هل أنت مستعد للمحاكمة؟".

"ليس بعد، ولكنني وجدت سلاحًا سريًا".

"ماذا؟"

"ستقابلها لاحقًا".

"هي؟".

"نعم. هل أنت مشغول ليلة الأربعاء؟".

"لا أعتقد ذلك. لماذا؟".

"جيد. لنجتمع هنا عند الساعة الثامنة، وسيكون لوسيان موجودًا برفقة شخص أو شخصين. سأستغرق بضع ساعات للتحدث عن هيئة المحلفين. من هم الأشخاص الذين نريدهم أن يكونوا موجودين؟ دعنا نحصل على ملف تعريف للمحلف النموذجي وسوف ننطلق من هذه النقطة؛ سندقق في كل اسم وآمل أن نتعرف على معظم هؤلاء الأشخاص".

"سآتي، يبدو الأمر ممتعًا، ما هو المحلف النموذجي بالنسبة إليك؟".

"لست واثقًا. أعتقد أن الناس المحليين الرجعيين سوف يتعاطفون مع موكّلي؛ أولئك الذين يؤيدون حمل الأسلحة والعنف وحماية المرأة، وسوف يبتلع الرجعيون هذا الطعم. لكن موكّلي رجل أسود، وقد قتل اثنين من السكان المحليين، لذا، ليس من صالحنا أن يكون أحدهم ضمن اللجنة".

"أوافقك الرأي، كنت لأبتعد عن النساء أيضًا؛ فهن لن يتعاطفن مع المغتصبين، لكنهن يولين الحياة قيمة أكبر. لن تتفهم النساء شيئًا مثل الإمساك ببندقية وتفجير رأسي المغتصبين؛ أنا وأنت نفهم ذلك لأننا آباء وتلك القضية تناشدنا. لا يزعجنا العنف والدم بل نحن معجبان به. عليك اختيار بعض المعجبين بفعلته في هيئة المحلفين؛ أي اختيار آباء صغار متعلمين".

"ذلك مثير للاهتمام. قال لوسيان إنّه كان ليبقي النساء لأنهن أكثر تعاطفًا".

"لا أعتقد ذلك. أعرف بعض النساء اللواتي سيقطعن لسانك إذا أزعجتهن".

"إحدى موكلاتك؟".

"نعم، اسمها موجود في تلك القائمة؛ فرانسيس بوردين؛ اخترها وسأخبرها بما عليها قوله أثناء التصويت".

"هل أنت جاد؟".

"نعم، ستفعل أي شيء أقوله لها".

"هل يمكنك التواجد في المحكمة يوم الاثنين؟ أريدك أن تكون حاضرًا عند اختيار هيئة المحلفين، ومساعدتي في اتخاذ قرار بشأن الاثني عشر محلفًا".

"لن أفوّت ذلك".

سمع جايك أصواتًا في الطابق السفلي وضغط بإصبعه على شفتيه، ثم همس مبتسمًا: "استمع"، وأشار إلى هاري ريكس ليتبعه. خرجا إلى أعلى الدرج، واستمعا إلى الجلبة الصادرة من مكتب إثيل؛ أصرت إثيل قائلةً: "أنت بالتأكيد لا تعملين هنا".

"بل أعمل هنا بالتأكيد؛ لقد عيّنني جايك بريغانس يوم السبت، الذي أعتقد أنّه رئيسك في العمل".

طالبت إثيل بتفسيرقائلةً: "عيّنك بصفتك ماذا؟".

"مساعدة قانونية".

"حسنًا، لم يناقش الأمر معي".

"ناقش الأمر معي، وعيّنني".

"كم يدفع لك؟".

"مئة دولار في الساعة".

"يا إلهي، سأضطر للتحدث إليه أولًا".

"لقد تحدثت إليه بالفعل يا إثيل".

قالت إثيل بصرامة: "نادني بالسيدة تويتي".

تفحّصتها إثيل بعناية من رأسها إلى أخمص قدميها؛ كانت ترتدي بنطال جينز باهت اللون، وتنتعل حذاء من دون كعب ودون جورب، وقميصًا قطنيًا مزررًا، ومن الواضح أنّها لم ترتدِ أي حمالة صدر تحته.

"أنت لا ترتدين ملابس مناسبة لهذا المكتب، أنت غير محتشمة".

رفع هاري ريكس حاجبيه وابتسم لجايك؛ كانا يسترقان السمع من أعلى الدرج ويستمتعان.

"قال رئيسي والذي هو رئيسك أيضًا إنّه يمكنني ارتداء مثل هذه الملابس في العمل".

"لكنك نسيت شيئًا، أليس كذلك؟".

"أخبرني جايك أنني لست مضطرة لارتدائها، وقال إنك لم ترتدي حمالة صدر منذ عشرين عامًا، كما قال إن معظم النساء في كلانتون يخرجن من منازلهن من دون ارتداء حمالات صدر، لذا خرجت من دون حمالة".

صرخت إثيل وذراعاها معقودتان أمام صدرها: "هو ماذا؟".

سألت إيلين ببرود: "هل هو في الطابق العلوي؟".

"نعم، سأتصل به".

"لا عليك".

انسحب جايك وهاري ريكس إلى المكتب الكبير وانتظرا المساعدة القانونية؛ دخلت وهي تحمل حقيبة كبيرة.

قال جايك: "صباح الخير يا رو آرك، أريدك أن تقابلي هاري ريكس فونر وهو أحد أصدقائي المقربين".

صافحها هاري ريكس وحدق إلى قميصها.

"تسعدني مقابلتك. ما هو اسمك الأول؟".

"إيلين".

قال جايك: "نادها فقط برو آرك. ستعمل مساعدة قانونية هنا حتى تنتهي قضية هيلي".

قال هاري ريكس وهو لا يزال ينظر إليها: "هذا لطيف".

"رو آرك، هاري ريكس هو محامٍ محلي، وأحد أولئك الذين لا يمكنك الوثوق بهم".

سأل بصراحة: "لِمَ عينت مساعدة قانونية أنثى يا جايك؟".

"رو آرك عبقرية في القانون الجنائي، مثل معظم طلاب السنة الثالثة في كلية الحقوق، وهي تعمل براتب زهيدٍ جدًا".

سألت إيلين: "لديك شيء ضد الإناث يا سيدي؟".

"لا يا سيدتي، أنا أحبّ الإناث، حتى إنني تزوجت أربع مرات".

أوضح جايك قائلًا: "هاري ريكس هو أحد أفضل محامي الطلاق في مقاطعة فورد. في الواقع، إنّه المحامي الأكثر لؤمًا هنا؛ لا يمكنني التفكير برجل أكثر لؤمًا منه".

قال هاري ريكس: "شكرًا لك"، وأشاح بنظره عنها.

نظرت إلى مقدمة حذائه الضخمة، المتسخة، المجرحة، البالية، وجوربه النايلون المضلع الذي تدلّى متجمّعًا حول كاحليه، وسرواله كاكي اللون المتسخ والبالي، وسترته زرقاء اللون القديمة، وربطة عنقه الصوفية الوردية اللامعة التي تدلت لثماني بوصات فوق قدمه؛ قالت: "أعتقد أنّه لطيف".

قال هاري ريكس: "قد أجعل منك زوجتي الخامسة".

قالت: "الجاذبية جسدية بحتة".

قال جايك: "حذارِ، لم تحصل علاقات جنسية هنا منذ أن غادر لوسيان".

قال هاري ريكس: "رحلت أشياء كثيرة مع رحيل لوسيان".

"من هو لوسيان؟".

تبادل جايك وهاري ريكس النظرات، ثم أوضح جايك قائلًا: "ستقابلينه قريبًا".

قالت إيلين: "سكرتيرتك لطيفة للغاية".

"كنت أعلم أنكما ستتفقان؛ إنّها حقًا لطيفة بمجرد التعرف إليها".

"كم سيستغرق الأمر من الوقت؟".

أجاب هاري ريكس: "لقد عرفتها منذ عشرين عامًا، وما زلت أنتظر".

سأل جايك: "كيف تسير أمور البحث؟".

"يتقدم ببطء، فهناك العشرات من حالات المسؤولية الجنائية بخصوص المختلين عقليًا، وكلها طويلة جدًا؛ لقد بلغت النصف تقريبًا، وقد خططت للعمل هنا طوال اليوم؛ في حال لم يهاجمني الثور في الطابق السفلي".

قال جايك: "سأهتم بأمرها".

توجّه هاري ريكس نحو الباب وقال: "سعدت بلقائك يا رو آرك. سأراك في الجوار".

قال جايك: "شكرًا لك يا هاري ريكس، سأراك ليلة الأربعاء".

كان مرأب تانك تونك المتسخ والمليء بالحصي مزدحمًا عندما وجده جايك أخيرًا بعد حلول الظلام، إذ لم يكن لديه في السابق أي سبب لزيارة تانك، ولم يُسعد برؤية المكان الآن. كان متواريًا عن الأنظار ولا يمكن الوصل إليه سوى من خلال طريق ترابيّ وعلى بعد ستة أميال من كلانتون. ركن سيارته بعيدًا عن المبنى الإسمنتي الصغير وفكّر إن كان عليه ترك المحرك يعمل في حال عدم وجود تانك واضطراره للهرب بسرعة، لكنه سرعان ما استبعد تلك الفكرة الغبية لأنه أحب سيارته، ولم تكن السرقة مرجحة فحسب، بل هي أمر محتم. أقفلها وأعاد التحقق منها، وهو شبه متأكد من أن كل جزء منها سيكون مفقودًا عند عودته.

ردد صوت الموسيقى الصادح من مكبرات الصوت عبر النوافذ المفتوحة، واعتقد أنّه سمع صوت تحطم زجاجة على الأرض، أو على طاولة أو على رأس شخص ما؛ تردد بجانب سيارته وقرر المغادرة، لكنه فكّر في أن هذا مهم ويجب عليه البقاء والاستمرار مهما كلف الأمر، لذا، وقف باستقامة، وحبس أنفاسه، وفتح الباب الخشبي شبه المحطم.

ركز أربعون زوجًا من العيون السوداء على الفور على هذا الأبيض الفقير ذي المعطف وربطة العنق الذي كان يحدق ويحاول التركيز داخل ظلام تونك الداكن. وقف هناك في حرج، يبحث يائسًا عن صديق؛ لكن لم يكن هناك أحد.

انتهت أغنية مايكل جاكسون التي كانت تصدح عبر مكبرات الصوت، وخيّم الهدوء في تونك حتى شعر وكأنه قد استمر إلى الأبد. ظل جايك قريبًا من الباب، فأومأ برأسه، وابتسم محاولًا

أن يتصرف مثل أحد أفراد العصابات، لكن، لم تكن هناك أي ابتسامات متبادَلة.

كانت هناك حركة مفاجأة في الحانة، وبدأت ركبتا جايك بالاهتزاز. صرخ أحدهم: "جايك"، كان ذلك أجمل نداء سمعه على الإطلاق؛ رأى صديقه تانك من خلف البار يزيل مئزره ويتجه إليه.

تصافحا بحرارة.

"ما الذي أتى بك إلى هنا؟".

"أريد التحدث إليك لدقيقة. هل يمكننا الخروج؟".

"بالتأكيد. ما أخبارك؟".

"ليس هناك شيء سوى العمل".

ضغط تانك على مفتاح الضوء بجانب الباب الأمامي.

"استمعوا إليّ جميعًا، هذا هو جايك بريغانس محامي كارل لي هيلي، وهو صديق لي. دعوني أسمع تشجيعكم".

ضجت القاعة الصغيرة بأصوات التصفيق الحار والتشجيع.

أحاط العديد من الشبان في الحانة بجايك وصافحوه، ثم مدّ تانك يده إلى دُرجٍ أسفل البار، وأخرج حفنة من بطاقات جايك التعريفية التي وزعها مثل قطع الحلوى؛ لقد تمكن جايك من التنفس مرة أخرى وعاد اللون إلى وجهه.

اتكآ في الخارج على غطاء محرك سيارة تانك الكاديلاك صفراء اللون، بينما كانت أغنية ليونيل ريتشي تصدح عبر النوافذ، وعاد الحشد إلى طبيعته. سلّم جايك تانك نسخة من القائمة وقال:

"انظر إلى كل اسم. كم شخصًا تعرف منهم؟".

رفع تانك القائمة أمام عينيه، وتوهج الضوء من علامة ميشيلوب على النافذة فوق كتفه.

"كم عدد الأشخاص السود؟".

"أخبرني أنت؛ هذا أحد الأسباب التي جعلتني أطلب منك النظر إلى القائمة؛ ضع دائرة حول الأشخاص السود، وتأكد من المعلومات في حال وجود شكوك، ودوّن الملاحظات إذا كنت تعرف أيًا من الأشخاص البيض".

"يسعدني ذلك يا جايك. أنت لا تقوم بأمر مخالف للقانون، أليس كذلك؟".

"لا، لكن لا تخبر أحدًا. أحتاج لاستعادة القائمة بحلول صباح يوم الأربعاء".

"كما تشاء".

حصل تانك على القائمة الأخيرة، وتوجه جايك إلى المكتب. كانت الساعة تقترب من العاشرة. أعادت إثيل نسخ القائمة من القائمة الأولية التي قدمها هاري ريكس، وتم تسليم عشرات النسخ باليد إلى أصدقاء موثوق بهم ومختارين؛ وهم، لوسيان، ستان أتكافيدج، تانك، ديل من المقهى، رولاند إيسوم وهو محام في كراواي، وعدد قليل من الناس الآخرين؛ حتى إن أوزي حصل على نسخة من القائمة. كان هناك منزل ريفي صغير أنيق ذو سياج أبيض على بعد أقل من ثلاثة أميال من تونك حيث عاشت إثيل وبود تويتي لما يقارب الأربعين عامًا؛ لقد كان منزلًا مليئًا بذكريات ممتعة لتربية أولادهم الذين سافروا الآن إلى الشمال.

أصبح المنزل أكثر هدوءًا الآن بعد أن انتقل الابن المتخلف الذي يشبه لوسيان إلى حد كبير إلى ميامي لسبب ما. لم يعمل بود منذ سنوات، منذ إصابته بأول سكتة دماغية له في العام 1975، ثمّ أصيب بنوبة قلبية تلتها سكتات دماغية أخرى وعدة سكتات صغيرة. كانت أيامه معدودة وقد تقبل منذ فترة طويلة حقيقة أنّه من المرجح أن يصاب بنوبة قلبية شديدة ويموت على الشرفة الأمامية أثناء تناوله زبدة الفول؛ هذا ما كان يأمله على أي حال.

جلس ليلة الاثنين على الشرفة يتناول زبدة الفول ويستمع إلى التعليق على المباراة عبر الراديو.

انشغلت إثيل في المطبخ، وقد سُمِع ضوضاء من جانب المنزل عند النهاية الحاسمة من الشوط الثامن، فقام بود بخفض مستوى الصوت، وظن الصوت صادرًا من أحد الكلاب، ثمّ سمع صوت ضجيج آخر، فوقف ومشى حتى نهاية الرواق. فجأة قفز شخص ضخم متسربل بالسواد من رأسه حتى أخمص قدميه، وقد طلى وجهه بالطلاء الأحمر والأبيض والأسود بشكل مخيف، وأمسك ببود وأخرجه من الشرفة، لكنّ صوت صرخات بود المستغيثة لم يصل إلى المطبخ.

انضم شخص آخر، وسحبا الرجل العجوز إلى أسفل الدرجات المؤدية إلى الشرفة الأمامية، وقام أحدهما بدفعه بينما ضربه الآخر على بطنه الطري فسالت الدماء على وجهه، وفقد الوعي في غضون ثوانٍ فقط.

سمعت إثيل الضوضاء، فاندفعت عبر الباب الأمامي، فأمسك بها عضو ثالث من العصابة، ولوى ذراعها بشدة خلف ظهرها، ولفّ ذراعه الضخمة حول حلقها، فلم تستطع الصراخ أو التحدث أو حتى الحركة؛ لقد احتجزت على الشرفة. شعرت بالرعب وهي تراقب الرجلين وهما يتناوبان على ضرب زوجها. وقف ثلاثة أشخاص على الرصيف الأمامي على بعد عشر أقدام من ذلك المشهد العنيف، وقد ارتدى كل منهم رداء أبيض بالكامل مع زخرفة حمراء، بالإضافة إلى غطاء رأس طويل أبيض ومدبب سقط منه قناع أحمر وأبيض غطى الوجه على نحو فضفاض. خرجوا من الظلام، وراحوا يراقبون المشهد وكأنهم الحكماء الثلاثة الذين يحضرون المذود.

أصبح الضرب رتيبًا، وبعد مرور دقيقة بدت وكأنها امتدت إلى الأبد، قال زعيمهم: "هذا يكفي".

انسحب الإرهابيون الثلاثة ذوو اللباس الأسود، فهرعت إثيل على الدرج، وانحنت فوق زوجها الذي تعرض للضرب، بعدها اختفى الثلاثة ذوو الرداء الأبيض.

بعد منتصف الليل، غادر جايك المستشفى، وكان بود لا يزال على قيد الحياة، ولكن بقي الجميع متشائمين؛ لقد عانى من نوبة قلبية أخرى إلى جانب العظام المكسورة، وقد ألقت إثيل اللوم على جايك.

صرخت قائلة: "قلت إنّه لا يوجد خطر. قُل هذا لزوجي؛ هذا كله خطأك".

كان قد استمع إلى صراخها وهذيانها، وتحول الإحراج إلى غضب. نظر في غرفة الانتظار الصغيرة إلى الأصدقاء والأقارب حيث توجهت كل العيون عليه، وبدا وكأنهم يقولون: نعم، ذلك كله خطأه.

اتصلت غوين بالمكتب في وقت مبكر من صباح يوم الثلاثاء، وأجابت المساعدة القانونية الجديدة، إيلين رو آرك، على الهاتف؛ لقد عانت مع جهاز الاتصال الداخلي حتى كسرته، ثمّ صعدت على الدرج، وصرخت: "جايك، إنّها زوجة السيد هيلي".

أغلق الكتاب الذي كان يقرأه، ورفع السماعة بغضب، وقال: "أهلًا".

سألته غوين: "جايك، هل أنت مشغول؟".

أجابها: "جدًا، ماذا هناك؟".

قالت باكية: "جايك، نحن بحاجة إلى المال، فنحن مفلسون، وفات موعد دفع الفواتير، فأنا لم أدفع سند المنزل منذ شهرين، وشركة الرهن العقاري تتصل بي. لا أعرف إلى من ألجأ".

سألها جايك: "ماذا عن عائلتك؟".

ردت غوين: "إنهم فقراء يا جايك، أنت تعرف ذلك؛ سيطعموننا ويفعلون ما في وسعهم، لكن لا يمكنهم دفع الفواتير ولا سندات منزلنا".

سألها جايك: "هل تحدثت إلى كارل لي؟".

أجابت غوين: "ليس عن المال، وليس مؤخرًا. لا يمكنه فعل شيء سوى القلق، والرب يعلم أن لديه ما يكفي ليقلق بشأنه".

سألها جايك: "وماذا عن الكنائس؟".

أجابته غوين: "لم أرَ سنتًا".

سألها جايك: "كم تحتاجين؟".

أجابته: "ما لا يقل عن خمسمئة دولار، فقط لأدبر أمور المنزل. لا أعرف ماذا سأفعل الشهر المقبل، فلن أقلق منذ الآن".

إذا أعطاها خمسمئة من التسعمئة التي معه فلن يبقى معه سوى أربعمئة للدفاع عن جريمة القتل العمد.

لا بد أنّه رقم قياسي؛ أربعمئة دولار، وهنا لمعت فكرة في ذهنه.

سألها جايك: "هل يمكنك أن تكوني في مكتبي عند الساعة الثانية بعد الظهر؟".

أجابته: "سأضطر إلى إحضار الأولاد".

قال جايك: "حسنًا، فقط كوني هنا".

ردّ: "سأكون هناك".

أنهى المكالمة، وبحث بسرعة في دليل الهاتف عن رقم القس أولي آغي، ووجده.

أقنعه جايك بالاجتماع لمناقشة محاكمة هيلي والإدلاء بالشهادة؛ سيكون القس شاهدًا مهمًا. قال آغي إنّه سيكون في مكتبه عند الساعة الثانية.

وصلت عائلة هيلي أولًا، وأجلسهم جايك حول طاولة الاجتماعات، فتذكر الأولاد الغرفة من المؤتمر الصحفي، وشعروا بالرهبة من الطاولة الطويلة، والكراسي الدوارة، ورفوف الكتب الرائعة. وعندما وصل القس عانق غوين ورحّب بالأولاد، وخاصة تونيا.

بدأ جايك كلامه: "سيكون حديثي مختصرًا أيها القس، فيجب أن نناقش بعض الأمور. منذ عدة أسابيع، قمت والقساوسة السود الآخرون في هذه المقاطعة بجمع الأموال لعائلة هيلي؛ لقد قمتم بعمل جيد حقًا؛ جمعتم أكثر من ستة آلاف دولار، على ما أعتقد. لا أعرف أين المال، وهذا ليس من شأني. لقد عرضت المال على محامي الرابطة الوطنية لتقدم الملونين لتمثيل كارل لي، لكن كما نعلم أنا وأنت، لن يشارك هؤلاء المحامون في هذه القضية، فأنا المحامي، المحامي الوحيد، وحتى الآن لم يُقدم أي مال لي، ولا أتوقع أيًا من ذلك، ومن الواضح أنك لا تهتم بنوع الدفاع الذي سيحصل عليه ما لم تتمكن من اختيار محاميه؛ هذا جيد، أستطيع أن أتقبل ذلك، لكن ما يزعجني حقًا، أيها القس، هو حقيقة أنّه لم تُمنح أي أموال لعائلة هيلي، وأنا أكرر، لا شيء. صحيح يا غوين؟".

تحوّلت النظرة الفارغة على وجهها إلى ذهول، ثمّ عدم تصديق، ثمّ غضب وهي تحدق إلى القس.

كررت: "ستة آلاف دولار".

قال جايك: "أكثر من ستة آلاف، حسب آخر تصريح عن المبلغ المجموع، والمال موجود في أحد المصارف بينما يجلس كارل لي في السجن، وغوين لا تعمل، ولقد استحق موعد سداد

الفواتير، وسيحصل الرهن بعد أيام؛ حتى الطعام يحصلون عليه من الأصدقاء. الآن، أخبرنا أيها القس، ماذا ستفعل بالمال؟".

ابتسم آغي، وقال بصوت متملق: "هذا ليس من شأنك".

صرخت غوين بصوت عالٍ: "لكنه من شأني، لقد استخدمت اسمي، واسم عائلتي عندما جمعت هذه الأموال، أليس كذلك أيها القس؟ لقد سمعتك بنفسي، أخبرت جميع من في الكنيسة أن عرض الحب، كما سميته، كان لعائلتي. ظننت أنك أنفقت المال على أتعاب المحامين أو على شيء من هذا القبيل. والآن، اكتشفت أنه في المصرف. أعتقد أنك تخطط للاحتفاظ به".

لم يبدُ التأثر على آغي، وقال: "انتظري لحظة يا غوين، كنا نظن أنّه من الأفضل إنفاق المال على كارل لي، فرفض المال عندما رفض تعيين محامي الرابطة الوطنية لتقدم الملونين. لذلك سألت السيد راينفيلد، كبير المحامين، ماذا نفعل بالمال، وأخبرني أن أتركه لأن كارل لي سيحتاج إليه في الاستئناف".

أدار جايك رأسه، وشد على أسنانه، وبدأ في توبيخ هذا الأحمق الجاهل، لكنه أدرك أن آغي لم يفهم ما كان يقوله،

فعض جايك شفتيه.

قالت غوين: "أنا لا أفهم".

قال القس وهو يبتسم بلطف: "الأمر بسيط، قال السيد راينفيلد أن كارل لي سيُدان لأنه لم يوكله، لذا، علينا الاستئناف، أليس كذلك؟ وبعد أن يخسر جايك المحاكمة هنا، ستبحثين أنت وكارل لي بالطبع عن محامٍ آخر يمكنه إنقاذ حياته، وهنا سنحتاج السيد راينفيلد، وحينها سنحتاج إلى المال. لذا، كما تريان، كل شيء من أجل كارل لي".

هزّ جايك رأسه وشتم بصمت، شتم راينفيلد أكثر من آغي.

دمعت عينا غوين، وشدت قبضتيها قائلةً: "أنا لا أفهم كل ذلك، ولا أريد أن أفهم. كل ما أعرفه هو أنني تعبت من التسول للحصول على الطعام، وتعبت من الاعتماد على الآخرين، وتعبت من القلق بشأن فقدان منزلي".

نظر إليها آغي بحزن وقال: "أفهمك يا غوين، لكن...".

قاطعته: "وإن كان لديك ستة آلاف دولار من المال في المصرف، فأنت مخطئ في عدم إعطائنا إياه. لدينا ما يكفي من المسؤولية لإنفاقه بشكل صحيح".

وقف كارل لي جونيور وغارفيس بجانب والدتهما لمواساتها، وحدقوا جميعًا إلى آغي.

قال القس: "لكن هذا من أجل كارل لي".

قال جايك: "جيد، هل سألت كارل لي كيف يريد إنفاق ماله؟".

اختفت الابتسامة الصغيرة القذرة عن شفتي آغي، وتلوى في كرسيه ثم قال: "كارل لي يفهم ما نقوم به".

قالها وبدا أنّه غير مقتنع.

قال جايك: "شكرًا لك، لكن هذا ليس سؤالي. أنصت إلي جيّدًا؛ هل سألت كارل لي كيف يريد إنفاق أمواله؟".

كذب آغي عندما قال: "أعتقد أنني ناقشت الأمر معه".

قال جايك: "دعنا نرَ"، وقف ومشى نحو الباب المؤدي إلى المكتب الصغير المجاور لقاعة الاجتماعات. كان القس يراقب بتوتر؛ في حالة ذعر تقريبًا. فتح جايك الباب، وأومأ لشخصٍ ما.

سار كارل لي وأوزي، وصرخ الأولاد وركضوا إلى والدهم، بينما بدا آغي مُدمرًا.

بعد دقائق من العناق والقبلات، قال جايك: "الآن، أيها القس، لماذا لا تسأل كارل لي كيف يريد إنفاق الستة آلاف دولار الخاصة به".

قال آغي: "إنها ليست ملكه بالضبط".

قال أوزي: "وليست ملكك بالضبط".

أنزل كارل لي تونيا عن ركبته، وسار نحو كرسي آغي، وجلس على طرف الطاولة أعلى من القس مستعدًا للضرب إذا لزم الأمر، وقال: "اسمح لي أن أجعل الأمر بسيطًا للغاية، أيها القس الواعظ، حتى لا تجد صعوبة في فهم ما سأقوله؛ لقد جمعت هذا المال باسمي، لصالح عائلتي، لقد أخذت المال من السود في هذه المقاطعة، وأخبرتهم أنهم يتبرعون لمساعدة عائلتي. لقد كذبت،

واحتفظت به كي تتمكن من إقناع الرابطة الوطنية لتقدم الملونين، وليس لمساعدة عائلتي. لقد كذبت في الكنيسة، وكذبت في الصحف، وكذبت في كل مكان".

تلفت آغي حوله، ولاحظ أن الجميع، بمن فيهم الأولاد، يُحدقون إليه.

وضع كارل لي قدمه على كرسي آغي، وانحنى مقتربًا منه أكثر، ثم قال: "إذا لم تعطنا هذا المال، فسأخبر كل أسود في هذه المقاطعة أنك محتال؛ سأتصل بكل عضو في كنيستك، وأنا واحدٌ منهم أيضًا، أتذكر؟ وأخبرهم أننا لم نحصل على سنتٍ منك، وعندما أتجاوز هذه القضية، لن تتمكن من جمع دولارين صباح يوم الأحد، وستفقد سيارات الكاديلاك الفاخرة وبذلاتك الغالية، وقد تفقد حتى كنيستك، لأنني سأطلب من الجميع المغادرة".

سأله آغي: "هل أنهيت كلامك؟ إذا كنت كذلك، أريد فقط أن أقول إنني مجروح؛ يؤلمني بشدة معرفة ما تشعر به أنت وغوين تجاهي".

قال كارل لي: "هذه هي الطريقة التي نشعر بها، ولا يهمني مدى جرحك".

تقدم أوزي وقال: "أنا أتفق معهما أيها القس آغي، أنت لا تتصرف بشكل صحيح، وأنت تعرف ذلك".

قال آغي: "يؤلمني حقًا أن أسمع منك هذا الكلام يا أوزي".

قال أوزي: "دعني أخبرك ما الذي سيؤلمك أكثر بكثير من ذلك: الأحد القادم سأكون أنا وكارل لي في كنيستك، سأجعله يتسلل خارج السجن في وقتٍ مبكرٍ من يوم الأحد، وسنذهب في جولة في السيارة، وفي الوقت الذي تستعد فيه للوعظ، سندخل من الباب الأمامي، ونسير في الممر ونصعد المنبر، وإذا وقفت في طريقي، فسأضع الأصفاد في يديك. سيعظ كارل لي مكانك، وسيخبر الجميع أن الأموال التي قدموها بسخاء لم تترك جيبك حتى الآن، وأن غوين والأولاد على وشك أن يفقدوا منزلهم لأنك تحاول تحقيق هدف كبير مع الرابطة الوطنية لتقدم الملونين. سيقول لهم إنك كذبت عليهم، قد يعظ لمدة ساعة تقريبًا، وعندما يُنهي الوعظة، سأقول بضع كلمات عنك أيها الأسود البغيض؛ سأخبرهم عن الوقت الذي اشتريت فيه سيارة لينكولن المسروقة في ممفيس مقابل مئة دولار، وكدت أن تُتهم. سأخبرهم عن الرشى في دار الجنازة، وعن تهمة القيادة تحت تأثير الكحول في جاكسون منذ عامين. وسأقول أيها القس...".

قاطعه آغي متوسلًا: "لا تتابع يا أوزي".

قال أوزي: "سأخبرهم بسرٍّ صغيرٍ قذرٍ لا يعرفه إلّا أنا وأنت وامرأة سيئة السمعة".

سأل آغي: "متى تريدون المال؟".

سأله كارل لي: "متى يمكنك الحصول عليه؟".

أجابه آغي: "بأسرع وقتٍ ممكن".

غادر جايك وأوزي وتركا أفراد عائلة هيلي مع بعضهم، وصعدا إلى المكتب الكبير، حيث دُفنت إيلين بين كتب القانون، فقدّم جايك أوزي إلى مساعدته القانونية، وجلس الثلاثة حول المكتب الكبير.

سأل جايك: "كيف حال صديقيّ؟".

أجاب أوزي: "أتقصد رجلي الديناميت؟ إنّهما يتعافيان بشكل جيد. سنبقيهما في المستشفى حتى انتهاء المحاكمة؛ لقد وضعنا قفلًا للباب، وهناك نائب في الردهة؛ لن يذهبا إلى أي مكان".

سأل جايك: "من هو قائدهما؟".

أجاب أوزي: "ما زلنا لا نعرف. لم نستلم نتائج بصمات الأصابع بعد؛ قد لا يكون هناك تطابق. وهما لا يتكلمان".

سألت إيلين: "الشاب الآخر من المنطقة، أليس كذلك؟".

أجاب أوزي: "نعم، تيريل غريست. يريد رفع دعوى قضائية لأنه أُصيب أثناء الاعتقال. أتتخيل؟".

قال جايك: "لا أستطيع أن أصدق أنّه ظل صامتًا حتى الآن".

قال أوزي: "وأنا كذلك. بالطبع، غريست والسيد أكس لا يتكلمان، فالرجال في المرصاد، وهذا يتركك أنت ومساعدتك القانونية هنا".

قال جايك: "ولوسيان، لكنّني لم أخبره".

قال أوزي: "والآخرون".

سأل جايك: "متى ستتحدث معهم؟".

أجاب أوزي: "بعد المحاكمة سننقلهما إلى السجن ونبدأ بالأوراق. القرار يرجع إلينا".

سأل جايك: "كيف حال بود؟".

أجاب أوزي: "مررت هذا الصباح للاطمئنان على الاثنين الآخرين، وذهبت إلى الطابق السفلي لرؤية إثيل؛ لا يزال في وضع حرج؛ لا جديد حتى الآن".

سأل جايك: "هل لديكم مشتبه بهم؟".

أجاب أوزي: "لا بد أنّهم من الكلان. مع الأردية البيضاء وكل شيء آخر. كل ذلك يؤكد أنّهم منهم. أولًا الصليب المحترق في باحتك، ثمّ الديناميت، والآن بود، بالإضافة إلى كل التهديدات بالقتل. أعتقد أنّهم من الكلان، ولدينا مخبر".

قال جايك: "ماذا؟".

قال أوزي: "كما سمعت، يلقب نفسه بميكي ماوس، وقد اتصل بي يوم الأحد وأخبرني أنّه أنقذ حياتك؛ أسماك بمحامي هذا الزنجي. قال إنّ أعضاء الكلان وصلوا رسميًا إلى مقاطعة فورد. لقد أقاموا فرعًا محليًا أطلقوا عليه اسم كلافيرن، أو شيئًا من هذا القبيل".

سأل جايك: "من هم أعضاؤه؟".

أجاب أوزي: "ليس لديه الكثير من التفاصيل، لقد وعد بالاتصال بي فقط إذا كان شخص ما على وشك أن يتأذى".

قال جايك: "كم هذا جميل! هل يمكنك الوثوق به؟".

قال أوزي: "لقد أنقذ حياتك".

قال جايك: "نقطة جيدة. هل هو عضو في الكلان؟".

قال أوزي: "لم يقل. لديهم مسيرة كبيرة مُخطط لها يوم الخميس".

سأل جايك: "الكلان؟".

أجاب أوزي: "نعم، وسيكون هناك تجمع للرابطة الوطنية لتقدم الملونين غدًا أمام المحكمة، ثمّ سيقومون بمسيرة لفترة من الوقت. من المفترض أن يظهر الكلان في مسيرة سلمية يوم الخميس".

سأل جايك: "كم عددهم؟".

أجاب أوزي: "لم يقل. كما قلت لك، ليس لديه الكثير من التفاصيل".

قال جايك: "أعضاء الكلان يسيرون في كلانتون؛ لا أستطيع أن أصدق ذلك".

قالت إيلين: "هذه أنباء خطيرة".

أجاب أوزي: "ستصبح أخطر. طلبت من الحاكم إبقاء دورية الطريق السريع في حالة تأهب، فقد يكون أسبوعًا صعبًا".

سأل جايك: "هل تصدق أن نووز مستعد لمحاكمة هذه القضية في هذه المدينة؟".

أجاب أوزي: "القضية أكبر من أن تُنقل يا جايك. سيكون هناك مسيرات، واحتجاجات، وأعضاء كلان، في أي مكان ستُنقل إليه".

قال جايك: "ربما أنت محق. ماذا عن قائمة المحلفين الخاصة بك؟".

قال أوزي: "سآخذها غدًا".

يوم الثلاثاء، بعد العشاء، جلس جو فرانك بيريمان على الشرفة الأمامية حاملًا صحيفته المسائية وهو يمضغ تبغ رد مان الطازج؛ كانت هذه طقوس المساء، وليلى تنهي تنظيف الأطباق، وتعد لنفسها كأسًا كبيرة من الشاي المثلج، ثم يجلسان على الشرفة حتى يحل الظلام، ويتحدثان عن المحاصيل والأحفاد والرطوبة. لقد عاشا بالقرب من طريق كارا وبلغت مساحة عقارهما ثمانين فدانًا من الأراضي الزراعية المشذبة والمزروعة بدقة، والتي حصل عليها والد جو فرانك خلال فترة الكساد. كانا مسيحيين هادئين، ويعملان بجد.

تباطأت سيارة صغيرة على الطريق السريع، وانعطفت نحو ممرٍّ طويلٍ مليءٍ بالحصى في عقار بيريمان. توقفت بجانب الحديقة الأمامية، وظهر وجه مألوف؛ كان ويل تيرس، الرئيس

السابق لمجلس المشرفين في مقاطعة فورد.

خدم ويل منطقته لمدة أربع وعشرين عامًا، على مدار ست فترات متتالية، لكنه خسر الانتخابات الأخيرة عام 1983 بفارق سبعة أصوات.

لطالما قدم رجال بيريمان الدعم لتيرس، لأنه كان يخدمهم بين الحين والآخر، كأن يؤمّن لهم حمولة من الحصى، أو مجارٍ مائية للطريق.

قال جو فرانك بينما كان المشرف السابق يسير عبر العشب، ويصعد الدرج: "مساء الخير يا ويل".

قال تيرس: "مساء الخير، جو فرانك".

تصافحا، وجلسا على الشرفة. قال تيرس: "أعطني بعض التبغ".

قال جو: "بالتأكيد، ما الذي أتى بك إلى هنا؟".

قال تيرس: "أتيت للزيارة؛ فكّرت في الشاي المثلج الذي تعده ليلى، وشعرت بالعطش حقًا. لم أركما منذ فترة".

جلسوا يتحدثون، ويمضغون التبغ، ويبصقون، ويشربون الشاي المثلج، حتى حل الظلام، وحان وقت البعوض.

أمضوا معظم الوقت يناقشون موضوع الجفاف، وتحدث جو فرانك مطولًا عن فترة الجفاف، وعن أنّها الأسوأ منذ عشر سنوات، فلم تسقط قطرة مطر واحدة منذ الأسبوع الثالث من شهر حزيران، وإذا لم يتحسن الوضع، فسيخرب محصول القطن؛ قد ينجو محصول الفاصولياء، لكنه كان قلقًا بشأن القطن.

قال تيرس: "قل لي يا جو فرانك، سمعت أنك تلقيت أحد استدعاءات هيئة المحلفين للمحاكمة الأسبوع المقبل".

قال جو: "نعم، أخشى ذلك. من قال لك؟".

قال تيرس: "لا أدري، لقد سمعت ذلك للتو".

قال جو: "لم أكن أعلم أن الجميع يعرفون ذلك".

قال تيرس: "حسنًا، أعتقد أنني سمعت ذلك في كلانتون اليوم. كان لديّ عمل في قاعة المحكمة، وسمعت الخبر هناك. إنّها محاكمة ذلك الزنجي، كما تعلم".

قال جو: "هذا ما تبين لي".

قال تيرس: "ما شعورك حيال ذلك الزنجي الذي أطلق النار على الشابين؟".

قالت ليلى: "أنا لا ألومه".

أوضح جو فرانك لزوجته: "نعم، لكن لا يمكنكِ أن تطبقي القانون بنفسك، ولهذا لدينا نظام المحاكم".

قال تيرس: "سأخبرك عما يزعجني، هذا الهراء عن الاختلال العقلي؛ سيقولون إن الزنجي كان قد فقد عقله في تلك، ويحاولون تبرأته، مثل ذلك المجنون الذي أطلق النار على ريغان. إنّها طريقة ملتوية للدفاع، بالإضافة إلى أنّها غير شرعية. هذا الزنجي خطط لقتل الشابين، وجلس هناك وانتظرهما؛ لقد كانت جريمة قتل بدم بارد".

سألت ليلى: "ماذا لو كانت ابنتك يا ويل؟".

أجاب تيرس: "سأدع المحاكم تتولى القضية. عندما نقبض على مغتصبٍ هنا، وخاصة إذا كان زنجيًا، فإننا نحبسه عمومًا، وسجن بارشمان مليء بالمغتصبين الذين لن يخرجوا أبدًا. هذه ليست نيويورك أو كاليفورنيا أو مكان مجنون حيث يتم إطلاق سراح المجرمين، فلدينا نظام جيد، والقاضي العجوز نووز يصدر أحكامًا صارمة. عليكِ أن تدعي المحاكم تتولى مهمتها، لن يبقى نظامنا إذا سمحنا للناس، وخاصة الزنوج، بأخذ القانون بأيديهم. هذا ما يخيفني حقًا. افترضي أن هذا الزنجي خرج من المحكمة رجلًا حرًا، فسيعرف ذلك كل شخص في البلد، وسيصاب الزنوج بالجنون. في كل مرة يتعدى شخص ما على زنجي، سيقتله، ثمّ سيدعي أنّه مجنون، ويحاول الإفلات بفعلته. وهذا ما هو خطير في هذه المحاكمة".

وافق جو فرانك: "عليك إبقاء السود تحت السيطرة".

قال تيرس: "نعم بالتأكيد. وإذا تمت تبرئة هيلي، فلن يكون أي منا بأمان، وسيحمل كل زنجي في هذه المقاطعة سلاحًا، ويبحث عن المتاعب فقط".

اعترف جو فرانك قائلًا: "لم أفكر في ذلك حقًا".

قال تيرس: "آمل أن تفعل الشيء الصحيح يا جو فرانك. أتمنى أن يختاروك في هيئة المحلفين، فنحن بحاجة إلى أشخاص مثلك هناك".

قال جو: "أتساءل لماذا اختاروني؟".

قال تيرس: "سمعت أنّهم وجهوا مئة وخمسين استدعاء، وهم يتوقعون حضور حوالى المئة شخص".

قال جو: "ما هي فرصة اختياري؟".

قالت ليلى: "واحد بالمئة".

قال جو: "هذا جيد. ليس لدي وقت، خاصة مع الزراعة وكل شيء".

قال تيرس: "نحن بالتأكيد بحاجة إليك في هيئة المحلفين هذه".

انجرف الحديث إلى السياسة المحلية، والمشرف الجديد، والأعمال المؤسفة التي كان يقوم بها بخصوص الطرق، وعندما حل الظلام دقّ جرس النوم بالنسبة إلى عائلة بيريمان.

تمنى تيرس لهما ليلة سعيدة، وتوجه إلى منزله؛ جلس إلى طاولة المطبخ بعد أن حضّر لنفسه القهوة وراجع قائمة المحلفين؛ سيكون صديقه روفوس فخورًا؛ لقد تم وضع دائرة حول ستة أسماء في قائمة ويل، وقد تحدث إليهم جميعًا، ووضع إشارة بجانب كل اسم.

سيكونون محلفين جيدين، ويمكن أن يعتمد عليهم روفوس للحفاظ على القانون والنظام في مقاطعة فورد. في البداية، لم يكن الزوجان مقتنعين، لكن صديقهما الجيد والموثوق، ويل تيرس، أوضح لهما العدالة، وأصبحا الآن مستعدَّين للإدانة.

سيكون روفوس فخورًا حقًا؛ وقد وعده بأن جيسون تيرس، ابن أخيه، لن يُحاكم أبدًا بتهم المخدرات.

اختار جايك شرائح لحم الخنزير المدهنة والفاصولياء، وشاهد إيلين عبر الطاولة تفعل الأمر نفسه. جلس لوسيان على رأس الطاولة، وتجاهل طعامه، وحدق إلى مشروبه، وقلّب قائمة

هيئة المحلفين مقدمًا تعليقات على كل اسم يعرفه. كان ثملًا أكثر من العادة، ولم يتعرف إلى معظم الأسماء، لكنه علّق عليها على أي حال. كانت إيلين مستمتعة، وغمزت مرارًا وتكرارًا لرئيسها.

ترك القائمة، وطرق بشوكته على الطاولة.

صرخ لوسيان: "سالي".

سأل إيلين: "هل تعرفين كم عدد أعضاء الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية في مقاطعة فورد؟".

قالت: "ما لا يقل عن ثمانين بالمئة من السكان".

قال لوسيان: "واحد فقط، وهو أنا. كنت الأول في التاريخ، ومن الواضح أنني الأخير؛ الناس حمقى هنا يا رو آرك. إنّهم لا يقدرون الحريات المدنية، إنّهم مجموعة من المتعصبين المحافظين، اليمينيين المتعصبين، مثل صديقنا جايك هنا".

قال جايك: "هذا ليس صحيحًا، إنني أتناول الطعام في مطعم كلود مرة واحدة على الأقل في الأسبوع".

سأل لوسيان: "هل هذا يجعل منك تقدميًا؟".

أجاب جايك: "أيجعلني متعصبًا؟".

قال لوسيان: "ما زلت أعتقد أنك جمهوري".

قال جايك: "انظر يا لوسيان، يمكنك التحدث عن زوجتي، أو والدتي، أو أسلافي، لكن لا تدعُني بالجمهوري".

قالت إيلين: "تبدو مثل الجمهوريين".

سأل جايك مشيرًا إلى لوسيان: "هل يبدو وكأنه ديموقراطي؟".

أجابت إيلين: "طبعًا، بكل تأكيد. عرفت أنّه ديموقراطي منذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها".

قال جايك: "إذًا، أنا جمهوري".

صاح لوسيان: "أترى؟ أترى؟"، وأوقع زجاجة على الأرض فتحطمت.

صاح لوسيان: "سالي"، ثمّ أكمل: "رو آرك، احزري من كان الرجل الأبيض الثالث في ولاية ميسيسيبي الذي ينضم إلى الرابطة الوطنية لتقدم الملونين؟".

قال جايك: "روفوس باكلي".

قال لوسيان: "أنا، لوسيان ويلبانكس؛ لقد انضممت في العام 1967، واعتقد البيض أنني مجنون".

قال جايك: "هل يمكنك أن تتخيل؟".

قال لوسيان: "بالطبع، الناس السود، أو الزنوج كما كنا نطلق عليهم حينها، اعتقدوا أنني مجنون أيضًا. اللعنة، اعتقد الجميع أنني مجنون في ذلك الوقت".

سأل جايك: "وهل غيّروا رأيهم بعدها؟".

أجاب لوسيان: "اخرس أيها الجمهوري. رو آرك، لماذا لا تنتقلي إلى كلانتون وننشئ شركة محاماة لا تتعامل إلّا مع قضايا اتحاد الحريات المدنية. تبًا، وأحضري رجلك العجوز من بوسطن وسنجعله شريكًا لنا".

سأله جايك: "لماذا لا تذهب أنت إلى بوسطن؟".

قال لوسيان: "لماذا لا تذهب إلى الجحيم فقط؟".

سألت إيلين: "ماذا سنسميها؟".

قال جايك: "بيت الجنون".

قال لوسيان: "ويلبانكس، ورو آرك؛ محاميان".

قال جايك: "لا أحد منكما يملك ترخيصًا".

بدا أن جفني لوسيان يزنان الكثير، فأومأ برأسه نحو الأمام بشكل لاإرادي، وصفع سالي على مؤخرتها، بينما كانت تنظف الفوضى.

قال بجدية: "كان ذلك مبتذلًا يا جايك".

قال جايك وهو يقلد لوسيان: "رو آرك، خمّني من هو آخر محامٍ تم استبعاده نهائيًا من قبل المحكمة العليا في ميسيسيبي؟".

ابتسمت إيلين للرجلين ولم تقل شيئًا.

قال لوسيان بصوت عالٍ: "رو آرك، خمني من سيكون المحامي التالي في هذه المقاطعة الذي سيُطرد من مكتبه؟"، ثمّ صفّق وقهقه.

غمز جايك لإيلين.

وعندما هدأ لوسيان، سأله جايك: "ماذا عن اجتماع ليلة الغد؟".

أجاب جايك: "أريد مناقشة قائمة المحلفين معك ومع بعض الآخرين".

سأله لوسيان: "من؟".

أجاب جايك: "هاري ريكس، ستان أتكافيدج، وربما شخص ثالث معهما".

سأل لوسيان: "أين؟".

أجاب جايك: "في مكتبي عند الساعة الثامنة؛ من دون كحول".

قال لوسيان: "إنه مكتبي، وسأحضر زجاجة ويسكي إذا أردت ذلك. جدي مَن بنى المبنى، أتذكر؟".

قال جايك: "كيف يمكنني أن أنسى".

قال لوسيان: "رو آرك، دعينا نثمل".

قالت إيلين: "لا، شكرًا يا لوسيان. لقد استمتعت بالعشاء والمحادثة، لكن عليّ العودة إلى أوكسفورد".

وقفا وتركا لوسيان جالسًا إلى الطاولة، وقد رفض جايك الدعوة المعتادة للجلوس على الشرفة. غادرت إيلين، وذهبت إلى غرفتها المؤقتة في الطابق العلوي. كان قد وعد كارلا بأنه لن ينام في المنزل، فاتصل بها؛ كانت هي وهانا بخير؛ كانتا قلقتين لكنهما كانتا بخير.

لم يذكر لها ما حصل مع بود تويتي.

29

تحركت قافلة من الحافلات المدرسية التي طُليت باللونين الأبيض والأحمر، أو الأخضر والأسود، أو مئة خليط آخر من الألوان، والتي كتب على طول الجانبين تحت النوافذ اسم الكنيسة، حول ساحة كلانتون ببطء بعد الغداء يوم الأربعاء. كان هناك إحدى وثلاثون حافلة، وكانت مليئة بكبار السن من السود الذين يلوحون بمراوح ورقية ومناديل في محاولة غير مجدية للتغلب على الحرارة الخانقة. بعد ثلاث دورات حول قاعة المحكمة، توقفت الحافلة الرئيسية عند مكتب البريد، وفتح واحدٌ وثلاثون بابًا. أُفرِغت الحافلات بسرعة، وتم توجيه الناس إلى المقصورة في حديقة المحكمة، حيث كان القس آغي يصرخ بالأوامر، ويوزع لافتات مجانية باللونين الأزرق والأبيض لمساندة كارل لي.

أصبحت الشوارع الجانبية المؤدية إلى الساحة مزدحمة، حيث انطلقت السيارات في جميع الاتجاهات نحو المحكمة، أخيرًا، توقفت عندما لم تتمكن من الاقتراب منها. ترك المئات من السود سياراتهم في الشوارع، وساروا بشكل مهيب نحو الساحة. وقفوا عند الكشك، وانتظروا لافتاتهم، ثمّ تجولوا بين أشجار البلوط والمغنوليا بحثًا عن الظل، وتبادلوا التحيات. وصلت المزيد من حافلات الكنيسة، ولم تتمكن من الدوران حول الساحة بسبب الازدحام، فترجّل ركابها بجوار الكوفي شوب.

لقد بلغت الحرارة المئة درجة للمرة الأولى هذه السنة، وكانت قابلة للزيادة، ولم يكن هناك غيومٌ في السماء، ولا نسمات ولا أيّ نسمة لتضعف الأشعة الحارقة أو تخفف الرطوبة. كان قميص أي رجل سيلتصق بظهره من شدة التعرق إن كان يقف في ظل شجرة؛ وخلال خمس دقائق إن لم يكن يقف في الظل، وقد وجد بعض كبار السن الأضعف ملجأ داخل المحكمة.

استمر الحشد في التزايد، كان معظمهم من كبار السن، ولكن كان هناك العديد من الشباب السود المتشددين الغاضبين الذين فاتتهم مسيرات الحقوق المدنية الكبرى، ومظاهرات الستينيات، وأدركوا الآن أن هذه قد تكون فرصة نادرة للصراخ، والاحتجاج، وإنشاد أنشودة سنتغلب عليهم، وإعلان أنهم سود ومضطهدون في عالم يغلب عليه البيض. تسكعوا بانتظار أن يتولى شخص ما إدارة التحرك، وأخيرًا، سار ثلاثة طلاب إلى الدرجات الأمامية من قاعة المحكمة، ورفعوا لافتاتهم، ثم صرخوا: "الحرية لكارل لي. الحرية لكارل لي".

على الفور، ردد الحشد وراءهم: "الحرية لكارل لي!".

"الحرية لكارل لي".

"الحرية لكارل لي".

تحركوا من حيث يستظلون الأشجار وقاعة المحكمة، واقتربوا من بعضهم البعض، وتجمعوا حول الدرجات حيث شيدت منصة منصة، ووضعت مكبرات صوت، وصرخوا في انسجام تام؛ كانوا يرددون شعار المعركة المُنشأ حديثًا فقط:

"الحرية لكارل لي".

"الحرية لكارل لي".

فُتحت نوافذ قاعة المحكمة، بينما كان طاقم العاملين يحدقون إلى ما يجري في الأسفل.

سُمع هدير الحشد؛ كانت المحلات الصغيرة، والمكاتب حول الساحة فارغة. لقد جلس أصحاب المحلات وزبائنهم على الرصيف، وشاهدوا ما يجري بذهول. لاحظ المتظاهرون المتفرجين، وغذّى ذلك هتافهم، وازداد الإيقاع، كما كان الصحفيون متأهبين ومنتظرين، ويراقبون ما يحدث. ثمّ تحركوا إلى الأمام بالكاميرات والميكروفونات.

أدار أوزي ورجاله حركة المرور حتى أصبح الطريق السريع والشوارع مزدحمة بشكل ميؤوس منه. لقد حافظوا على وجودهم على الرغم من عدم وجود ما يشير إلى الحاجة إليهم.

سار آغي، عبر الحشد بين الوجوه السوداء الصارخة، وشقوا طريقهم إلى المنصة؛ لقد أثار مشهد القساوسة صخب الحشد، وترددت أصداء هتافات موحدة حول الساحة، وفي الشوارع الجانبية وصولًا إلى الأحياء السكنية الهادئة حتى إلى الريف. لوّح الآلاف من السود بلافتاتهم

وصرخوا، وتمايل آغي مع الحشد، ورقص على المنصة الصغيرة، وصافح أيادي القساوسة الآخرين، وقاد الضجيج الإيقاعي كرئيس الجوقة:

"الحرية لكارل لي".

"الحرية لكارل لي".

لمدة خمس عشرة دقيقة، بث الحماسة في الحشد، ثم، عندما اكتشف بأذنه المدربة بدقة أول إشارة على الإرهاق، مشى إلى الميكروفونات وطلب الهدوء. كانت الوجوه المتعرقة تلهث، وتصرخ، ولكن بصوت أخفض من قبل، فتلاشت هتافات الحرية بسرعة. طلب آغي إفساح المجال في الأمام حتى تتمكن الصحافة من التجمع والقيام بعملها، كما طلب السكون حتى يتمكنوا من الصلاة للرب. ألقى القس روزفلت صلاة فصيحة وجماعية للرب، فتأثر به الحضور، ودمعت أعين الكثير منهم.

عندما قال أخيرًا "آمين"، صعدت امرأة سوداء ضخمة تضع شعرًا أحمر مستعارًا لامعًا ووقفت خلف الميكروفونات وفتحت فمها الواسع، وأنشدت أنشودة سنتغلب عليهم بصوتٍ عميقٍ، دافئ، هادئٍ، ومجيدٍ. شبك القساوسة أيديهم خلفها على الفور وبدأوا بالتمايل. اجتاحت العفوية الحشد، وانضم إليها ألفا صوت في تناغم مذهل؛ لقد انتشر صوت الأنشودة الحزين والواعد في الأرجاء.

عندما انتهوا، صرخ أحدهم: "الحرية لكارل لي"، واندلعت موجة جديدة من الهتاف، فهدأهم آغي مرة أخرى، وصعد إلى المنصة خلف الميكروفونات، ثم أخرج بطاقة من جيبه، وبدأ خطبته.

كما هو متوقع، وصل لوسيان متأخرًا وشبه ثمل، وقد أحضر زجاجة مشروب، وعندما قدّم المشروب لجايك، وأتكافيدج، وهاري ريكس، رفضوه جميعًا.

قال جايك: "إنها الساعة التاسعة والربع يا لوسيان؛ نحن ننتظرك هنا منذ ساعة تقريبًا".

قال لوسيان: "هل أتقاضى أجرًا مقابل الحضور؟".

أجابه جايك: "لا، لكنّني طلبت منك أن تكون هنا عند الساعة الثامنة".

ردّ لوسيان: "وقد أخبرتني أيضًا ألّا أحضر المشروب، وأبلغتك أن جدي بنى هذا المبنى، وأنت هنا مستأجر لديّ، مقابل مبلغ معقول للغاية، وأوضحت لك أنني سآتي كما يحلو لي، مع زجاجة أو من دونها".

قال جايك: "حسنًا، هل يمكنك أن تنسى الأمر...".

سأل لوسيان مقاطعًا: "لماذا يتجول هؤلاء السود في الشارع حول قاعة المحكمة في الظلام؟".

أوضح هاري ريكس قائلًا: "إنها الوقفة الاحتجاجية؛ لقد تعهدوا بالسير حول قاعة المحكمة بالشموع، حتى يتحرر رجلهم".

قال لوسيان: "قد تكون وقفة احتجاجية طويلة للغاية. أعني إنّ هؤلاء الفقراء يمكن أن يمشوا حتى يموتوا؛ قد تستغرق هذه الوقفة الاحتجاجية اثني عشر أو خمسة عشر عامًا؛ قد يسجلون رقمًا قياسيًا، وقد يصل الشمع إلى مؤخراتهم. مساء الخير يا رو آرك".

جلست إيلين إلى الطاولة تحت رفوف كتب ويليام فلكنر؛ نظرت إلى نسخة محددة من قائمة أسماء هيئة المحلفين، وأومأت برأسها مبتسمةً للوسيان.

قال لوسيان: "رو آرك، أكنّ لكِ كل الاحترام، فأنا أؤمن بالمساواة، وبحقكِ في الأجر المتساوي للعمل المتساوي، وأؤمن أيضًا بحقك في اختيار إنجاب طفل أو إجهاضه؛ أؤمن بكل هذا الهراء. أنتِ امرأة، ولا يحق لك التمتع بامتيازات خاصة بسبب جنسك؛ يجب أن تُعاملي مثل الرجل". مدّ لوسيان يده إلى جيبه وأخرج النقود، وأكمل: "وبما أنكِ مساعدة قانونية، وبما أنني لا أؤمن بالتمييز على أساس الجنس، أعتقد أنك يجب أن تذهبي وتشتري لنا صندوقًا من علب بيرة كورس باردة".

قال جايك: "لا لوسيان".

قال لوسيان: "اخرس يا جايك".

وقفت إيلين، وحدقت إلى لوسيان، وقالت: "بالتأكيد يا لوسيان، لكنّني سأدفع ثمن البيرة"، وغادرت المكتب.

هزّ جايك رأسه غاضبًا وقال: "قد تكون هذه ليلة طويلة".

غيّر هاري ريكس رأيه، وأخذ جرعة من الويسكي في فنجان قهوته.

توسل إليه جايك قائلًا: "من فضلك لا تثمل، لدينا عمل يجب أن نقوم به".

قال لوسيان: "أعمل بشكل أفضل عندما أكون ثملًا".

قال هاري ريكس: "وأنا أيضًا".

قال أتكافيدج: "قد يكون هذا ممتعًا".

وضع جايك قدميه على مكتبه وأشغل سيجارًا، ثم قال: "حسنًا، أول شيء أريد القيام به هو اتخاذ قرار بشأن محلف نموذجي".

قال لوسيان: "أسود".

قال هاري ريكس: "أسود كالفحم".

قال جايك: "أوافق، لكن لن تسنح لنا الفرصة، سيعترض باكلي على السود، ونحن نعلم ذلك. علينا التركيز على البيض".

قال لوسيان: "النساء، عليكَ اختيار النساء للمحاكمات الجنائية؛ لديهن قلوب أكبر، قلوب دامية، وأكثر تعاطفًا. اختر النساء دائمًا".

قال هاري ريكس: "كلا، في هذه الحالة لا؛ لا تفهم النساء شيئًا عن أخذ السلاح وتفجير الناس. أنت بحاجة إلى آباء، وآباء صغار يريدون أن يفعلوا الشيء نفسه الذي فعله هيلي؛ آباء لفتيات صغيرات".

سأل لوسيان: "منذ متى أصبحت خبيرًا في اختيار هيئات المحلفين؟ اعتقدت أنك محامي طلاق رخيص".

أجاب هاري ريكس: "صحيح، لكنّني أعرف كيف أختار هيئات المحلفين".

قال لوسيان: "تتنصت عليهم".

قال هاري ريكس: "محاولة دنيئة".

رفع جايك ذراعيه وقال: "أرجوكم يا رفاق. ماذا عن فيكتور أونزيل؟ هل تعرفه يا ستان؟".

قال ستان: "نعم، إنّه يتعامل معنا. هو في الأربعين من عمره، متزوج ولديه ثلاثة أو أربعة أولاد؛ أبيض البشرة، من مكان ما في الشمال، وهو يدير موقف الشاحنات على الطريق السريع شمال المدينة، وقد أتى إلى هنا منذ خمس سنوات".

قال لوسيان: "ما كنت لأختاره. إذا كان من الشمال، فهو لا يفكر مثلنا؛ لربما يؤيد السيطرة على السلاح وكل ذلك هراء، ولكن دائمًا ما يخيفني اليانكيز في القضايا الجنائية، ولطالما اعتقدت أنّه يجب أن يكون لدينا قانون في ولاية ميسيسيبي يقضي بمنع تواجد يانكي معتمد في هيئة المحلفين هنا، بغض النظر عن المدة التي قضاها هنا".

قال جايك: "شكرًا جزيلًا لك".

قال هاري ريكس: "سأختاره".

سأله جايك: "لماذا؟".

قال هاري ريكس: "لديه أولاد؛ ربما ابنة. إذا كان من الشمال فهو على الأرجح ليس متحيزًا؛ يبدو الأمر جيدًا بالنسبة إلي".

قال جايك: "جون تيت أستون".

قال لوسيان: "لقد مات".

سأل جايك: "ماذا؟".

أجاب لوسيان: "قلت إنّه ميت، لقد مات منذ ثلاث سنوات".

سأل أتكافيدج: "لماذا اسمه مذكور في القائمة؟".

أوضح هاري ريكس أثناء احتسائه المشروب قائلًا: "إنهم لا يعدلون قائمة تسجيل الناخبين. البعض يموتون والبعض يبتعدون، ومن المستحيل تحديث القائمة باستمرار. لقد أصدروا مئة وخمسين استدعاء، ويمكنك أن تتوقع حضور مئة إلى مئة وعشرين؛ مات الباقون أو رحلوا".

قال جايك وهو يقلب ملاحظاته: "كارولين باكستر؛ قال أوزي إنّها سوداء، وتعمل في مصنع كربوراتور في كاراواي".

قال لوسيان: "خذها".

قال جايك: "أتمنى".

عادت إيلين مع البيرة التي وضعتها في حضن لوسيان، مزقت الصندوق الذي يزن ستة عشر أونصة، وفتحت علبة بيرة منها، وعادت إلى طاولتها؛ رفض جايك الشرب، لكن أتكافيدج قرر أنّه عطش.

قال جايك: "جو كيت شيبرد".

قال لوسيان: "أظنه أبيض قرويًا".

سأل هاري ريكس: "لماذا تقول هذا؟".

أوضح لوسيان قائلًا: "من الاسم الأول المركّب، فمعظم القرويين البيض لديهم أسماء أولية مركّبة، مثل بيلي راي، جوني راي، بوبي لي، هاري لي، جيسي إيرل، بيلي واين، جيري واين، إيدي ماك؛ حتى نساؤهم لديهن أسماء أولية مركبة، مثل بوبي سو، بيتي بيرل، ماري بيل، ثيلما لو، سالي فاي".

سأل هاري ريكس: "ماذا عن هاري ريكس؟".

أجاب لوسيان: "لم يسبق لي أن سمعت بامرأة تُدعى هاري ريكس".

قال هاري ريكس: "أعني كذكر أبيض قروي".

قال لوسيان: "أعتقد أنّه سيفي بالغرض".

قاطعه جايك: "ديل بيري قال إنّه كان يمتلك متجرًا للطعوم بالقرب من البحيرة. سأختاره؛ لا أحد يعرفه".

قال لوسيان "لا، لكنّني أراهن أنّه قروي أبيض؛ هذا ما يُستَدَلّ من اسمه. اشطبه من القائمة".

سأل أتكافيدج: "ألا يعطوكَ عناوينهم، وأعمارهم، ومهنهم، والمعلومات الأساسية عنهم، وأشياء من هذا القبيل؟".

أجاب جايك: "كلا، ليس قبل يوم المحاكمة. يملأ كل محلف محتمل استبيانًا في قاعة المحكمة يوم الاثنين، ولكن حتى ذلك الحين لدينا الأسماء فقط".

سألت إيلين: "ما نوع المحلف الذي نبحث عنه يا جايك؟".

أجاب جايك: "شباب أو رجال في أواسط العمر، ولديهم عائلات. أفضل ألّا يكون لديّ أحد فوق سن الخمسين".

سأل لوسيان بشكل عدواني: "لماذا؟".

أجاب جايك: "البيض الأصغر سنًا هم أكثر تسامحًا مع السود".

قال لوسيان: "مثل كوب وويلارد".

قال جايك: "يكره معظم كبار السن السود إجمالًا، لكن الشباب تقبلوا المجتمع المتكامل؛ إنهم أقل تعصبًا، بشكل عام".

قال هاري ريكس: "أوافقك الرأي، وابق بعيدًا عن النساء، والقرويين البيض".

قال جايك: "هذه هي خطتي".

قال لوسيان: "أعتقد أنك مخطئ، النساء أكثر تعاطفًا، انظر فقط إلى رو آرك. إنّها متعاطفة مع الجميع. أليس كذلك؟".

ردت إيلين: "صحيح يا لوسيان".

قال لوسيان: "إنها تتعاطف مع المجرمين، والمصورين الإباحيين للأطفال، والملحدين، والمهاجرين غير الشرعيين، والمثليين. أليس كذلك رو آرك؟".

قالت إيلين: "صحيح يا لوسيان".

قال لوسيان: "أنا وهي نحمل البطاقتين الوحيدتين من اتحاد الحريات المدنية المتوفرة في هذه اللحظة بالذات في مقاطعة فورد، ميسيسيبي".

قال أتكافيدج المصرفي: "هذا مقرف".

قال جايك بصوت عالٍ محاولًا الحدّ من الجدل: "كلايد سيسكو".

قال لوسيان بتعجرف: "يمكن شراؤه".

سأل جايك: "ماذا تقصد بيمكن شراؤه؟".

أجاب لوسيان: "كما قلت، يمكن شراؤه".

سأل هاري ريكس: "كيف عرفت ذلك؟".

قال لوسيان وهو يصيح في وجه هاري ريكس: "أتمزح؟ آل سيسكو؛ أكبر مجموعة محتالين في الجزء الشرقي من المقاطعة، إنّهم لصوص محترفون، ويحتالون على شركات التأمين، فهم يحرقون منازلهم كل ثلاث سنوات. ألم يسبق لك أن سمعت بهم؟".

قال هاري ريكس: "كلا. كيف تعرف أنّه يمكن شراؤه؟".

قال لوسيان: "لأنه سبق لي أن اشتريته في قضية مدنية، قبل عشر سنوات. كان اسمه واردًا على قائمة هيئة المحلفين، أبلغته أنني سأعطيه عشرة بالمئة من حكم هيئة المحلفين. إنّه مقنع جدًا".

أنزل جايك قائمة المحلفين وفرك عينيه. كان يعلم أن ما يقوله لوسيان ربما يكون صحيحًا، لكنه لم يرد تصديق ذلك.

سأل هاري ريكس: "وماذا حصل بعد ذلك؟".

قال لوسيان: "اختير لهيئة المحلفين، وحصلت على أكبر حكم في تاريخ مقاطعة فورد؛ لا يزال الرقم القياسي".

سأل جايك بتشكيك: "ستابلفيلد؟".

قال لوسيان: "بالضبط. ستابلفيلد مقابل خط أنابيب شمال تكساس، في أيلول عام 1974. ثمانمئة ألف دولار. استُأنف وأقرته المحكمة العليا".

سأل هاري ريكس: "هل دفعت له؟".

أنهى لوسيان رشفته الطويلة ولعق شفتيه، وقال بفخر: "أعطيته ثمانين ألفًا نقدًا من فئة المئة دولار. بنى بيتًا جديدًا ثمّ أحرقه".

سأل أتكافيدج: "كم كانت حصتك؟".

أجاب لوسيان: "كانت حصتي أربعين بالمئة، ناقص ثمانين ألفًا".

صمت كل من في الغرفة، ولكن لوسيان قام بالحسابات.

تمتم أتكافيدج: "واو!".

سأل جايك بفتور: "أنت تمزح، أليس كذلك يا لوسيان؟".

أجاب لوسيان: "أنت تعرف أنني جاد يا جايك. أنت تعلم أنني أكذب لاإراديًا، لكنني لا أكذب أبدًا بشأن أشياء كهذه. أنا أقول الحقيقة، وأقول لكم إنّه يمكن شراء هذا الرجل".

سأل هاري ريكس: "كم ثمنه؟".

قال جايك: "انسَ ذلك".

قال لوسيان: "خمسة آلاف نقدًا؛ تخمين فقط".

قال جايك: "انسَ ذلك".

توقفوا عن الحديث، ونظر كل واحد منهم إلى جايك للتأكد من أنّه غير مهتم بكلايد سيسكو، وعندما كان من الواضح أنّه غير مهتم، شربوا وانتظروا الاسم التالي. قرابة الساعة العاشرة شرب جايك أول علبة بيرة، وبعد ساعة بقي لديهم أربعون اسمًا. ترنح لوسيان على الشرفة وشاهد السود يحملون شموعهم على طول الأرصفة المجاورة للشوارع المحيطة بقاعة المحكمة، وسأل: "جايك، لماذا هذا النائب يجلس في سيارته أمام مكتبي؟".

أجاب جايك: "هذا حارسي الشخصي".

سأل لوسيان: "ما اسمه؟".

أجاب جايك: "نسبيت".

سأل لوسيان: "هل هو مستيقظ؟".

أجاب جايك: "على الأغلب لا".

انحنى لوسيان بشكل خطير على الدرابزين، وصرخ: "هاي، نسبيت".

فتح نسبيت باب سيارة الشرطة وقال: "نعم، ماذا هناك؟".

قال لوسيان: "جايك هنا ويريدك أن تذهب إلى المتجر لتُحضر لنا المزيد من البيرة؛ إنّه عطشان جدًا. خذ عشرين دولارًا، فجايك يريد صندوق كورس".

احتج نسبيت قائلًا: "لا يمكنني شراؤها عندما أكون في الخدمة".

ضحك لوسيان وقال: "منذ متى؟".

قال نسبيت: "لا يمكنني فعل ذلك".

قال لوسيان: "إنها ليست لك يا نسبيت، إنّها للسيد بريغانس، وهو بحاجة إليها حقًا. لقد اتصل بالمأمور، وقال لا بأس".

سأل نسبيت: "من اتصل بالمأمور؟".

كذب لوسيان قائلًا: "السيد بريغانس، قال المأمور إنّه لا يهتم بما تفعله طالما أنك لم تشرب أي شيء".

هز نسبيت كتفيه، وبدا راضيًا، فرمى لوسيان عشرين دولارًا من الشرفة، وفي غضون دقائق، عاد نسبيت وهو يحمل صندوقًا تنقصه علبة واحدة تم فتحها ووضعها على جهاز الرادار. أمر لوسيان أتكافيدج بإحضار البيرة من الأسفل وتوزيع العلب الست الأولى.

بعد ساعة، انتهت القائمة وانتهى الاحتفال. أوصل نسبيت هاري ريكس، ولوسيان، وأتكافيدج في سيارته إلى منازلهم، وجلس جايك ومساعدته القانونية على الشرفة، يرتشفان البيرة ويشاهدان الشموع تومض وتتحرك ببطء حول المحكمة. كانت هناك عدة سيارات متوقفة على الجانب الغربي من الساحة، وجلست مجموعة صغيرة من السود في مكان قريب على كراسي الحديقة في انتظار تبادل الأدوار مع حاملي الشموع.

قال جايك بهدوء وهو يحدق إلى الوقفة الاحتجاجية: "لم يكن اجتماعًا سيئًا، دوّنّا ملاحظات عن كل المئة والخمسين محلفًا، ما عدا عشرين".

سألت إيلين: "ماذا بعد؟".

أجاب جايك: "سأحاول العثور على معلومات عن العشرين الآخرين، ثمّ سنُعدّ بطاقة فهرسة لكل محلف؛ سنعرفهم كما نعرف أفراد عائلاتنا بحلول يوم الاثنين".

عاد نسبيت إلى الساحة، وتجول بسيارته مرتين مراقبًا السود، ثمّ ركنها بين سيارتي الساب والبي أم دبليو.

أكمل جايك: "موجز مناغتن عن هيئة المحلفين رائع؛ سيكون طبيبنا النفسي، الدكتور باس، هنا غدًا، وأريد منكِ مراجعة موجز مناغتن معه. نحتاج إلى تحديد تفصيليّ للأسئلة الضرورية لطرحها عليه في المحاكمة، ومناقشتها معه. هذا يقلقني، وأنا لا أعرفه، أعتمد على لوسيان فقط. اجلبي لي سيرته الذاتية، وتحققي من خلفيته، واجري أي مكالمات هاتفية ضرورية، وتحققي مع الجمعية الطبية الحكومية للتأكد من أنّه ليس لديه تاريخ من مشاكل الانضباط. إنّه مهم للغاية في قضيتنا، ولا أريد أي مفاجآت".

قالت إيلين: "حسنًا أيها الرئيس".

أنهى جايك آخر علبة بيرة وقال: "انظري يا رو آرك، هذه المدينة صغيرة جدًا؛ غادرت زوجتي قبل خمسة أيام، وأنا متأكد من أن الناس سيعرفون ذلك قريبًا. أنتِ مريبة، ويحب الناس التحدث، لذا كوني حذرةً. ابقي في المكتب وقومي بأبحاثك، وأخبري أي شخص يسألك أنكِ بديلة لإيثل".

قالت إيلين: "هذا ادعاء كبير".

قال جايك: "يمكنك أن تفعلي ذلك إذا كنت ترغبين".

قالت إيلين: "آمل أنك تعرف أنني لست لطيفةً بقدر ما أنا مجبرة على أن أكون كذلك".

قال جايك: "أعلم ذلك".

راقبا السود وهم يتبادلون الأدوار لأخذ الشموع، وألقى نسبيت علبة البيرة الفارغة على الرصيف.

سأل جايك: "أنت لن تقودي إلى المنزل، أليس كذلك؟".

أجابت إيلين: "لن تكون فكرة جيدة".

قال جايك: "يمكنكِ النوم على الأريكة في مكتبي".

قالت إيلين: "شكرًا".

تمنّى جايك لها ليلة سعيدة، وأغلق باب المكتب وراءه، وتحدث لفترة وجيزة إلى نسبيت، ثمّ جلس خلف مقود سيارة الساب، وتبعه نسبيت إلى منزله في آدمز. ركن سيارته في المرأب، بجوار سيارة كارلا؛ كانت الساعة الواحدة بعد منتصف ليل يوم الخميس الثامن عشر من تموز.

30

وصلوا في مجموعات مكونة من شخصين أو ثلاثة، جاؤوا من جميع أنحاء الولاية، ركنوا سياراتهم على طول الطريق الحصوي بجانب المقصورة في أعماق الغابة التي دخلوها وهم يرتدون ملابس العمال العاديين، ولكن بمجرد دخولهم، استبدلوها بأردية وأغطية للرأس مطوية بدقة. لقد أعجبوا بالزي الرسمي، وساعدوا بعضهم في ارتداء الملابس. معظمهم كانوا يعرفون بعضهم، لكن بعض المقدمات كانت ضرورية؛ لقد كان الإقبال جيدًا، فقد بلغ عددهم الأربعين.

كان ستامب سيسون سعيدًا، فارتشف الويسكي، وتنقل في أرجاء المقصورة كالمدرب الذي يُطمئِن فريقه قبل انطلاق المباراة؛ تفقّد الملابس وأجرى التعديلات، ثم أبلغ الرجال أنه فخور بهم، وقال إن هذا أكبر اجتماع ينعقد منذ سنوات. لقد أعجب بهم وبالتضحيات التي بذلوها ليأتوا إلى هنا، فهو يعلم أن لديهم عائلات ووظائف يؤدونها، لكن هذا كان مهمًا. تحدث عن أيام المجد عندما كانوا مرهوبي الجانب في ولاية ميسيسيبي، وكان لهم نفوذ. يجب أن تعود تلك الأيام، وكان على هذه المجموعة ذاتها من الرجال المتفانين اتخاذ موقف لصالح البيض، كما أوضح قائلًا: "إن المسيرة قد تكون خطيرة، إذ يمكن للزنوج أن يسيروا ويتظاهروا طوال اليوم ولن يهتم أحد للأمر، لكن إذا تظاهر البيض فسيعتبر الأمر في غاية الخطورة؛ لقد منحتكم السلطة إذنًا بالتظاهر، ووعد المأمور الزنجي بالمحافظة على النظام، لكن معظم مسيرات كلان في الوقت الحاضر تتعطل بسبب عصابات متنقلة من الأشرار السود الشبان، لذا، كونوا حذرين، وحافظوا على مواقعكم، فستامب؛ أي أنا؛ سأتحدث نيابةً عنكم".

استمعوا باهتمام إلى كلام ستامب الذي ألهب حماستهم، وعندما أنهى خطابه استقلوا عشرات السيارات وتبعوه إلى المدينة.

نادرًا ما شاهد الناس في كلانتون مسيرة لكلان؛ فعند الساعة الثانية بعد الظهر، عمت الحماسة الساحة، فما كان من التجار إلّا أن غادروا متاجرهم برفقة زبائنهم إلى الأرصفة ليشاهدوا ما يحدث باهتمام؛ كانوا يتنقلون باهتمام، ويراقبون الشوارع الجانبية. لقد كان الصحفيون والمراسلون على أتمّ الاستعداد، وتجمّعوا بالقرب من شرفة المراقبة في الحديقة الأمامية، ووقفت مجموعة من الشبان السود في مكان قريب تحت شجرة بلوط ضخمة. شعر أوزي أن الأمر يُنذِر بالمتاعب، وأكدوا له أنّهم قد حضروا فقط للمشاهدة والاستماع، فهددهم بالسجن إذا أثاروا المشاكل، ووزع رجاله في نقاط مختلفة حول قاعة المحكمة.

صرخ أحدهم: "لقد جاؤوا"، وحاول المتفرجون إلقاء نظرة على مسيرة الكلان وهم يتقدمون بشكل مهيب من شارع فرعيّ إلى شارع واشنطن على الحدود الشمالية للساحة. مشوا ببطء وغطرسة، لقد أخفوا وجوههم خلف الأقنعة الحمراء والبيضاء التي توحي بالشرّ. حدق المتفرجون إلى الأشخاص المجهولين، بينما كان الموكب يتحرك ببطء على طول شارع واشنطن، ثمّ جنوبًا على طول شارع كافاي، ثمّ شرقًا على طول شارع جاكسون. تقدم ستامب رجاله بفخر، وعندما اقترب من المحكمة، انعطف يسارًا بشكلٍ حاد، وتقدم رجاله على الرصيف الطويل وسط الحديقة الأمامية، ثم تجمعوا على شكل نصف دائرة واسعة حول المنصة أمام درجات المحكمة.

تدافع الصحفيون نحوهم، وعندما أوقف ستامب رجاله، سرعان ما ظهرت عشرات الميكروفونات الموصولة بأسلاك إلى الكاميرات وأجهزة التسجيل على المنصة. تحت الشجرة، كانت أعداد الشبان السود تزداد شيئًا فشيئًا، واقترب بعضهم بضع أقدام من وسط الساحة، وتم إخلاء الأرصفة بينما كان التجار وأصحاب المتاجر وزبائنهم وآخرون من الفضوليين يتدفقون عبر الشوارع إلى الحديقة لسماع ما يوشك القائد، القصير السمين، أن يقول. سار النواب ببطء عبر الحشد، وظلوا يراقبون مجموعة السود، ووقف أوزي تحت شجرة البلوط، وسط شعبه.

من نافذة مكتب جين غيليسبي في الطابق الثاني راقب جايك ما يجري؛ إن مشهد الكلان، مع شعاراتهم، ووجوههم المخبأة وراء الأقنعة المشؤومة، أشعره بالقرف. عادت القلنسوة البيضاء، التي كانت رمزًا للكراهية والعنف لعقود من الزمن في الجنوب. أي واحد من هؤلاء الرجال قد أحرق الصليب في فناء منزله؟ هل كانوا جميعًا مشاركين في التخطيط لتفجير منزله؟ أي واحد منهم سيحاول إيذاءه بعد ذلك؟ من الطابق الثاني، يمكنه رؤية السود عن قرب.

صرخ ستامب عبر الميكروفون مشيرًا إلى السود: "أنتم أيها الزنوج، لم تتم دعوتكم إلى هذه المسيرة للقاء كلان؛ فهذا ليس تجمعًا للزنوج".

من الشوارع الجانبية والأزقة الضيقة خلف المباني المبنية من الطوب الأحمر، تدفق تيار مستمر من السود نحو المحكمة وانضموا إلى الآخرين، وفي غضون ثوانٍ فاق عددهم عدد جماعة ستامب بنسبة عشرة مقابل واحد، وهنا، طلب أوزي الدعم.

قال ستامب وهو يزيل قناعه: "اسمي ستامب سيسون، وأنا فخور بأن أقول إنني الإمبراطور الساحر للإمبراطورية الخفية كو كلوكس كلان في ميسيسيبي، أنا هنا لأقول إن سكان ميسيسيبي البيض الملتزمين بالقانون سئموا وتعبوا من الزنوج الذين يسرقون، ويغتصبون، ويقتلون، ويفلتون بفعلتهم. نحن نطالب بالعدالة، ونطالب بإدانة الزنجي هيلي، وإرسال مؤخرته السوداء إلى غرفة الغاز".

صرخ أحد السود: "الحرية لكارل لي".

فكرر السود في انسجامٍ تام: "الحرية لكارل لي".

"الحرية لكارل لي".

صرخ ستامب: "اخرسوا، أيها الهمجيون، اسكتوا يا الحيوانات"، ثمّ وقف مناصروه في أماكنهم، وأداروا ظهورهم للحشد الصاخب، وتنقل أوزي وستة نواب بين المجموعتين.

تابع السود هتافاتهم: "الحرية لكارل لي".

"الحرية لكارل لي".

تحول وجه ستامب المُحمر بطبيعته، إلى اللون الأحمر الداكن، وكادت أسنانه تلامس الميكروفونات، وهو يصرخ: "اخرسوا أيها الزنوج الهمجيون، كان لديكم مظاهرة أمس ولم نزعجكم. لنا الحق في التجمع بسلام، تمامًا كما فعلتم الآن؛ اخرسوا".

اشتد الهتاف: "الحرية لكارل لي، الحرية لكارل لي".

قال ستامب: "أين المأمور؟ من المفترض أن تحافظ على القانون والنظام. أيها المأمور، قم بعملك وأسكت هؤلاء الزنوج حتى نتمكن من التجمع بسلام. ألّا يمكنك القيام بعملك أيها المأمور؟ ألّا يمكنك ضبط شعبك؟ انظروا، هذا ما تحصلون عليه عندما تختارون زنوجًا لتولي مناصب عامة".

استمر الصراخ، وابتعد ستامب عن الميكروفونات وراقب السود، وتحرك المصورون بكاميراتهم لتسجيل كل شيء. لم يلحظ أحد النافذة الصغيرة في الطابق الثالث من المحكمة، التي فُتحت ببطء في الظلام، وأُلقيت منها قنبلة حارقة على المنصة أدناه. هبطت بشكل مثالي عند قدمي ستامب وانفجرت، فشبت النيران فيه ما أطلق شرارة أعمال الشغب. صرخ ستامب وتدحرج بقوة على الدرجات الأمامية، وألقى ثلاثة من رجاله ثيابهم وأقنعتهم فوقه محاولين إخماد النيران. احترقت المنصة الخشبية، وفاحت منها رائحة البنزين القوية. شهر السود الهراوات والسكاكين، وهاجموا أي شخص أبيض، أو أيّ شخص يرتدي رداء أبيض.

تحت كل رداء أبيض كان هناك هراوة سوداء قصيرة، وأثبت الكلان استعدادهم للهجوم، وفي غضون ثوانٍ من الانفجار، كانت الحديقة الأمامية لمحكمة مقاطعة فورد ساحة معركة، حيث صرخ الرجال وشتموا وتأوهوا من الألم بين الدخان الكثيف، وفي الوقت الذي تطايرت فيه الحجارة والهراوات في كل اتجاه، نشبت معركة بالأيدي.

بدأت الأجساد تتساقط على العشب الأخضر، فسقط أوزي أولًا؛ عندما ضرب أحدهم جمجمته بهراوة، ركض نسبيت، وبراذر، وهاستينغز، وبيرتل، وتاتوم، ونواب آخرون هنا وهناك في محاولة فاشلة للفصل بين المتعاركين قبل أن يقتلوا بعضهم البعض، وبدلًا من الهروب بحثًا عن ملجأ، اندفع الصحفيون بكاميراتهم بجنون وسط الدخان والعنف في محاولة شجاعة لالتقاط صورة أفضل للدماء والأشخاص، فأصيب أحد المصورين بعينه عندما ارتطمت بها قطعة من الطوب، بينما كانت عينه اليمنى مخبأة خلف كاميرته، فسقط هو والكاميرا بسرعة على الرصيف، حيث ظهر بعد ثوانٍ مصور آخر وصوّر زميله الذي سقط. اندفعت مراسلة شجاعة من محطة ممفيس إلى المعركة، وهي تحمل ميكروفونها في يدها، وتبعها المصور. تفادت الطوب، ثمّ ناورت بالقرب من رجل ضخم من الكلان الذي كان قد أسقط للتو اثنين من المراهقين السود. صرخ بصوت عالٍ وضرب رأسها بهراوته، وركلها عندما سقطت، ثمّ هاجم مصورها بوحشية.

وصلت تعزيزات جديدة من شرطة مدينة كلانتون. في وسط المعركة، اجتمع نسبيت وبراذر وهاستينغز معًا، ووقفوا وظهورهم لبعضهم، وبدأوا في إطلاق الرصاص في الهواء من مسدسات الخدمة ماغنوم سميث وويسون. أخمد صوت إطلاق النار الشغب، وتجمد المتعاركون باحثين عن مصدر إطلاق النار، ثمّ سرعان ما انفصلوا، وحدقوا إلى بعضهم البعض، وتراجعوا ببطء. شكّل النواب خطًا فاصلًا بين السود وجماعة الكلان، وجميعهم كانوا ممتنين للهدنة.

لم يتمكن عشرات الجرحى من الانسحاب، وجلس أوزي مذهولًا، يفرك رقبته. كانت الصحفية من ممفيس فاقدة للوعي وتنزف بغزارة من رأسها، وألقى العديد من رجال كلان أرديتهم البيضاء المتسخة والدامية بالقرب من الرصيف، واستمرت النيران في الاشتعال.

اقتربت صافرات الإنذار، وأخيرًا وصلت عربات الإطفاء، وسيارات الإسعاف إلى ساحة المعركة؛ بدأوا بإسعاف الجرحى - لم يمت أحد - في البدء أنقذ ستامب سيسون، ونقل أوزي إلى سيارة الشرطة في حين وصل المزيد من رجال الشرطة وفرقوا الحشد.

تناول جايك، وهاري ريكس، وإيلين بيتزا فاترة، وشاهدوا باهتمام أحداث اليوم عبر شاشة التلفاز الصغير في غرفة الاجتماعات. بثت شبكة سي بي أس الأحداث مقاطعةً الأخبار؛ يبدو أن المراسل قد نجا من أعمال الشغب، وقد علق على الفيديو قائلًا: "حتى وقت متأخر من بعد ظهر اليوم، لم يكن هناك إحصاء دقيق لعدد الجرحى. يُعتقد أن أخطر الإصابات هي الحروق الشديدة التي تعرض لها السيد سيسون الذي عرف نفسه بأنه الإمبراطور الساحر لكو كلوكس كلان، وقد نقل إلى مستشفى ميد ساوث بيرن في ممفيس ووصفت حالته بالخطرة".

أظهرت لقطة فيديو قريبة ستامب وقد اندلعت فيه النيران، وتابع: "من المقرر أن تبدأ محاكمة كارل لي هيلي يوم الاثنين هنا في كلانتون، ومن غير المعروف ما هو أثر أعمال الشغب اليوم على هذه المحاكمة. هناك توقعات بتأجيل المحاكمة، أو نقلها إلى مقاطعة أخرى".

قال جايك: "هذا خبر جديد بالنسبة إليّ".

سأل هاري ريكس: "ألم تسمع شيئًا؟".

أجاب جايك: "ولا أيّ كلمة، وافترضت انّه سيتم إخباري قبل السي بي سي".

اختفى المراسل، وقال دان راذر إنّه سيعود بعد قليل.

سألت إيلين: "ماذا يعني هذا؟".

أجابها جايك: "هذا يعني أن نووز غبيّ لأنه لم يغير المكان".

قال هاري ريكس: "كن سعيدًا لأنه لم يفعل؛ فهذا سيمنحك شيئًا جديدًا لتناقشه عند الاستئناف".

قال جايك: "شكرًا يا هاري ريكس. أنا أقدر ثقتك في قدراتي كمحامٍ".

رنّ الهاتف، فأجاب هاري ريكس وقال مرحبًا لكارلا، ثمّ أعطى الهاتف لجايك قائلًا: "إنها زوجتك. هل يمكننا الاستماع؟".

قال جايك: "لا اذهب واجلب بيتزا أخرى. مرحبًا عزيزتي".

سألته كارلا: "جايك، هل أنت بخير؟".

أجاب جايك: "بالطبع أنا بخير".

قالت كارلا: "لقد شاهدت الأخبار للتو؛ هذا مريع. أين كنت؟".

قال جايك: "كنت أرتدي أحد تلك الأردية البيضاء".

قالت كارلا: "جايك من فضلك؛ هذا ليس مضحكًا".

قال جايك: "كنت في مكتب جين غيليسبي في الطابق الثاني؛ لقد كانت إطلالتنا رائعة حيث تمكّنت من رؤية كل شيء؛ لقد كان مثيرًا للغاية".

سألت كارلا: "من هؤلاء الناس؟".

أجاب جايك: "إنهم الأشخاص أنفسهم الذين أحرقوا الصليب في فناء منزلنا، وحاولوا تفجير المنزل".

سألت كارلا: "من أين أتوا؟".

أجاب جايك: "من كل مكان؛ خمسة منهم في المستشفى، وعناوينهم تشير إلى أنهم من شتى أنحاء الولاية، وأحدهم من المنطقة. كيف حال هانا؟".

أجابته كارلا: "إنها بخير، تريد العودة إلى المنزل. هل ستؤجَّل المحاكمة؟".

قال جايك: "أشك في ذلك".

سألته كارلا: "هل أنت بأمان؟".

أجاب جايك: "بالتأكيد. لديّ حارس شخصي على مدار الساعة، وأنا أحمل سلاحي في حقيبتي، فلا تقلقي".

قالت كارلا: "لكنّني قلقة يا جايك. أريد أن أكون معك في المنزل".

قال جايك: "كلا".

قالت كارلا: "يمكن أن تبقى هانا هنا حتى ينتهي الأمر، لكنّني أريد العودة إلى المنزل".

قال جايك: "لا يا كارلا. أعلم أنك بأمانٍ هناك، بينما لن تكوني بأمان هنا".

قالت كارلا: "إذًا أنت لست بأمان أيضًا".

قال جايك: "أنا بأمان بقدر ما أستطيع، لكنّني لن أخاطر بوجودك أنتِ وهانا هنا، هذا أمرٌ مفروغٌ منه، ونهائي. كيف حال والديك؟".

قالت كارلا: "لم أتصل لأتحدث عن والديّ، بل اتصلت لأنني خائفة، وأريد أن أكون معك".

قال جايك: "وأنا أيضًا أريد أن أكون معكِ، لكن ليس الآن. من فضلك افهميني".

ترددت وسألت: "أين تقيم؟".

أجاب جايك: "في معظم الأوقات عند لوسيان، وفي بعض الأحيان في المنزل، مع حارسي الشخصي في الفناء".

قالت كارلا: "كيف هو بيتي؟".

قال جايك: "ما زال هناك؛ قذر، لكنه لا يزال موجودًا".

قالت كارلا: "أنا افتقده".

قال جايك: "صدقيني، وهو أيضًا يفتقدك".

قالت كارلا: "أنا أحبك يا جايك، وأنا خائفة".

قال جايك: "أنا أحبكِ، ولستُ خائفًا. فقط استرخي واعتني بهانا".

قالت كارلا: "مع السلامة".

قال جايك: "مع السلامة".

سلم جايك سماعة الهاتف لإيلين التي سألته: "أين هي؟".

أجاب جايك: "ويلمنغتون، نورث كارولينا، حيث يقضي والداها الصيف هناك".

كان هاري ريكس قد غادر ليحضر بيتزا أخرى.

سألته إيلين: "أنت تفتقدها، أليس كذلك؟".

أجاب جايك: "أكثر مما تتخيلين".

قال إيلين: "أوه، يمكنني أن أتخيل".

في منتصف الليل كانوا في المقصورة يشربون الويسكي، ويلعنون الزنوج، ويقارنون الجروح. وكان العديد منهم قد عاد من مستشفى ممفيس حيث بقوا لفترة وجيزة مع ستامب سيسون الذي قال لهم أن يمضوا قدمًا كما هو مُخطط. غادر أحد عشر منهم من مستشفى مقاطعة فورد وهم يعانون من الجروح والكدمات، وأبدى الآخرون إعجابهم بجروحهم حيث أخذ كل منهم دوره واصفًا تفاصيل قتاله مع العديد من السود بشجاعة قبل أن يصاب، وعادةً من الخلف أو الجانب؛ كان ذوو الضمادات هم الأبطال؛ وروى الآخرون قصصهم وشربوا الويسكي مشيدين بالرجل الضخم عندما تحدث عن هجومه على المراسلة الجميلة، وزميلها المصور الزنجي.

بعد بضع ساعات من الشرب ورواية القصص، تحول الحديث إلى المهمة المطروحة، فوضعوا خريطة للمقاطعة، وحدد أحد السكان المحليين الأهداف. كان هناك عشرون منزلًا هذه الليلة؛ عشرون اسمًا مأخوذًا من قائمة المحلفين المحتملين التي قدمها لهم شخصٌ ما.

غادرت خمسة فرق، وكل فريق مكون من أربعة أشخاص؛ ذهبوا بواسطة عربات صغيرة، وانطلقوا في الظلام. في كل عربة كانت هناك أربعة صلبان خشبية، بطول تسع أقدام وعرض أربع، وقد رش كل واحد منها بالكيروسين. لقد تجنبوا كلانتون، والمدن الصغيرة في

المقاطعة، وبدلًا من ذلك ظلوا في الريف المظلم. كانت الأهداف في مناطق معزولة، بعيدًا عن حركة المرور والجيران، حيث تحدث الأشياء دون أن يلاحظها أحد، وينام الناس مبكرًا وبهدوء.

كانت خطة الهجوم بسيطة: تتوقف العربة على بعد بضعة مئات من الأقدام على الطريق بعيدًا عن الأنظار، ولا تنير مصابيحها الأمامية، حيث يظل السائق منتظرًا بينما يحمل الثلاثة الآخرون الصليب إلى الفناء الأمامي، ويضعونه على الأرض، ثمّ يلقون شعلة فوقه، ثم تتقدم العربة وتُقلهم من أمام المنزل حيث يتوجهون إلى الهدف التالي.

سارت الخطة ببساطة ومن دون تعقيدات في تسعة عشر هدفًا من بين عشرين، ولكن في منزل لوثر بيكيت، أثاره ضجيج غريب في وقت سابق من الليل، فجلس في الظلام على الشرفة الأمامية؛ لم يكن ينتظر شيئًا على وجه الخصوص، لكن عندما رأى عربة بيك آب غريبة تتحرك بشكل مريب على طول الطريق الحصوي بالقرب من شجرة الجوز، أمسك بندقيته، وأنصت في الوقت الذي انعطفت فيه العربة وتوقفت على الطريق. سمع أصواتًا، ثمّ رأى ثلاثة أشخاص يحملون عمودًا أو شيئًا ما في فناء منزله الأمامي، بجوار الطريق الحصوي، فجثم لوثر خلف شجيرة بجوار الشرفة، وصوب.

فتح السائق علبة بيرة باردة، وانتظر احتراق الصليب، لكن بدلًا من ذلك، سمع صوت إطلاق نار. تخلى رفاقه عن الصليب والشعلة في الفناء الأمامي، وقفزوا في حفرة صغيرة بجوار الطريق، ثمّ سُمع صوت إطلاق نار مجددًا. كان السائق يسمع الصراخ والشتائم؛ عليه أن ينقذهم، رمى علبة البيرة، وداس على دواسة البنزين.

أطلق لوثر العجوز النار مجددًا عندما خرج من الشرفة، ومرة أخرى عندما ظهرت العربة وتوقفت عند الحفرة الضحلة، فانطلق الثلاثة مسرعين، وتعثروا وانزلقوا في الوحل، وشتموا وصرخوا وهم يسارعون نحو العربة ثمّ كافحوا من أجل القفز إليها.

صاح السائق: "تمسكوا"، بينما أطلق لوثر النار مرة أخرى، هذه المرة أصاب العربة. ابتسم وهو يرى العربة تسرع في الابتعاد، وقد اعتقد أنّهم مجرد مجموعة من الشبان السكارى.

احتفظ أحد أعضاء الكلان بقائمة من عشرين اسمًا، وعشرين رقم هاتف، واتصل بهم جميعًا من هاتف مدفوع، فقط ليطلب منهم إلقاء نظرة على أفنيتهم الأمامية.

31

صباح يوم الجمعة، اتصل جايك بمنزل نووز، وأبلغته زوجة القاضي أنه يترأس محاكمة مدنية في مقاطعة بولك. أعطى جايك تعليمات لإيلين، واتجه إلى سميثفيلد، التي كانت تبعد ساعة عنه. أومأ برأسه عند دخوله قاعة المحكمة الخالية، وجلس في الصف الأمامي. لم يكن هناك حضور سوى هيئة المحلفين، فشعر نووز والمحلفون والمحامون بالملل الخانق، وبعد دقيقتين شعر جايك بالملل أيضًا. بعد أن انتهى الشاهد، دعا نووز إلى استراحة قصيرة، فتوجه جايك إلى غرفته.

قال نووز: "مرحبًا يا جايك. لماذا أنت هنا؟".

قال جايك: "أسمعت ما حدث بالأمس؟".

قال نووز: "لقد رأيته في الأخبار الليلة الماضية".

قال جايك: "هل سمعت ما حدث هذا الصباح؟".

قال نووز: "كلا".

قال جايك: "من الواضح أن أحدهم أعطى الكلان قائمة بأسماء المحلفين المحتملين، والليلة الماضية أحرقوا الصلبان في أفنية منازل عشرين منهم".

قال نووز مصدومًا: "أتقصد محلفينا؟".

قال جايك: "نعم يا سيدي".

قال نووز: "هل قبضوا على أحد؟".

قال جايك: "بالطبع لا؛ كانوا مشغولين للغاية في إطفاء الحرائق. علاوةً على ذلك، لا يمكنك القبض على هؤلاء الناس".

كرر نووز: "عشرون من أعضاء هيئة المحلفين؟".

قال جايك: "نعم يا سيدي".

حك نووز رأسه الذي يغطيه الشعر الرمادي، وسار ببطء في أرجاء الغرفة، تارة يهز رأسه، وتارة أخرى يحك بين فخديه.

تمتم نووز قائلًا: "يبدو لي وكأنه ترهيب".

يا له من ذكي! عبقري حقيقي! فكّر جايك ثمّ قال: "نعم، أعتقد ذلك".

قال نووز محبطًا: "إذًا، ماذا عليّ أن أفعل؟".

قال جايك: "تغيير المكان".

سأل نووز: "إلى أين؟".

أجاب جايك: "الجزء الجنوبي من الولاية".

قال نووز: "نعم، ربما مقاطعة كاري. أعتقد أنّها تحوي ستين بالمئة من السود، هذا من شأنه أن ينتج هيئة محلفين معلقة، أليس كذلك؟ أو ربما ترغب في مقاطعة براور، أعتقد أنّها تحوي عددًا أكبر من السود، ومن المحتمل أن تحصل على حكم بالبراءة هناك، أليس كذلك؟".

قال جايك: "لا يهمني إلى أين تنقلها؛ ليس من العدل محاكمته في مقاطعة فورد. كانت الأمور سيئة قبل الأمس، والآن يريد البيض الإعدام الغوغائي. لقد كان الوضع مروعًا قبل أن تبدأ جماعة الكلان بأفعالها، ومن يدري ما الذي يفكرون بالقيام به قبل يوم الاثنين؟ لا توجد طريقة لاختيار هيئة محلفين عادلة ونزيهة في مقاطعة فورد".

قال نووز: "هل تقصد هيئة محلفين من ذوي البشرة السوداء؟".

قال جايك: "لا يا سيدي، أعني هيئة محلفين لم تحكم مسبقًا على هذه القضية. أقصد اتهام كارل لي هيلي أمام اثني عشر شخصًا لم يقرروا مُسبقًا إدانته، أو تبرأته".

تحرك نووز نحو كرسيه، وألقى بنفسه عليه.

أزال النظارة من فوق أنفه، وتساءل بصوت عالٍ: "يمكننا تغيير المحلفين العشرين".

قال جايك: "هذا لن يساعد، فالمقاطعة بأكملها تعرف عنها، أو ستعرف عنها في غضون ساعات قليلة. أنت تعرف مدى سرعة انتقال الأخبار هنا. سيشعر كل من وردت أسماؤهم في القائمة بالتهديد".

قال نووز: "حسنًا، يمكننا استبعاد الجميع، وإعداد قائمة جديدة".

أجاب جايك بحدة محبطًا من عناد نووز: "هذا لن يجدي نفعًا، يجب أن يأتي جميع المحلفين من مقاطعة فورد، والجميع في المقاطعة يعرفون ذلك، فكيف سنضمن حماية الهيئة الجديدة من مضايقات الكلان؟ هذا لن ينجح".

قال نووز ساخرًا: "ما الذي يجعلك واثقًا جدًا من أن الكلان لن يتبعوا القضية إذا قمت بنقلها إلى مقاطعة أخرى؟".

اعترف جايك قائلًا: "أعتقد أنّهم سيتبعونها، لكننا لسنا متأكدين. ما نعرفه هو أن الكلان موجودة بالفعل في مقاطعة فورد، وأنها نشطة للغاية الآن، وأنها أرهبت بالفعل بعض المحلفين المحتملين؛ هذه هي المشكلة. السؤال هو: ماذا ستفعل حيال ذلك؟".

قال نووز بصراحة: "لا شيء".

قال جايك: "سيدي؟"

قال نووز "لا شيء. لن أفعل شيئًا سوى استبدال العشرين. سأستجوب الأفراد بعناية يوم الاثنين المقبل، عندما تبدأ المحاكمة في كلانتون".

حدق جايك بخيبة أمل. كان لدى نووز سبب، دافع، خوف، أو شيء لم يكن يقوله. كان لوسيان على حق؛ أحدهم تواصل معه.

قال جايك: "هل لي بالسؤال؟ لماذا؟".

قال نووز: "لا أعتقد أن مكان محاكمة كارل لي هيلي مهمٌ، ولا أعتقد أنّ هيئة المحلفين أو لونها سيؤثر؛ لقد اتخذوا قرارهم؛ كلهم، أينما كانوا وأيًا كانوا. لقد اتخذوا قرارهم بالفعل يا جايك،

ومن مصلحتك اختيار أولئك الذين يعتقدون أن رجلك هو البطل".
اعتقد جايك أن هذا ربما يكون صحيحًا، لكنه لم يعترف بذلك، فواصل التحديق إلى الأشجار في الخارج وقال: "لماذا تخاف من نقلها؟".

ضاقت عينا نووز، ونظر إلى جايك ثم قال بحدة: "خائف؟ أنا لست خائفًا من أي قرار أتخذه. لماذا تخاف أنت من إجراء المحاكمة في مقاطعة فورد؟".

قال جايك: "اعتقدت أنني شرحت ذلك للتو".

قال نووز: "سيدي، ستتم محاكمة هيلي في مقاطعة فورد اعتبارًا من يوم الاثنين. أي بعد ثلاثة أيام من اليوم. وستتم محاكمته هناك، ليس لأنني أخشى نقل المحاكمة، ولكن لأن نقلها لن يجدي نفعًا. لقد فكرت في كل هذا بعناية فائقة يا سيد بريغانس، ولأكثر من مرة، وأشعر بالراحة تجاه المحاكمة في كلانتون؛ لن تُنقل المحاكمة. هل لديك طلب آخر؟".

قال جايك: "لا يا سيدي".

قال نووز: "جيد، أراك الاثنين".

دخل جايك مكتبه من الباب الخلفي؛ لقد تم إقفال الباب الأمامي منذ أسبوع، وكان هناك دائمًا من يقرع عليه، ويصرخ؛ كان معظمهم من الصحفيين والمراسلين، لكن العديد منهم كانوا أصدقاء جايك مروا لتبادل الأحاديث والتحقق من الشائعات، ومعرفة كل ما يمكنهم معرفته عن المحاكمة الكبيرة. كان الموكلون شيئًا من الماضي، ورنّ الهاتف باستمرار، لكن جايك لم يجب أبدًا، وفي بعض الأحيان كانت إيلين تجيب إذا كانت قريبة من الهاتف.

وجدها في غرفة الاجتماعات غارقةً بين كتب القانون. كان موجز الإدلاء بالاختلال العقلي (الجنون) تحفة فنية، فطلب ملخصًا لا يتجاوز العشرين صفحة، لكنها سلمته خمساً وسبعين صفحة مطبوعة بشكل مثالي، وواضحة الصياغة، وأوضحت أنّه لا توجد طريقة لتغطية نسخة ميسيسيبي من موجز الإدلاء بالاختلال العقلي بكلماتٍ أقل، كانت أبحاثها شاقة ومفصلة. بدأت بقضية الإدلاء بالاختلال العقلي الأصلية في إنكلترا في القرن التاسع عشر، وبحثت في قانون الاختلال العقلي في ولاية ميسيسيبي خلال المئة والخمسين عامًا، وتجاهلت الحالات غير المهمة أو المربكة، وشرحت

ببساطة رائعة الحالات المعقدة والكبيرة، واختتمت الموجز بملخص القانون الحالي، وطبقته على محاكمة كارل لي هيلي.

في موجز أصغر، من أربع عشرة صفحة فقط، توصلت إلى استنتاج لا لبس فيه، وهو أن هيئة المحلفين ستشاهد الصور المقززة لكوب وويلارد وستشاهد أشلاء دماغيهما المتناثرة على الدرج؛ لقد اعترفت ميسيسيبي من قبل بمثل هذه الأدلة الملتهبة، ولم تجد طريقة للالتفاف حولها.

كانت قد كتبت إحدى وثلاثين صفحة حول الدفاع عن القتل المبرر، وهو أمر فكّر فيه جايك لفترة وجيزة بعد القتل، وقد توصلت إلى النتيجة نفسها التي توصل إليها؛ لن ينجح الأمر.

لقد عثرت على قضية قديمة في ولاية ميسيسيبي حيث قتل أحد الرجال مجرمًا مسلحًا فارًا، وتمت تبرئته، لكن الاختلافات بين هذه القضية وقضية كارل لي كانت هائلة. لم يطلب جايك الملخص، وكان منزعجًا من إنفاقها الكثير من الطاقة عليه، ومع ذلك، لم يقل شيئًا، لأنها قدمت كل ما طلبه.

كانت أكثر المفاجآت السارة هي عملها مع دكتور باس، حيث التقت به مرتين خلال الأسبوع، وناقشت معه بالتفصيل ممل موجز الإدلاء بالاختلال العقلي. ملأت خمسًا وعشرين صفحة بالأسئلة التي سيطرحها جايك، والإجابات التي سيقدمها باس؛ لقد كان حوارًا متقنًا، وكان جايك منبهرًا من عملها. عندما كان في سنها، كان طالبًا عاديًا يهتم بالرومانسية أكثر من الأبحاث. من ناحية أخرى، كانت إيلين كطالبة في السنة الثالثة في كلية الحقوق، تكتب ملخصات تُقرأ كأطروحات.

سألت إيلين: "كيف سار الأمر؟".

أجاب جايك: "كما هو متوقع، لم يغير رأيه؛ ستبدأ المحاكمة هنا يوم الاثنين مع اللجنة نفسها، باستثناء العشرين الذين تلقوا تهديداتهم الدقيقة".

قالت إيلين: "إنه مجنون".

سأل جايك: "ما الذي تعملين عليه؟".

أجابت إيلين: "أنتهي من المذكرة لدعم موقفنا بأنه ينبغي مناقشة تفاصيل الاغتصاب أمام هيئة المحلفين. تبدو جيدة، في هذه المرحلة".

سأل جايك: "متى ستنتهي؟".

أجابت إيلين: "هل عليّ أن أُسرع؟".

قال جايك: "أريدها بحلول يوم الأحد، إذا أمكن؛ لدي عمل روتيني آخر، شيء مختلف قليلًا".

أزاحت مفكرتها القانونية بعيدًا، واستمعت إليه.

قال جايك: "سيكون الدكتور ويلبرت روديفر هو الطبيب النفسي للولاية، رئيس الطاقم في ويتفيلد؛ لقد عمل هناك لفترة طويلة جدًا، وشهد مئات الحالات. أريدك أن تبحثي قليلًا، وتري عدد المرات التي يظهر فيها اسمه في الأحكام القضائية".

قالت إيلين: "لقد صادفت اسمه بالفعل".

قال جايك: "جيد، كما تعلمين، فإن القضايا الوحيدة التي قرأنا عنها من المحكمة العليا هي تلك التي أُدين فيها المتهم في المحاكمة، واستأنف. لم يتم الإبلاغ عن أحكام البراءة، أنا مهتم أكثر بتلك".

قالت إيلين: "لماذا؟".

قال جايك: "لدي شعور، أن روديفر متردد للغاية في إعطاء رأي مفاده أن المدعى عليه كان مختلًا عقليًا من الناحية القانونية. يُحتمل أنّه لم يسبق له أن أقدم على ذلك، حتى في الحالات التي يكون فيها المتهم مجنونًا بشكل واضح ولا يعرف ما الذي كان يفعله. أود أن أسأل روديفر، في استجواب الشهود، عن بعض الحالات التي قال فيها إنّه لا حرج في وجود رجل مريض بشكل واضح، وقد برأته هيئة المحلفين".

قالت إيلين: "سيكون من الصعب جدًا العثور على مثل هذه الحالات".

قال جايك: "أعلم، ولكن جرّبي يا رو آرك. لقد شاهدتك تعملين لمدة أسبوع، وأنا أعلم أنّك تستطيعين القيام بذلك".

قالت إيلين: "أنا أشعر بالإطراء".

قال جايك: "قد تضطرين إلى إجراء مكالمات هاتفية مع المحامين في جميع أنحاء الولاية الذين سبق لهم أن عملوا مع روديفر؛ سيكون الأمر صعبًا يا رو آرك، لكن لا ضير في المحاولة".

قالت إيلين: "نعم أيها الرئيس، لا بد أنك كنت تحتاجها بالأمس".

قال جايك: "ليس حقًا، أشك في أننا سنصل إلى روديفر الأسبوع المقبل، لذلك لديك بعض الوقت".

قالت إيلين: "لم أفهم كيف أتصرف. أتقصد أنّك لست مستعجلًا؟".

قال جايك: "لا، ولكنّني أحتاج إلى موجز الاغتصاب في البدء".

قالت إيلين: "أجل أيها الرئيس".

قال جايك: "هل تناولتِ طعامك؟".

قالت إيلين: "أنا لست جائعة".

قال جايك: "جيد، لا تضعي أي خطط لتناول العشاء".

قالت إيلين: "ماذا يعني ذلك؟".

قال جايك: "هذا يعني أن لديّ فكرة".

قالت إيلين: "أتقصد موعدًا غراميًا؟".

قال جايك: "لا، أشبه بعشاء عمل مع اثنين من المتخصصين".

حزم جايك حقيبتين وقال لها وهو يغادر: "سأكون عند لوسيان؛ لا تتصلي بي إلّا إذا كانت هناك حالة طوارئ رهيبة، ولا تخبري أحدًا بمكاني".

قالت إيلين: "ما الذي ستعملان عليه؟".

قال جايك: "هيئة المحلفين".

كان لوسيان مغمى عليه من الثمالة ومستلقيًا على أرجوحة الشرفة، ولم تكن سالي موجودة، فأجرى جايك أبحاثه في الطابق العلوي. كان لدى لوسيان كتب قانونية في منزله أكثر

مما كان لدى معظم المحامين في مكاتبهم، فنشر أغراضه على كرسي، ووضع على المنضدة لائحة بأسماء المحلفين مرتبة وفق الترتيب الأبجدي، وكدسة من بطاقات الملاحظات، والعديد من الأقلام الملونة.

الاسم الأول كان أكير؛ باري أكير، وقد تمت كتابة الاسم الأخير بحروف كبيرة على بطاقة ملاحظات زرقاء اللون. البطاقات الزرقاء للرجال، والحمراء للنساء، والسوداء للسود، بغض النظر عن الجنس. دوّن الملاحظات بقلم رصاص، تحت اسم أكير؛ العمر قرابة الأربعين، متزوج للمرة الثانية وله ثلاثة أبناء وبنتان، ويدير متجرًا صغيرًا غير مربح للأجهزة الالكترونية على الطريق السريع في كلانتون، وتعمل زوجته سكرتيرة في أحد المصارف. يقود سيارة بيك آب، ويحب الصيد، وينتعل أحذية رعاة البقر؛ إنه شخص دمث. ذهب أتكافيدج إلى متجر الأجهزة الالكترونية يوم الخميس ليلقي نظرة على باري أكير. قال إنّه بدا طبيعيًا، ويتحدث وكأنه تلقى بعض التعليم. كتب جايك رقم تسعة بجانب اسم أكير؛ أُعجب جايك بأبحاثه، بالتأكيد لن يكون باكلي كذلك.

الاسم التالي كان بيل أندروز. يا له من اسم! كان هناك ستة أرقام دوّن الاسم نفسه بجانبها في دليل الهاتف. عرف جايك واحدًا، وعرف هاري ريكس شخصًا آخر، وعرف أوزي شخصًا أسود يحمل الاسم ذاته، لكنه لم يعرف أحد أيًّا منهم حصل على الاستدعاء، فوضع علامة استفهام بجانب الاسم.

جيرالد أولت؛ ابتسم جايك عندما كتب الاسم على بطاقة الملاحظات؛ كان أولت قد مر بمكتبه قبل بضع سنوات عندما ألقى المصرف الحجز على منزله في كلانتون بعد أن أصيبت زوجته بمرض في الكلى، وتسببت الفواتير الطبية بإفلاسهما. كان مثقفًا، وقد تلقى تعليمه في برينستون، حيث التقى بزوجته. كانت من مقاطعة فورد، وهي الابنة الوحيدة لعائلتها التي استثمرت كل أموالها في السكك الحديدية. وصل إلى مقاطعة فورد في الوقت الذي انهارت فيه استثمارات عائلة زوجته، وتحولت حياته الزوجية من رحلة سهلة إلى رحلة نضال. درّس في المدرسة لفترة، ثمّ أدار المكتبة، ثمّ عمل مساعدًا قانونيًا في المحكمة، وطوّر وضعه بالعمل الجاد، ثمّ مرضت زوجته، وفقدا منزلهما المتواضع، وهو يعمل الآن في متجر صغير.

عرف جايك شيئًا عن جيرالد أولت لم يعرفه أحد؛ عندما كان طفلًا في ولاية بنسلفانيا، عاشت عائلته في مزرعة بالقرب من الطريق السريع، وذات ليلة أثناء نومهم، شبت النيران في المنزل. توقف سائق سيارة عابر، وركل الباب الأمامي وشرع ينقذهم. انتشر الحريق بسرعة، وعندما استيقظ جيرالد وشقيقه كانا محاصرين في غرفة نومهما في الطابق العلوي، فركضا إلى

النافذة وصرخا، وصرخ والداهما وإخوتهم بلا حول ولا قوة من الحديقة الأمامية. اندلعت ألسنة اللهب من كل نافذة في المنزل باستثناء غرفة نومهما. فجأة، غمر المنقذ نفسه بالماء من خرطوم الحديقة، واندفع إلى المنزل المحترق، وكافح اللهب والدخان أثناء اندفاعه إلى الطابق العلوي، ثمّ اندفع عبر باب غرفة النوم؛ حطّم النافذة، وأمسك بجيرالد وشقيقه، وقفز بهما على الأرض، وبأعجوبة، لم يصابا بأذى. شكروه بالدموع والعناق؛ شكروا هذا الغريب الذي كان أسود البشرة؛ كان أول أسود يراه الأطفال على الإطلاق.

كان جيرالد أولت أحد القلائل من البيض في مقاطعة فورد الذين أحبوا السود حقًا، فوضع جايك رقم عشرة بجانب اسمه.

لقد أمضى ست ساعات في مراجعة قائمة هيئة المحلفين، وتدوين الملاحظات، والتركيز على كل اسم، وتخيل كل محلف وهو يجلس على مقعده أثناء المشاورات وهو يتحدث إلى كل واحد، وقيّمهم. كل أسود حصل على عشرة تلقائيًا؛ لم يكن تقييم البيض بهذه السهولة. كان تقييم الرجال أعلى من النساء، والشباب أعلى من كبار السن. وتقييم المتعلمين أعلى بقليل من غير المتعلمين؛ حصل الليبراليون، نساءً ورجالًا، على أعلى تقييم.

استثنى العشرين، الذي قال نووز إنّه سيستبعدهم. كان يعرف شيئًا عن مئة وأحد عشر من أعضاء هيئة المحلفين المحتملين، وبالتأكيد، لم يستطع باكلي معرفة الكثير.

كانت إيلين تكتب على الآلة الكاتبة الخاصة بإثيل عندما عاد جايك من منزل لوسيان؛ توقفت عن العمل، وأغلقت كتب القانون التي كانت تكتب منها، ونظرت إليه.

سألت بابتسامة شريرة: "أين العشاء؟".

أجاب جايك: "سنذهب في رحلة".

سألته إيلين: "حسنًا، إلى أين؟".

أجاب جايك: "هل سبق لك أن زرتِ روبنسونفيل، ميسيسيبي؟".

قالت إيلين: "لا، لكنّني مستعدة. ماذا يوجد هناك؟".

قال جايك: "لا شيء سوى القطن، وفول الصويا، ومطعم صغير رائع".

سألت إيلين: "ما هي قواعد اللباس؟".

نظر جايك إليها؛ كانت ترتدي ملابسها المعتادة؛ الجينز الباهت، وبلا جورب، وقميصًا بلون بحري كان أكبر من مقاسها بأربع مرات، ولكنه يصل إلى مستوى فخذيها النحيفتين، وقال: "تبدين جيدة".

أطفآ أنوار المصابيح، وانطلقا بسيارة الساب مغادرين كلانتون. توقف جايك عند متجر خمور في القسم الأسود من المدينة، واشترى ست علب من البيرة، وزجاجة طويلة باردة من النبيذ.

قال لها جايك عندما غادرا المدينة: "عليكِ إحضار مشروبك إلى هذا المكان"، شاهدا الشمس وهي تغرب أمامها على الطريق، فأنزل جايك واقية الشمس، وأدت إيلين دور النادل وفتحت علبتين من البيرة وسألت: "كم يبعد هذا المكان؟".

أجاب جايك: "مسافة ساعة ونصف".

قالت إيلين: "ساعة ونصف، أنا أتضور جوعًا".

قال جايك: "حسنًا، املأي بطنك بالبيرة، صدقيني، فالمكان يستحق العناء".

سألت إيلين: "ماذا يقدمون هناك؟".

أجاب جايك: "الروبيان المشوي والمقلي، والضفادع، وسمك السلور المشوي".

رشفت من البيرة وقالت: "سنرى".

داس جايك على دواسة البنزين، وعبرا الجسر فوق بحيرة تشاتولا، ثم عبرا التلال شديدة الانحدار المغطاة بنبات الكودزو الأخضر الداكن، وتجنبا الشاحنات التي تنقل الخشب في آخر جولاتها اليوم. فتح جايك فتحة السقف، وأنزل زجاج النوافذ وترك الهواء يتلاعب داخل السيارة، فأرجعت إيلين ظهرها إلى الخلف في مقعدها وأغمضت عينيها، وغطى شعرها الكثيف الممزوج وجهها.

قال جايك: "انظري يا رو آرك، هذا عشاء عمل بحت".

قالت إيلين: "طبعًا، طبعًا".

قال جايك: "أعني ذلك؛ أنا الرئيس، وأنتِ الموظفة، وهذا عشاء عمل. لا شيء أكثر أو أقل، لذلك لا تدعي أي أفكار شهوانية تعبر دماغك المتحرر جنسيًا".

قالت إيلين: "يبدو أنك صاحب الأفكار".

قال جايك: "لا، لكنّني أعرف ما الذي تفكرين فيه".

قالت إيلين: "كيف تعرف ما الذي أُفكر فيه؟ لماذا تظن أنك لا تُقاوم، وأنني أخطط لمشهد إغواء كبير؟".

قال جايك: "فقط ابقَي متزنة. أنا رجل متزوج وسعيدٌ للغاية، ولديّ زوجة رائعة، مستعدة للقتل إذا ظنت أنني أخونها".

قالت إيلين: "حسنًا، لنتظاهر بأننا صديقان؛ صديقان يتناولان العشاء".

قال جايك: "هذا لا ينفع في الجنوب، إذ لا يمكن للصديق الذكر تناول العشاء مع صديقته الأنثى، إذا كان للصديق الذكر زوجة؛ هذا لا يحدث هنا".

سألت إيلين: "لِمَ لا؟".

أجاب جايك: "لأن الرجال ليس لديهم صديقات؛ هذا أمر مستحيل. لا أعرف رجلًا واحدًا في الجنوب بأكمله متزوجًا ولديه صديقة. أعتقد أن الأمر يعود إلى الحرب الأهلية".

قالت إيلين: "أعتقد أنّه الأمر يعود إلى العصور المظلمة. لماذا تشعر النساء الجنوبيات بالغيرة؟".

قال جايك: "لأننا عودناهن على ذلك، لقد تعلمن منا. إذا التقت زوجتي بصديق ذكر لتناول طعام الغداء أو العشاء، فسأقطع رأسه وأطلب الطلاق؛ لقد تعلمت هذا مني".

قال إيلين: "هذا لا معنى له على الإطلاق".

قال جايك: "بالطبع لا".

سألت إيلين: "أليس لزوجتك أصدقاء ذكور؟".

أجاب جايك: "لا شيء أعرفه. إذا علمت بأي شيء، فأخبريني بذلك".

قالت إيلين: "وليس لديك صديقات؟".

قال جايك: "لماذا أريد صديقات؟ لا يمكنهن الحديث عن كرة القدم، أو صيد البط، أو السياسة، أو الدعاوى القضائية، أو أي شيء أريد التحدث عنه، فهن فقط يتحدثن عن الأطفال، والملابس، والوصفات، والقسائم، والأثاث، والأشياء التي لا أعرف عنها شيئًا. لا، ليس لديّ صديقات، ولا أريد أن يكون لديّ".

قالت إيلين: "هذا ما أحبه في الجنوب. الناس صبورون للغاية".

قال جايك: "شكرًا لكِ".

سألت إيلين: "هل لديك أصدقاء يهود؟".

أجاب جايك: "أنا لا أعرف أي يهودي في مقاطعة فورد. كان لدي صديق جيد حقيقي في كلية الحقوق، إيرا تاوبر، من نيو جيرسي؛ كنا مقرّبَين جدًا؛ أنا أحب اليهود. كان يسوع يهوديًا، كما تعلمين، ولم أفهم أبدًا معاداة السامية".

قالت إيلين: "يا إلهي، أنت ليبرالي. ماذا عن، أممم، المثليين؟".

قال جايك: "أشعر بالأسف تجاههم، فهم لا يعرفون ما ينقصهم، لكن هذه هي مشكلتهم".

سألت إيلين: "هل يمكن أن يكون لديك صديق مثلي؟".

أجاب جايك: "لا مشكلة، طالما أنّه لم يخبرني".

قالت إيلين: "كلا، أنت جمهوري".

أخذت علبته الفارغة، وألقتها في المقعد الخلفي، وفتحت علبتين جديدتين. كانت الشمس قد غابت، وشعرت بالهواء البارد الثقيل والرطب، وكان جايك يقود بسرعة تسعين ميلًا في الساعة.

سألته إيلين: "حسنًا، ألا يمكننا أن نكون صديقين؟".

أجاب جايك: "لا".

أردفت قائلة: "ولا عاشقين".

قال جايك: "لو سمحت، أحاول القيادة".

سألته: "حسنًا، كيف نصف نفسينا؟".

أجاب جايك: "أنا المحامي، وأنت المساعدة القانونية. أنا صاحب العمل وأنتِ الموظفة. أنا الرئيس، وأنتِ مساعدتي".

قالت إيلين: "أنت الذكر، وأنا الأنثى".

أُعجب جايك ببنطالها الجينز، وقميصها الفضفاض، وقال: "ليس هناك الكثير من الشك حول ذلك".

هزت إيلين رأسها، ونظرت إلى الجبال في حين ابتسم جايك، وقاد بسرعة، وشرب البيرة. مر على سلسلة من التقاطعات على الطرق الريفية المهجورة، وفجأة اختفت التلال وأصبحت الأرض منبسطة.

سألته إيلين: "ما اسم المطعم؟".

أجاب جايك: "هوليوود".

سألته إيلين: "ماذا؟".

قال جايك: "هوليوود".

سألت إيلين: "لماذا سُمي هوليوود؟".

أجاب جايك: "كان يقع في السابق في بلدة صغيرة تُدعى هوليوود، ميسيسيبي على بعد أميال قليلة من هنا. احترق، ونقلوه إلى روبنسونفيل، وما زالوا يسمونه هوليوود".

سألت إيلين: "ما الشيء العظيم في ذلك المطعم؟".

أجاب جايك: "الطعام رائع، والموسيقى رائعة، والجو رائع، وعلى بعد ألف ميل من كلانتون، ولن يراني أحد أتناول العشاء مع امرأة غريبة وجميلة".

قالت إيلين: "أنا لست امرأة، أنا مساعدة".

قال جايك: "مساعدة غريبة، وجميلة".

ابتسمت إيلين ومررت أصابعها عبر شعرها. عند تقاطع آخر، استدار يسارًا واتجه غربًا، حتى وجدا مكانًا بالقرب من سكة حديد. على جانب الطريق كان هناك صف من المنازل الخشبية الفارغة، وعلى الجانب الآخر كان المطعم القديم وحيدًا وحوله عشرات السيارات، والموسيقى تصدح بهدوء من النوافذ. أمسك جايك بزجاجة النبيذ، ورافقته مساعدته القانونية إلى الشرفة الأمامية، ودخلا.

بجوار الباب كان هناك منصة صغيرة، حيث جلست سيدة سوداء جميلة، تدعى ميرل، تعزف على البيانو وتغني أغنية ليلة ماطرة في جورجيا. كان هناك ثلاثة صفوف طويلة من الطاولات بجانب المنصة؛ كانت الطاولات نصف ممتلئة، وكانت النادلة في الخلف تسكب البيرة من دورق، ودعتهما للدخول، ثم أجلستهما في الخلف، إلى طاولة صغيرة وُضِع عليها مفرش أحمر.

سألت جايك: "هل تريد بعض مخلل الشبت المقلي يا عزيزي؟".

أجابها جايك: "نعم، أحضري طبقين من فضلك".

عبست إيلين ونظرت إلى جايك وقالت: "مخلل شبت مقلي؟".

قال جايك: "نعم طبعًا. ألا يقدمونه في بوسطن؟".

سألت إيلين: "هل تقلون كل شيء هنا؟".

أجاب جايك: "كل شيء يستحق الأكل. إذا لم يعجبك، فسآكله".

سُمع صوت صراخ من طاولة عبر الممر؛ شرب أربعة أزواج نخب شيءٍ ما أو شخصٍ ما، ثمّ قهقهوا، وضجّ المطعم بالصراخ والأحاديث.

أوضح جايك: "الشيء الجيد في هوليوود، هو أنه يمكنك إحداث كل الضوضاء التي تريدينها، والبقاء بقدر ما تريدين، ولا أحد يهتم. عندما تحصلين على طاولة هنا، ستكون لك كل الليلة. سيبدأون الغناء والرقص بعد دقيقة".

طلب جايك الروبيان المقلي وسمك السلور المشوي لكليهما؛ ورفضت إيلين الضفدع.

أسرعت النادلة بجلب كأسين من أجل النبيذ، وشربا نخب كارل لي هيلي، واختلاله العقلي.

سألها جايك: "ما رأيك في باس؟".

أجابت إيلين: "إنه الشاهد المثالي، سيقول أي شيء نريده".

سأل جايك: "هل هذا يزعجك؟".

أجابت إيلين: "كان ذلك سيزعجني لو كان شاهد عيان، لكنه خبير ويمكنه الإدلاء برأيه. من سيتحداه؟".

سأل جايك: "هل لديه مصداقية؟".

أجابت إيلين: "عندما يكون رصينًا. تحدثنا مرتين هذا الأسبوع؛ يوم الثلاثاء كان واضحًا ومفيدًا، أما يوم الأربعاء، فكان ثملًا وغير مبالٍ. أعتقد أنّه سيكون مفيدًا مثل أي طبيب نفسي يمكن أن نجده؛ إنّه لا يهتم بالحقيقة، وسيخبرنا بما نريد أن نسمعه".

سألها جايك: "هل يعتقد أن كارل لي كان مختلًا عقليًا من الناحية القانونية؟".

قالت إيلين: "لا. وأنت؟".

قال جايك: "كلا يا رو آرك، أخبرني كارل لي قبل خمسة أيام من الجريمة بأنه سيقدم على ذلك؛ لقد أراني المكان بالضبط حيث كان سينصب لهما كمينًا، رغم أنني لم أكن أصدقه في ذلك الوقت. لقد كان موكلنا يعرف بالضبط ما يفعله".

سألت إيلين: "لماذا لم تمنعه؟".

أجاب جايك: "لأنني لم أصدقه. لم يكن قد مضى وقت على اغتصاب ابنته، وكانت لا تزال تناضل من أجل البقاء على قيد الحياة".

سألت إيلين: "هل كنت ستمنعه لو استطعت؟".

أجاب جايك: "لقد أخبرت أوزي، لكن في ذلك الوقت لم يكن أحد منا متأكدًا من حدوث ذلك. لا، لم أكن لأوقفه؛ فلو كنت مكانه لكنت سأفعل الشيء ذاته".

سألت إيلين: "كيف؟".

أجاب جايك: "تمامًا كما فعل؛ كان ذلك سهلًا للغاية".

قرّبت إيلين الشوكة من مخلل الشبت المقلي، وحركته بشكل مريب، ثم قطعته إلى نصفين، واخترقته بالشوكة، وشمته بعناية. وضعته في فمها ومضغته ببطء، وابتلعته، ثمّ دفعت كومة المخللات عبر الطاولة إلى جايك.

قال جايك: "لقد تصرفت كما يتصرف أي يانكي تقليدي، فأنا لا أفهمك يا رو آرك. أنت لا تحبين مخلل الشبت المقلي، وأنت جذابة، ومشرقة للغاية، ويمكنك الذهاب للعمل مع أي شركة محاماة من الدرجة الأولى في البلد مقابل مبالغ ضخمة، ولكنك تريدين أن تقضي حياتك المهنية ساهرةً على القتلة السفاحين المحكوم عليهم بالإعدام وعلى وشك الحصول على جزائهم. ما الذي يثيرك يا رو آرك؟".

قالت إيلين: "أنت تهتم بنفس الأشخاص؛ الآن كارل لي هيلي، وفي العام المقبل، سيكون قاتلًا آخر يكرهه الجميع، لكنك ستسهر على قضيته لأنه موكلك. في يوم من الأيام يا بريغانس، سيكون لديك عميل ينتظر تنفيذ حكم الإعدام فيه، وستعرف مدى فظاعة الأمر؛ عندما يثبتونه على الكرسي وينظر إليك للمرة الأخيرة، ستتغير نظرتك للأمور، وستعرف مدى همجية النظام، وعندها، ستتذكر رو آرك".

قال جايك: "ثم سأدع لحيتي تنمو، وأنضم إلى اتحاد الحريات المدنية الأمريكي".

قالت إيلين: "على الأرجح، إذا قبلوك".

وصل الروبيان المقلي في مقلاة سوداء صغيرة، يُطهى على نار خفيفة بالزبدة والثوم وصلصة الشواء.

وضعت إيلين الملعقة في طبقها وأكلت كاللاجئة. بدأت ميرل عرضًا مثيرًا، وغنى الجميع وصفقوا لها.

ركضت النادلة، ووضعت طبقًا من الضفادع والمقرمشة على الطاولة. أنهى جايك كأسًا من النبيذ، وأمسك حفنة من الضفدع.

حاولت إيلين تجاهلها، وعندما امتلأت معدتاهما بالمقبلات، تم تقديم سمك السلور؛ كان الطبق غارقًا بالدهون. شُويت الأسماك على الفحم حتى أصبح لونها بنيًا داكنًا وقد تركت الشواية آثار مربعات سوداء على كل جهة. أكلا وشربا ببطء، وراقبا بعضهما، وتذوقا الوجبة اللذيذة.

في منتصف الليل، كانت الزجاجة فارغة والأضواء خافتة، فتمنيا ليلة سعيدة للنادلة وميرل وسارا بعناية على الدرج نحو السيارة.

أحكم جايك وضع حزام مقعده وقال: "أنا ثمل ولا أستطيع القيادة".

قالت إيلين: "وأنا كذلك، رأيت فندقًا صغيرًا على الطريق، ليس بعيدًا من هنا".

قال جايك: "نعم، رأيته أنا أيضًا، ولم يكن هناك شواغر؛ محاولة جيدة يا رو آرك. اجعليني أثمل، ثمّ حاولي استغلالي".

قالت إيلين: "سأفعل لو كنت أستطيع يا سيدي".

للحظة التقت أعينهما؛ عكس وجه إيلين الضوء الأحمر من لافتة النيون التي تومض باسم هوليوود فوق المطعم.

طالت اللحظة ثمّ أنطفأ ضوء اللافتة، وأُغلق المطعم أبوابه.

شغّل جايك محرك سيارته الساب، وانطلق بعيدًا في الظلام.

اتصل ميكي ماوس بمنزل أوزي في وقت مبكر من صباح يوم السبت، ووعد بالمزيد من مشاكل جماعة كلان، وأوضح أن أعمال الشغب التي حصلت يوم الخميس لم يكن مخططًا لها، ومع ذلك تم إلقاء اللوم عليهم. لقد ساروا بسلام، والآن يقترب زعيمهم من الموت؛ فسبعون بالمئة من جسده مغطى بحروق من الدرجة الثالثة؛ سيكون هناك انتقام، إنّه أمر قيادي. كانت التعزيزات في الطريق من الولايات الأخرى، وسيكون هناك عنف؛ لا توجد تفاصيل محددة الآن، لكنه كان سيتصل لاحقًا عندما يعرف المزيد.

جلس أوزي على طرف سريره، وفرك الحدبة المتورمة في مؤخرة رقبته، واتصل بجايك، والمحافظ، وبعد ساعة التقوا في مكتب أوزي.

قال أوزي، واضعًا كيس الثلج على رقبته، ومتألمًا مع كل كلمة: "الوضع على وشك أن يخرج عن السيطرة، هناك معلومة موثوقة أن الكلان يخططون للرد على ما حدث يوم الخميس،

ومن المفترض أن تصل تعزيزات جديدة من ولايات أخرى".

سأل المحافظ: "هل تصدق ذلك؟".

أجاب جايك: "أخشى ألّا أصدق".

سأله جايك: "المخبر؟".

أجاب أوزي: "نعم".

قال جايك: "إذًا، أنا أصدقه".

قال أوزي: "قال أحدهم إنّه كان هناك حديث عن تغيير مكان المحاكمة أو تأجيلها، هل هناك فرصة لحدوث ذلك؟".

قال جايك: "لا، التقيت بالقاضي نووز أمس؛ لن يغير المكان، وستبدأ المحاكمة يوم الاثنين".

سأل أوزي: "هل أخبرته عن الصلبان المحترقة؟".

أجاب جايك: "قلت له كل شيء".

سأل المحافظ: "هل هو مجنون؟".

أجاب جايك: "نعم، وغبي، لكن لا تخبرا أحدًا أنني قلت ذلك".

سأل أوزي: "هل هو على أسس قانونية متينة؟".

هز جايك رأسه وقال: "أشبه بالرمال المتحركة".

سأل المحافظ: "ما الذي يدور في بالك؟".

غيّر أوزي أكياس الثلج، وفرك رقبته بعناية، ثم تحدث متألّمًا: "لدي رغبة قوية في منع أعمال شغب أخرى، فمستشفانا ليست كبيرة بما يكفي للسماح باستمرار هذا الهراء، لذا، علينا فعل شيء ما. السود غاضبون ومتوترون، ولن يتطلب الأمر الكثير لإشعالهم، فبعضهم ينتظرون سببًا للبدء بإطلاق النار، وتلك الأردية البيضاء تُعَدّ أهدافًا جيدة. لديّ حدس بأن جماعة كلان قد تفعل شيئًا غبيًا حقًا، كمحاولة قتل شخص ما. لقد حصلوا على شهرة وطنية لم يروا مثيلًا لها في

السنوات العشر الماضية؛ لقد أبلغني المخبر أنّه بعد يوم الخميس تلقوا مكالمات من جميع أنحاء البلاد من متطوعين راغبين في القدوم إلى هنا، والانضمام إلى المرح".

أدار رأسه ببطء، وغير أكياس الثلج مرة أخرى، ثم أكمل: "أكره أن أقول ذلك أيها المحافظ، لكنّني أعتقد إنّه يجب عليك الاتصال بالحاكم، وطلب الحرس الوطني. أعلم أنّها خطوة جريئة، لكنّني أكره التسبب بمقتل شخص ما".

كرر المحافظ بتشكيك: "الحرس الوطني؟".

قال أوزي: "هذا ما قلته".

قال المحافظ: "أتريد دخول الحرس الوطني إلى كلانتون؟".

قال أوزي: "نعم، لحماية شعبك".

قال الحاكم: "ويجوبون الشوارع؟".

قال أوزي: "نعم، بالأسلحة وكل شيء".

قال المحافظ: "يا إلهي، هذا شديد. ألّا تبالغ في ردّ فعلك قليلًا؟".

قال أوزي: "كلا، من الواضح أنّه ليس لدي ما يكفي من الرجال للحفاظ على السلام هنا؛ لم نتمكن حتى من وقف أعمال الشغب التي حدثت أمامنا مباشرة. يحرق كلان الصلبان في جميع أنحاء المقاطعة، ولا يمكننا فعل أي شيء حيال ذلك. ماذا سنفعل عندما يقرر السود بدء بعض المشاكل؟ ليس لدي ما يكفي من الرجال أيها الرئيس، وأحتاج إلى بعض المساعدة".

اعتقد جايك أنّها كانت فكرة رائعة. كيف يمكن اختيار هيئة محلفين عادلة ونزيهة عندما يحاصر الحرس الوطني المحكمة؟ فكّر في وصول المحلفين إلى المحكمة يوم الاثنين، وسيرهم أمام الجنود المسلحين وسيارات الجيب وربما تُركن دبابة أو اثنتان أمام المحكمة. كيف يمكن أن يكونوا عادلين وحياديين؟ كيف يمكن أن يصرّ نووز على النظر في القضية في كلانتون؟ كيف يمكن للمحكمة العليا أن ترفض التراجع إذا كانت هناك إدانة، لا سمح الله؟ كانت فكرة عظيمة.

سأل المحافظ باحثًا عن المساعدة: "ما رأيك يا جايك؟".

أجاب جايك: "لا أعتقد أنّ لديك خيارًا آخر أيها المحافظ. لا يمكننا أن نتحمل أعمال شغب أخرى؛ يمكن أن يؤذيك هذا سياسيًا".

أجاب المأمور بغضب: "أنا لست قلقًا بشأن السياسة"، مع العلم أن جايك وأوزي يعرفان كل شيء.

أعيد انتخاب المحافظ في المرة السابقة بأقل من خمسين صوتًا، ولم يخطُ خطوة دون موازنة التداعيات السياسية. ابتسم أوزي لجايك بينما كان المحافظ يفكر في دخول الحرس الوطني إلى مدينته الصغيرة الهادئة.

بعد يوم السبت المظلم، اصطحب أوزي وهاستينغز، كارل لي للخروج من الباب الخلفي للسجن إلى سيارة الشرطة الخاصة بالمأمور. تحدثا وضحكا بينما قاد هاستينغز ببطء، متجاوزًا بقالة بيتس، ثمّ نحو طريق كرافت. كان الفناء الأمامي لمنزل عائلة هيلي مليئًا بالسيارات عند وصولهم، لذلك ركن السيارة في الطريق. سار كارل لي عبر باب منزله الأمامي كرجل حرّ واحتضنه على الفور أولاده وحشد من الأقارب والأصدقاء؛ لم يتم إخبارهم أنّه قادم. عانقهم بيأس في الوقت نفسه، عناقًا طويلًا واحدًا، كما لو أنّه قد لا يعانقهم بعد ذلك لفترة طويلة. راقب الحشد في صمت هذا الرجل الضخم وهو يجثو على الأرض ويدفن رأسه بين أطفاله الباكين، وبكى معظمهم أيضًا.

كان المطبخ مليئًا بالطعام، وجلس ضيف الشرف على كرسيه المعتاد على رأس الطاولة مع زوجته وأولاده حوله، ورحّب به القس آغي بصلاة قصيرة على أمل أن يعود إلى منزله. ملأ أوزي وهاستينغز طبقيهما وذهبا إلى الشرفة الأمامية، حيث قتلا البعوض، ووضعا استراتيجية للمحاكمة. كان أوزي قلقًا للغاية بشأن سلامة كارل لي أثناء نقله من السجن إلى المحكمة والعودة كل يوم؛ لقد أثبت المتهم نفسه بوضوح أن مثل هذه الرحلات ليست آمنة دائمًا.

بعد العشاء، امتد الحشد إلى الفناء الأمامي، ولعب الأطفال بينما كان البالغون يجلسون على الشرفة، في أقرب مكان ممكن من كارل لي؛ لقد كان بطلهم، وأشهر رجل يراه معظمهم على الإطلاق، وكانوا يعرفونه شخصيًا. بالنسبة إلى شعبه كان يُحاكَم لسببٍ واحدٍ فقط؛ من المؤكد أنّه قتل الشابين، لكن لم تكن هذه هي المشكلة، فلو كان أبيض، كان سيحصل على جوائز، وكانوا سيتساهلون في محاكمته، ومع هيئة محلفين مؤلفة من البيض ستكون المحاكمة مجرد نزهة، أما

كارل لي فسيحاكم لأنه أسود، وإذا أدانوه، فسيكون ذلك لأنه أسود؛ لا يوجد سبب آخر. لقد صدقوا ذلك، واستمعوا له باهتمام أثناء حديثه عن المحاكمة؛ لقد أراد صلواتهم ودعمهم، وأراد أن يتواجدوا جميعًا ويشاهدوا المحاكمة، ويحموا أسرته.

جلسوا لساعات في الجو الرطب، وتأرجح كارل لي وغوين على الأرجوحة ببطء، وراقبهما المعجبون الذين يريدون جميعًا أن يكونوا بالقرب من هذا الرجل العظيم. عندما همّوا بالمغادرة، احتضنوه جميعًا واعدين إياه بالتواجد هناك يوم الاثنين، وتساءلوا عما إذا كانوا سيرونه جالسًا مرة أخرى على الشرفة الأمامية.

في منتصف الليل قال أوزي أن الوقت قد حان للذهاب، فعانق كارل لي غوين والأولاد للمرة الأخيرة، ثمّ جلس في سيارة أوزي.

مات بود تويتي أثناء الليل، فأخبر رقيب الاتصالات نسبيت الذي بدوره أخبر جايك، فدوّن جايك ملاحظة لإرسال الزهور.

32

يوم الأحد الأخير قبل المحاكمة، استيقظ جايك في تمام الساعة الخامسة صباحًا وهو يشعر بالتوتر، ومصابًا بصداع شديد بسبب المحاكمة، إضافة إلى آثار سهرة السبت على شرفة لوسيان مع موظفته ورئيسه السابق، وقررت إيلين أن تبيت في غرفة ضيوفٍ في منزل لوسيان.

أمضى جايك ليلته على أريكته في مكتبه، وتمدد جايك على الأريكة، وسمع أصواتًا قادمة من الشارع في الأسفل، فاتجه مترنحًا في الظلام إلى الشرفة، ووقف مذهولًا أمام المنظر حول المحكمة. اليوم المنتظر؛ لقد بدأت الحرب؛ وصل الحرس الوطني. كانت هناك شاحنات نقل وسيارات جيب مركونة في الشوارع المحيطة بالساحة بالإضافة إلى عدد من الجنود الذين راحوا جيئة وذهابًا بغية أن يصطفوا ويظهروا بشكل عسكري. صدحت مكبرات الصوت، وصرخ القادة السمينون في رجالهم أن يسارعوا إلى الاصطفاف. تم تشييد مقر للقيادة بجانب البرج على الجبهة الأمامية، وقامت ثلاث كتائب من الجنود بتثبيت الأوتاد، وشد الحبال لنصب ثلاث خيمِ تمويه عملاقة، كما تم نصب متاريس عند مداخل الساحة الأربعة. أخذ الحراس مواقعهم ثمّ أشعلوا سجائرهم، واستندوا على أعمدة إنارة الشارع.

جلس نسبيت على صندوق سيارته، وراقب عملية تحصين وسط مدينة كلانتون، وتبادل الأحاديث مع بعض رجال الحرس الوطني. أعد جايك القهوة، وأحضر له كوبًا منها. كان جايك صاحيًا تمامًا، وآمنًا، فاستطاع نسبيت أن يذهب إلى منزله، ويرتاح حتى المساء بينما عاد جايك إلى الشرفة، وراقب التحركات حتى مطلع الفجر. تم تفريغ كامل حمولة شاحنات النقل، وأرسلت إلى شمال المدينة حيث يمكن للرجال أن يناموا. جابوا المحكمة، ومشوا في مجموعات صغيرة حول الساحة، وتفحصوا المتاجر، وانتظروا ضوء النهار على أمل أن يحظوا ببعض الحماسة.

كان لنووز أن يستشيط غضبًا. كيف تجرأوا على التواصل مع الحرس الوطني دون الرجوع إليه؟ كانت هذه قضيته. ذكر المحافظ هذا، وبيّن جايك أن مسؤولية حماية كلانتون تقع على عاتق المحافظ، وليس على القاضي، فوافق أوزي على هذا، ولم يتم التواصل مع نووز.

وصل المأمور، وموس جونيور، وقابلا الكولونيل في برج المراقبة، ثم مشوا حول المحكمة متفحصين القوات، والخيم.

أشار أوزي بيده إلى عدة اتجاهات، وبدا أن الكولونيل يتفق معه، وفتح موس جونيور المحكمة لتأمين حاجات القوات من المياه، والخدمات الصحية. كان أول اقتحام من قبل الصحفيين لوسط مدينة كلانتون بعد الساعة التاسعة، وفي غضون ساعة كانوا يركضون في جميع الاتجاهات مع كاميراتهم، وميكروفوناتهم، وحصلوا على تصريحات مهمة من رقيب أو جندي.

"ما اسمك يا سيدي؟".

"الرقيب درامرايت".

"من أين أنت؟".

"من بونفي".

"وأين هذه؟".

"على بعد مئة ميل من هنا".

"لماذا أنتم هنا؟".

"لقد استدعانا المحافظ".

"ولماذا استدعاكم؟".

"لنبقي كل شيء تحت السيطرة".

"هل تتوقعون حدوث مشاكل؟".

"كلا".

"إلى متى سوف تبقون هنا؟".

"لا أعلم".

"ومن يعلم إذًا؟".

"أتوقع أن المحافظ يعلم".

وهكذا.

صباح الأحد، انتشر خبر وصول الحرس الوطني، فتوجه سكان المدينة بعد زيارتهم للكنيسة للتأكد من بسط الجيش سيطرته على المحكمة. أزال الحراس المتاريس كي يسمحوا للسكان الفضوليين بأن يتفحصوا الساحة، ويتأملوا الجنود، وشاحناتهم العسكرية، وأسلحتهم. جلس جايك على الشرفة، يحتسي قهوته، ويراجع البطاقات التي أعدها للمحلفين.

اتصل بكارلا، وأخبرها أن الحرس الوطني انتشر في المدينة، وأخبرها أيضًا أنه آمن، بل أنه لم يسبق له أن شعر بمثل هذا القدر من الأمان يومًا. أخبرها، وهما يتحدثان، عن تواجد المئات من الرجال المسلحين على بعد مسافة قليلة من شارع واشنطن على أهبة تامة للدفاع عنه، وقال لها إنّ حارسه الشخصي يرافقه، وإن المنزل محمي. لم يكن واثقًا إن كان قد أُعلن عن موت بود تويتي، لذا، لم يخبرها بهذا الأمر، وربما لن تسمع به حيث كانت ستذهب مع هانا لاصطياد الأسماك في قارب أبيها؛ لقد أرادت هانا من والدها أن يرافقهما. ودعهما جايك، وقد اشتاق إليهما كما لم يسبق له في حياته أن اشتاق إليهما بهذا القدر.

فتحت إيلين رو آرك الباب الجانبي للمكتب، ووضعت حقيبة خضروات على الطاولة في المطبخ، ثم أخرجت ملفًا من حقيبتها، وبحثت عن رئيسها؛ كان على الشرفة، يمعن النظر في البطاقات، ويراقب المحكمة؛ قال لها: "مساء الخير يا رو آرك".

سلمته ملفًا بسماكة إنش وقالت: "هذا هو البحث الذي طلبته حول صحة حادثة الاغتصاب؛ إنّها قضية صعبة، وتم إدراجها. أعتذر عن حجم هذا الملف".

كان ملفًا دقيقًا مفهرسًا، ومفندًا كالعادة. عاين جايك الملف ثمّ قال لها: "ما هذا يا رو آرك؟ لم أطلب منك دليلًا".

"أعلم أن الأعمال الأكاديمية تزعجك، فبذلت جهدًا كي أختصر".

"يا إلهي، كم أنت جريئة اليوم! ألّا تستطيعين أن تلخصي لي هذا في مقال لا يتعدى الثلاثين صفحة؟".

"انظر هنا؛ هذه دراسة معمقة للقانون، وأُعِدّت من قبل طالبة حقوق متمكنة من القراءة والكتابة؛ هذا عمل عبقري، وأقدمه إليك بالمجان، لذا، كفَّ عن التذمر".

"حاضر سيدتي. هل يؤلمك رأسك؟".

"نعم، إنّه يؤلمني منذ أن استيقظت؛ لقد أمضيت عشر ساعات في كتابة هذا الملف، وأحتاج شرابًا. هل لديك خلاط؟".

"خلاط؟".

"نعم، إنّه اختراع جديد لدينا في الشمال، وهو من أدوات المطبخ".

"هناك واحد على الرف بجانب المايكروويف".

اختفت إيلين. حل المساء، وخفّت حركة المرور في الساحة بعد أن سئم السكان من منظر الحرس المسلحين الذين يحمون محكمتهم. تعب الحرس، وشعروا بالحنين إلى موطنهم بعد اثنتي عشرة ساعة من الجو الحارق، والرطوبة الخانقة في كلانتون. جلسوا على كراسٍ قابلة للطي تحت الأشجار، وأخذوا يلومون المحافظ. مدوا الأسلاك لتعليق المصابيح حول الخيم عندما اشتد الظلام. رُكنت سيارة مليئة بالسود قرب مكتب البريد، وكانوا يحملون معهم الكراسي والشموع لوقفة الاحتجاج الليلية، وجابوا الرصيف المحاذي لشارع جاكسون تحت أنظار مئتي جندي مسلح أصابتهم الدهشة. كانت روزي آلفريد غيتوود هي قائدة هذه الوقفة؛ وهي أرملة تزن مئتي رطل، ولديها أحد عشر ولدًا، أرسلت تسعة منهم إلى الجامعة، وكانت هي المرأة السوداء الأولى التي شربت ماء باردًا من النافورة العامة في الساحة، وحملقت بالجنود الذين لم يتفوهوا بحرف.

عادت إيلين ومعها كوبان مليئان بسائل أخضر، وضعتهما على الطاولة، وجلست على كرسي.

"ما هذا؟".

"اشربه، سوف يهدئ من روعك".

"سوف أشربه، ولكنّني أريد أن أعرف ما هو".

"مارغريتا".

عاين جايك كوبه وقال: "أين الملح؟".

"لا أحب الملح على المارغريتا".

"ولا أنا، ولكن لم اخترت المارغريتا؟".

"هل لديك مشكلة مع المارغريتا؟".

أغمض جايك عينيه، وشرب قليلًا ثمّ قال: "أنتِ موهوبة يا رو آرك".

"إنني حقًا متعددة المواهب".

قال جايك: "لم أشرب مارغريتا منذ ثماني سنوات".

"أنا آسفة"، وكان كوبها يقارب على الانتهاء.

"ما نوع الرام؟".

"كنت سأقول عنك مغفلًا إن لم تكن رئيسي".

"شكرًا لك".

"إن هذا الشراب مكون من التيكيلا، وعصير الليمون، والكوينترو، وليس الرام. توقعت أن كل طالب حقوق يعلم هذا".

"كيف لك أن تسامحيني؟ كنت واثقًا من أنني أعلم هذا عندما كنت طالبًا".

تأملت الساحة، وقالت: "هذا عجيب، تبدو ساحة المحكمة وكأنها أرض معركة".

أنهى جايك شرابه، ومسح فمه. كان بعض الحرس يلعبون بأوراق الكوتشينة، ويضحكون تحت الخيم، ودخل بعضهم الآخر إلى المحكمة هربًا من الذباب.

عبر السود شارع واشنطن.

قال جايك، وهو يبتسم: "نعم. أليس هذا جميل؟ فكري في رد فعل لجنة المحلفين العادلة عندما تصل في الصباح. سوف أجدد طلبي بتغيير مكان المحاكمة، ولكنه سيُرفَض، وسوف أطالب بإبطال المحاكمة، ولكن نووز سوف يعارضني، وثم سأطلب من كاتبة المحكمة تدوين حقيقة أن هذه المحاكمة أقيمت في حلبة سيرك".

"لماذا هم هنا؟".

"اتصل المأمور بالمحافظ، وقاما بإقناع الحاكم بضرورة تواجد الحرس الوطني لحفظ السلم في مقاطعة فورد، وأخبراه بأن مشفانا لا يتسع لهذه المحاكمة".

"من أين هم؟".

"بونفي، وكولومبس. هناك مئتان وعشرون جنديًا".

"أكانوا هنا طوال اليوم؟".

"أيقظوني في تمام الساعة الخامسة صباحًا، وراقبت تحركاتهم طوال اليوم، وتراخوا عدة مرات إلى أن جاء الدعم. كانوا يقابلون العدو عندما وصلت السيّدة غيتوود وأصدقاؤها مع شموعهم؛ لقد حملقت بهم وهم يلعبون أوراق الكوتشينة الآن".

أنهت إيلين شرابها، وذهبت لتجلب شرابًا آخر، ووضع جايك بطاقاته للمرة المئة على الطاولة؛ كان يراجع المعلومات منذ صباح اليوم بين اسم، وعمر، ومهنة، وعائلة، وتعليم. عادت إيلين، ومعها الدفعة الثانية من المارغريتا، وتناولت البطاقات ثم قالت وهي تشرب: "كورين هاغان".

فكر لوهلة ثمّ قال: "إنّها في السادسة والخمسين، وهي تعمل سكرتيرة في شركة تأمين، كما أنّها مطلقة ولديها ولدان على الأرجح في الثانوية، وإضافة إلى ذلك، فإن أصلها من فلوريدا".

"وما تقييمك لها؟"

"سأعطيها ست علامات".

"ممتاز. وماذا عن ميلارد ستيلز؟".

"إنّه في السبعين، ويملك بستانًا من الجوز قرب ميز، لقد أطلق اثنان من السود النار على ابن أخيه خلال عملية سرقة منذ عدة سنوات. إنّه يكره السود".

"وما تقييمك؟".

"صفر".

"ماذا عن كلاي بيلي؟".

"إنّه في الثلاثين، ولديه ستة أولاد، كما أنّه بروتستانتي مخلص، ويعمل في متجر للأثاث يقع غرب المدينة".

"أعطيته عشر علامات".

"نعم لأنني متأكد من أنّه قرأ القسم في الإنجيل الذي يقول العين بالعين، وغير ذلك، وعلاوة على ذلك، فلا بد من أن لديه ابنتين من بين أولاده الستة".

"هل حفظتهم جميعًا؟".

أومأ برأسه، وشرب من كوبه ثمّ قال: "أشعر وكأنني أعرفهم منذ سنين".

"وكم ستعرف عن كل واحد منهم؟".

"القليل، ولكنّني سأعرف عنهم أكثر من باكلي".

"إنني مبهورة بك".

"ماذا؟ ماذا قلت؟ هل أثنيت على ذكائي؟".

"وأعجبت ببضعة أمور أخرى".

"أشعر بالفخر. لقد أثرت إعجاب عبقرية في القانون الجنائي؛ ابنة شيلدون رو آرك كائنًا من كان، والحائزة على درجة شرف من كلية الحقوق. انتظري حتى أخبر هاري ريكس".

"أين هو هذا الفيل؟ اشتقت إليه، وأظن أنّه ظريف".

"اتصل به، وادعه إلى حفلة على شرفتنا لنراقب القوات".

أمسكت هاتف جايك وقالت: "ماذا عن لوسيان؟".

"لا، لقد سئمت من لوسيان".

أحضر هاري ريكس زجاجة من التيكيلا وجدها في خزانته، وتجادل مع المساعدة القانونية حول مكونات المارغريتا، ووقف جايك في صفها.

جلسوا على الشرفة، وراجعوا الأسماء من البطاقات، وشربوا، وغنوا لجيمي بوفيه. أقل نسبيت إيلين إلى منزل لوسيان في منتصف الليل، وعاد هاري ريكس إلى منزله مشيًا، ونام جايك على الأريكة.

33

يوم الاثنين في الثاني والعشرين من شهر تموز، وبعد مرور وقت قليل على آخر كأس مارغريتا. نهض جايك عن الأريكة، وحملق في ساعة مكتبه؛ لقد نام لثلاث ساعات، ومع هذا الاكتشاف اعتراه توتر خانق؛ لم يكن لديه وقت ليتعافى من آثار الثمالة.

نام نسبيت كالرضيع خلف المقود، فأيقظه جايك، وجلس في المقعد الخلفي. ألقى التحية على الحرس الذين رمقوه بنظرات فضولية، واتجه نسبيت إلى شارع آدامز ثمّ ركن السيارة، وانتظر فيها كما هو مطلوب منه. استحم جايك، وحلق ذقنه بسرعة، وارتدى بذلة سوداء، وقميصًا أبيض بالإضافة إلى ربطة عنق عادية منقّطة بنقط زرقاء. ناسبه سروال البذلة جدًا، وظهر بشكل لائق يفوق مظهر العدو.

خلد نسبيت للنوم مجددًا، ثمّ استيقظ عندما أطلق جايك الكلبة، وجلس في المقعد الخلفي.

مسح نسبيت طرفي فمه من اللعاب ثمّ قال: "هل كل شيء على ما يرام؟".

"لم أجد أية متفجرات إن كان هذا ما تسأل عنه".

ضحك نسبيت على هذا بخبثه المعتاد؛ التفا حول الساحة، ونزل جايك أمام مكتبه، وأنار المصابيح، وأعد القهوة بعد مرور ثلاثين دقيقة على وصوله.

تناول أربعة حبوب من الأسبرين، وربع زجاجة من عصير الغريفون؛ لقد شعر بالتعب في رأسه وعينيه، ولم يكن العمل المتعب قد جاء بعد. نشر ملفاته حول كارل لي هيلي على طاولة الاجتماعات؛ كانت تلك الملفات مفندة بعناية من قبل مساعدته القانونية، ولكنه أراد أن يستوعبها، ويفهمها أكثر. إن لم يتم العثور على ملف قضائي في غضون ثوانٍ فهذا يبطل فعاليته. ابتسم لكفاءة مساعدته حيث إنّها حضرت ملفات ووثائق لكل تفصيل، وقد أعدت ملخصًا ضمن دفتر ملاحظات

بسماكة إنش عن مؤهلات الدكتور باس، والخطوط العريضة لشهادته، كما أعدت أيضًا ملاحظات عن اعتراضات متوقعة من قبل باكلي، وزودته أيضًا بالرد القضائي لتلك الاعتراضات. يعتد جايك بتحضيراته للمحاكمة، ولكن تعلمه من طالبة حقوق في السنة الثالثة يعتبر تواضعًا.

وضب جايك ملفاته ضمن حقيبته الجلدية، والتي نقشت على جانبها حروف اسمه باللون الذهبي. ذهب إلى المرحاض، وأخذ معه بطاقاته؛ لقد حفظها عن ظهر قلب، وكان مستعدًا.

دق هاري ريكس الباب عند الساعة الخامسة وبضع دقائق؛ بدا هاري وكأنه متسول في ظل الظلام الدامس، فسأله جايك: "ما الذي تفعله هنا في هذا الوقت المبكر؟".

أعطاه هاري كيسًا عليه آثار دهون وقال: "لم أستطع النوم من شدة توتري. أرسلت لك ديل النقانق، وبسكويت الجبنة، والدجاج. إنّها قلقة عليك".

"شكرًا لك يا هاري، ولكنني لست جائعًا".

"هل أنت متوتر؟".

"كتوتر آثم في الكنيسة".

"إنك شاحب جدًا".

"شكرًا".

"ولكن بذلتك جميلة".

"اختارتها لي كارلا".

أخرج هاري ريكس كيسًا من البسكويت، ووضعه على طاولة الاجتماعات، ثمّ أعد لنفسه القهوة. جلس جايك قبالته، وعاين ملخص إيلين حول الإدلاء بالاختلال العقلي.

تناول هاري ريكس البسكويت، وقال لجايك: "هل إيلين كتبت هذا؟".

"نعم، إنّه ملخص حول موضوع حالة النكران خلال ارتكاب الجريمة في ميسيسيبي؛ استغرق منها ثلاثة أيام".

"تبدو ذكية جدًا".

"ذهنها صافٍ، ومتمكنة من الكتابة، ولكنها تعاني من تطبيق معلوماتها النظرية على أرض الواقع".

تناثرت قطع البسكويت حوله، وقال لجايك: "ماذا تعلم عنها؟".

"تحتل المرتبة الثانية في صفها في ميس أولي؛ لقد تواصلت مع نيلسون باتلز عميد كلية الحقوق، وأخبرني أنّه يتوقع أن تكون الأولى على دفعتها".

"لقد كان ترتيبي عند تخرجي الثالث والتسعين من أصل تسعة وتسعين طالبًا، وكنت سأتقدم مرتبة لو لم يكتشفوا أنني غششت في الامتحان، ولكنني لم آبه لذلك، لأن الترتيب غير مهم في كلانتون. كان أهل كلانتون ممتنين لأنني مارست الحقوق هنا، وليس في وول ستريت أو مكان يشبهه".

ابتسم جايك للقصة التي سمعها للمرة المئة.

فتح هاري ريكس غلافًا وتناول بسكويت الجبنة.

"تبدو متوترًا يا صاحبي".

"إنني على ما يرام، فدائمًا يكون اليوم الأول هو الأكثر صعوبة. أنا مستعد، وليس عليّ سوى الانتظار".

"متى ستحضر رو آرك؟".

"لا أدري".

"أتساءل ماذا سترتدي".

"أتمنى أن ترتدي ملابس لائقة هذه المرة، فأنت تعلم مدى تزمت نووز".

"لن تدعها تجلس على طاولة المحامين أليس كذلك؟".

"لا أعتقد، سوف تجلس على مقعد من المقاعد الخلفية إلى جانبك، فمن الممكن أن تسيء إلى النساء في لجنة المحلفين".

"نعم، أبقها هناك بعيدًا عن الأنظار".

مسح هاري ريكس فمه من بقايا الطعام وقال: "هل ضاجعتها؟".

"كلا بالطبع، أتحسبني مجنونًا يا هاري؟".

"سأحسبك مجنونًا إنّ لم تضاجعها، إنّها امرأة رائعة".

"إنها لك؛ إن ذهني مشغول بعدة أمور".

"إنها تظنني ظريفًا أليس كذلك؟".

"نعم".

قال بجدية: "حسنًا، سأجرب حظي". ثمّ ضحك، وتناثرت قطع البسكويت من فهمه.

رنّ الهاتف، وأجاب هاري: "إنه ليس هنا، أخبرني ما تريده منه، وسأحرص على إخباره"، ثمّ غمز جايك.

"أجل، أجل يا سيدي. كيف لرجل أن يفعل هذا؟ إنّه أمر فظيع حقًا. إنني أوافقك الرأي تمامًا يا سيدي، ولكن ما اسم حضرتك؟".

ابتسم هاري ريكس ثمّ أنهى المكالمة.

"ماذا أراد؟".

"قال إنّك عار على العرق الأبيض لأنك تدافع عن هذا الزنجي، وتعجب أيضًا كيف لمحامٍ أن يدافع عن زنجي مثل هيلي، وتمنى أيضًا أن تخفق أو أن تُسحَب رخصتك منك لمساعدتك الزنوج، وختم حديثه بأنك لا تلام، فأنت تتلمذت على يد لوسيان ويلبانكس الذي يعيش مع امرأة زنجية".

"وأنت وافقته الرأي؟".

"لم لا؟ كان صادقًا في كلامه، وشعر براحة الآن وقد أفرغ ما في صدره".

رنّ الهاتف مجددًا، فرفع هاري السماعة، وقال: "جايك بريغانس"، ذهب جايك إلى المرحاض، وصرخ هاري: "إنه صحفي يا جايك".

"أنا في المرحاض"، فأخبر هاري الصحفي بذلك.

عند الساعة السادسة، اتصل جايك بكارلا؛ إنّها الساعة السابعة في ويلمينغتون؛ كانت مستيقظة تقرأ الصحف، وتحتسي القهوة. أخبرها جايك عن بود تويتي، وميكي ماوس، واحتمال حدوث عنف أكثر. لم يكن منزعج من هذا، ولكنه كان خائفًا من لجنة المحلفين المؤلفة من اثني عشر عضوًا، ورد فعلهم عليه، وعلى موكله، وللمرة الأولى لم تطلب منه العودة إلى المنزل والتراجع، ووعدها بأن يتصل بها ليلًا. سمع ضجة عندما أنهى المكالمة.

وصلت إيلين، وتحدث هاري إليها بصوت مرتفع، فتوقّع جايك أنّها كانت ترتدي زيًا مثيرًا، ولكن خابت توقعات جايك عندما سمع هاري يمتدح ارتداءها زيًا محتشمًا كامرأة من الجنوب.

كانت ترتدي بذلة رمادية، ذات سترة سوداء عادية، وكان شعرها مضفورًا بشكل أنيق، ولم تتبرج كثيرًا، فقال هاري إنّها تبدو مثل محامية كما لم تبدُ من قبل.

قالت إيلين: "شكرًا يا هاري، أتمنى أن يكون لدي ذوقك في الثياب".

قال جايك: "تبدين جميلة يا رو آرك".

قالت بعد أن نظرت إلى هاري ريكس: "وأنت أيضًا".

قال هاري ريكس: "سامحينا يا رو آرك، فلقد علّقنا على ملابسك لأننا تعجّبنا من امتلاكك ثيابًا متنوعة التصميمات، ونحن نعتذر أيضًا عن إساءتنا لشخصيتك المتحررة، ولكننا من الجنوب حيث تعجبنا النساء المحتشمات".

قالت إيلين: "ماذا يوجد في هذا الكيس؟".

"فطور".

تناولت النقانق، والبسكويت وقالت: "ألا يوجد بيغل؟".

قال هاري: "ما هذا؟".

"انسَ الأمر".

قال جايك متوترًا بعد أن زيف حماسه: "ماذا تريدان أن نفعل بما أننا اجتمعنا قبل ثلاث ساعات من المحاكمة؟".

قال هاري ريكس: "هيا نعد لك بعض المارغريتا".

قال جايك: "كلا".

"ستخفف من توترك".

قالت إيلين: "لا، فأنا أريد أن أركز في العمل".

تناول هاري ريكس آخر كعكة وقال: "ما الذي سيحدث في بداية اليوم؟".

"سنبدأ المحاكمة عند شروق الشمس، وسيقول نووز عدة كلمات للأشخاص المذكورين في قائمة المحلفين المحتملين، ثمّ ستبدأ عملية الاختيار".

سألت إيلين: "وكم ستستغرق هذه العملية؟".

"يومان أو ثلاثة أيام. لدينا الحق في استجواب كل محلف في ميسيسيبي، وهذا يستغرق وقتًا أطول".

"أين سأجلس؟ وماذا سأفعل؟".

قال هاري ريكس لجايك: "إنها تبدو خبيرة فعلًا. أتعلم حتى أين توجد المحكمة؟".

قال جايك: "لن تجلسي إلى طاولة المحامين؛ سوف أجلس إليها أنا وكارل لي فحسب".

مسحت فمها وقالت: "إذًا، ستجلس أنت وموكلك لوحدكما تواجهان قوى الشر المحيطة بكما".

"شيء من هذا".

"يستخدم أبي هذا التكتيك أحيانًا".

"أنا مسرور لموافقتك؛ سوف تجلسين خلفي تمامًا بجانب السياج الفاصل، وسأطلب من نووز أيضًا أن يسمح لك بالدخول إلى المكاتب لخوض مناقشات خاصة".

سأل هاري ريكس: "وماذا عني؟".

"لم يفضلك نووز يومًا، وسيصاب بذبحة قلبية إذا طلبت منه أن يسمح لك بالقدوم معنا. وأفضل أن تتظاهر بعدم معرفتك بي".

"شكرًا".

قالت إيلين: "ولكننا نشكرك على مساعدتك".

"تبًا لك يا إيلي ماي".

وأضافت إيلين: "وبوسعك أن تشرب معنا أيضًا".

"مع التيكيلا".

قال جايك: "لن أسمح بشرب الكحول في هذا المكتب مجددًا".

قال هاري: "إلى أن تحل استراحة الظهيرة".

"أريدك أن تقف خلف طاولة الموظفين، وتدوّن ملاحظات عن المحلفين، وتقارنها مع بطاقاتنا حيث ستجد مئة وعشرين منها".

"كما تريد".

كانت القوات على أهبة الاستعداد بحلول النهار، وأعيد نصب المتاريس، فتجمع جنود في كل ركن حول الساحة حول الحواجز ذات اللون البرتقالي والأبيض التي حجبت الشارع؛ كانوا متشوقين، ومتلهفين لأن يضرب العدو، ويحظوا ببعض الحماسة، فراقبوا كل سيارة بعناية. حدثت جلبة عندما وصل المراسلون في سياراتهم التي تعلوها شارة قنواتهم عند الساعة السابعة والنصف، فأحاط بهم رجال الحرس الوطني، ومنعوهم من ركن سياراتهم بجانب المحكمة خلال المحاكمة، لذلك توجّه المراسلون إلى نهاية الشارع، ثمّ عادوا بعض دقائق مشيًا على أقدامهم، ومعهم كاميراتهم، ومعداتهم.

تعسكر بعضهم عند الدرج الأمامي للمحكمة، وبعضهم الآخر عند الباب الخلفي، وآخرون تحت القبة في الطابق الثاني أمام باب المحكمة الرئيسي.

أخبرهم الحاجب مورفي أن المحكمة لن تفتح أبوابها قبل الساعة الثامنة؛ كان مورفي هو الشاهد الحقيقي على مقتل كوب وويلارد.

ركنت السيارات التابعة للكنيسة بالقرب من الساحة، وتقدّم القساوسة المحتجين، وهم يعبرون شارع جاكسون حاملين لافتات كتب عليها "الحرية لكارل لي"، وأنشدوا سوف نتغلب عليهم باحترافية. عندما اقتربوا من الساحة سمعهم الحرس الوطني، وصدحت أصوات أجهزة الإرسال، وتشاور أوزي، والكولونيل بسرعة، فهدأ الجنود. قاد أوزي المحتجين إلى قسم من باحة المحكمة الأمامية، وقد أخذوا يعاينون المكان تحت نظرات حرس ميسيسيبي الوطني الثاقبة.

وُضِع جهاز كشف معادن قرب الأبواب الأمامية للمحكمة، وفتش ثلاثة نواب الحشد الذي ملأ البهو المسقوف قبل التوجه إلى الصالات، ونظّم براذر الحشد داخل قاعة المحكمة، وأجلسهم على جانب من الممر، وترك الجانب الآخر للجنة المحلفين. كانت المقاعد الأولى محجوزة لأفراد العائلة، وجلس الرسامون في الصف الثاني، وبدأوا برسم القاعة، وصور الأبطال الكونفيدراليين.

شعرت منظمة الكلان بأهمية حضورها في اليوم الأول من المحاكمة، وخصوصًا أمام المحلفين المتوقعين، فعبر أربع وعشرون عضوًا من منظمة كو كلوكس شارع واشنطن بزيهم الكامل، وعلى الفور أوقفهم الحرس الوطني. اتجه الكولونيل السمين نحو الشارع، وقابل للمرة الأولى في حياته أعضاء من منظمة كو كلوكس بأزيائهم البيضاء، ثم لاحظ في ما بعد الكاميرا التي التقطت هذا المشهد فتمنع عن إظهار استهزائه.

تحول كلامه الجارح إلى تلعثم غير مفهوم بالنسبة إليه حتى أتى أوزي لنجدته، وقال بهدوء بالغ: "صباح الخير أيها السادة، نحن نحاوطكم، ونفوقكم عددًا، كما نعلم أننا لا نستطيع منعكم من الحضور".

قال قائدهم: "هذا صحيح".

"إن تبعتموني، وفعلتم ما أمليه عليكم، فلن يكون هناك مشكلة".

أرشدهم كلٌّ من أوزي والكولونيل إلى قسم مخصص لهم من الباحة الأمامية، وطلبا منهم أن يلزموا الأدب، والهدوء، ووعداهم بأن يمنعا القوات عنهم.

كما هو متوقع، فإن منظر المنظمة بالزي الأبيض أثار استفزاز السود الذين وقفوا على بعد مئتي قدم، فهتف السود: "حرروا كارل لي،

حرروا كارل لي،

حرروا كارل لي".

ردّ عليهم أفراد منظمة كو كلوكس كلان:

"أحرقوا كارل لي،

أحرقوا كارل لي،

أحرقوا كارل لي".

اصطفت مجموعتان من جنود الحرس بمحاذاة الدرج الأمامي، وفصلتا بين طرفي الباحة، كما اصطفت مجموعة بمحاذاة رصيف يحد منظمة كلان، وأخرى بمحاذاة رصيف يحد السود. بدأ المحلفون المحتملون بالوصول، ومروا بسهولة بين الجنود، وحفظوا استدعاءاتهم حين سمعوا الملاسنات بين الطرفين.

وصل روفوس باكلي الموقر إلى كلانتون، وأعلم الحرس بتهذيب عن منصبه، وركن سيارته في المكان المخصص للمدعي العام بجانب المحكمة. تهافت الصحفيون، وبدا لهم أن الأمر جلل، حيث اخترق أحدهم المتاريس. ظل باكلي في سيارته الكاديلاك القديمة ليسمح للصحفيين بالوصول إليه، ونال ما أراده، حيث أحاط به الصحفيون، فابتسم لهم، ومشى ببطء شديد باتجاه باب المحكمة الأمامي. لم يستطع باكلي أن يقاوم وابل الأسئلة التي انهمرت عليه، فانتهك قانون التزام الصمت أكثر من مرة مع ابتسامة، ثمّ برر موقفه بقوله إنّه لا يستطيع الاستفاضة بالإجابة أكثر، ولحق به موسغروف، وحمل حقيبة هذا الرجل العظيم.

جاب جايك مكتبه بتوتر؛ كان الباب مقفلًا، وكانت إيلين تعمل على ملف جديد، وتوجّه هاري ريكس إلى المقهى ليتناول الفطور مجددًا، ويثرثر مع الناس. تناثرت البطاقات على مكتب جايك، وسئم منها، ثم راجع ملفًا، واتجه صوب الأبواب الفرنسية، وقد اخترقت الأصوات النوافذ المفتوحة. عاد إلى مكتبه، وراجع الخطوط العريضة التي سيقولها للمحلفين المتوقعين؛ فالانطباع الأول هو الأهم.

استلقى جايك على الأريكة، وأغمض عينيه مفكّرًا في آلاف النشاطات التي يمكنه القيام بها في هذه اللحظة. لقد أحب جايك عمله، ولكن تخلّلته لحظات مخيفة مثل هذه اللحظة التي جعلته

يتمنى أن يكون مقاولًا أو حتى محامي ضرائب. من المؤكد أن هؤلاء الموظفين لا يصابون بالغثيان أو الإسهال في اللحظات الحرجة في عملهم.

علّمه لوسيان أن الخوف حليفه، وأن كل محام متمرّس، لا بد وأن يشعر بالخوف أمام لجنة المحلفين؛ الشرط الوحيد هو ألا يظهر خوفه هذا. لا يؤيد المحلفون المحامي المتملق أو المتغطرس، ولا يؤيدون أيضًا المحامي المهرج أو الكادح؛ إنّهم يتبعون المحامي الذي يتفوه بالحقيقة بغض النظر عن منظره أو كلماته أو قدراته الخارقة. يجب على المحامي أن يكون بشخصيته الحقيقية حتى ولو كان خائفًا، فالمحلفون بدورهم خائفون.

قال لوسيان أن عليه مرافقة خوفه لا تجاهله حيث سيصبح عدوًا له إن لم يضبطه، فنزل بحذر بعد أن وصل إلى ذروة خوفه إلى دورة المياه.

قالت إيلين عندما تفقدها: "كيف حالك يا سيدي؟".

"أظن أنني مستعد؛ سنغادر في غضون دقائق".

"هناك صحفيون ينتظرونك في الخارج. لقد قلت لهم إنك تخليت عن القضية، وتركت المدينة".

"أتمنى في هذه اللحظة أن أكون قد فعلت هذا".

"هل سمعت بويندال سولومون؟".

"ليس تمامًا".

"إنه يعمل مع صندوق الدفاع القانوني في الجنوب، وقد عملت معه في الصيف الماضي؛ لقد فاز في قرابة مئة قضية إعدام في الجنوب؛ يعتريه توتر شديد قبل المحاكمة ولا يستطيع أن يأكل أو ينام، ويعطيه طبيبه المهدئات، ومع هذا كله يتجنبه الجميع في اليوم الأول من المحاكمة، وهو على هذا الحال بعد خبرة طويلة".

"كيف يتأقلم أبوك مع الوضع؟".

"يحتسي عدة كؤوس من المارتيني، وبعدها يغلق مكتبه، ويطفئ المصابيح، ويجلس إلى طاولته إلى أن يحين وقت المحاكمة. إنّه نزق، وأعصابه ضعيفة. ولكن كل هذا طبيعي".

"حسنًا، أنت تعرفين هذا الشعور".

"أعرفه جيدًا".

"هل أبدو متوترًا؟".

"لا، تبدو متعبًا".

تفحص جايك ساعته وقال: "هيا لنذهب".

انقض الصحفيون عليه، وأجابهم: "لا تعليق"، ثمّ مشى باتجاه المحكمة، حيث استمرت الجلبة.

"هل صحيح أنك ستطلب إبطال القضية؟".

"لا أستطيع أن أطلب هذا قبل بدء المحاكمة".

"هل صحيح أنك تعرضت لتهديد من منظمة كو كلوكس كلان؟".

"لا تعليق".

"هل صحيح أنك أرسلت عائلتك خارج المدينة إلى أن تنتهي القضية؟".

تردد جايك ثمّ قال: "لا تعليق".

"ما رأيك بالحرس الوطني؟".

"أنا فخور بهم".

"هل يمكن لموكلك أن يحظى بمحاكمة عادلة في مقاطعة فورد؟".

هزّ جايك رأسه ثمّ قال: "لا تعليق".

وقف نائب للحماية على بعد عدة أقدام منهم ثمّ أشار إلى إيلين: "من هذه يا جايك؟".

"إنّها معي، ولا تشكل خطرًا".

صعدا الدرج الجانبي؛ كان كارل لي يجلس وحده إلى طاولة الدفاع، وظهره إلى الحشد في قاعة المحكمة. كانت جين غيلسبي تتفحص المحلفين بينما فتش النواب ممر المحكمة. احتفى جايك بموكله، وحرص على أن يدعمه بكل حركة، في حين أخرجت إيلين الملفات من الحقيبتين، ورتبتها على الطاولة؛ همس جايك في إذن موكله، وكانت كل العيون تنظر إليه. جلس أفراد عائلة هيلي في الصف الأول، فابتسم جايك لهم، وأومأ برأسه لليستر. ارتدت تونيا والأولاد ملابس يوم الأحد، وجلسوا بين ليستر وغوين وقد بدوا كالتماثيل الجميلة. عاين المحلفون المحتملون محامي هيلي من المكان المخصص لهم، واعتقد جايك أن هذا هو الوقت المثالي ليتعرف المحلفون إلى عائلة موكله. فتح الباب في السياج، واتجه نحو عائلة هيلي، فربت على كتف غوين، وصافح ليستر، وقرص وجنتي الأولاد ثمّ عانق تونيا؛ تونيا الصغيرة التي اغتصبت من قبل الهمجيَّين اللذين نالا ما يستحقانه. راقب المحلفون المحتملون كل خطوة، وأولوا الفتاة الصغيرة اهتمامًا خاصًا. همس موسغروف في أذن جايك عندما عاد إلى طاولة الدفاع: "يريدنا نووز في المكتب". كان نووز وباكلي يتشاوران عندما دخل جايك وإيلين إلى المكتب، فعرّف جايك مساعدته إلى حضرة القاضي، وباكلي، وموسغروف، وإلى كاتبة المحكمة نورما غالو، وشرح لهم أن إيلين رو آرك طالبة سنة ثالثة في أولي مس، وأنها كانت تتدرب في مكتبه، وطلب جايك أن يسمح لها بأن تجلس قرب طاولة الدفاع، وتشارك في مشاورات المكتب، فلم يعترض باكلي أي اعتراض، ورحّب بها نووز.

سأل نووز: "هل من مشكلة في أن نبدأ يا سادة؟".

قال المحامي العام: "لا مشكلة".

فتح جايك ملفًا وقال: "هناك عدة مشاكل؛ أريد تسجيل هذا".

بدأت نورما غالو بالكتابة.

"مبدئيًا، أريد أن أعيد طلبي بتغيير مكان المحاكمة...".

قاطعه باكلي: "نعترض على هذا".

صرخ جايك: "اصمت أيّها المحافظ. لم أنهِ كلامي بعد، فلا تقاطعني مجددًا".

تفاجأ باكلي والآخرون بفقدان جايك لهدوئه، وقد عزت إيلين سبب ذلك إلى المارغريتا.

قال باكلي بهدوء: "أعتذر يا سيد بريغانس، ولا تدعُني بالمحافظ مجددًا".

قال نووز: "دعاني أوضح لكما أمرًا؛ هذه المحاكمة ستكون طويلة، وشاقة، وأنا أقدر مقدار الضغط الذي تعيشانه؛ لقد مررت بهذا الموقف عدة مرات، وأستطيع أن أتخيل ما تمران به. أنتما محاميان متمرسان، وأنا سعيد لمشاركتكما في قضية بهذا الحجم. أنا أشعر بالضغينة بينكما، وهذا ليس غريبًا، ولن أطلب منكما أن تتصافحا أو تكونا صديقين، ولكنني أطلب منكما ألّا يقاطع أحدكما الآخر أو يصرخ في وجه الآخر عند وجودكما في قاعتي أو مكتبي؛ سوف تخاطبان بعضكما بالسيد بريغانس، والسيد باكلي، والسيد موسغروف. هل تفهمان ما أقوله الآن؟".

"نعم سيدي".

"نعم سيدي".

"ممتاز. أكمل من فضلك يا سيد بريغانس".

"شكرًا لك يا حضرة القاضي. كما كنت أقول، يطلب موكلي تغيير مكان المحاكمة، وأنا أريد أن يُدَوَّن في المحضر أننا موجودون هنا في مكتبك عند الساعة التاسعة والربع من اليوم الثاني والعشرين من شهر تموز، ونحن على وشك أن نختار هيئة المحلفين في محكمة مقاطعة فورد المحاطة بحرس ميسيسيبي الوطني، وفي الباحة الأمامية لهذه المحكمة يوجد أفراد من منظمة كو كلوكس كلان بأرديتهم البيضاء يصرخون على المحتجين السود الذين يردون الصراخ، وأن الحرس الوطني يفصل بين هاتين المجموعتين؛ لقد شهد المحلفون هذا السيرك عندما وصلوا إلى المحكمة هذا الصباح، ومن الصعب يا حضرة القاضي أن يتم اختيار محلفين عادلين".

راقبه باكلي راسمًا ابتسامة خبيثة وقال بعد أن أنهى جايك كلامه: "هل لي بأن أرد عليه يا حضرة القاضي؟".

قال نووز بحدة: "كلا. ماذا لديك أيضًا؟".

"يسمح للمدافعين أن يحققوا مع بعض أعضاء لجنة المحلفين المحتملين".

"على أي أساس؟".

"إن منظمة كو كلوكس كلان أزعجت عدة أعضاء من اللجنة؛ لقد اكتشفنا على الأقل عشرين حالة حرق للصليب".

قال نووز: "سوف أعفي هؤلاء العشرين، وأعتبر أنهم قد حضروا جميعًا".

قال جايك باستهزاء: "حسنًا. ماذا عن التهديدات التي لم نعلم بها؟ وماذا عن المحلفين الذين سمعوا بحالات حرق الصلبان؟".

مسح نووز عينيه ولم يتفوه بحرف، فهم باكلي ليقول شيئًا، لكنه لم يقاطع.

تناول جايك ملفًا وقال: "لديّ لائحة بأسماء المحلفين الذين تعرضوا لزيارات مزعجة من المنظمة، كما أنني حصلت على نسخ من تقارير الشرطة؛ أعطاني المأمور وولز تفاصيل الاعتداءات، وسوف أقدم هذه الدلائل مع طلبي لأحقق في مصداقية المحلفين. أريد تسجيل هذا القسم كي ترى المحكمة العليا الأمور من وجهة
نظري".

قال السيد باكلي: "هل تتوقع استئنافًا يا سيد بريغانس".

لم تمضِ بضع ثوان على معرفة إيلين بروفوس باكلي، ولكنها فهمت لماذا كرِهَه كلٌّ من جايك وهاري ريكس.

"لا أيها المحافظ، فأنا أحاول أن يحظى موكلي بمحاكمة عادلة، وبمحلفين عادلين؛ عليكما أن تفهما هذا".

قال نووز: "لن أحقق مع المحلفين؛ إن هذا الأمر سيستغرق أسبوعًا".

"ماذا يعني الوقت عندما تكون حياة إنسان على المحك؟ نحن نتكلم عن العدالة، ومن حقه الطبيعي أن يحظى بمحاكمة عادلة. إن قبلت بهؤلاء المحلفين الذين هددهم المهرجون الذين يرتدون الأردية البيضاء فهذه مهزلة، فتلك المنظمة تريد فحسب أن يتم إعدام موكلي".

قال نووز غير مهتمٍّ: "طلبك مرفوض. ماذا لديك أيضًا؟".

"لا شيء؛ فقط إن كان يمكنك الحرص على إخفاء سبب إعفائك للمحلفين العشرين".

"أستطيع أن أنفّذ هذا يا سيد بريغانس".

بعث السيد بات ليعثر على جين غيلسبي، وسلمها نووز لائحة أسماء المحلفين العشرين، ثم ذهب إلى قاعة المحكمة، وقرأ الأسماء وقال إن حضور هذه الأسماء غير ضروري في لجنة

المحلفين ثمّ عاد إلى مكتب المحكمة.

سأل نووز: "كم محلفًا بقي لدينا؟".

"أربعة وتسعون".

"هذا كافٍ، وأنا متأكد من أننا قادرون على إيجاد اثني عشر محلفًا كفؤًا".

تمتم جايك لإيلين: "لم تستطع أن تجد اثنين حتى"، ولكن نووز سمعه، ودونت نورما غالو كلامه. طلب منهم القاضي الذهاب واتخاذ مواقعهم في المحكمة.

كتبت أسماء أربعة وتسعين محلفًا على بطاقات صغيرة وُضعت على أسطوانة خشبية.

أدارت جين غيلسبي الأسطوانة، واختارت اسمًا جزافًا، وسلمته لنووز الذي كان يجلس على مقعده متصدرًا الجميع، وقد لاحظ الجميع كيف حرك أنفه وهو يعاين أول اسم.

أعلن بأعلى صوته: "كارلين مالون، المحلفة الأولى".

جلست كارلين على مقعدها بجانب الممر؛ فكل صف في المحكمة يتسع لعشرة مقاعد، وكان هناك عشرة صفوف على جانب الممر مخصصة للمحلفين، وكان هناك عشرة صفوف على الجانب الثاني من الممر مخصصة للعائلة، والأصدقاء، والجمهور، والصحفيين في المقدمة. دوّن الصحفيون اسم كارلين مالون، وكتب جايك اسمها أيضًا. كانت كارلين امرأة بيضاء سمينة، ومطلقة ذات دخل متدنٍ. قيمها بريغانس بوضع رقم اثنين بجانب اسمها؛ صفر مقابل واحد.

أدارت جين الأسطوانة مجددًا.

صرخ نووز: "مارسيا ديكينز، المحلفة الثانية".

كانت امرأة بيضاء، وعمرها ستين تقريبًا، ولديها نظرة حاقدة.

صفر مقابل اثنين.

"جو بيث ميلز، المحلفة الثالثة".

أخفض جايك رأسه قليلًا، فهذه المحلفة كانت بيضاء، وعمرها خمسون عامًا تقريبًا؛ كانت تعمل بمرتب بسيط في مصنع للملابس في كاراوي. وتبعًا للإفادة وجد أنّ رئيسها كان أسود

متغطرسًا وعدوانيًا. أعطاها بريغانس صفرًا؛

صفر مقابل ثلاثة.

نظر جايك متلهفًا إلى جين، وهو يبرم الأسطوانة.

"ريبا بيتس، المحلفة الرابعة".

أخفض جايك رأسه مجددًا، وزاد توتره.

صفر مقابل أربعة.

تمتم لإيلين: "هذا رائع"، وأشاح هاري ريكس برأسه.

"جيرالد أولت، المحلف الخامس".

ابتسم جايك لمحلفه المفضل الذي جلس بجانب ريبا بينما وضع باكلي إشارة سوداء بجانب اسمه.

"آليكس سامرز، المحلف السادس".

ابتسم كارل لي قليلًا لأول محلف أسود، وجلس آليكس بجانب جيرالد، وابتسم باكلي أيضًا، وهو يحدد اسم الأسود الأول.

إن المحلفين الذين تلوه كانوا من النساء البيضاوات اللواتي لم يتجاوزن الرقم ثلاثة بالنسبة إلى تقييم بريغانس.

قلق جايك عندما امتلأ الصف الأول؛ فمن حقه القانوني أن يُقصي اثني عشر محلفًا دون سبب فعلي، وبسبب حظه العاثر كان سيضطر لأن يستخدم نصف هذا الحق على الصف الأول.

أعلن نووز الاسم التالي بصوت أخفض من قبل: "والتر غودزي، المحلف الحادي عشر"، كان غودزي مزارعًا بلا شغف أو إمكانيات.

عندما أنهى نووز إعلان أسماء الصف الثاني كان هناك سبع نساء بيضاوات، وشخصان أسودان، وغودزي، فشعر جايك بأن مصيبة على وشك الوقوع. لم يغمر جايك الارتياح إلى أن امتلأ الصف الرابع الذي كان فيه سبعة رجال؛ أربعة منهم سود.

استغرقت هذه العملية ساعة تقريبًا.

أخذ نووز استراحة قصيرة بينما رتبت جين الأسماء، وفي هذا الوقت راجع جايك وإيلين بطاقتهما وفنداها. جلس هاري ريكس خلف السياج، وسجل الملاحظات عندما كان نووز يقرأ الأسماء، وناقش تلك الملاحظات مع جايك، ووجدا أن الأمور ليست على ما يرام. في تمام الساعة الحادية عشرة، أنهى نووز الاستراحة، ثمّ جلس على مقعده، وعم الهدوء في القاعة. كان أحد قد اقترح أن يستخدم مكبر الصوت، فوضعه على بعد إنش من فمه. سأل نووز بصوته الحاد والعالي العديد من الأسئلة التشريعية.

عرّف بكارل لي، وسأل المحلفين إن كانوا يعرفونه أو قريبين له؛ كان الجميع قد سمعوا به، ولكن لم يعرفه أحد سوى شخصين قبل شهر أيار. عرّف نووز بالمحامين، وشرح تداعيات القضية، ولم يتجاهل أحد معرفته بقضية هيلي.

أطال نووز في حديثه، ولم ينتهِ قبل الساعة الثانية عشرة والنصف، ثم أخذ استراحة لغاية الساعة الثانية.

أحضرت ديل شطائر ساخنة، وشايًا مثلجًا إلى غرفة الاجتماعات، فعانقها جايك، وشكرها، وطلب منها أن ترسل له الفاتورة. تجاهل الطعام، ورتب البطاقات على الطاولة حسب ترتيب المحلفين، في حين التهم هاري ريكس شطيرة لحم، وجبنة شيدر مردّدًا عبارة: "لدينا تعادل ساحق".

عندما وصل في الترتيب إلى البطاقة الرابعة والتسعين وقف جايك بعيدًا وتأمل البطاقات، ووقفت إيلين إلى جانبه، وهي تأكل البطاطا.

كرر هاري ريكس: "لدينا تعادل ساحق".

غضب جايك ثمّ قال: "هل لك أن تصمت؟"

"لدينا ثمانية رجال سود، وثلاث نساء سوداوات، وثلاثون امرأة بيضاء، ويبقى هناك تسعة رجال بيض غير وسيمين".

قال هاري ريكس: "نساء بيضاوات، نساء بيضاوات؛ أسوأ المحلفين هن النساء البيضاوات".

قالت إيلين: "أعتقد أن الرجال البيض السمينين هم أسوأ المحلفين في العالم".

"لا تفهميني بشكل خاطئ يا رو آرك. أنا أحب النساء البيضاوات، وتزوجت أربعًا منهن؛ أنا فقط أكره المحلفات البيضاوات".

"لم أكن لأصوّت ضد كارل لي".

"يا رو آرك، أنت عضو في الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية، فلن تصوتي لتتهمي أحدًا بأي شيء، وبذهنك المتقد تعتقدين أن المتحرشين بالأطفال، وأعضاء منظمة التحرير هم أناس رائعون أفسدهم النظام، ويجب مسامحتهم أحيانًا".

"وبعقلك المنفتح، والمنطقي، كيف تعتقد أنّه يجدر بناء التعامل معهم؟".

"إعدامهم بلا محاكمة".

"وبحسب فهمك للقانون، هل ترى أن هذا معقول؟".

"ربما لا، ولكن هذا سيضع حدًا لعمليات التحرش بالأطفال، والإرهاب. هل ستأكل هذه الشطيرة يا جايك؟".

"كلا".

فتح هاري ريكس شطيرة اللحم والجبن وقال: "احذر من المحلفة الأولى كارلين مالون، فهي لا تشبه عائلة مالون من ليك فيليج فهي وضيعة، وحثالة بيضاء".

قال جايك وهو يعاين البطاقات: "يجب أن أحذر من جميع أعضاء هذه اللجنة".

"لدينا تعادل ساحق".

سأل جايك: "ماذا تعتقدين يا رو آرك؟".

أنهى هاري ريكس شطيرته وقال: "دعونا نقر بفعلته، ونذهب من هنا، ونركض كالكلاب المذعورة".

نظرت إيلين إلى البطاقات وقالت: "من الممكن أن يكون الوضع أسوأ من هذا".

تصنع هاري ريكس ضحكة عالية وقال: "أسوأ من هذا؟ الحالة الوحيدة التي ممكن للوضع فيها أن يكون أسوأ هو وجود ثلاثين عضوًا من منظمة كو كلوكس كلان".

قال جايك: "من فضلك، اصمت يا هاري ريكس".

"أنا أحاول المساعدة وحسب. هل تريد حصتك من البطاطا؟".

"كلا. لِمَ لا تضعها جميعًا في فمك، وتمضغها لمدة طويلة؟".

قالت إيلين: "أظن أنك تظلم بعض هؤلاء النساء، فأنا أوافق لوسيان في هذه الحالة؛ إن النساء أكثر تعاطفًا من الرجال، فهن اللواتي يتعرضن للاغتصاب".

قال هاري ريكس: "ليس لدي تعليق على هذا الكلام".

ردّ جايك: "شكرًا. من هي موكلتك السابقة التي ستفعل لك أي شيء إن غمزتها؟".

ضحكت إيلين وقالت: "لا بد أنّها الرقم تسعة وعشرون؛ إن طولها خمس أقدام، وتزن أربعمئة رطل".

مسح هاري ريكس فمه بقصاصة ورقية وقال: "هذا مضحك حقًّا. إنّها رقم أربعة وسبعون. انسَ الأمر إنّها بعيدة جدًا".

ضرب نووز مطرقته في تمام الساعة الثانية، وساد النظام في القاعة.

"ستقيّم الولاية المحلفين المحتملين".

مشى المحامي العام المذهل بشموخ باتجاه السياج الفاصل، ووقف متأمّلًا الجمهور والمحلفين، ولاحظ أن الرسامين كانوا يرسمونه فعدل وقفته، ابتسم للمحلفين ثمّ عرف بنفسه؛ قال إنّه محامي الشعب، وممثل ولاية ميسيسيبي، ولقد مضى على عمله محاميًا عامًا تسع سنوات، وكان ممتنًا لهذا، ولشعب مقاطعة فورد العظيم. أشار إليهم، وقال إنّهم هم الذين انتخبوه لتمثيلهم، فشكرهم، ووعدهم ألّا يخيب ظنهم فيه.

أجل، كان متوترًا وخائفًا؛ لم تمنعه خبرته الواسعة من التوتر قبل كل محاكمة. أجل، كان خائفًا، ولا يخجل من الاعتراف بهذا. كان خائفًا من المسؤولية، الحمل الكبير الذي وضعه الشعب على عاتقه، فهو المسؤول عن زج المجرمين في السجن، وحماية الشعب منهم. كان خائفًا من أن يخذل موكليه الذين هم شعب هذه الولاية العظيمة.

سبق لجايك أن سمع هذا الهراء عدة مرات، وحفظه عن ظهر قلب، فهذا هو الرجل الفاضل باكلي، ممثل الولاية الذي يتعاون مع الشعب لتحقيق العدالة، وحماية المجتمع. كان باكلي خطيبًا مفوهًا، ويمكنه أن يتحدث تارة مع المحلف كجَدٍّ يخاطب حفيده، وتارة أخرى يقوم بتقريعه بشكل يثير غيرة الواعظين السود. كما يمكنه إقناع المحلف بأن الوسيلة الوحيدة لتحقيق العدالة، وإنقاذ المجتمع، وحماية مستقبل الإنسانية هي حكم الإدانة؛ يكون ذهن باكلي متقدًا جدًا في القضايا الضخمة كهذه. تكلم من غير ملاحظات أو بطاقات، وأسر قاعة المحكمة حين صوّر نفسه خادمًا، وصديقًا للمحلفين، وقال إنّه بالتعاون مع هيئة المحلفين سوف يكتشف الحقيقة، ويعاقب هذا الرجل على أفعاله الوحشية.

اكتفى جايك من هذا الكلام بعد عشر دقائق، وعبر عن انزعاجه قائلًا: "أعترض على هذا يا حضرة القاضي، إن السيد باكلي لا يختار محلفًا، وأنا لست واثقًا مما يفعله، ولكنه لا يحقق مع اللجنة".

صرخ نووز: "اعتراض مقبول. إن لم يكن لديك أية أسئلة للهيئة يا سيد باكلي فاجلس".

تظاهر باكلي بأن كبرياءه قد جرح وقال: "أعتذر يا حضرة القاضي".

لقد ربح جايك الجولة الأولى.

أخرج باكلي ملفًا قضائيًا، وانهال بالأسئلة على المحلفين المحتملين؛ سأل إن كان أحد من اللجنة قد شارك بهيئة من قبل، فارتفعت عدة أياد. مدنية أو إجرامية؟ حكم براءة أم إدانة؟ منذ متى؟ هل كان الجاني أبيض أم أسود؟ هل كانت الضحية بيضاء أم سوداء؟ أخذ كل من جايك، وإيلين، وهاري ريكس أطنانًا من الملاحظات. تابع باكلي بالأسئلة: هل كان أحد من أفراد عائلتكم ضحية عمل إجرامي؟ فارتفعت عدة أياد. متى؟ أين؟ ما الذي حصل للمجرم؟ هل اتهم فرد من عائلتكم بجريمة من قبل؟ هل تمت محاكمته؟ هل تمت إدانته؟ أليكم أصدقاء أو أقرباء يعملون في السلك القانوني؟ من؟ أين؟

تابع باكلي على هذا المنوال لمدة ثلاث ساعات؛ كان حذقًا ومستعدًا. طرح أسئلة لم تخطر على بال جايك حتى، كما طرح كل الأسئلة التي وضعها جايك في ملفه. استجر باحتراف تفاصيل عن المشاعر والآراء الخاصة، وألقى دعابات هنا وهناك ليخفف من توتر الجو؛ لفقد بسط باكلي سيطرته على القاعة. كان قد قطع أشواطًا كبيرة عندما أوقفه نووز في تمام الساعة الخامسة؛ كان سينهي عمله في الصباح.

رفع حضرة القاضي الجلسة، وأعلن استكمالها عند الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي. تحدث جايك مع موكله لدقائق عندما بدأ الحشد يُخلي المحكمة، ووقف أوزي إلى جانبهما يحمل الأصفاد. عندما أنهى جايك حديثه عانق كارل لي عائلته، ووعدهم أن يراهم يوم غد، ثم اصطحبه أوزي إلى غرفة الحجز حيث كان هناك عدة نواب في انتظاره لأخذه إلى السجن.

34

في اليوم الثاني من المحاكمة كانت الشمس حارقة، وجففت قطرات الندى على العشب المحيط بمحكمة مقاطعة فورد، وتشكل بخار طفيف على أحذية الجنود. لقد جلدتهم الشمس بأشعتها وهم يمشون في مركز مدينة كلانتون. تسكعوا تحت الأشجار، ومظلات المتاجر الصغيرة، وبحلول وقت الفطور كان الجنود قد تصببوا عرقًا فاكتفوا بستراتهم الداخلية الخضراء.

أخذ المحتجون السود وقادتهم مواقعهم، وتعسكروا هناك واضعين الكراسي القابلة للطي تحت أشجار البلوط ومبردات المياه على طاولات. نصبت يافطات كُتِب عليها "حرروا كارل لي" زرقاء وبيضاء عُلّقت بين ركيزتين في باحة المحكمة، وطبع آغي ملصقات جديدة عليها صورة مكبرة لكارل لي بالأبيض والأسود، وقد أحيطت بإطار أحمر، وأبيض، وأزرق؛ كانت تلك الملصقات احترافية.

أخذ أعضاء منظمة كو كلوكس كلان مواقعهم في الطرف الآخر من الباحة الأمامية، وقد جلبوا معهم لافتاتهم الخاصة؛ كانت لافتاتهم عبارة عن خلفية بيضاء كُتِب عليها "أحرقوا كارل لي" بلون أحمر قاني، وقد لوحوا بها في وجه السود، وبدأ الفريقان بالصراخ على بعضهما، وتوسطهما الجنود المسلحون في ظل استمرار الهاتفات، ولم تكن الساعة قد تجاوزت بعد الثامنة من صباح اليوم الثاني للمحاكمة.

كان الصحفيون سعيدين جدًا بكمية المقالات التي يمكنهم كتابتها، فسارعوا إلى الحديقة الأمامية ليسمعوا الصراخ. راح أوزي والكولونيل جيئة وذهابًا، وأشارا هنا وهناك، وصرخا في أجهزة الاستقبال.

في تمام الساعة التاسعة، رحّب إيكابود بأعضاء المحكمة المتواجدين، وأعلم باكلي القاضي بتعالٍ أنّه لم يعد لديه أسئلة لهيئة المحلفين.

نهض المحامي بريغانس من مقعده بتوتر بالغ، وقابل المحلفين بعينين قلقتين، وأصغى الحاضرون إلى هذا المحامي اليافع الذي تباهى مرة بأنه لم يخسر قضية قتل قط؛ لقد بدا مرتاحًا، وواثقًا.

كان صوته عاليًا، ولكنه دافئ في الوقت ذاته، وكانت كلماته مدروسة ومألوفة؛ عرّف بنفسه مجددًا، وبموكله، وبعائلة موكله، وترك الفتاة الصغيرة إلى النهاية، وأشاد بأسئلة المحامي العام الوافية ليلة أمس. نظر إلى بطاقاته، وكان سؤاله الأول مفاجئًا.

"سيداتي سادتي، هل يعتقد أحدكم أنّه لا يجدر استخدام الدفاع بحجة الاختلال العقلي؟".

تردّد البعض، ولكن لم تُرفع أيّ أيادٍ؛ لقد باغتهم بسؤاله؛ اختلال عقلي؟ اختلال عقلي؟ لقد زرع بذوره.

"إن أثبتنا أن كارل لي هيلي كان مختلًا وفق القانون عندما قتل بيلي راي كوب، وبيت ويلارد، فهل سيبرئه أحد منكم؟".

كان هذا سؤالًا صعبًا.

لم تُرفَع أيّ أيادٍ؛ أراد بعضهم الإجابة، ولكنهم لم يعرفوا الجواب المناسب.

عاينهم جايك، ولاحظ أنّه حيرهم، وعلم أيضًا في تلك اللحظة أن جميع أعضاء الهيئة يفكرون في كون موكله مختلًا، وتركهم على حالتهم هذه وقال باعتداد كبير: "شكرًا. لم يعد لدي أية أسئلة أخرى يا حضرة القاضي".

بدا باكلي محتارًا، ونظر إلى القاضي الذي تملكته الدهشة أيضًا.

سأله نووز شاكيًا: "أهذا كل شيء؟ أهذا كل شيء يا سيد بريغانس؟".

قال جايك وكله ثقة بالمحلفين المحتملين على عكس باكلي الذي يشكك بهم بشدة: "أجل يا حضرة القاضي، تبدو الهيئة جيدة بالنسبة إليّ". لم يوافق جايك أبدًا على هيئة المحلفين، ولكن لم يكن هناك جدوى من إعادة أسئلة باكلي.

"حسنًا، دعوني أقابل المحامين في المكتب".

لحق باكلي، وموسغروف، وجايك، وإيلين، والسيد بات بإيكابود إلى المكتب الخلفي، وجلسوا حول المكتب.

قال نووز: "أعتقد يا سادة أنكم تودون سؤال كل محلّف حول رأيه في عقوبة الإعدام".

قال جايك: "أجل يا سيدي".

قال باكلي أيضًا: "هذا صحيح يا سيدي".

"حسنًا، أيمكنك أن تحضر المحلفة الأولى كارلين مالون يا بايت؟".

خرج السيد بات، ونادى اسم كارلين مالون في القاعة، وبعد ثوان عاد ومعه كارلين؟ إلى المكتب؛ كانت مذعورة، فابتسم المحاميان، ولم يتفوها بحرف حسب تعليمات نووز.

أزال نووز ثوب القاضي وقال: "تفضلي بالجلوس يا آنسة مالون، لن نأخذ من وقتك سوى دقيقة. هل لديك رغبة قوية بأن ينفذ حكم الإعدام؟".

أشاحت برأسها بتوتر، وهي تنظر إلى إيكابود، ثم قالت: "لـ... لا يا سيدي".

"أتعلمين أنك، وبصفتك محلفة مختارة، سوف توافقين على إعدام السيد هيلي في حال إدانته؟".

"أجل يا سيدي".

"إذا أثبتت الولاية أن القتل كان متعمدًا، وأن السيد هيلي لم يكن مختلًا أثناء عملية القتل، فهل ستأخذين عقوبة الإعدام بعين الاعتبار؟".

"بالطبع. أعتقد أن هذه الوسيلة الوحيدة لإيقاف كل هذه الوحشية".

ظلّ جايك يبتسم وهو ينظر إلى المحلفة الأولى، وابتسم باكلي أيضًا، وغمز موسغروف.

قال نووز: "شكرًا لك يا سيدة مالون. يمكنك أن تعودي إلى مكانك في القاعة".

قال نووز للسيد بات: "أحضر المحلفة الثانية".

دخلت مارسيا ديكينز إلى المكتب، وكانت امرأة بيضاء ذات وجه مكفهرّ. أجابت نووز بأنها توافق على حكم الإعدام، وستصوت بنعم على تطبيقه. جلس جايك مبتسمًا، وغمز باكلي موسغروف مجددًا، وشكر نووز المحلفة الثانية، واستدعى المحلف الثالث.

كان المحلفان الثالث والرابع ساخطين، وحبذا تنفيذ حكم الإعدام، ثم حضر المحلف الخامس جيرالد أولت، وهو سلاح جايك السري.

كرر نووز سؤاله بعد أن شكر السيد جيرالد على قدومه: "هل لديك رغبة قوية تجاه تنفيذ حكم الإعدام؟".

أجاب أولت بحماسة وشغف: "بالطبع يا سيدي أنا ضده تمامًا؛ إنّه وحشي، وغير طبيعي، وأنا أشعر بالعار لمجرد وجودي في مجتمع يسمح بالقتل القانوني لكائن بشري".

"إن كنت محلفًا، وتحت ظروف خاصة، فهل يمكن أن تقبل بتنفيذ حكم الإعدام؟".

"كلا يا سيدي، لن أقبل به أبدًا مهما كانت الظروف، ومهما كانت الجريمة".

تنحنح باكلي وقال: "تتحدى الولاية السيد أولت بسبب رأيه يا حضرة القاضي، ونحن نريد أن نعفيه من دوره كمحلف وفق قانون الولاية مقابل ويذرسبون".

قال نووز: "طلبك مقبول، فأنت معفى يا سيد أولت، وبإمكانك أن تغادر المحكمة، إن شئت حضور المحاكمة، فعليك أن تجلس في مكان آخر بدل مكانك مع هيئة المحلفين".

تفاجأ أولت، ونظر بخيبة إلى صديقه جايك الذي طأطأ رأسه ثمّ سأل: "هل لي أن أسأل عن السبب؟".

أبعد نووز نظارته عن عينيه، وأدى دور المعلم ثمّ قال: "في ظل القانون يا سيد أولت، يطلب من المحكمة أن تعفي أي محلف لا يمكنه "التصديق" على تنفيذ حكم الإعدام. إن حكم الإعدام مشرع في ولاية ميسيسيبي، وفي عدة ولايات أخرى سواء أأعجبك الأمر أم لا، وبالتالي، فإنه ليس عدلًا اختيار محلفين لا يمكنهم تطبيق القانون".

تفاجأ الحشد وتملكهم الفضول عندما غادر جيرالد أولت قاعة المحكمة.

دخل المحلف السادس آليكس سامرز إلى المكتب، وعاد بعد ثوانٍ إلى مقعده في الصف الأول مع المحلفين المحتملين. كان قد كذب بشأن حكم الإعدام، فهو عارضه كمعظم السود، ولكنه قال لنووز بأنه غير معترض عليه.

لاحقًا وخلال الاستراحة قابل المحلفين السود وأملى عليهم كيفية الإجابة على أسئلة القاضي.

استمرت العملية لغاية الظهيرة حين غادر آخر محلف؛ لقد تم إعفاء أحد عشر محلفًا لعدم قبولهم حكم الإعدام.

عند الساعة الثالثة والنصف، أخذ نووز استراحة وأمهل المحامين وقتًا لغاية الساعة الرابعة لمراجعة بطاقاتهم.

عاين جايك وفريقه لوائح المحلفين المحتملين وبطاقاتهم في المكتبة الواقعة في الطابق الثالث؛ لقد حان وقت الاختيار.

كان قد حلم بأسماء مرقّمة ومكتوبة بالأزرق، والأحمر، والأبيض، كما كان يراقبهم في قاعة المحكمة لمدة يومين حتى هذه اللحظة؛ لقد عرف رأيهما تمامًا؛ فضلت إيلين النساء بينما فضل هاري ريكس الرجال.

عاين نووز اللوائح التي تمت إعادة ترقيمها بعد إعفاء البعض ثمّ نظر إلى محاميَيه وقال: "هل أنتما مستعدان؟ ممتاز. كما تعلمان، هذه قضية قتل كبرى تسمح بعقوبة الإعدام، لذا، لكما الحق في إقصاء اثني عشر محلفًا. أنت مطالب يا سيد باكلي بتقديم لائحتك الخاصة ابتداء من أول محلف باستخدام الأرقام في تحديد المحلفين".

"حسنًا يا حضرة القاضي. تقبل الولاية المحلف الأول، والثاني، والثالث، والرابع، ونستخدم حقنا الأول باستبعاد المحلف الخامس. ثمّ سنقبل المحلف السادس، والسابع، والثامن، والتاسع، ونستخدم حقنا الثاني باستبعاد المحلف العاشر. كما سنقبل المحلف الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، ونستبعد المحلف الرابع عشر ثمّ نقبل المحلف الخامس عشر. أعتقد أننا اخترنا اثني عشر اسمًا".

كتب جاك وإيلين ملاحظات على لوائحهما.

قال نووز: "أجل، إنّهم اثنا عشر محلفًا. ماذا عنك يا سيد بريغانس؟".

اختار باكلي اثنتي عشرة امرأة بيضاء، ورفض امرأتين سوداوين، ورجلًا أبيض.

عاين جايك لائحته، وشطب بعض الأسماء: "سيستبعد الدفاع المحلف الأول، والثاني، والثالث، وسيقبل المحلف الرابع، والسادس، والسابع، ثمّ سيستبعد المحلف الثامن، والتاسع، والحادي عشر، ويقبل الثالث عشر، ويستبعد الخامس عشر. أعتقد أننا استخدمنا ثمانية إقصاءات".

رسم القاضي خطوطًا، ووضع علامات على لائحته، وقام بحسابات ثمّ قال: "كلاكما وافقتما على المحلف الرابع، والسادس، والسابع، والثالث عشر. دورك الآن يا سيد باكلي لتختار ثمانية محلفين آخرين".

"سوف تقبل الولاية بالمحلف السادس عشر، وتستبعد المحلف السابع عشر، ثمّ سوف تقبل المحلف الثامن عشر، والتاسع عشر، والعشرين، وتستبعد الواحد والعشرين، كما ستقبل المحلف الثاني والعشرين، وتستبعد المحلف الثالث والعشرين، وتقبل المحلف الرابع والعشرين، وتستبعد المحلف الخامس والعشرين، والسادس والعشرين، ثمّ ستقبل المحلف السابع والعشرين، والثامن والعشرين؛ عددهم اثنا عشر محلفًا مع بقاء أربعة إقصاءات".

كان جايك مصعوقًا؛ لقد رفض باكلي كل السود، وكل الرجال؛ كان يعرف ما يدور في ذهنه.

"حان دورك يا سيد بريغانس".

"هل تسمح لنا بدقيقة لنتشاور يا حضرة القاضي؟".

أجاب نووز: "خمس دقائق".

وقف جايك ومساعدته بجانب غرفة الاستراحة حيث قابلا هاري ريكس، فوضع جايك اللائحة على الطاولة، وقال: "انظرا إلى هذا، لقد انتهينا من تسعة وعشرين اسمًا، وتبقى لي ولباكلي أربعة إقصاءات. لقد رفض كل أسود، وكل رجل؛ إن هيئة المحلفين عبارة عن نساء بيضاوات حتى الآن. إن المحلفين التاليين هم عبارة عن امرأتين بيضاوين، ورقم واحد وثلاثون هو كلايد سيسكو، وبعده باري أكير".

قالت إيلين: "إذًا، أربعة من الستة القادمين هم سود".

"أجل، ولكن باكلي لن يتمادى. في الحقيقة، أنا متفاجئ بأنه قربنا من الصف الرابع".

قال هاري ريكس: "أنا أعلم أنك تريد أكير، ولكن ماذا عن سيسكو؟".

"أنا أخشاه، لقد قال لوسيان إنّه محتال، ومرتشٍ".

"ممتاز، لنشترِه".

"إنك ظريف فعلًا. ولماذا أنت متأكد من أن باكلي لم يسبقك لذلك؟".

"كنت سأشتريه".

عاين جايك اللائحة وعدّ الأسماء.

أرادت إيلين أن ترفض الرجلين: أكير وسيسكو.

عادا إلى المكتب، وبدأ التسجيل حيث قال جايك: "سوف نستبعد المحلف الثاني والعشرين، والمحلف الثامن والعشرين يا حضرة القاضي؛ سيتبقى لدينا إقصاءان في هذه الحالة".

"دورك الآن يا سيد باكلي. ماذا ستفعل بالمحلفين التاسع والعشرين والثلاثين".

"ستقبلهما الولاية. لدينا اثنا عشر اسمًا مع أربعة إقصاءات متبقية".

"دورك يا سيد بريغانس".

"سوف نستبعدهما".

قال نووز: "انتهت الإقصاءات المسموحة لك أليس كذلك؟".

"صحيح يا حضرة القاضي".

"ممتاز. ماذا عن المحلفَين الواحد والثلاثين والثاني والثلاثين يا سيد باكلي؟".

نظر باكلي إلى الاسمين اللذين تلوَا اسم كلايد سيسكو ثمّ قال بسرعة: "سوف تقبلهما الولاية".

"ممتاز. أكملت اثني عشر اسمًا، إذًا، لنختر عضوين بديلين؛ لديكما الحق في إقصاء بديلين. ماذا تقول عن المحلف الثالث والثلاثين والرابع والثلاثين يا سيد باكلي؟".

كان المحلف الثالث والثلاثين أسود، والمحلفة الرابعة والثلاثين امرأة بيضاء أرادها جايك، وكان المحلفان التاليان رجلين أسودين.

"سوف نستبعد المحلف الثالث والثلاثين ونقبل المحلف الرابع والثلاثين والخامس والثلاثين".

قال جايك: "سوف يقبل بهما الدفاع أيضًا".

نظم السيد بات قاعة المحكمة بينما أخذ المحاميان موقعيهما، وأعلن القاضي أسماء المحلفين الاثني عشر، وذهبوا إلى مقصورة المحلفين بتردد حيث أجلستهم جين غيلسبي وفق ترتيبهم.

كان المحلفون عشرة نساء ورجلين وكلهم من البيض، فنظر السود من الحشد إلى بعضهم بدهشة.

همس كارل لي لجايك: "هل أنت من قمت باختيار هذه الهيئة؟".

قال جايك: "سأشرح لك الأمر في ما بعد".

تنحنح نووز ونظر إلى المحلفين الجدد قائلًا: "سيداتي سادتي، لقد تم اختياركم بعناية لتأخذوا دور المحلفين في هذه القضية؛ لقد أقسمتم بأن تعاينوا كل المسائل المتعلقة بهذه القضية، وأن تطبقوا القانون حسب تعليماتي، وسيتم عزلكم حسب قانون ميسيسيبي إلى أن تنتهي المحاكمة، ما يعني أنكم ستقيمون في نزل إلى حين الانتهاء. أتفهم أن هذا أمر صعب، ولكن القانون ينص على هذا. سوف نأخذ استراحة حتى الصباح، ونعطيكم مهلة لتتصلوا بعائلاتكم، وتطلبوا حاجياتكم. سوف تبيتون كل ليلة في نزل خارج كلانتون، ولن يتم الإعلان عن موقعه. هل لديكم أية أسئلة؟".

تفاجأ المحلفون، واستغربوا فكرة عدم عودتهم إلى منازلهم لعدة أيام، ففكروا في عائلاتهم، وأولادهم، وأعمالهم. لماذا هم؟

لماذا تم اختيارهم من بين جميع المحلفين في هذه القاعة؟ عندما لم يسمع جوابًا طرق نووز بمطرقته، وتم إخلاء القاعة، ثم رافق جين غيلسبي المحلفة الأولى إلى مكتب المحكمة حيث اتصلت بعائلتها، وطلبت ثوبًا، وفرشاة أسنان.

ثم سألت: "إلى أين سنذهب؟".

أجابتها جين: "هذه معلومات سرية".

رددت المحلفة لزوجها: "معلومات سرية".

بحلول الساعة السابعة، تم تزويد جميع المحلفين بحاجياتهم، ثم استقلّ المحلفون المختارون حافلة غريهاوند، ولحقت بهم سيارتا شرطة، وثلاثة فرق من الحرس الوطني؛ لقد غادرت الحافلة كلانتون.

ليلة الثلاثاء، مات ستامب سيسون في مستشفى للحروق في ممفيس؛ لم يراع سيسون جسده البدين، والقصير على مر السنين مما قلل فعاليته في مقاومة مضاعفات حروقه، وقد رفع موته عدد الضحايا المتورطة بعملية اغتصاب تونيا هيلي لأربعة ضحايا: كوب، وويلارد، وبود تويتي، والآن ستامب سيسون.

وصل خبر موته للمقصورة في الغابة التي يجتمع فيها الوطنيون بعد المحاكمة، وتوعدوا بالانتقام، وقالوا العين بالعين، والسن بالسن، وإلى ما هنالك. ارتفع عدد هؤلاء الوطنيين من خمسة شبان ليصبحوا أحد عشر شابًا.

كان هؤلاء الشبان متحمسين، ومتلهفين، ويريدون مزيدًا من الأحداث المشوقة.

مشى جايك بتوتر أمام أريكته وهو تمرن على جملته الافتتاحية للمرة المئة بينما أصغت إيلين إليه، لكنها قامت بمقاطعته، ومعارضته، وانتقاده، ومجادلته لمدة ساعتين؛ تعبت إيلين من هذا. لقد كان مستعدًا تمامًا، وهدأته المارغريتا، وشحذت لسانه. خرجت الكلمات من فمه بسلاسة، وكان مثاليًا خصوصًا بعد أن يشرب.

عندما انتهيا ذهبا إلى الشرفة، وراقبا شموع المحتجين في الساحة، وقد صدحت أصوات ألعاب البوكر تحت الخيمة في ظل الظلام الدامس حيث لم يكن هناك ضوء قمر.

ذهبت إيلين لتجلب المجموعة الأخيرة من المشروبات، ثم عادت ومعها كوباهما المعتادان، والمليئان بالمارغريتا والثلج. وضعتهما على الطاولة، ووقفت خلف رئيسها، ودلكت له كتفيه، فاسترخى جايك، وحرك رأسه يمينًا، ويسارًا؛ دلكت له كتفيه وظهره ثمّ عانقته.

"إن الساعة العاشرة والنصف يا إيلين؛ أين ستمضين ليلتك؟".

"ماذا تعتقد أنت؟".

"يجب أن تمضيها في شقتك في أولي مس".

"أنا ثملة، ولا أستطيع القيادة".

"سيقلك نسبيت إلى هناك".

"أتسمح لي بأن أسألك أين ستمضي ليلتك أنت؟".

"في البيت الذي أملكه مع زوجتي في شارع آدامز".

ابتعدت عنه وأمسكت مشروبها، ووقف جايك قرب السياج مناديًا نسبيت: "استيقظ يا نسبيت؛ سوف تقود إلى أوكسفورد".

35

وجدت كارلا المقال في القسم الأول من الصفحة الثانية؛ كان عنوان المقال "هيئة محلفون مؤلفة من البيض بالكامل من أجل محاكمة هيلي". لم يتصل بها جايك ليلة الثلاثاء، فقرأت المقال، واحتست قهوتها.

كان بيتها على الشاطئ شبه معزول، وأقرب جار لها يبعد مسافة مئتي ياردة؛ لقد امتلك أبوها الأرض الفاصلة بينهما، ولم يشأ أن يبيعها. كان قد بنى هذا المنزل منذ عشر سنوات بعد أن باع شركته في نوكسفيل؛ كانت كارلا ابنته الوحيدة، والآن ستكون هانا حفيدته الوحيدة. احتوى المنزل على أربع غرف نوم، وأربعة حمامات موزعة على ثلاثة طوابق. كان المنزل يتسع إلى عدد كبير من الأحفاد.

أنهت المقال، وتوجّهت نحو نافذة غرفة الفطور الكبيرة المطلة على الشاطئ والمحيط حيث كان قرص الشمس البرتقالي قد بزغ في الأفق لتوه؛ لقد فضلت التمدّد في سريرها لحين حلول النهار، ولكن زواجها من جايك أضاف مغامرات جديدة لأوقات الفجر والصباح. كان جسمها معتادًا على الاستيقاظ عند الساعة الخامسة والنصف على أقل تقدير. قال لها ذات مرة إن هدفه هو أن يغادر إلى عمله في الظلام، ويعود منه في الظلام.

كان يحقق جايك هدفه كل يوم تقريبًا، وكان يفتخر بكونه يعمل لمدة أطول من أي محامٍ آخر في مقاطعة فورد؛ كان مختلفًا، ولكنها أحبته.

تقع مقاطعة ميلبورن قرب تيمبيل ونهر تيبا على بعد أربعة وثمانين ميلًا من مقاطعة كلانتون، وكان يسكن مقاطعة ميلبورن ألف شخص وفيها نزلان؛ كان نزل تيمبيل مهجورا، إذ لم

يكن هناك سبب لإشغاله في هذا الوقت من السنة. شُغِلَت ثماني غرف من جناح معزول بالمحلفين، وحُرِسَت من قبل الجنود والحرس؛ شغلت كل امرأتين من المحلفين غرفة واحدة، كما شغل باري أكير وكلايد سيسكو غرفة واحدة أيضًا، وكان للمحلف الأسود البديل بين ليستر نيوتن شرف أن يشغل غرفة وحده، كما أعطيت البديلة الثانية فرانسي بيتس غرفة وحدها. لقد تم منع استخدام أجهزة التلفاز وقراءة الصحف. قدم عشاء ليلة الثلاثاء في الغرف، وقدّم فطور صباح يوم الأربعاء بسرعة عند الساعة السابعة والنصف بينما تمت تحمية الحافلة، فتصاعد الدخان من الحافلة إلى أن ملأ مرأب السيارات بأكمله، ثم استقلّ المحلفون الأربعة عشر الحافلة بعد نصف ساعة متّجهين إلى كلانتون.

تحدثوا أثناء انتقالهم إلى كلانتون عن عائلاتهم وأعمالهم، وقد عرف اثنان أو ثلاثة بعضهم قبل يوم الاثنين، ولكن الأغلبية كانوا غرباء عن بعضهم، وتفادوا بحذر أن يذكروا سبب اجتماعهم أو المهمة المكلفين بها، إذ نبههم القاضي نووز ألّا يتحدثوا عن القضية أبدًا. تمنوا أن يتباحثوا في عدة أمور كحادثة الاغتصاب، والمغتصبين، وكارل لي، وباكلي، ونووز، ومنظمة كو كلوكس كلان، وفي العديد من الأمور؛ عرف الجميع بأمر الصلبان المحروقة، ولكنهم لم يتناقشوا فيها، وقد جرت عدة مناقشات ضمن غرف الفندق في الليلة السابقة.

وصلت حافلة الغريهاوند إلى المحكمة قبل الساعة التاسعة بخمس دقائق، ونظر المحلفون عبر النوافذ العاكسة ليروا عدد السود وأعضاء كلو كلاس الموجودين، بالإضافة إلى جنود الحرس الوطني. تجاوزت الحافلة المتاريس، وركنت بجانب المحكمة، حيث انتظر النواب المحلفين كي يرافقوهم إلى الأعلى بأسرع وقت ممكن. صعدوا عبر الدرج الخلفي إلى غرفة المحلفين حيث كانت القهوة والكعك المحلى في انتظارهم. أخبرهم بات أن الساعة أصبحت التاسعة، وأن حضرة القاضي مستعد للبدء، ورافقهم إلى قاعة المحكمة وصولًا إلى مقصورة المحلفين حيث جلسوا على مقاعدهم.

صرخ السيد بات: "انهضوا جميعًا، محكمة".

جلس نووز على مقعده الجلدي الأسود وقال: "اجلسوا من فضلكم. صباح الخير سيداتي سادتي. أعوّل على أنكم بخير، ومستعدون للبدء".

وافقه الجميع، وهزوا رؤوسهم.

"ممتاز. سأطرح عليكم هذا السؤال صباح كل يوم: هل حاول أحد ما أن يتواصل أو يتكلم معكم أو يؤثر عليكم بأي شكل من الأشكال؟".

هزّ الجميع رؤوسهم نفيًا.

"ممتاز. هل تباحثتم في القضية مع بعضكم؟".

كذبوا جميعًا، وهزوا رؤوسهم نفيًا أيضًا.

"ممتاز. يجب أن تعلموني في حال حاول أحد ما أن يتواصل أو يتناقش معكم أو يؤثر عليكم. أتفهمون هذا؟".

وافقه الجميع.

"نحن مستعدون الآن لبدء المحاكمة؛ الخطوة الأولى هي السماح للمحاميَين بأن يدليا بمرافعة افتتاحية. أريد أن أنبه الجميع أن هذه المرافعات ليست شهادات، ولا تعد إثباتًا. أتريد أن تدلي بمرافعتك يا سيد باكلي؟".

نهض باكلي وزرّر معطفه.

"أجل يا حضرة القاضي".

"توقعت هذا؛ يمكنك أن تبدأ يا سيد باكلي".

وقف باكلي أمام مقصورة المحلفين؛ تنفس بعمق، وقلب ملاحظات مكتوبة في مستند قانوني، وقد استمتع باكلي بفترة الصمت القصيرة فكانت جميع الأنظار عليه، والكل متلهفًا لسماعه. بدأ بشكر المحلفين لوجودهم، ولتضحياتهم، ولمدنيتهم. قال جايك في نفسه: كما لو أن لديهم خيارًا في وجودهم. قال باكلي أيضًا إنّه فخور بهم، وبتعاونه معهم في هذه القضية المهمة. وردد مجددًا بأنه محاميهم، وأن شعب ولاية ميسيسيبي بأكمله هو موكله. عبّر باكلي عن خوفه من هذه المسؤولية التي وضعها الشعب على كتفيه؛ هو روفوس باكلي، محامي عام مقاطعة بسيط من سميثفيلد. ثرثر كثيرًا عن نفسه، وعن أفكاره حول هذه القضية، وعن آماله، وصلواته بأن يؤدي واجبه تجاه الشعب.

تفوه بكلامه المعسول المعتاد طوال مرافعته التمهيدية، ولكن كان هذا أفضل أداء لديه، فكان أداؤه محسنًا، وعبارة عن هراء مصقول وكريه. أراد جايك أن يحرقه، ولكن حسب خبرته لم يكن إيكابود ليقبل اعتراضًا خلال المرافعة الافتتاحية إلّا إذا كان الخطأ جسيمًا. لم يستدعِ كلام باكلي الفصيح الاعتراض حتى هذه اللحظة؛ لقد أزعج هذا الكلام المزيف والفائض بالمشاعر جايك جدًا، فقد أصغى إليه المحلفون، ودائمًا ما وقعوا في شراكه، فالمحامي العام هو الرجل الجيد دائمًا. إنّه يبحث عن تحقيق العدالة، ومعاقبة الجاني على جريمة وحشية كي لا يأثم مجددًا، وسيعمل بعناية هو والمحلفون الاثنا عشر على البحث عن الحقيقة، ومحاربة الشر، إذ إن البحث عن الحقيقة هو أهم شيء، فتتحقق العدالة عندما تتكشف الحقيقة. اتبعوا روفوس باكلي، وستكتشفون الحقيقة.

كان الاغتصاب عملًا وحشيًا؛ كان روفوس باكلي أبًا لفتاة بعمر تونيا هيلي، وشعر بإعياء عندما سمع بحادثة الاغتصاب،

وحزن لما حل بكارل لي وزوجته، وفكر في ابنته وفي احتمال الانتقام.

ابتسم جايك بسرعة لإيلين؛ كان هذا مشوقًا، لقد اختار باكلي أن يذكر حادثة الاغتصاب بدلًا من أن يخفيها عن المحلفين، وتوقع جايك أنّه سيواجه باكلي حول قبول أية شهادة تتعلق بحادثة الاغتصاب، إذ اتضح من خلال البحث الذي أجرته إيلين أن القانون يمنع ذكر التفاصيل العنيفة، ولكنه لم يتّضح إن كان ذكرها أو الإشارة إليها مسموحًا. وجد باكلي أن ذكر الاغتصاب أجدى من محاولة إخفائه، واعتقد جايك أن هذا تصرف جيد فالمحلفون الاثنا عشر، وكل العالم يعلم تفاصيل الحادثة في كل الأحوال.

ابتسمت إيلين أيضًا؛ سوف تتم محاكمة اغتصاب تونيا هيلي للمرة الأولى، فقد شرح باكلي أنّه يتفهم رغبة الأهل في الانتقام، ولو كان مكانهم لرغب فيه أيضًا، ولكنه رفع صوته، وأشار إلى الفرق بين الرغبة في الانتقام، وتطبيقه.

كان يستعد الآن للبدء بدوره، وراح يمشي جيئة وذهابًا متجاهلًا المنصة؛ لقد ألقى مرافعة لمدة عشرين دقيقة يشرح فيها نظام القضاء الجنائي في ميسيسيبي، كما أعلم الهيئة بأنه زج العديد من المغتصبين في سجن بارشمان للأبد. إن هذا النظام كان ناجعًا بفضل وعي مواطني ميسيسيبي وإدراكهم لأهميته، واحترامهم له، كما نوّه إلى أنّه سيكون عرضة للتدهور إن أخلّ به أناس مثل كارل لي هيلي الذي حقق عدالته بيديه؛ تخيلوا هذا؛ تخيّلوا مجتمعًا لا يخضع لقانون يجوبه الجناة

كما يريدون؛ لا وجود للشرطة، ولا للسجون، ولا للمحاكم، ولا للمحاكمات، حيث يتصرف الإنسان حسب مبادئه الخاصة.

أشار باكلي أن طلب كارل لي هيلي لمحاكمة عادلة لم يؤمن بها أمر مثير للسخرية؛ اسألوا والدتي بيلي كوب وبيت ويلارد، اسألوهما إن كان ابناهما قد حظيا بمحاكمة عادلة.

سكت لبرهة كي يسمح للمحلفين والجمهور أن يستوعبوا فكرته الأخيرة، لقد كان وقعها كبيرًا حيث نظر كل محلف إلى كارل لي هيلي، ولم تكن تلك النظرات نظرات تعاطف. نظف جايك أظافره، وبدا أنّه قد ضاق ذرعًا بهذا الخطاب، وتظاهر باكلي بمراجعة بطاقاته، وتحقق من ساعته، ثمّ عاود الكلام، ولكن بصوت خالٍ من العواطف؛ كانت الولاية ستثبت أن كارل لي هيلي قد خطط لعملية القتل بعناية، لقد انتظر لمدة ساعة في غرفة بجانب الدرج، وكان على علم بأنه ستتم إعادة الشابين إلى السجن، واستطاع بطريقة ما أن يهرّب بندقية أم-16 إلى داخل المحكمة. مشى باكلي إلى طاولة صغيرة بجانب كاتبة المحكمة، وتناول البندقية، ثم رفعها بإحدى يديه كي يراها المحلفون وقال: "هذه بندقية الأم -16"، ثمّ عاد باكلي إلى المنصة، وشرح كيف أن كارل لي هيلي اختار هذا النوع من البنادق لأنه كان قد استخدمه من قبل في معركة؛ لقد تم تدريبه على استعمال الأم-16، كما أنّه سلاح غير قانوني لا يمكن شراؤه من ويستيرن أوتو. كان عليه أن يذهب، ويبحث عنه؛ لقد خطط للعملية بعناية.

يجدر للإثبات أن يكون واضحًا: عملية قتل وحشية وممنهجة ذات تخطيط سابق، ونُفِّذَت بدم بارد.

كما كان هناك النائب دي واين لوني الذي خدم أربع عشرة سنة في قسم المأمور؛ إنّه رب عائلة، وواحد من أفضل رجال تطبيق القانون الذين قابلهم في حياته، وقد أطلق كارل لي هيلي عليه النار في أثناء تأديته لواجبه. تم بتر ساقه بشكل جزئي. ما كانت خطيئته؟ لعل الدفاع سيقول إنه أصيب عن طريق الخطأ، لا يوجد هناك دفاع في ميسيسيبي.

قال للمحلفين إنّه لم يكن هناك عذر لهذا العنف، ويجب أن يصدر الحكم بإدانته. منح كل من المحاميين ساعة ليلقي مرافعته الافتتاحية، ولم يستطع المدعي العام مقاومة هذا الوقت حيث أصبحت جمله مكررة. لقد استرسل مرتين في دحض حيلة الاختلال العقلي، فضجر المحلفون وبدأوا في البحث عن عناصر أخرى للتسلية ضمن المحكمة، وتوقف الرسامون عن الرسم، والصحفيون عن الكتابة، ومسح نووز نظارته سبع أو ثماني مرات. كان مسح نووز لنظارته عادة

كي يبقى مستيقظًا ويحارب الملل، فرآه جايك عدة مرات يمسحها بمنديل أو بربطة عنقه أو بطرف قميصه حين بكى الشهود أو تشاجر المحامون. لم يفوّت تصرفًا، ولكنه ضجر في عمله حتى ولو كان ضمن قضية كبيرة كهذه. لم ينم على طاولته أبدًا مع أنّه أراد ذلك في عدة مرات، وبدلًا عن هذا كان ينزع نظارته، وينفخ عليها، وينظفها بعناية ويعاود وضعها، ثمّ يعاود تنظيفها بعد خمس دقائق، وكان يكرر هذا التصرف كلما أسهب باكلي في الكلام.

أخيرًا، وبعد مرور ساعة ونصف أنهى باكلي كلامه، وتنهد الحضور.

قال نووز: "استراحة لعشر دقائق" ثمّ نزل عن مقعده، وتوجه إلى المرحاض.

حضّر جايك مرافعة قصيرة، وقرر أن يختصرها مجددًا بعد ماراثون باكلي، إذ إن معظم الناس لا يفضلون المحامين وخصوصًا المفوهين منهم الذين يعتقدون أن تكرار الأحداث المهمة وغير المهمة من أساسيات العمل. أولًا، إنّهم لا يستطيعون أن يطلبوا من المحامين السكوت، فهم أسرى هنا، أما في الخارج فيمكنهم أن يشتموا ويخرسوا المحامين، ولكن عندما يكونون في مقصورة المحلفين فلا يحق لهم الكلام، إذًا، فإن خياراتهم لا تتعدى النوم، والشخير، وتقطيب الجبين، والتحقق من ساعاتهم، ولم يلحظ معظم المحامين المملين تلك الإشارات. ثانيًا، إن المحلفين لا يفضلون المحاكمات الطويلة؛ اختصروا الهراء وأنهوا الأمر، أعطونا الحقائق وسنعطيكم الحكم.

قال كارل لي: "أنا أوافقك الرأي في أن تكون مرافعتك مختصرة".

بالفعل اختصر جايك مرافعته، فلم يستمر لأكثر من أربع عشرة دقيقة، وقدّر المحلفون كل كلمة فيها؛ بدأ حديثه في ذكر مكانة البنات عند أهاليهم، وكيف إنّهن يختلفن عن الفتيان، ويحتجن إلى قدر أكبر من الحماية. أخبرهم عن ابنته وعن العلاقة الخاصة التي تنشأ بين الأب والابنة، ولا يجدر لأحد أن يستهين بتلك العلاقة، وعبّر عن تقديره للسيد باكلي وادعائه المزيف بأنه لن يكترث كثيرًا إن اغتصب متحرش ثمل ابنته، ولكن هل يمكنهم في الحقيقة بصفتهم محلفين، وآباء أن يتغاضوا ويسامحوا بهذه السهولة إن تعرضت بناتهم لنفس الواقعة الأليمة؟ أن تقيد بناتهم لشجرة ويغتصبن من قبل رجلين ثملين ومتوحشين و...

صرخ باكلي: "اعتراض".

صرخ نووز أيضًا: "اعتراض مقبول".

تجاهلهما جايك وتابع كلامه بهدوء محاولًا أن يحثهم على أن يتخيلوا فتياتهم مكان تونيا طوال فترة المحاكمة، وطلب منهم ألّا يدينوا كارل لي بل أن يعيدوه إلى عائلته، ولم يذكر جايك حجة الاختلال العقلي؛ لقد عرفوا أنّها ستذكر.

أنهى جايك مرافعته بعد وقت قصير من بدئها، وترك المحلفين مذهولين بتباين أسلوبه.

تفاجأ نووز وسأل: "هل هذا كل شيء؟".

أومأ جايك برأسه، وجلس بالقرب من موكله.

"حسنًا. يمكنك أن تستدعي شاهدك الأول يا سيد باكلي".

"تستدعي الولاية كورا كوب".

ذهب الحاجب إلى غرفة الشهود، وأحضر السيدة كورا كوب. رافقها عبر الباب الواقع قرب مقصورة المحلفين إلى قاعة المحكمة، وجعلتها جين غيلسبي تقسم على قول الحقيقة.

أجلسها الحاجب على المقعد المخصص للشهود وقال لها: "تحدثي عبر مكبر الصوت".

سأل باكلي من منصته بصوت مرتفع: "هل أنتِ كورا كوب؟".

"أجل يا سيدي".

"أين تقيمين؟".

"في الشارع الثالث في ليك فيليج ضمن مقاطعة فورد".

"هل أنت أم بيلي راي كوب المقتول؟".

قالت في الوقت الذي دمعت فيه عيناها: "أجل يا سيدي".

كانت كورا امرأة ريفية بسيطة تركها زوجها عندما كان أولادها صغارًا، لقد عملوا على تربية أنفسهم بينما كانت تعمل في ورديتي عمل في مصنع أثاث صغير بين كاراواي وليك فيليج، وقد فقدت سيطرتها عليهم في سن صغيرة. كان عمرها خمسين عامًا، وحاولت أن تبدو أصغر باستخدام الصبغات ومستحضرات التجميل ولكن محاولاتها باءت بالفشل.

"كم كان ابنك يبلغ من العمر يوم مقتله؟".

"ثلاثًا وعشرين سنة".

"متى رأيته آخر مرة وهو على قيد الحياة؟".

"قبل ثوانٍ من مقتله".

"أين رأيته؟".

"في هذه المحكمة".

"أين قُتل؟".

"في الأسفل".

"هل سمعت الطلقات التي أردته قتيلًا؟".

بدأت بالبكاء وقالت: "أجل يا سيدي".

"متى كانت آخر مرة رأيته فيها؟".

"في دار الجنازة".

"وكيف كان وضعه؟".

"كان ميتًا".

قال باكلي: "لن أسأل شيئًا آخر".

"هل تريد أن تستجوبها يا سيد بريغانس؟".

كانت كورا شاهدة غير مؤذية، لقد استدعيت لإثبات أن ابنها قد قتل فعلًا، ولاستثارة بعض الشفقة، فلا شيء ينتج عن الاستجواب الشخصي وعادة لا يستخدم، ولكنها فرصة أمام جايك ما كان ليفوتها، فهو وجدها فرصة لزيادة حماسة كل من نووز وباكلي والمحلفين. لم تكن كورا كوب مثيرة للشفقة إلى هذا الحد إذ زيفت بعض المشاعر، وعلى الأرجح وجّهها باكلي بأن تبكي قدر الإمكان.

مشى جايك خلف باكلي وموسغروف إلى المنصة وقال: "سأسألها بعض الأسئلة".

أثارت هذه الحركة شك المحامي العام مباشرة.

تابع جايك: "هل اتهم ابنك بالتجارة بالمخدرات يا سيدة كوب؟".

نهض باكلي وقال بغضب: "اعتراض، لا يمكن ذكر السجل الإجرامي للضحية".

"اعتراض مقبول".

قال جايك لنووز: "شكرًا يا حضرة القاضي"، وكأنه قد قدم له معروفًا.

مسحت دموعها ثمّ عاودت البكاء.

سألها جايك: "هل قلت إن ابنك قُتل في سن الثالثة والعشرين؟".

"أجل".

"كم طفلة اغتصب في ثلاث وعشرين سنة؟".

صرخ باكلي وهو يشير بيديه لنووز: "اعتراض، اعتراض"، ردّ عليه نووز بغضب أيضًا: "اعتراض مقبول، اعتراض مقبول. لقد تجاوزت حدودك كثيرًا يا سيد بريغانس".

انهمرت دموع السيدة كوب، وبدأت بالعويل قرب مكبر الصوت حتى صدح صوتها في قاعة المحكمة المندهشة.

ازرّق وجه باكلي، واحمرت عيناه من الغضب عندما قال: "يجب تحذيره يا حضرة القاضي".

قال جايك بصوت مرتفع: "سأتراجع عن أسئلتي".

تمتم موسغروف: "حركة خبيثة يا بريغانس".

ترجى باكلي القاضي قائلًا: "أرجوك، نبّه واطلب من الهيئة أن تتجاهل كلامه".

سأل نووز: "هل لديك ردّ عليه؟".

قال باكلي: "كلا"، ثمّ ذهب إلى السيدة كوب ومعه منديل كي تمسح دموعها؛ كانت ترتعش بشدة ورأسها على الطاولة.

قال نووز: "يمكنك أن تذهبي يا سيدة كوب. رافقها أيها الحاجب من فضلك".

أمسك الحاجب بيدها وأنهضها بمساعدة باكلي عن طاولة الشهود أمام مقصورة المحلفين، فصرخت وناحت مع كل خطوة خطتها، وتعالى نحيبها عندما وصلت إلى الباب الخلفي وخرجت من القاعة.

نظر نووز إلى جايك بغضب إلى أن عم الهدوء القاعة مجددًا ثمّ قال للمحلفين: "أرجوكم، تجاهلوا سؤال السيد بريغانس الأخير".

همس كارل لي لمحاميه: "لماذا فعلت هذا؟".

"سأشرح لك لاحقًا".

قال بريغانس بصوت هادئ ومتردد: "تستدعي الولاية الشاهدة إيرنستين ويلارد".

أُحضرت السيدة ويلارد من غرفة الشهود، أدت القسم ثمّ جلست.

سأل باكلي: "هل أنت إيرنستين ويلارد؟".

قالت بصوت ضعيف: "أجل يا سيدي".

كانت الحياة صعبة عليها أيضًا، وكان لديها كرامة جعلتها أكثر إثارة للشفقة من السيدة كوب، كما بدت أكثر صدقًا.

لم تكن ثيابها غالية، ولكنها نظيفة ومرتبة، ولم تستخدم أية صبغات ولم تضع أية مستحضرات تجميل كالسيدة كوب، وعندما بكت، بكت بصمت.

"أين تقيمين؟".

"من ليك فيليج".

"هل بيت ويلارد ابنك؟".

"أجل يا سيدي"

"متى كانت آخر مرة رأيته فيها على قيد الحياة؟".

"هنا في هذه المحكمة قبل مقتله".

"هل سمعت الطلقات التي أردته قتيلًا؟".

"أجل يا سيدي".

"متى كانت آخر مرة رأيته فيها؟".

"في دار الجنازة".

"وما كانت حالته؟".

مسحت دموعها بمنديل ثمّ قالت: "كان ميتًا".

نظر باكلي إلى جايك بارتياب ثمّ قال: "آنا أسف جدًا. لم يعد لديّ أية أسئلة".

سأل نووز بعد أن نظر إلى جايك بارتياب أيضًا: "هل ستقوم باستجواب شخصي؟".

قال جايك: "لديّ بعض الأسئلة فقط".

وقف خلف المنبر ونظر إليها دون تعاطف ثم قال: "أنا جايك بريغانس يا سيدة ويلارد".

أومأت برأسها.

"كم كان عمر ابنك يوم مقتله؟".

"سبعة وعشرين عامًا".

أبعد باكلي كرسيه عن الطاولة، وجلس على طرفها واستعد للاعتراض، وأزال نووز نظارته منحنيًا إلى الأمام، وطأطأ كارل لي رأسه.

"كم طفلة اغتصب خلال أعوامه السبعة والعشرين؟".

نهض باكلي بسرعة وقال: "اعتراض، اعتراض، اعتراض".

"مقبول، مقبول، مقبول".

أفزع الصراخ السيدة ويلارد، فأجهشت بالبكاء.

"حذره يا حضرة القاضي، يجب تحذيره".

قال جايك في طريقه إلى مقعده: "أسحب سؤالي".

توسل باكلي إلى القاضي قائلًا: "ولكن هذا ليس كافيًا يا حضرة القاضي، يجب تحذيره".

أمر القاضي قائلًا: "هيا نذهب إلى المكتب"، ثمّ سمح للشاهدة بالذهاب، واستراح حتى الساعة الواحدة.

كان هاري ريكس ينتظرهما على شرفة مكتب جايك ومعه شطائر ومارغريتا، فلم يرغب جايك بتناولها وشرب عصير الغريفون، أما إيلين فشربت المارغريتا لتهدئ أعصابها؛ لقد حضرت ديل طعام الغداء، وأوصلته إلى مكتب جايك لليوم الثالث على التوالي، كما كان الغداء على حساب الكوفي شوب قد أحضِر أيضًا.

أكلوا واسترخوا على الشرفة، وراقبوا الهرج والمرج حول المحكمة. تناول جايك شطيرة روبن، وسألهما هاري ريكس عما حصل في مكتب المحكمة، فقال جايك إنّه يريد أن يتحدث في شيء بعيد عن المحاكمة.

"يا إلهي، ماذا حصل في المكتب؟".

"إن كاردينالز([4]) متقدمون بثلاث مباريات يا رو آرك أتعملين هذا؟".

"اعتقدت أنهم متقدمون بأربع".

"ماذا حصل في المكتب؟".

"هل تريد أن تعرف حقًا؟".

"بالطبع".

"أحتاج أن أذهب إلى المرحاض، وسأخبرك عندما أعود".

"ماذا حصل في المكتب يا رو آرك؟".

"لم يحدث شيء خطير. حذّر نووز جايك كثيرًا، ولكنه لم يلحق به عاهة مستدامة. أراد باكلي أن يريق دمًا، وكان جايك واثقًا من حدوث هذا لو احتقن وجه باكلي أكثر. صرخ باكلي وأدان جايك على استفزازه المقصود للمحلفين، فابتسم جايك وقال: "أنا آسف أيها المحافظ"، كان كلما ناداه جايك بالمحافظ كان باكلي يصرخ قائلًا: "إنه يناديني بالمحافظ يا حضرة القاضي، افعل شيئًا"، وكان نووز يجيبه: "أرجوكما يا سيّديّ، تصرفا بحرفية".

وكان جايك يقول: "شكرًا يا حضرة القاضي"، ثمّ يعاود مخاطبة باكلي بالمحافظ بعد خمس دقائق.

"لماذا أبكى المرأتين؟".

"كانت خطوة مدهشة يا هاري ريكس؛ لقد بيّن لنووز وباكلي والمحلفين أن هذه قاعته، وأنه لا يخاف أحدًا فيها. لقد ربح الجولة الأولى، وجعل باكلي متوترًا ولن يرتاح بعد الآن. يحترمه نووز لأنه لا يرضخ للّقب، وصُعِق المحلفون، فهو أيقظهم وقال لهم بطريقة غير مباشرة أن هذه حرب؛ خطوة مدهشة حقًا".

"أوافقك الرأي".

"لم تؤثر علينا سلبًا؛ كانت تلك المرأتان تطلبان التعاطف، ولكنه ذكّر المحلفين بأفعال ولديهما الفظيعة قبل مماتهما".

"إنهما حثالتان".

"إن كان هنالك أي حقد من قبل المحلفين فسيزول بقدوم آخر شاهد".

"إن جايك حذق فعلًا أليس كذلك؟".

"إنه ذكي جدًا، كما أنّه أذكى محامٍ في جيله".

"يجب أن ننتظر لنسمع مرافعته النهائية، لقد سمعت بعضًا منها، ومن الممكن له أن يستعطف رقيب التدريب في العسكرية". عاد جايك، وشرب كأس مارغريتا صغيراةً ليهدئ من روعه، وشرب هاري ريكس كبحار.

كان أوزي أول شاهد للولاية بعد الغداء، فأخرج باكلي مخططات ملونة للطابقين الأول والثاني في المحكمة وحددا معًا تحركات كوب وويلارد الأخيرة بدقة.

ثمّ أخرج باكلي عشر صور ملونة بمقياس 16-24 لكوب وويلارد وهما يرقدان ميتين على الدرج؛ كانت الصور شنيعة، لكن جايك كان قد رأى العديد من صور الجثث، كان بعضها مقبولًا بالنسبة إلى طبيعة الصور، ولكن البعض الآخر كان شنيعًا. في إحدى قضاياه، كان قد أطلق النار على قلب الضحية باستخدام مسدس 357 فوقع عن شرفته؛ كان رجلًا ضخمًا مفتول العضلات ولم تخرج الطلقة من جسمه، لم يكن هناك دم، فقط آثار الطلقة على ثيابه وعلى صدره، وكان يبدو وكأنه قد خلد لنوم عميق أو أغمي عليه من الثمالة على شرفته كلوسيان. لم يكن مشهدًا رائعًا ولم يكن باكلي فخورًا بتلك الصور كما أن الصور لم يتم تكبيرها، فأعطاها باكلي للمحلفين كصور فورية وبدا أنّه مشمئز لأنها كانت نظيفة جدًا.

ولكن معظم صور جرائم القتل كانت مريعة ومقززة، فعادة ما غطى الدم الجدران والسقف وتناثرت أشلاء من الجثث في كل مكان، وكان المحامي العام يكبر هذا النوع من الصور، ويرفقها كأدلة، وكان باكلي يرفعها أيضًا في القاعة، ويصف مع الشهود المنظر الموجود ليشوق المحلفين، ثمّ كان يطلب من القاضي أن يري هذه الصور للمحلفين، وكان القاضي يسمح له بهذا دائمًا. بعد هذا كان يراقب الجميع ردود أفعال بعضهم بعضًا وقد علت وجوههم الدهشة وأصابهم الغثيان. ذات مرة رأى جايك محلفَين يتقيآن بعد رؤيتهما صورة لجثة مقطعة.

كانت هذه الصور متحيزة جدًا، ومثيرة للاستفزاز، ولكنها كانت تقبل دائمًا، وكانت المحكمة العليا تقول عنها "صورًا ثبوتية". هذه الصور ممكن أن تساعد المحلفين وفقًا لقرارات المحكمة التي اتخذت خلال تسعين سنة، وكانت ولاية ميسيسيبي تقبل دائمًا صور الجرائم بغض النظر عن تأثيرها على المحلفين.

رأى جايك صور كوب وويلارد منذ أسابيع واعترض عليها، وكالعادة قوبل اعتراضه بالرفض.

وضع المحامي العام صور هذه القضية على لوح وهذا أمر لم يسبق له أن أقدم عليه، ثم أعطى أول صورة للمحلفة ريبا بيتس؛ كانت صورة مقربة لرأس ويلارد ودماغه.

شهقت وقالت: "يا إلهي"، ورمتها إلى المحلف الثاني الذي صرخ مذعورًا؛ مررها المحلفون إلى بعضهم ثمّ إلى البديلين. أخذ باكلي هذه الصورة وأعطى ريبا صورة أخرى؛ استمر

هذا الطقس لمدة ثلاثين دقيقة حتى انتهاء جميع الصور، ثمّ جلب بندقية الأم-16 وأعطاها لأوزي.

"هل يمكنك التعرف إلى هذا السلاح؟".

"أجل، إنّه السلاح الذي وجد في مسرح الجريمة".

"من انتشله من مسرح الجريمة؟".

"أنا".

"وماذا فعلت به؟".

"غلفته بكيس بلاستيكي ووضعته في خزنة السجن، وأقفلت الخزنة إلى أن أعطيت السلاح للسيد لاريد في مختبر الجرائم في جاكسون".

لوّح باكلي بالبندقية وقال: "تريد الولاية أن تدرج الدليل رقم أس-13 في قائمة الأدلة المسموحة".

قال جايك: "ليس لديّ اعتراض".

قال باكلي: "لم يتبقَّ لدينا أية أسئلة لهذا الشاهد".

"هل هناك أي استجواب للدفاع؟".

تفحص جايك ملاحظاته وقال إنّ لديه عدة أسئلة لصديقه، ثمّ توجه إلى المنصة.

"هل اعتقلت بيلي راي كوب وبيت ويلارد أيها المأمور؟".

كان باكلي على أهبة تامة للاعتراض في أية لحظة.

أجاب المأمور: "أجل".

"وبأي تهمة؟".

أجاب بسلاسة: "بتهمة اغتصاب تونيا هيلي".

"كم كان عمرها عندما اغتصبها كوب وويلارد؟".

"كان عمرها عشرة أعوام".

"هل وقّع بيت ويلارد على اعتراف مكتوب بـ...".

"اعتراض، اعتراض، هذا أمر غير مقبول والسيد بريغانس على دراية بهذا".

أومأ أوزي موافقًا خلال الاعتراض.

"اعتراض مقبول".

كان باكلي يرتعش بشدة وقال: "أطلب أن يُشطَب السؤال من تقرير المحكمة وأن يتجاهله المحلفون".

ابتسم جايك لباكلي وقال: "سأسحب سؤالي".

خاطب نووز هيئة المحلفين قائلًا: "رجاء تجاهلوا سؤال السيد بريغانس الأخير".

قال جايك: "ليس لدي أسئلة أخرى".

"هل ستطرح أية أسئلة يا سيد باكلي؟".

"لا يا سيدي".

"حسنًا. يمكنك أن تنزل أيها المأمور".

كان شاهد باكلي التالي رجل تحليل بصمات أمضى ساعة في إخبار الحشد ما كانوا يعرفونه منذ أسابيع، وأنهى حديثه بشكل درامي بعد أن أكد أن البصمات التي مسحت عن البندقية كانت بالفعل بصمات كارل لي هيلي. تلى خبير البصمات خبير فحص الأدلة الذي عمل في مخبر الولاية، وأدلى بإفادة مملة وغير مثمرة كسابقه. أجل، وبكل وضوح كانت الطلقات التي وجدت في مسرح الجريمة تعود لبندقية الأم-16 التي كانت على الطاولة. كان هذا رأيه الأخير تبعًا للجداول والمخططات التي استغرق باكلي ساعة في تمريرها بين المحلفين، وقد سمى جايك هذه الأمور الروتينية بمبالغة الادعاء العام، أي نقطة ضعف كل المدعين العامين.

لم يكن للدفاع أية أسئلة لهذا الخبير؛ ودع نووز هيئة المحلفين عند الساعة الخامسة والنصف بعد أن حذرهم من مناقشة مجريات القضية، فأومأوا برؤوسهم بتهذيب، وغادروا القاعة، وبعد هذا طرق نووز بمطرقته ورفع الجلسة حتى الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي.

36

في الليلة الثانية أُزيلت الهواتف في نزل تيمبيل بأمر من القاضي، ووُزِّعَت مجلات كانت قد تبرعت بها مكتبة كلانتون، ولكن سرعان ما تم تجاهلها لقلة المهتمين بمجلات النيويوركر والسميثسونيان والأركيتيكتشورال دايجست.

همس كلايد سيسكو للحاجب وهو في دوريته: "هل لديك نسخ من مجلة البينتهاوس؟"، فأجابه الحاجب بالنفي، ولكنه سيحاول جهده للحصول على واحدة.

لم يكن أمام المحلفين سوى لعب الورق والتحدث عن القضية في ظل الحَجْر الذي كان مفروضًا عليهم؛ كانوا قد منعوا من مشاهدة التلفاز وقراءة الصحف واستعمال الهواتف، فحدد المحلفون أوقاتًا لشرب المرطبات واعتبارها مناسبة خاصة؛ لقد أطبق عليهم الملل بشدة.

في نهايتي الممر، وقف جنديان يحرسان في عتمة الليل، ولم يكسر حاجز الصمت إلّا بأصوات خطوات المحلفين وهم يتجهون إلى آلة المرطبات؛ كان يغلبهم النعاس باكرًا. وعندما يأتي الجنود لإيقاظهم في تمام الساعة السادسة كانوا يجدونهم مستيقظين ومستعدين، فيتناولون فطورهم المكون من الفطائر والنقانق بشراهة، ثمّ يستقلّون حافلة الغريهاوند في تمام الساعة الثامنة بحماسة ليعودوا إلى منازلهم.

لليوم الرابع على التوالي كان البهو مزدحمًا في تمام الساعة الثامنة، وقد أُبلِغ الحشد أن الأماكن ستكون محجوزة عند الساعة الثامنة والنصف. فتح براذر الباب وتهافت الحشد عبر كاشف المعادن تحت أنظار النواب المتفحصة، ثمّ دخلوا إلى القاعة. جلس السود إلى يسار القاعة، وجلس البيض إلى يمينها. تم حجز الصف الأول من قبل هاستينغز لغوين وليستر، والأولاد،

والأقرباء، وجلس آغي وأعضاء المجلس الآخرون في الصف الثاني مع الأقرباء الذين لم يتسع لهم الصف الأول. كان آغي مسؤولًا عن التوفيق بين مهام المحكمة واحتجاجات القساوسة، وقد فضل عمله في المحكمة حيث شعر بأمان أكثر، ولكنه اشتاق في الوقت نفسه للأضواء والصحفيين الذين كانوا ينتظرون بلهفة في الباحة الأمامية، وجلس أهل الضحيّتين إلى يمينه في الطرف الثاني من الممر؛ لقد كانوا مهذبين حتى هذه اللحظة.

تم إخراج كارل لي من غرفة الحجز الصغيرة قبل الساعة التاسعة بعدة دقائق؛ فك أحد رجال الشرطة الذين أحاطوا به أصفاده، وابتسم ابتسامة عريضة لأفراد عائلته، ثمّ جلس على مقعده. أخذ المحاميان مكانيهما، وعم الصمت القاعة. نظر الحاجب في الباب الذي يقع بجوار مقصورة المحلفين وعندما نال مراده وجه المحلفين إلى مقاعدهم المخصصة. كان السيد بات يراقب التحركات من باب مكتب المحكمة، ثمّ صرخ بعد أن اكتمل كل شيء: "انهضوا جميعًا للمحكمة".

ارتدى إيكابود ثوبه الأسود، واعتلى مقعده، وأشار للجميع أن يجلسوا، ثمّ رحّب بالمحلفين وسألهم عن مجريات ليلتهم الماضية.

نظر إلى المحاميَين وقال: "أين السيد موسغروف؟".

قال باكلي: "سيتأخر قليلًا، ويمكننا أن نبدأ من دونه".

أمر نووز باكلي قائلًا: "استدعِ شاهدك".

كان الطبيب الشرعي ينتظر في البهو قبل أن يدخل قاعة المحكمة؛ عادة يكون الطبيب الشرعي مشغولًا جدًا فيرسل أحدًا من طاقمه ليشرح للمحلفين سبب مقتل كوب وويلارد بالتفصيل، ولكن هذه كانت قضية هيلي، ورأى أنه من المهم أن يحضر بنفسه، ولكنه اعتقد في الحقيقة أن هذه أسهل قضية قابلها. عثر على الجثتين في مكان مقتلهما، وكان سلاح الجريمة بالقرب منهما، كما كان هنالك ثقوب في تلك الجثث كافية لقتلهما؛ لقد عرف الجميع كيف قُتل هذان الشابان، ولكن المحامي العام أصر على الاستفاضة في الشرح التفصيلي، ولذلك وقف الطبيب في صباح يوم الخميس ومعه صور وجداول ملونة للتشريح.

قبل بدء المحاكمة وفي مكتب المحكمة، أصر جايك على الاكتفاء بذكر سبب الموت، ولكن باكلي رفض ذلك، إذ أراد أن يظهر للمحلفين كيف قُتلا بدقة.

قال جايك بحرفية: "سوف نقول إنّهما قتلا إثر جروح ناجمة عن عدة طلقات من بندقية أم-16".

قال باكلي بتعنّت: "لا يا سيدي، لديّ الحق في إثبات كيف قُتلا".

قال نووز ببرود: "ولكنه يقترح ذكر سبب الموت".

أصر باكلي قائلًا: "لديّ الحق في إثبات كيف قُتلا".

أثبت باكلي ما يريده بأسلوب مبالغة المحامي العام، وشرح الطبيب الشرعي لمدة ثلاث ساعات كم طلقة أصابت كوب وويلارد، وماذا فعلت كل طلقة حين دخلت جسميهما، ووضعت ملفات التشريح على ألواح أمام المحلفين. مثّل الطبيب الشرعي باستخدام قطعة صغيرة كيف دخلت الطلقة جسم الضحية؛ أصيب كوب بأربع عشرة طلقة في حين أُصيب ويلارد بإحدى عشرة طلقة. كان باكلي يطرح سؤالًا ليستنبط الإجابات من الطبيب، ثمّ يقاطعه ليشرح فكرة معينة.

كل ثلاثين دقيقة، كان جايك يقول بانزعاج: "سوف نكون ممتنين يا حضرة القاضي إن اختصرنا الأمر بذكر سبب المقتل".

قال باكلي بصرامة: "لن نفعل هذا".

جلس جايك على كرسيه، وأدار رأسه لينظر إلى المستيقظين من المحلفين.

أنهى الطبيب الشرعي دوره عند الظهيرة، فأعطى نووز المتعب والضجر استراحة غداء لمدة ساعتين. أيقظ الحاجب المحلفين، وأرشدهم إلى غرفة الطعام حيث أكلوا لحمًا مشويًا في صحون بلاستيكية ثمّ بدأوا بلعب الورق بعد أن منعوا من مغادرة المحكمة.

كل طفل في المدينة الجنوبية الصغيرة دُرِّب على جني المال السريع؛ كان الطفل الذي يضع كشك بيع ليموناضة في سن الخامسة على الشارع ويتقاضى اثنين وخمسين سنتًا ثمنًا للكوب يعلم أن مذاقها سيئ، ولكن اعتبره البالغون ظريفًا. كان الطفل الجنوبي أول من يشتري جزازة عشب من ويستيرن أوتو، ويطرق على أبواب الجيران في شباط ليحجز عملًا في الصيف، وكان هو الذي اشترى دراجته بنفسه ليستعملها في توزيع الصحف في الصباح والظهيرة، كما كان الطفل نفسه الذي يبيع بطاقات عيد الميلاد للنساء في آب، كذلك كان هو نفسه يبيع كيك الفواكه متنقلًا من

منزل إلى منزل في تشرين الثاني، أما في صباح كل أحد، وعندما كان أقرانه يتابعون الرسوم المتحركة، كان هو قرب المحكمة يبيع الفستق المحمّص ونقانق الذرة في المتاجر. كما اشترى شهادة إيداع عندما أتم الاثني عشر عامًا، وفي عمر الخامسة عشر اشترى عربته الأولى في اليوم نفسه الذي حصل فيه على رخصة القيادة، كما اشترى مقطورة ووصلها بشاحنته كي يحملها بأدوات الجز. كان يبيع قمصانًا في مباريات كرة القدم في الثانوية، وكان محتالًا ومستعدًا لأن يصبح مليونيرًا.

كان اسم هذا الطفل هينكي مايريك في كلانتون، وعمره ستة عشر عامًا؛ كان ينتظر في البهو بتوتر إلى أن خرج نووز لاستراحة الغداء فتجاوز النواب ودخل قاعة المحكمة. كان الحصول على مقعد صعبًا، ولذلك لم يتحرك الحضور من مكانهم خلال استراحة الغداء. كان البعض يذهب إلى المرحاض بعد أن يحملق في جاره ويعلمه أن هذا مكانه وحده. ولكن معظم الحضور حافظوا على مقاعدهم الغالية، وعانوا طوال استراحة الغداء.

كان هينكي يستطيع اشتمام الفرص والناس المحتاجين، ففي يوم الخميس لفّ شطائر ووجبات ووضعها في سلة كما فعل في اليوم السابق ومررها بين الجمهور؛ لقد كان مستغلًا ونصابًا، فباع شطيرة التونا بدولارين والتي تكلفه ثمانين سنتًا، كما كان يبيع وجبة دجاج وفاصولياء باردة بثلاثة دولارات والتي تكلفه دولارًا وربعًا. باع المشاريب الباردة بدولار ونصف؛ لقد دفعوا له ما يريده مقابل أن يظلوا على مقاعدهم؛ كان قد باع كل ما لديه قبل أن يصل إلى رابع صف من الأمام، وبدأ يجمع طلبات باقي الحضور؛ كان هينكي رجل الساعة.

ركض من المحكمة وتجاوز السود ومعه العديد من الطلبات، ثمّ تجاوز كافي ستريت واتجه إلى كلود. ذهب إلى المطبخ، ووضع فاتورة بعشرين دولارًا أمام الطباخ ومعها الطلبات، فانتظر وراقب ساعته. تحرك الطباخ ببطء فأعطاه عشرين دولارًا مجددًا.

لقد أغنت المحاكمة كلود بطريقة لم يحلم بها من قبل، إذ أصبح الناس يقصدون مقهاه للفطور والغداء، فلم يتسع عدد الكراسي لجميع الناس الذين كانوا ينتظرون على الرصيف في الحر إلى أن يتم إخلاء طاولة. بعد استراحة الغداء يوم الاثنين جاب كلانتون وبحث عن طاولات قابلة للطي ومقاعد تلائمها؛ كان المقهى يزدحم وقت الغداء وخصوصًا بالسود.

كانت مواضيع الأحاديث تنحصر بموضوع المحاكمة، وقد تم نقد تشكيلة المحلفين يوم الأربعاء، أما يوم الخميس فعبروا عن كراهيتهم المتزايدة للمحامي العام.

"أسمع أنّه يريد ترشيح نفسه لمنصب المحافظ".

"أهو ديمقراطي أم جمهوري؟".

"ديمقراطي".

"لا يستطيع أن يربح في هذه الولاية من دون أصوات السود".

"ولن يحصل على أصواتهم بعد هذه المحاكمة".

"آمل أن يجرب".

"إنه يتصرف وكأنه جمهوري".

بدأ وقت الظهيرة في كلانتون قبل الساعة الثانية عشرة بعشر دقائق، فكانت الموظفات اليافعات والأنيقات والسمراوات اللواتي يعملن في المصارف أو مكاتب المحاماة أو وكالات العقارات أو المحكمة يتوجهن إلى الأرصفة، كن يؤدين خدمات حول الساحة أو يذهبن إلى مكتب البريد، وبعد أن ينجزن مهامهن كن يذهبن للتسوق. اشترى معظمهن الغداء من التشاينيز ديلي وتناولنه على المقاعد تحت الأشجار المحيطة بالمحكمة.

كن يقابلن صديقاتهن ويثرثرن؛ لقد جذبت الحديقة في الظهيرة نساء أكثر من مسابقة ملكة جمال ميسيسيبي. كان هناك قاعدة شائعة في كلانتون وهي أن الموظفات كن يبدأن غداءهن في وقت مبكر ولم يتوجب عليهن العودة حتى الساعة الواحدة، وكان الرجال يتحينون الفرصة ويراقبون الفتيات.

لكن المحاكمة غيّرت مجرى الأمور، فمقاعد المحكمة ضمت لساحة المعركة، وكانت المقاهي تمتلئ من الساعة الحادية عشرة حتى الواحدة بالجنود والغرباء الذين لم يحظوا بمقاعد ضمن المحكمة؛ كان مقهى التشاينيز ديلي مليئًا بالأجانب، فقامت الموظفات بتأدية مهامهن ثمّ تناولن غداءهن على مقاعدهن.

قام موظفو المصارف والمكاتب الأخرى بمناقشة شهرة المحاكمة، وكيف بدت المدينة في ظلها في مقهى التي شوب، كما تمت مناقشة موضوع منظمة الكلان بكثرة. لم يكن لدى أي زبون علاقات مع منظمة كو كلوكس كلان التي نُسيت في شمال ميسيسيبي، ولكن الصحفيين أحبوا

الأردية البيضاء وسوّقوا لها لدرجة أن العالم الخارجي اعتبر كلانتون مقر منظمة كو كلوكس كلان؛ كره الزبائن منظمة الكلان وشتموا الصحفيين على إبقائها هنا.

يوم الخميس، قدم مقهى كوفي شوب طبقه اليومي المميز المكون من شرائح اللحم المقلية واللفت الأخضر مع البطاطا المهروسة أو الذرة القشدية أو البامية المقلية. قدمت ديل ذلك الطبق إلى مقر مزدحم تقاسمه المحليون، والأجانب، والجنود. كانت هناك قاعدة خفية حول عدم الكلام مع شخص ملتحٍ أو لديه لهجة غريبة، وكان الالتزام بهذه القاعدة صعبًا لشعب لطيف وودود، وقد استبدل الشعب ابتساماتهم المعتادة بغرور صامت أثناء التعامل مع الزوار في الأيام الأولى بعد الجريمة. خان الصحفيون مضيفيهم عندما صوروهم في مقالاتهم كشعب غير ودود وبخيل؛ كان من المدهش أنّهم يتهافتون من كل أصقاع الأرض في غضون أربع وعشرين ساعة ثمّ يصبحون خبراء في مكان لم يعلموا عنه شيئًا وأناس لم يقابلوهم بعد.

راقبهم السكان المحليون وهم يلحقون بالمأمور، وبالمحامي العام، وبمحامي الدفاع، وبأي أحد لديه معلومة كالأغبياء؛ راقبوهم وهم ينتظرون المدعى عليه كذئاب جائعة بجانب المحكمة، وكانوا ينهالون بالأسئلة على المحامي العام المحاط برجال الشرطة عندما كان يخرج ليقابلهم بالتجاهل التام. كما راقبهم المحليون باشمئزاز عندما أبقوا كاميراتهم مسلطة على أعضاء كو كلوكس كلان والسود الثوريين، وتلهفوا لحصول حدث خارج عن الطبيعة، ثمّ كان الصحفيون يصورون هذا الحدث وكأنه يحصل باستمرار.

راقب الشعب الصحفيين وكرهوهم.

نظر تيم نانلي إلى مراسلة تجلس على مقعد قرب النافذة وقال: "ما هذا الشيء البرتقالي المنثور على وجهها؟".

أكل جاك جونز البامية وعاين وجهها البرتقالي ثمّ قال: "أعتقد أن هذا شيء يستخدمونه أمام الكاميرا ليبدو وجههم أبيض على التلفاز".

"ولكن وجهها أبيض بالفعل".

"أعلم هذا، ولكنه لا يبدو أبيض على التلفاز إلّا إذا طُلي باللون البرتقالي".

لم يقتنع نانلي وسأل: "إذًا، ماذا يضع السود على وجوههم ليظهروا على التلفاز؟".

لم يستطع أحد الإجابة.

سأل جاك جونز: "هل رأيتها البارحة على التلفاز؟".

"لا، على أي قناة تظهر؟".

"إنها مراسلة القناة الرابعة من ممفيس، لقد قابلت البارحة أم كوب وظلت تضغط عليها إلى أن أجهشت بالبكاء، ولم يظهروا على التلفاز سوى بكائها؛ كان أمرًا مثيرًا للاشمئزاز بالفعل. كما كانت قد قابلت في الليلة السابقة عضوًا من كو كلوكس كلان في أوهايو، فقام بإعطاء نصائحه عما يجدر فعله في ميسيسيبي؛ إنّها حقًا حثالة".

أنهت الولاية قضيتها حول كارل لي بعد ظهر يوم الخميس؛ استدعى باكلي مورفي للشهادة بعد الغداء، فكانت شهادته عصيبة، إذ تلعثم في كلامه على مدى ساعة.

قال باكلي للمرة المئة: "هدئ من روعك يا سيد مورفي".

كان يومئ برأسه، ويشرب الماء، وحاول أن يجيب عبر هز رأسه بالإيجاب أو بالنفي، ولكن الكاتبة عانت في تفسير أجوبته.

كانت تقول وظهرها إلى منصة الشهود: "لم أفهم هذا"، لذا حاول أن يجيب، ولكنه كان يتلعثم كلما نطق حرفًا ساكنًا مثل الباء أو التاء؛ كان يقول شيئًا بسرعة ثمّ يتأتئ بشكل غير مفهوم.

عندما كانت الكاتبة تقول: "لم أفهم هذا"، كان باكلي يتنهد، وتوتر المحلفون بشدة، كما توتر الحضور أيضًا وبدأوا بقضم أظافرهم.

قال باكلي بصبر قدر المستطاع: "هل يمكنك إعادة ما قلته؟".

كان يقول باستمرار: "أنا آس-س-س-س-س ف"؛ كان مثيرًا للشفقة.

تم استخلاص أنّه كان يشرب الصودا على الدرج الجانبي عندما قُتِلَ الشابان، وكان قد لاحظ رجلًا أسود يخرج من الخزانة على بعد أربعين قدمًا، ولكنه لم يفكر كثيرًا بالأمر، وعندما نزل الشابان على الدرج أطلق الأسود النار وهو يصرخ ويضحك، وعندما توقف عن إطلاق النار ألقى سلاحه وحاول الهرب. أجل هذا هو الرجل، هذا هو الرجل الأسود الذي يجلس هناك.

نظف نووز نظارته بعصبية وهو يستمع لمورفي، وعندما جلس باكلي نظر نووز إلى جايك بتوسل وسأله على مضض: "هل لديك استجواب شخصي؟".

وقف جايك ومعه مستند قانوني، فحملقت فيه الكاتبة، كما توعده هاري ريكس، وأغمضت إيلين عينيها، وقد تحفز المحلفون وراقبوه بحذر.

همس كارل لي بصرامة: "لا تفعلها".

"لا يا سيدي، ليس لدينا أية أسئلة".

تنفس نووز بعمق ثمّ قال: "شكرًا لك".

كان الشاهد التالي المحقق رادي الذي يعمل في مكتب المأمور، وقد أخبر المحلفون أنّه وجد علبة صودا من نوع رويال كلاون في القمامة وعليها بصمات كارل لي هيلي.

سأل باكلي بشكل درامي: "هل كانت ممتلئة أم فارغة؟".

"كانت فارغة تمامًا".

يا لها من قضية! فكّر جايك في نفسه؛ كان الرجل عطشًا. ما الخطب في هذا؟ لقد أكل أوزوالد الدجاج وهو ينتظر كينيدي. لا، لم يكن لدى جايك أية أسئلة لهذا الشاهد.

في تمام الساعة الرابعة قال باكلي: "لدينا شاهد أخير يا حضرة القاضي؛ الشرطي دي واين لوني".

عرج لوني متكئًا على عصاه إلى القاعة، ثمّ وقف على منصة الشهود، وأزال سلاحه، وسلمه للسيد بات.

راقبه باكلي بفخر وقال: "هل يمكنك أن تقول اسمك يا سيدي؟".

"دي واين لوني".

"وما عنوانك؟".

"المنزل رقم أربعة عشر وثمانية وستون، شارع بينينغتون في كلانتون، ميسيسيبي".

"كم عمرك؟".

"تسعة وثلاثون عامًا".

"أين تعمل؟".

"في مكتب المأمور في مقاطعة فورد".

"وما وظيفتك هناك؟".

"أنا رقيب الاتصالات".

"أين كنت تعمل يوم الاثنين الواقع في عشرين أيار؟".

"كنت نائبًا".

"هل كنت ضمن مناوبتك؟".

"أجل، لقد كلفت بمرافقة مجرمين من السجن إلى المحكمة ذهابًا وإيابًا".

"من كانا هذين المجرمين؟".

"بيلي راي كوب وبيت ويلارد".

"متى غادرت المحكمة معهما؟".

"أظن حوالى الساعة الواحدة والنصف".

"من كان مناوبًا معك؟".

"براذر؛ كنا مسؤولَين عن هذين المجرمين معًا، وكان هنالك عدة نواب آخرون يساعدوننا، وكان لدينا رجلان أو أكثر ينتظروننا في الخارج، ولكنني أنا وبراذر كنا المسؤولين المباشرين".

"ماذا حدث عندما انتهت جلسة الاستماع؟".

"لقد كبلنا أيدي كوب وويلارد وأخرجناهما من هنا؛ أخذناهما إلى تلك الغرفة الصغيرة وانتظرنا لعدة ثوانٍ ثمّ نزل براذر على الدرج".

"ماذا حصل بعد ذلك؟".

"بدأنا نزول الدرج؛ نزل كوب أولًا وتلاه ويلارد وثم أنا. وكما قلت كان براذر قد سبقنا؛ كان يقف عند الباب".

"أجل يا سيدي. ثمّ ماذا حصل؟".

"عندما اقترب كوب من نهاية الدرج بدأ إطلاق النار. كنت على العتبة وهممت لنزول الدرج؛ لم أجد أحدًا في البداية، ثمّ رأيت السيد هيلي وهو يطلق النار من سلاحه. ارتد كوب على ويلارد وتدافعا كي يصعدا لأعلى الدرج حيث كنت".

"أجل يا سيدي، والآن صف لنا ما رأيته".

"كنت أسمع الطلقات وهي ترتد عن الجدران وتتناثر في كل مكان؛ كان ذلك أعلى صوت بندقية سمعته في حياتي، وبدا وكأنه استمر في الإطلاق دون انقطاع. نازع الشابان وتقلبا وصرخا بأعلى صوت؛ كانا مكبلين كما تعلم".

"حسنًا يا سيدي. وماذا حصل لك؟".

"كما قلت، لم أستطع أن أتجاوز العتبة. أعتقد أن إحدى الطلقات ارتدت عن الجدار وأصابتني في ساقي. كنت أحاول الوصول إلى أعلى الدرج عندما شعرت أن ساقي تؤلمني".

"وماذا حصل لساقك؟".

أجاب لوني: "لقد بتروها من تحت الركبة"، كان لوني هادئًا في إجابته، وكأنه معتاد على البتر.

"هل رأيت الرجل الذي أطلق النار بوضوح؟".

"أجل يا سيدي".

"هل يمكنك التعرف إليه أمام المحلفين؟".

"أجل يا سيدي، إنّه السيد هيلي الذي يجلس هناك".

كان هذا الجواب الختام المنطقي لشهادة لوني؛ كان كلامه مختصرًا، ومباشرًا كما كان متعاطفًا وواثقًا من التعرف إلى الجاني. استمعت هيئة المحلفين إلى كل كلمة لغاية هذه اللحظة، أما

باكلي وموسغروف فقد وضعا مخططات المحكمة أمام المحلفين كي يعرج لوني وهو في طريقه إليها، فقام لوني ووفق تعليمات باكلي بتحديد تحركات الجميع قبل مقتل الشابين.

ضجر جايك ودلك جبينه كما نظف نووز نظارته عدة مرات، وتوتر المحلفون.

سأل نووز أخيرًا: "ألديك أسئلة للشاهد يا سيد بريغانس؟".

قال جايك في حين أزال موسغروف المخططات: "لدي بعض الأسئلة فقط".

"أيها النائب لوني، إلى من كان ينظر السيد هيلي أثناء إطلاق النار؟".

"أعتقد أنّه كان ينظر إلى الشابين".

"هل نظر إليك؟".

"لم أتبادل النظرات معه حيث كنت أركض في الاتجاه المعاكس".

"إذًا، هو لم يوجه البندقية باتجاهك؟".

"لا أبدًا، لقد وجهها باتجاه الشابين وأصابهما".

"ماذا كان يفعل أثناء إطلاق للنار؟".

"لقد صرخ وضحك وكأنه مجنون؛ كان هذا أغرب شيء سمعته، حيث بدا وكأنه مختل أو ما شابه، وفي ظل كل تلك الضجة وإطلاق النار وارتداد الطلقات وصراخ الشابين عندما أصيبا، سأتذكر شيئًا واحدًا وهو ضحكته المجنونة".

كان الجواب ممتازًا، واضطر جايك أن يكبح ابتسامته؛ كان قد تدرب عليه هو ولوني عدة مرات وكان رائعًا حقًا. وكانت كل كلمة منه مثالية. تفحص جايك مستنده القانوني ونظر إلى المحلفين؛ كان الجميع يحملقون إلى لوني بدهشة، فتظاهر جايك بكتابة الملاحظات كي يكسب عدة ثوانٍ قبل أن يطرح أهم سؤال في كل المحاكمة.

"إن كارل لي هيلي أصابك في ساقك، أليس كذلك أيها النائب لوني؟".

"أجل، لقد فعل هذا يا سيدي".

"هل تظن أنّه تعمد إصابتك؟".

"لا أبدًا يا سيدي، كان ذلك حادثًا".

"هل تريد أن تدينه لأنه أصابك؟".

"لا سيدي، ليس لدي أية ضغينة تجاه الرجل. لقد فعل ما كنت سأفعله".

أوقع باكلي قلمه، وغاص في كرسيه ناظرًا بأسى إلى شاهده الرئيسي.

"ماذا تقصد بهذا؟".

"أقصد أنني لا ألومه على ما فعله؛ اغتصب الشابان طفلته الصغيرة؛ أنا لديّ طفلة صغيرة وإذا اغتصبها أحد فسيصبح في عداد الأموات. سأقتله كما فعل كارل لي. يجب أن نعطي كارل لي جائزة".

"هل تريد أن يدين المحلفون كارل لي؟".

قفز باكلي وصرخ: "اعتراض، اعتراض، سؤال غير مقبول".

صرخ لوني: "لا، لا أريد أن يدان، إنّه بطل، هو...".

قال نووز بصوت مرتفع: "لا تجب يا سيد لوني، لا تجب عن السؤال".

وقف باكلي على رؤوس أصابعه وقال: "اعتراض، اعتراض".

صرخ لوني على باكلي: "إنه بطل، أعيدوه إلى منزله".

ضرب نووز بمطرقته وقال: "ليسُدِ النظام، ليسُدِ النظام".

صمت باكلي ولوني، ومشى جايك إلى كرسيه وقال: "سوف أسحب سؤالي".

قال نووز لهيئة المحلفين: "أرجوكم تجاهلوا السؤال".

ابتسم لوني لهيئة المحلفين، وعرج أثناء خروجه من قاعة المحكمة.

أزال نووز نظارته وقال: "استدعِ شاهدك التالي".

قال باكلي بشكل درامي: "لقد انتهت الولاية من مرافعة قضيتها يا حضرة القاضي".

نظر نووز لجايك وقال: "حسنًا. أعتقد أنك ستقدم التماسًا أو اثنين يا سيد بريغانس، أليس كذلك؟".

"أجل يا حضرة القاضي".

"حسنًا، سوف نناقشهما في مكتب المحكمة".

سمح نووز للمحلفين بالذهاب، وأملى عليهم الملاحظات المعهودة، ورفع الجلسة إلى صباح يوم الجمعة.

37

استيقظ جايك، وشعر بصداع خفيف بسبب التعب وبيرة الكورس، لقد سمع جرس منزله يرن باستمرار وكأنه عالق. كان يرتدي لباس النوم عندما فتح الباب الأمامي؛ حاول أن يميز الشخصين اللذين كانا يقفان على شرفته، فميزهما أخيرًا وكانا أوزي ونسبيت.

فتح جايك الباب الرئيسي وسألهما: "هل يمكنني مساعدتكما؟".

لحقا به إلى غرفة الجلوس.

قال أوزي: "يريدون قتلك اليوم".

جلس جايك على الأريكة ودلك جبينه.

"وربما يستطيعون النيل منك وتحقيق غايتهم".

"إن هذا أمر جدي يا جايك؛ إنّهم يخططون لقتلك".

"من؟".

"أعضاء منظمة كو كلوكس كلان".

"ميكي ماوس مجددًا؟".

"أجل. لقد اتصل بي وقال لي إن هناك خطبًا ما، ثم عاود الاتصال بي منذ ساعتين، وقال لي إنك الرجل المحظوظ، واليوم هو اليوم الموعود، وموعد حدوث بعض الإثارة. سيدفن ستامب سيسون هذا الصباح، وحان وقت تطبيق قاعدة العين بالعين والسن بالسن".

"ولماذا سيقتلونني أنا؟ لماذا لا يقتلون باكلي أو نووز أو أناسًا يستحقون الموت أكثر مني؟".

"لم تسمح لنا الفرصة لنتكلم عن هذا".

شعر جايك بالخجل فجأة لأنه كان يرتدي لباس نومه وسأل: "كيف سيقتلونني؟".

"لم يخبرني".

"هل يعلم؟".

"إنه ليس على دراية بكل التفاصيل؛ قال لي فقط إنّهم سيحاولون قتلك اليوم".

"وماذا يفترض بي أن أفعل؟ أن أستسلم؟".

"متى ستذهب إلى المكتب؟".

"كم الساعة الآن؟".

"الخامسة تقريبًا".

"سأذهب بمجرد أن أستحم وأرتدي ملابسي".

"سننتظرك".

رافقاه بسرعة إلى مكتبه، وأقفلا الباب عند الساعة الخامسة والنصف، واجتمعت فرقة من الحرس الوطني على الرصيف تحت الشرفة وانتظرت الهدف، وراقب هاري ريكس وإيلين العملية من طابق المحكمة الثاني.

أحاط أوزي ونسبيت بجايك واتجهوا ثلاثتهم عبر شارع واشنطن إلى المحكمة؛ لقد شك الصحفيون بحدوث شيء فأحاطوا بهم.

تقع الطاحونة المهجورة في وسط سفح أعلى هضبة في كلانتون، وقرب السكك الحديدية غير المستخدمة؛ كانت تلك الهضبة تقع على بعد جادتين من الميدان، وهناك شارع معبد ويتقاطع

مع شارع سيدار وبعدها يكمل إلى الأسفل بانحدار خفيف إلى أن يندمج مع شارع كوينسي الذي يحد ميدان كلانتون من الشرق.

كان لموقع القناص في تلك الصومعة المهجورة إطلالة مثالية جانب المحكمة؛ جلس القناص القرفصاء في الظلام، ووجه سلاحه من فتحة صغيرة، وكان على ثقة تامة بأنه لن يكتشف، وقد ساعدته الويسكي في زيادة ثقته بنفسه، وثبات يده كما كان قد تدرب على التوجيه من الساعة السابعة والنصف ولغاية الساعة الثامنة حين رأى حركة في مكتب محامي الزنجي.

انتظر زميله في سيارة أخفيت في مستودع مهجور جانب الصومعة، وكان المحرك قيد العمل وكان السائق يدخن سجائر لاكي سترايك، وانتظر بتوتر أن يسمع إطلاق النار من بندقية القنص.

زاد قلق القناص عندما عبرت قوات الحرس شارع واشنطن، ولم يكن رأس محامي الزنجي واضحًا تمامًا من زاويته حيث كان محاطًا بالعديد من الجنود والصحفيين؛ لقد حفزته الويسكي على تحقيق بعض الإثارة، فتمالك نفسه وضغط على الزناد عندما وصل الهدف إلى باب المحكمة الجانبي.

كان صوت طلقة بندقية القنص واضحًا.

انبطح بعض الجنود أرضًا، وأمسك بعضهم الآخر بجايك ووضعوه تحت الشرفة، وصرخ حارس بألم. انبطح المراسلون والصحفيون أرضًا، ولكنهم لم يوقفوا كاميراتهم عن العمل بهدف تسجيل الاعتداء. أمسك الجندي عنقه ثمّ صرخ مجددًا؛ طلقة أخرى، وتلتها طلقة أخرى مجددًا.

صرخ أحد ما: "لقد أصيب"، فتوجه الجنود لنجدة زميلهم، وهرب جايك من الباب إلى داخل المحكمة الآمنة.

جلس على الأرض بجانب الباب الجانبي، ووضع رأسه بين يديه.

نزل القناص من الصومعة، وألقى بندقيته في المقعد الخلفي، واختفى هو وصديقه في الريف؛ كان لديهما جنازة في جنوب ميسيسيبي.

اخترق الجنود المراسلين وصرخ أحدهم: "لقد أصيب في عنقه"، ثمّ حملوه ووضعوه في سيارة جيب.

سأل جايك دون أن يبعد يديه عن وجهه: "من الذي أصيب؟".

قال أوزي: "أحد رجال الحرس الوطني. هل أنت بخير؟".

وضع جايك يديه وراء رأسه ونظر إلى الأرض ثمّ قال: "أظن ذلك. أين حقيبتي؟".

قال أوزي: "إنها قرب المرأب؛ سنحضرها لك في غضون دقائق". أمسك أوزي جهاز الإرسال وقال للمرسل للمتلقي أن يجمع الرجال في المحكمة، وعندما بدا لهم أن إطلاق النار قد توقف انضم أوزي إلى الجنود في الخارج. وقف نسبيت بجانب جايك وسأله: "هل أنت بخير؟".

التف الكولونيل عند الزاوية وكان يصرخ ويتوعد.

سأل بغضب: "ماذا حصل بحق الجحيم؟ لقد سمعت إطلاق نار".

"أصيب ماكينفيل".

قال الكولونيل: "أين هو الآن؟".

أشار رقيب إلى سيارة الجيب المسرعة وأجاب: "أخذوه إلى المستشفى".

"ما مدى خطورة الجرح؟".

"بدا خطيرًا للغاية؛ أصابوه في عنقه".

"في عنقه؟ ولِمَ حركوه من مكانه؟".

لم يجبه أحد.

قال الكولونيل: "لم ير أحدكم شيئًا؟".

نظر أوزي من شارع سيدار إلى الهضبة وقال: "كأن الصوت قد صدر من أعلى الهضبة. لِمَ لا ترسل سيارة لتفحص المكان؟".

بدأ الكولونيل بإملاء الأوامر الصارمة على جنوده المحمسين وتكلم بالعامية وبلغة بذيئة.

انتشر الجنود في جميع الاتجاهات، واستعدوا للقتال والبحث عن قناص لا يمكنهم التعرف إليه؛ ذلك القناص الذي قد غادر الصومعة التي بحث فيها الجنود وأصبح في المقاطعة المجاورة.

وضع أوزي الحقيبة بجانب جايك ثمّ همس لنسبيت: "هل هو على ما يرام؟"، وقف هاري ريكس وإيلين على الدرج الذي وقع منه كوب وويلارد.

قال نسبيت: "لا أدري؛ لم يتحرك من مكانه منذ عشر دقائق".

سأل المأمور: "هل أنت بخير يا جايك؟".

أجاب جايك ببطء دون أن يفتح عينيه: "أجل".

كان الجندي يقف يمين جايك تمامًا وكان قد قال له: "إن هذا الأمر سخيف جدًا أليس كذلك؟"، ثمّ اخترقت رصاصة عنقه، تهاوى الجندي إثر إصابته نحو جايك، وأمسك الجندي بعنقه، وبصق دمًا وصرخ بأعلى صوت.

سقط جايك وأخذ إلى مكان آمن.

سأل جايك: "لقد مات، أليس كذلك؟".

أجاب أوزي: "لا نعرف وضعه. إنّه في المستشفى".

"إنه ميت. أنا متأكد من هذا. لقد سمعت انفجار عنقه".

نظر أوزي إلى نسبيت ثمّ إلى هاري ريكس؛ كانت قد تناثرت بعض قطرات الدم على بذلة جايك الرمادية؛

لم يرها جايك حتى هذه اللحظة، ولكنها كانت ظاهرة للجميع.

قال أوزي: "هناك بعض الدم على بذلتك يا جايك. هيا نذهب إلى المكتب كي ترتدي ثيابًا نظيفة".

حملق جايك في الأرض وهمس لها: "وما أهمية هذا؟".

وقفت ديل والآخرون من مقهى الكوفي شوب على الرصيف، وراقبوا كيف أُخرج جايك من المحكمة. أخذ جايك إلى مكتبه، وتجاهل الجميع سخافات الصحفيين، وأقفل هاري ريكس الباب وظل الحارسان الشخصيان على الرصيف. صعد جايك إلى الأعلى ونزع سترته.

قال هاري ريكس: "لِمَ لا تعدين بعض المارغريتا يا رو آرك. سوف أصعد للطابق العلوي وأبقى معه".

قال أوزي بعد أن أفرغ نووز حقيبته ونزع سترته: "لقد حظينا ببعض الإثارة يا حضرة القاضي".

"ماذا حصل؟".

"حاولوا قتل جايك صباح هذا اليوم".

"ماذا؟".

قال باكلي: "متى؟".

"منذ ساعة تقريبًا؛ أطلق أحدهم النار على جايك عندما كان يتجه نحو المحكمة، لقد استخدم بندقية قنص من مسافة بعيدة؛ ليست لدينا أية فكرة عن الفاعل. لقد أخطأ هدفه وأصاب أحد رجال الحرس الوطني. إن الحارس في غرفة العمليات الآن".

سأل القاضي: "وأين جايك الآن؟".

"إنه في مكتبه وهو خائف جدًا".

قال نووز بتعاطف: "كنت سأخاف أنا أيضًا".

"أراد أن يتصل بك عندما تصل إلى هنا".

"بالطبع"، اتصل أوزي بالرقم وأعطى الهاتف لنووز.

"مرحبًا".

"هل أنت على ما يرام يا جايك؟"

"لا لست على ما يرام. لن أحضر اليوم".

تردد نووز ثمّ قال: "ماذا؟".

"لقد قلت إنني غير قادر على الذهاب إلى المحكمة اليوم".

"وماذا عن سير القضية؟".

كان جايك يشرب كوبه الثاني من المارغريتا وقال: "لا يهمني الأمر".

"أستميحك عذرًا؟".

"قلت لك إن الأمر لا يهمني يا حضرة القاضي؛ لا أكترث بما ستفعله؛ لن أحضر اليوم".

أدار نووز رأسه ونظر إلى السماعة.

سأل بتعاطف: "هل تأذيت؟".

"هل سبق أن تعرضت لإطلاق نار يا حضرة القاضي؟".

"كلا يا جايك".

"هل سبق أن رأيت رجلًا أصيب بطلق ناري؟ هل سمعته يصرخ؟".

"كلا يا جايك".

"هل سبق أن تناثرت قطرات دم شخص ما على بذلتك؟".

"كلا يا جايك".

"لن أحضر اليوم".

فكر نووز بعمق وقال: "تعالَ يا جايك ولنتباحث في الأمر".

"لا، لن أغادر مكتبي. إن الوضع خطير".

"لنفترض أننا أخذنا استراحة لغاية الساعة الواحدة، فهل ستكون قد تمالكت نفسك بحلول ذلك الوقت؟".

"سأكون ثملًا".

غطى هاري ريكس عينيه، وذهبت إيلين إلى المطبخ.

قال نووز بحزم: "وباعتقادك، متى ستزول عنك آثار الثمالة؟"، تبادل أوزي وباكلي النظرات.

"يوم الاثنين".

"وما رأيك في الغد؟".

"الغد هو يوم السبت".

"أجل، لقد خططت أن أعقد جلسة يوم غد. لدينا محلفون محجوزون أليس كذلك؟".

"حسنًا، سأكون مستعدًا في الصباح".

"من الجيد سماع هذا. ماذا سأقول للمحلفين الآن؟ إنّهم ينتظروننا في غرفة المحلفين، وقاعة المحكمة ممتلئة، كما أن موكلك يجلس وحده وينتظرك. ماذا سأقول لهذا الحشد؟".

قال جايك: "سوف تتعامل مع الأمر بحرفية. أنا أثق بك"، ثمّ أنهى المكالمة.

جلس نووز مذهولًا، وحاول أن يستوعب فكرة أن جايك أغلق الخط في وجهه، وبعد هذا أعطى السماعة لأوزي.

نظر القاضي عبر النافذة وأزال نظارته وقال: "يقول إنّه لن يحضر اليوم".

لم يتفوه باكلي بكلمة على غير عادته.

دافع أوزي عن جايك: "لقد هزه الأمر فعلًا يا حضرة القاضي".

"هل كان يشرب الكحول؟".

أجاب أوزي: "لا، لن يفعلها جايك، إنّه حزين على الجندي المصاب. لقد كان بجوار جايك تمامًا وتلقى الطلقة التي استهدفته. إن هذا الموقف سيؤلم أي شخص".

قال نووز لباكلي: "يريد أن نأخذ استراحة حتى يوم غد"، هز باكلي كتفيه ولم يقل شيئًا.

عندما انتشر الخبر، تجمع حشد كبير على الرصيف أمام مكتب جايك، وخيّم الصحفيون بجانب المكتب، وتهافتوا على النوافذ يبحثون عن أي شخص أو أي شيء قيم لمقالاتهم في الداخل. ذهب أصدقاء ليطمئنوا على جايك، وأعلمهم الصحفيون أنّه أقفل على نفسه ولن يخرج من مكتبه. أجل، ومؤكد أنّه لم يصب بأذى.

كان مخططًا للدكتور باس أن يقدم إفادته يوم الجمعة.

بعد الساعة العاشرة ببضع دقائق، دخل مع لوسيان إلى المكتب عبر الباب الجانبي، وتوجّه هاري ريكس إلى متجر المشروبات الكحولية.

كان الحديث مع كارلا صعبًا إذ أجهشت بالبكاء؛ اتصل بها بعد ثلاثة أكواب ولم تجرِ الأمور على ما يرام.

تكلم مع أبيها وأخبره أنّه آمن وبخير وأن نصف حرس ميسيسيبي الوطني عُيّنوا لحمايته، وطلب منه أن يهدئ من روعها، وأنه سيتصل بها لاحقًا.

كان لوسيان غاضبًا جدًا؛ لقد عانى مع باس كي لا يتمادى في الشرب ليلة الخميس حتى يتمكن من الشهادة يوم الجمعة. وبعد تأجيل المحكمة ليوم السبت، لن يستطيع لوسيان أن يبقي باس صاحيًا لمدة يومين على التوالي. لقد فكر في كل المشروبات التي لم يحتسياها ليلة الخميس؛ كان غاضبًا حقًا.

عاد هاري ريكس ومعه غالونًا من المشروبات الكحولية، فقام وإيلين بإعداد المشروبات واختلفا على المكونات.

غسلت دورق القهوة وملأته بخليط مشروب بلودي ماري والقليل من فودكا سويديش، وأضاف هاري ريكس كمية كبيرة من التاباسكو، ثم وضع الشراب في غرفة الاجتماعات وتولى السكب.

شرب الدكتور باس بكثرة، وظل يطلب المزيد. تناقش لوسيان وهاري ريكس في الاحتمالات المرجحة عن هوية القناص، وبصمت، راقبت إيلين جايك الذي كان يجلس في الزاوية، وينظر إلى رفوف الكتب.

رن الهاتف، فرفع هاري ريكس السماعة، وأنصت بصمت ثمّ أغلقها وقال: "إنّه أوزي، لقد خرج الجندي من العملية. استقرت الطلقة في نخاعه الشوكي ويعتقدون أنّه سيشلّ".

لقد شرب الجميع معًا، ولم ينبسوا ببنت شفة؛ لقد حاولوا جاهدين أن يتجاهلوا جايك الذي دلك جبينه بيده، واحتسى شرابه باليد الأخرى. قاطع قرع خفيف للباب الجانبي لحظة تقدير تضحيات الجندي.

قال لوسيان لإيلين: "اذهبي وتحققي من الزائر".

أخبرت إيلين الموجودين في غرفة الاجتماعات: "إنه ليستر هيلي".

تمتم جايك بشكل غير مفهوم: "اسمحي له بالدخول".

تم تعريف ليستر إلى الموجودين وقدم له كأسًا من البلودي ميري، فرفض ليستر المشروب وطلب مشروبًا يحتوي على الويسكي.

قال لوسيان: "فكرة سديدة، لقد سئمت من المشروبات الخفيفة، دعنا نشترِ زجاجة جاك دانييل".

قال باس وهو ينهي كأسه: "هذا ممتاز".

ابتسم جايك قليلًا لليستر، ثمّ عاود النظر إلى رفوف الكتب. ألقى لوسيان مئة دولار على الطاولة وذهب هاري ريكس إلى متجر المشروبات الروحية.

عندما استيقظت إيلين بعد عدة ساعات، كانت على أريكة في مكتب جايك؛ كانت الغرفة فارغة ومظلمة وتعبق في أرجائها رائحة لاذعة، فتحركت إيلين بحذر.

وجدت رئيسها يشخر بسلام على أرض غرفة الحرب كما يُطلق عليها، ولم يكن أيّ مصباح منارًا لتطفئه، لذا نزلت الدرج بهدوء متوجّهة إلى غرفة الاجتماعات التي كانت مليئة بزجاجات فارغة، وكؤوس بلاستيكية، وعلب بيرة فارغة، وأغلفة طعام؛ كانت الساعة تشير حينها إلى التاسعة والنصف مساء؛ لقد نامت خمس ساعات.

كان يمكنها أن تبيت عند لوسيان، ولكنها احتاجت أن تغير ثيابها، ومن الممكن أن يوصلها صديقها نسبيت إلى أوكسفورد، ولكنها لم تكن ثملة، بالإضافة إلى أن جايك يحتاج إلى أكبر قدر من الحماية. أقفلت الباب الأمامي، ومشت إلى سيارتها.

كانت إيلين ستصل إلى أوكسفورد حين رأت سيارة ذات ضوء أزرق تلحق بها؛ كانت تقود بسرعة خمسة وسبعين ميلًا، فركنت سيارتها، ووقفت قرب الصندوق لتبحث عن حقيبتها، وانتظرت شرطي الولاية.

اقترب رجلان يرتديان ثيابًا مدنية وعبرا الضوء الأزرق، فقال أحدهما وبيده سيجارة: "هل أنت ثملة يا سيدتي؟".

"لا يا سيدي، أنا أحاول أن أعثر على رخصتي".

انحنت قليلًا وهي تبحث عن رخصتها، وفجأة ضُرِبَت، ووقعت على الأرض، ثمّ وضع عليها الرجلان غطاء وحجزوها، وبعد ذلك ربطوها بحبل. لقد صرخت، وركلت الغطاء بقدميها، ولكن من دون جدوى.

حجب الغطاء رأس إيلين وحجز يديها، وأحكم الرجلان الوثاق عليها.

"لا تتحركي أيتها الوضيعة، لا تتحركي".

أخذ أحدهما مفتاحها، وفتح الصندوق الخلفيّ، ثم ألقيا بها داخله وأغلقاه؛ أزيل الضوء الأزرق عن سيارة اللينكولن القديمة، وانطلقت ثمّ لحقت بها سيارة البي أم دبليو.

لقد وجدا طريقًا مرصوفًا بالحصى ومشيا عليه باتجاه الغابة، وتحول الطريق إلى طريق ترابي يؤدي إلى مرج كان يُحرَق فيه صليب من قبل عدة أعضاء من منظمة كو كلوكس كلان.

ارتدى الخاطفان رداءيهما الأبيضين بسرعة، وأخرجاها من صندوق السيارة.

حجزاها وكمّماها ثمّ أخذاها نحو عمود ضخم يبعد عدة أقدام عن الصليب المحترق، ثم قيداها إلى ذلك العمود وجعلا ظهرها إلى الأعضاء ووجهها نحو العمود.

رأت إيلين الأردية البيضاء والقبعات المدببة، وحاولت أن تبصق الخرقة القطنية التي وضعها الرجلان في فمها، لكنها لم تتمكن سوى من الاختناق والسعال.

أضاء الصليب المحترق المرج الصغير، ونشر حرارة حارقة بدأت تصيبها، فنازعت على العمود وصرخت بشدة.

انفصل رجل مقنّع عن الحشد واقترب منها، واستطاعت أن تسمعه حين مشى وتنفس، ثم قال لها بتفاخر وبلهجة أهل الغرب: "أيتها الوضيعة التي تفضل السود"؛ أمسك بياقة سترتها ومزقها إلى أن كشفت رقبتها وكتفيها. كانت يداها مقيدتين بإحكام حول العمود، فأمسك الرجل بسكين ومزق ما تبقى من سترتها وردد: "أيتها الوضيعة التي تفضل السود، أيتها الوضيعة التي تفضل السود".

شتمته إيلين، ولكن كلماتها كانت غير مفهومة.

فتح الرجل سحاب تنورتها الزرقاء الجانبي.

ضربها على مؤخرتها وقال: "رائعة، إنّها حقًا رائعة"، ثمّ تراجع ليُقدّر تحفته الفنية. حاولت إيلين الإفلات والصراخ، ولكنها لم تنجح في ذلك. هوت التنورة إلى منتصف فخذيها، أزالها تمامًا ورماها نحو الصليب المحترق، ثم قطع حمّالتي صدريتها وأزالها، فارتعدت وتعالى صوتها. اقترب الحشد الصامت وتوقف على بعد عشر أقدام.

اشتد لهيب النار، وتعرقت إيلين كثيرًا؛ كان شعرها الأحمر مبتلًا؛ أخرج سوطًا من ردائه وضربه على جانبها فارتجفت خوفًا.

تراجع قليلًا ليعاين المسافة المناسبة بينه وبين العمود، وبعد هذا جلد ظهر إيلين العاري بالسوط، ثم تقدم أطول رجل في الحشد وأدار ظهره إليها، أشاح بوجهه ولم يقل شيئًا؛ كان الجَلد قد توقف.

مشى باتجاهها، وأمسك برأسها، وقص شعرها بسكينه.

واستمر في القص إلى أن شوّهها، وتكدس شعرها الناعم عند قدميه، فصرخت إيلين ولم تتحرك.

عاد الحشد إلى سياراتهم بعد أن رموا غالونًا من البنزين على سيارة البي أم دبليو وأشعلوها.

ظهر ميكي ماوس من مخبئه بين الشجيرات عندما تأكد من ذهابهم، ففك أسرها، وأخذها إلى منطقة بعيدة عن المرج. جمع ثيابها الممزقة، وحاول أن يغطيها، ثم تركها عندما احترقت سيارتها تمامًا وذهب إلى أوكسفورد، وبعد ذلك اتصل عبر هاتف عمومي بمأمور مقاطعة لافاييت.

38

لم تكن محكمة يوم السبت اعتياديةً، ولم تكن شيئًا غير مسبوق أيضًا، خصوصًا في القضايا الكبرى حيث تنجز هيئة المحلفين عملها خلف أبواب موصده، ولا يمانع المشتركون فيها ذلك، حيث إنّه يُقرِّب موعد انتهاء القضية يومًا عوضًا عن أخذه كعطلة.

لا يمانع السكان ذلك، فهو يوم عطلتهم، وربما هذه الفرصة الوحيدة لسكان مقاطعة فورد لحضور محكمة؛ قد يتسكعون حول الساحة إن لم يتمكنوا من إيجاد مكان يتيح لهم رؤية جيدة، فمن يدري؟ قد يحدث المزيد من إطلاق النار.

عند الساعة السابعة، امتلأت مقاهي المدينة عن آخرها بزبائن غير اعتياديين، ومقابل كل زبون تمكن من الحصول على كرسي، رُفض دخول اثنان لامتلاء المكان، وتُرك ليجد مكانًا آخر للجلوس فيه حول الساحة أو المحكمة. توقف معظمهم للحظة أمام مكتب المحامي محاولين استراق نظرة، وفي الطابق الأعلى منه مباشرة، جلس المحامي على مقعده، يعاني من الصداع بسبب احتفاله الصاخب الليلة السابقة.

كان يدخن سيجارًا من ماركة روي تان، ويتناول دواءً مهدئًا للصداع، ويفرك رأسه ويقول لنفسه: انسَ أمر الجندي، هذا ما كان عليه الحال منذ ثلاث ساعات، ثم تمتم كمن يصلي قائلًا: انسَ أمر الكو كلاكس كلان، انسَ التهديدات، انسَ كل شيء ما عدا المحاكمة، وعلى وجه التحديد الطبيب باس. هناك شيء مثير للشك حول كون باس يبدو صاحيًا رزينًا في منصة الشهود، فقد قضى فترة بعد الظهر يحتسي الشراب مع لوسيان، واتهما بعضهما بالثمالة وبأنهما سيطردان من عمليهما. اندلع شجار قصير بينهما عند طاولة إثيل وهما يهمان بالرحيل، ولكن نسبيت تدخل واصطحبهما إلى سيارة الدورية ليأخذهما إلى منزليهما، فشعر الصحفيون بالفضول حين رأوا

النائب يصطحب الثملَين من مكتب جايك، ويدخلهما السيارة، حيث استمرا في الجدال، وتبادل الشتائم، لوسيان في المقعد الخلفي، وباس في المقعد الأمامي بجانب السائق.

استعرض فكرة إيلين الذهبية والتي تتحدث عن حكم الاختلال العقلي في القانون؛ لقد احتاج مخطط الأسئلة الذي أعدته إيلين للطبيب باس إلى تغييرات طفيفة فقط، حيث درس ملفه الخاص الملفّق، وعلى الرغم من عدم إعجابه به، إلّا أنّه سيكون كافيًا لمقاطعة فورد، حيث إن أقرب طبيب نفسي يقع على بعد ثمانين ميلًا مما يستبعد إمكانية استدعائه.

ألقى القاضي نووز نظرة خاطفة على محامي المقاطعة، ونظر بتعاطف إلى جايك الذي جلس بجانب الباب يشاهد الصورة الباهتة لقاضٍ ما معلقة بجانب كتف باكلي.

سأله القاضي: "كيف تشعر هذا الصباح يا جايك؟".

أجاب جايك: "أنا بخير".

سأل باكلي: "كيف حال الجندي؟".

أجاب جايك: "مشلول".

نظر القاضي نووز وباكلي وموسغروف والسيد بات إلى الأرض، وهزوا رؤوسهم بهدوء واحترام.

سأل نووز وهو ينظر إلى الساعة على الحائط: "أين شاهدك؟".

نظر جايك إلى ساعته وقال: "لا أدري، أتوقع قدومه الآن".

"هل أنت جاهز؟".

"بالتأكيد".

"هل قاعة المحكمة جاهزة يا سيد بات؟".

"نعم يا سيدي".

"ممتاز، هيا بنا إذن".

جلس نووز في قاعة المحكمة، واعتذر للمحلفين على مدى عشر دقائق عن التأخير، إنّهم الأشخاص الوحيدون في المقاطعة الذين لم يعرفوا ما حدث صباح الجمعة، وسيكون من المجحف إخبارهم. تحدث نووز عن حالات الطوارئ، وكيف تتآمر الظروف أحيانًا أثناء المحاكمات لإحداث تأخيرات غير مستحبة، وعندما أنهى القاضي حديثه، كان المحلفون في حيرة من أمرهم تمامًا، وصلوا ليستدعي أحدهم شاهدًا لكي تبدأ الجلسة.

نظر القاضي نووز إلى جايك وقال: "يمكنك استدعاء شاهدك الأول".

أعلن جايك عن شاهده أثناء انتقاله إلى المنصة: "الطبيب باس"، وتبادل باكلي وموسغروف الغمزات والابتسامات عديمة المعنى.

جلس باس إلى جانب لوسيان في الصف الثاني بين أفراد العائلة، وقف بصخب وشق طريقه إلى الممر الأوسط، مشى بتعجرف بعض الشيء، وحمل حقيبته الجلدية الفارغة، فسمع جايك الضجة خلفه، وواصل الابتسام لهيئة المحلفين.

أدى باس اليمين بسرعة، ثمّ اصطحبه السيد بات إلى منصة الشهود، وأعطاه التعليمات المعتادة للتحدث واستخدام الميكروفون.

على الرغم من خزيه ومن ثمالته، إلّا أنّه بدا متعجرفًا وصاحيًا بشكل ملحوظ.

ارتدى أغلى بذلة رمادية لديه، والتي فُصِّلت خصيصًا له، كانت أزرارها ناصعة البياض، وربطة عنقه حمراء لطيفة جعلته يظهر صاحيًا وواعيًا بالفعل؛ لقد ظهر أنّه خبير حقًا؛ وانتعل بالرغم من اعتراضات جايك، حذاء رعاة البقر، المصنوع من جلد النعام الرمادي، الذي اشتراه بأكثر من ألف دولار، ولم ينتعله أكثر من اثنتي عشرة مرة. أصر لوسيان على الحذاء قبل أحد عشر عامًا حين قدم باس للمرة الأولى للشهادة في المحكمة بخصوص مسألة اختلال عقلي، وانتعله مرة أخرى في شهادته الثانية، عندما استعان به لوسيان مرة أخرى؛ لقد أطلق لوسيان على الحذاء اس تعويذة الحظ السعيد للطبيب باس.

لم يرد جايك أن يكون للأحذية دور في القصة، لكن لوسيان قال إن هيئة المحلفين يمكن أن تأخذه بعين الاعتبار، فهو مصنوع من جلد النعام الغالي. اعترض جايك على ذلك، ولكن لوسيان أخبره أنّهم أغبى من أن يدركوا الفرق. لا يمكن لجايك أن يغير رأيه، ولكن لوسيان أوضح أن القرويين يزداد تعاطفهم حين يرون شخصًا ينتعل هذه الأحذية، فقال له جايك: "حسنًا، دعه ينتعل

أحد أحذية صيد السنجاب المموهة بالقليل من الطين على الكعبين والنعل، حذاء يمكنهم أن يتعاطفوا مع من ينتعله، فحذاء جلد النعام لا يناسب بذلته".

جلس باس، ووضع ساقًا على أخرى ووضع فردة الحذاء اليمنى على ركبته اليسرى بتفاخر، ثمّ ابتسم ابتسامة عريضة موجهة لهيئة المحلفين.

نظر جايك إلى المنصة، ورأى الحذاء الذي كان واضحًا فوق سياج الشاهد، ووجد أن باس معجب به، والمحلفون يفكرون فيه، فتضايق وعاد إلى ملاحظاته.

جايك: "اذكر اسمك من فضلك".

تحول انتباهه فجأة عن الحذاء، ثمّ نظر إلى جايك نظرة غامضة ثمّ أجاب: "الطبيب دبليو تي باس".

"ما هو عنوانك؟".

"908 ويست كانتربري، جاكسون، ميسيسيبي".

"ما هي مهنتك؟".

"أنا طبيب".

"هل لديك رخصة لمزاولة المهنة في ولاية ميسيسيبي؟".

"نعم".

"متى صدر ترخيصك؟".

"8 شباط 1963".

"هل لديك رخصة لمزاولة الطب في ولاية أخرى؟".

"نعم".

"أين؟".

"ولاية تكساس".

"متى حصلت على هذا الترخيص؟".

"3 تشرين الأول 1962".

"من أي كلية تخرجت؟".

"حصلت على درجة البكالوريوس من كلية ميلسابس في العام 1956، وحصلت على درجة الدكتوراه في الطب من مركز العلوم الصحية بجامعة تكساس في مدينة دالاس ولاية تكساس عام 1960".

"هل هذه كلية طب معتمدة؟".

"نعم".

"معتمدة من قبل من؟".

‘‘من قبل مجلس التعليم الطبي والمستشفيات التابعة للجمعية الطبية الأمريكية، والتي هي وكالة الاعتماد المعروفة لمهنتنا، ومن قبل السلطة التعليمية لولاية تكساس".

استرخى باس قليلًا، ثم أنزل ساقه، وأعاد رفعها مرة أخرى، وعرض فردة الحذاء اليسرى، هزّ مقعده وأداره جزئيًا تجاه هيئة المحلفين.

سأل جايك: "أين تدربت؟ وما هي فترة تدريبك؟".

أجاب باس: "بعد التخرج من كلية الطب، تدربت لاثني عشر شهرًا في مركز روكي ماونتن الطبي في مدينة دنفر".

"ما هو تخصصك الطبي؟".

"الطب النفسي".

"اشرح لنا ما يعنيه ذلك".

"الطب النفسي هو فرع من فروع الطب يُعنى في العادة بعلاج الاضطرابات العقلية، ولكن ليس دائمًا، فهو يُعنى بشكل مباشر بالخلل العقلي، ولكن أساس المشكلة العضوي غير معروف".

تنفس جايك الصعداء للمرة الأولى، منذ وطأت قدم باس المنصة، كان شاهده يبدو كما يجب له أن يكون، ثمّ قال وهو يسير على بعد قدم من مكان جلوس هيئة المحلفين:

"صف لهيئة المحلفين التدريب الذي تلقيته في مجال الطب النفسي".

أجاب باس: "استمر تدريبي التخصصي في الطب النفسي لعامين، كنت خلالهما طبيبًا مقيمًا في قسم الطب النفسي في مستشفى ولاية تكساس للأمراض العقلية، وهو مركز تدريب معتمد، وشاركت في العمل السريري مع مرضى الاضطرابات النفسية والذهنية، لقد درست علم النفس وعلم الأمراض النفسية، والعلاج النفسي والعلاجات الفيزيولوجية، وتضمن هذا التدريب، الذي أشرف عليه متخصصون، تعليمات في الجوانب النفسية العامة والجوانب السلوكية للأطفال والمراهقين والبالغين".

لا شك أن الأغلبية الساحقة من الحضور لم تفهم حرفًا ممّا قاله باس، ولكن لا بد وأنه الآن يبدو عبقريًا، وخبيرًا، ورجلًا يمتلك من الحكمة والذكاء ما يتيح له التحدث بهذه الطريقة، لقد أتاح له ما تقدم بالإضافة إلى هندامه، أن يحظى بالمصداقية مع كل جواب أجابه.

"هل أنت حاصل على دبلوم المجلس الأمريكي للطب النفسي؟".

أجاب بثقة: "بالطبع".

"في أي فرع أنت معتمد؟".

"أنا معتمد في الطب النفسي".

"ومتى حصلت على الشهادة؟".

"نيسان 1967".

"ما الذي يتطلبه الأمر لتصبح معتمدًا من قبل المجلس الأمريكي للطب النفسي؟".

"يجب على المرشح اجتياز الاختبارات الشفوية والعملية، بالإضافة إلى اختبار كتابي بتوجيه من مجلس الإدارة".

نظر جايك إلى ملاحظاته وانتبه أن موسغروف يتغامز مع باكلي.

"أيها الطبيب، هل أنت عضو في أي مجموعات مهنية؟".

"نعم".

"سمِّها من فضلك".

"أنا عضو في الجمعية الطبية الأمريكية، والجمعية الأمريكية للطب النفسي، ومنظمة ميسيسيبي ميديكال".

"منذ متى وأنت تمارس الطب النفسي؟".

"منذ اثنين وعشرين عامًا".

خطا جايك ثلاث خطوات باتجاه المقعد، ونظر إلى القاضي نووز الذي يراقب الأمر باهتمام وقال: "حضرة القاضي، الدفاع يقدم الطبيب باس بصفته خبيرًا في مجال الطب النفسي".

أجاب نووز: "حسنًا، هل ترغب في طرح الأسئلة على الشاهد يا سيد باكلي؟".

وقف المحامي العام حاملًا دفتر ملاحظاته: "نعم يا حضرة القاضي، سأطرح عليه بعض الأسئلة".

جلس جايك متفاجئًا، ولكنه لم يكن قلقًا، على المقعد المجاور لكارل لي؛ لم تكن إيلين قد وصلت إلى المحكمة حتى الآن.

سأل باكلي: "هل تعتقد أنك خبير في مجال الطب النفسي أيها الطبيب باس؟".

أجاب باس: "نعم".

سأله باكلي: "هل سبق لك أن قمت بتدريس الطب النفسي؟".

"كلا".

"هل سبق لك أن نشرت مقالات عن الطب النفسي؟".

"كلا".

"هل سبق لك أن نشرت أي كتب عن الطب النفسي؟".

"كلا".

"حسنًا، أعتقد أنك شهدت بأنك عضو في الجمعية الأمريكية للطب النفسي، وعضو في الرابطة الأمريكية للطب النفسي، أليس كذلك؟".

"نعم".

"هل سبق لك أن كنت موظفًا في أي من هذه المنظمات؟".

"كلا".

"ما هي المناصب التي تشغلها حاليًا في المستشفى؟".

"لا شيء".

هل تضمّنت خبرتك في الطب النفسي أي عمل تحت رعاية الحكومة الفيدرالية أو حكومة أي ولاية؟".

"كلا".

بدأت العجرفة بالتلاشي عن وجه باس شيئًا فشيئًا، والثقة تغادر صوته، وحين نظر إلى جايك وجده منهكًا بالبحث في ملف ما.

"أيها الطبيب، هل تمارس الطب النفسي في هذه الفترة بدوام كامل؟".

تردد باس وألقى نظرة خاطفة إلى لوسيان في الصف الثاني وقال: "إنني أعاين المرضى بشكل دوري".

ردّ باكلي بثقة كبيرة: "كم عدد المرضى الذين تعاينهم وماذا تقصد بشكل دوري؟".

"أرى من خمسة إلى عشرة مرضى في الأسبوع".

"أي بمعدل واحد أو اثنين في اليوم؟".

"أجل، يمكنك قول ذلك".

"وهل تعتبر هذه ممارسة بدوام كامل؟".

"أنا أعمل بالقدر الذي أريده".

ألقى باكلي دفتره على الطاولة، ونظر إلى نووز وقال: "حضرة القاضي، تعترض الولاية على اعتبار هذا الشاهد خبيرًا في الطب النفسي، فمن الواضح أنّه غير مؤهل على الإطلاق".

وقف جايك وفتح فمه بدهشة، ثمّ قال القاضي: "اعتراضك مرفوض يا سيد باكلي. يمكنك المتابعة يا سيد بريغانس".

جمع جايك أوراقه وعاد إلى المنصة، مدركًا تمامًا المأزق الذي وضع المحامي العام شاهده فيه، وبذلك تغير موقف باس تمامًا.

"أيها الطبيب باس، هل عاينت المدعى عليه، المدعو كارل لي هيلي؟".

"نعم".

"كم مرة؟".

"ثلاث مرات".

"متى كانت المرة الأولى التي عاينته فيها؟".

"10 حزيران".

"ما كانت الغاية من المعاينة؟".

"تحديد مدى سلامته العقلية، وكذلك الأمر في 20 تموز، عندما زعم بأنه أطلق النار على السيد كوب والسيد ويلارد".

"وأين حصلت المعاينة؟".

"في سجن مقاطعة فورد".

"هل عاينته بمفردك؟".

"نعم، كنت أنا والسيد هيلي وحدنا".

"كم استغرقت المعاينة؟".

"ثلاث ساعات".

"هل راجعت تاريخه الطبي؟".

"يمكنك قول ذلك؛ نعم، لقد تحدثنا بإسهاب عن ماضيه".

"وماذا عرفت عنه؟".

"لا شيء مميز، باستثناء الأمر المتعلق بفييتنام".

"ماذا عن فييتنام؟".

وضع باس يديه على بطنه المنتفخ، وعبس بذكاء في المحامي العام وقال: "كان مثل العديد من الجنود الذين عملت معهم وكانوا في فييتنام؛ حدث للسيد هيلي بعض الأمور المروعة هناك".

يعتقد كارل لي أن الحرب هي الجحيم، استمع كارل لي باهتمام، حيث كان لفييتنام آثار سيئة عليه، لقد أُطلق عليه النار، وفقد أصدقاء، وقد قتل أناسًا كثرًا، وكان من بينهم أطفال فييتناميون يحملون البنادق والقنابل اليدوية. كان الأمر سيئًا، وتمنى لو أن قدمه لم تطأ هناك، راودته عنها الأحلام، وعانى من ذكريات تلك الفترة ومن الكوابيس في بعض الأحيان، لكنه لم يشعر بالاختلال العقلي أو بالجنون بسبب ذلك، كما لم يشعر بالجنون بسبب كوب وويلارد، بل في الواقع، شعر بالرضا التام لموتهما، تمامًا مثل ما شعر تجاه موت الفييتناميين.

لقد شرح كل هذا للطبيب باس ذات مرة في السجن، وبدا باس غير متأثرٍ بحديثه، تحدثا مرتين فقط، ولم تستغرق محادثاتهم أكثر من ساعة.

نظر كارل لي إلى هيئة المحلفين، واستمع بريبة إلى الطبيب باس، الذي تحدث بإسهاب عن تجارب كارل لي المروعة في الحرب، كانت كلماته رنانة، ويزداد وقعها على المستمعين كلما زاد في حديثه عن آثار حرب فييتنام على كارل لي، حيث عانى الكوابيس على مر السنوات، ولكن ليست الكوابيس ما أثار قلقه، بل حديث الطبيب باس عنها، حيث أن كوابيسه تعد أحداثًا بالغة الأهمية.

"هل تحدث بطلاقة عن فييتنام؟".

أجاب باس: "ليس حقًا".

ثم شرح بالتفصيل صعوبة ما واجهه في إخراج الحرب من هذا العقل المعقد، المثقل، وربما غير المستقر لكارل لي، ولكن لم يتذكر كارل لي الأمر بهذه الطريقة.

لكنه استمع بإخلاص والألم بادٍ على وجهه، وتساءل للمرة الأولى في حياته عما إذا كان من الممكن أن يكون عقله غير سليم بعض الشيء.

بعد ساعة، كان شريط الحرب قد أعيد، بالتفاصيل تمامًا، لذلك قرر جايك المضي قدمًا، ثمّ قال وهو يحك رأسه: "والآن أيها الطبيب باس، وبعيدًا عن فييتنام، ما هي الأحداث المهمة الأخرى التي لاحظتها بخصوص تاريخه العقلي؟".

"لا شيء سوى أمر اغتصاب ابنته".

"هل ناقشت هذا الأمر مع كارل لي؟".

"بإسهاب خلال المعاينات الثلاث".

"اشرح لهيئة المحلفين الآثار النفسية لهذا الأمر على كارل لي هيلي".

وضع باس يده على ذقنه وقد بدا مرتبكًا، ثم قال: "بصراحة يا سيد بريغانس، سوف يستغرق شرح الأمر وآثاره على كارل وقتًا طويلًا".

فكّر جايك للحظة، وبدا أنّه يحلل بدقة هذه الجملة الأخيرة وقال: "حسنًا، هل يمكنك تلخيص ذلك لهيئة المحلفين؟".

أومأ باس بشكل حذر: "سأحاول".

مل لوسيان من الاستماع إلى باس، وبدأ يراقب هيئة المحلفين على أمل أن يتبادل النظرات والسيد كلايد سيسكو، الذي كان فقد الاهتمام بالحديث بدوره، ولكن بدا معجبًا بحذاء باس، راقب لوسيان كلايد سيسكو باهتمام بطرف عينه، منتظرًا أن يبدأ كلايد بالنظر حول قاعة المحكمة.

أخيرًا، بينما كان باس يتحدث، أبعد كلايد سيسكو عينيه عنه، ونظر إلى كارل لي، ثمّ إلى باكلي، ثمّ إلى أحد المراسلين الصحفيين في الصف الأمامي، ثمّ نظر إلى رجل عجوز متوقّد العينين أعطاه ثمانين ألف دولار نقدًا لأداء واجبه المدني بهيئة المحلفين والمشاركة بإصدار حكم عادل.

تبادلا النظرات، والابتسامات، كانت النظرة في عيني لوسيان كما لو أنّها تسأل كم الثمن؟، ثمّ عاود سيسكو التركيز على المحكمة، ولكن بعد ثوانٍ نظر إلى لوسيان ورآه يحرك شفتيه دون صوت وكأنه يتمتم كلمات كم الثمن؟

نظر سيسكو بعيدًا، وشاهد باس يفكر في سعر عادل ثمّ نظر إلى لوسيان، ثمّ حك لحيته وفجأة، وبينما كان ينظر إلى باس، أشار بخمسة أصابع على وجهه ثمّ سعل، ثمّ سعل مجددًا.

تساءل لوسيان في نفسه: هل يقصد خمسمئة أو خمسة آلاف؟

من يعرف سيسكو يعرف أن الرقم الذي يقصده هو خمسة آلاف، وربما خمسين ألفًا، ولكن ذلك غير ذي صلة حيث إن لوسيان سوف يدفعها، فالأمر بالنسبة إليه كان يساوي طنًا من الذهب.

بحلول الساعة العاشرة والنصف، كان نووز قد شرب عشرة فناجين من القهوة، وامتلأت مثانته، فقال: "حان وقت الاستراحة الصباحية، سنرفع الجلسة حتى الساعة الحادية عشرة"، فطرق بمطرقته، ثمّ نهض وغادر.

ذهب باس خلف جايك ولوسيان إلى مكتبة القانون في الطابق الثالث متّبعًا إياهما، وحين وصل سأل متوترًا: "كيف كان أدائي".

قال جايك: "جيد، ولكن كفّ عن إظهار حذائك".

احتج لوسيان قائلًا: "الحذاء مهم".

قال باس بيأس: "أنا بحاجة إلى شراب".

قال جايك: "انسَ الأمر".

أضاف لوسيان: "وأنا أيضًا أحتاج إلى شراب، دعنا ننتقل إلى مكتبك ونحتسي كأسًا بسرعة".

قال باس: "فكرة عظيمة".

كرر جايك: "انسَ الأمر، أنت صاحٍ وتقوم بعمل رائع".

قال باس بينما كان لوسيان يغادر: "ولكن لدينا ثلاثين دقيقة".

قال جايك: "كلا، لا تذهب يا لوسيان".

أجاب لوسيان: "كأس واحدة فقط"، مشيرًا بإصبعه إلى جايك بالرقم واحد.

ردّ جايك: "لم يسبق لك أن اكتفيت بكأس واحدة في حياتك".

قال لوسيان: "تعالَ معنا يا جايك، سيهدئ الشراب أعصابك".

صرخ باس وهو يختفي على السلم: "واحدة فقط".

عند الساعة الحادية عشرة، جلس باس على كرسي الشاهد، ونظر من خلال نظارته إلى هيئة المحلفين، ابتسم، بل كاد يضحك. كان على معرفة بالرسامين الجالسين في الصف الأمامي، لذلك حاول أن يبدو خبيرًا قدر الإمكان؛ لقد هدأت أعصابه بالفعل.

سأل جايك: "أيها الطبيب باس، هل أنت على دراية بقاعدة الإدلاء بالاختلال العقلي في القضايا الجنائية؟".

ردّ باس بثقة: "بالتأكيد".

طلب جايك قائلًا: "هل لك أن تشرح هذه القاعدة لهيئة المحلفين؟".

"بالطبع بكل تأكيد؛ إنها معيار المسؤولية الجنائية في ولاية ميسيسيبي، كما هو الحال في خمس عشرة ولاية أخرى، يعود تاريخ هذا القانون إلى إنكلترا، في العام 1843، عندما حاول رجل اسمه دانيال مناتن اغتيال رئيس الوزراء آنذاك السير روبرت بيل، أطلق عليه الرصاص وقتل سكرتيره إدوارد دروموند عن طريق الخطأ، وأثناء محاكمته أظهرت الأدلة بوضوح أن السيد مناتن كان يعاني مما يسمى الفصام المصحوب بجنون العظمة، فأعطته هيئة المحلفين آنذاك حكمًا بالبراءة تحت ذريعة الجنون، ومن هنا نشأت هذه القاعدة، وهي لا تزال متبعة في إنكلترا وست عشرة ولاية في أمريكا".

"ما الذي تنص عليه؟".

"إنها بسيطة نسبيًا، كل إنسان يفترض أنّه عاقل، ويدعي الجنون أو الاختلال العقلي أمام المحكمة، يجب أن يثبت بشكل لا ريب فيه أنّه عندما ارتكب جرمه، كان تحت تأثير حالة عقلية

غير سليمة، من مرض عقلي، أو عدم معرفة بطبيعة ونوعية الفعل الذي يقوم به، وإذا عرف ما يفعله، فيجب على الأقل ألّا يعي أنّه يرتكب خطأ".

"هل يمكنك تبسيط ذلك؟".

"نعم، إذا لم يتمكن المدعى عليه من التمييز بين الصواب والخطأ، فهو مختل عقليًا من الناحية القانونية".

"هل يمكنك أن تكون أكثر دقة في شرح هذه النقطة؟".

"لا يوجد رأي طبي هنا، إنّه معيار قانوني صارم يقيّم الحالة العقلية لأي شخص".

تنفس جايك بعمق، وتقدم منه قائلًا: "الآن أيها الطبيب، وبناءً على فحصك للمدعى عليه، هل لديك رأي في ما يتعلق بالحالة العقلية لكارل لي هيلي في العشرين من أيار من هذا العام، وقت إطلاق النار؟".

"أجل".

"وما رأيك؟".

قال باس ببطء: "رأيي هو أن المدعى عليه انفصل تمامًا عن الواقع عندما تعرضت ابنته للاغتصاب، فحين رآها مباشرة بعد الاغتصاب لم يتعرف إليها، وعندما أخبره أحدهم أنّها تعرضت للاغتصاب الجماعي، وضُربت وكادت تُشنق، انهار شيء ما في عقل كارل لي، هذه طريقة مبسطة جدًا لشرح حالته، ولكن هذا ماذا حدث، انفصل شيء ما في داخله عن الواقع تمامًا.

فعندما رآهما للمرة الأولى في المحكمة، قال كارل لي إنه يجب أن يُقتلا، حيث لم يستطع فهم سبب وجود من يدافع عنهما أو يحميهما، لقد انتظر أن يسحب أحد النواب مسدسًا ويفجّر رأسيهما، مرت الأيام ولم يقتلهما أحد، مما جعله يعتقد أن الأمر متروك له ليقتلها، شعر كما لو أن النظام سوف يعدمهما بتهمة اغتصاب صغيرته.

ما أود قوله يا سيد بريغانس، هو أنّه انفصل عن الواقع ذهنيًا، كان في عالم آخر، وعانى من الأوهام؛ لقد كان محطمًا تمامًا".

أدرك باس أنّه كان يؤدي دوره بشكل جيد؛ كان يتحدث إلى هيئة المحلفين الآن وليس إلى المحامي، وأضاف:

"تحدث إلى ابنته في اليوم التالي لحادثة اغتصابها عندما كانت في المستشفى، فبالكاد كانت تستطيع الكلام، لقد كان فكاها مكسورين، ليضاف ذلك إلى كل الأذى الذي عايشته، ولكن قالت إنّها رأته في الغابة يركض لإنقاذها، وسألته لماذا اختفى... هل يمكنك تخيل ما يمكن لهذا الأب فعله الآن؟ أخبرته لاحقًا أنّها توسلت من أجل والدها، وضحك الرجلان في وجهها وأخبراها أنّه ليس لديها أب".

ترك جايك هذه الكلمات تأخذ كامل وقعها على مستمعيها، كان قد درس موضوع إيلين واحتاج لسؤالين آخرين فقط.

قال جايك: "الآن أيها الطبيب باس، بناءً على ملاحظاتك عن كارل لي هيلي وتشخيصك لحالته العقلية في وقت إطلاق النار، هل لديك رأي مقبول طبيًا حول القدرة العقلية لكارل لي هيلي على التمييز بين الصواب والخطأ عندما أطلق النار على الشابين؟".

"أجل لديّ رأي".

"وما هو؟".

"من المؤكد أنّه لم يكن قادرًا على التمييز بين الصواب والخطأ في تلك الحالة الذهنية".

"هل لديك رأي، بناءً على نفس العوامل المذكورة سابقًا، حول ما إذا كان كارل لي قادرًا على فهم وإدراك طبيعة ونوعية أفعاله؟".

"أجل لديّ".

"وما هو؟".

"بصفتي خبيرًا في مجال الطب النفسي، أرى أن السيد هيلي لم يستطع أبدًا فهم وتقدير طبيعة ونوعية ما كان يفعله".

"شكرا لك أيها الطبيب، انتهت أسئلتي للشاهد".

جمع جايك أوراقه وسار بثقة إلى مقعده، نظر إلى لوسيان الذي كان يبتسم ويهز رأسه، ثمّ نظر إلى هيئة المحلفين وهم ينظرون إلى باس ويفكرون في ما قاله، ونظرت واندا ووماك، إلى جايك وابتسمت ابتسامة خفيفة، وهي امرأة من هيئة المحلفين يبدو عليها الكثير من التعاطف، كانت هذه أول بادرة إيجابية يتلقاها من الهيئة منذ بدء المحاكمة.

همس كارل لي: "جيد جدًا حتى الآن".

ابتسم جايك لموكله وقال: "أنت مريض حقًا يا رجل".

وجه نووز سؤالًا لباكلي: "هل تريد استجواب الشاهد؟".

قال باكلي وهو يتقدم إلى المنصة: "لدي بضعة أسئلة فقط".

لم يستطع جايك تخيل باكلي يتجادل في الطب النفسي مع خبير في المجال، حتى لو كان هذا الخبير هو باس، لكن باكلي لم ينوِ مناقشة الطب النفسي معه، فقال: "أيها الطبيب باس، ما هو اسمك الكامل؟".

تجمد الدم في عروق جايك حيث شعر أن للسؤال تلميحًا يُنذر بالسوء.

"ويليام تايلر باس".

"وما هي شهرتك؟".

رد بصوت عميق: "دبليو تي".

"هل عُرفت يومًا باسم تايلر باس؟".

أجاب بتردد وخنوع: "لا".

شعر جايك بالقلق؛ شعر وكأن رمحًا يمزق بطنه، حيث توحي هذه الأسئلة بوجود مشكلة.

سأل باكلي بحاجبين مرفوعين وبدا عليه عدم التصديق: "هل أنت متأكد؟".

هز باس كتفيه وأجاب: "ربما عندما كنت أصغر سنًا".

"فهمت، حسنًا، لقد أدليت بأنك درست الطب في مركز العلوم الصحية بجامعة تكساس، صحيح؟".

"هذا صحيح".

"وأين يقع هذا المركز؟".

"في مدينة دالاس".

"ومتى كنت طالبًا هناك؟".

"من عام 1956 ولغاية العام 1960"

"وبأي اسم سُجلت؟".

"ويليام تي باس".

كان جايك مخدرًا من الخوف؛ كان لدى باكلي شيء ما في جعبته، سر غامض من الماضي معروف فقط له وللطبيب باس.

"هل سبق لك استخدام اسم تايلر باس عندما كنت طالبًا في كلية الطب؟".

"كلا".

"هل أنت متأكد؟".

"أجل بالتأكيد".

"ما هو رقم الضمان الاجتماعي الخاص بك؟".

"410-96-8585".

وضع باكلي علامة بجانب شيء ما على دفتره، ثمّ سأل بهدوء:

"ما هو تاريخ ميلادك؟".

"14 أيلول 1934".

"وما اسم والدتك؟".

"جوني إليزابيث باس".

"واسمها قبل الزواج؟".

"سكيدمور".

وضع علامة أخرى على دفتره، مما جعل باس ينظر بتوتر إلى جايك:.

تابع أسئلته قائلًا: "ومكان ولادتك؟".

"كاربونديل، إلينوي".

وضع علامة أخرى.

يحق لجايك الاعتراض على هذه الأسئلة للقاضي بحجة أنّها ليست ذات صلة بالقضية، ولكن نال الخوف منه تمامًا، كان يخشى أن يحرج نفسه إذا وقف وحاول التحدث.

راجع باكلي العلامات والملاحظات التي وضعها على دفتره، وانتظر بضع ثوانٍ، وانتظر الجميع السؤال التالي، حيث يعلمون أنّه سيكون قاسيًا، نظر باس بيأس إلى محامي الدفاع وفريق عمله مثل السجين الذي يأمل أن تخطئه نيران فرقة الإعدام.

أخيرًا، ابتسم باكلي له وقال: "أيها الطبيب باس، هل سبق وأن أُدنت بجناية؟".

تردد صدى السؤال طوال فترة الصمت وتساقط من جميع الاتجاهات على كتفي باس المرتعشة؛ يكفي إلقاء نظرة خاطفة على وجهه لمعرفة الجواب؛ في حين نظر كارل لي إلى محاميه حين أجاب باس بصوت عال يائس: "بالطبع لا".

هز باكلي رأسه وسار ببطء نحو الطاولة، حيث سلمه موسغروف بعض الأوراق التي تبدو مهمة، ثمّ سأله باكلي بثقة مفرطة: "هل أنت متأكد؟".

قال باس وهو ينظر إلى الأوراق بخوف: "بالطبع متأكد".

عرف جايك أن عليه النهوض وقول أو فعل شيء ما لوقف مصيبة على وشك أن تحل، لكن، أصاب الشلل عقله وجسده.

كرر باكلي سؤاله: "هل أنت متأكد؟".

أجاب باس وهو يشدّ على أسنانه: "نعم".

"ألم تُدن من قبل بجناية؟".

"بالطبع لا".

"هل أنت متأكد من ذلك مثل تأكدك من شهادتك أمام هيئة المحلفين هذه؟".

كان هذا هو الفخ، السؤال الأكثر دموية على الإطلاق، سبق لجايك أن استخدم هذا السؤال عدة مرات في السابق، وعندما سمعه، عرف أن أمر باس قد انتهى، وكذلك كان حال كارل لي.

أجاب باس بغطرسة مصطنعة: "بالطبع".

بدأ باكلي بالتحضير لضربته القاضية وقال: "هلا تخبر هيئة المحلفين هذه أنّك لم تُدَن في 17 تشرين الأول 1956، في دالاس، تكساس، بجناية تحت اسم تايلر باس؟".

طرح باكلي السؤال أثناء النظر إلى هيئة المحلفين والقراءة من الأوراق التي أعطاه إياها موسغروف.

قال باس بهدوء غير مقنع: "هذه كذبة".

"هل أنت متأكد من أنّها كذبة؟".

"هذه كذبة وقحة".

"هل تستطيع تمييز الكذب من الحقيقة أيها الطبيب؟".

"بالطبع أستطيع ذلك".

وضع نووز نظارته على أنفه، وانحنى إلى الأمام، في حين توقف نظر المحلفين عن التأرجح، وتوقف الصحفيون عن الكتابة، وركّز الجميع بالكامل مع الأحداث التي تدور في قاعة المحكمة بمن فيهم النواب الواقفون عند الجدار الخلفي.

اختار باكلي إحدى الوثائق المهمة وقرأها وقال: "إنّك تخبر هيئة المحلفين هذه أنّك لم تُدن في 17 تشرين الأول 1956، باغتصاب قاصر؟".

يعرف جايك أنّه في أي أزمة كهذه في قاعة المحكمة، يجب أن يحافظ على هدوء تعابير وجهه دون إبداء أي انفعال، من المهم الإيحاء لهيئة المحلفين أن محامي الدفاع عليه أن يبدو

إيجابيًا؛ فهم لا يفوتون أي شيء. درّب جايك نفسه على ذلك بقوله: كل شيء جيد، لقد ربحت الكثير من المحاكمات ورأيت العديد من المفاجآت.

ولكن تبدلت كل إيجابية لديه بعد سؤال الاغتصاب هذا إلى شحوب وغثيان وخوف ولاحظ ذلك نصف هيئة المحلفين على الأقل، والنصف الآخر نظر بتمعّن إلى باس.

سأل باكلي بعد صمت طويل: "هل سبق وأُدِنت بتهمة اغتصاب قاصر أيها الطبيب؟".

لم يجب باس هذه المرة.

انحنى نووز إلى الأمام باتجاه الشاهد وقال بصوت عميق: "أرجو أن تجيب عن السؤال أيها الطبيب".

تجاهل باس القاضي ونظر إلى المحامي العام وقال: "أنت تتهم الشخص الخطأ".

ابتسم باكلي ومشى إلى موسغروف الذي يحمل بعض الأوراق الأكثر أهمية، فتح مغلفًا أبيض، وأخرج منه صورة بقياس x108 وقال: "حسنًا أيها الطبيب باس، التُقطت لك بعض الصور من قبل قسم الشرطة في مدينة دالاس في 11 أيلول 1956، هل تود رؤيتها؟".

لم يجب باس.

حملها باكلي أمامه وقال: "هل ترغب في رؤية هذه الصور أيها الطبيب؟ ربما تنعش ذاكرتك".

هز باس رأسه ببطء، ثمّ أخفضه وحدق إلى حذائه بهدوء.

"حضرة القاضي، ستقدم الولاية هذه النسخ بمنزلة دليل معتمد بموجب قوانين الكونغرس على الحكم النهائي الذي صدر في القضية المرفوعة من قبل ولاية تكساس على المدعو تايلر باس، وفقًا للسجلات التي حصلت عليها الولاية من المسؤولين المعنيين في مدينة دالاس - ولاية تكساس، والتي تظهر أنّه في 17 تشرين الأول 1956، أقر المدعو تايلر باس بأنه مذنب في تهمة اغتصاب قاصر، وهي جناية بموجب قوانين ولاية تكساس، ويمكننا إثبات أن تايلر باس، وهذا الشاهد الطبيب دبليو تي باس هما الشخص نفسه".

سلم موسغروف جايك بأدب نسخة من كل شيء تحدث عنه باكلي.

وجه القاضي نووز سؤاله لجايك: "هل تملك أي اعتراضات على هذه الوثائق المقدمة في الدليل؟".

في مثل هذه اللحظات، يحتاج جايك إلى خطاب عاطفي يمس قلوب هيئة المحلفين ويجعلهم يبكون على حال الطبيب باس ومريضه كارل لي، ولكن المحامي العام ساق الأحدث إلى ما بعد تلك المرحلة، فالدليل بالطبع لا غبار عليه، ولم يقوَ جايك على الحراك، لذلك لوّح بيده مشيرًا إلى إنّه ليس لديه اعتراض.

قال باكلي: "انتهت أسئلتنا للشاهد".

سأل القاضي: "هل يوجد لديك طلبات أخرى من الشاهد يا سيد بريغانس؟".

لم يستطع جايك التفكير في شيء يمكن أن يطلبه من باس لتحسين الموقف في تلك الثانية الوحيدة المتاحة أمامه للإجابة، فقد سمعت هيئة المحلفين ما يكفي من المحامي العام.

فقال جايك بهدوء: "كلا".

فقال نووز: "حسنًا، يمكنك الانصراف أيها الطبيب باس".

خرج باس بسرعة عبر البوابة الصغيرة، أسفل الممر الأوسط، وغادر المحكمة.

راقب جايك رحيله باهتمام، ونظر إليه بكراهية، فمن المهم أن ترى هيئة المحلفين الصدمة على المتهم ومحاميه، لكي تصدق هيئة المحلفين أن الشاهد المدان بجناية لم يوضع على المنصة عن قصد.

عندما أغلق الباب ورحل باس، جالت عينا جايك في أرجاء المحكمة على أمل العثور على وجه مشجع، ولكنه لم يجد، حك لوسيان لحيته وحدق إلى الأرض، وجلس ليستر عاقدًا ذراعيه وقد ارتسمت على وجهه نظرة اشمئزاز، في الوقت الذي بكت فيه غوين.

قال نووز: "نادِ على شاهدك التالي".

واصل جايك البحث، يجلس نورمان بين القس أولي آغي والقسيس لوثر روزفلت، ويجلس في الصف الثالث راينفيلد، عندما التقت نظرات نورمان وجايك، عبس نورمان وهز رأسه كما لو أنّه يقول: "أخبرتك أن هذا سيحدث".

وعلى الجانب الآخر من قاعة المحكمة، بدا معظم البيض مرتاحين وبعضهم ابتسم ابتسامة ساخرة من جايك.

نادى نووز: "سيد بريغانس، يمكنك استدعاء شاهدك التالي".

حاول جايك الوقوف على عكس عادته، وانحنى إلى الأمام ووضع كفيه على الطاولة وقال بصوت عالٍ مهزوم: "حضرتك، هل يمكننا أخذ استراحة حتى الساعة الواحدة بعد الظهر؟".

رد القاضي: "لكن يا سيد بريغانس، إنّها الحادية عشر والنصف فقط".

"نعم يا حضرة القاضي، لكن لم يأتِ شاهدنا التالي بعد، ولن يصل قبل الساعة الواحدة".

بدت هذه كذبة مناسبة.

"حسنًا، سنستريح حتى الواحدة، أريد مقابلة المحامين في غرفة الانتظار".

توجد بجوار غرفة الانتظار غرفة تُعدّ فيها القهوة حيث يتسكع المحامون ويتبادلون النميمة لوقت ليس بالقصير، ويوجد بجوارها مرحاض صغير.

أغلق جايك باب المرحاض ونزع معطفه، وألقى به أرضًا، ثم جثا على ركبتيه بجانب المرحاض، وانتظر لحظة ثمّ تقيأ.

وقف أوزي أمام القاضي محاولًا إجراء محادثة قصيرة بينما تبادل موسغروف والمحامي العام الابتسام، انتظر الجميع جايك؛ أخيرًا، دخل الغرفة واعتذر عن تأخره، ثمّ قال أوزي: "جايك، لدي بعض الأخبار السيئة".

"دعني أجلس أولًا".

"تلقيت مكالمة منذ ساعة من مأمور مقاطعة لافاييت، يخبرني فيها أن مساعدتك القانونية إيلين رو آرك في المستشفى".

"ما الذي حدث؟".

"تمكنت الكو كلاكس كلان من إيجادها البارحة، في مكان ما بين هنا وأوكسفورد، ربطوها إلى عمود وضربوها".

"يا للهول! كيف حالها؟".

"إنها في حالة خطرة ولكنها مستقرة".

سأل باكلي: "ما الذي حدث تمامًا؟".

"لسنا متأكدين، أوقفوا سيارتها بطريقة ما واقتادوها إلى الغابة، مزقوا ملابسها وقصوا شعرها، أصيبت بارتجاج في المخ وجروح في الرأس، مما يرجّح أنّها تعرضت للضرب".

احتاج جايك للتقيؤ مرة أخرى، ولم يستطع الكلام، فدلك مفاصل فكيه، وفكّر كم هو رائع أن يُربَط باس إلى عمود وأن يضرب.

نظر القاضي باهتمام إلى جايك وسأله: "سيد بريغانس، هل أنت بخير؟".

ولكنه لم يرد.

قال نووز مخاطبًا الجميع: "دعونا نمددِّ الاستراحة حتى الساعة الثانية، أعتقد أننا جميعًا يمكننا الاستفادة من ذلك".

سار جايك صعودًا ببطء على الدرجات الأمامية حاملًا زجاجة مياه غازية فارغة، وفكّر جادًا للحظة أن يحطمها على رأس لوسيان؛ فهو يدرك أنّه سيغمى عليه مما سيعفيه من الشعور بالألم.

هزّ لوسيان كأسه ونظر باتجاه الساحة الخالية إلّا من الجنود والحشد الاعتيادي.

لم يقولا شيئًا؛ نظر لوسيان بعيدًا، ونظر إليه جايك وهو يحمل الزجاجة الفارغة، في حين أصبح باس على بعد مئات الأميال من الحطام الذي تركه خلفه في المحكمة.

بعد قرابة الدقيقة سأل جايك: "أين باس؟".

أجابه لوسيان: "لقد رحل".

"إلى أين؟".

"إلى منزله".

"أين منزله؟".

"لماذا تريد أن تعرف؟".

"أود أن أراه في منزله وأضربه حتى الموت بمضرب بيسبول في منزله".

هز لوسيان رأسه قائلًا: "أنا لا ألومك".

"هل كنت تعلم؟".

"أعلم ماذا؟".

"عن التهمة؟".

"قطعًا لا، لا أحد يعلم، مُحيَ هذا السجل بالكامل".

"ماذا تقصد؟".

"أخبرني باس أن سجل الإدانة في تكساس مُحِيَ بعد ثلاث سنوات من إدخاله".

وضع جايك زجاجة الشراب بجانب كرسيه، وأمسك بكأس متسخة ونفخ فيها، ثمّ ملأها بمكعبات الثلج والشراب وقال:

"هلّا كنت أكثر وضوحًا يا لوسيان؟".

"وفقًا لباس، كان عمر الفتاة حينها سبعة عشر عامًا، وهي ابنة قاضٍ بارز في دالاس، أخذتهما حرارة اللحظة على الأريكة، وأمسك بهما والدها متلبّسَين، ثمّ رفع والدها دعوى يتهم فيها باس بالاغتصاب، ولم يملك باس أي فرصة بالبراءة، فأقر بأنه مذنب باغتصاب قاصر لكن الحقيقة أن الفتاة أحبته، وظلا يلتقيان، ثمّ حملت، فتزوجها باس، وحصل القاضي على حفيده الأول؛ صبي صغير ابن ابنته والطبيب باس".

شرب لوسيان رشفة وراقب الأضواء التي تنير الساحة، ثمّ عاود جايك السؤال: "وما الذي حدث للفتاة؟".

رد لوسيان: "وفقا لباس، قتل ابنه وزوجته التي كانت حاملًا بطفله الثاني، في حادث قطار في فورت وورث، بعد هذه الواقعة بدأ باس بالشرب، واعتزل الحياة تمامًا".

"لم يسبق له أن أخبرك بذلك؟".

"كف عن التحقيق معي، أخبرتك سابقًا، لو عرفت ذلك لما وطأت قدمه منصة الشهود، لقد قدمته بنفسي كشاهد في مرتين سابقتين، ولو علمت بأمره لما قمت بذلك".

"لماذا لم يخبرك أبدًا؟".

"ربما لأنه اعتقد أن السجل مُحِيَ بالكامل ولا يمكن تتبعه، لا أدري تمامًا، فتقنيًا هو محق، حيث إنّه بعد محيه ليس من المفترض أن يوجد أي أثر، ولكن تبقى الحقيقة أنّه أدين بجناية".

تناول جايك رشفة من شرابه، وقد كان مذاقه سيئًا للغاية.

جلسا صامتين لمدة عشر دقائق، كان الجو مظلمًا، وبدأت الصراصير تعزف موسيقاها المسائية، مشت سالي إلى باب الغرفة، وسألت جايك إذا كان يريد العشاء، ولكنه قال: "لا، شكرًا".

سأل لوسيان: "ماذا حدث بعد ظهر اليوم؟".

"شهد كارل لي، ثم تأجلت المحاكمة حتى الرابعة حيث لم يكن الطبيب النفسي الخاص بباكلي جاهزًا، ولكنه سيدلي بشهادته الاثنين".

"كيف أبلى؟".

"شأنه شأن باس، يمكنك أن تشعر بكراهية هيئة المحلفين له، بدا متيبسًا كأنه تدرب على شهادته سابقًا، لا أعتقد أنّ أداءه كان مقنعًا".

"كيف كان رد فعل باكلي؟".

"جن جنونه، صرخ في وجه كارل لي لمدة ساعة، واستمر كارل لي بالتعامل معه بذكاء، وتبادلا التوبيخ، أعتقد أن كليهما تأذيا، وحين أتى دوري في طرح الأسئلة، دعمته بعض الشيء، حيث ظهر بمظهر المسكين المثير للشفقة، وكاد أن يبكي في النهاية".

"هذا جيد".

"نعم، جيد جدًا، ولكنهم سيدينونه، أليس كذلك؟".

"أعتقد ذلك".

"حاول طردي بعد أن رفعت الجلسة، قال إنني تسببت بخسارة قضيته وأنه يريد محاميًا جديدًا".

سار لوسيان إلى جانب الشرفة وفتح سحاب سرواله وانحنى على عمود وبدأ بالتبول على الشجيرات، كان حافي القدمين وبدا كأنه يمشي في فيضان، أحضرت له سالي شرابًا طازجًا، ثمّ سأل: "كيف حال رو آرك؟".

"حالتها مستقرة، كما يقولون، اتصلت بغرفتها وقالت لي الممرضة إنّها لا تستطيع الكلام، سأذهب لزيارتها غدًا".

"آمل أن تكون بخير؛ إنّها فتاة راقية".

"إنها امرأة نذلة تمامًا، لكنها ذكية جدًا، أشعر كما لو أن الخطأ خطأي يا لوسيان".

"إنه ليس خطأك، إنّه عالم مجنون يا جايك، ومليء بالمجانين، خصوصًا في الوقت الحالي، وأعتقد أن نصف المجانين موجودون في مقاطعة فورد".

"زرعوا الديناميت خارج نافذة غرفة نومي منذ أسبوعين، وضربوا زوج سكرتيرتي حتى الموت، وأطلقوا النار عليّ، وأطلقوا النار على الجندي في الأمس، واليوم أمسكوا بمساعدتي القانونية وربطوها بعمود ونزعوا ملابسها وقصوا شعرها، لينتهي أمرها في المستشفى بارتجاج في المخ، مما يجعلني أتساءل، من التالي؟".

"أعتقد أنك يجب أن تستسلم".

"أود ذلك، كنت لأتقدم إلى قاعة المحكمة الآن وأسلم حقيبتي، وأنهي الأمر وأستسلم، ولكن من أجل من؟ فلم أعرف بعد من هو عدوي حتى".

"لا يمكنك الاستسلام يا جايك، فموكلك يحتاج إليك".

"فليذهب إلى الجحيم، لقد حاول طردي اليوم أساسًا".

"إنّه يحتاج إليك، فلا تنتهي القضية إلّا بنطق الحكم".

كان نسبيت نائمًا ورأسه يتدلى من نافذة سيارة المأمور واللعاب يسيل من فمه على باب السيارة، في حين ترطب حضنه علبة بيرة، فبعد أسبوعين من تأدية مهمة الحارس الشخصي، اعتاد على النوم مع البعوض في السيارة أثناء حمايته لمحامي الأسود.

استيقظ على صوت اللا سلكي بعد مرور دقائق فقط من بداية يوم الأحد، فأمسك الميكروفون وهو يمسح اللعاب عن ذقنه بكمه الأيسر، وأجاب:

"س. و. 8 هنا، حوّل".

"ما هو موقعك؟".

"نفس موقعي قبل ساعتين".

"منزل ويلبانكس؟".

"أجل".

"هل لا يزال بريغانس هناك؟".

"أجل".

"خذه إلى منزله في آدامز، إنّها حالة طارئة".

سار نسبيت متجاوزًا الزجاجات الفارغة على الشرفة، ودخل من الباب المفتوح حيث وجد جايك مستلقيًا على الأريكة في الغرفة الأمامية، حاول إيقاظه قائلًا: "انهض يا جايك، يجدر بنا الذهاب إلى المنزل، إنّها حالة طارئة".

قفز جايك على قدميه وتبع نسبيت، توقفا على الدرجات الأمامية ونظرا خلف قبة المحكمة، حيث ارتفع دخان أسود متوهج بلون برتقالي، وانجرف ببطء نحو الهلال في أعلى السماء.

أُغلِق شارع آدامز بعدد من السيارات التطوعية أغلبها سيارات مدنية صغيرة، وقد زُوِّدَت كلٌّ منها بعدد من أضواء الطوارئ ذات اللونين الأحمر والأصفر، ما لا يقل عن ألف ضوء في المجموع، تفسّر اللون البرتقالي المترافق مع الدخان، واصطفت سيارات الإطفاء عشوائيًا أمام المنزل، عمل رجال الإطفاء والمتطوعون بجهد كبير، حيث نظموا الخطوط، ونظموا أنفسهم،

وقاموا أحيانًا بتلقي وتنفيذ أوامر رئيسهم أوزي، وقف براذر وهاستينغز بجانب المحرك، واقترب بعض الحرس الوطني ببطء من سيارة الجيب.

كانت النار تشرئبّ في الأفق، وتصاعدتْ ألسنة اللهب من كل نوافذ المنزل الأمامية سواء التي بالطابق العلوي أو السفلي، كانت ألسنة اللهب تلتهم المرأب بالكامل وقد احترقت سيارة كارلا بأكملها من الداخل والخارج وانبعث من إطاراتها الأربعة لهبٌ بلونٍ أشدّ اسودادًا من لون الإطارات نفسها، وبشكل مريب كان هناك سيارة أخرى تحترق - ليست سيارة الساب - مركونة بجانب سيارة كارلا.

جذبتِ الأصوات اللافتة لقرقعة النار والضجة الناتجة عن سيارات الإطفاء الجيران من بعد عدة شوارع، واجتمع الناس بين الشوارع يشاهدون النيران وهي تلتهم المنزل.

ركض جايك ونسبيت عبر الشارع حين لمحهما نقيب الشرطة وقدِم راكضًا إليهما.

"جايك، هل يوجد أحد في المنزل؟".

"كلا".

"جيد. لم أعتقد ذلك".

"فقط يوجد كلب".

"كلب؟".

أومأ جايك برأسه ونظر إلى المنزل المشتعل.

قال نقيب الشرطة: "أنا آسف لخسارتك".

اجتمعوا معًا في سيارة أوزي أمام منزل السيد باكلي حيث أجاب جايك على بضعة أسئلة.

"جايك... هذه الفولكس فاغن ليست سيارتك، أليس كذلك؟".

كان جايك ينظر بصمت باتجاه سيارة كارلا، وأومأ برأسه نافيًا.

"توقعت ذلك، يبدو أنّها المكان الذي بدأ منه الحريق".

قال جايك: "لم أفهم، ما الذي تقصده؟".

"إذا لم تكن هذه سيارتك فلا بد أن شخصًا ما قد جاء وركنها هنا، لاحظ كيف تحترق أرضية السيارة وهو شيء لا يحدث بشكل اعتيادي، يجب أن يكون هناك شخص ما قد جاء بالفولكس فاغن إلى هنا وأغرقها بالبنزين ثمّ هرب بعيدًا مستخدمًاأحد تلك الأشياء التي تُمكِّنه من الإشعال عن بعد".

وافقه براذر واثنان آخران من المتطوعين.

سأل جايك: "كم مضى من الوقت والمنزل يحترق؟".

قال النقيب: "لقد وصلنا إلى هنا منذ عشر دقائق، وكانت النيران منتشرة بشكل كبير، أعتقد أنّها اشتعلتْ منذ ثلاثين دقيقة، وقد أشعلها أشخاص يعلمون تمامًا كيف يشعلون النار بشكل مريع".

سأل جايك: "لا أعتقد أننا نستطيع إخراج أي شيء من المنزل... هل نستطيع؟"، سأل جايك بشكل اعتباطي وهو يعرف تمامًا الجواب.

"هذا أمر مستحيل يا جايك، التهمت النيران كل شيء لدرجة أن رجالي لن يستطيعوا الدخول لو كان هناك أشخاص محاصرين بالداخل، يبدو أن من أشعلوا النيران خبراء".

"لماذا تقول هذا؟".

"حسنًا، انظر إليها تتصاعد بشكل متساوٍ من كل أنحاء المنزل، تستطيع أن ترى ألسنة اللهب تخرج من كل النوافذ سواء أكان في الطابق السفلي أو العلوي، وهذا أمر غير عادي أبدًا، سيحترق السطح في غضون دقائق".

تقدّمتْ مجموعتا إطفاء ووجه رجال الإطفاء المياه باتجاه النوافذ الموجودة بجانب الشرفة الأمامية، وقد تمكنَ خط مياه صغير من الدخول إلى نافذة في الطابق العلوي، ثمّ بعد أن شاهدوه لمدة دقيقة أو دقيقتين وشاهدوا الماء يختفي داخل ألسنة اللهب بدون أي تأثير ملحوظ، بصق القائد وقال: "سيحترق كل شيء حتى يصبح رمادًا"، ثمّ اختفى خلف أحد المحركات وبدأ يصرخ.

نظر جايك إلى نسبيت وسأله: "هل تستطيع أن تسدي لي معروفًا؟".

"طبعًا يا جايك".

"خذ السيارة إلى منزل هاري ريكس، وأحضره إلى هنا، لا أريده أن يُفوّت هذا المنظر".

"حسنًا".

جلس جايك وأوزي وهاري ريكس ونسبيت على سيارة الدورية لمدة ساعتين يراقبون تقدم الحريق كما توقع القائد تمامًا. بين الحين والآخر كان يتوقف أحد الجيران ويظهر تعاطفه ويسألُ بعض الأسئلة عن حال الأسرة. بكتِ السيدة باكلي - العجوز اللطيفة التي تعيش في الجوار - عندما أخبرها جايك عما حدث لماكس.

بحلول الساعة الثالثة اختفى المندوبون وغيرهم من الفضوليين، وبحلول الساعة الرابعة تحول المنزل الفيكتوري المهيب الجذاب إلى أنقاض مشتعلة، وقام رجال الإطفاء بإخماد أي أثر متبقٍّ للدخان في الأنقاض.

لم يبق شيء غير المدخنة والإطارات المحترقة للسيارتين وبعض الأحذية المطاطية التي كانت تتطاير باحثة عن أي شرارة نار متبقية لتحرق بقية الحطام. مع بداية شروق الشمس كان الإطفائيون يجهّزون أنفسهم للمغادرة.

شكرهم جايك على جهودهم عندما غادروا، ثمّ تمشى هو وهاري ريكس في الفناء الخلفي مقدرين الأضرار الحاصلة.

قال هاري ريكس: "حسنًا... إنّه مجرد منزل".

"هل يمكنك أن تتصل بكارلا وتخبرها بما حصل؟".

"كلا... أعتقد أنك الشخص الذي يجب عليه فعل ذلك".

"أعتقد أنني سأنتظر قليلًا لإخبارها بذلك".

نظر هاري ريكس إلى ساعته وقال: "لقد حل وقت الفطور تقريبًا أليس كذلك؟".

"إنه صباح الأحد يا هاري ريكس، وكل المقاهي مغلقة".

"آه يا جايك، أنت هاوٍ أما أنا فمحترف، يمكنني العثور على طعام ساخن في أي وقت وأي يوم".

"هل تتكلم عن مواقف الشاحنات؟".

"أجل، مواقف الشاحنات".

"حسنًا، ولكن بعد أن ننتهي سنمر على أوكسفورد لأتفقد رو آرك".

"جيد، لا يمكنني الانتظار لرؤيتها بشعرها ذاك".

أمسكتْ سالي بالهاتف ورمتْه باتجاه لوسيان الذي تخبط قليلًا ريثما أمسك به بشكل صحيح ووضعه بجانب أذنه ثمّ سأل وهو يحدق عبر النافذة في الظلام: "نعم، من المتّصل؟".

"هل أنت لوسيان ويلبانكس؟".

"نعم، المتّصل؟".

"هل تعرف كلايد سيسكو؟".

"نعم".

"خمسون ألفًا".

"كلمني مجددًا صباحًا".

39

جلس شيلدون رو آرك بجوار النافذة ساندًا قدمه على ظهر كرسي وهو يقرأ صحيفة ممفيس ليوم الأحد عن محاكمة هيلي؛ في أسفل الصفحة الأولى كان هناك صورة لابنته ومقال يذكر فيه تعرضها لهجوم من الكلان، لقد كانتْ مستلقية الآن مرتاحة في سرير المستشفى على بعد عدة أقدام منه، حيث تم حلق الجانب الأيسر من رأسها وتضميده بضمادات سميكة، وعملوا على تخييط الأذن اليسرى بثمانية وعشرين غرزة. أخبروه أن الارتجاج تحول من ارتجاج شديد إلى خفيف، ووعده الأطباء أنّها تستطيع المغادرة بحلول يوم الأربعاء.

عندما اتصل به الأطباء لم يكن لديه أي فكرة عمّا حدث لها، طار لمدة سبع ساعات، وحضّر نفسه لأسوأ الاحتمالات، وفي وقتٍ متأخر من ليلة السبت، أجرى الأطباء المزيد من صور الأشعة السينية وطلبوا منه الاسترخاء، فالندوب ستختفي بمرور الزمن والشعر سينمو من جديد. لقد مرتْ بوضع صعب، ولكن ربما كانت الأمور لتبدو أسوأ.

من حيث يجلس سمع جلبة في القاعة، كان هناك شخص ما يتجادل مع الممرضة، فوضع الصحيفة على سريرها وفتح الباب.

كانتِ الممرضة قد رأتْ جايك وهاري ريكس يتسللان إلى الغرفة، وأوضحتْ لهما أن أوقات الزيارة تبدأ عند الساعة الثامنة مساءً، أي بعد ثماني ساعات، وقالت إن أفراد الأسرة وحدهم يحق لهم الدخول وإنها ستتصل بالأمن إذا لم يغادرا، فشرح لها هاري ريكس أنّه لا يهتم بتلك القواعد السخيفة للمستشفى، وأنها كانت خطيبته وسيراها مرة واحدة قبل وفاتها، وإذا لم تصمتْ على الفور، فسيقاضيها بتهمة المضايقة لأنه محامٍ ولم يقم بمقاضاة أي شخص خلال أسبوع وبدأ يشعر بالملل.

سأل شيلدون: "ما الذي يجري هنا؟".

نظر جايك إلى الرجل صغير الحجم ذي الشعر الأصهب والعينين الخضراوين وقال: "لا بد أنك شيلدون رورك".

"أجل أنا هو".

"أنا جايك بريغانس، الشخص الذي...".

"أجل، لقد كنتُ أقرأ عنك. لا بأس أيتها الممرضة، إنّهما معي".

قال هاري ريكس: "أجل لا بأس، فنحن معه، يمكنك أن تذهبي الآن قبل أن تضطري لدفع بعض الشيكات لي".

ذهبت وهي تتعهده بالاتصال بالأمن وتصرخ بغضب.

قال وهو يصافح شيلدون رورك: "أنا هاري ريكس فونر".

"تفضلا بالدخول".

لحقا به إلى الغرفة الصغيرة ونظرا إلى إيلين التي كانت نائمة.

سأل جايك: "ما مدى سوء حالتها؟".

"ارتجاج خفيف بالإضافة إلى ثمانية وعشرين غرزة في أذنها، وإحدى عشرة غرزة في رأسها، ستكون بخير... لقد قال الطبيب إنّها تستطيع المغادرة نهار الأربعاء؛ كانتْ مستيقظة طوال الليل وتحدثنا لفترة طويلة".

لاحظ هاري ريكس شعرها وقال: "شعرها يبدو بحالة مروعة".

قال: "شدوه وقطعوه بسكين حادة كما شرطوا ملابسها وهددوها، جميع إصابات رأسها هي إصابات ذاتية ألحقتها بنفسها، لقد رأتْ أنّهم إما أن يغتصبوها أو يقتلوها أو كلاهما، لذلك ضربتْ رأسها بالعمود المربوطة إليه ولا بد أن ما فعلتْه أخافهم".

"هل تقول إنّهم لم يضربوها؟".

"كلا، لم يضربوها، كل ما فعلوه أنّهم أخافوها إلى حد الموت".

"ما الذي رأته؟".

"لم ترَ كثيرًا من الأشياء، قرابة عشرة رجال يرتدون أردية بيضاء، كما رأت صليبًا يحترق لإنارة المكان، قال المأمور إنّ المكان الذي وجودها فيه هو مرج تمتلكه بعض شركات الورق على بعد أحد عشر ميلًا من هنا باتجاه الشرق".

سأل هاري ريكس: "من وجدها؟".

"تلقى المأمور مكالمة هاتفية من مجهول باسم ميكي ماوس".

تململتْ إيلين بهدوء وتمتمتْ بلا وعي: "آه... نعم صديقي القديم".

قال شيلدون: "دعونا نتحدث خارجًا".

سأل هاري ريكس: "هل من كافيتريا في هذا المكان؟ فأنا أشعر بالجوع عندما أكون بالقرب من مستشفى".

"بالتأكيد، لنجلب بعض القهوة".

كانت الكافتيريا في الطابق الأول فارغة، طلب جايك والسيد رورك قهوة سوداء أما هاري ريكس فطلب ثلاث قطع من الحلويات.

قال شيلدون: "تشير الأخبار إلى أن الأمور لا تجري بشكل جيد جدًا".

قال هاري ريكس وفمه مملوء بالطعام: "ما تذكره الصحف لطيف للغاية مقارنة مع الحقيقة، يتلقى جايك أنواع التعذيب كافة بينما هو في المحكمة، وحياته ليست بتلك الرائعة خارجها أيضًا، إما يطلقون النار عليه أو يختطفون مساعدته القانونية، وإذا لم يفعلوا هذا، فعلى الأغلب أنّهم مشغولون بحرق منزله".

"حرقوا منزلك".

أومأ جايك برأسه مجيبًا: "ليلة أمس، لا يزال هناك بعض الدخان المتصاعد".

"شعرتُ أنني أشم رائحة دخان".

"شاهدناه وهو يحترق لمدة أربع ساعات حتى أصبح حطامًا".

"يؤسفني ما حصل لك، لقد سبق لي أن تعرضت للتهديد، ولكن أسوأ ما فعلوه هو ثقب إطارات سيارتي، كما أنني لم أتعرض لأي إطلاق نار من قبل".

"لقد أصبتُ بطلق ناري عدة مرات".

سأل هاري ريكس: "هل تملكون كلان في بوسطن؟".

"على حدّ علمي لا".

"إنه لعار أن يكون أشخاص كهؤلاء قادرين على إضافة بُعْدٍ حقيقي للممارسة القانونية".

"يبدو الأمر كذلك، لقد شاهدت نشرة الأخبار التي تَعرُض أعمال الشغب حول المحكمة في الأسبوع الماضي، حرصتُ على ألّا أفوت أي أخبار منذ أن اشتركتْ إيلين بهذه القضية، إنّها قضية مشهورة جدًا، حتى إن صيتها ذاع لدينا، أتمنى لو أنّها كانت لي".

قال جايك: "يمكنك الحصول عليها، أعتقد أن موكلي يبحث عن محامٍ جديد".

"كم شاهدًا ستدعو الولاية؟".

"ستدعو شخصًا واحدًا فقط، سيدلي بشهادته في الصباح، وستكون لدينا مرافعات ختامية، يجب أن تقرر هيئة المحلفين بعد ظهر الغد".

"أشعر بالانزعاج لأن إيلين لن تتمكن من رؤية كل هذا، كانت تتصل بي كل يوم وتخبرني بالمستجدات".

سأل هاري ريكس: "برأيك ما الخطأ الذي ارتكبه جايك؟".

قال جايك: "لا تتحدث وفمك مليء بالطعام".

"أعتقد أن جايك قام بعمل رائع، لقد بدأ بمجموعة رديئة من الحقائق، حيث إن هيلي ارتكب جريمتي القتل وخطط لهما بعناية، وأنت تعتمد على فكرة الجنون، وهيئة المحلفين في بوسطن لن تكون متساهلة مع الأمر أبدًا".

أضاف هاري ريكس: "ولا في مقاطعة فورد".

قال شيلدون: "آمل أنك تملك في جعبتك مرافعة ختامية آسرة للأنفاس".

قال هاري ريكس بسخرية: "لم يبقَ لديه أي جعبة، لقد احترق كل شيء مع سرواله وملابسه الداخلية".

سأل جايك: "لماذا لا تأتي غدًا وتشاهد؟ سأقدمك إلى القاضي وأطلب لك امتياز دخول غرفته".

قال هاري ريكس: "لن يقوم بفعل ذلك لأجلي".

قال شيلدون مبتسمًا: "بإمكاني معرفة السبب... حسنًا، سأفعل ذلك؛ لقد خططتُ أن أبقى هنا حتى يوم الثلاثاء على أي حال، هل الوضع آمن هناك؟".

"ليس تمامًا".

جلستْ زوجة وودي ماكينفال على مقعد بلاستيكي في القاعة المجاورة لغرفته، وبكتْ بهدوء وهي تحاول أن تبقى قوية ومتماسكة لأجل ولديها الصغيرين الجالسين إلى جانبها.

كان الطفلان يمسحان أنفيهما باستخدام مناديل ورقية يبدو أنّها استخدمت لفترة لا بأس بها.

ركع جايك أمامها، واستمع باهتمام وهي تصف له ما قاله الأطباء، استقرت الرصاصة في العمود الفقري وأصيب بشلل دائم وشديد.

لقد كان يعمل بمنصب رئيس العمال في مصنع في بونفيل تحت شعار "عمل جيد، حياة جيدة"، لم تعمل زوجته أبدًا - حتى الآن على الأقل - وسيتدبرون أمرهم بطريقة ما، لكن لم يكن لديها أدنى فكرة عن الوسيلة، لقد كان هو مدرب فريق أبنائه - ليتل ليغ - وهو شخص نشيط للغاية.

بكتْ بصوتٍ عالٍ ومسح الولدان وجنتيها.

قال جايك وهو ينظر إليها وإلى الولدين: "لقد أنقذ حياتي".

أغمضت عينيها وأومأتْ برأسها: "لقد كان يقوم بعمله فقط، سنتجاوز هذه المحنة".

أخذ جايك منديلًا ورقيًا من العلبة الموجودة على المقعد ومسح عينيه، كان هناك مجموعة من الأقارب يراقبون ما يحدث، وكان هاري ريكس مشغولًا بالسير في آخر القاعة بخطى متوترة، عانقها جايك ثمّ ربّتَ على رأس الولدين،

وأعطاها رقم هاتفه، ورقم المكتب، وطلب منها الاتصال به إذا احتاجتْ أي شيء، ووعدها بزيارة وودي عند انتهاء المحكمة.

كانتْ متاجر البيرة مفتوحة ظهر يوم الأحد كما لو أن أهل الكنيسة احتاجوها حينها، وسيتوقفون في طريق العودة منها لشراء بعض العلب، ثمّ إلى منزل الجدة لتناول عشاء يوم الأحد. وبشكل غريب، فهذه المحلات نفسها ستعود وتغلق أبوابها مرة أخرى عند الساعة السادسة من بعد ظهر هذا اليوم وكأن أولئك الأشخاص نفسهم يجب أن يُحرموا من البيرة عند عودتهم للكنيسة لقضاء ليلة الأحد. في الأيام الستة الأولى من الأسبوع يتم بيع البيرة من الساعة السادسة صباحًا وحتى منتصف الليل لكن يوم الأحد حصرًا يعملون على تخفيف البيع إجلالًا للخالق.

اشترى جايك ستّ علب بيرة من بقالة بيتس، وطلب من سائقه أن يذهب باتجاه البحيرة؛ في سيارة البرونكو العتيقة التي يملكها هاري ريكس العشرات من قناني البيرة الفارغة والمكسورة على أرضية السيارة، أما بالنسبة إلى التكييف فلم يعمل منذ ست سنوات، فاقترح جايك أن يستخدما سيارة الساب بدلًا من ذلك ولكن هاري ريكس شتمه على غبائه.

فالساب الحمراء تعتبر هدفًا سهلًا للقناص، ولكنّ أحدًا لن يشك في سيارة البرونكو.

توجّها ببطء صوب البحيرة؛ فهما لم يكونا يقصدان وجهة محددة؛ صدح صوت ويلي نيلسون المنتحب من الكاسيت، وبدأ هاري ريكس يغني بالتزامن معه، وإذا أخذنا بعين الاعتبار صوته الخشن الخالي من أي نغمة، فقد كان الأمر مروعًا، أما جايك فكان يرتشف من البيرة بهدوء، ويحاول رؤية ضوء النهار أمامه.

أوشكتْ موجة الحر أن تنتهي، حيث إنّه يمكن رؤية السحب الداكنة تلوح في الأفق إلى الجنوب الغربي، ولم تلبث الأمطار أن بدأت تتساقط بعد فترة وجيزة، فانتعشتِ الأرض القاحلة، كما عملتِ الأمطار على تنظيف ومسح الشوارع من الغبار الذي ملأ المكان مثل الطحالب الإسبانية، وبرّدتِ الأمطار الجو، وظهر بعض الضباب، وبدأتْ تيارات الماء تسيل باتجاه مصارف الطرقات والخنادق. غمرتِ الأمطار القطن وفول الصويا والمحاصيل، وشكّلت بركًا صغيرة بين الأشجار، وعملتْ ماسحتا الزجاج الأماميتان بشكل إعجازي غير متوقع، وبدأتْ عملية المسح العنيف ذهابًا وإيابًا حتى اختفى كل الطين.

إزدات حدة العاصفة، ورفع هاري ريكس الصوت فصدحت الأغاني، وقبَعَ السودُ تحت الجسور وهم يعتمرون قبعاتهم المصنوعة من القش، ويحملون صنانيرهم المصنوعة من قصب السكر، وفي الأسفل منهم عادتْ جداول المياه الساكنة إلى الحياة. اندفعتْ المياه الموحلة من الحقول والأخاديد إلى الأسفل باتجاه الجداول الصغيرة، وارتفع مستوى الماء واستمر باتجاهه نحو الأمام. أكل السود وسردوا قصص الصيد التي عاشوها سابقًا.

شعرهاري ريكس بالجوع فتوقف عند بقالة تريدواي بالقرب من البحيرة، واشترى مزيدًا من البيرة ووجبتي عشاء من سمك السلور، ثم استقلّ السيارة وألقى بالمشتريات باتجاه جايك.

عبرا السد وسط هطول غزير للأمطار، ثم توقف هاري ريكس بالقرب من منطقة للنزهات؛ جلسا إلى طاولة إسمنتية للنزهات، وشاهدا مياه الأمطار وهي تختلط بمياه بحيرة شاتولا، وشرب جايك البيرة بينما تناول هاري ريكس سمك السلور وسأل: "متى ستخبر كارلا؟".

"عمّاذا؟".

"عن المنزل".

"لن أخبرها، أعتقد أنني أستطيع إعادة بنائه قبل عودتها".

"تقصد نهاية الأسبوع؟".

"أجل".

"أنت لا تعي ما تقوله يا جايك، لقد أفرطت في شرب الكحول، وبدأت تفقد عقلك على ما يبدو".

"أنا أستحق هذا، أنا على بعد أسبوعين من الإفلاس، وعلى وشك أن أفقد أكبر قضية في مسيرتي والتي دُفع لي فيها تسعمئة دولار، وبيتي الجميل الذي التقط الجميع صورًا تذكارية بالقرب منه تحول إلى حطام، لقد تركتني زوجتي وعندما تسمع عن المنزل ستطلب الطلاق بالتأكيد، ولذلك سأفقد زوجتي أيضًا، أما ابنتي فبمجرد أن تعرف أن كلبتها اللعينة قد احترقت ستكرهني إلى الأبد، وأعضاء الكلان الحمقى يبحثون عني، والقناصة يطلقون عليّ، وهناك جندي يرقد في المستشفى مصابًا برصاصة في عموده الفقري كان يفترض بها أن تستقر في جسدي، وسأفكر فيه وأحمل ذنبه في قلبي كل ساعة من كل يوم لبقية حياتي، قُتل زوج سكرتيرتي بسببي،

وآخر موظفة لديّ في المستشفى تعاني من ارتجاج في المخ وكل هذا فقط لأنها عملت معي. تعتقد هيئة المحلفين أنني محتال كاذب بسبب شهادة الطبيب، وموكلي يريد أن يطردني وبمجرد أن يُدان سيلومني الجميع، وسيكلف محاميًا آخر لمرحلة الاستئناف، أحد محامي اتحاد الحريات المدنية الأمريكية، وسيقاضيني بدعوى الخطأ الجسيم، وبالطبع سيكونون على حق، لن يكون لدي زوجة، ولا ابنة، ولا منزل، ولا مهنة، ولا وكلاء، ولا نقود؛ لن يكون لديّ أي شيء".

"أعتقد أنك بحاجة إلى معالج نفسي يا جايك، ربما أنت بحاجة لتحديد موعد مع الطبيب باس... دعنا نشرب بعض البيرة".

"أعتقد أنني سأنتقل للعيش مع لوسيان، وأقضي نهاري جالسًا على الشرفة".

"هل يمكنني الحصول على مكتبك؟".

"هل تعتقد أنّها ستطلب الطلاق؟".

"على الأغلب، لقد عشتُ تجربة أربع حالات طلاق، وأستطيع القول إن النساء يسعين إلى طلب الطلاق إذا حدث أي شيء لعين صغير".

"كلا... هذا الأمر ينطبق على سائر النساء وليس على كارلا، أعشق الأرض التي تمشي عليها، وهي تعلم ذلك جيدًا".

"ستنامُ بدورها على الأرض عندما تعود إلى كلانتون".

"كلا... سنحصل على مقطورة واسعة ومريحة، سأحرص على أن نتجاوز هذا معًا بشكل جيد ريثما تنتهي مرحلة الإفلاس، ثمّ سنجد منزلًا قديمًا آخر ونبدأ من جديد".

"على الأغلب يجب أن تجدَ زوجة أخرى وتبدأ من جديد، فما الذي يدفعها لترك منزل فاخر على شاطئ خلاب والعودة إلى مقطورة في كلانتون؟".

"لأنني سأكون موجودًا في تلك المقطورة".

"هذا لا يكفي... جايك ستكون محاميًا مخمورًا ومفلسًا ومعزولًا من المهنة، وستحصل على كل أنواع التعذيب النفسي علنًا، وسينساك جميع أصدقائك باستثناء أنا ولوسيان، وزوجتك هذه لن

تعود أبدًا؛ الأمر منتهٍ يا جايك، وبصفتي صديقك ومحامي طلاق انصحك أن تقدم الدعوى أولًا، افعلها غدًا، ولن تتمكن هي من معرفة ما أصابها".

"لماذا أقاضيها أنا بقضية طلاق؟".

"لأنها ستقاضيك، ولذلك سنقوم نحن بالخطوة الأولى، ونزعم أنّها هجرتك عندما كنت بحاجة ماسة لها".

"هل هذا سبب للطلاق؟".

"كلا، ولكننا سندعي أيضًا أنك مجنون، مجرد جنون مؤقت، فقط دعني أتعامل مع الموقف، سأستخدم قاعدة الادعاء بالاختلال العقلي، أنا محامي طلاق لا أتمتع بأية أخلاق هل نسيتَ؟".

شرب جايك من علبة البيرة الملقية بجانبه، ثمّ فتح واحدة أخرى، كان المطر قد خف، وتلاشتِ الغيوم جزئيًا، وهبتِ الرياح الباردة باتجاههما، سأل جايك وهو يحدق إلى البحيرة: "سيقررون إدانته أليس كذلك يا هاري ريكس؟"، ثمّ أخذ عدة قضمات، ومسح فمه ووضع الصحن الكرتوني على الطاولة، وارتشف رشفة طويلة من البيرة؛ كانت الرياح تحمل بعض الأمطار وتلقيها في وجهه، فمسحها بكمه.

"أجل يا جايك، رجلك ذاك على وشك أن يُرحّل بعيدًا، يمكنني رؤية ذلك في عيونهم، لم تنجح حجة الجنون الحمقاء تلك، لم يرغبوا بتصديق باس في البداية، وبعد ما فعله باكلي يمكن اعتبار أن كل شيء انتهى. لم يساعد كارل لي نفسه، لقد كان صادقًا جدًا، وكأنه يستجدي الشفقة والتعاطف، لقد شاهدتُ رد فعل هيئة المحلفين عندما كان يدلي بشهادته، وفي الحقيقة لم أرَ أي دعم، سوف يقررون إدانته وبأسرع ما يمكن".

"شكرًا لفظاظتك".

"أنا صديقك، وأعتقد أنّه عليك أن تستعد لفكرة الإدانة ومرحلة الاستئناف الطويلة".

"هل تعلم يا هاري ريكس، أتمنى لو أنني لم أسمع أبدًا بشخص يدعى كارل لي هيلي".

"لسوء الحظ، لقد فات الأوان يا جايك".

فتحتْ سالي الباب لجايك، وأظهرتْ أسفها لما حلّ بمنزله، كان لوسيان في الطابق العلوي في مكتبه يعمل ويدرس بكل رصانة وجهد، فأشار إلى الكرسي آمرًا جايك بالجلوس؛ كانت الملفات القانونية تملأ مكتبه.

قال وهو يلوح باتجاه الفوضى التي أمامه: "لقد أمضيت فترة بعد الظهر أحضر للجلسة الختامية... أمَلُكَ الوحيد لإنقاذ هيلي هو أداء ساحر في المرافعة النهائية، ونحن نتحدث هنا عن أكبر حجة ختامية في تاريخ الحقوق، في الحقيقة هذا ما سيتطلبه الأمر".

"وأستطيع توقع أنك صنعت مثل هذه التحفة الختامية الفنية".

"في الحقيقة أجل، إنّها أفضل بكثير من أي شيء قد تبتكره أنت، وافترضت - وكما يبدو أنّه افتراض صحيح - أنك ستقضي فترة بعد ظهر الأحد حزينًا على فقدان منزلك وأغراضك، أي كنتُ أعلم أنك لن تحضر أي شيء، فلذلك قمت بالأمر نيابة عنك".

"أتمنى لو كنت أستطيع البقاء رصينًا مثلك يا لوسيان".

"أؤكد لك أنني سأكون محاميًا مخمورًا أفضل منك وأنت بكامل وعيك ورصانتك".

"على الأقل لا تزال محاميًا".

رمى لوسيان ملفًا قانونيًا باتجاه جايك قائلًا: "يحوي هذا الملف تجميعًا لأفضل وأعظم الحجج الختامية لي على الإطلاق، أي يمكنك القول إنّه أفضل لحظات لوسيان ويلبانكس، لقد دمجت جميعًا لخدمتك وخدمة موكلك، وأنا أقترح عليك أن تحفظه وتستخدمه كلمة كلمة، إنّه ذو جودة عالية جدًا، فقط لا تقم بتعديله ولا ترتجل لأنك سوف تفسد الأمر".

"سأفكر في ذلك، لقد فعلتُ ذلك مرة من قبل؛ هل تتذكر؟".

"لن تعلم أبدًا متى قد يحدث مجددًا".

"اللعنة يا لوسيان، ابتعد عن ظهري".

"خذِ الأمور بروية يا جايك. هيا، فلنشرب الآن... سالي، سالي".

ألقى جاك بتلك التحفة الختامية على الأريكة، ومشى باتجاه النافذة المطلة على الفناء الخلفي، وركضت سالي على الدرج باتجاه الطابق العلوي، وطلب منها لوسيان أن تحضر البيرة والويسكي.

سأله لوسيان: "هل كنت مستيقظًا طوال الليل؟".

"كلا، لقد نمتُ من الساعة الحادية عشرة حتى الساعة الثانية عشرة".

"يبدو شكلك مروعًا، فأنت بحاجة إلى ليلة راحة".

"أشعر بالأرق والفزع ولن يساعدني النوم، في الحقيقة لن يساعدني أي شيء سوى نهاية هذه المحكمة، لا أعلم كيف اجتمع كل شيء ضدي، وسارتْ جميع الأمور بشكل خاطئ لهذه الدرجة، هذه المحكمة ما كان يجب أن تعقد هنا، كما أننا كنا نتعامل مع أسوأ هيئة محلفين قد نقابلها - بالإضافة إلى أنّه قد تم التلاعب بها - ولكن لا يمكنني إثبات ذلك، وأفضل شاهد لدينا فقد مصداقيته بالكامل، وأدلى المدعى عليه بشهادة رديئة جدًا، وهيئة المحلفين لا تثق بي، حقًا لا أعلم ما الذي يمكن أن يحدثَ أسوأ من هذا".

"جايك ما زال بإمكانك أن تربح القضية، ما من شك أن الأمر يحتاج إلى معجزة، ولكن هذه الأشياء تحدث أحيانًا، لقد انتزعتُ فوزي من مخالب المحامي العام عدة مرات عندما قدّمت حجة قوية ومرافعة ختامية مقنعة، العب مع هيئة المحلفين، وتحدث إليهم، تذكر دائمًا أن نهاية المحلفين تتوقف على أمر واحد فقط".

"هل يجب أن أجعلهم يذرفون الدموع؟".

"إذا تمكنتَ من ذلك فافعل، تذكر أن الأمر ليس سهلًا، لكنّني أؤمن بفعالية الدموع عندما يتعلق الأمر بهيئة المحلفين".

أحضرت سالي المشروبات، فتبعاها إلى الشرفة في الطابق السفلي، وبعد أن حل الظلام، قدمتْ لهما السندويشات والبطاطا المقلية. عند الساعة العاشرة، استأذن جايك وذهب إلى غرفته، ثمّ اتصل بكارلا وتحدث معها لمدة ساعة تقريبًا من دون أن يذكر أي شيء عن المنزل. شعر بألم في معدته عندما سمع صوتها، وأدرك أنّه سيضطر لا محالة أن يخبرها أن المنزل - منزلها - لم يعد موجودًا بعد الآن، ثم أنهى المكالمة وهو يصلي ويتمنى ألّا تكون قد قرأت عن المنزل في الصحف.

40

صباح يوم الاثنين، عادتْ مدينة كلانتون إلى سابق عهدها، فوُضِعتْ الحواجز في الميدان وزيد عدد الجنود للحفاظ على الأمن حيث انتشروا على نطاق واسع، وهم يشاهدون جماعة كو كلوكس يقفون في جهتهم المحددة، والمتظاهرين السود في الطرف المقابل. سمح يوم الراحة للمتظاهرين بتجديد طاقتهم، وبحلول الساعة الثامنة والنصف كانوا بمثابة جوقة كاملة. شكّل الطبيب باس خبرًا كبيرًا، واستطاعتْ مجموعة كو كلوكس أن ترى بشائر النصر تلوح في الأفق، بالإضافة إلى أنّهم حققوا نقطة إضافية في شارع آدمز، كانوا يهتفون بصوت أعلى بكثير من المعتاد.

بحلول الساعة التاسعة، استدعى نووز المحامين إلى غرفته، فابتسم لجايك وقال: "أردتُ فقط أن أتأكد أنك على قيد الحياة وبصحة جيدة".

قال جايك: "لِمَ لا تخرس أيها القاضي؟"، قال ذلك بصوت منخفض، ولكنه كافٍ ليسمع، فتجمّد المدعون، وسعل السيد بات، وأدار نووز رأسه يمينًا ويسارًا وكأنه يعاني من ضعف سمع.

سأل القاضي: "ماذا قلتَ يا سيد بريغانس؟".

"لقد قلتُ لِمَ لا نبدأ أيها القاضي؟".

"أجل هذا ما ظننته، كيف حال السيدة رورك؟".

"ستكون بخير".

"هل الكلان هم الجناة؟".

"أجل أيها القاضي، الكلان أنفسهم الذين حاولوا قتلي، والذين أضاؤوا المقاطعة بأكملها بالصلبان، والذين يُحتمل أنّهم هددوا معظم هؤلاء المحفلين الجالسين هناك، نعم يا سيدي، إنهم جماعة الكلان نفسها".

نزع نووز نظارته وقال: "هل يمكنك إثبات ذلك؟".

"إذا كنت تعني، هل لديّ اعترافات مكتوبة وموقعة وموثقة من قبلهم؟ كلا يا سيدي، في الحقيقة، إنّهم غير متعاونين".

"إذا لم يكن بإمكانك إثبات ذلك يا سيد بريغانس، فاترك الأمر وشأنه".

"نعم حضرتك".

غادر جايك الغرفة، وصفق الباب وراءه، وبعد ثوانٍ نادى السيد بات على الجميع فوقفوا، رحّب نووز بعودة هيئة المحلفين، ووعد بأن هذه المحنة على وشك الانتهاء، لم يبتسم له أحد، فلقد كانت عطلة أسبوع طويلة منعزلة في تيمبل آن.

سأل نووز: "هل لدى الولاية أي نقض؟".

"شاهد واحد، حضرتك".

تم إحضار الطبيب روديفر من غرفة الشهود، وجلس بعناية على مقعد الشاهد، وأومأ برأسه لهيئة المحلفين؛ كان شكله يوحي بأنه طبيب نفسيّ وهو يرتدي بذلة داكنة.

صعد باكلي إلى المنصة، وابتسم لهيئة المحلفين ثمّ قال: "أنت الطبيب ويلبرت روديفر"، قال ذلك وهو ينظر إلى هيئة المحلفين وكأنه يقول: الآن ستقابلون طبيبًا نفسيًا حقيقيًا.

"أجل يا سيدي".

تابع باكلي وسألهُ ما يقارب المليون سؤال عن خلفيته التعليمية وشهادته.

كان روديفر واثقًا ومستعدًا ومعتادًا على مقعد الشاهد ذاك، وتحدث بإسهاب عن تدريبه وتعليمه الواسع وخبرته الواسعة بصفته طبيبًا ممارسًا، وعن منصبه الكبير كرئيس للموظفين في مستشفى الأمراض العقلية التابع للولاية، وسأله باكلي عما إذا كتب أي مقالات في مجاله، ثمّ ناقش كتاباته لمدة ثلاثين دقيقة.

إنه رجل متعلم جدًا، وقد حصل على منحة بحثية من الحكومة الفيدرالية ومن ولايات مختلفة، بالإضافة إلى أنّه كان عضوًا في جميع المنظمات التي ينتمي إليها باس، وعدد قليل من المنظمات الأخرى، وهو معتمد من قبل كل جمعية تتعلق بدراسة العقل البشري عن بعد. كان رزينًا وقدّمه باكلي بحيث إنّه أظهر خبرته؛ لم يكن لدى جايك أي أسئلة.

تابع باكلي كلامه: "أيها الطبيب روديفر، متى فحصتَ كارل لي هيلي للمرة الأولى؟".

تفحص الطبيب الخبير ملف ملاحظاته ثمّ أجاب: "في التاسع عشر من حزيران".

"أين جرى الفحص؟".

"في مكتبي الواقع في وايتفيلد".

"وكم من الوقت استغرقتَ في فحصه؟".

"بضع ساعات".

"لماذا فحصته؟".

"لأحاول تحديد حالته العقلية في ذلك الوقت، وأيضًا في الوقت الذي قتل فيه السيد كوب والسيد ويلارد".

"هل حصلت على تاريخه الطبي؟".

"معظم المعلومات جمعها مساعد في المستشفى، وراجعتُ البيانات مع السيد هيلي".

"ماذا اكتشفتَ عن تاريخه المرضي؟".

"لا يوجد شيء ملفت بشكل كبير، لقد تحدث كثيرًا عن فييتنام، ولكن لا يوجد شيء مهم بشكل خاص".

"هل تحدث بشكل طبيعي ومرتاح عن فييتنام؟".

"أجل، لقد أراد أن يتحدث عن فييتنام، لقد كان الأمر كما لو أن شخصًا ما قد حثه للتحدث كثيرًا عنها".

"ما الذي تحدثتما عنه في الفحص الأول؟".

"لقد تكلمنا عن مواضيع كثيرة شملتْ طفولته، وعائلته، وتعليمه، والعديد من الوظائف المختلفة؛ لقد ناقشنا كل مراحل حياته تقريبًا".

"هل ناقش حادثة اغتصاب ابنته؟".

"نعم، ناقش الأمر بأدق تفاصيله، وبالتأكيد شعر بألم كبير عندما كان يتحدث عنه، كنت لأشعر بذلك أيضًا إنْ حدث الأمر لابنتي".

"هل ناقش معك الأحداث التي أدت في النهاية إلى إطلاق النار على كوب وويلارد؟".

"نعم، تحدثنا عن ذلك لفترة طويلة، حاولتُ أن أتأكد من مقدار معرفته وفهمه للأحداث الحاصلة".

"ماذا أخبرك؟".

"في البداية لم يخبرني بالكثير، ولكن مع مرور الوقت، ارتاح لي أكثر، وشرح لي كيف تفحّص المحكمة قبل عملية إطلاق النار بثلاثة أيام، واختار مكانًا جيدًا للهجوم".

"هل تكلم عن عملية إطلاق النار؟".

"لم يخبرني الكثير عن عملية القتل الفعلية بحد ذاتها، قال لي إنّه لا يتذكر الكثير، ولكنّني لا أظن ذلك".

وقف جايك صارخًا: "اعتراض، لا يمكن للشاهد أن يشهد إلّا بالأشياء التي يعرفها بالفعل، ولا يحق له التكهن".

"أؤكد ذلك، استمر من فضلك يا سيد باكلي".

"ما الذي لاحظته أيضًا في ما يخص مزاجه وطريقة حديثه؟".

وضع روديفر ساقًا فوق الأخرى، وهز ساقه بهدوء، وظهرتْ على وجهه ملامح التفكير العميق، ثم قال: "في البداية، لم يثق بي، ولم يستطيع أن ينظر إلى عينيّ، وكانت أجوبته مقتضبة، وكان يشعر بالاستياء الشديد بسبب حقيقة أنّه تحت الحراسة، ومقيد اليدين أحيانًا أثناء وجوده في منشأتنا، ولكن بعد فترة انطلق لسانه أكثر وتحدث بحرية عن أغلب الأشياء، إذ رفض الإجابة عن بعض الأسئلة بشكل قاطع، ولكن بخلاف ذلك يمكن القول إنّه كان متعاونًا إلى حد ما".

"أين ومتى فحصته مرة أخرى؟".

"في اليوم التالي للفحص الأول، وفي المكان نفسه".

"كيف كان مزاجه وموقفه منك في اليوم التالي؟".

"تقريبًا كما كان في الفحص الأول، في البداية، كان باردًا ثمّ انفتح في نهاية الأمر، ولكنه ناقش الموضوعات نفسها التي تم مناقشتها بشكل أساسي".

"كم استغرقتَ في هذا الفحص؟".

"قرابة الأربع ساعات".

تفقد باكلي شيئًا ما في الملف القانوني، ثمّ همس بشيء ما إلى موسغروف.

"أما الآن أيها الطبيب روديفر، فهل يمكنك استنادًا إلى الفحص الذي أجريته يومي التاسع عشر والعشرين من حزيران، التوصل إلى تشخيص طبي لحالة المدعى عليه النفسية؟".

"نعم يا سيدي".

"وما هو تشخيصك؟".

"استنادًا إلى الجلستين المنعقدتين في التاسع عشر والعشرين من حزيران، بدا السيد هيلي سليم العقل وطبيعيًا تمامًا".

"شكرًا لك... وبناءً على فحوصاتك، هل تستطيع تشخيص الحالة العقلية للسيد هيلي في اليوم الذي أطلق فيه النار على بيلي راي كوب وبيت ويلارد؟".

"أجل".

"وما هذا التشخيص؟".

"أرى أن حالته العقلية سليمة تمامًا وليس هناك عيوب من أي نوع".

"ما هي العوامل التي تستند إليها في تشخيصك هذا؟".

التفتَ روديفر إلى هيئة المحلفين وتقمص شخصية الأستاذ: "يجب أن تنظر إلى سبق الإصرار في هذه الجريمة، فالدافع هو أحد عناصر سبق الإصرار، وبالتأكيد كان لديه دافع لفعل ما فعله، وحالته العقلية لم تمنعه من الرغبة في قتلهما مع سبق الإصرار؛ بصراحة، لقد خطط السيد هيلي بعناية لما فعله".

"أنت معتاد على مواجهة قضايا يتم فيها الإدلاء بالاختلال العقلي كحجة تبرئة من المسؤولية الجنائية؟".

"بالتأكيد".

"وأنت تدرك أن طبيبًا نفسيًا آخر، وهو الطبيب باس، قد أخبر هيئة المحلفين أن السيد هيلي لم يستطيع أن يفرق بين الصواب والخطأ، وأيضًا لم يكن قادرًا على تقدير أفعاله".

"نعم، أنا على علم بذلك".

"هل توافق على هذه الشهادة؟".

"كلا، لا أجد هذا التشخيص مقنعًا أبدًا، بالإضافة إلى أن هيلي نفسه، شهد أنّه خطط لارتكاب جريمة القتل، أي لقد اعترف بذلك، وفي الواقع لم تمنعه حالته العقلية من وقف التخطيط لهذه الجريمة، وتدعى هذه الحالة في أي كتاب قانوني وطبي بسبق الإصرار ولم أسمع أبدًا عن شخص خطط لجريمة قتل ثمّ ادعى أنّه لا يعرف ما كان يفعله، هذا يدعى سخافة".

شعر جايك نفسه أن الأمر سخيف، وعندما سمع صدى القصة وهي تتردد في جميع أنحاء المحكمة بدتْ حقًا سخيفة للغاية، بدا روديفر جيدًا للغاية وصاحب مصداقية عالية.

فكّر جايك بالطبيب باس وشتمه سرًا.

جلس لوسيان مع السود ووافق على كل كلمة قالها روديفر.

إذا قورن مع باس فيمكن القول إنّ طبيب الولاية كان يتمتع بمصداقية أكبر.

تجاهل لوسيان مكان جلوس هيئة المحلفين، وكان مستعدًا أن ينزع عينيه من مكانهما لكي لا تلتقي بشكل خاطئ بكلايد سيسكو الذي يحدق إليه بشكل علني مباشر، ولكن لوسيان تمكن من أن يمنع التقاء عيونهما؛ لم يتصل الرسول صباح الاثنين حسب التعليمات.

إيماءة واحدة أو غمزة إيجابية من لوسيان كفيلة بإتمام الصفقة، وتبقى ترتيبات الدفع لاحقًا بعد أن يصدر الحكم. عَلِمَ سيسكو قواعد اللعبة، وكان ينتظر الإجابة، ولكن لم تصدر أي إشارة من لوسيان إذ إنه أراد أن يناقش الأمر مع جايك.

"الآن أيها الطبيب، بالاستناد إلى جميع العوامل وبالاستناد إلى تشخيصك لحالته العقلية ابتداءً من عشرين أيار، وبدرجة معقولة من المعرفة الطبية للحالة، هل لديك رأي يتعلق بإمكانية السيد هيلي على معرفة الصواب والخطأ عندما أطلق النار على بيلي راي كوب وريلارد ودي واين لوني؟".

"أجل لديّ".

"وما هو رأيك؟".

"كان يتمتع بحالة عقلية سليمة تمامًا، وكان قادرًا على التمييز بين الصواب والخطأ".

"وهل لديك رأي يتعلق بإمكانية السيد هيلي على تقدير طبيعة ومدى أفعاله؟".

"أجل لديّ".

"وما هو رأيك؟".

"إنه يقدر طبيعة أفعاله بشكل سليم تمامًا".

انحنى باكلي بأدب وقال: "شكرًا لك أيها الطبيب، ليس لديّ أي أسئلة أخرى".

سأل نووز: "أي سؤال من قبلك يا سيد بريغانس؟".

"بضعة أسئلة".

"أعتقدتُ ذلك، دعونا نأخذ استراحة لمدة خمس عشرة دقيقة".

تجاهل جايك كارل لي وخرج مسرعًا من قاعة المحكمة، ثمّ صعد الدرج متجهًا إلى مكتبة القانون في الطابق الثالث حيث كان هاري ريكس ينتظره مبتسمًا، ثم قال: "استرخِ يا جايك، لقد اتصلتُ بكل صحف ولاية كارولينا الشمالية، وتأكدتُ من أنّه لم يُنشر مقال عن احتراق المنزل ولا يوجد أي شيء عن رو آرك، نشرتْ صحيفة رالييه الصباحية مقالًا عن المحاكمة، ولكن الأمر لم

يتجاوز بضع عبارات عامة، لا شيء آخر. اطمئن يا جايك؛ كارلا لم تعرف بعد، كل ما تعلمه أن منزلها الجميل الخلاب ما زال شامخًا في مكانه".

"هذا أمرٌ رائع، رائع جدًا، شكرًا جزيلًا يا هاري ريكس".

"العفو، هذا أمر لا يُذكَر... انظر يا جايك، هناك موضوع أكره أنني سأضطر لخوضه معك".

"ما الأمر؟".

"أنت تعلم أنني أكره باكلي، حتى إنني أكرهه أكثر مما تكرهه بكثير، ولكنّني أتفاهم مع موسغروف إلى حد ما، يمكنني التحدث إلى موسغروف، وكنت أفكر الليلة الماضية بإمكانية أن نتقرب منهما قليلًا عن طريق موسغروف، ونرى إذا كان بإمكاننا عقد صفقة".

"كلا".

"اسمع يا جايك، ما الضرر بذلك؟ لا يوجد ضرر، ستنقذ حياته".

"كلا".

"انظر يا جايك، موكلك على بعد أربعة وعشرين ساعة من إدانته بعقوبة الإعدام، وإذا كنت لا ترى ذلك قادمًا فأنت أعمى يا صديقي".

"ولماذا قد يوافق باكلي على عقد صفقة؟ فهو الطرف الرابح حتى الآن".

"ربما لن يوافق، ولكن دعني اكتشف إمكانية ذلك على الأقل".

"كلا يا هاري ريكس، انسَ الموضوع برمته".

بعد الاستراحة، عاد روديفر إلى مقعده، ونظر إليه جايك من مكانه، فخلال مسيرته القانونية القصيرة لم يكسب أي جدال - سواء أكان داخل المحكمة أو خارجها - مع شاهد خبير، وبحكم أن حظه كان يسير بالاتجاه المعاكس تمامًا قرر عدم مجادلته.

"أيها الطبيب روديفر، الطب النفسي هو دراسة العقل البشري، أليس كذلك؟".

"أجل هذا صحيح".

"وهو علم غير دقيق، أليس كذلك؟".

"أجل".

"قد تفحص مريضًا وتتوصل إلى تشخيص، ثمّ يفحصه طبيب آخر ويتوصل إلى تشخيص مختلف تمامًا؟".

"أجل، هذا ممكن".

"في الحقيقة، يمكن أن يفحص عشرة أطباء نفسيون المريض نفسه ويتوصلون إلى عشرة آراء مختلفة".

"هذا غير مرجح".

"ولكنه أمر ممكن الحدوث، أليس كذلك أيها الطبيب؟".

"نعم من الممكن ذلك، أعتقد أن الأمر مشابه لاختلاف الآراء القانونية".

"ولكننا لا نتعامل مع آراء قانونية في هذه القضية، أليس كذلك أيها الطبيب؟".

"نعم".

"في الواقع، قد يعجز الأطباء النفسيون في عدة حالات عن إعطائنا تشخيصًا لحالة المريض".

"أجل، هذا صحيح".

"والأطباء النفسيون يختلفون بالآراء في معظم الأوقات؟".

"أجل بالتأكيد".

"الآن، لصالح من تعمل أيها الطبيب؟".

"ولاية ميسيسيبي".

"ومنذ متى؟".

"إحدى عشرة سنة".

"ومن الذي يقاضي السيد هيلي؟".

"ولاية ميسيسيبي".

"خلال الإحدى عشرة سنة التي عملتَ فيها لصالح الولاية، كم مرة شهدتَ في محاكمات استُخدم فيها عذر الاختلال العقلي؟".

فكّر روديفر لدقيقة ثمّ أجاب: "أعتقد أن هذه هي المرة الثالثة والأربعون".

تفقد جايك شيئًا في الملف ثمّ نظر إلى الطبيب بابتسامة صغيرة ذات طابع سيئ وقال: "هل أنت متأكد أنّها ليست السادسة والأربعين؟".

"ربما، لست متأكدًا حقًا".

سيطر جو من التركيز المشحون على المحكمة، وراقب باكلي وموسغروف شاهدهما بعناية.

"لقد شهدت لصالح الولاية في ستٍّ وأربعين قضية تم فيها استخدام عذر اللاختلال العقلي".

"حسنًا، إذا كان هذا ما تقوله".

"في كل المرات شهدتَ أن المدعى عليه لا يتصف بالاختلال العقلي من الناحية القانونية، أليس كذلك أيها الطبيب؟".

"لست واثقًا تمامًا".

"حسنًا، دعني أصيغ الأمر بطريقة أبسط، لقد شهدتَ في ستٍّ وأربعين قضية، وفي الستّ والأربعين كان رأيك أن المتهم ليس مختلًا عقليًا من الناحية القانونية، أليس كذلك؟".

تنحنح روديفر قليلًا، وبدأت ملامح الانزعاج تظهر عليه، ثم قال: "لستُ واثقًا".

"لم يسبق أبدًا أن رأيتَ متهمًا تنطبق عليه الشروط القانونية للاختلال العقلي، أهذا صحيح؟".

"بالطبع لقد رأيت".

"جيد، هل يمكنك إخبارنا باسم هذا المتهم وأين تمت محاكمته؟".

وقف باكلي وزرر معطفه قائلًا: "تعترض الولاية على هذه الأسئلة، لا يمكن أن يُطلبَ من الطبيب روديفر أن يتذكر أسماء وأماكن المحاكمات التي شهد فيها".

"اعتراض مرفوض، أجب عن السؤال أيها الطبيب".

تنفس روديفر بعمق، ونظر إلى السقف بتمعن في الوقت الذي انتظر فيه الجميع إجابته، قال أخيرًا: "لا أستطيع أن أتذكر".

رفع جايك رزمة كبيرة من الورق، ولوّح بها باتجاهه: "هل يمكن أن يكون السبب أنّه وخلال إحدى عشرة سنة، وست وأربعين محاكمة، لم يسبق وأن شهدتَ لصالح المدعى عليه أيها الطبيب".

"أنا حقًا لا أستطيع التذكر".

"هل يمكنك أن تسمي لنا محاكمة واحدة رأيتَ فيها أن المتهم يتصف بالاختلال العقلي قانونيًا؟".

"أنا متأكد أنّه يوجد محاكمة".

"نعم أو لا أيها الطبيب؟ محاكمة واحدة؟".

تمعن الخبير قليلًا ثمّ قال: "كلا، تخذلني ذاكرتي، لا أستطيع أن أتذكر الآن".

سار جايك ببطء باتجاه طاولة المدعى عليه، والتقط ملفًا سميكًا.

"أيها الطبيب روديفر... هل تتذكر شهادتك في محاكمة رجل باسم داني بوكر في مقاطعة ماك ميرفي في كانون الأول من العام 1975؟ كانت جريمة قتل مزدوجة مروعة؟".

"نعم أذكر تلك المحاكمة".

"ولقد شهدتَ أن المدعى عليه لم يكن مجنونًا من الناحية القانونية، أليس كذلك؟".

"أجل، هذا صحيح".

"هل تستطيع تذكر عدد الأطباء النفسيين الذين شهدوا لصالحه؟".

"كلا، لا أستطيع تذكر ذلك بشكل دقيق، لقد كان هناك العديد منهم".

"هل تُذَكرُكَ الأسماء التالية بأي شيء؛ الطبيبة نويل مكلاكي، والطبيب ماكغواير، والطبيب لو واتسون؟".

"أجل".

"جميعهم أطباء نفسيون، أليس كذلك؟".

"أجل".

"ويتصفون جميعًا بصفات الطبيب الجيد المؤهل، أليس كذلك؟".

"أجل".

"وتم فحص السيد بوكر من قبلهم جميعًا، وشهدوا في المحاكمة أن الرجل المسكين كان مختلًا عقليًا من الناحية القانونية؟".

"هذا صحيح".

"ولكنك شهدتَ أنّه لم يكن كذلك من الناحية القانونية؟".

"أجل".

"كم عدد الأطباء الذين اتفقوا مع وجهة نظرك؟".

"لا أحد على حسب ما أتذكر".

"إذًا، كنتم ثلاثة آراء ضد رأي واحد؟".

"نعم، لكنّني مقتنع أنني كنت على حق".

"أفهم ذلك، ماذا كان قرار هيئة المحلفين أيها الطبيب؟".

"لقد أقرتْ أنّه غير مذنب بسبب حجة الجنون".

"شكرًا لك أيها الطبيب روديفر، أنت كبير الأطباء في وايتفيلد، أليس كذلك؟".

"أجل، إذا جاز التعبير".

"هل أنت مسؤول بشكل مباشر أم غير مباشر عن علاج كل مريض في وايتفيلد؟".

"أنا مسؤول بشكل مباشر يا سيد بريغانس، قد لا أرى كل مريض بشكل شخصي، ولكن الأطباء جميعًا تحت إشرافي".

"شكرًا لك أيها الطبيب، هل يمكنك إخباري أين داني بوكر اليوم؟".

نظر روديفر بيأس صوب باكلي، وحاول إخفاء يأسه على الفور بابتسامة مريحة لهيئة المحلفين، تردد لثوانٍ ثمّ استمر ترددد لثوانٍ إضافية، وعلا صوت جايك: "إنه في وايتفيلد أليس كذلك؟"، سأل جايك بنبرة كفيلة بإخبار الجميع أن الإجابة هي نعم.

قال روديفر: "أعتقد ذلك".

"حسنًا، أيمكن اعتباره تحت رعايتك بشكل مباشر أيها الطبيب؟".

"أجل أفترض ذلك؟".

"وما تشخيص حالته؟".

"أنا لا أستطيع تذكر ذلك حقًا، لديّ الكثير من المرضى و...".

"إنه الفصام الذي ينطوي على مشاعر العظمة مع الاضطهاد".

"أجل، هذا ممكن".

مشى جايك نحو الخلف، وجلس على السياج، ثمّ رفع صوته قائلًا: "الآن، أرغب بأن أوضح ذلك لهيئة المحلفين... في العام 1975 شهدتَ أن داني بوكر لم يكن مختلًا عقليًا من الناحية القانونية ويفهم بالضبط ما كان يفعله عندما ارتكب جريمته، وقد اختلفتْ هيئة المحلفين معك ووجدته غير مذنب، ومنذ ذلك الوقت وهو مريض تحت إشرافك في المستشفى، ويخضع للعلاج باعتباره مريضَ فصام، هل هذا صحيح؟".

تمكنتِ الابتسامة المتكلفة على وجه روديفر من إبلاغ هيئة المحلفين أن ذلك كان صحيحًا.

التقط جايك رزمة أخرى من الأوراق، وألقى نظرة سريعة عليها.

"هل تذكر شهادتك في محاكمة رجل يدعى آدم كوتش في مقاطعة دوبري في أيار من العام 1977؟".

"أذكر تلك الحالة".

"لقد كانتْ قضية اغتصاب، أليس كذلك؟".

"أجل".

"وشهدتَ لصالح الولاية ضد السيد كوتش؟".

"هذا صحيح".

"وأخبرتَ هيئة المحلفين أنّه لم يكن مختلًا عقليًا من الناحية القانونية؟".

"أجل، لقد شهدتُ بذلك".

"هل تتذكر عدد الأطباء الذين شهدوا لصالحه وأخبروا هيئة المحلفين أنّه رجل مريض جدًا، وأنه مختل عقليًا من الناحية القانونية؟".

"كان هناك البعض منهم".

"هل سمعتَ من قبل بهؤلاء الأطباء: فيليكس بيري، وجين شوماتي، وهبني ويكر؟".

"نعم".

"وهل هم أطباء نفسيون مؤهلون؟".

"أجل".

"وجميعهم شهدوا لصالح السيد كوتش، أليس كذلك؟".

"نعم".

"وجميعهم قالوا إنّه مختل عقليًا من الناحية القانونية؟".

"أجل، لقد قالوا ذلك".

"وكنتَ أنت الطبيب الوحيد الذي شخّصهُ بخلاف ذلك؟".

"أجل على ما أذكر".

"وماذا كان قرار هيئة المحلفين؟".

"حكموا أنّه غير مذنب".

"أبسبب حجة الجنون؟".

"أجل".

"وأين هو السيد كوتش اليوم؟".

"أعتقد أنّه في وايتفيلد".

"ومنذ متى وهو هناك؟".

"أعتقد أنّه هناك منذ نهاية المحاكمة".

"أرى ذلك، في العادة هل تقبلون المرضى وتبقونهم في المستشفى لعدة سنوات إذا كانوا يملكون تفكيرًا سليمًا وعقلًا صاحيًا تمامًا؟".

تنحنح روديفر في مكانه، وبدا عليه التوتر، فنظر إلى محاميه، ثمّ إلى المحامي الآخر مظهرًا أنّه بدأ يتعب من هذا النقاش مستنجدًا ليوقفوه بأية طريقة.

التقط جايك ملفًا آخر: "أيها الطبيب، هل تتذكر محاكمة شخص يدعى بادي وودال في مقاطعة كليبورن في أيار عام 1979؟".

"أجل بالتأكيد أذكرها".

"كان متهمًا بالقتل، أليس كذلك؟".

"أجل".

"وشهدتَ بصفتك طبيبًا خبيرًا في الطب النفسي، وأخبرتَ هيئة المحلفين أن السيد وودال ليس مختلًا عقليًا؟".

"أجل، لقد فعلتُ ذلك".

"هل تتذكر عدد الأطباء النفسيين الذين شهدوا لصالحه وشهدوا أن السيد وودال كان مختلًا عقليًا؟".

"أعتقد أنّهم كانوا خمسة يا سيد بريغانس".

"هذا صحيح أيها الطبيب، لقد كانوا خمسة آراء ضد رأي، وهل تتذكر ماذا كان قرار هيئة المحلفين؟".

ظهرتْ علامات الغضب والانزعاج بشكل واضح على وجه روديفر، وبدأ الأستاذ العجوز الحكيم الذي يملك الإجابة الصحيحة لأي سؤال بالانزعاج: "نعم أذكر أنّهم حكموا أنّه غير مذنب بحجة الاختلال العقلي".

"كيف تفسر ذلك أيها الطبيب روديفر؟ هناك خمسة آراء ضدك، ولم تأخذ هيئة المحلفين طرفك؟".

صرخ قائلًا: "لا يمكنك دائمًا أن تثق بهيئة المحلفين"، ثمّ أمسك نفسه وابتسم ابتسامة عريضة لهيئة المحلفين.

نظر إليه جايك وابتسم بخبث، ثمّ نظر إلى هيئة المحلفين غير مصدق، عقد ذراعيه وبقي يحدق ويبتسم حتى قال نووز أخيرًا: "يمكنك الاستمرار يا سيد بريغانس".

تحرك جايك ببطء بخطوات آسرة وجمع ملفاته وملاحظاته وهو ينظر إلى روديفر وقال: "أعتقد أننا سمعنا ما يكفي من الشاهد، حضرتك".

"هل هناك أي اعتراضات سيد باكلي؟".

"كلا يا سيدي".

قال القاضي مخاطبًا هيئة المحلفين: "سيداتي وسادتي، أوشكت هذه المحاكمة على الانتهاء، ليس هناك المزيد من الشهود. سألتقي الآن بالمحاميين لاستكمال بعض الأمور، ثمّ سيُسمح لهما بتقديم مرافعاتهما النهائية لكم، وسيبدأ ذلك عند الساعة الثانية وسيستغرق عدة ساعات، أي ستنعقد المحكمة حوالى الساعة الرابعة وسأسمح لكم بدراسة القرار حتى الساعة

السادسة، وإذا لم تتوصلوا إلى أي حكم اليوم فسيتم إعادتكم إلى غرفكم، تقترب الآن الساعة من الحادية عشرة، وسنأخذ استراحة حتى الثانية، أحتاج لمقابلة المحاميين في الغرفة".

انحنى كارل لي باتجاه جايك وكلمه للمرة الأولى منذ جلسة يوم السبت: "لقد دمرته يا جايك".

"انتظر حتى تسمع المرافعة الختامية".

تجنب جايك هاري ريكس وتوجه إلى كراواي؛ كان منزل طفولته عبارة عن منزل ريفي قديم في وسط المدينة تحيط به أشجار البلوط والقيقب القديمة، واستطاعتْ هذه الأشجار أن تبقي جو المنزل باردًا على الرغم من حرارة الصيف. خلف المنزل كان هناك سهل واسع يغطي مساحة ثُمن الميل تقريبًا ويختفي هذا السهل فوق تل صغير. هنا خطا جايك خطواته الأولى، وركب أول دراجة له، وهنا رمى أول رمية كرة، وتحت شجرة البلوط تلك دفن ثلاثة كلاب وأرنبًا وبعض البط، كان هناك إطار لسيارة من طراز بويك-54 يتأرجح قريبًا من المقبرة.

بقي المنزل مقفلًا ومهجورًا لمدة شهرين، ويتولى طفل من الحي تشذيب العشب والاهتمام به، وكان جايك يمر ويتفقده مرة في الأسبوع، لقد ذهب والداه إلى كندا، وهما في عربة الآن حسب تقاليد الصيف، وتمنى كثيرًا لو أنّه كان معهما.

فتح الباب، ثمّ صعد إلى الطابق العلوي حيث غرفته التي لا تتغير ملامحها أبدًا، الجدران نفسها المغطاة بصور فريق البيسبول، والكؤوس، وقبعات البيسبول، وملصقات بييت روز وأرتشي ماينغ وهانك آرون، وهناك صف من قفازات البيسبول معلق فوق خزانته، ولا تزال والدته تهتم بنظافة الغرفة؛ فهناك كانت خزانته مغطاة
بعناية.

أخبرتْه ذات مرة أنّها غالبًا ما كانت تذهب إلى غرفته متوقعة أن تجده يقوم بوظائفه المدرسية أو يتسلى بفرز بطاقات البيسبول، وسرعان ما تبدأ بتصفح دفاتره وقصاصاته وعيناها مليئتان بالدموع. فكر في غرفة هانا، والحيوانات المحنطة التي كانت تملكها، وورق الجدران من ماذر غوز، وشعر بغصة في حلقه.

نظر عبر النافذة بعيدًا وتخيل نفسه يتأرجح على الإطار بالقرب من الصلبان البيضاء الثلاثة حيث دفن كلابه، وتذكر كل جنازة أقامها، ووعود والده بأنه سيجلب له كلبًا آخر، فتذكر هانا وكلبها فأدمعت عيناه.

كان السرير قد أصبح أصغر بكثير من أن يناسب حجمه الآن، فخلع حذاءه واستلقى. كانت خوذة كرة القدم تتدلى من السقف، فتذكر عندما كان في الصف الثامن وأحرزَ سبعة أهداف في خمس مباريات، كل هذه الأحداث مسجلة على فيلم في الطابق السفلي حيث وضع الفيلم بين رفوف الكتب.

وضع ملاحظاته بعناية - ملاحظاته هو وليس ملاحظات لوسيان - على الخزنة القريبة، ونظر إلى نفسه في المرآة بتمعن.

خاطب هيئة المحلفين بادئًا بمشكلته الكبرى وهي الطبيب باس، فبدأ بالاعتذار عما حدث، عبارة عن محام صادق يدخل إلى قاعة المحكمة ويواجه هيئة محلفين غريبة تمامًا عنه ولا يريد أن يقدم إلّا مصداقيته المطلقة، ولو فعل أي شيء يمس هذه المصداقية فهو يضر قضيته وموكله، فطلبَ منهم أن يعلموا تمام العلم أنّه لم ولن يضع مجرمًا مدانًا أمام منصة هيئة المحلفين كشاهد خبير في أي قضية، ورفع يده وأقسم إنّه لم يكن يعلم أن الطبيب باس مدان. العالم مليء بالأطباء النفسيين وكان بإمكانه بسهولة العثور على شخص آخر إذا كان يعلم أن باس لديه مشكلة، ولكنه بكل بساطة لم يكن يعرف، وهو آسف حقًا لذلك.

ولكن ماذا عن شهادة باس، حسنًا، لقد مارس الجنس مع فتاة قاصر لم تبلغ الثامنة عشرة من عمرها في تكساس، ولكن هل يعني هذا أن شهادته كاذبة في المحاكمة؟ هل ذلك يفقده مصداقيته المهنية؟ وطلب منهم أن يكونوا عادلين مع الطبيب النفسي باس ولا يُدخلوا حياته الشخصية في الحكم.

من فضلكم كونوا منصفين لأجل مريضه كارل لي هيلي، فهو أيضًا لم يملك أدنى فكرة عن ماضي الطبيب، وهناك شيء عن السيد باس ربما يجب سماعه، شيء لم يذكره السيد باكلي وكان يمزق الطبيب باس من الداخل، تلك الفتاة التي مارس الجنس معها والتي لم تبلغ من العمر الثامنة عشرة أصبحتْ زوجته في ما بعد وأنجبتْ له ولدًا، وكانت أيضًا حاملًا عندما ماتتْ هي والجنين في حادث قطار.

صرخ باكلي: "اعتراض... أعترض يا سيادة القاضي، فهذا الدليل ليس في السجل".

"أؤكد ذلك، لا يسمح لك يا سيد بريغانس أن تشير إلى حقائق لا تستند إلى أي دليل، وستتجاهل هيئة المحلفين التصريحات الأخيرة للسيد بريغانس".

تجاهل جايك نووز وباكلي وحدق بألم إلى هيئة المحلفين.

عندما هدأتِ الأجواء تابع كلامه، وماذا عن روديفر؟ أظهر تساؤله عما لو كان طبيب الولاية قد مارس الجنس هو الآخر مع قاصر، لقد بدا من السخف التفكير في مثل هذه الأشياء أليس كذلك؟ وأوضح أننا نتحدث عن باس ورديفر في أيام شبابهما، يبدو الأمر غير مهم أبدًا الآن في المحكمة هذه بعد ثلاثين عامًا.

وتابع كلامه قائلا: "يبدو بشكل واضح تحييز الطبيب لصالح الولاية، فهو شخص متخصص ومدرب تدريبًا جيدًا جدًا ويقوم بمعالجة آلاف المرضى بشتى أنواع الأمراض العقلية، ولكن عندما يتعلق الأمر بالجرائم، فهو لا يستطيع التعرف إلى حالات الاختلال العقلي، برأيي، يجب دراسة ووزن شهادته بعناية".

كانوا يراقبونه ويستمعون إلى كل كلمة في المحكمة؛ فهو لم يكن يلقي المواعظ مثل خصمه، بل كان هادئًا وصادقًا وبدا متعبًا وبداخله الكثير من الجروح.

جلس لوسيان برصانة، وبقي يراقب هيئة المحلفين باستثناء سيسكو، ورأى أن جايك لم يكن يستخدم ما أعطاه إياه من حجج، ولكن كلامه كان جيدًا ونابعًا من القلب، واعتذر جايك عن قلة خبرته، فهو لم يمر بالكثير من المحاكمات، وبالتأكيد أقل بكثير من السيد باكلي.

"إذا بدوتُ هشًا قليلًا أو إذا ارتكبت الأخطاء، فمن فضلكم لا تكونوا ضد كارل لي، فأنا مجرد مبتدئ يبذل قصارى جهده ضد خصم مخضرم يترافع بقضايا القتل المشابهة كل شهر تقريبًا، لقد أخطأتُ عندما استدعيت الطبيب باس، وارتكبتُ العديد من الأخطاء الأخرى"، وطلب من هيئة المحلفين أن تسامحه.

ثم تابع حديثه: "كان لديه ابنة وكانت محور حياته، وهي المميزة لأبيها، هي مجرد طفلة صغيرة ومسؤولية حمايتها تقع على عاتقه، وهناك دائمًا ذلك الرابط بين الأب وابنته الذي لا يوجد شخص قادر على تفسيره..."، وأكمل متحدثًا عن الفتيات الصغيرات وآبائهن.

"كان لدى كارل لي ابنة صغيرة اسمها تونيا"؛ أشار إليها في الصف الأمامي جالسة بجانب والدتها وإخوتها؛ "إنها فتاة جميلة وصغيرة تبلغ من العمر عشر سنوات، وهي لن تستطيع الإنجاب بعد الآن، لا يمكن أن تنجب ابنته أبدًا لأن...".

قال باكلي من دون أن يصرخ: "اعتراض".

قال نووز: "الاعتراض مقبول".

تجاهل جايك ذلك، وأكمل متحدثًا عن الاغتصاب والمساوئ طويلة الأمد التي يُلحقها بالضحية، وتحدث عن أن الاغتصاب أسوأ بكثير من جريمة القتل، لأنه وفي حالة القتل، فإن الضحية تغادر هذا العالم وليس عليها التفكير في ما حدث، كما يجب على أسرة الضحية أن تتعامل مع الموضوع وليس الضحية نفسها، ولكن في حالة الاغتصاب، فالأمر اسوأ بكثير حيث يجب على الضحية أن تعيش عمرها بكامله وهي تفكر بذلك وتحاول أن تفهم وتطرح الكثير من الأسئلة، وأسوأ ما في الأمر أنّها تعلم أن المغتصب لا يزال على قيد الحياة وقد يهرب في يوم من الأيام أو يُطلقَ سراحه، ولا يخف الألم مع مرور الوقت، ففي كل ساعة من كل يوم تفكر الضحية في حادثة الاغتصاب، وتسأل نفسها ألف سؤال، وتسترجع الأمر بالألم والشدة نفسيهما.

"قد تكون أفظع جريمة على الإطلاق هي جريمة اغتصاب طفلة، فالمرأة التي تعرضت للاغتصاب تعلم تمامًا لماذا حدث ذلك، وتعلم أنّهم مجموعة من الحيوانات المليئة بالكراهية والغضب والعنف، لكن بالنسبة إلى طفلة؟ طفلة عمرها عشر سنوات؟ لنفترض أن أحدكم أحد والديها، تخيل نفسك تحاول أن تشرح لطفلتك سبب تعرضها للاغتصاب، تخيل نفسك تشرح لها سبب عدم مقدرتها على الإنجاب".

"اعتراض".

"الاعتراض مقبول، يرجى تجاهل الأقوال الأخيرة سيداتي وسادتي".

تابع جايك كلامه بنفس الوتيرة: "ابنتك ذات العشرة الأعوام قد تعرضتْ للاغتصاب، وأنت جندي عريق من فييتنام تملك دراية واسعة ببنادق الأم-16 ووقعتْ يدك على واحدة من هذه البنادق بينما تستلقي ابنتك في المستشفى مواجهةً الموت، لنفترض أنّه قُبض على المغتصب وبعد ستة أيام وقفتَ على بعد خمس اقدام منه وهو يغادر المحكمة، وفي يدك البندقية، فما الذي تفعله؟

لقد أخبركم السيد باكلي بما يفعله، كان سيسامحه ويبكي على ابنته بصمت آملًا أن يعمل النظام القضائي على معاقبته بالعقوبة التي يستحقها، فقط يأمل أن ينال المغتصب عقابه العادل ويرسل إلى السجن حيث لا يطلق سراحه أبدًا. هذا ما يفعله هو ويجب أن يُعجب الجميع بآرائه وبروحه المتسامحة والرحيمة، ولكن ما الذي قد يفعله الأب الطبيعي العقلاني؟".

تكلمَ عما كان سيفعل جايك الأب لو أنه امتلك بندقية؛ كان سيفجر رأس السافلين؛ فتلك هي العدالة.

توقف جايك عن الكلام لشرب الماء، ثمّ قام بتغيير شخصيته تمامًا لتحل الشخصية الساخطة محل الشخصية ذات المظهر المؤلم والمتواضع.

"فلنتحدث عن كوب وويلارد، الشخصين اللذين سبّبا هذه الفوضى وهما من تدافع الولاية لصالحهما وتحاول تحقيق العدالة لأجلهما، هل يمكنكم إخباري من سيفتقد هذين الاثنين غير والدتيهما؟ فهما مجرد مغتصبي أطفال، ومروجي مخدرات، هل سيفتقد المجتمع مثل هؤلاء المواطنين الفعالين؟ أليست مقاطعة فورد أكثر أمنًا من دونهما؟ ألم يصبح الأطفال الآخرون أكثر أمنًا واطمئنانًا بعد أن ماتا؟ الآن يشعر جميع الآباء بالأمان، وكما قال لوني يستحق كارل لي ميدالية أو على الأقل تصفيقًا حارًا لما فعله، فهو عبارة عن بطل، يجب أن نمنح الرجل كأسًا ونرسله إلى عائلته".

تحدث عن لوني، كان لديه ابنة واحدة، وبفضل كارل لي أصبح لديه ساق واحدة أيضًا، وإذا كان هناك شخص ما يملك حق الغضب على كارل لي ويرغب بالانتقام منه فهو دي واين لوني، ولكنه فضّل أن يرسله إلى المنزل وإلى عائلته؛ طلب جايك منهم أن يغفروا له كما فعل لوني، وطلب منهم أن يلبوا رغبة لوني.

أصبح جايك أكثر هدوءًا، وقال إنّه أوشك على الانتهاء، أراد أن يختتم جلسته تاركًا إياهم بصورة واحدة.

طلب منهم أن يتخيلوا - إذا استطاعوا - تلك الفتاة المسكينة ملقية هناك، مليئة بالكدمات، ومضرجة بالدماء، ساقاها متباعدتان ومقيدتان، تنظرُ في الغابة حولها شبه واعية تهلوس بأشياء غير مفهومة، وترى فجأة شخصًا يركض باتجاهها؛ كان والدها يركض يائسًا لإنقاذها، رأته في أحلامها عندما كانتْ في أمس الحاجة إليه، صرختْ ليأتي وينقذها، ولكنه اختفى واقتيد إلى المحاكمة.

وأوضح أنّها تحتاج إليه الآن كما كانتْ تحتاج إليه حينها، فمن فضلكم لا تأخذوا هذا الرجل بعيدًا عن عائلته، ولا زالتْ هذه الفتاة الجالسة في الصف الأمامي تنتظر والدها.

كانت قاعة المحكمة هادئة تمامًا حيث جلس جايك بجانب موكله، وألقى نظرة على هيئة المحلفين حين رأى واندا ووماك تمسح بإصبعها دمعة، وهنا شعر للمرة الأولى منذ يومين ببصيص أمل.

بحلول الساعة الرابعة ودّع نووز هيئة المحلفين وأخبرهم أن ينتخبوا رئيسًا للهيئة، وينظموا أمورهم، ويتخذوا قرارهم، وقال لهم إنهم بإمكانهم التناقش حتى الساعة السادسة، أو السابعة، وإذا لم يتوصلوا إلى حكم، فسوف يعلق الجلسة حتى صباح الثلاثاء، فوقفوا وخرجوا ببطء من قاعة المحكمة.

علق نووز الجلسة حتى الساعة السادسة وأمر المحاميين بالبقاء بالقرب من المحكمة أو أن يتركا أرقامهم مع الكاتب إذا قررا الابتعاد عن المحكمة، بينما بقي المتفرجون في مقاعدهم وتحدثوا بهدوء.

سُمح لكارل لي بالجلوس في الصف الأمامي مع عائلته، وانتظر باكلي وموسغروف في الغرفة مع نووز، في حين غادر هاري ريكس ولوسيان وجايك إلى المكتب ليشربوا شيئًا ما؛ فاتخاذ قرار سريع لم يكن من الاحتمالات الواردة.

أقفل المأمور عليهم في غرفة المحلفين وأمر المناوبين بالجلوس في الردهة الضيقة. انتُخب باري كير في الداخل رئيسًا للمحلفين وعمل على وضع تعليمات هيئة المحلفين وعرضها على طاولة صغيرة في الزاوية، جلسوا جميعًا بقلق حول طاولتين موضوعتين بجانب بعضهما.

قال: "أقترح أن نجري تصويتًا غير رسمي الآن، فقط لنعرف أين نحن، هل هناك أي اعتراضات؟".

لم يعترض أحد، كان يملك قائمة مكونة من اثني عشر اسمًا: "سيتم التصويت بما يلي: مذنب، غير مذنب، أو لم أقرر، أو لا أريد التصريح بأي شيء الآن... ريبا بيتس".

"لم أقرر".

"برنيس تول".

"مذنب".

"كارول كورمان".

"مذنب".

"دونا لو بيك".

"لم أقرر".

"سو ويليامز"

"لا أريد التصريح بأي شيء الآن".

"جو آن غيتس".

"مذنب".

"ريتا ماي بلونك".

"لم أقرر".

"فرانسيس ماكغوان".

"مذنب".

"واندا ووماك".

"لم أقرر".

"ايولا ديل ياتس".

"لم أقرر الآن، أريد أن نتحدث أكثر بالموضوع".

"سنفعل، كلايد سيسكو".

"لم أقرر".

"هذا التصويت رقم أحد عشر، وأنا باري كير أصوت بأنه غير مذنب".

أجرى الحساب لبضع ثوانٍ وقال: "أصبح لدينا خمسة يصوتون بأنّه مذنب، وخمسة بلا قرار، وواحد بلا أي تصريح، وتصويت واحد أنّه غير مذنب، يبدو أننا نملك صورة أولية عن الموضوع".

ناقشوا بصمت التقارير والصور، وبحلول الساعة السادسة أخبروا القاضي بأنهم لم يتوصلوا إلى حكم؛ كانوا جائعين ويريدون الذهاب؛ فعلق القاضي الجلسة حتى صباح يوم الثلاثاء.

41

جلسا لساعات على الشرفة، من دون أن يتكلما كثيرًا، يشاهدان الظلام الذي بدأ يلفّ المدينة، ويبدأ معه ظهور البعوض، حيث عادتْ موجة الحر، وبدأتْ بشرتاهما بالتعرق، وابتل قميصاهما تدريجيًا. كانتْ أصوات الليل الصيفي البعيدة تتناهى إلى آذانهما. اقترحتْ سالي أن تطبخ بعض الطعام، ولكن لوسيان اكتفى بطلب بعض الويسكي، ولم يملك جايك أي شهية بحكم أن أعضاء هيئة المحلفين قد أفسدوا شهيته تمامًا. وبينما تسير الأشياء بسلاسة، خرج نسبيت من سيارته، ومشى عبر الشرفة متجاوزًا باب الحاجز الأمامي، ثمّ دخل المنزل، وبعد لحظات مشى بجانبهما حاملًا بيده بيرة باردة، ثمّ اختفى في الممر مجددًا باتجاه سيارته من دون أن يقول أية كلمة.

مدتْ سالي رأسها، واقترحتْ أن تُعِد بعض الطعام للمرة الأخيرة، ورفض الاثنان بأدب.

"جايك لقد تلقيتُ مكالمة بعد ظهر اليوم، يريد كلايد سيسكو خمسة وعشرين ألفًا ليضمن تعليق هيئة المحلفين، وخمسين ألفًا لعملية التبرئة".

هزّ جايك رأسه رافضًا.

"قبل أن ترفض تمامًا استمع إلي، إنّه يعلم أنّه لا يستطيع ضمان تبرئته، ولكنه على الأقل يستطيع أن يضمن بقاء هيئة المحلفين معلقة، وبالتالي، ندفع له خمسة وعشرين ألفًا فقط، أعلم أنّه مبلغ كبير جدًا ولكنك تعلم أنني أملك الكثير من الأموال، سأدفعها الآن ويمكنك أن تسددها لي على مر السنين، في أي وقت تريده لن يهمني الأمر حقًا، حتى إذا أردتَ لا تسدده مطلقًا، فأنت تعلم أن المال عديم القيمة بالنسبة إليّ. لو كنتُ مكانك لما فكرتُ في الأمر وقمتُ به بلمح البصر".

"لوسيان، أنت شخص مجنون".

"بالتأكيد أنا مجنون، ولكن أنت نفسك لم تتصرف بعقلانية مؤخرًا، وسيقودك العمل على هذه المحاكمة إلى الجنون، فقط ألقِ نظرة على ما حدث لك بسبب هذه القضية: لا نوم ولا طعام ولا منزل ولا تملك حياتك نفسها حتى، بالإضافة إلى الكثير من الخمر".

"لكنّني ما زلت أمتلك الأخلاق".

"وأنا ليس لديّ أي أخلاق ولا ضمير ولا مبادئ، ولكنني ربحتُ أكثر بكثير مما ربح أي شخص هنا، وأنت تعرف ذلك".

"إن هذه الأمور فاسدة يا لوسيان".

"هل تظن أن باكلي شخص مستقيم، فهو مستعد للكذب ولخداع الجميع وتقديم الرشى فقط للفوز بهذه القضية، ولا يهمه أبدًا تلك الأمور المتعلقة بالأخلاق والقواعد وآراء الناس به؛ ما يهمه هو شيء واحد فقط؛ الفوز، وتملك فرصة ذهبية تسمحُ لك بالتغلب عليه في ملعبه، ولو كنتُ مكانك لفعلتها".

"انسَ الأمر من فضلك يا لوسيان، فقط انسَ الأمر".

مرتْ ساعة من دون أنّ يتكلم أي منهما، وقد اختفتْ أنوار المدينة ببطء، ووصلهما صوت شخير نسبيت من بين ما وصلهم من أصوات الليل الهادئ؛ أحضرتْ سالي لهما الشراب وتمنتْ لهما ليلة سعيدة.

قال لوسيان: "بدأتِ الآن المرحلة الأصعب، ننتظرُ من اثني عشر شخصًا عاديًا أن يفهموا كل هذا".

"إنه نظام مجنون أليس كذلك؟".

"أجل إنّه كذلك، ولكنه يعمل بشكل جيد عادةً، حيث تقرر هيئة المحلفين القرار الصحيح في تسعين بالمئة من الحالات".

"أنا فقط لا أشعر أن الحظ إلى جانبي هذه المرة، وأنتظر معجزة لتحصل".

"جايك يا عزيزي، ستحدث المعجزة غدًا".

"غدًا؟".

"نعم في وقت باكر من صباح الغد".

"هل يمكنك أن توضح أكثر؟".

"بحلول ظهر يوم الغد، سيكون قد تجمع حوالى العشرة آلاف من السود الغاضبين حول محكمة مقاطعة فورد".

"عشرة آلاف؟ لماذا؟".

"ليصرخوا ويرددوا بشكل جنوني حرروا كارل لي، حرورا كارل لي، لجعلهم يرون ما هي الجحيم، ولنخيف الجميع، ونرهب هيئة المحلفين، ونجعل الخوف يسري في عروق الجميع لدرجة أن البيض سيهرعون للاختفاء، وسترسل الحكومة المزيد من القوات".

"وكيف تعلمُ كل هذا؟".

"لأنني خططتُ لهذا يا جايك".

"أنتَ؟".

"استمع إلي يا جايك، عندما كنتُ في المرحلة الذهبية من عملي كنت أعرف كل واعظ أسود في خمس عشرة مقاطعة، وكنتُ أذهب إلى كنائسهم وأصلي معهم وأرتل معهم، فأرسلوا لي الموكلين وأرسلتُ لهم المال، كنت المحامي الأبيض الوحيد في الرابطة الوطنية لتقدم الملونين في شمال الميسيسيبي، لقد رفعتُ الكثير من القضايا للنهوض بالسود أكثر من أي شركة أخرى في واشنطن، هؤلاء هم أصحابي وناسي، لقد أجريتُ للتو عدة مكالمات هاتفية وسيبدأون بالوصول في الصباح، وبحلول الظهر لن تكون قادرًا على رؤية شبر فارغ في مدينة كلانتون".

"من أين سيأتون؟".

"من كل مكان، أنت تعلم كم يحب السود المظاهرات والاحتجاجات، ويتطلعون إليها بفارغ الصبر".

"أنت مجنون يا لوسيان، يا صديقي المجنون".

"لقد فزتُ يا صديقي".

في الغرفة رقم 163 أنهى باري أكير وكلايد سيسكو آخر جولة من لعبة الورق، وبدآ يستعدان للنوم، جمعَ أكير القليل من العملات المعدنية بيديه، وأعلن أنّه يريد شراء بعض المشروبات الغازية، وقال سيسكو إنّه لا يشعر بالعطش.

مشى أكير على أطراف أصابعه أمام الحارس النائم في الرواق، حتى وصل إلى الآلة، وعندما وجدها معطلة، فتح باب الخروج بهدوء وصعد الدرج إلى الطابق الثاني حيث وجد آلة أخرى بجانب آلة الثلج، وسرعان ما انحنى لالتقاط علبة كوكاكولا دايت منها.

أتى شخصان فجأة من عمق الظلام متقدمَين باتجاهه وطرحاه أرضًا وركلاه كثيرًا، ثمّ حاصراه في زاوية مظلمة خلف آلة الثلج، أمسك الرجل الكبير فيهما بياقة أكير، وألقى به على الجدار الآخر، بينما وقف الأصغر حجمًا بجانب الآلة يراقب الممر، قال الكبير بلهجة صارمة قاسية: "أنت باري أكير؟".

"نعم، اتركني أذهب"، حاول أكير أن يحرر نفسه، ولكن ذلك الكبير أمسك به بإحدى يديه ورفعه من ياقته وثبته على الحائط، واستخدم اليد الأخرى لوضع سكين لامعة بجوار رقبته، توقفتْ حركة أكير حينها، وقال بصوت عالٍ: "استمع... واستمع بشكل جيد للغاية، نعلم جيدًا أنك متزوج وتعيش في مبنى فورست درايف 1661، ونعلم أن لديك ثلاثة أطفال، ونعرف جيدًا أين يلعبون ويدرسون، ونعلم أن زوجتك تعمل في المصرف".

ارتخى جسد أكير وأصبح ضعيفًا وشحب لونه.

"إذا خرج هذا الزنجي من السجن، فسنجعلك تأسف لذلك كثيرًا، عائلتك بأكمها ستحزن كثيرًا؛ قد يستغرق الأمر سنوات عديدة، ولكنك ستبقى آسفًا لذلك".

ثم أسقطه على الأرض وأمسك بشعره: "إذا تفوهتَ بكلمة واحدة عما حصل لأي شخص فستفقد طفلًا من أطفالك".

ثم اختفيا فجأة كما ظهرا، وبدأ أكير يلهث محاولًا التنفس، وجلس في الظلام خائفًا من أن يتحرك.

42

تجمع المؤمنون من مئات الكنائس التابعة للسود عبر شمال الميسيسيبي قبل الفجر، وحملوا سلال النزهات والمبردات والكراسي ودوارق المياه إلى حافلات مدرسية وحافلات الكنيسة. اجتمع الأصدقاء مع بعضهم، وتحدثوا عن قضية كارل لي هيلي، لقد سمعوا لأسابيع عنها وتحدثوا بشأنها، ولكنهم الآن ذاهبون للمساعدة. العديد منهم كانوا أشخاصًا متقدمين في السن ومتقاعدين، ولكن كان هناك أيضًا عائلات بأكملها مع أطفالها وصغارها الرضع. عندما امتلأتِ الحافلات، استقل الواعظون سياراتهم، وساروا موجهين الركب، فأنشدوا وصلّوا وتجمعوا شيئًا فشيئًا في البلدات الصغيرة ومداخل المقاطعات، واتجهوا بسرعة على الطرقات السريعة المظلمة.

عندما بدأتِ الشمس تشرق كانتْ الطرقات السريعة المؤدية إلى مقاطعة فورد قد امتلأتْ بقوافل المحتجين.

أقفلوا الشوارع الجانبية حول الساحة الرئيسية وركنوا سياراتهم وحافلاتهم وبدأوا بتفريغ الأمتعة.

كان الكولونيل السمين قد أنهى فطوره للتو ووقف يراقب مجريات الأحداث باهتمام حيث استمرتِ السيارات بالتدفق إلى الساحة من الاتجاهات كافة. أُصْدِرتِ الأوامر وهبَّ الجنود إلى الساحة في حالة تأهب قصوى، وازدادتِ الأمور إثارة. عند الساعة الساعة السابعة والنصف اتصل بأوزي، وأخبره بالغزو الحاصل. تكلم أوزي فورًا مع آغي الذي أكد له أنّها مسيرة سلمية، فسأله عن عدد الأشخاص وأجاب آغي أنّه هناك الآلاف.

أقاموا معسكرًا تحت أشجار البلوط المهيبة، وتمشوا قليلًا لتفقد المكان، ثمّ رتبوا الطاولات والكراسي وألعاب الأطفال. لقد كانوا مسالمين بشكل كبير حتى بدأت جماعة معينة بالهتاف

والصراخ: "حرروا كارل لي، حرروا كارل لي"، وبدأ الجميع بالانضمام إليهم، ولم تكن قد حلتِ الساعة الثامنة بعد.

كانتِ الطلبات للمزيد من المتظاهرين قد انتشرتْ حيث أعلنتْ محطة راديو تابعة للجماعات السود في ممفيس الحاجة إلى مزيد من المتظاهرين في كلانتون في الميسيسيبي. اجتمعت مئات السيارات أمام المركز التجاري واتجهت نحو الجنوب؛ لقد خاض غمار هذه الرحلة كل ناشط في الحقوق المدنية أو ناشط سياسي يمتلك بشرة سوداء.

عمل آغي على تنظيم الأمور حيث بقي يصرخ بالبوق معطيًا الأوامر هنا وهناك، وأرشد الوافدين الجدد إلى أماكنهم، ونظم أماكن الواعظين السود، وطمأن أوزي والكولونيل أن كل شيء على ما يرام.

سارتِ الأمور بانتظام وسلام - كالعادة - حتى ظهرتْ مجموعة من أعضاء الكلان. كان مشهد الأردية البيضاء جديدًا على العديد من الأشخاص السود، فأظهروا ردود فعل حادة، إذ تقدموا ببطء إلى الأمام وهم يصرخون ويسخرون، فتقدمتْ قوات الأمن نحو جماعة الكلان لحمايتهم، كانتْ جماعة الكلان مذهولة وخائفة من هذا العدد الهائل، ولم يصرخوا ردًا عليهم.

بحلول الساعة الثامنة والنصف، كانت شوارع كلانتون مزدحمة تمامًا، وانتشرتِ السيارات والشاحنات الصغيرة والحافلات بشكل عشوائي في مواقف السيارات وعلى طول الشوارع السكنية الهادئة.

استمر التيار المتدفق من السود بالقدوم باتجاه الساحة، لم تخفّ الزحمة أبدًا وأُقفلت الممرات، واضطرّ التجار للوقوف على بعد عدة مبانٍ عن متاجرهم. وقف المحافظ في وسط الشرفة يراقب المشهد ويتوسل أوزي ليفعل شيئًا، واحتشد الآلاف من السود في الأسفل وهتفوا بانسجام تام، فسأل أوزي المحافظ إذا كان يريده أن يعتقل جميع من في باحة المحكمة.

ركن نووز السيارة في محطة خدمات على بعد نصف ميل جنوبًا من السجن، ومشى مع مجموعة من الأشخاص السود باتجاه المحكمة، راقبوه بهدوء وهو يعبر من دون أن يتفوهوا بأي كلمة؛ لقد كان واضحًا أنّه صاحب سلطة.

ركن باكلي وموسغورف السيارة في شارع آدمز، ومشيا باتجاه المحكمة وهما يشتمان كل ذلك، لاحظا الأنقاض مكان منزل جايك، ولكنهما لم يعلقا على الموضوع حيث كانا مشغولين

بالسب والشتم. وصلت حافلة الغريهاوند متأخرًا عشرين دقيقة عن الساعة التاسعة، ودخلت إلى الساحة بمرافقة جنود الحرس الوطني، فحدق الركاب الأربعة عشر بذهول في التجمع الحاصل حول المحكمة.

اتصل السيد بات بالمحكمة المزدحمة وبدأ بإصدار الأوامر، ورحب نووز بهيئة المحلفين واعتذر عن المتاعب التي واجهتهم للوصول إلى هنا، وأوضح أنّه لم يكن بإمكانه فعل أي شيء، ثمّ أخبرهم أنه بإمكانهم إكمال مناقشتهم ومداولتهم إذا لم يملكوا أية مشاكل للإبلاغ عنها: "حسنًا يمكنكم الذهاب إلى غرفة المحلفين ومتابعة العمل، سنلتقي مرة أخرى قبل الغداء مباشرة".

ذهب المحلفون باتجاه غرفتهم، وجلس أولاد هيلي مع والدهم حول طاولة الدفاع، وغلبتْ أعداد المتفرجين من أصحاب البشرة السوداء الذين بقوا جالسين يتحدثون مع بعضهم.

ذهب جايك إلى مكتبه، وجلس فورمان أكير عند نهاية الطاولة الطويلة المغبرّة وفكر في المئات وربما الآلاف من مواطني هذه المقاطعة الذين جلسوا إلى هذه الطاولة وحاولوا إحقاق العدل على مدى القرن الماضي. طغتْ أحداث البارحة على أي فخر كبير شعر به سابقًا لكونه يخدم في هيئة المحلفين وفي القضية الأكثر شهرة، وتساءل كم عضو هيئة سابقة قد هُدد بالقتل سابقًا.

قام الآخرون بتعبئة أكواب القهوة، وجلسوا ببطء على مقاعدهم حول الطاولة؛ أعادتْ هذه الغرفة الذكريات الجميلة لكلايد سيسكو، فقد أثبتتِ الواجبات السابقة لهيئة المحلفين أنّها مربحة حقًا، ووجد متعة كبيرة بفكرة أنّه يأخذ مكافأة ذات قيمة نتيجة قيامه بحكم عادل؛ لم يتصل به رسوله بعد.

سأل الرئيس: "كيف ترغبون أن نبدأ؟".

تمتلكُ ريتا ماي بلانك نظرة قاسية لا ترحم، كانتِ امرأة قاسية تسكن مقطورة ولم تكن متزوجة، وكان لديها ولدان غير شرعيين وكلاهما يضمران الكثير من الكره لكارل لي هيلي؛ حبستْ بعض الأمور داخل صدرها، وأرادتِ التخلص منها، فقالتْ لأكير: "لدي بعض الأمور التي أريد أن أقولها".

"حسنًا، لِمَ لا تبدأين أنتِ يا سيدة بلانك، ثمّ نتابع بالدور؟".

"لقد صوتُّ البارحة بأنه مذنب، وأصوّتُ اليوم أيضًا بذلك، وسأبقى دائمًا عند رأيي هذا، ولا أستطيع أن أفهم أي شخص يجده غير مذنب، وأريد شخصًا واحدًا منكم يستطيع أن يشرح لي لماذا قد يصوّتُ لصالح هذا الزنجي".

صاحتْ واندا ووماك: "لا تتلفظي بهذه الكلمة مرة أخرى".

ردتْ ريتا ماي: "سأقول زنجيًا، ولا يوجد أي شيء لعين يمكنكِ فعله".

قال فرانسيس ماكغوان: "من فضلك، لا تستخدمي تلك الكلمة".

قالتْ واندا ووماك: "أجدها مهينة لي بشكل شخصي".

صرختْ ريتا ماي في جميع الأعضاء الجالسين على الطاولة: "زنجي، زنجي، زنجي، زنجي، زنجي، زنجي".

قال كلايد سيسكو: "حقًا؟".

قال رئيس هيئة المحلفين: "انظري يا سيدة بلانك، لنكن صريحين... العديد منا يستخدم هذه الكلمة من وقت إلى آخر، وأنا متأكد أن هناك أشخاصًا يستعملونها أكثر من أشخاص آخرين، ولكنها تبقى كلمة مهينة للعديد من الأشخاص أيضًا، إنّ عدم استخدامها خلال نقاشنا سيكون فكرة جيدة وخصوصًا أننا نملك الكثير لنقلق بشأنه، ولا داعي لإضافة شيء آخر. هل يمكننا جميعًا الموافقة على ألّا نستخدم هذه الكلمة؟".

أومأ الجميع ما عدا ريتا ماي.

قررتْ سو ويليامز أن تعطي جوابها، وهي امرأة تمتلك ملامح جذابة، وترتدي ملابس أنيقة، عمرها حوالى الأربعين، وتعملُ في دائرة المقاطعة؛ قالت: "لم أصوتْ في الأمس بل قررتُ ألّا أصرح بأي شيء، أما اليوم فأعتقد أنني أميل لرأي السيد هيلي، لديّ ابنة أيضًا ولو تعرضتِ ابنتي للاغتصاب فسيؤثر ذلك على صحتي العقلية، أفهم كيف يمكن أن ينهار الآباء في مثل تلك الظروف، وأعتقد أنّه من غير المنصف أن نحاكم السيد هيلي كما لو أنّه كان يتصرف بكامل وعيه عندما ارتكب الجريمة".

سألتْ ريبا بيتس التي لم تقررْ بعد: "هل تظنين أنّه كان مجنونًا من الناحية القانونية؟".

"لستُ متأكدة من ذلك، ولكنني أعلم تمامًا أنّه لم يكن بكامل وعيه لأن ذلك غير ممكن أصلًا".

سألتْ ريتا ماي: "إذًا، لقد اخترتِ أن تصدقي ذلك الطبيب المجنون؟".

"أجل، فهو يتمتع بالمصداقية مثله مثل طبيب الولاية".

قال كلايد سيسكو: "بالنسبة إليّ، فقد أعجبني حذاءه"، ولكن لم يضحك أحد.

قالت ريتا ماي: "لكنه شخص مُدان، كذب وحاول التستر على ما فعله، لا يمكنك تصديق أي كلمة يقولها".

قال كلايد سيسكو: "لقد مارس الجنس مع فتاة قاصر، إذا كانت هذه جريمة، يجب أن ينضم العديد منا إلى قسم المتهمين"، ولكن مجددًا لم يضحك أحد على هذا النوع من الفكاهة.

قرر كلايد سيسكو ألّا يقول أي نكتة لفترة من الزمن.

قالتْ دونا لوبيك التي لم تقرر: "ولكنه تزوج تلك الفتاة لاحقًا".

انتقل الدور بينهم حول الطاولة، وكل شخص يصرّح برأيه ويتناقش مع الآخرين، ويجاوبون على الأسئلة ويناقشون الأجوبة، تم تجنبُ استخدام كلمة الزنجي من قبل أولئك الذين أرادوا إدانته.

توضحتْ معالم المعركة أكثر، حيث مال معظم المترددين في قرارهم نحو اتخاذ قرار الإدانة. كل ما فعله كارل لي هيلي من تخطيط حذر ومعرفة كل تحركاتهما، وامتلاكه لبندقية، جعل الأمر يبدو مع سبق الإصرار والتصميم، لو رآهما قبالته فجأة وقتلهما على الفور، ما كان سيُعامَل كما لو أنّه بكامل وعيه، ولكن لم يُشِر تخطيطه بعناية لمدة ستة أيام على أنّه يعاني من الاضطراب العقلي.

اتجه كلايد سيسكو، ووايندا ووماك، وسو ويليامز نحو التبرئة، واتجه الباقون نحو الإدانة، وبدا أن باري أكير لا يريد أن يعطي وجهة نظر معينة ويحاول إخفاء رأيه ومشاعره.

رفع آغي لافتة طويلة تحمل عبارة حرروا كارل لي مكتوبة باللونين الأبيض والأزرق، واجتمع الواعظون الدينيون الخمسة عشر من قساوسة وكهنة خلفه، وانتظروا العرض ليبدأ.

وقفوا في منتصف شارع جاكسون أمام المحكمة، وبينما كان آغي يصرخ معطيًا أوامره إلى الحشود الهائلة، اجتمع الآلاف من السود، وساروا حول الساحة بداية بشارع جاكسون، ثمّ انعطفوا نحو اليسار في شارع الكوفي شوب، بعدها استمروا في الشارع الغربي من الساحة، وقاد آغي المتظاهرين وهم يرددون الصرخة المعروفة: حرروا كارل لي، حرروا كارل لي؛ صرخوا جميعًا بنفس الايقاع وإلى اللانهاية، وازداد عدد الناس وحجم الموكب وهم يدورون حول الساحة.

أغلق التجار محلاتهم وتوجهوا إلى منازلهم ليضمنوا سلامتهم بعد أن شموا رائحة المشاكل القادمة، وقاموا بفحص أوراقهم ومراجعة سياسات الولاية ليعرفوا ما إذا كان التأمين يشملهم في حالة الأضرار الناجمة عن أعمال الشغب. فُقد الجنود الخضر في دوامة الأشخاص السود، وأمر الكولونيل - الذي كان متوترًا وعلى وشك الانهيار - قواته بأن يطوقوا قاعة المحكمة، ويقفوا في أماكنهم بحزم. بينما كان آغي والمتظاهرون يتجهون نحو شارع واشنطن، التقى أوزي بعدد من رجال الكلان وأخبرهم بطريقة صادقة ودبلوماسية أن الأمور قد تخرج عن السيطرة ولم يعد بإمكانه ضمان سلامتهم، واعترف بكامل حقهم بالتجمع وطمأنهم أن وجهة نظرهم قد وُضحَتْ تمامًا، وطلب منهم أن يبقوا بعيدين عن الساحة قبل حدوث مشكلة، فاحتشدوا سوية ثمّ اختفوا.

عندما مرتِ الحشود من تحت نافذة غرفة المحلفين فغر الاثنا عشر شخصًا أفواههم مدهوشين ونظروا عبر النافذة نحو الخارج. هزت أصواتهم الزجاج، وبدا صوت البوق وكأنه مكبر صوت معلق بجانب آذانهم. حدّق المحلفون بعدم تصديق بهذه الحشود الكبيرة من السود، واستطاعوا رؤية مجموعة كبيرة من اللافتات التي صُنعتْ يدويًا في منازل السود والتي تُطالبْ بالإفراج عن هيلي.

قالت ريتا ماي بلانك: "لم أعرف أن هناك هذا العدد من السود في مقاطعة فورد"، فكّر الجميع بالفكرة نفسها ولكن لم يقل أحدٌ شيئًا.

كان باكلي غاضبًا، ووقف يشاهد ما يحصل مع موسغروف عبر نافذة غرفتهما في الطابق الثالث، حيث تسبب الضجيج الذي في الأسفل بقطع محادثتهما الهادئة.

قال موسغروف: "لم أكن أعلم أن هناك هذا العدد الكبير من السود في مقاطعة فورد".

"لا يوجد؛ لقد تم إحضارهم إلى هنا من قبل شخص ما، أتساءل من الشخص الذي حثهم على هذا".

"ربما بريغانس".

"ربما على الأغلب، لقد بدأوا بإثارة كل هذا الضجيج والمظاهرات عندما بدأت هيئة المحلفين بمناقشاتها، يبدو أن هناك خمسة آلاف زنجي هناك".

"على الأقل".

شاهد نووز والسيد بات الأحداث عبر نافذة رواق في الطابق الثاني، وانزعج نووز بسبب ما يحصل وقلق على هيئة المحلفين، فقال: "لا أعلم كيف سيتمكنون من التركيز في ظل كل هذه الأحداث".

قال بات: "لقد اختاروا وقتًا جيدًا للغاية، أليس كذلك يا سيادة القاضي؟".

"لقد فعلوا".

"لم أعلم أننا نملك هذا العدد كله من السود في المقاطعة".

استغرق السيد بات وجين عشرين دقيقة للعثور على المحامين وتجهيز المحكمة، وعندما ساد الهدوء، وجلس المحلفون على مقاعدهم بدون أي ابتسامات في تلك الأجواء المشحونة، سعل نووز ثمّ قال: "سيداتي وسادتي، حان وقت الغداء الآن، وأفترض أنكم لا تملكون شيئًا لإخباري إياه".

هزّ باري أكير رأسه مؤكدًا.

"هذا ما أعتقدُتُه، دعونا نسترِح حتى الساعة الواحدة والنصف. أدركُ أنكم لا تستطيعون مغادرة المبنى، ولكن أريدكم أن تتركوا القضية جانبًا الآن وتتناولوا طعامكم. أعتذر كثيرًا عن

الضجة والضوضاء الحاصلة في الخارج، ولكن وبصراحة، لا أستطيع أن أفعل شيئًا. الآن دعونا نأخذ استراحة حتى الساعة الواحدة والنصف".

أثناء الاستراحة ثار باكلي في الغرفة وذهب جيئة وإيابًا.

"هذا جنون أيها القاضي؛ من المستحيل أن تتمكن هيئة المحلفين من التركيز في كل تلك الضوضاء الموجودة في الأسفل، هذا جهد متعمد لتخويف أعضاء الهيئة".

قال نووز: "أنا لست راضيًا عما يحصل".

صرخ باكلي: "لقد خُطط لكل هذا، إن الأمر متعمد".

قال نووز: "تنحدر الأحداث نحو الأسوأ".

"أنا أحضر نفسي لحكم خاطئ".

"لن أعترف به، ما رأيك يا جايك؟".

ابتسم جايك للحظة وقال: "حرروا كارل لي هيلي".

قال باكلي بشراسة: "هذا مضحك للغاية، ربما خططتَ لكل هذا أيضًا".

"كلا، إذا تذكرتَ معي يا سيد باكلي، فقد حاولتُ منع ذلك، لقد طلبتُ مرارًا وتكرارًا تغيير المكان، وقلتُ لكما دائمًا إنّه يجب عدم إجراء المحاكمة في هذه المحكمة، ولكنك أردتها هنا يا سيد باكلي وأنت أيها القاضي نووز؛ وافقتَ على بقائها هنا، وكلاكما الآن تتذمران بلا فائدة".

أعجِبَ جايك بنفسه، وامتعض باكلي ثمّ حدق خارج النافذة قائلًا: "انظر إلى هؤلاء السود الهمجيين، يوجد نحو العشرة آلاف منهم في الأسفل".

زاد عددهم من عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألفًا خلال استراحة الغداء، حيث كانت السيارات تأتي من مسافة مئة ميل - بعض السيارات عليها لوحات تينيسي - وتوقفتِ السيارات على أطراف الطرقات السريعة خارج حدود المدينة وسار الوافدون لمسافة ميلين أو ثلاثة أميال تحت أشعة الشمس الحارقة فقط للانضمام إلى الاحتفالات حول المحكمة.

أخذ آغي استراحة لتناول طعام الغداء وهدأتِ الأجواء في الساحة.

اتصف السود بكونهم مسالمين، حيث فتحوا المبردات وسلال النزهات وتقاسموا الطعام مع بعضهم حيث تجمعوا تحت الأشجار في الظلال؛ لكن لم يكن هناك ما يكفي من الأشجار للجميع.

ملأوا المحكمة بحثًا عن الماء البارد والمراحيض، وتمشوا على الأرصفة وحدقوا إلى واجهات المحلات المختلفة. أغلقت المقاهي في أوقات الغداء خوفًا من حدوث مشاكل، واصطف الناس حتى وصلوا لبعد مبنيين تقريبًا خارج مقهى كلود.

استرخى جايك وهاري ريكس ولوسيان على الشرفة، واستمتعوا بالهرج الحاصل في الأدنى، وُضع إبريق المارغريتا الطازجة والمنعشة على الطاولة وبدأ يتناقص تدريجيًا حتى فرغ. شاركوا بين كل فترة وفترة في الاحتجاج وصرخوا من أماكنهم: حرروا كارل لي، أو همهموا معهم عند قولهم: سنتغلب عليهم؛ لم يعرف أحد هذه الكلمات إلّا لوسيان بحكم اللهجة الخاصة بهم، فقد تعلم كلماتهم ولهجتهم خلال أيامه المجيدة في الستينيات، ولا يزال يدعي أنّه الشخص الأبيض الوحيد في مقاطعة فورد الذي يستطيع فهم كل كلماتهم المؤلفة من مقطع صوتي واحد. وأوضح خلال جلسة الشرب أنه انضم إلى كنيسة للأشخاص السود في ذلك الوقت عندما صوتتْ كنيسته على استبعاد السود، ولكنه تركها بعد أن أصيب بتمزق في أحد أقراص عموده الفقري في خطبة مدتها ثلاث ساعات، ومع ذلك فهو لا يزال يشارك بين الحين والآخر.

حام طاقم من الصحفيين والعاملين في التلفاز حول مكتب جايك وسألوه العديد من الأسئلة بين الحين والآخر، فتظاهر جايك بعدم سماعهم، ولكنه صرخ أخيرًا: "حرروا كارل لي هيلي".

عند الساعة الواحدة والنصف تمامًا، أمسك آغي ببوقه مرة ثانية ورفع رايته وصفَّ الواعظين وجمع المتظاهرين مجددًا، ثم بدأ بالنغمة المعتادة، وصاح في البوق حتى مشى المتظاهرون مرة ثانية خلال الشوارع حول الساحة مرارًا وتكرارًا، يجذبون المزيد من المشاهدين والناس في كل لفة مما يصنع ضجة أكبر.

عم الهدوء غرفة المحلفين لمدة خمس عشرة دقيقة بعد أن غيرتْ ريبا بيتس رأيها من لم تقرر إلى غير مذنب، وقالتْ إنّه لو اغتصبها رجل ما، فستفجرُ رأسه إذا سنحتْ لها الفرصة، وبذلك وصلوا إلى خمسة أصوات غير مذنب وخمسة أصوات مذنب، وصوتين لا قرار؛ بدا أن التوصل إلى قرار أخير أمر مستحيل.

استمر رئيس هيئة المحلفين في المماطلة ولم يعطِ جوابًا محددًا. انفجرتِ العجوز المسكينة أيولا ديل ياتس بالبكاء، وعرف الجميع أنّها ستأخذ طرف الأغلبية؛ بكتْ بشدة بجانب النافذة، وقام كلايد سيسكو بمساعدتها على الجلوس على مقعدها، وقالت إنّها تشعرُ كالسجينة وتريد أن تعود إلى منزلها.

أخذ الصراخ والهتاف يعطي مفعوله؛ فعندما اقترب البوق من غرفتهم وصلتْ مستويات القلق في تلك الغرفة الصغيرة إلى ذروتها، وطلب منهم أكير الهدوء، ثمّ جلسوا ينتظرون عبور الحشود بفارغ الصبر للحصول على لحظات من الهدوء ريثما تعود تلك الحشود مرة ثانية. استفسرتْ كارول كورمان عن سلامتهم، وكانتْ أول من طرح الموضوع، حيث أصبحتِ الأحداث صاخبة جدًا للمرة الأولى منذ أسبوع.

أدى الهتاف المتواصل لمدة ثلاث ساعات إلى تلف أعصاب أعضاء هيئة المحلفين، واقترح رئيس هيئة المحلفين أن يغيروا الحديث ويتحدثوا عن عائلاتهم مثلًا ريثما يستدعيهم نووز عند الساعة الخامسة.

اقترح برنيس تول - وهو من الذين صوتوا بأنه مذنب - شيئًا كان يدور في فكرهم جميعًا ولكن لم يذكره أحد، فقال: "لِمَ لا نخبر القاضي بأننا وصلنا إلى طريق مسدود؟".

سألتْ جو آن غيتس: "سيعلن القاضي وجود خطأ في المحاكمة وبطلانها، أليس كذلك؟".

أجاب رئيس الهيئة: "أجل، وسيتم إعادة محاكمته بعد بضعة أشهر، فلِمَ لا نتوقف اليوم ونعيد ترتيب أفكارنا غدًا؟".

وافقوا جميعًا، فلم يرغبوا بالاستسلام بعد، وبكتْ أيولا ديل بهدوء.

بحلول الساعة الرابعة تمشى كارل لي وأولاده وصولًا إلى إحدى النوافذ الموجودة على جانبي المحكمة، ولاحظ وجود مقبض صغير أداره ففتحتِ النافذة المؤدية إلى منصة صغيرة فوق عشب من الناحية الغربية، هز رأسه باتجاه النائب كإشارة إلى إنّه سيخرج، ثمّ خرج، أمسك تونيا وشاهد الحشد الذي اندفع إلى المبنى تحته بمجرد أن رآه وبدأ بالصراخ باسمه حيث تجمعَ عدد لا يمكن تخيله من البشر السود تحت الشرفة الصغيرة وحاول كل شخص منهم أن يقترب ويلقي نظرة على هذا البطل الذي ينتمي إليهم.

"حرروا كارل لي".

"حرروا كارل لي".

"حرروا كارل لي".

لوّح إلى معجبيه في الأسفل، ثمّ قبّل ابنته وحضن ابنه، استمر بالتلويح وأخبر أولاده أن يلوحوا أيضًا.

استخدم جايك وفريقه الصغير من الرجال حركات التضليل عبر الطرقات ليصلوا بصعوبة إلى المحكمة، حيث استدعتْهم جين غيلسبي لأن نووز أراد مقابلة المحامين، كان نووز منزعجًا وباكلي يصرخ: "أنا أطالب بقرار أن المحاكمة خاطئة؛ أنا أطالب بذلك"، دخل جايك في هذه الثانية وقال: "لا يمكنك أن تطالب بذلك يا سيادة محامي عام المقاطعة، يجب أن تذهب باتجاه ذلك". قالها جايك وعيناه تلمعان باتجاه باكلي.

"فلتذهب إلى الجحيم يا بريغانس، لقد خططتَ لكل هذا التمرد، هؤلاء الذين في الخارج هم زنوجك".

قال جايك: "أين كاتبة المحكمة؟ أريد تدوين كل ما قاله في المحضر".

قال نووز: "دعونا نتعامل باحترافية أيها السادة المحترمون".

قال باكلي: "حسنًا يا سيادة القاضي، الولاية تريد الادعاء أن المحاكمة خاطئة، أظن أنني قلتها بشيء من الاحترافية".

"مرفوض".

"حسنًا تريد الولاية السماح لهيئة المحلفين بالنقاش والتداول في مكان آخر غير مبنى المحكمة".

قال نووز: "حسنًا هذه فكرة مثيرة للاهتمام".

قال جايك بثقة: "لا أرى أي سبب يمنعهم من الذهاب إلى الفندق، إنّه هادئ ولا يعرف مكانه إلّا قلة من الناس".

قال نووز: "جايك؟".

"كلا، لن ينجح الأمر، لا يوجد نص قانوني يمنحك سلطة السماح بعقد المداولات خارج المحكمة".

مد جايك يده إلى جيبه، وأخرج عدة أوراق مطوية ثمّ ألقى بها على المنضدة قائلًا: "حدث في العام 1963 في قضية للولاية ضد دوبوز أن توقف تكييف الهواء في قاعة المحكمة في مقاطعة لينوود خلال موجة حر، وسمح القاضي لهيئة المحلفين باستكمال مداولاتهم في مكتبة محلية، فاعترض الدفاع على ذلك، وتمتْ إدانة هيئة المحلفين، ثمّ في محكمة الاستئناف قضتِ المحكمة العليا بأن قرار القاضي غير مناسب واعتبرته تصرَّفَ من تلقاء نفسه، وقررتِ المحكمة أن مداولات هيئة المحلفين يجب أن تتم في غرفة هيئة المحلفين في قاعة المحكمة حيث يحاكم المدعى عليه، ولا يجوز نقلهم منها".

أمسك نووز بأوراق القضية قليلًا ودرسها ثمّ ناولها إياها مرة ثانية.

قال للسيد بات: "جهّز قاعة المحكمة".

امتلأت قاعة المحكمة بالأشخاص السود بأكملها باستثناء المراسلين، وقد بدا على أعضاء هيئة المحلفين الإنهاك والشحوب.

قال نووز: "أعتقد أنكم لم تتوصلوا إلى أي حكمٍ بعد".

ردّ رئيس هيئة المحلفين: "كلا يا سيدي".

"دعني اسألك هذا من دون أن تخبرني بأية إحصائيات عددية دقيقة؛ هل وصلتم إلى مكان لا تستطيعون الإكمال منه؟".

"لقد ناقشنا ذلك أنا وأعضاء الهيئة حضرتك، ونحن نرغب بالمغادرة الآن، وأخذ قسط كافٍ من الراحة، ثمّ العودة والمحاولة مرة أخرى غدًا، فنحن لا نريد الاستسلام".

"من الجيد سماع هذا، أعتذر عن كل المشوشات الخارجية الحاصلة ولكن - مرة أخرى - لا يمكنني أن أفعل أي شيء؛ فأنا آسف، سيكون عليكم أن تبذلوا قصارى جهدكم في هذه الظروف، هل هناك أي شيء آخر؟".

"كلا يا سيدي".

"جيد جدًا، سنفضّ الجلسة حتى الساعة التاسعة من صباح يوم الغد".

أمسك كارل لي بكتف جايك وقال: "ماذا يعني كل هذا؟".

"يعني أنّهم وصلوا إلى طريق مسدود، إما ستة أصوات ضد ستة، أو أحد عشر شخصًا صوّتَ لصالحك وواحد صوّتَ ضدك، أو أحد عشر شخصًا صوّتَ ضدك وواحد لصالحك؛ لا تتحمس كثيرًا، فنحن لا نعرف ما الذي يجري بشكل أكيد".

رأى باري أكير حاجبَ المحكمة وسلمه ورقة مطوية، كتب فيها:

لوان

احزمي الأغراض، واذهبي أنت والأطفال إلى منزل أهلك، ولا تخبري أحدًا بذلك، وابقي هناك حتى تنتهي هذه المحاكمة، فقط افعلي ما أقوله، لقد خرجتِ الأمور عن السيطرة وأصبحتْ خطيرة.

باري

"هل يمكنك أن توصل هذه إلى زوجتي اليوم؟ رقمنا هو 881-0774".

قال الحاجب: "أجل بالتأكيد".

جلس تيم نونلي - الذي يعمل ميكانيكيًا لسيارات شيفروليه وهو موكل سابق لدى جايك بريغانس - على أريكة في مقطورة في أعماق الغابة وشرب البيرة، واستمع إلى زملائه في الكلان وهم في حالة سُكر يلعنون السود، وشاركهم في شتائمهم من حين إلى آخر. كان قد لاحظ خلال الليلتين الماضيتين بعض الهمس، وشعر أن شيئًا خطيرًا سيحدث قريبًا، لذلك حرص على الاستماع بعناية.

وقف ليجلب زجاجة أخرى من البيرة، وفجأة قفزوا عليه، وثبّتهُ ثلاثة من رفاقه إلى الحائط، ووجهوا الضربات نحوه باستخدام أياديهم وأقدامهم. تعرض للضرب المبرح ثمّ كُمِّم وقُيِّد وجُرَّ إلى الخارج عبر طريق مفروش بالحصى وصولًا إلى الحقل الذي تم فيه تجنيده كعضو،

وأضربوا النار في صليبٍ بينما كانوا يقيدونه إلى عمود وقد جُرِّد من ملابسه، ثمّ جُلِد بالسوط حتى أصبح جلده قرمزيًا.

شاهده أكثر من عشرين شخصًا من زملائه السابقين في رعب صامت حيث كان غارقًا بالكيروسين من رأسه حتى أخمص قدميه، ووقف القائد مُمسكًا بالسوط إلى جانبه وأعلن حكم الإعدام ثمّ ألقى بعود الثقاب... تم إسكات ميكي ماوس إلى الأبد.

حزموا أمتعتهم وأرديتهم البيضاء، وغادروا إلى منازلهم، لن يعود الكثير منهم إلى مقاطعة فورد مرة ثانية.

43

يوم الأربعاء، وللمرة الأولى منذ أسابيع، نام جايك لأكثر من ثماني ساعات، حيث نام على الأريكة في مكتبه، واستيقظ عند الساعة الخامسة على أصوات الحرس الوطني الذين يتحضرون للأسوأ. جلس بارتياح، ولكن سرعان ما عاد التوتر إليه، وازدادت دقات قلبه عندما تذكر أن اليوم قد يكون اليوم الكبير المُنتظَرَ. استحمّ وحلق ذقنه في الطابق السفلي، وفتح علبة جديدة من ماركة فروت أوف ذا لووم سبق له أن اشتراها من الصيدلية.

ارتدى واحدة من أرقى بذلاته ذات اللون الأزرق الداكن المناسبة لجميع المواسم، كانت قصيرة بمقدار بوصة واحدة، وفضفاضة بعض الشيء، ولكنها لم تكن سيئة في ظل هذه الظروف.

فكّر في أنقاض منزله في شارع آدمز، ثمّ تذكر كارلا، فبدأت ضربات قلبه تتسارع، وركض باتجاه صندوق البريد ليجلب الصحف حيث وجد صورًا لكارل لي على الصفحات الأولى من صحف ممفيس وجاكسون وتوبيلو؛ كان واقفًا على تلك الشرفة الصغيرة أعلى الحشود السود الهائلة وهو يحمل ابنته ويلوّح لشعبه، ولم تذكرِ الصحف أي أخبار عن منزل جايك، فتنفس الصعداء، ثمّ شعر بأنه جائع فجأة.

عانقته ديل كما لو كان طفلًا ضائعًا، ثم خلعت مئزرها، وجلست إلى جانبه في الزاوية، وكلما وصل شخص من رواد المطعم الدائمين، وقف وربّتَ على ظهره ورحّب به؛ لقد افتقدوه، وكان من الجيد أن يروه مرة أخرى. قالت له ديل إنّه يبدو هزيلًا، ولذلك طلبت أغلب أطباق القائمة.

سأل بيرت ويست: "قل لي يا جايك، هل سيعود كل أولئك السود اليوم أيضًا؟".

أجاب وهو يغرز شوكته بقطعة من البانكيك: "على الأرجح".

قال آندي رينيك: "سمعتُ أنّهم يخططون لجلب المزيد من الناس هذا الصباح، هناك محطة إذاعية في شمال الميسيسيبي تطلب من الناس القدوم إلى كلانتون".

عظيم، قال جايك بينه وبين نفسه، ثمّ أضاف بعض التاباسكو إلى البيض المخفوق.

سأل بيرت: "هل تستطيع هيئة المحلفين أن تسمع كل هذا الضجيج؟".

أجاب جايك: "بالتأكيد يستطيعون، ولذلك يقومون بكل تلك الاحتجاجات، فأعضاء الهيئة ليسوا صمًا".

"على الأغلب أخافهم كل ما يحصل".

تأملَ جايك ذلك بكل تأكيد.

سألت ديل بهدوء: "كيف حال عائلتك؟".

"بخير على ما أعتقد، أتحدث مع كارلا كل ليلة".

"إنها تشعرُ بالخوف أليس كذلك؟".

"تشعر بالرعب وليس بالخوف".

"ماذا ارتكبوا بحقك مؤخرًا؟".

"لم يحدث شيءٌ جديدٌ منذ صباح يوم الأحد".

"هل تعلم كارلا بما حصل؟".

هزّ جايك رأسه نافيًا وهو يمضغ طعامه.

"اعتقدتُ ذلك... يا لك من مسكين!".

"سأكون بخير. أخبريني، ما الجديد هنا مؤخرًا؟".

"لقد أغلقنا المكان البارحة عند الظهيرة حيث كان هناك الكثير من السود في الخارج، وخفنا من حصول أحداث شغب، وسنشاهد مجريات الأحداث اليوم عن قرب وربما نغلق مجددًا".

"ماذا سيحصل إن أدين يا جايك؟".

"ستأخذ الأمور منحى أكثر صعوبة".

بقي هناك، وأجاب على الأسئلة لمدة ساعة.

عندما بدأ الغرباء بالوصول، استأذن جايك من ديل ليذهب.

لم يفعل شيئًا سوى الانتظار، حيث جلس على الشرفة، يشرب القهوة، ويدخن السيجار، ويراقب الجنود وما يحدث. تذكر حياته والموكلين الذين كانوا لديه، وتذكر مكتب المحاماة الصغير الهادئ والسكرتيرة والموكلين الذين ينتظرون رؤيته، وجدول المكالمات والمقابلات في السجن، والأشياء العادية التي امتلكها كالمنزل، والأسرة، والكنيسة صباح يوم الأحد، فشعر بأنه لا يصلح لمثل هذه الأمور الكبيرة.

وصلتِ الحافلة الأولى التابعة للكنيسة عند الساعة السابعة والنصف فأوقفها الجنود، وحين انفتحت أبوابها، بدأ تيار لا نهاية له من السود بالخروج منها؛ كانوا يحملون كراسي النزهات وسلال الطعام الخاصة إلى الباحة الأمامية، وبقي جايك ينفث الدخان لمدة ساعة، ويشاهد بارتياح كبير الساحة المليئة بالمتظاهرين الصاخبين والمسالمين. جمع الواعظون كامل قوتهم ووجهوا شعبهم مؤكدين لأوزي والكولونيل أنّهم مسالمون. كان أوزي مقتنعًا بذلك بالفعل، لكن الكولونيل بدا متوترًا، وبحلول الساعة التاسعة، اكتظتِ الشوارع بالمتظاهرين، وحين رصد شخص ما حافلة الغريهاوند صرخ: "ها هم قد جاؤوا"، وسرعان ما شكّل الجنود حاجزًا متحركًا حول الحافلة، وساروا عبر الحشد حتى وصلوا إلى الباب الخلفي للمحكمة.

بكت إيولا ديل ييتس، وجلس كلايد سيسكو بجوار النافذة ممسكًا بيدها. حدق الآخرون خائفين في الوقت الذي كانت فيه الحافلة تعبر الساحة. تم إخلاء ممر من الحافلة إلى المحكمة حيث اصطف الجنود المحملين بالأسلحة على جانبي الممر، ثمّ صعد أوزي على متن الحافلة وطمأنهم بأن الوضع تحت السيطرة، وأخبرهم أن كل ما عليهم فعله هو أن يسيروا خلفه، ويمشوا بأسرع ما يمكن.

أقفل الحاجب الباب، وتجمعوا حول آلة صنع القهوة، في الوقت الذي جلست فيه إيولا ديل بمفردها في الزاوية، وبكت بهدوء وهي ترتجف مع كل صرخة من الحشود الهائجة في الأسفل.

قالت: "لم أعد أهتمّ بما سنفعله بعد الآن، حقًا لم أعد أهتم، ولكنّني لا أستطيع تحمل كل هذا بعد الآن، لم أرَ عائلتي منذ ثمانية أيام، والآن يحدث كل هذا الصخب والجنون في الأسفل، فلم

أستطع النوم ليلة أمس"، ثمّ انفجرت باكية وقالت: "أعتقد أنني على وشك أن أصاب بانهيار عصبي، دعونا نخرج من هنا".

ناولها كلايد منديلًا ورقيًا، وربّت على كتفها.

قالت جو آن غيتس التي كانت ترى أنّ كارل لي مذنب بعض الشيء، ولكن قرارها لم يكن نهائيًا: "لم أحظَ بأي نوم أيضًا الليلة الماضية، فأنا لا أستطيع أن أتحمل يومًا آخر كالبارحة".

وقفَ باري أكير بجانب النافذة، وفكّر في ما سيتبع حكم الإدانة من أعمال شغب في المنطقة، لن يبقى أي مبنى في المدينة على حاله بما في ذلك المحكمة، وشكك في إمكانية حماية هيئة المحلفين، وفكّر لو كان هناك أي شخص سيحاول أصلًا أن يحميهم في أعقاب صدور الحكم، إذ لن يتمكنوا من العودة إلى الحافلة على الأغلب. والشكر لله، فقد هربت زوجته وأطفاله إلى بر الأمان في أركنساس.

قالت بيرنيس تول، وهي من الأشخاص الذين ثبتوا على أنّ كارل لي مذنب بشكل غير قابل للمناقشة: "سيقتحم هؤلاء الهائجون في الأسفل المحكمة خلال أجزاء من الثانية إذا أدين، وأنا أشعر بالخوف".

ناولها كلايد منديلًا.

صرخت إيولا ديل بيأس: "لا يهمني ما نفعله، دعونا نخرج من هنا، أنا لا أهتم إذا قررنا إدانته أو براءته، فلنفعل شيئًا ما لأنني بدأت أفقد السيطرة على أعصابي".

وقفت واندا ووماك الجالسة عند نهاية الطاولة، وسعلت بتوتر، ثمّ طلبت منهم الانتباه، وقالت ببطء: "لديّ عرض قد يحسم الأمر بأكمله".

توقفت أصوات البكاء، وعاد باري أكير إلى مقعده، وحظيت باهتمامهم الكامل.

قالت: "عندما كنت أرقة ليلة أمس فكّرت في أمر، وأريدكم أن تفكروا فيه، قد تشعرون بالألم؛ إنّه شيء سيجعلكم تبحثون في أعماق قلوبكم، سأطلب منكم ذلك، وإذا استطاع كل شخص منكم أن يكون صادقًا مع نفسه أعتقد أننا سننتهي من كل هذا قبل الظهر".

عم الهدوء القاعة، وكانت الأصوات الوحيدة تأتي من الشارع أدناه.

"الآن لقد انقسمنا بالتساوي في الأصوات، أجل يمكننا إخبار القاضي نووز أننا وصلنا إلى طريق مسدود وميؤوس منه، وسيعلن بطلان هذه المحاكمة، وسنذهب في النهاية إلى منازلنا. ثمّ بعد عدة أشهر سيتكرر هذا المشهد بأكمله مرة ثانية، وسُيحاكم السيد هيلي مرة أخرى في القاعة نفسها، ومع القاضي نفسه، ولكن مع هيئة محلفين مختلفة، سينتمي أعضاؤها إلى هذه المقاطعة، وسيكونون من أصدقائنا وأزواجنا وزوجاتنا وآبائنا، سيكونون من طينة الأشخاص الموجودين هنا الآن في هذه الغرفة، سيواجهون القضية التي نواجهها، ولن يكون هؤلاء الناس أذكى منا. يعتبر من الخطأ الأخلاقي التنصل من مسؤولياتنا، وإلقاء المسؤولية على عاتق هيئة

المحلفين التالية، حان الوقت للبت في هذه القضية، فهل يمكننا أن نتفق على كل هذا؟".

وافقوا بصمت.

"جيد، إليكم ما أريد منكم فعله، أريدكم أن تستخدموا خيالكم معي للحظة، أريدكم أن تغمضوا أعينكم ولا تسمعوا أي صوت إلّا صوتي".

أغمضوا أعينهم بطاعة ولم يجادلوا أبدًا، كانوا مستعدين لتجربة أي شيء.

استلقى جايك على الأريكة في مكتبه، واستمع إلى لوسيان وهو يروي قصصًا عن والده وجده المرموق، وشركة المحاماة المرموقة التي امتلكوها، وعن الأشخاص الذين ابتزهم أجداده للحصول على الأموال والأراضي.

استمر لوسيان بالحديث منفعلًا: "ثروتي بأكملها قادمة من أجدادي عديمي الأخلاق واللعوبين، لقد استغلوا وخربوا حياة أي شخص استطاعوا فعل ذلك به".

ضحك هاري ريكس مطولًا؛ لقد سبق لجايك أن سمع هذه القصص، ولكن رغم ذلك وجدها مضحكة ومختلفة في كل مرة.

سأل جايك: "ماذا عن ابن إثيل المتخلف عقليًا؟".

احتج لوسيان قائلًا: "لا تتحدث بهذه الطريقة عن أخي، إنّه ألمع فرد في العائلة، ويبقى أخي بالتأكيد. استخدمها أبي عندما كان عمرها سبعة عشر عامًا، وصدّق أو لا تصدّق، كانت تبدو جيدة

جدًا في ذلك الوقت، كانت من أكثر نساء مقاطعة فورد إثارة، ولم يستطيع والدي أن يبعد يديه عنها، من الكريه التفكير بذلك الآن ولكنها الحقيقة".

قال جايك: "الأمر مقرف".

"كان لديها منزل مليء بالأطفال، وكان اثنان منهم يشبهانني تمامًا، وخاصة الغبي فيهما، وعندما أتذكر ذلك أشعر بالإحراج".

"ماذا عن والدتك؟"، سأله هاري ريكس.

"كانت واحدة من السيدات الجنوبيات المسنات اللواتي ينصبّ قلقهن الرئيسي على من يمتلك النفوذ والغنى ومن لا يمتلكهما، وبحكم أنّه لا يوجد الكثير من العائلات المخملية المرموقة هنا، أمضت معظم وقتها في ممفيس تحاول إثارة إعجابهم وتجعلهم يقبلونها كجزء منهم. لقد أمضيتُ جزءًا كبيرًا من طفولتي في فندق بي بدي هوتل أضع دائمًا ربطة عنق حمراء صغيرة، وأحاول التصرف ببراعة أمام الأطفال الأثرياء من ممفيس. كرهتُ ذلك، ولم أهتم كثيرًا بحياة وميول أمي أيضًا، وقد علمت أمي بموضوع إثيل لكنها تقبلت ذلك، وقُالت للرجل العجوز أن يكون حذرًا ولا يحرج الأسرة، لقد التزمَ السرية بدوره وبقي متحفظًا، وانتهى بي الأمر مع أخ غير شقيق متخلف عقليًا".

"متى ماتت؟".

"قبل أن يموت والدي في حادثة تحطم الطائرة بستة شهور".

سأله هاري ريكس: "كيف ماتت؟".

"بمرض السفلس الذي نقله إليها أحد الشبان المشاكسين".

"لوسيان، أحقاَ؟"

"لقد ماتت بالسرطان، وقد ناضلت لمدة ثلاث سنوات، وبقيت ذات شأن حتى النهاية".

"أين بدأتَ أنت بتغيير مسارك؟".

"أعتقد أن الأمر بدأ في الصف الأول. امتلك عمي المزرعة الكبيرة جنوب المدينة، وكان يمتلك عدة عائلات من السود. أظن أنّها كانت فترة الكساد، أليس كذلك؟ قضيت معظم طفولتي

هناك لأن والدي كان مشغولًا للغاية هنا في هذا المكتب، وكانت والدتي مشغولة جدًا بحفلات الشاي الخاصة بالطبقات المخملية. كل أصحابي كانوا من السود، ونشأتُ على يد الخدم السود، كان أعز أصدقائي ويلي راي ويلبانكس؛ حقًا من دون أي مزاح؛ وذلك لأن جدي الأكبر اشترى جده الأكبر، وعندما تحررَ العبيد احتفظ معظمهم باسم العائلة، فما كان يفترض بهم أن يفعلوا هذا هو سبب وجود الكثير من ويلبانكس السود هنا. لقد امتلكنا جميع العبيد في مقاطعة فورد، وأصبح معظمهم من عائلة ويلبانكس في ما بعد".

قال جايك: "من المحتمل أن تكون مرتبطًا مع بعضهم برابطة العائلة والدم".

"ربما أكون مرتبطًا معهم كلهم إذا أخذتَ بعين الاعتبار الرغبات الكثيرة لأجداي وانحطاطهم الأخلاقي".

رنّ الهاتف، فتجمدوا جميعًا وحدقوا إليه، وجلس جايك حابسًا أنفاسه. رفع هاري ريكس السماعة، ثمّ وضعها مكانها مرة ثانية. نظر إليهم وقال: "رقم خاطئ".

تبادلوا النظرات، ثمّ ابتسموا.

قال جايك: "حسنًا على أي حال، لنعد إليك في الصف الأول".

"حسنًا، عندما بدأتِ المدرسة، استقلّ ويلي راي وبقية رفاقي الحافلة متجهين إلى مدرسة السود، وقفزتُ أنا أيضًا على متن الحافلة، ولكن السائق أمسك يدي بحذر شديد وأجبرني على النزول، فبكيتُ وصرختُ، ثمّ أخذني عمي إلى المنزل وأخبر والدتي قائلًا: لقد استقلّ لوسيان حافلة مدرسة السود، وطبعًا أصابها الرعب وضربت مؤخرتي الصغيرة، وضربني أبي العجوز أيضًا، ولكن بعد عدة سنوات اعترف بأن ما حدث كان مضحكًا. لذلك ذهبتُ إلى مدرسة للبيض حيث كنتُ دائمًا الولد الصغير الغني، ويكره الجميع الطفل الغني الصغير خاصة في مدينة فقيرة مثل كلانتون. لا يعني ذلك أنني كنت محبوبًا في البداية حيث كرهني الجميع ولو قليلًا لمجرد أننا نملك المال، ولذلك لم أفكر أو أهتم بالمال أبدًا. إذًا، كما رأيتما بدأ انشقاقي عن تلك البيئة في الصف الأول، حيث قررتُ ألّا أكون مثل أمي التي عبست دائمًا ونظرت نحو الأسفل، أو مثل رجلي العجوز ذاك الذي انشغل دائمًا باللهو والاستمتاع، فقلتُ سحقًا لكل هذا، سأعيش وأحظى ببعض المرح".

تمدد جايك، وأغمض عينيه.

سأله لوسيان: "هل أنت متوتر؟".

"أريد فقط أن ينتهي كل هذا".

رنّ الهاتف مجددًا، والتقطه لوسيان بسرعة، استمع للحديث الصادر من الطرف الآخر ثمّ أنهى المكالمة.

سأل هاري ريكس: "من كان المتصل؟".

عدّل جايك جلسته وحدق إلى لوسيان، وقد عَلِم أن اللحظة قد حانت.

"جين على الهاتف؛ إنّ هيئة المحلفين جاهزة لإعطاء القرار".

قال جايك وهو يفرك صدغيه بتوتر: "يا إلهي".

قال لوسيان ملقيًا محاضرة مختصرة: "استمع إليّ يا جايك، سيشاهد ملايين الناس ما على وشك الحدوث، لذلك احتفظ بهدوئك، واحذر في ما تقوله".

تذمر هاري ريكس وقال: "ماذا عني؟ أعتقد أنني على وشك التقيؤ".

قال جايك وهو يرتدي سترته: "من الغريب أن أسمع هذه النصائح منك يا لوسيان".

"لقد تعلمتُ الكثير، أظهرْ من أنت، فإذا فزتَ، فراقبْ بحذر ما تقوله للصحافة، وابقَ واثقًا، واشكرْ هيئة المحلفين بأدب، أما إذا خسرتَ...".

قاطعه هاري ريكس قائلًا: "إذا خسرتَ، فاركض بأسرع ما يمكنك لأن أولئك السود بالخارج سيقتحمون المحكمة كالمجانين".

اعترف جايك قائلًا: "أشعر بالضعف".

صعد آغي على منصة موجودة في الأمام، وأعلن أن هيئة المحلفين أصبحت جاهزة، وطلب منهم الهدوء، فتجمعتِ الحشود في القسم الأمامي، وطلب منهم آغي أن يركعوا ويصلوا، فركعوا جميعًا على ركبهم وصلوا بطاعة.

صلى كل رجل وامرأة في الباحة الأمامية لله وتوسلوه أن يطلق سراح رجلهم.

تجمع الجنود في صفوف وصلوا أيضًا من أجل التبرئة.

حضّر أوزي وموس جونيور المحكمة، حيث صفوا النواب والمفوضين على طول الممر.

دخل جايك من قاعة الانتظار، ونظر إلى كارل لي الجالس على كرسي المدعى عليه، ثم ألقى نظرة سريعة على الحاضرين؛ كان الكثيرون منهم يصلون، ويقضمون أظافرهم بتوتر، وانتحبت غوين بصمت وسالت دموعها على وجنتيها، ونظر ليستر إلى جايك، وكان الأولاد مرتبكين وخائفين.

جلس نووز على مقعده، وغاصتِ المحكمة في صمت مطلق؛ اختفتِ الأصوات من الخارج أيضًا حيث جثا عشرون ألف شخص من السود على الأرض مثل المسلمين، وعم السكون داخل المحكمة وخارجها.

"لقد علمتُ أن هيئة المحلفين توصلت إلى حكم، هل هذا صحيح يا سيد بايليف؟ جيد جدًا. سنطلب قريبًا من أعضاء هيئة المحلفين أن يتخذوا مقاعدهم، ولكن قبل ذلك، لديّ بعض التعليمات؛ لن أتسامح مع أية انفعالات أو محاولات لإثارة التعاطف، وسأطلب من الحراس أن يُخرِجوا أي شخص يُحدث اضطرابًا لسير العملية، وإذا لزم الأمر سأقوم بإخلاء المحكمة. سيد بايليف هل يمكنك إخبار أعضاء هيئة المحلفين بأن يأخذوا أماكنهم".

فُتح الباب، وبدا كما لو أن الوقت تباطأ ومرت ساعات قبل أن تدخل ايولا ديل ياتس وعيناها مليئتان بالدموع.

طأطأ جايك رأسه، وحدق كارل لي بشجاعة في صورة روبرت إي لي فوق نووز في الوقت الذي كان فيه أعضاء هيئة المحلفين يجلسون في أماكنهم؛ لقد بدوا متوترين وخائفين، وكان واضحًا على معظمهم أنّهم كانوا يبكون، فشعر جايك بتوتر وألم خفيف في معدته، في حين أمسك باري أكير بورقة مطوية كان الجميع يحدقون إليها.

"سيداتي وسادتي هل توصلتمْ إلى حكم؟".

أجاب رئيس الهيئة بصوت متوتر وعالٍ: "أجل يا سيدي".

"سلمْه إلى كاتبة المحكمة من فضلك".

استلمته جين وسلمته إلى القاضي الذي تفحصه بتمعن ثمّ قال أخيرًا: "إنه نظامي من الناحية الفنية".

بكت أيولا ديل بشدة، وكان صوت نحيبها الخافت هو الصوت الوحيد المسموع في القاعة، بينما كانت جو آن غيتس وبرنيس تول تمسحان دموعهما بخفة باستخدام منديلين ورقيين. قد يعني البكاء شيئًا واحدًا فقط، تعهد جايك لنفسه بأنه سيتجاهل هيئة المحلفين، ولن ينظر إليهم قبل أن يُقرأ الحكم، ولكن ذلك كان مستحيلًا. في أول محاكمة جنائية له، ابتسم المحلفون له من مقاعدهم، وتأكد جايك من حكم البراءة في تلك اللحظة، ولكن بعد ثوانٍ علم أن تلك الابتسامات كانت لمجرد أن المجرم على وشك أن يُبعد من الشوارع. منذ تلك المحاكمة تعهد ألّا ينظر إلى هيئة المحلفين، لكنه كان ينظر دائمًا، فمن الرائع أن يرى أية علامة تلميح أو غمزة، ولكنه لم يحصل أبدًا على هذه الإشارة.

نظر نووز إلى كارل لي وقال: "هل يمكن للمدعى عليه أن يتفضل بالوقوف؟".

علم جايك أن هناك طلبات أكثر رعبًا بكثير من هذا، ولكن بالنسبة إلى محامٍ جنائي، اتسم هذا الطلب في تلك اللحظة بالذات بآثار مروعة؛ وقف موكله بتوتر وبشكل مثير للشفقة.

أغمض جايك عينيه وحبس أنفاسه، وارتجفت يداه وآلمته معدته.

أعاد نووز الحكم إلى جين: "من فضلك، اقرأي الحكم".

فتحتِ الورقة، ووقفت بمواجهة المدعى عليه: "في ما يتعلق بكل تهمة من التهم الموجهة إلى المدعى عليه، نحن هيئة المحلفين نجد أن المدعى عليه غير مذنب بسبب الاختلال العقلي".

استدار كارل لي وتجاوز السياج باتجاه عائلته، وقفزت تونيا والأولاد من المقعد الأمامي وأمسكوا به، وقد ملأ الهرج والمرج قاعة المحكمة.

صرخت غوين وانفجرت بالبكاء، ودفنت رأسها بين ذراعي ليستر، ووقف الواعظون ونظروا باتجاه الأعلى وصرخوا: "الحمد لك يا الله، الشكر لك يا يسوع، يا رب، يا رب، يا رب".

لم تعنِ تحذيرات نووز أي شيء لهم، فأمسك المطرقة وبدأ يطرق بصبر نافد: "هدوء، هدوء، هدوء"، ولكن لم يُسمع أيٌّ من هذا في وسط كل تلك الضجة، وبدا نووز وكأنه لا يمانع القليل من الاحتفالات.

شعر جايك بالشلل وتخدّر في مكانه، وكانت حركته الوحيدة هي ابتسامة خفيفة باتجاه هيئة المحلفين.

دمعت عيناه وارتجفت شفتاه، وقرر ألّا ينظر إلى نفسه في تلك اللحظة، وأومأ برأسه باتجاه جين، التي كانت تجلس إلى طاولة المتهم وتبكي وتحني رأسها بين الحين والآخر محاولة الابتسام غير قادرة على فعل أي شيء آخر، كما استطاع أن يرى بطرف عينه باكلي وموسغروف وهما يجمعان ملفاتهما وأوراقهما القانونية وأوراق الملاحظات المهمة ويرميانها كلها بعصبية داخل حقيبتيهما؛ كونا أكثر رقة؛ قالها بينه وبين نفسه. ركض مراهق بين النواب وخرج من الباب ثمّ صرخ: "غير مذنب، غير مذنب"، وتابع باتجاه الشرفة الصغيرة وصرخ باتجاه الحشود: "غير مذنب، غير مذنب"، وثارتِ الحشود بفرح وسعادة.

قال نووز مع انفجار الأصوات الهائجة القادمة من الأسفل: "هدوء، هدوء"، ثمّ تحمل الحماسة لدقيقة إضافية واحدة ثمّ أمر المأمور بإعادة النظام إلى القاعة.

رفع أوزي يده وبدأ يتحدث، توقف كل التصفيق والهرج والأحضان وعم الهدوء القاعة تدريجيًا، وترك كارل لي أولاده وعاد إلى طاولة الدفاع.

جلس بالقرب من محاميه وأحاطه بيديه مبتسمًا وباكيًا في الوقت نفسه.

ابتسم نووز باتجاه المتهم وقال: "أيها السيد هيلي، لقد حوكمتَ من قبل هيئة محلفين أعضاؤها من بيئتك ومن زملائك ووجدت أنك غير مذنب، لا أذكر أي شهادة لطبيب خبير تقول إنك الآن خطير أو بحاجة إلى المزيد من العلاج النفسي، لذلك أنت رجل حر الآن"، ثمّ نظر باتجاه المحامين وأضاف: "إذا لم يكن هناك أي شيء آخر فسيتم فضّ هذه المحاكمة حتى تاريخ الخامس عشر من شهر آب".

أحاط أهل كارل لي وأصدقاؤه به وغمروه بالحب وبشعور العائلة؛ عانقوه، ثمّ عانقوا بعضهم البعض، ثمّ عانقوا جايك، وبكوا بصوت عالٍ وسبحوا الرب، وقالوا لجايك إنّهم يحبونه حقًا من أعماق قلوبهم.

اندفع الصحفيون باتجاه جايك وبدأوا بطرح الأسئلة، واكتفى هو بجملة لا تعليق، ولكنه كان يعلم إنّه سيكون هناك مؤتمر صحفي كامل في مكتبه عند الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم.

غادر باكلي وموسغروف عبر باب جانبي، وتم إبقاء المحلفين في غرفتهم الخاصة بانتظار آخر رحلة لهم بالحافلة إلى الفندق، وطلب باري أكير أن يتحدث إلى المأمور.

التقى به أوزي في الردهة، واستمع لحديثه باهتمام شديد، ووعده بأنه سيوفر له الحماية على مدار الساعة ليلَ نهارَ.

هاجم الصحفيون كارل لي مرارًا وتكرارًا طلبًا لبعض التصريحات الحصرية ولكنه قال فقط: "أريد العودة إلى المنزل، أريد فقط الذهاب إلى المنزل".

ازدادتِ الاحتفالات بقوة في الساحة الأمامية؛ غنى الناس، وبكوا، ورقصوا، وتعانقوا، وتبادلوا التهنئة، وضحكوا بصوت عالٍ، وهتفوا، ورددوا الصرخات، وشكروا الله وصلّوا بصوت واحد مجيد صاخب. تجمعوا بالقرب من بعضهم البعض أمام المحكمة، وانتظروا بفارغ الصبر ظهور بطلهم ليغمروه بما يستحقه من حب وتكريم.

بعد ثلاثين دقيقة من هتافهم نريد كارل لي، نريد كارل لي، ظهر رجلهم عند الباب، واستقبله صوتٌ زلزلَ الأرض وصم الآذان، فتقدم ببطء من خلال الحشود مع محاميه وعائلته، ثمّ توقفوا على الدرج العلوي تحت الأعمدة حيث نُصبت منصة خشبية عليها العديد من الميكروفونات. كان الصراخ والصياح القادمان من عشرين ألف شخص مصمًّا للآذان، فعانق محاميه ولوحوا لذلك البحر الهائج من الأشخاص المنفعلين.

كانت صرخات الحشود الهائلة للمراسلين غير مسموعة على الإطلاق، وبين الحين والآخر يتوقف جايك عن التلويح ويصرخ بشيء عن المؤتمر الصحفي في مكتبه عند الساعة الثانية من بعد الظهر.

عانق كارل لي زوجته وأولاده ولوحوا جميعًا للحشود، فانسل جايك بعيدًا إلى داخل المحكمة حيث وجد لوسيان وهاري ريكس ينتظرانه في زاوية بعيدًا عن الضجة والاندفاع المجنون للمتفرجين. صاح جايك: "دعونا نخرج من هنا"، واندفعوا من خلال الحشود، وخرجوا من الباب الخلفي، حيث رصد جايك مجموعة كبيرة من المراسلين على الرصيف خارج مكتبه.

سأل لوسيان: "أين ركنتَ السيارة؟"، فأشار إلى شارع جانبي واختفوا خلف الكوفي شوب.

قدمت سالي لهم اللحم المقلي، والطماطم الخضراء، وأخرج لوسيان زجاجة شمبانيا باهظة الثمن، وأقسم له إنّه احتفظ بها لهذه المناسبة فقط. أكل هاري ريكس بشراهة كبيرة، والتهم اللحم كما لو أنّه لم يرَ طعامًا منذ شهر، بينما أكل جايك بهدوء وتسلى بطعامه، وبين الحين والآخر كان يرتشف رشفة من الشمبانيا المثلجة، وبعد أن شرب كأسين من الشمبانيا ابتسم بينه وبين نفسه، واستمتع بهذه اللحظة.

قال هاري ريكس وفمه مملوء باللحم: "تبدو سخيفًا جدًا".

قال لوسيان: "اخرس يا هاري ريكس، دعه يستمتع بأفضل لحظات حياته".

"إنه يستمتع بها بشكل مثالي، انظر إلى تلك الابتسامة السخيفة التي تعلو شفتيه".

سأل جايك: "ماذا عليّ أن أقول للصحافة؟".

قال هاري ريكس: "أخبرهم أنك تحتاج إلى موكلين".

قال لوسيان: "لن يشكل الموكلون مشكلة بعد الآن، فستراهم مصطفين أمام مكتبه منتظرين الحصول على موعدٍ معه".

قال هاري ريكس: "لماذا لم تتحدث مع الصحفيين في المحكمة؟ كانت كاميراتهم وميكروفوناتهم جاهزة ويسجلون كل شيء؛ أوشكتُ أنا على التصريح وقول بعض الأشياء لهم".

قال لوسيان ساخرًا: "بالتأكيد كنت على وشك قول الدرر".

قال جايك: "أمتلك كل هؤلاء الصحفيين بين يدي الآن".

"لن يذهبوا إلى أي مكان، حتى إنّه يمكننا بيع تذاكر المؤتمر الصحفي وجني ثروة منها".

قال هاري ريكس: "هل يمكنني أن أجلس وأشاهد فقط، من فضلك يا جايك، من فضلك".

44

تناقشوا إذا كان يجب أن يأخذوا سيارة البرونكو القديمة العتيقة، أو سيارة البورش الصغيرة الرديئة، وقال جايك إنّه لن يقود، وشتم هاري ريكس تباعًا، ثم استقلوا جميعًا سيارة البرونكو. وجد لوسيان مكانًا للجلوس في الخلف، وجلس جايك في الأمام وأخذ مهمة إعطاء التعليمات. انطلقوا عبر الشوارع الخلفية، وتجنبوا أغلب زحام الشوارع؛ كان الطريق السريع مزدحمًا لذلك وجه جايك هاري ريكس عبر عدد لا ينتهي من الطرق المفروشة بالحصى، ووجدوا أخيرًا طريقًا مسفلتًا، وانطلق هاري ريكس بعيدًا في اتجاه البحيرة.

قال جايك: "لدي سؤال واحد يا لوسيان".

"ماذا؟".

"وأريد منك أن تجيب بصدق".

"ماذا؟".

"هل عقدتَ اتفاقًا مع سيسكو؟".

"كلا يا عزيزي، لقد ربحتَ كل شيء بجهدك وتعبك الخاص".

"هل تقسم على ذلك؟".

"أقسم بالله، وأضع يدي على الإنجيل".

أراد جايك حقًا أن يصدق ما يقوله، ولذلك صدقه وترك الأمر كما هو. تقدّموا بصمت في الحرارة الشديدة، واستمعوا إلى صوت هاري ريكس وهو يغني بالتزامن مع الأغاني الصادحة من

الراديو. فجأةً، أشار جايك بيده فضغط هاري ريكس على الفرامل بشدة ثمّ انعطف بزاوية واسعة نحو اليسار ودخل في طريق غير معبد آخر حيث أشار جايك.

سأل لوسيان: "إلى أين نحن ذاهبون؟".

قال جايك وهو ينظر إلى صف من المنازل على جهة اليمين: "فقط انتظر".

أشار إلى المنزل الثاني من جهته، فأدار هاري ريكس مقود السيارة إلى داخل الممر وتوقف في ظل شجرة، فنزل جايك ونظر حوله في الفناء الأمامي، ثمّ مشى إلى شرفة المنزل وطرق على الباب الخارجي حيث ظهر رجل غريب وقال: "نعم، ماذا تريد؟".

"أنا جايك بريغانس، و...".

اندفع الرجل عبر الباب قبل أن يكمل جايك جملته، ثمّ اندفع عبر الشرفة باتجاهه وأمسك بيده قائلًا: "تشرفتُ بلقائك يا جايك، أنا ماك لويد كروويل. كنتُ عضوًا في هيئة المحلفين الكبرى التي لم توجه الاتهام، لقد قمتَ بعمل جيد جدًا، أنا فخور بك حقًا".

صافحه جايك وكرر اسمه مرارًا في باله، ثمّ تذكر، ماك لويد كروويل، إنّه الرجل من هيئة المحلفين الكبرى الذي طلب من باكلي أن يصمت ويجلس، قال جايك: "نعم، أتذكر ذلك الآن ماك لويد، شكرًا لك".

نظر جايك بحرج من خلال الباب، وسأل كروويل: "هل تبحث عن واندا؟".

"نعم، كنت أعبر من هنا، عندما تذكرت عنوانها من ملفات هيئة المحلفين".

"لقد جئتَ إلى المكان الصحيح، إنّها تعيش هنا، وأنا أيضًا في أغلب الوقت. لسنا متزوجين أو تربطنا علاقة ما، ولكننا فقط نتفاهم جيدًا مع بعضنا البعض. إنّها تأخذ قيلولة الآن، لقد كانت منهكة لدرجة كبيرة جدًا".

قال جايك: "حسنًا، لا داعي لأن توقظها".

"أخبرتني ما حصل، لقد ربحتَ القضية، فهي كانت مقتنعة بوجهة نظركَ تمامًا".

"كيف؟ ما الذي حصل؟".

"طلبت منهم جميعًا أن يغلقوا أعينهم ويستمعوا إليها، أخبرتهم أن يتخيلوا أن الفتاة الصغيرة ذات شعر أشقر، وأن عينيها بلون زرقة البحر، وأن المغتصبَين من أصحاب البشرة السوداء. أخبرتهم أن يتخيلوهما يربطان قدمها اليمنى بشجرة وقدمها اليسرى بعمود السياج القريب، ثمّ يغتصبانها مرارًا وتكرارًا، ويشتمانها بأفظع الكلمات فقط لأنها بيضاء.

أخبرتهم أن يتخيلوا تلك الفتاة الصغيرة ملقاة هناك تدعو أن يأتي والدها قريبًا وتتوسل، في الوقت الذي كانا فيه يركلان وجهها ويحطمان فكيها وأنفها. قالت لهم أن يتخيلوا اثنين من السود في حالة سُكر يصبان الجعة ويتبولان عليها، ثمّ يضحكان مثل الحمقى، ثمّ طلبت منهم أخيرًا أن يتخيلوا أن هذه الفتاة هي ابنتهم، وأخبرتهم أن يكونوا صادقين مع أنفسهم، وأن يكتبوا على ورقة صغيرة ما إذا كانوا سيقتلون هاذين الوغدين الأسودين أم لا إذا سنحت لهم الفرصة، وصوتوا بالاقتراع السري حيث كانت نتيجته أن الاثني عشر عضوًا جميعهم كانوا سيقتلون المغتصبين؛ عندما عد رئيس هيئة المحلفين الأصوات قال إنّها اثنا عشر صوتًا مقابل صفر. كما أخبرتهم واندا أنّها مستعدة للبقاء محتجزة هناك حتى عيد الميلاد قبل أن توافق على إدانته، وقالت إنّهم إذا كانوا صادقين مع أنفسهم، يجب أن يشعروا بالطريقة نفسها. اتفق معها عشرة منهم واختلفت معها سيدة واحدة، وبدأ البكاء؛ لقد بكوا جميعًا بصوت عالٍ، ولكنها استسلمت أخيرًا واجتمعوا على البراءة، كان الوضع صعبًا جدًا هناك يا جايك".

استمع جايك إلى كل كلمة حابسًا أنفاسه، ثم سمع ضوضاء خفيفة، فنظر إلى جهة الباب حيث وجد واندا وومالك هناك وهي تبتسم له ابتسامة خفيفة ثمّ بدأت بالبكاء. حدق إليها، لكنه لم يستطيع التحدث، فعض على شفتيه وأومأ قائلًا بصوت ضعيف: "شكرًا".

مسحت عينيها وأومأت برأسها.

اصطفت مئات السيارات على طريق كرافت شرق وغرب ممر بيت هيلي، وامتلأتِ الساحة الأمامية الطويلة بالسيارات، وجلس الآباء تحت الأشجار أو على أغطية السيارات، بينما بقي الأولاد يلعبون.

ركن هاري ريكس السيارة بجانب صندوق البريد، واندفع حشد باتجاه السيارة لتحية محامي كارل لي.

أمسك ليستر بجايك وقال: "لقد فعلتَها مرة أخرى، لقد فعلتَها مرة أخرى".

تصافحا ومشيا إلى جانب بعضهما عبر الفناء حتى وصلا إلى الشرفة. عانقه آغي أيضًا وهو يتمتم ويدعي الله ويشكره، غادر كارل لي الأرجوحة وسار على الدرج، وتبعته عائلته والمعجبون به. اجتمعوا حولهم، ولقد التقى الرجلان العظيمان الآن، فتصافحا بشدة وبقيا ممسكين بيدي بعضها، وابتسما لبعضهما البعض بينما يبحث كلاهما عن الكلمات المناسبة، ثم عانقا بعضهما، وصفق الحشد صارخًا بسعادة.

قال كارل لي بهدوء: "شكرًا لكَ يا جايك".

جلس المحامي وموكله على الأرجوحة وأجابا على أسئلة الجميع في ما يخص المحاكمة، بينما انضم لوسيان وهاري ريكس إلى ليستر وبعض أصدقائه الجالسين في ظل شجرة وشربوا بعض البيرة. أما تونيا، فكانت تركض وتقفز حول الفناء مع حوالى مئة طفل آخر.

عند الساعة الثانية والنصف، جلس جايك إلى مكتبه وتحدث إلى كارلا في حين كان هاري ريكس ولوسيان يشربان المارغريتا وسرعان ما بدأت آثار السُكر تظهر عليهما. شرب جايك القهوة وأخبر زوجته أنّه سيغادر ممفيس في غضون ثلاث ساعات وسيكون في كارولينا الشمالية بحلول الساعة العاشرة، وأخبرها أنّه قد كان بخير حتى اليوم، وأن كل شيء انتهى الآن والأمور على ما يرام، وأن هناك عشرات المراسلين المحتشدين في غرفة الاجتماعات الخاصة به، لذا عليها أن تشاهد الأخبار المسائية بكل تأكيد؛ قال لها إنّه سيلتقي بهم لفترة قصيرة ثمّ سيقود سيارته إلى ممفيس، وأخبرها أنّه يحبها ويفتقدها ويفتقد جسدها، وأنه سيكون هناك بجانبها قريبًا.

قال بينه وبين نفسه: "غدًا، سأتصل بإيلين".

سأل لوسيان: "لماذا سترحل اليوم؟".

صرخ هاري ريكس قائلًا: "أنت غبي يا جايك، أجل مجرد غبي، تملك ألف صحفي تحت تصرفك ولكنك اخترتَ مغادرة المدينة".

وقف جايك: "كيف أبدو يا رفيقيَّ؟".

قال هاري ريكس: "إذا غادرتَ المدينة، فأنت تبدو غبيًا".

وافقه لوسيان الرأي وقال: "انتظر لمدة يومين، هذه فرصة لن تحصل عليها أبدًا مرة أخرى، من فضلك يا جايك".

"استرخيا يا رفيقيَّ، سألتقي بهم الآن، وسأدعهم يلتقطون صوري، وسأجيب على بعض أسئلتهم الغبية، ثمّ سأغادر المدينة".

قال هاري ريكس: "أنت مجنون يا جايك".

نظر جايك إلى نفسه في المرآة، وعدّل ربطة عنقه، ثمّ ابتسم لصديقيه قائلًا: "أقدر كل ما تفعلانه يا صديقيَّ، أنا حقًا أقدر ذلك، لقد تلقيتُ تسعمئة دولار مقابل هذه المحاكمة، وأخطط أن أشاركها معكما".

سكبا آخر كأسين من المارغريتا وشرباهما دفعة واحدة ثمّ تبعا جايك بريغانس إلى أسفل الدرج لمواجهة الصحفيين.

Notes

[1←]
()الرابطة الوطنية لتقدم الملونين (NAACP)، منظمة أمريكية بين الأعراق أنشئت للعمل من أجل إلغاء الفصل والتمييز في الإسكان والتعليم والتوظيف والتصويت والنقل؛ لمعارضة العنصرية، ولضمان حقوق الأمريكيين الأفارقة الدستورية.

[2←]

()تأسس اتحاد الحريات المدنية الأمريكية في العام 1920 وهو حارس الحرية لأمتنا. يعمل اتحاد الحريات المدنية في المحاكم والمجالس التشريعية والمجتمعات للدفاع عن الحقوق والحريات الفردية والمحافظة عليها التي يكفلها دستور وقوانين الولايات المتحدة لجميع الأشخاص في هذا البلد.

[3←]

() إنذار ضوئي وليس صوتي (المترجم)

[4←]

() لقب لأحد فرق كرة القدم الأميركية. (المترجم)